

الأثار الكاملة



الدكتور كمال مظهر

المجلد السابع

اعداد

الدكتور جبار قادر الدكتور دلشاد محمود

الدكتور آزاد عبيد الدكتور كامران محمد

أربيل

٢٠٢٢

الآثار الكاملة الدكتور كمال مظهر

المجلد السابع

اعداد

الدكتور جبار قادر الدكتور دلشاد محمود

الدكتور آزاد عبید الدكتور كامران محمد

اربیل ۲۰۲۲

- * اسم الكتاب: الآثار الكاملة - الدكتور كمال مظهر - المجلد السابع
- * اعداد: اللجنة المختصة بجمع ونشر الآثار الكاملة للأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد
- * الاعمال الفنية والاشراف على الطبع: عثمان بيرداود كواز
- * صورة الغلاف: الفنان نورالدين الجاف
- * الطبع: مطبعة دانشفير- أربيل
- * عدد النسخ: ١٠٠٠
- * رقم الايداع (٩١٨) لسنة ٢٠٢٢
- * السعر(٦٠.٠٠٠) دينار

المجلد السابع:
يضم هذا المجلد الكتب التالية:

- * كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى.**
- * كركوك وتوابعها حكم التاريخ والضمير**
- ادراسته وثائقية عن القضية الكردية في العراق.**

تقديم

من دواعي الفخر للجنة المختصة بجمع ونشر النتاج العلمي والثقافي للراحل المؤرخ الفذ والمربي الكبير الأستاذ الدكتور كمال مظهر أن تضع بين أيدي قراء اللغتين الكردية والعربية الكرام أعماله الكاملة التي تتوزع على عشرة مجلدات، الستة الأولى منها بالكردية ومايليهما حتى العاشر منها بالعربية وهي بمجملها تمثل القسم الأول من مشروع كبير يهدف الى جمع ونشر مجمل منجزه العلمي والثقافي.

يعد الدكتور كمال مظهر أحمد رائدا للدراسات التاريخية الكردية الحديثة، بل ومؤسساً لمدرسة تاريخية كردية متميزة؛ فقد إطلعت أجيال عديدة منذ سبعينات القرن الماضي لأول مرة على دراساته المتعلقة بتاريخ الكرد وكوردستان وفق منهجية علمية لم يألفوها من قبل، إذ كانت هاتيك الأجيال تقرأ حكايا وأساطير تغنت بمناقب أمرائهم وزعمائهم المحليين وتحسبها مصادر ومطانا تاريخية! وتأثير كتبه المؤلفة ومقالاته التاريخية عشقت الأجيال الجديدة من سواد القراء ومن المثقفين تاريخ الكرد، وراحت تدلو بدلائنها في دراسة تاريخ أمتها الكردية المستضعفة إضافة الى دوره الكبير في دفع العديد من الطلبة في أقسام التاريخ في الجامعات لإكمال دراساتهم العليا في مجال التاريخ داخل العراق وخارجه، كما وجدت محاضراته على الطلبة ومعظمهم من غير الكرد دورا مماثلا في التوجه الى الدراسات العليا لدراسة التاريخ بمنهج علمي وظلوا أمناء لمعلمهم الكبير طوال حياتهم ومسيرتهم العلمية. ولم يقتصر عمله هذا على الطلبة الكرد فقط بل وشمل الجميع ممن أشرف عليهم أو إستشاروه في دراساتهم ومشاريعهم البحثية.

لطالما أكد الدكتور كمال على أن مجال التاريخ الكردي كالأرض غير المحروثة والمزروعة؛ وتحتاج هذه المهمة الكبيرة الى أجيال من الباحثين لكي ينجزوا جزءا من هذه المهمة! وكان من أسباب سعادة الدكتور كمال أن يلتفت الى منجزه التربوي فيشهد العديد من الباحثين والمتخصصين في التاريخ الكردي من الذين أسهم مباشرة في إعدادهم تعليما أو إشرافا أو تنويرا من خلال مؤلفاته كتباً ومقالات وبحوث علمية وما ترجمه من أعمال في التاريخ والفكر التاريخي التي كانت تثير إهتمام أوساط واسعة من القراء والمثقفين الكرد والعراقيين عموماً.

غني عن القول أن جمع وتحقيق الآثار الكاملة لمؤرخ غزير الإنتاج مثل الراحل كمال مظهر يستوجب تكاتف العديد من الباحثين والمثقفين، بل إنه مهمة مؤسسة متخصصة مع كوادر علمية وإدارية متفرغة لهذه المهمة، وليست مهمة لجنة من

المتطوعين غير المتفرغين يعملون هنا وهناك، ومنهم أساتذة في الجامعات منهمكون بإعداد محاضراتهم وبحوثهم العلمية.

لقد إرتأت اللجنة المتشكلة قبيل وفاة العلامة كمال مظهر بأيام معدودة؛ بهدف جمع تراثه العلمي والثقافي وتصنيفه، ومن ثم طبعه ونشره، إرتأت تقسيمه الى ستة أقسام على النحو الآتي:

القسم الأول والذي يسرنا أن نضعه بين أيدي القراء يضم كل مؤلفاته المنشورة باللغتين الكردية والعربية في عشرة مجلدات، بلغ مجموع صفحاتها سبعة آلاف ومائتين وخمسين صفحة.

القسم الثاني: سيشتمل على بحوثه العلمية ومقالاته المنشورة في الصحف والمجلات الكردية والعربية، وقد قامت اللجنة بتصوير وجمع قسم منها، لكننا مازال هناك الكثير مما ينتظرها في هذا المجال؛ وهو يستوجب بذل جهود شاقة من قبل عدد أكبر من أعضاء اللجنة المشرفة.

القسم الثالث: وسيضم أعماله العلمية والصحفية باللغة الروسية وسيربو عدد صفحات هذا القسم على ألف وخمسمائة صفحة. ومن الضروري ترجمته الى اللغة الكردية وقد خطت اللجنة الخطوات الأولى على هذا الطريق. ولقد تبين لنا عند الإطلاع على قائمة مؤلفاته وبحوثه أنه قد ترجم بعض بحوثه ومقالاته في حينها من الروسية الى الكردية أو العربية أو وظيفها كنواة لدراساته وبحوثه اللاحقة.

القسم الرابع: وقد خصص لجمع كلمات التقديم التي كتبها لعدد معتبر من الكتب والمؤلفات لباحثين كرد وعرب فضلا عن مذكرات قام بتقديمها وإعدادها للنشر، وتنطوي هذه المقدمات على أفكار ومعلومات مهمة تفرض علينا الإهتمام بجمعها في أكثر من مجلد.

القسم الخامس: تسعى اللجنة الى تخصيصه ليضم لقاءاته الصحفية والحوارات معه، التي عبر من خلالها عن آرائه وتصوراته عن الكثير من المسائل العلمية والقضايا الفكرية والثقافية، وهي تشهد على إطلاعه الواسع وواقعية تصوراته وعمق تحليلاته. وهي تشكل مادة غنية؛ لإجراء البحوث والدراسات عن رؤاه الفكرية وتوجهاته الثقافية.

القسم السادس: من المأمول أن يتضمن كل ما كتب ونشر عن الراحل من دراسات وبحوث ورسائل علمية وما قيل عنه أثناء وفاته أو في الذكرى السنوية الأولى

لرحيله. ووجدنا من الضروري أن ندرج في هذا القسم رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد وهي بحوث مشتركة بحكم التعليمات. وكان الراحل خلاقاً في دعم المنجز العلمي لطلبته في مشاريع رسائلهم وأطاريحهم فكرة وعنواناً وموضوعاً وتحليلاً وتركيباً؛ ولذا وجدنا من الضروري أن نفهرس في هذا القسم عناوين رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي أشرف عليها الدكتور كمال مظهر وإسم الطالب ومستوى العمل وتاريخه. والجدير بالذكر هنا إسهاماته المشهودة في مناقشة العشرات من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه. ولئن كانت هاتيك المناقشات مسجلة صورة وصوتاً؛ فسنسعى إلى الإتصال بذوي العلاقة للحصول على نسخ من هاتيك التسجيلات، وسنقوم بتفريغها وطبعها ورقياً وإصدارها ضمن الأعمال الكاملة. كما ستعمل اللجنة على الإتصال بتلامذته المتميزين؛ لكتابة مقالات عن أسلوبه في محاضراته.

لقد قامت اللجنة المتخصصة المشكلة من: (الأستاذ الدكتور جبار قادر، الأستاذ الدكتور آزاد عبيد، الأستاذ المساعد الدكتور دلشاد محمود عبدالرحمن والأستاذ المساعد الدكتور كامران محمد حاجي) قامت خلال العام الأول من عمرها بإنجاز بيبلوغرافيا أولية لمجمل الأثار العلمية والثقافية للراحل كمال مظهر فضلاً عن إعداد مؤلفاته وترجماته باللغتين الكردية والعربية للطبع، وهو هذا القسم الذي نضعه بين أيدي القراء والباحثين. كما قامت اللجنة بجمع كل ما ظفرت به في مكتبته الشخصية وكل ما وقع تحت أنظار أعضاء اللجنة والعديد من الزملاء والأصدقاء من خارج اللجنة من المقالات والبحوث والكتب المتعلقة بالراحل باحثاً أو مترجماً أو معلقاً على مسألة عامة أو خاصة أو قام به تلامذته وأساتذتهم وأصدقاء الراحل من كتابات عن سيرته وترجمة لحياته الشخصية والعلمية. كما قامت اللجنة بطبع العديد من مقالاته وبحوثه ومراجعتها بصورة دقيقة. وستواصل اللجنة بعد نشر مؤلفاته الكاملة سعيها لإنجاز المراحل الأخرى من هذا المشروع العلمي والثقافي الكبير؛ خدمة للحقيقة والتاريخ وتذكيراً لعطاء هذا الإنسان العالم والمؤرخ والمربي الكبير الذي قلما يوجد الزمان بمثله.

ومن هنا تتناشد اللجنة المشرفة الباحثين والقراء المهتمين بتراثه العظيم أن تمد يد المساعدة للجنة بتزويدها بما يتوافر لديهم من صحف ومجلات تضم بحوثاً ومقالات أو لقاءات صحافية منشورة للراحل. ومن المؤكد أن مؤازرتهم ستساهم

حتمًا في تأسيس مكتبة خاصة ومتحف خاص يجمع فيهما كل ما يتعلق به. شكل توزيع مؤلفات الراحل الكبير من حيث المواضيع وعدد الصفحات تحديًا أمام اللجنة وجرى نقاش مطول حول الأمر إلى أن إستقر الرأي في النهاية على توزيعها على الشكل التالي، ونثبت هنا عناوين الكتب المنشورة في مجلدات القسم الأول:

المجلد الأول: "كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى"، "التاريخ- دراسة علمية موجزة عن التاريخ والکرد والتاريخ" و"كتاب الحركة التحررية للکرد والأذربايجانيين في إيران".

المجلد الثاني: "تيگهيشتنى راستى (أي فهم الحقيقة) - وموقعها في الصحافة الكردية" و"صفحات من تاريخ الشعب الكردي - الجزء الأول".

المجلد الثالث: "صفحات من تاريخ الشعب الكردي - الجزء الثاني".
المجلد الرابع: الترجمات الكردية لكتبه "مكيافيللي والمكيافيلية"، و"النهضة"، و"الطبقة العاملة العراقية: التكون وبدايات التحرك" ومؤلفه "المرأة في التاريخ".
المجلد الخامس: "الکرد وكردستان في الوثائق السرية للحكومة البريطانية".

المجلد السادس: "الکرد وكردستان في الوثائق السرية للحكومة البريطانية". وكما أسلفنا فإن هذه المجلدات الستة تضم مؤلفاته باللغة الكردية أو التي ترجمت إليها من اللغة العربية.

المجلد السابع: الترجمة العربية لكتاب: "كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى" ومؤلفه "كركوك وتوابعها، حكم التاريخ والضمير - دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق".

المجلد الثامن: "دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر" و"أضواء على قضايا في الشرق الأوسط" و"النهضة".

المجلد التاسع: "صفحات من تاريخ العراق المعاصر"، و"الطبقة العاملة العراقية - التكون وبدايات التحرك"، و"ثورة العشرين في الإستشراق السوفيتي"، و"رأي للمناقشة".

المجلد العاشر: "دور الشعب الكردي في ثورة العشرين"، و"إنتفاضة ١٩٢٥ في كردستان تركيا"، وترجمته لكتاب شاميلوف "حول مسألة الإقطاع بين الكرد"، و"ميكافيللي والمكيافيلية" و"تاريخ الدول الكبرى بين الحربين العالميتين". وكما نوهنا فإن المجلدات الأربعة الأخيرة هي باللغة العربية.

وختاماً تشكر اللجنة كل من أبدى إستعداده لدعم المشروع مادياً أو معنوياً وهم
كثير، وفي مقدمتهم رئيس الأكاديمية الكردية الأستاذ الدكتور عبدالفتاح البوتاني الذي
خصص غرفة خاصة للجنة في الأكاديمية. كما تشكر اللجنة الأستاذ الدكتور عماد
الجواهري الذي كان لملاحظاته دوراً مهماً في إضافة محور جديد الى القسم السادس
من المشروع، وكل من ساهم ولو بإعلام اللجنة بوجود مقالة أو دراسة للراحل في
صحيفة ما أو مجلة. وتعبّر اللجنة كذلك عن إمتنانها للأستاذ جلال زنگابادي على
جهوده المخلصة لإخراج المشروع بأفضل صورة.

اللجنة المختصة
بجمع ونشر الآثار الكاملة
للدكتور كمال مظهر احمد



دار الثقافة والنشر الكردي

تسلسل (٥٦)

الدكتور كمال مظهر احمد

كردستان

في سنوات الحرب العالمية الاولى

ترجمة

محمد الملا عبد الكريم

بغداد

١٩٨٤

دار الثقافة والنشر الكردية

الدكتور كان مظهر أحمد

كردستان

في سنوات الحرب العالمية الأولى

ترجمة

محمد الملا عبد الكريم

كَلِمَةُ الْمُتَرْجِمِ

قدر لي قبل سنوات أن ألخص الفصل الأول من هذا البحث مترجماً الى لغة العرب لنشره مع أصله الكردي في العدد الأول من المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي الكردي . ومنذ ذلك الحين استحوذت على ذهني فكرة أن أترجم فصول البحث كلها بعد اكمال نشرها ، الى اللغة العربية . ولم تكن فكرة نشر تلك الفصول في كتاب قد ولدت بعد ، أو لم يكن في ذهني أنا شيء بهذا الصدد على الأقل .

واذ ظهرت سائر الفصول ، المنشورة منها وغير المنشورة ، بين دفتي كتاب صدر من المجمع في السنة ١٩٧٥ وتلقفته أيدي القراء حتى فقد في الأسواق خلال أيام قلائل ، ازداد شعوري بضرورة انجاز ما استقر عليه فكري منذ حين . الا أن انشغالي آنئذ لم يتح لي الفرصة لأكثر من أن أقدم عرضاً مفصلاً للكتاب نشر في جريدة «التآخي»^(١) وأشرت فيه الى ما عقدت العزم عليه بشأن ترجمة الكتاب . وقد نال العرض استحساناً لائقاً من لدن جمهرة القراء .

(١) التآخي ، العددان ٢٠٤٤ و ٢٠٤٥ ، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٥ .

كان ذلك الى جانب التقييم الكبير الذي ناله الكتاب من لدن العديد من الاساتذة المؤرخين والمعنيين بالدراسات الكردية^(٢) ، على أساس ملخصات بعض فصوله التي نشرت من قبل في مجلة المجمع العلمي الكردي ، والاستفسارات الكثيرة التي أخذت ترد تباعا الى المجمع عن ترجمة الكتاب ، والاقتراحات العديدة التي قدمت اليه بهذا الشأن ، ورغبة المؤلف الفاضل نفسه في اعادة نظر شاملة في الكتاب ، لمقتضيات علمية منها أن هناك دوماً بورناً شاسعا بين المادة العلمية التي تعد للنشر كمقال والتي تعد للنشر كهصل من كتاب - وهذا ما يتبين جليا لمن يمكنه اجراء مقارنة بين الاصل الكردي والطبعة العربية هذه - كان ذلك كله خير حافز لي على أن أنجز ما عقدت العزم عليه ، وذلك ما تفرغت له في أواخر السنة الماضية، ويقدمه المجمع العلمي الكردي اليوم الى جمهرة قراء العربية .

ان الغبطة لتغمرني والسعادة تملأ جوانحي اذ أرى الأمنية التي ولدت واختمرت في ذهني قبل سنين ، وقد تحققت ، فقدمت الى الأشقاء العرب جانبا من التاريخ الحديث لشعب شقيق لهم تربطهم وياها أخوة متعددة الروافد تعود بداياتها الأولى الى أيام حلول الاسلام في ديار الكرد ، ثم عندها الزمن ، وصقلتها الثقافة المشتركة من أوجه عديدة ، وصهرتها بوتقة الكفاح المشترك على مر العصور ضد الغزاة والمحتلين ومن أجل الغد الزاهي السعيد .

(٢) أشير في هذه المناسبة ، بصورة خاصة ، الى فقرة وردت في رسالة للمؤرخ الفاضل الأستاذ عبدالرزاق الحسني ، وجهها الى الأستاذ مسعود محمد نائب رئيس المجمع العلمي الكردي ، حيث ورد فيها قوله : « . . ولقد أعجبت - كمؤرخ - كل الإعجاب بمقالات الدكتور كمال مظهر احمد «كوردستان خلال الحرب العالمية الاولى» . وحيدا لو طبعت برسالة مستقلة كما طبع أصلها الكردي ، فان فيها من المعلومات والطرأوة ما لا نجد مثلها في المظان الأخرى ، عربية كانت أم اجنبية » .

وفي هذه المناسبة أود أن أشير الى نقطة أراها جديرة بالاهتمام ، تلك أنه اذا كان المثقفون الكرد في البلاد الأخرى، يكتبون في الأغلب باللغات السائدة في تلك البلاد ، فيعرفون أبناء شعوبها من مثقفين وأناس بسطاء بما يريدون أن يقولوه عن شعبهم ، بلغات تلك الشعوب ، طوعاً أو كرها ، فانتا في العراق ، وجدنا ونجد الفرصة لأن نقول ما يمكن قوله ، بلغتنا نحن ، مما يحرم اخوتنا العرب ، بالضرورة ، عن معرفة الكثير مما ينبغي أن يعرفوه عنا وينبغي كذلك أن نزيد لهم أن يعرفوه . هذه الحقيقة تضع على عاتقنا نحن المثقفين الكرد العراقيين مهمة لا يصح التهاضي عنها بأي حال ، ألا وهي ترجمة المواد الأصلية المكتوبة بلغتنا الكردية الى لغة العرب ، فلن نكون في غنى بأي حال ، كما لن يكون العرب كذلك في غنى ، عن أن يعرفوا الكثير من تاريخنا وأدبنا ولغتنا وثقافتنا وتقاليدنا ، مما يعرف بعضنا بعض على نحو أفضل ويرسخ دعائم أخوتنا لخير الجميع ، ويمدّ الى أعماق المستقبل جذور ماضيها المشترك . .

ان هذا الكتاب سيكون لبنة أخرى في بناء هذا الصرح الذي بدأ تشييده منذ عشرات السنين ونطمح الى أن يعلو شامخا ويرتفع أكثر فأكثر . . واني لأمل أن يجد فيه القراء العرب وقراء العربية مختصين وغيرهم ، جانبا مهما مما تهتم معرفته ، وأن يكون أساسا لنوع جديد في الترجمة من الكردية الى العربية ، نوع أغنى وأوفر عطاء وأكثر احتكاكا بحقائق الحياة المعاصرة .

محمد الملا عبدالكريم

مقدمه المؤلف للطبعة العربية

يشغل الشعب الكردي صفحة بارزة في سجل تاريخ شعوب الشرق الحافل قديماً ووسيطاً وحديثاً ، صفحة تحتاج ، مع ذلك ، الى جهود مثابرة خلاقة وأقلام مخلصه نيرة لسبر أغوارها ووضع حقائقها أمام الأقطار ، لما في ذلك من أهمية علمية وعملية .

وبالرغم من أن العديد من المؤرخين بدأوا في الآونة الأخيرة يولون دراسة تاريخ الشعب الكردي في بعض مراحل اهتماماً ملحوظاً ، الا أن مكتبة الدراسات التاريخية ما تزال تفتقر الى بحوث جادة عن معظم جوانب ذلك التاريخ الذي ظلت ، وما تزال ، صفحات كثيرة منه مجهولة لا بالنسبة لأبناء شعب جد قريب من صاحبه ، وأعني بهم العرب ، فحسب ، بل هي ظلت كذلك حتى بالنسبة لأبناء صانعي ذلك التاريخ أنفسهم ، مما يضاعف واجب المؤرخ الكردي ، والذي هو واجب معتد في أساسه . واذا تمكن هذا المؤرخ من تقديم ثمرة مفيدة الى أشقائه ، فانه يكون قد أدى ، حقاً ، واجباً يدخل في عداد المقدمات ، وأسدى خدمة تأتي في مقدمة الضرورات في بابها . وهذا بالذات هو الذي دفعني لأعيد النظر في النص الكردي لكتابي هذا وأضيف عليه الكثير مما رأيته ضرورياً ليكون القارئ العربي على بينة من الأمر .

ولذا ، دون أي دافع آخر ، جاءت الطبعة العربية لـ « كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى » أوسع بكثير من نصه الكردي . ومما ساعدني على تحقيق ذلك حصولي على مصادر جديدة ومهمة في اطار الموضوع ، بعضها أصيلة تدخل للمرة الأولى في مجال البحث العلمي من أجل القاء الضوء على جوانب كان يصعب ، من قبل ، تحديد كل أبعادها من دون الاطلاع على ما ورد في هذه المصادر من حقائق ومؤشرات نادرة . وهنا أود التأكيد بشكل خاص على أعداد جريدة « تيگه يشتني راستي » (فهم الحقيقة)^(١) التي أصدرها الانكليز باللغة الكردية في بغداد بعد احتلالهم لها ، فهي حافلة بالمعلومات القيمة للغاية مما أتاح للمؤلف امكانية فهم أعمق لأحداث مهمة وقعت في سنوات الحرب العالمية الأولى ، وهو ما يدركه القارئ بسهولة من خلال اطلاعه على المواضيع الواردة في الفصلين الثالث والرابع من الكتاب .

يلاحظ القارئ اهتماماً خاصاً بالأحداث التي وقعت قبل الحرب والتي كرس لها فصلان من الكتاب . وقد جاء ذلك بحكم الضرورة ، نظراً لأهمية تلك الأحداث ووجوب عرضها لتقديم خلفية واضحة لأحداث لاحقة وقعت في سنوات الحرب نفسها ، اذ كان من المتعذر عرض صورة متكاملة بدون الخوض في دراسة أهم الجوانب التاريخية لفترة ما قبل الحرب كمدخل ضروري الى صلب الموضوع . وللسبب ذاته رأيت من الأنسب توسيع هذا القسم من الترجمة العربية أيضاً والتأكيد فيه على الجوانب التي تهتم المؤرخ والمتبع العربي .

أشرت في نهاية مقدمة الطبعة الكردية الى افتقار البحث الى المصادر

(١) يكف المؤلف على اعداد دراسة مفصلة عن هذه الجريدة ، ومن المأمول ان تقدم الى الطبعة عما قريب - المترجم .

المشامية ، الا أنه أصبح بالامكان التمييز عن ذلك في الطبعة العربية الى حد غير قليل ، وذلك بالاستناد الى بعض المصادر السوفيتية التي اعتمدت الوثائق التركية أساساً مهماً للبحث . وينطبق هذا القول بشكل خاص على المستشرقين الآذربيجانيين السوفيت المهتمين بتاريخ تركيا الحديث والذين تتوفر لهم امكانيات الاستفادة الواسعة من المصادر التركية الاصلية^(٢) . واستندت كذلك على نطاق أوسع من كتاب الأستاذ شكري محمود نديم عن « الجيش الروسي في حرب العراق » الذي يعتمد مصدراً تركيا ألفه ضابط عثماني كبير أساساً لعرض الأحداث التي رافقت وصول القطعات الروسية الى مناطق رواندوز وخاتقن وبينجوين .

من الضروري أن أشير أيضاً الى أنه تم نقل مواضيع قليلة من فصل الى آخر لارتباطها أكثر بالمواضيع الموجودة في أماكنها الجديدة، مثل البحث المتعلق برد الفعل الذي أثارته مظالم المحتلين بين الأكراد ، فقد وردت أمثلة عنه ضمن الفصل الثالث بينما ارتأينا نقلها الى الفصل الرابع لوجود ربط موضوعي أكثر بينها وبين النضال الذي شهدته المناطق الكردية في سنوات الحرب العالمية الأولى .

وفي الختام فان غاية ما أتوخاه ، أن تتحول الترجمة العربية لكتابي « كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى » الى لبنة متواضعة جديدة في صرح العلاقات الأخوية التي تربط الشعبين الشقيقين العربي والكردية ، وقد سبقني الى الغاية النبيلة ذاتها أساتذة آخرون من مفكري الشعبين . وأن تكون

(٢) من المصادر الجديدة المستخدمة في الطبعة العربية كتاب المستشرق الآذربيجاني السوفيتي الدكتور حميد علييف عن تركيا في عهد الاتحاديين والذي كان في الاصل رسالة علمية نال بها المؤلف شهادة دكتوراه علوم .

عند حسن ظن الذين اطلعوا على أصلها الكردي أو على ملخصاته أو عرضه ،
فكان لديهم مما يستحق التقدير والتكريم •

الدكتور كمال مظهر احمد

المُقَدِّمَة

مما يؤسف له أن أيا من مراحل تأريخ الشعب الكردي لم يدرس بعد دراسة معمقة ووفق أسلوب علمي منهجي . الا أنه قد يكون بوسعنا أن نستثني ، الى حد ما ، من هذا الحكم ، تأريخه الحديث (ولاسيما القرن التاسع عشر منه) وبعض جوانب حركة التحرر القومي الكردية^(١) . غير أن من الواضح أنه بدون دراسة معمقة علمية منهجية لمختلف مراحل تأريخ الكرد وكردستان ، ظل أحدى الحلقات المهمة في دراسة تأريخ الشرق الأوسط ، بسختلف مراحلها ، مفقودة . ويبقى كذلك العديد من الأسئلة العلمية المهمة دونما جواب .

تؤلف سنوات الحرب العالمية الأولى إحدى مراحل تأريخ الشعب الكردي التي لم تزال بحاجة الى دراسة معمقة . وكان قد حدد موقع خاص

(١) درس المستكردون السوفيت ، وأخص بالذكر منهم الدكتور ن . أ . خالفين و م . س . لازاريف و جليلي جليل ، العديد من الجوانب المهمة من تأريخ الكرد في القرن الماضي . ومن العوامل التي ساعدت هؤلاء على القيام بذلك غنى الأرشيفات السوفياتية بالمعلومات الأصلية والوثائق المتعلقة بتلك المرحلة من تأريخ الشعب الكردي . فقد كانت روسيا القيصرية تولى آنئذ أهمية بالغة لكردستان . وقد درست بعض جوانب الحركة القومية الكردية في الاتحاد السوفيتي كذلك .

لهذا الموضوع ، ضمن الخطة التي كان المستشرقون السوفيت ينفون انجازها حول تأريخ الكرد . وكانت دراسة هذا الموضوع ، اضافة على مواضيع أخرى ، قد أنيطت بمؤلف هذا الكتاب . وقد صار ذلك باكورة الاعتناء بهذه المرحلة (٢) .

تعتبر الحرب العالمية الاولى [١٩١٤ - ١٩١٨] احدى أهم أحداث العالم . فقد عمت مآسي هذه الحرب وعواقبها جميع بلدان المعمورة ، وتسببت في حدوث تبدلات كبيرة في حياة معظم الشعوب . ولكن هذه الأحداث والعواقب شملت بلدان أوروبا والشرقين الأدنى والأوسط أكثر من أي بقعة أخرى في العالم ، كما شملت بدرجة أقل افريقيا الشمالية . وهذه هي المناطق

(٢) بالرغم من هذا التوضيح الذي لابس فيه ، وبالرغم من الاختلاف الكلي للاطار الزمني بين موضوع هذا الكتاب وموضوع رسالتي العلميتين اللتين قدمتهما في حينه لنيل شهادتي الدكتوراه ودكتوراه العلوم (ناوك) ، وبالرغم من الاختلاف الكلي بين مضمون هذا الكتاب وكل ما كتبت ونشرت باللغة الروسية - فقد حاول أحد زملاء الدراسة ان يلقي ظللا من الشك على الموضوع ، فزعم ان هناك احتمالا بان يكون هذا الكتاب جزءا من رسالتي العلمية [راجع : حول المجمع العلمي الكردي ، مجلة « الثقافة » ، بغداد ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٧٦ ، الص ١٥٢] ، مع ان المفترض ان يكون هذا الزميل مطلعا على كل الحقائق الآتفة الذكر ، ليس بحكم معرفته للغة الروسية وحسب ، بل وبحكم كونه مثقفا كرديا كذلك ، ولقوة الترابط بين موضوع اختصاصه - الادب الكردي وموضوع اختصاصي - التاريخ الكردي ، ولزمالكنا وعملنا العلمي سوية على مدى سنين طوال . وقد كنت ، ومازلت ، اود لو انه اوضح هذا الامر بنفسه ، فكل مقومات استذكار الحقيقة متوفرة بالنسبة اليه ، ان كان بعض الشبهة قد تسرب الى نفسه عن علاقة هذا الكتاب باطروحة مؤلفه . فمن نافلة القول ان للقضايا العلمية نوااميسها المقدسة التي تأتي في مقدمتها الدقة والامانة حرصا على الموضوعية التي يجب ان لانفتقدها في أي حال ، لئلا نكون مجحفين في احكامنا التي تؤدي من دونها الى ضرر كبير لقاء « مضم » صغير .

التي كانت قد باتت ساحة قتال ضارٍ .

جلي أن كردستان ، بوصفها جزءاً مهماً من الشرق الأوسط ، كان لها موقع بارز في الحرب الأولى . لقد أثرت أحداث الحرب وعواقبها تأثيراً كبيراً على حياة الشعب الكردي ومستقبله . ومع ذلك فإن تاريخ « كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى » لم يدرس بعد دراسة متكاملة ، ولم يعرض للأظار كتأريخ مرحلة متكاملة في عمل مستقل .

لم يدون باللغة الكردية شيء ذو بال حول هذا الموضوع المهم . فالمؤرخون الأكراد الأساتذة محمد أمين زكي ورفيق حلمي وحسين حزني المكرياني^(٣) (ولاسيما الأول منهم) ، إنما تحدثوا عن جانب واحد من هذا الموضوع وهو ما يتعلق بالصعاب والمحن الكثيرة التي أصابت الشعب الكردي في سنوات الحرب . وبديهي أن هذا الإهمال هو الذي أدى ليس إلى أن لا يعرف الشعب الكردي عامة شيئاً عن هذه المرحلة المهمة من تاريخه ، وحسب ، بل وكذلك إلى أن يكون المثقفون الكرد أيضاً في غفلة عن هذا الموضوع . وعلى سبيل المثال ، فنادر ما يوجد كردي يعرف شيئاً مهماً عن دور الكرد في مذابح الأرمن . في حين أن عشرات الكتب الأوروبية وغيرها تحدثت عن هذا الموضوع نظراً لأهميته السياسية والعلمية الكبيرة . إن هذا ، بحد ذاته ، فضلاً عن عدد من الأسباب العلمية ، يفضي أهمية خاصة على دراسة تاريخ الكرد في سنوات الحرب العالمية الأولى ، هذا التاريخ الحافل بالأحداث والعبر والتبدلات التي تشغل حيزاً ملحوظاً في تاريخ الشرق الأوسط الحديث .

إن أرشيفات الاتحاد السوفيتي عامرة بالوثائق والمعلومات المهمة عن

(٣) ترد أسماء مؤلفات هؤلاء الكتاب والكتاب الآخرين في متن الكتاب .

أحداث كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى . ويعود السبب في ذلك الى أن الجيش الروسي كان قد وصل في تلكم السنوات الى مختلف أنحاء كردستان حيث كان يقاتل الجيش العثماني . وهذا بالذات ما فسح المجال للمستكرد السوفيتي م. س. لازاريف ليدرس ، بعمق ، كثيرا من جوانب التاريخ الكردي في سنوات الحرب العالمية الأولى . كما أن الأكاديمي مردليفسكي^(١) الذي طاف قبل الحرب وفي سنوات الحرب كذلك في كثير من مناطق كردستان وأرمينيا ، نشر معلومات قيمة ومهمة . لقد ساعدت نتائج هذين العالمين وعدد آخر من المستشرقين السوفيت مؤلف هذا الكتاب مساعدة جلي في دراسة جوانب ذات أهمية من تاريخ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى .

وللمراجع الانكليزية كذلك أهمية بالغة لالقاء الضوء على مسائل مهمة ولاسيما ما يتطرق منها بكردستان العراق . فالانكليز ، كما هو معروف ، قد أولوا هذه المنطقة أهمية أكثر مما أولوها للمناطق الكردية الأخرى ، حتى أن الجيش الانكليزي قد بلغ مشارف هذا القسم من كردستان بل وبعض الأجزاء منه قبيل انتهاء الحرب . لذلك فإن معظم المصادر الانكليزية انما تتحدث عن كردستان العراق وحدها ، وقلما يعثر فيها على ما له صلة بالأجزاء الأخرى من كردستان . ومع ذلك يمكن القول أن بالامكان الاستفادة بصورة جيدة من كتابات آرنولد ويلسون وأدموندس وماسون وكتاب انكليز آخرين لتوضيح العديد من المسائل . هذا فضلا عن أن المصادر الانكليزية حافلة بالوثائق

(١) الأكاديمي ف. ا. مردليفسكي [١٨٧٦ - ١٩٥٦] واحد من قمم الاستشراق في الاتحاد السوفياتي والعالم ، متخصص ضليع في الدراسات التركية . أنجز حوالي ٣٠٠ عمل علمي ، وتتمتع تقييماته كلها بأهمية خاصة .

والمعلومات الاصلية حول اهتمام الدول الكبرى بکردستان سواء في سنوات الحرب أو قبلها .

ولانظروا المكتبة العربية كذلك من مصادر مفيدة حول موضوعنا هذا . غير أن معظم هذه المصادر أيضا تتحدث عن كردستان العراقية في الأساس . وعلى سبيل المثال فان كتاب شكري محمود نديم^(٥) قد كرس أصلا للبحث عن القتال بين الجيشين العثماني والروسي في جبهات السليمانية وحاتين ورواندوز . وقد يعثر في زوايا هذا الكتاب العربي أو ذاك على بعض المعلومات المفيدة حول تاريخ الكرد قبيل الحرب العالمية وخلالها .

وقبل أن أختم هذا الاستعراض الموجز للمصادر المتوفرة حول موضوع بحثنا ، أود أن ألفت أظن المتبعين بشكل خاص الى امكانية الركون لتوفير قضايا معينة من التأريخ الكردي الحديث والمعاصر ، الى المعلومات الغزيرة والمتنوعة المتوفرة لدى بعض الشخصيات الكردية من الجيلين السابقين ، ممن راقبوا عن كثب الأحداث الساخنة المتلاحقة في العقود الأولى من هذا القرن أو اشتركوا فيها بشكل مباشر . وقد استفاد صاحب هذا الكتاب فعلا من بعض المعلومات التي استقاها خلال اتصالاته الشخصية مع عدد من هؤلاء^(٦) لالقاء الضوء على مسائل محددة وردت في متن هذا الكتاب .

وهكذا فان ندرة المصادر الموثوقة الكافية ، هي احدى أكبر العقبات القائمة في طريق دراسة تأريخ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى . ان جانبا كبيرا من أحداث تلك السنوات قلما يمكن العثور على شيء بشأنه

(٥) شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الطبعة الثانية، بغداد ، ١٩٦٧ .

(٦) أخص منهم بالذكر المرحوم الأستاذ اسماعيل حقي شاويس والاستاذ فواد مستي والمرحوم الأستاذ ممدوح سليم والاستاذ اكرم جميل باشا .

المقدمة

أصلا ، ولاسيما ما يتعلق منها بنضال الشعب الكردي والتحولات الفكرية – الاجتماعية التي شهدت المنطقة بدايات مهمة لها في تلك الفترة ، وهو ما دفع العديد من المؤلفين الى الاعتقاد بأن هذا النضال قد توقف بسبب الحرب .

ليس التأريخ الكردي غير مدروس وحسب ، كما أشرنا الى ذلك في بداية هذه المقدمة . بل وان قسما كبيرا من المواد القليلة المدونة عنه قد خصص لتثويبه وليس لدراسته . ومن هنا فانه كثيرا ما يجد المؤرخ الموضوعي النزبه نفسه في مجال الدفاع عن الكرد ، دون أن يشعر بنفسه بذلك ، ويبدأ في السعي لاطهار الحقيقة خدمة للتأريخ . ومن المسائل المهمة التي شوه فيها دور الكرد ولطخت سمعتهم ، مذابح الأرمن في عهد السلطان عبدالحميد والمذابح التي جرت في سنوات الحرب العالمية الأولى بصورة خاصة ، فان شخصا مثل البروفيسور بول أميل يقول بكل بساطة ودونما أدنى تمييز انه « اندفع كل انسان في تركيا ، سواء كان من الجنود أو الجندرية أو الأكراد أو من قطاع الطرق لمهاجمة الأرمن، ففضوا على من قضاوا من الرجال والشبان وأرغموا الباقين على النزوح من البلاد في ظروف رهيبه تقشعر لها الأبدان » (٧) . وأسوأ من ذلك ماكتبه لوقا زودو حول المذابح التي حدثت في عهد السلطان عبدالحميد حيث يقول :

« ... وفي عهد السلطان عبدالحميد ، عندما أراد الفتك بالأرمن والآشوريين ، لم يجد غير الأكراد لتنفيذ مآربه بالنظر الى ميلهم الطبيعي للقتال ، فافتعل حربا دينية بينهم تحولت الى مجازر بشرية هائلة ، مازالت أصداؤها حتى الآن في ضمير هذا

(٧) البروفيسور بول أميل ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة شكري علاوي ، بيروت،
الصفحة ٥٣ .

الجيل» (٨) .

ورد مثل هذه الأحكام عن العلاقات الكردية - الأرمنية كحقائق تاريخية منتهية في كتابات العديد من المؤرخين الغربيين . ما من حاجة للعود بعيدا الى الوراء . فالكتاب الانكليزي كيلنك الذي تجول في تركيا وروسيا في سنوات الحرب والسنوات التي أعقبها مباشرة، تحدث في كتابه الموسوم «مغامرات في تركيا وروسيا» والذي كرسه للحديث عن مشاهداته في تلك الجولة ونشره في لندن في العام ١٩٢٤ فذكر كيف أنه رأى بأم عينيه الأكراد في العديد من المناطق وهم يؤتون المشردين الأرمن وينقذون أطفالهم من الموت . بل وتحدث كذلك عن امكانية التعايش بين الكرد والأرمن ، وكيف أن السلطان عبدالحميد كان يخشى ذلك كثيرا ، وقد أنشأ الفرسان الحميدية للحيلولة دون ذلك (٩) . ومع ذلك ، ورغم هذه الحقائق التي ذكرها ، فاقنا نقراً كذلك في كتابه مايلي :

« ان هذا العمل (ويقصد به تشكيل الفرسان الحميدية للقضاء على الأرمن كما يدعي - ك. م.) كان في محله تماما ، ذلك لأن الكرد يتمتعون منذ أيام زينفون بسمعة لا يضاھيم فيها أحد كقطاع طرق ولصوص قساة مجردين عن الايمان» (١٠) .

(٨) لوقا زودو ، المسألة الكردية والقوميات العنصرية في العراق ، بيروت ، ١٩٦٩ ، الص ٨٠ . التأكيد منا ، لأن هذا الجانب من الموضوع هو بالذات ما حاولنا عرضه في اطاره الواقعي ضمن بحثنا عن دور الكرد في المذابح الأرمنية .

(٩) E. H. Keeling, Adventures in Turkey and Russia, London, 1924, PP. 208 — 209, 229.

Ibid, P. 228.

(١٠)

اشار الكاتب والمؤرخ الاغريقي زينفون (Xenophon) [٣٠ - ٣٥٥ او ٣٥٤ ق.م.] وهو من تلامذة سقراط ، الى « الكاردوخيين » والمناطق الكردية وذلك في كتابه المعروف « اناباسيس » الذي ألفه في العام ٤٠١ ق.م. وهو يقود حملة «المشرة الاف» الاغريقية اثناء انسحابها من ايران .

ولكي يثبت كيلنك قوله هذا بصورة أكثر رسوخا في قلب القارئ وفكره، فقد نقل في هامش الصفحة التي دون فيها الفقرة التي أشرنا إليها آنفا، تلك الأسطورة الفارسية التي تزعم أن سالامون (سليمان) بعث يطلب في حينه أربعمئة من الفتيات الحسنات من الشرق . وحسبما ورد في الأسطورة ، فإن العفارت والشياطين أسروا له هؤلاء الفتيات في شمالي بلاد ما بين النهرين وان الكرد من نسل أولئك .

مثل هذه التقييمات جلبت انتباه مؤلف هذا الكتاب منذ حين ودفعته لأن يولي العلاقات الكردية - الأرمنية ودور الكرد في مذابح الأرمن أهمية خاصة . وقد وجد ذلك صدهاء في الفصل الخامس من هذا الكتاب وهو الفصل الخاص بدور الكرد في مذابح الأرمن . وتشكل هذه المسألة بحد ذاتها واحدا من أهم فصول التاريخ الكردي منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وقد بلغت إحدى ذراها في سنوات الحرب العالمية الأولى بالذات . ولذلك فقد كرس لها مكان بارز من هذا الكتاب .

لقد حصلت الاستفادة من مصادر كثيرة ومتنوعة لدراسة موضوع الكرد ومذابح الأرمن . غير أنه ينبغي أن نشير هنا بصورة خاصة الى مصدر جد مهم ، ألا وهو كتاب « اباداة الأرمن في الأمبراطورية العثمانية » الذي نشر باللغة الروسية في العام ١٩٦٦ تحت اشراف البروفيسور نيرسيسيان . فهو يضم بين دفتيه مئات الوثائق التاريخية المهمة والتي لم يطلع عليها الا القليلون حول مذابح الأرمن . وقد جمعت هذه الوثائق من مختلف المصادر والأرشيفات^(١١) . وفي هذا المصدر توجد كذلك بحوث ووثائق مهمة

(١١) مما يجدر ذكره ان المستشرق الانكليزي هربرت ايفانس نشر مقالا في العدد الثاني للعام ١٩٦٨ من مجلة ((Middle Eastern Studies))

حول دور الكرء وموقعمهم فى تلك المذابح .

لقد اسٲهء المؤلف فى الفصل الخامس من هذا الكٲاب أهءافا مٲعءءة فى مقءمٲها ءءىءءء دور الءقٲقى للكرء فى مذابح الأرمن . وواضح أنه بءلك وبءلك وءءه ىمكننا لا الكشف عن الءقٲقة وءسب ، بل والاعٲاظ بعبء الءارىء كءلك .

لأشك فى أن ءللل مءءلف ءواب الءارىء الكرءى فى سنواٲ الحرب العاللىة الاولى ىفءقر الى ءاءاٲ أخرى مءل هذا الكٲاب . كما ىفءقر الى ءراسة الوءاٲق الرسىة للءولة العءانىة وبمءء الءول الأوروىة الءى اشءركٲ فى الحرب ، وهى مهمة ىءءاء ءءقٲقها الى ءوفر شروط ءارءة عن اسٲءاعة المؤلف وءءءل ءمن مشكلة أكبر ىعانى منها مؤرءو الءلءان النامىة بءكل ءءى . الا أن بوسعى أن أسءل لنفى ، مع ءلك ، باءءبار هذا ءهمء الءى أءمه بىن أىءى القراء بمءابة مءءل ءىر مطروق الى هذا الموضوع الءىوى . أما مءى نءاءى فىه فمن شأن القراء والاءءصاصىن الأفاضل أن ىقءروه . وعلى كل ءال فانى آمل أن ىكون من شأن هذا الكٲاب أن ىملاء فراءا مءواضعاف فى ءقل الءراسات الءارىءىة المكرسة للءء فى ءواب مءءلفة من أءءاٲ شرقنا المءءب ، وأن ءلوه كءب أخرى كءىرة .

★ ★ ★

اعءبر فىه هذا الكٲاب وءابا للمؤلف نشره باللفة الروسىة حول ءارىء الكرء منذ انءماء الحرب العاللىة الاولى وءىءى العام ١٩٣٢ أهم نءاءىن للاسءءراق السوفىءى فى أواءر العام ١٩٦٦ وأوائل العام ١٩٦٧ (راءع: Hurbert Evans, New Soviet Books, - ((Middle Eastern Studies))), London, Vol. 4, No. 2, January 1968, P. 173).

الفصل الأول

بداية الاطماع

الحرب العالمية الاولى [١٩١٤ - ١٩١٨] واحدة من الأحداث الكبرى العاقلة بالمآسي في تاريخ الانسانية . فقد عمّ لهيب نارها ، كما شملت عواقبها ، أرجاء واسعة من المعمورة . لقد اشترك في هذه الحرب خمسة وسبعون مليون جندي وضابط قتل منهم عشرة ملايين وجرح منهم عشرون مليوناً أو شوهوا أو أصيبوا بعاهاات مستديمة . فضلاً عن ذلك كله فقد مات جوعاً حوالي عشرة ملايين شخص خلال سنوات الحرب وأغرق ما يقارب ستة آلاف سفينة تجارية مع حمولتها في عرض البحار^(١) ، مما أثر بشكل جدي على قوى الاتساج والوضع الاقتصادي - الاجتماعي لجميع الدول الأوروبية الكبرى . فحسب

(١) راجع :

Верховский Д.В., Первая мировая война 1914-1918, - "Советская Историческая Энциклопедия", т.10, Москва, 1967, стр.1000-1001.

د. ف. فيرذخوفسكي ، الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، - « الانسيكلوبيديا التاريخية السوفياتية » ، الجزء العاشر ، موسكو ، ١٩٦٧ ، الص ١٠٠٠ - ١٠٠١ .

المعلومات التي يوردها لويد جورج ، وهو واحد من أبرز من أداروا دفعة الحرب بوصفه رئيساً للوزارة البريطانية منذ أواخر العام ١٩١٦^(٢) ، بلغت ضحايا فرنسا وحدها أكثر من مليون وثلاثمائة ألف قتيل وأكثر من ثلاثة ملايين وسبعمئة ألف جريح ، أي أن ٥٠٪ من الشباب الفرنسي الذين كانوا دون الثلاثين من العمر لم يعودوا من ميادين القتال . أما خسائرها المادية فقد بلغت ثماني مليارات دولار ، ولاسيما وأن أربعة آلاف قرية فرنسية وحوالي عشرين ألف مصنع ومعمل فرنسي قد سوّيت مع الأرض من جراء العمليات الحربية التي امتدت الى مناطق واسعة من البلاد^(٣) . وتقدر المصادر السوقية خسائر روسيا البشرية فقط بحوالي مليونين وثلاثمائة ألف قتيل^(٤) ، مع العلم بأنها انسحبت من الحرب قبل انتهائها بحوالي سنة ، وقد شهدت هذه السنة بالذات معارك ضارية قررت الى حد كبير مصير ميزان القوى وبالتالي كل نتائج الحرب الدائرة .

كان السبب الرئيس لنشوب الحرب العالمية الأولى اختلال توازن القوى

(٢) بقي في منصبه كرئيس للوزراء حتى تشرين الأول من العام ١٩٢٢ أي أنه عاصر كمسؤول كبير ، اخطر مراحل الحرب وأهم نتائجها التي تمخضت عن مؤتمر الصلح في باريس .

(٣) راجع :
David Lloyd George, The Truth About Peace Treaties, Vol. I, London, 1938, PP. 86 — 87.

(٤) راجع :

"Мировая война в цифрах", Москва-Ленинград,
1934, стр.21.

« الحرب العالمية بالأرقام » ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٣٤ ، الص ٢١ .

بين الدول الرأسمالية الغربية الكبرى ، وكان ذلك نتيجة أن الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا المتخلفة سابقا باتتا في أواخر القرن التاسع عشر تحتلان الموقعين الأول والثاني في انتاج السلع الصناعية وأخذتا تنافسان بريطانيا وفرنسا في أسواق العالم التي كان معظمها في قبضة الأخيرتين كمستعمرات تابعة لهما . لقد أثار ذلك ألمانيا أكثر من أي دولة أخرى ، ذلك لأن اتاجها الصناعي كان أكثر بكثير من حاجة سوقها الداخلية وأسواق بعض البلدان المجاورة لها . ولذلك فقد أخذت ألمانيا تسعى بحماس للبحث هنا وهناك عن موطء قدم لها منذ أواخر القرن الماضي ، ولكنها كانت تلتقي في كل مكان مقاومة ضارية من لدن بريطانيا وفرنسا وبصورة خاصة من أولاهما التي كانت تخشى فقدان أسواقها الواسعة وباتت في أمس الحاجة الى استغلالها فاستماتت من أجل الحفاظ عليها .

شمل الصراع والتنافس في منطقة الشرقين الأدنى والأوسط جميع الدول الكبرى ولاسيما بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا . وكان لكرديستان بوصفها جزءا غنيا ومهما من الناحية الاستراتيجية في هذه المنطقة ، موقع خاص في مخططات الدول الكبرى سواء في سنوات ما قبل الحرب أو خلالها ، وكانت بريطانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا تسعى منذ سنوات طويلة ، وبكل الوسائل ، لتعزيز مواقعها وثبيت أقدامها في هذه البلاد بغية الاستحواذ على ثرواتها ولربطها بأسواقها هي ، وكان النفط أحد العوامل الخفية الرئيسة في ذلك .

لم يكن القرن التاسع عشر قد انقضى بعد عندما أخذ بعض العلماء الجيولوجيين الغربيين يتحدثون عن غنى آبار « باباگرغر » النفطية غير المستخرجة . بل ان العلماء الفرنسيين [ولاسيما ج. مورغان] استطاعوا أن يعينوا حدود منخفض كركوك - خانقين - شاخ كويخا النفطي الواقع خلف

قصرشيرين ويقدره بحوالي ٣٠٠ كيلومتر^(٥) . وفي العام ١٩٠٣ حصل الألمان على امتياز لاستثمار جميع الآبار النفطية الواقعة في مدى ٢٠ كيلومترا على جانبي سكة حديد بغداد التي وضعت خطة مدها ، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد ، بحيث يمر قسم منها عبر أراضي كردستان . وبعد ذلك بعام منحوا امتيازاً آخر لاستثمار النفط في ولاية الموصل . وفي الوقت نفسه كانت شركة دارسي البريطانية تسعى بدورها للاستحواذ على نفط هذه المنطقة . وفي العام ١٩٠٦ بدأ العثمانيون مفاوضات معها بهذا الشأن . وكان الأميركيان يبذلون جهودهم كذلك للعرض نفسه ، بل ان روزفلت بعث الأدميرال جيبستر الى استانبول لهذا الغرض في العام ١٩٠٨ كممثل خاص عنه^(٦) . وبعد مرور

(٥) راجع :

**Адамов А. , Ирак Арабский. Бассорский влайет
в его прошлом и настоящем, Петербург, 1912,
стр.26.**

١. اداموف ، العراق العربي ، ولاية البصرة في أمسها ويومها ، بطرسبورغ ، ١٩١٢ ، الص ٢٦ (في الهوامش القادمة ... A. Adamov, Iraq)
(اقتبس اداموف هذه المعلومات من كتاب مورغان :

J. de Morgan, Mission Scientifique en Perse. Etudes Geographiques, T. II, Paris, 1895, P. 86).

(٦) راجع : حكمت سامي سليمان ، النفط في العراق ، دراسة سياسية واقتصادية ، بغداد ، ١٩٥٨ ، الص ٢١ - ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٠ - ٢١ . وكذلك راجع :

**Данциг Б.М. , Ирак в прошлом и настоящем, Мос-
ква, 1960, стр.176-177.**

ب. م. دانتسيك ، العراق امس واليوم ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ١١٧ - ١٧٦ .

حوالي عام على المفاوضات والاتصالات على مختلف الأصعدة توصل هذا المندوب الى عقد اتفاق مع الدولة العثمانية يقضي بمنح الأمريكان امتيازاً لبناء ميناء وثلاث خطوط حديدية مع حق التنقيب عن المعادن لمسافة عشرين كيلومتراً على جانبي الخطوط الثلاثة . وقد وقع الاتفاق عن الجانب العثماني وزير الأشغال العامة في التاسع من مارس من العام ١٩١٠ . وفي سبيل نقل مضمون الامتياز الى حيز التنفيذ أسس جيستر شركة الانماء العثمانية - الأمريكية^(٧) Ottoman - American Development Company الا أن الحرب التركية - الإيطالية وحرب البلقان وأخيراً الحرب العالمية الأولى ، الى جانب مقاومة الألمان والفرنسيين، حالت دون تنفيذ المشروع الذي دشن على أي حال بداية اهتمام الأمريكان المباشر بنفط المنطقة . وقد تحول فيما بعد الى سابقة حاول المسؤولون الأمريكان استغلالها في سياستهم النفطية تجاه الشرق الأوسط .

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد . فقد نشبت صراعات بين الدول الغربية في سبيل بتروول ولاية الموصل كجزء حساس من الشرق الأوسط، وأخذ البعض منها يحيك المؤامرات للبعض الآخر . لكن الشركات الانكليزية والالمانية المتنافسة والتي بلغت الخصومة بينها ذروتها وجدت نفسها في دوامة صراعاتها مضطرة في خاتمة المطاف لأن تتحد فيما بينها لتستحوذ على نفط المنطقة . وهكذا فقد أسست بريطانيا وألمانيا في العام ١٩١١ شركة خاصة أطلقتها عليها في السنة التالية اسم شركة النفط التركية . وقد استطاعت هذه الشركة قبل نشوب الحرب بفترة وجيزة أن تحصل على امتياز من الدولة العثمانية

(٧) راجع :

Ch. W. Hamilton, *Americans and Oil in the Middle East*,
Houston, 1962, PP. 81 — 82.

لاستخراج النفط في ولاية الموصل . الا أن نشوب الحرب العالمية الأولى أدى الى حدوث تطورات كبيرة في هذا المجال وعادت بريطانيا وألمانيا تسميان مجدداً خلال سنوات الحرب من أجل تحقيق مآربهما كل على حدة . وقد وضع الانكليز يدهم في أول يوم بعد اعلان الحرب على حصة الألمان في شركة النفط التركية ، وبدأ الألمان العمل بصورة منفصلة . ووفق ما تذكره بعض المصادر ، فإنهم أخذوا يحفرون الآبار في منطقة زاخو ويستخرجون النفط منها^(٨) .

وهكذا فقد كان دور النفط ، بوصفه قوة محرّكة كبرى في سياسة الدول الغربية ازاء المنطقة ، في تعاظم مستمر ، وكان يحركها في سنوات الحرب أشد من ذي قبل بغية الاستحواذ على أرض كردستان بأي صورة كان .

كان الموقع الاستراتيجي لكردستان في قلب الشرق الأوسط قوة مؤثرة أخرى ذات أهمية في تحديد سياسة تلكم الدول ازاء مستقبلها . وقد تجلّى ذلك بوضوح قبل الحرب وخلالها في مشروع سكة حديد بغداد^(٩) الذي يملك

(٨) راجع : يوسف ابراهيم يزبك ، النفط مستميد الشعوب ، الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٣٤ ، الص ١٦٩ - ١٧١ .

(٩) « سكة حديد بغداد » مشروع معروف في التاريخ ، وكان احد الوجوه المهمة لمساعي الدول الغربية لتثبيت سيطرتها السياسية والاقتصادية في الشرقين الأدنى والأوسط . كان من المقرر ان تربط هذه السكة ، وبكيلومتراتهما البالغة حوالي ٢٤٠٠ كيلومتر ، بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي . ولتحقيق هذا الهدف كان ينبغي للسكة ان تجتاز قسماً من تركيا وكردستان وسوريا وبلاد ما بين النهرين . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت المساعي الألمانية المتشعبة لاقامة سكة حديد بغداد واستخدامها ، تؤدي بصورة خاصة الى تعميق التنافس بين الدول الكبرى من اجل الاستحواذ على الشرق الأوسط ، ولاسيما وأن الألمان كانوا يبنون من وراء انشاء هذه السكة تهديد النفوذ البريطاني في الهند ومصر والنفوذ الروسي في منطقة القفقاس وأواسط آسيا . ومن هنا فان

هو الآخر تأريخا طويلا تعود بداياته الى النصف الثاني من القرن الماضي ، عندما بدأ وضع الحديد من الخطط من أجل ربط البحر الأبيض المتوسط بالخليج العربي عبر خط حديدي . ان مايجب ملاحظته بهذا الصدد هو أن جزءاً من هذه السكة كان ينبغي مده عبر المناطق الكردية بموجب غالبية هذه الخطط . وعلى سبيل المثال فقد كان من المقرر أن تمر السكة الحديد التي وضع مشروعها لوفيت كامرون في العام ١٨٨٠ بمناطق أورفه وماردين والموصل وتتجه من هناك الى بغداد حيث تمتد الى الخليج^(١٠) .

كان الألمان الذين أخذ نفوذهم يتسع يوماً بعد يوم في تركيا منذ أواخر القرن التاسع عشر ، يولون أهمية جد كبيرة لمذ سكك حديد في البلاد العثمانية ، فقد كان لمذ السكك أهمية بالغة بلارب بالنسبة للمصالح الألمانية في الشرق الأوسط ، ولاسيما وأن برلين واستانبول كاتتا مربوطتين ببعضهما منذ زمن بعيد من خلال السكك الحديدية . وقد حصلت الشركات الألمانية على امتياز لمذ عدد من الخطوط الحديدية واستخدامها ، وأخيراً فانها منحت في

بعض المؤرخين يعتبرون هذا المشروع واحداً من الأسباب الرئيسة لاندلاع الحرب . (حول « سكة حديد بغداد » ولمعرفة المزيد عنها ، راجع : الدكتور لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، بغداد ، ١٩٦٧ . وراجع كذلك :

Zaki Saleh, Mesopotamia. Iraq 1600 — 1914, Baghdad, 1957.

وراجع ايضاً :

Аветян А.С., Германский империализм на Ближнем Востоке, Москва, 1966, стр.24-35.

١. س. آفتيان ، الامبرياليزم الألماني في الشرق الأدنى ، موسكو ، ١٩٦٦ ، الص ٢٤ - ٣٥ . (في الهوامش القادمة : . . . A. S. Avetian)

Zaki Saleh, Op. Cit., PP. 258 — 9) راجع : (١٠)

الخامس من مارس من العام ١٩٠٣ امتيازاً لمذ سكة حديد بغداد والذي كان قد فكر فيه من قبل عديد من مسؤولي الدول الكبرى . ومن الجدير بالذكر أن خبراء عديدين كانوا قد وضعوا خططا لمذ سكة حديد بغداد ، وكان ينبغي لهذه السكة أن تمر ، وفق مختلف هذه الخطط ، عبر كردستان . وطبقاً لواحدة من هذه الخطط ، وكان قد أطلق عليها اسم « الخطة الشمالية » ووضعت في العام ١٨٩٣ ، كان ينبغي لسكة حديد بغداد أن تمر بمدينة سيواس حيث يتفرع منها فرع يتجه الى أرزنجان وأرضروم وبايزيد ، وآخر الى خربوط ودياربكر حيث يمتد جنوباً حتى بغداد . لقد اعترضت هذه الخطة عقبات عدة منها عدم ارتياح روسيا ووعورة جبال أرمينيا وكردستان . ولذلك فإن الخبراء أعدوا في العام ذاته خطة أخرى أطلقوا عليها اسم « الخطة الوسطى » . وبموجب هذه الخطة كان من المقرر للسكة أن تمر بآنفرة وقيصرية لتصل الى ملاطية ودياربكر ثم تتجه جنوباً الى بغداد فالخليج . ولكن مشاكل تقنية معينة أدت الى اهمال تنفيذ هذه الخطة ، حيث حلت محلها خطة ثالثة عرفت باسم « الخطة الجنوبية » . وكان ينبغي للسكة المقترحة بموجب هذه الخطة أن تمر عبر مرعش وأورفه ودياربكر وماردين والموصل وكركوك حيث تصل من هناك الى بغداد فالبصرة والكويت^(١١) .

كان من المقرر وفق الخطة الأخيرة التي وضعت قبل الحرب بفترة وجيزة من قبل الألمان ، أن تمر سكة حديد بغداد بأراضي كردستان أيضاً عبر مدينة نصيبين . وقد زارت لجنة ألمانية مختصة برئاسة القنصل الألماني العام في استانبول عدة أماكن في كردستان أكثر من مرة بغية دراسة ظروف هذه المناطق من مختلف الوجوه .

شرع الألمان في مد سكة حديد بغداد بحماس . وفي العام ١٩٠٩ أعلنوا باعتزاز أنه قد أنجز مد ٩٤٦ كيلومترا من هذه السكة ، وأن مد ٤٧٠ كيلومترا آخر منها على وشك الانجاز ، وأن مد القسم المتبقي أسهل من الأقسام الأخرى كلها^(١٢) . وبمقدار ما كانت الحرب تقترب ، كانت جهود الألمان لانجاز العمل تتضاعف . كما كانت مخاوف الإنكليز والروس^(١٣) والفرنسيين تشتد وتزداد هي الأخرى ، بل انهم كثيرا ما كانوا يضطرون للدخول في مباحثات مع الألمان والترك^(١٤) . الا أن هذه المحادثات ، بل ان أحداث الحرب العالمية الأولى تسها لم تن الألمان عما أقدموا عليه ، أو أنها كانت ، على العكس ، حافزا لهم على مضاعفة الجهود لانجاز العمل في وقت مبكر . ففي بداية الحرب أخذوا يستعدون لمد ذلك القسم من السكة الذي يمر عبر المناطق الكردية وامتداداتها الجنوبية . وقد أنجزوا الجزء الواقع بين بغداد وسامراء وبدأوا العمل من سامراء باتجاه الشمال ومن بغداد باتجاه الجنوب . وقد استخدموا لهذا

(١٢) راجع : Zaki Saleh, Op. Cit., P. 281

(١٣) للتفصيل راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 25 — 33

(١٤) لقد اصاب الهلع الروس الى حد كبير من جراء خطط الالمان لمد سكة حديد بغداد . فقد كانوا يرون فيه عاملا لاضعاف نفوذهم السياسي والاقتصادي ليس في آسيا الصغرى وحسب ، بل وفي غربي ايران كذلك ، ولاسيما في آذربايجان وكردستان . وقد اشار أحد الاختصاصيين الروس بوضوح الى هذه النقطة في العام ١٩٠٨ ودعا المسؤولين في بلاده الى تدارك الموضوع قبل فوات الاوان (راجع :

Инженер Лебедев Ю., Багдадская железная дорога и современное состояние её строительства, Петербург, 1908, стр.3.)

المهندس يو. ليبيديف ، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم ، بطرسبورغ ، ١٩٠٨ ، الص ٣ .

الغرض العديد من الضال الأكراد ، فكان عملهم مثار اعجاب الألمان وحسن تقديرهم (١٥) .

وهكذا فان ثروات كردستان الطبيعية وموقعها الاستراتيجي كانت تجلب اليها اهتمام الدول الكبرى يوما بعد يوم أكثر من ذي قبل . وقد أدى ذلك لأن تولي هذه الدول ولاسيما ألمانيا وبريطانيا وروسيا اتبهاها كبيرا لتثبيت مواقعها في كردستان . وقد تجلّى ذلك في سنوات ما قبل الحرب وخلالها بوضوح .

وبسبب من الصلات الوثيقة التي كانت للألمان بالأوساط العثمانية الحاكمة، فقد كان بوسعهم التغلغل في كردستان بسهولة . والواقع أن اهتمام المسؤولين والرحالة الألمان بالشعب الكردي يعود الى ما قبل الحرب العالمية الأولى بفترة طويلة . فهناك مصادر ألمانية عديدة من القرن الثامن عشر فما بعد كتبها الرحالة والمستشرقون الألمان ، تبحث ، من بين ما تبحث ، عن قضايا تتعلق بتاريخ الكرد ولغتهم وعاداتهم وحياتهم السياسية والاجتماعية (١٦) . وقد برز من بين هؤلاء بعض العلماء الذين خلفوا آثارا قيمة ، منهم البروفيسور أوسكرمان والبروفيسور هارتمان وهوغو ماكاس وغيرهم .

كان من الطبيعي أن يزداد اهتمام الألمان بالکرد بشكل متواز مع ازدياد نفوذهم في الأمبراطورية العثمانية وبتوافق مع اقتراب الحرب العالمية الأولى

(١٥) راجع :

Dagobert von Mikusch, Mustapha Kemal Between Europe and Asia, (Translated by John Linton), London, 1931, P. 360.

(١٦) لمزيد من التفاصيل ، راجع : الدكتور جمال نيز ، لمحة عن تاريخ الدراسات حول الكرد في ألمانيا ، - « مجلة المجمع العلمي الكردي » ، المجلد الثاني ، العدد الأول ١٩٧٤ ، الص ١٣ - ٤٩٨ (باللغة الكردية وملخصه باللغة العربية) .

وتعمق التناقضات التي أدت الى انفجارها . فمنذ العقود الأولى من القرن الماضي بدأ الاحتكاك المباشر لكبار المسؤولين الألمان الذين كانوا يشرفون على أجهزة الدولة العثمانية الحساسة بالشعب الكردي وبأشكال شتى . وهنا يكفي القول أن العسكري الألماني المعروف الفيلد مارشال هيلموت فون كارل مولتكه [١٨٠٠ – ١٨٩١] الذي^(١٧) استعان به الباب العالي خلال الفترة من العام ١٨٣٤ حتى العام ١٨٣٩ لتنظيم الجيش العثماني وفق أساليب عصرية ، اضطر للخوض ، كمفتش في جيش حافظ باشا ، في معارك ضد الأكراد المنتفضين بوجه السلطة العثمانية آنذاك ، فانعكس ذلك في انطباعات سجلها ضمن رسائله وكتاباتة التي قدم من خلالها صوراً واقعية عن الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الكردي في ظل حكم سلاطين آل عثمان المتخلفين وعن نضاله الدؤوب من أجل الانعتاق ، شأنه في ذلك شأن سائر شعوب الأمبراطورية ، رغم أنه – أي الفيلد مارشال – حاول فيها اعطاء تبريرات معينة لتصرفات السلطات العثمانية في تعاملها مع الثوار الكرد ومع السكان الآمنين^(١٨) . ومن الافادة بمكان أن نذكر هنا أن هذا الفيلد مارشال الألماني

(١٧) يعتبر الفيلد مارشال مولتكه من أبرز القادة العسكريين الألمان ، وكان على اتصال وثيق ببسمارك وبشخص الأمبراطور الألماني . ترأس القيادة العامة للجيش في الفترة من العام ١٨٥٧ حتى العام ١٨٨٨ . وتشكل هذه الاعوام مرحلة جدّ حساسة في تاريخ ألمانيا السياسي والعسكري ، حققت خلالها القوات الألمانية انتصارات حاسمة على الدانيمارك والنمسا وفرنسا بشكل اثر في ميزان القوى على صعيد القارة الأوروبية كلها بحيث ظلت آثارها تحرك الأحداث الدولية حتى الحرب العالمية الأولى .

(١٨) طبعت رسالة مولتكه لأول مرة باللغة الألمانية ثم ترجمت الى العديد من اللغات الأخرى ، وهي تعتبر من المصادر الاصلية لدراسة قضايا مهمة من التاريخ السياسي والعسكري للأمبراطورية العثمانية خلال العقد الرابع من القرن الماضي . عن اشتراك مولتكه في الحركات العسكرية ضد

الذي اشترك مع الجيش العثماني في قمع الانتفاضات الكردية ، لعب كذلك دورا ملموسا في العمليات الحربية ضد طموحات الشعب العربي والتي تجسدت آنذاك بشكل أو بآخر في توجهات محمد علي الكبير ضد السيطرة العثمانية .

وقبل أن تبدأ الحرب العالمية الأولى ، جاب عدد من الضباط الألمان في المناطق الكردية ونشروا بحوثا عن وضعها الاستراتيجي والسوقي مولين دراسة طرق المواصلات فيها جانبا من اهتمامهم ، وبشكل خاص تلك التي كانت تؤدي الى مناطق الحدود الروسية ، فقام ولهم باخمان ، مثلا ، بوضع تقرير عن الطرق الممتدة بين مدينتي الموصل ووان ، أفاد الألمان في سنوات الحرب . وقد استطاع أحد ضباطهم ، وكان يدعى غوربرود ، أن يصل الى انحاء معينة من كردستان لم يصل اليها قبله أي أوروبي ، فالتقط صورا ورسم خرائط لبعض الأماكن كانت الأولى من نوعها^(١٩) . وفي الفترة ذاتها كان القنصل الألماني في أرضروم أندريس يمارس نشاطه ويقوم برحلات في العديد من

الاکراد خلال فترة عمله في تركيا ، راجع :

Джалиле Джалил, Курды Османской Империи в первой половине XIX века, Москва, 1973, стр. 108, 115, 119, 121 и др.

الدكتور جليلي جليل ، اكراد الامبراطورية العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٧٣ ، الص ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ وغيرها . (في الهوامش القادمة : (J. Jalil, Kurds ...) .

(١٩) راجع :

Лазарев М.С., Курдистан и курдская проблема (90-е годы XIX века-1917), Москва, 1964, стр.274.

المناطق القريبة بما فيها بعض المدن الكردية مثل درسيم وخربوط وغيرها مقيما الصلات عن قرب مع العديد من الرؤساء الأكراد .

لاشك في أن هدف الألمان من مثل هذه الرحلات والجولات لم يكن محصورا في المغام السياسية . فقد استطاعوا ايجاد مواطناء لهم في الحياة الاقتصادية للمناطق الكردية كذلك . وعلى سبيل المثال فان مدينة شنو في كردستان الإيرانية باتت قبل الحرب مركزا كبيرا لشراء الصوف من قبل الألمان ، حيث كانوا ينقلونه من هناك الى معلمهم الذي أقاموه في تبريز لصناعة السجاد . وما يجلب الاتباء بهذا الصدد أن الألمان كانوا يزنون مراكزهم التجارية التي أقاموها في مدن كردستان وآذربايجان ومناطق أخرى بأعلام بلادهم^(٢٠) وكان للمناطق الكردية الداخلة ضمن الإمبراطورية العثمانية نصيبها من التطفل الاقتصادي الألماني العارم في البلاد ، فقد ازداد التبادل التجاري مع ألمانيا خلال ثلاثة عقود فقط [من العام ١٨٨٠ حتى العام ١٩١١] بمقدار ٢٢ مرة^(٢١) وهي رقم قياسي في مجالها .

الدكتور م . س . لازاريف ، كردستان والمشكلة الكردية من تسمينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧ ، موسكو ، ١٩٦٤ ، الص ٢٤٧ . (في الهوامش القادمة : M. S. Lazarev, Kurdistan . . .)

Ibid, PP. 249 — 262.

(٢٠)

(٢١) راجع :

Новичев А. Д., Очерки экономики Турции до мировой войны, Москва-Ленинград, 1937, стр. 181.

أ . د . نوفيجيف ، دراسة اقتصاد تركيا قبل الحرب العالمية ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٣٧ ، الص ١٨١ . (في الهوامش القادمة : A. D. Novichev, Ocherki . . .)

كان اهتمام الألمان بالکرد وبلادهم يشكل قبيل الحرب جزءاً من سياستهم العامة تجاه الإمبراطورية العثمانية ، والتي كانت تستهدف تحويل كل أصقاعها ، بما فيها تركيا نفسها ، الى مستعمرة ألمانية . ومن هذا المنطلق وقف المسؤولون الألمان بحماس ضدّ خطط الدول الغربية الأخرى التي كانت تستهدف تقسيم ممتلكات « الرجل المريض » بما فيها المناطق الكردية ، وقد أكدوا على ذلك بكل صراحة في العديد من وثائقهم الرسمية ومن خلال اتصالاتهم المباشرة بالأوساط الحاكمة في الدول الأوروبية الأخرى (٣٣) .

دخل تطلُّع الألمان في كردستان واهتمامهم بها خلال سنوات الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة ارتبطت بعوامل عديدة يأتي في مقدمتها تحول هذه البقعة الى أحد ميادين القتال في الشرق الأوسط وعلى مقربة من حدود أحد أعدى أعدائهم بالذات ونعني به روسيا . ومنها أيضاً الانتصارات التي حققتها القوات الروسية في بعض المواقع الحربية في البداية ومن ثم انسحاب روسيا من الحرب اثر انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية فيها ، وارتبطت كذلك باقتراب القوات البريطانية من المناطق الكردية وبتحرك العناصر غير التركية داخل الإمبراطورية العثمانية وبغيرها من العوامل . ومن جملة اجراءاتهم لكسب ودّ الأكراد أنهم بدأوا يسعون أثناء الحرب لنشر بيانات دعاة الجامعه الاسلاميه وسائر مطبوعاتهم في جميع أرجاء كردستان الايرانية ، وكانوا يبغون من وراء ذلك كسب عطف الناس الى جانب الدولة العثمانية وابعادهم عن روسيا . وقد بدأ ينشط في الشرق الأوسط لهذا الغرض عدد من رجالهم النشطين من أمثال شيونمان وليتين وغيرهما . وما يجدر بالذكر أن جهود الألمان في هذا المجال لم تذهب سدى ، فقد استطاعوا بمساعدة عدد من رؤساء القبائل الكردية في منطقة كرمنشاه قطع صلات الجيش الروسي

بالجيش البريطاني في جنوبي العراق حتى العام ١٩١٦ ، وهو ما نمود الى تفاصيله فيما بعد .

كان الانكليز كذلك يولون من الأهمية لكردستان ومنذ زمن ما كان يوليه اياها الألمان بل وأكثر . فمنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخذ رجال شركة الهند الشرقية^(٢٣) يتجولون في كردستان . وفي العام ١٧٥٨ سار طبيب تابع لهذه الشركة حتى ماردين عن طريق كركوك . وبعده بفترة ، تجول عدد آخر من موظفي الشركة ذاتها (وهم ده كامپيل و ت. هاول وغيرهما) في مناطق أخرى من كردستان^(٢٤) . وفي العام ١٨٢٠ قام ممثل هذه الشركة

(٢٣) « شركة الهند الشرقية » شركة انكليزية معروفة أسسها عدد من التجار البريطانيين المعروفين في العام ١٦٠٠ بهدف تعزيز روابط أوروبا مع الهند وجنوبي شرقي آسيا والصين وتطويرها . وقد تحولت شيئاً فشيئاً الى مؤسسة حكومية يحق لها اعلان الحرب واصدار العملة وتشكيل المحاكم وماشابه . وبعد ان اقامت عدداً من المعامل في الهند اخذت تتغلغل في اماكن اخرى عديدة من الشرقين الأدنى والاوسط . وقد لعبت هذه الشركة حتى اواسط القرن الماضي دورا بارزا في بث النفوذ السياسي لبريطانيا في عدد كبير من بلدان الشرق مما اثار حفيظة شعوب تلك البلدان ، فاضطر الانكليز الى تصفيتها اثناء انتفاضة الاعوام ١٨٥٧ - ١٨٥٩ في الهند .

تمكنت هذه الشركة من ايجاد موطئ قدم لها في العراق في وقت مبكر . وقد ارتبط ذلك الى حد كبير بتحول هذه الشركة الى اداة فعالة للتغلغل البريطاني في مناطق حوض الخليج العربي ، وكان نفوذها يتسع يوما بعد يوم ، بحيث انه لولا مساعدات هذه الشركة لما عين سليمان باشا الكبير والبا على بغداد في العام ١٧٨٠ ، ولما أزيح سليمان باشا الصغير عن منصب الولاية في العام ١٨١٠ واكثر من ذلك لم يعلق على أعواد المشائق الا تحقيقاً لرغباتها كذلك . وكانت هذه الشركة تسعى في الوقت نفسه للوصول الى كردستان عن طريق بغداد .

(٢٤) انظر بشأن هؤلاء وعدد آخر من الرحالة الاوروبيين :

S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, London, 1925, PP. 334 — 340.

أيضا في بغداد كلوديوس جيمس ريج بجولة واسعة في مناطق مختلفة من كردستان الجنوبية والشرقية^(٢٥) ، وكان من نتائج هذه الرحلة أن ألف كتاباً كبيراً حول الكرد وبلادهم^(٢٦) . وقد أقام لك. ج. ريج خلال رحلته هذه صلة عن كتب مع بعض الرؤساء الكرد المعروفين لاسيما في منطقة السليمانية وسنندج ، ورسم لأول مرة خرائط لبعض المواقع في كردستان ، كما تحدث في كتابه بأسهاب عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أصقاع كردية شتى .

ومما يجدر ذكره أن عددا من الضباط الانكليز أيضا أخذوا في القرن التاسع عشر بالتجوال في أنحاء كردستان . ففي العام ١٨٣٦ زار الضابط البريطاني راولنسن وبعده بمدة الميجر ف. ميلينكن نواحي عديدة وجمعوا حولها مواد قيمة نشرها بعضاً منها^(٢٧) .

(٢٥) كان ريج قد مر بكردستان قبل رحلته هذه مرات عديدة . وكانت حياة الاقليات الكردستانية قد جلبت انتباهه منذ حين من الزمن خلال سفراته من بغداد الى استانبول .

C. J. Rich, Narrative of a Residence in Kurdistan, Vol. I — II, (٢٦)
London, 1836 (808 P.)

ترجم المجلد الأول من هذا الكتاب الى العربية من قبل اللواء بهاء الدين نوري وطبع في العام ١٩٥١ تحت عنوان « رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ » ويقع في ٣٥٩ صفحة . ونشر في العام ١٨٣٦ ، وهو عام صدوره باللغة الانكليزية ، باللغة الفرنسية أيضا :

C. J. Rich, Relation d'une residence dans le Kourdistan
l'emplacement de l'antique Ninive etc., London, 1836 (398 P.)

راجع : (٢٧)

H. C. Rawlinson, Notes on a Journey from Tebriz through
Persian Kurdistan . . . , — ((The Journal of the Royal Geographical Society)) , London, Vol. X, 1840.

تحدث راولنسن قبل هذا أيضا باختصار عن الكرد وكردستان في

=

وفضلا عن هؤلاء فان كثيرين من الرحالة الانكليز الذين دخلوا ايران وتركيا ، زاروا المناطق الكردية كذلك وتحدثوا في كتاباتهم ، قليلا أو كثيرا ، عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأكراد . وعلى سبيل المثال فان ج. مورير^(٢٨) وج. كينر^(٢٩) تحدثا في كتابيهما الذين ترجمتا بعد عام أو عامين من صدورهما الى الفرنسية والألمانية عن وجوه مهمة عديدة من حياة الشعب الكردي وبلاده .

تضاعف اهتمام الانكليز بكردستان منذ السنوات الأولى للقرن العشرين ، وكان ذلك نتيجة لاكتشاف النفط والاهتمام البالغ الذي أولوه لما بين النهرين، حيث كانوا يريدون أن يتخذوا منه ومن كردستان العراق قاعدة

مقال آخر له كذلك عدة مرات . (انظر المجلة المذكورة ، المجلد التاسع ، السنة ١٨٣٩) ؛

F. Millingen, The Wild Life among the Koords, London, 1870.

(٢٨)

J. Morier, Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople in the Years 1808 and 1809, London, 1812;
J. Morier, A Second Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople between the Years 1810 and 1819, London, 1818.

تحدث مورير في الفصلين السادس عشر والسابع عشر من كتابه الأول عن المناطق التي مر بها من كردستان ، كما نشر في كتابه الآخر معلومات كثيرة حول اثنوگرافيا الكرد وتاريخهم .

(٢٩)

J. M. Kinner, A Geographical Memoir of the Persian Empire, London, 1813; J. M. Kinner, Journey through Asia Minor, Armenia and Koordistan in the Years 1813 and 1814, London, 1818.

مهمة لبث تفوذهم فی الشرقین الأدنى والأوسط والحفاظ علیه فیهما . وفی هذه الآونة كان عدد الانگلیز الذین یفدون الی کردستان ویجتولون فیها فی ازدیاد ، وكان یعینهم علی دراسة حیاة الكرد وتفهم أوضاع بلادهم من کل الوجوه ، الی حد کبیر ، أن بعضهم كانوا قد تعلموا اللغة الكردیة . ورحلة المیجر سون المعروفة وکتاباته^(٣٠) نماذج جلیة وصارخة فی هذا المضمار .

كان المیجر سون قد قضی سنة فی کرمنشاه [١٩٠٦ - ١٩٠٧] وتعلم

(٣٠) فیما یلی سرد لأعمال المیجر سون الی تحتل موقعا بارزا فی میدان الدراسات الكردیة :

- 1 — ((To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise)) , London, 1912 (Second edition, 1926 - 421 P.) ;
- 2 — ((A Southern Kurdish Folksong in Kermanshahi Dialect)) , JRAS, 1909, PP. 35 - 51;
- 3 — ((Notes on a Kurdish Dialect, the Shadi Branch of Ker- manji)) , JRAS, 1909, PP. 895 - 921 ;
- 4 — ((Notes on a Kurdish Dialect, Sulaimania (Southern Turkish Kurdistan))) , JRAS, 1912, PP. 891 - 940 ;
- 5 — ((Grammar of the Kurmanji or Kurdish Language)), London, 1913, P. 13 + 289 ;
- 6 — ((Elementary Kurmanji Grammar)) , Baghdad, 1919, 197 P.;
- 7 — ((Kitabi Awalmini Qiraati Kurdi)) , Baghdad, 1920 ;
- 8 — ((A Short Anthology of Guran Poetry)) , JRAS, January, 1921, PP. 57 - 81 ;
- 9 — ((Notes on the Phonology of Southern Kurmanji)) , JRAS, April, 1922, PP. 191 - 226.

وللمیجر سون بعض الدراسات الأخری عن العشائر الكردیة وله كذلك عدد کبیر من التقارير الرسمیة المهمة .

اللغة الكردية هناك بصورة جيدة^(٣١) بحيث انه تمكن فيما بعد من الاشراف المباشر على اصدار عدد من الصحف الكردية^(٣٢) التي تميزت بخصائص جعلتها بمثابة نقطة تحول في تاريخ الصحافة الكردية . باشر الميجر سون بعد ذلك جولاته في كردستان الجنوبية ودرس الحياة الكردية والوضع في كردستان عن قرب وأقام صلة جد وثيقة مع بعض من رؤساء الجاف^(٣٣) . لقد احتل ذلك كله ، كما احتلت كتاباته فيما بعد ، موقعا المناسب بالنسبة للانگليز^(٣٤) .

(٣١) حول معرفة الميجر سون باللغة الكردية ، كتب المؤرخ الكردي المعروف الأستاذ محمد أمين زكي ، يقول : « هذا الفاضل يعرف اللغة الكردية كأحد ابنائها ، بل انه أعلم بها من كثير من علماء الكرد أنفسهم » [محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، الص ٣٢٥ . (في النص الكردي المجلد الاول ، الجزء الثاني ، الص ٢٩١)] . وكمثال على مدى تمكن الميجر سون من اللغة الكردية نذكر انه ترجم الى اللغة الكردية عددا من آيات القرآن الكريم ترجمة واضحة ومفهومة ، وهو أمر يمجز عنه الكثيرون ، وقد نشر ترجمته هذه في جريدة (بيشكهوتنى سليمانى - تقدم السليمانية) . (راجع جريدة بيشكهوتنى سليمانى ، العدد ٢٥ ، ١٤ أكتوبر ١٩٢٠) .

(٣٢) مثل جريدة « تيكه يشتنى راستى » (فهم الحقيقة) التي تعود الى الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد ، والجريدة الاسبوعية « بيشكهوتنى سليمانى » (تقدم السليمانية) التي أصدرها مصطفى باشا ياملكى منذ أواخر نيسان من العام ١٩٢٠ بتشجيع مباشر من الميجر سون ، الذي كان حاكما سياسيا في السليمانية آنذاك واشترك شخصيا في تحرير الجريدة وتوجيهها .

(٣٣) مما يجدر ذكره أن الميجر سون كان ، قبل أن يبدأ رحلته عبر كردستان ، موظفا في شركة النفط الانكليزية - الفارسية . وبعد أن أنهى رحلته ، أخذ في البحث عن مكامن النفط في المناطق المحيطة بقصر شيرين و خاتقين ، بأمر من الشركة المذكورة .

(٣٤) ليس قصدنا من هذا التقليل من القيمة العلمية الكبيرة جدا لاعمال عدد من الرحالة الأوروبيين ونتاجاتهم ، والتي ما يزال الكرد وعلماء الدراسات الكردية يستفيدون منها لحد الآن من نواح عديدة ، فهي غالبا ما تشكل مصادر أصيلة لاغنى للباحث عنها .

وقد أوكل الى سون قبيل انتهاء الحرب أمر تنفيذ بعض المهام الخطيرة في المنطقة . فما ان تم احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني حتى توجه سون نحو خانقين . وبعد انتهاء الحرب لعب سون ، بوصفه الضابط السياسي البريطاني ، دورا بارزا في تثبيت النفوذ البريطاني في كردستان العراق . لقد كانت أعمال سون ، كما يقول الكاتب الانكليزي ارنست مين ، « بمثابة أعمال لورنس من حيث الأهمية ، وان كانت أقلّ منها شهرة » (٣٥) .

ومع أن الانكليز كانوا يولون أهمية أكثر لكردستان الجنوبية مما كانوا يولونه لأجزاء كردستان الأخرى ، الا أنهم لم ينفلوا تلك الاجزاء أيضا ، حيث احتلت هي كذلك مكانا بارزا في خططهم . ولذلك فقد كان عدد كبير من الرحالة والموظفين الانكليز يصلون سرا أو جها وبعد جهد جهيد في سنوات ما قبل الحرب وسنوات الحرب ذاتها الى المناطق الأكثر أهمية في كردستان ، بل كان بعضهم يصلون الى زوايا في تلك المناطق لم تطأها قبلهم قدم أي أجنبي . ففي أثناء رحلة الميجر سون قام الموظف السياسي البريطاني مارك سايكس برحلة طويلة مداها ٧٥٠٠ ميل في كردستان الشمالية ودرس عن كثب حياة عدد جد كبير من القبائل الكردية وأمن النظر في حياة المناطق التي تقطنها تلك القبائل من مختلف الوجوه . ان المعلومات التي جمعها مارك سايكس في رحلته والتي نشر البعض منها (٣٦) كانت مفيدة لكل الأشخاص

E. Main, Iraq from Mandate to Independence, London, 1935, (٣٥) P. 51.

M. Sykes, The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, - ((The (٣٦) Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland)) ; Vol. XXXVIII, 1908 (July to December), M. Sykes, The Caliphs Last Heritage. A Short History of the Turkish Empire, London, 1915, PP. 553 - 588.

والجهات التي كانت تولي الاهتمام لكردستان ومستقبلها .

كان تردد الانكليز على كردستان وتحركاتهم فيها تزداد باقتراب الحرب ويتسع مداها ، كما كانت أهدافهم الحقيقية تتضح أكثر فأكثر ، مثلما كان الأمر في معظم أرجاء الشرقين الأدنى والأوسط الأخرى . وقبيل ابتداء الحرب أخذ نائب القنصل البريطاني في وان يقيم صلات قريبة مع الرؤساء المتنفذين في منطقة بدليس . ومن جهة ثانية فإن القنصلين البريطانيين في ديار بكر والموصل أخذوا يثان الدعاية بهمة ونشاط ضد روسيا التي كانت تتطلع ، كما سنذكر ذلك فيما بعد ، نحو كردستان الشرقية والشمالية . كل هذه العوامل جعلت الناس في مختلف الجهات يعتقدون أن الشرق الأوسط كله سيقع في مستقبل جد قريب تحت السيطرة البريطانية مباشرة^(٣٧) . واستطاع الانكليز بهذه الأساليب وتأثير الأموال التي كانوا يثرونها ، أن يشتروا ذمم عدد كبير من رؤساء القبائل الكردية المعروفة من أمثال الكلهر ، بل انهم تمكنوا من أن يدفعوهم في العام ١٩١٧ لمقاتلة القبائل الموالية للألمان والعثمانيين .

كان الانكليز يسعون في الوقت ذاته للاستفادة من الأقليات القومية والدينية في كردستان ولتثبيت مواقع أقدامهم بينها ، وقد بذلوا مساعي كبيرة بهذا الهدف مع الآثوريين في سنوات ما قبل الحرب وسنوات الحرب نفسها ووضعوا تحقيق هذه المهمة على عاتق المدرسة الدينية المسيحية التي أنشأوها في قرية « قوجانس » الواقعة في منطقة هكاري (حكارى) ، وكانت هذه المدرسة تدار من قبل القنصل البريطاني في وان مباشرة^(٣٨) . وقد ظهرت

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 248.

(٣٧) راجع :

(٣٨) صديق الدموجي ، اماره بهدينان الكردية او اماره العمادية ، الموصل ، ١٩٥٢ ، الص ١٢٠ .

نتائج الدعايات الانكليزية بين الآثوريين جلية أثناء الحرب والسنوات التي أعقبتها . ومع أن الانكليز اهتموا بالتقرب الى الأكراد اليزيديين أقل الى حدما ، مما كانوا يبذلون من مساعٍ في صفوف الآثوريين ، فإن جهودهم في هذا المضمار لم تكن دونما طائل . وفي سنوات الحرب وبصورة خاصة منذ احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني ، أخذ الضباط السياسيون في هذا الجيش ينشئون الصلات مع اليزيديين ، وقد أرسلوا لهذا الغرض ضابطا الى منطقة سنجار وشيخان بصورة سرية (٣٩) .

وهكذا نرى أنه كان لكردستان موقع مرموق في السياسة البريطانية ازاء الشرق الأوسط ، وكانت هذه الحقيقة تتجلى أكثر فأكثر يوما بعد يوم . وعلى سبيل المثال فإن الدبلوماسي البريطاني النائم الصيت اللورد كيرزن كان يتحدث في التسعينيات من القرن الماضي بحرارة ووضوح عن ما بين النهرين فقط مؤكدا على ضرورة جملة منطقة تهوذ بريطاني صرف (٤٠) ، في حين أنه هو بالذات أعلن بعد ذلك بحوالي عشرين عاما ، أي قبيل الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة ، أمام مجلس اللوردات البريطاني ، دونما لف أو دوران ، أن « من الخطأ القول بأن مصالحنا السياسية تنحصر في منطقة الخليج [يقصد الخليج العربي - ك. م.] . ان تلك المصالح لا تنحصر في هذه المنطقة ، وأكثر من ذلك انها لا تنحصر في المنطقة الممتدة بين البصرة وبغداد ، بل تمتد بعيداً

(٣٩) راجع : اسماعيل جول ، اليزيدية قديما وحديثا ، بيروت ، ١٩٣٧ ،
الصفحة ٥٩ - ٦١ .

(٤٠) راجع :

G. N. Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. II,
London, 1892, P. 578.

الى الشمال من بغداد»^(٤١) . وفي الحقيقة يمكن اعتبار هذا القول بمثابة أول اعتراف صريح لمسؤول بريطاني كبير حددت فيه أطماع الانكليز في ولاية الموصل دونما مواربة كتعبير عن خطط بعيدة المدى ، وهي ما جعلت البريطانيين يولون التغلغل بين الأكراد ، وبشكل خاص في كردستان العراق ، أهمية مضاعفة خلال سنوات الحرب العالمية الأولى . وقد اتخذ الأمر طابعا خاصا مع زوال دور روسيا القيصرية في اللعبة ومع اقتراب موعد تقسيم الأسلاب والفنائم . ولم يكن عبثا قط أن اعترف السير أرنولد ولسن وهو أول حاكم سياسي بريطاني في العراق بعد احتلاله ، بأن عددا من أقدر رجال الانكليز انما « كانوا يعملون في أواسط جزيرة العرب وكردستان وجنوبي غربي ايران وشمالها الغربي وفي الخليج »^(٤٢) بالذات .

كان الروس هم الآخرون ، شأنهم شأن الانكليز ، يركزون أقطارهم منذ حين على كردستان ، ولاسيما المناطق الواقعة منها على حدودهم الجنوبية أو مقربة منها . وهو موضوع يستحق منا وقفة خاصة لا لمجرد أهميته العلمية، بل كذلك لقلّة المعلومات المتوفرة عنه في دراساتنا .

يرتبط تغلغل نفوذ روسيا القيصرية في كردستان واهتمامها بها ، بتوجهاتها منذ قرون سبقت الحرب العالمية الأولى نحو مناطق القفقاس والمياه الدافئة ، وفيما بعد بأطماعها الواسعة في الشرق الأوسط ، وهي عوامل

(٤١) مقتبس من :
P. W. Ireland, Iraq. A Study in Political Development,
London, 1937, PP. 48 - 49.

(٤٢) راجع :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920. A clash of loyalties.
A personal and historical record, London, 1931, P. 158.

راجع كذلك : « العالم العربي » ، بغداد ، ٢٢ تشرين الأول ١٩٣١ .

تحولت في مجموعها الى أحد العناصر المحركة الفعالة للمسألة الشرقية المعروفة . هنا أيضا ظهرت مقدمات التلغفل مع رحلات الاستطلاع المبكرة التي قام بها عدد كبير من الرحالة الروس بنشاط ملحوظ . فقبل ارسال أول سفير روسي الى الباب العالي بفترة طويلة جاب عدد من هؤلاء الرحالة في أصقاع مختلفة من الشرق الأوسط بما فيها المناطق الكردية . ففي العامين ١٤٦٥ - ١٤٦٦ مثلا قام فاسيلي برحلة طويلة عبر خلالها آسيا الصغرى كلها تقريبا ووصل الى سوريا وفلسطين والقاهرة (٤٣) .

كان من الطبيعي أن يزداد عدد الرحالة الروس المتنوعي الاهتمامات الذين زاروا بلدانا مختلفة من الأمبراطورية العثمانية ، بشكل متوازٍ مع ازدياد احتكاك الدولة الروسية بتلك الأمبراطورية . وقد قضى بعض هؤلاء الرحالة سنوات عديدة يجوبون خلالها تلك البلدان ويواجهون الأخطار والأهوال في سبيل جمع أكثر ما يمكن جمعه من المعلومات التي تحولت فيما بعد الى دليل عمل مساعد للتلغفل الروسي في المنطقة . فيتحدث مؤلف روسي مجهول في مخطوطة له عن رحلة طويلة قام بها في مناطق جد شاسعة من الأمبراطورية العثمانية في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر واستغرقت أكثر من خمس سنوات وامتدت حتى تونس . ومن بين المدن الكثيرة التي زارها هذا الرحالة يذكر أسماء مدن ديار بكر وماردين والموصل وكركوك وبغداد ،

(٤٣) راجع :

Данциг В.М. , Ближний Восток в русской науке и литературе , Москва , 1973 , стр.19-21 .

ب . م . دانتسيك ، الشرق الأدنى في العلم والادب الروسي ، موسكو ، ١٩٧٣ ، الص ١٩ - ٢١ . (في الهوامش القادمة :

B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . .) .

وتوجه من الأخيرة الى دمشق التي زارها مرتين . وكما جاء في تطبيق لناشر هذه الرحلة كتبه في العام ١٨٩٠ أنه «لم يقطع أوروبي آخر في ذلك العهد مثل هذه المساحة الواسعة من الأمبراطورية التركية ولم ير كل هذه الزوايا منها ولم يلاحظ كل هذه الخصائص فيها كما فعل مؤلفنا» (٤٤) .

تشكل الحروب الروسية - العثمانية ذروة التعمير عن توجهات روسيا القيصرية نحو المياه الدافئة الجنوبية والشرق الأوسط فيما بعد . فقد شهدت الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الثاني من القرن التاسع عشر سلسلة حروب وقعت بين الدولتين من أجل السيطرة على سواحل البحر الأسود والمناطق القريبة منها - القفقاس والبلقان مع امتدادات الأولى منهما . ان هذه الحروب التي بلغ عددها عشرة وتجاوز مجموع سنواتها ثلاثين سنة (٤٥) ، ازدادت ضراوة وتأثيرا على العلاقات الدولية بشكل متواز مع ازدياد أطماع روسيا وانحلال الأمبراطورية العثمانية وتهافت الدول الأوروبية الكبرى على أصقاع الشرق الأوسط المختلفة وارتبط اسم الكرد بها بأشكال متباينة ، الا أن موقعهم فيها بات أكثر وضوحا مع تقادم الزمن واقتراب ميادينها من مناطق سكناهم التي تحولت في القرن التاسع عشر الى احدى ساحات الصدام المباشر بين قوات الفريقين المتحاربين واشترك فيها العديد من العشائر الكردية التي كانت تقف في البداية الى جانب القوات العثمانية ، ولكن الروس تمكنوا فيما بعد من كسب قسم منها الى جانبهم .

(٤٤) مقتبس من المصدر السابق ، الص ٣٤ - ٣٥ . قام پ . ا . سيرك بنشر المخطوط .

(٤٥) وقعت الحروب الروسية - التركية بالتتابع في الاعوام ١٦٧٦ - ١٦٨١ و ١٦٨٦ - ١٦٨٩ و ١٧١٠ - ١٧١٣ و ١٧٣٥ - ١٧٣٩ و ١٧٦٨ - ١٧٧٤ و ١٧٨٧ - ١٧٩١ و ١٨٠٦ - ١٨١٢ و ١٨٢٨ - ١٨٢٩ و ١٨٥٣ - ١٨٥٦ و ١٨٧٧ - ١٨٧٨ .

لعبت الحربان اللتان وقعتا بين روسيا وايران في النصف الأول من القرن التاسع عشر^(٤٦) [وقعت الأولى في الأعوام ١٨٠٤ - ١٨١٣ ووقعت الثانية في الأعوام ١٨٢٦ - ١٨٢٨] الدور نفسه تقريبا في لفت انتباه المسؤولين الروس الى الكرد وبلادهم . ويجدر بنا أن نسير هنا الى أنه نتيجة لحرب الأعوام ١٨٠٤ - ١٨١٣ الايرانية - الروسية التي انتهت بعقد معاهدة (گلستان) بين الطرفين ، أصبح جزء صغير من الشعب الكردي ضمن الامبراطورية الروسية^(٤٧) مما تحول الى عنصر جديد لتحديد الاطار العام للسياسة الروسية تجاه الشعب الكردي .

أدت حروب روسيا مع الدولة العثمانية ثم مع ايران الى ازدياد اهتمام الروس بالكرد كما ذكرنا ، وقد عبر هذا الاهتمام عن نفسه بأشكال مختلفة ولكن دون أن يتغير الهدف منه . فقد بدأت القيادة العامة للجيش الروسي في منطقة القفقاس تولي دراسة المناطق الكردية اهتماما ملحوظا متزايدا^(٤٨) وقد

(٤٦) تعود بدايات الصدام مع ايران الى عهد بطرس الاول الذي وجه حملة ضدها في العامين ١٧٢٢ - ١٧٢٣ . ولا تختلف هذه الحروب من حيث دوافعها الأساسية عن تلك التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية .
(٤٧) ولاسيما المشائر المتنقلة التي كانت مراعيها تقع في منطقة قره باغ . وقد النجا كذلك قسم من اكراد الامبراطورية العثمانية الى الاراضي الروسية هربا من تصف السلطات المحلية (لمزيد من التفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، اي طريق ؟ ، مجلة « بهيان » الكردية ، بغداد ، العدد ٢ ، ١٩٧٢ ، الص ١ - ٣) .

(٤٨) بدأت القيادة العامة للجيش الروسي منذ العقود الأولى للقرن التاسع عشر، وبالتحديد بعد الدروس التي اسبغها المسؤولون الروس من حملة نابليون المعروفة على بلادهم ، تولي اهتماما كبيرا لدراسة البلدان الأخرى، وبشكل خاص تلك القريبة من امبراطوريتهم المتراصة الأطراف . ومن هذا المنطلق احدث هذه القيادة تمرير اعداد ضباط اكفاء مطلقين على الاعمال الطبوغرافية والاحصائية عناية خاصة . وقد برزت قيادة

حققت فعلا نتائج ملموسة في هذا المجال منها كسب عدد من رؤساء العشائر الكردية ووضع خرائط تفصيلية دقيقة لأهم المناطق الاستراتيجية التي كانت تهما بشكل خاص ، كما تمكن عدد من أكما ضباطها من وضع دراسات تفصيلية عن نواحي شتى تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الكردي ، فان الضابط س. بروسكوريانوف الذي قضى منذ العام ١٨٤٢ سنوات عديدة في مناطق الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا والذي وضع خرائط مهمة لمنطقة أرضروم وامتداداتها^(٤٩) ، كتب عن الأخيرة يقول : «يمكن اعتبارها نقطة التقاء لتجارة آسيا الصغرى لأن الوضع الجغرافي لكردستان الممتدة على طرق الاتصال المباشرة لتبريز مع طرايزون وأستانبول .. جعل من أرضروم مركز تجميع للبضائع بين هذه المدن»^(٥٠) .

منطقة القفقاس في هذا المجال، فاستطاعت وضع دراسات استراتيجية - سوقية وسياسية - تاريخية مع خرائط تفصيلية عن مناطق مختلفة من الدولتين المجاورتين العثمانية والارانية ، وهذه القيادة هي التي اولت الشعب الكردي الاهتمام الكبير الذي يبدو واضحا من سياق الموضوع نفسه .

(٤٩) جمع كل ذلك في ملاحظات طبعت في العام ١٩٠٥ في تبليس على شكل كتاب يحمل عنوان « ملاحظات عن تركيا » . وقد أصبح بروسكوريانوف فيما بعد عضوا في اللجنة الدولية التي شكلت خصيصا للنظر في مسألة تخطيط الحدود بين ايران والدولة العثمانية ، فقضى فترة أخرى بين اكراد تلك المنطقة .

(٥٠) مقتبس من :

Данциг Б.М., Русские путешественники на Ближнем Востоке, Москва, 1965, стр.169.

ب. م. دانتسيك ، الرحالة الروس في الشرق الادنى ، موسكو ، ١٩٦٥ ،
الصفحة ١٦٩ . (في الهوامش القادمة : B. M. Dantsig, Russkey ...) .

وفي العام ١٨٩٦ نشرت قيادة منطقة القفقاس كتابا خاصا عن الاكراد ألفه العقيد ف. أ. كارتسييف^(٥١). ويبحث هذا الكتاب بشكل مركز عادات الكرد وتقاليدهم ومناطق سكنهم والوضع القائم آتذ في كردستان والفرسان الحميدية ، مع ملخص عن تأريخ اتصال السلطات الروسية بعشائر الحدود الكردية . وقد ألحق المؤلف بكتابه هذا خارطة مهمة لمناطق سكنى العشائر الكردية كانت الأولى من نوعها . وفي الفترة نفسها تقريبا انتهى العسكريون والاختصاصيون الروس من وضع كتاب يقع في ثمانية مجلدات تحت عنوان صريح يدل بوضوح على محتواه وهو « معلومات لبحث عسكري - احصائي عن تركيا الآسيوية » وهذا الكتاب دراسة اقتصادية - جغرافية ضافية شملت مناطق كردية كثيرة أيضا . وكان من بين مؤلفي هذا الكتاب الضخم أ. م. كاليوباكين الذي كان قد زار المنطقة في العام ١٨٨٥ فاكسب اطلاعا واسما عليها وحصل على خبرات كثيرة بشأنها^(٥٢) .

ان خير مثال نورده في هذا المجال لاعطاء صورة واضحة لاهتمام

(٥١)

Карцер В.А., Заметки о Курдах, Тифлис, 1896.

ف. أ. كارتسييف ، ملاحظات عن الاكراد ، تفليس ، ١٨٩٦ . وقعت المستشرقة ژ. س. موسيليان في خطأ عندما اعتبرت هذا الكتاب من مؤلفات القنصل يو. س. كارتسييف الذي نتطرق الى نشاطاته فيما بعد . راجع :

"Библиография по Курдоведению", составитель
Д.С.Мусаадян, Москва, 1963, стр.42, 161.

« ببليوغرافيا عن الدراسات الكردية » ، وضع ژ. س. موسيليان ،
موسكو ، ١٩٦٣ ، الص ٤٢ و ١٦١ .

В. М. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 321 - 325 : راجع (٥٢)

الأوساط العسكرية الروسية بكردستان وعلاقة هذا الاهتمام بالحروب السابقة والتوجهات اللاحقة التي كانت من ضمن العوامل التي أفضت الى الحرب العالمية الأولى - هو البحث المفصل الذي وضعه الكابتن ل. ي. أفيريانوف بتكليف خاص من القيادة العامة للجيش الروسي في منطقة القفقاس . يحمل البحث العنوان المعبر التالي : « الكرد في حروب روسيا مع تركيا وايران خلال القرن التاسع عشر . الوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا وايران وروسيا » . وقد طبع في تبليس في العام ١٩٠٠ على شكل كتاب مستقل (٥٢)

(٥٢)

Аверьянов П. И. , Курды в войнах России с Персией и Турцией в течение XIX столетия. Современное политическое положение турецких, персидских и русских курдов, Тифлис, 1900.

پ. ي. أفيريانوف ، الكرد في حروب روسيا مع ايران وتركيا خلال القرن التاسع عشر . الوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا وايران وروسيا ، تبليس ، مطبعة قيادة منطقة القفقاس العسكرية ، ١٩٠٠ . (في الهوامش القادمة : P. Averjanov, ...)

نشر پ. ي. أفيريانوف عددا من الدراسات الأخرى عن الكرد مثل :

Аверьянов П. И. , Некоторые сведения о турецких курдах-кизилбашах (из путевых заметок французского вице-консула в г. Эрзруме Гренара), - "Известия штаба Кавказского военного округа", №. 19, 1907, стр. 47-55.

پ. ي. أفيريانوف بعض المعلومات عن الكرد - القزلباش في تركيا (من ملاحظات رحلة وكيل القنصل الفرنسي في مدينة أرضروم گرینار Grinard ، في : « أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية » ، العدد ١٩ ، ١٩٠٧ ، الص ٤٧ - ٥٥ . وكان قد ترجم كذلك المقال

=

يبلغ عدد صفحاته حوالي الخمسة صفحة ، ٣٣٨ منها تشكل متن الكتاب وكرست البقية للمقدمة مع ملحق مهم للغاية يحتوي على عشرات الوثائق التاريخية الاصلية بضمنها الرسائل التي بعثها المسؤولون الروس الى عدد من رؤساء العشائر الكردية والزعماء الروحانيين والسياسيين الكرد أمثال الشيخ عبيدالله النهري وغيره . وقد ضمن المؤلف كتابه خرائط تفصيلية دقيقة عن نقاط مرابطة الفرسان الحميدية وعن توزع العشائر الكردية ومناطق الحدود العثمانية المجاورة للقفقاس .

يحتوي الكتاب على معلومات مهمة مدروسة بامعان عن الوضع السياسي لكردستان خلال القرن التاسع عشر وموقع الأكراد في الحروب الروسية - العثمانية والحروب الروسية - الايرانية ، وعن عدد من الانتفاضات الكردية التي وقعت في أوقات مختلفة ضد السيطرة العثمانية مثل انتفاضة يزدان شير وانتفاضات البدرخانين وانتفاضة الشيخ عبيدالله وغيرها . ويدرس أقيريانوف ، بتفصيل ، القوات التي باشر السلطان عبدالحميد الثاني بتشكيلها من مسلحي العشائر الكردية والتي كان من أهم واجباتها الاشتراك في الحرب المقبلة ضد روسيا والتصدي الموجه بأسلوب متخلف لمخططاتها التوسعية ، كما نعود الى تفصيل ذلك فيما بعد .

التالي لوكيل القنصل الفرنسي نفسه :

M. F. Grenard, Une secte religieuse d'Asie Mineure. Les Kysylbachs, - ((Journal Asiatique)) , 1904, 10 eér T. III, PP. 511 - 522.

ونشره تحت العنوان نفسه (طائفة القزلباش الدينية في آسيا الصغرى) في العدد ٦ - ٨ للعام ١٩٠٥ من المجلة نفسها التي كانت تصدرها قيادة منطقة القفقاس العسكرية .

يعترف المؤلف صراحة بأن الهدف من وضع كتابه سياسي بحت . ولندعه يضع بنفسه النقاط على الحروف ، ففي كلامه توضيح كبير لسياسة روسيا القيصرية نحو الكرد وبلادهم قبيل الحرب العالمية الأولى . افتتح ضابط القيادة الروسي الكابتن أفيريانوف كتابه الضخم بهذه الأسطر ذات الدلالة العميقة الواضحة :

« اضطرت روسيا الى أن تخوض ، خلال القرن التاسع عشر ، حربين مع ايران وأربعة حروب مع تركيا ، واشترك الأكراد دوماً في ميادين القفاس القتالية لهذه الحروب . جاء اشتراكهم في البداية كأعداء لنا فقط ، وفيما بعد كحلفاء أيضا . ما من مجال للشك في أنه خلال حروبنا المقبلة في آسيا الصغرى نضطر للاحتكاك مرارا بهذا الشعب الكبير التواق للحرية والذي لايعترف حاليا بتقاليد الاستقرار المدني» (٥٤) .

يعود أفيريانوف ، بعد ذلك بقليل ، ليؤكد من جديد اهتمام الروس في تلك الفترة (فترة ما قبل الحرب) بالمناطق الكردية الايرانية منها والعثمانية ، بشكل خاص ، للتأثير في الوضع السياسي هناك ، الذي من شأنه « تحديد موقفهم (موقف الكرد - ك . م) تجاه روسيا أثناء الصدمات المقبلة مع ايران ومع تركيا خاصة » (٥٥) .

إذا ، كانت خطط الروس بالنسبة للأكراد تتركز أساساً على الحرب المقبلة وآفاقها التي كانت تدور حول تحقيق قفزة جديدة باتجاه الجنوب كان من

P. Averianov, Op. Cit., P. I.

(٥٤)

Ibid, P. II.

(٥٥)

المتوقع لها أن تشمل هذه المرة جزءاً حساساً من كردستان^(٥٦) . وهذا ما يفسر لنا سر اهتمام الروس بالمنطقة مع اقتراب الحرب العالمية الأولى ، فارتفع عدد الذين زاروها وتجولوا في أصقاعها النائية ، وتحس المسؤولون أكثر لاقامة علاقات ودية مع رؤساء العشائر الكردية المتنفذين من أمثال سمو وعبدالرزاق بدرخان وآخرين ، كما ازداد عدد البحوث والدراسات والخرايط المتعلقة بالكرد ومناطق سكنهم بشكل ملحوظ . ولم تقتصر مثل هذه الجهود على العسكريين وحسب بل جلبت كذلك اهتمام الدبلوماسيين وغيرهم كما سنأتي على تفاصيله .

الا أنه يجدر بنا أن نشير هنا الى أن اهتمام الأوساط العسكرية الروسية امتد في هذه المرحلة الى أنحاء كردية أبعد بكثير من مناطق الحدود المجاورة لبلادها ، وذلك كانعكاس طبيعي لازدياد الأطماع وتنامي الامكانيات . ففي العام ١٩٠٢ قام الضابط الروسي ب. ي. شولكوفنيكوف بزيارة للولايات العثمانية في العراق أعدّها بعدها دراسة « جد مهمة » - على حد وصف المستشرق السوفياتي ب. م. دانتسيك لها - تحتوي « على معلومات مفيدة غير قليلة عن الوضع السياسي المعاصر [آتذ - ك. م] في ميسوبوتاميا ومنطقة الخليج»^(٥٧) . وقد نشر شولكوفنيكوف ، ضمن دراسته المذكورة ، معلومات كثيرة عن العشائر العربية والكردية مقدراً عدد المنتقلين منها بحوالي مليون ومئة ألف شخص ، كما حدد سكان العراق بثلاثة ملايين وأربعمئة ألف نسمة .

(٥٦) اغتتم المسؤولون الروس فرصة ثورة الدستور (المشروطية) الإيرانية (١٩٠٥ - ١٩١١) ليحتلوا في العام ١٩٠٩ منطقة واسعة من كردستان إيران ، وكانوا يأملون أن يلحقوها ، شأنها شأن المناطق الواقعة فيما وراء القفقاس ، بامبراطوريتهم الفسيحة الأرجاء .

B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , P. 332.

(٥٧)

نشرت مجلة « أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية » بعد ذلك بحوالي العامين^(٥٨) بحثاً تحت عنوان « ملاحظة عن الوضع السياسي في كردستان الجنوبية وميسوبوتاميا الشمالية » وردت فيه معلومات عن وضع مختلف الجماعات وبعض العشائر هناك وعن أهداف تشكيلات الفرسان الحميدية في المنطقة ، وهي من المواضيع التي تطرقت اليها دراسات أخرى غير قليلة تم اعدادها خصيصاً في هذه المرحلة . وقد أولى هذا البحث موضوعي الفرسان الحميدية^(٥٩) ومشروع سكة حديد بغداد اهتماماً استثنائياً .

لا يمكن فصل الموضوع الأخير ، أي مشروع سكة حديد بغداد ، عن الحسابات الاستراتيجية لروسيا القيصرية في اطار سياستها نحو المنطقة وضمن استعداداتها للحرب المتوقعة . ولا بد من القاء بعض الضوء على هذا الموضوع المهم أيضاً وذلك بقدر تعلقه ببحثنا .

جلبت سكة حديد بغداد اهتمام الروس الى حد كبير ، وتحولت ، كمشروع في يد الألمان ، الى مصدر قلق جدي بالنسبة لهم . فان « السلطات الروسية - كما لاحظ أحد الصحفيين الروس في وقت مبكر - اعتبرت طريق بغداد [يقصد سكة حديد بغداد - ك.م] ، بالاستناد الى أسس مبررة تماما . . . ، مضراً ، بشكل عام ، بالمصالح الروسية »^(٦٠) . ولم يقتصر تهديد

(٥٨) نشر البحث في العدين ١ - ٢ للعام ١٩٠٤ ، الص ٤٩ - ٥٧ .

(٥٩) نتطرق الى تفاصيل هذا الموضوع في الفصل التالي من هذا الكتاب .

(٦٠) ورد ذلك في تقرير عن سكة حديد بغداد بعثه مراسل مجلة « المخبر

الروسي » من استانبول ، وقد نشر في عدد تشرين الأول للعام ١٨٩٩ من المجلة المذكورة . ومن المهم أن نجلب الأنظار هنا الى ملاحظة دقيقة سجلها هذا الصحفي بالذات في تقريره تتعلق بتحديد أحد الأسباب المهمة التي جعلت من السلطات العثمانية ترغب في تنفيذ المشروع بسرعة حتى يتحول الى وسيلة بيدها لقمع النضال التحرري العربي . وقد وضع الصحفي الروسي ذلك على رأس الأسباب الاستراتيجية التي دفعت المسؤولين العثمانيين الى الاهتمام بخطط بغداد - برلين ، الحديد .

المشروع لتلك المصالح ، حسب التقدير المدروس للمسؤولين الروس ، على النواحي الاستراتيجية البحتة ، بل انه كان يشمل كذلك النواحي الاقتصادية . وقد بلغت حسابات الروس بهذا الصدد حد أنهم كانوا يخشون أن يؤدي تنفيذ المشروع الى تطور الزراعة في بلاد ما بين النهرين الى درجة تتحول معها الى « منافسة خطيرة لتجارة الحبوب الروسية في السوق الأوروبية » (٦١) ، ولاسيما وأن التقارير الدبلوماسية الروسية كانت تؤكد أن بإمكان العراق ، مع سوريا والأناضول ، انتاج كميات من الحبوب تعادل ما تصدرها روسيا الى الخارج ، فضلا عن توفر ظروف ملائمة لانتاج كميات كبيرة من القطن (٦٢) ، مما كان يدفع المسؤولين الروس الى الحذر أكثر من أن يتحول المشروع الى وسيلة جديدة لتطوير متزايد للامكانيات الاقتصادية الألمانية على أساس توفير مواد خام رخيصة وسريعة لها .

فلا غرابة اذاً في أن يخصص الروس عشرات الدراسات المستفيضة للبحث في جميع الأوجه المتعلقة بمشروع سكة حديد بغداد (٦٣) ويعثوا عددا كبيرا من الاختصاصيين لتعميقه خطوة خطوة . وهكذا بدأ الموضوع يحتل حيزا كبيرا من التقارير الدبلوماسية التي كانت تصل الى وزارة الخارجية الروسية من مصادر شتى . وقد أصبح للمناطق الكردية التي كان من المقرر أن تمر بها السكة مكان في الدراسات والتقارير الروسية المكرسة للبحث عن المشروع .

(٦١) اشار الى ذلك تقرير مهم وضعه احد الضباط الروس الكبار ونشر في بطرسبورغ في العام ١٩٠٧ (راجع :

B. M. Dantsig, Russkey . . . , PP. 98 — 99).

(٦٢) راجع مثلا : A. Adamov, Op. Cit., P. 535.

(٦٣) وردت أسماء بعض منها ضمن مصادر البحث في هذا الكتاب . وقد اختتم ب. ي. شيولكوفنيكوف المذكور آنفا كتابه بفصل خاص عن سكة حديد بغداد .

فقبل الحرب بفترة غير طويلة بعث القيادة العامة المقدم ب. أ. تاميلوف الى تركيا لدراسة المنطقة الممتدة بين أدنه والموصل والتي كان من المقرر أن يقطعها الخط المزمع مدّه . عاد تاميلوف الى بلاده ، بعد أن قضى حوالي ستة أشهر في البحث والتقصي . وفي العام ١٩٠٧ نشر بحثا مفصلا يقع في جزأين بعنوان « تقرير عن رحلة في تركيا الآسيوية » بلغ مجموع صفحاتها أكثر من ٧٥٠ صفحة خصص جانب كبير منها لدراسة المناطق الكردية ، وبصورة خاصة في الفصل الثالث من الجزء الأول الذي يزيد عن ١٥٠ صفحة ويحمل عنوان « ميسوپوتاميا الشمالية وكردستان الجنوبية » . كما يحتوي الجزء الثاني من التقرير على معلومات كثيرة عن الكرد اذ يتطرق فيه المؤلف الى الطريق الذي سلكه من القفقاس مارا بالمناطق الكردية متوجها الى سواحل البحر الأبيض المتوسط .

لم يقتصر اهتمام الروس بالكرد على النشاطات ذات الطابع الاستراتيجي الصرف . فقد رافق ذلك ، ولنفس الهدف ، نشاط واسع من نوع آخر ارتبط بالعمل الدبلوماسي « السلمي » الذي تمخضت عنه أيضا نتائج مهمة تستحق بعض التوضيح لاعطاء الموضوع بُعدة الحقيقي .

فرض تطور الصلات التجارية ، الى جانب الاحتكاك العسكري المستمر وتوتر العلاقات في المناطق المشتركة من الحدود ، اقامة صلات دبلوماسية منظمة بين روسيا والدولتين الجارتين الأبراطورية العثمانية ويران . فتم في نهاية العام ١٧٠١ تعيين أول سفير روسي مقيم لدى الباب العالي هو الدبلوماسي پ. أ. تولستوي ، الذي برز من قبل كمثل ناجح لبلاده في إيطاليا وبولندا والنمسا . وقد بلغ اهتمام بطرس الأول بمهمة سفيره لدى بلاط السلطان العثماني حد أنه وضع له تعليمات سرية خاصة كان عليه أن يراعيها بدقة . وقد اشترك القيصر نفسه في صياغة بعض بنودها السبعة عشر .

نشطت الدبلوماسية الشرقية لروسيا القيصرية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر بحيث أصبحت واحدا من الأركان الأساسية الثلاث لسياسة الدولة الخارجية^(٦٤) . وازداد منذ ذلك الحين اهتمام الدبلوماسيين الروس بالشعب الكردي الذي وجدت المسائل المتعلقة به طريقها الى الحقيقة الدبلوماسية الروسية بسرعة . فان السفير الروسي أ. ستاخيف الذي عين في استانبول منذ شباط من العام ١٧٧٦ وظل في منصبه حتى أواخر العام ١٧٧٩ ، أي خلال فترة جد حرجة من العلاقات الروسية - التركية ، أولى ارسال تقارير مفصلة عن الوضع الداخلي في الأمبراطورية العثمانية اهتماما خاصا ، ومن بينها تقارير كانت تخص « الصدمات على حدود كردستان بين الأتراك والایرانيين والتي اتهمت باندحار الترك فيها »^(٦٥) . وقد استمر خلفه ي. بولخاكوف على نفس التقليد ، فتطرق ضمن تقاريره الرسمية الى المشاكل والمصادمات الداخلية التي شهدتها بعض المدن الكردية في أيامه^(٦٦) .

تطلبّ ازدياد احتكاك الروس بالكرد وتشعب المهمات الدبلوماسية الروسية في المنطقة وتطور التبادل التجاري مع العديد من المدن الكردية اقامة عدد من القنصليات الروسية في بعض من تلك المدن . وقد نشط القناصل الروس ووكلاؤهم في المنطقة ، فأقاموا صلات قريبة مع رؤساء العشائر وغيرهم من المتنفذين ، كما ظلوا يراقبون الأحداث عن كثب ويرسلون تقارير مهمة عن حقيقة الأوضاع في كردستان الى وزارة الخارجية الروسية والقيادة

(٦٤) تقصد به المحاولات المستميتة للوصول الى المياه الدافئة . أما الركنان الأساسيان الآخران فقد اربطوا بالعمل من أجل تثبيت مواقع أقدام روسيا على سواحل بحر البلطيق وضم أراضي أوكرانيا وروسيا البيضاء اليها .

(٦٥) راجع : B. M. Dantsig, Russkey . . . , PP. 98 - 99.

(٦٦) راجع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , P. 91.

المسكربة لمنطقة القفقاس . وقد ركزوا في تقاريرهم هذه على قضايا تتعلق بالعلاقات بين السلطات والسكان المحليين وبمشاكل الحدود بين الدولتين العثمانية والارانية وبالعلاقات بين الكرد والمسيحيين وبوضع تشكيلات الفرسان الحميدية . ولم يقتصر انجاز هذه المهمة منذ وقت مبكر على الذين كانوا يعملون في المناطق الكردية مباشرة ، بل أولى عدد من القناصل الروس في المدن القريبة الموضوع ذاته جانبا واضحا من اهتمامهم ، ولاسيما كانوا ، بحكم مراكز عملهم وطبيعة اتصالهم ببلادهم ، يحتكون مباشرة وباستمرار ، بالقضايا الكردية التي احتلت ، مثلا ، مكانا بارزا في تقارير القنصل الروسي العام في الموصل يو . س . كارتسوف ودراساته ، فقد كان هذا الرجل ذا اطلاع واسع على ظروف الأبراطورية العثمانية لكونه أشغل كذلك منصب سكرتارية القنصل العام في استانبول سبع سنوات [من العام ١٨٧٩ حتى العام ١٨٨٦] . يتحدث كارتسوف في كتابه « سبع سنوات في الشرق الأدنى » [طبع في العام ١٩٠٦ في بطرسبورغ] عن الأقليات الدينية في ولاية الموصل ، وفي بحث آخر له يصف بأسهاب الطريق الممتد بين تبليس والموصل ويتطرق الى مدن أرضروم وبدليس وسعد والجزيرة وغيرها (٦٧) .

ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى واثار عودة اللجنة الدولية الخاصة بالنظر في قضية الحدود بين الأبراطورية العثمانية وايران الى نشاطاتها والتي كانت روسيا أيضا ممثلة فيها ، ازداد كذلك نشاط الدبلوماسيين الروس في المناطق الكردية ، حيث قاموا باعداد تقارير ودراسات جد مهمة من بينها الأعمال القيمة التي أنجزها القوميسير الروسي في لجنة الحدود التركية - اليرانية ، المستشرق المعروف فيما بعد ، فلاديمير مينورسكي (٦٨) الذي نشر

Ibid, PP. 278, 319, 403.

(٦٧)

(٦٨) عمل فلاديمير مينورسكي كدبلوماسي في بعض المناطق الكردية .

قبيل الحرب الأولى وفي سنواتها سلسلة من البحوث في المجلات والدوريات التالية : « معلومات عن دراسة الشرق » ، « أخبار وزارة الخارجية » ، « أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية » وغيرها . [سوف نعود الى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل القادم ، وذلك ضمن البحث عن نشاطات الروس خلال سنوات الحرب العالمية الأولى] . أما القنصل الروسي العام في بغداد أ. أ. أرلوف فقد قام في صيف العام ١٩١٣ بجولة خاصة في مناطق الحدود التركية - الإيرانية وسجل ملاحظات كثيرة عن المشائر الكردية « زنگه » و « سنجاي » و « جاف » وغيرها نشرت في العاصمة الروسية (٦٩) .

وكان بين المسؤولين الروس الذين عملوا بين الكرد بحماس ، قنصل روسيا السابق الأمير بوريس شاخوفسكي الذي عهد اليه من قبل وزارة الخارجية الروسية خلال سنوات الحرب بالاشراف على شؤون كردستان كلها . لقد اهتم شاخوفسكي اهتماما بالغا بربط اقتصاد المناطق الكردية بالاقتصاد الروسي . وفي الحقيقة فان تخلف كردستان ووقوعها على مقربة من روسيا وفرا فرصة ملائمة لتنمية الصلات التجارية بين العديد من المدن والمناطق الكردية القريبة من الحدود وعدد من المدن الواقعة في مناطق ماوراء القفقاس (٧٠) ، وما يجدر ذكره أنه ليست البضائع الروسية ذاتها وحسب ، بل وحتى الكثير من المنتجات الصناعية للبلدان الأوروبية الأخرى كانت تصل الى قسم كبير من أسواق كردستان عبر روسيا . وهذا ما دفع وزارة التجارة والصناعة الروسية لأن تطلب من وزارة الخارجية انشاء قنصليات ومراكز

(٦٩) راجع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 279, 351.

(٧٠) دخلت بعض الكلمات الروسية في اللغة الكردية عن طريق هذه الصلات وما تزال تستعمل حتى الآن من أمثال (سماور) و (وارشو) و (اشترخان = استراخان) وغيرها .

تجارية حديثة في مدن كردستان . والواقع أن توسع الروابط التجارية بين المناطق الكردية وروسيا بلغ حدا أزعج الألمان ، بحيث أنهم أخذوا يسمون لتقليص النفوذ الاقتصادي للتجار الروس ولاسيما في كردستان ايران (٧١) .

هيا كل ماسبق ، مع عوامل أخرى ، أرضية مناسبة لتطور ملموس في الدراسات الكردية كجزء من الاستشراق الروسي قبل الحرب العالمية الأولى ، وهو موضوع يستحق بدوره بعض الاهتمام في اطار بحثنا هذا .

بدأت دراسة الشرق علمياً في روسيا منذ القرن الثامن عشر واستطاعت أن تقطع شوطا كبيرا من التطور ولاسيما في القرن الماضي (٧٢) الذي شهد ميلاد عدد من المؤسسات التي أولت دراسة بلدان الشرق وشعوبها اهتماما كبيرا مثل « المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم الروسية » الذي تأسس في العام ١٨١٨ في بطرسبورغ ، وقسم الدراسات الشرقية في جامعة بطرسبورغ وقد تم فتحه في العام ١٨٥٥ وقسم دراسة اللغات الشرقية التابع للدائرة الآسيوية في وزارة الخارجية الروسية الى جانب جمعيات علمية جغرافية وأرخيولوجية مختلفة . ان النجاحات التي تم تحقيقها داخل هذه المؤسسات جعلت من المؤرخ المعروف الأكاديمي بارتولد يرى أن الاستشراق الروسي قد تمكن من تحقيق نجاحات أكبر مما حققتها نظائره في بلدان أوروبا الغربية

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 262.

(٧١) راجع :

(٧٢) راجع :

Кузнецова Н.А., Кулагина Л.М., Из истории советского Востоковедения, Москва, 1970, стр. 6-7.

ن. ا. كوزنيتسوفا ول. م. كولاغينا ، من تاريخ الاستشراق السوفيتي ، موسكو ، ١٩٧٠ ، الص ٦ - ٧ .

خلال القرن التاسع عشر (٧٣) .

ظهر من بین المستشرقین الروس من اهتم بالمسائل الكردية في وقت مبكر . وما ساعد هؤلاء على البروز في حقل اختصاصهم احتكاكهم المباشر بالشعب الكردي ، اضافة على الثروة الغنية التي تراكت في الارشيفات والتقارير الدبلوماسية والعسكرية التي تطرقنا الى اوجه معينة منها . فعلى سبيل المثال أرسل في العام ١٨٤٢ المستشرقان وليام ديتيل وايليا بيريزن الى الشرق حيث احتك كل منهما بالأكراد مباشرة في مناطق مختلفة . زار ديتيل (٧٤) خلال رحلته التي استغرقت ثلاث سنوات أصقاعاً جد واسعة في ايران والأمبراطورية العثمانية شملت آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر وغيرها . ومع أن موته المبكر [توفي في الثانية والثلاثين من عمره بسبب اصابته بالكوليرا] حال دون انتهاءه من تسجيل المعلومات الغزيرة التي جمعها في أقطار الشرق الأوسط وتنظيمها وتنسيقها ، الا أنه خلف لنا بعض الدراسات المهمة يأتي على رأسها بحثه القيم « دراسة عن رحلات في الشرق » الذي طبع في العام ١٨٤٩ ، وقد كرس جانب كبير منه للبحث عن الكرد وبلادهم وردت فيه معلومات دقيقة تتعلق بحياتهم وعاداتهم وصفاتهم ومعتقداتهم مع حقائق قيمة للغاية تخص العلاقات الاقطاعية التي كانت تسود كردستان في القرن

(٧٣) راجع :

Бартолд В. , История изучения Востока в Европе и России, Ленинград, 1925, стр.232.

ف. بارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، لينينغراد ، ١٩٢٥ ، الص ٢٣٢ .

(٧٤) عرف وليام فرانتسوفيتش ديتيل بباع طويل في حقل استشرافية مختلفة بحيث لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره عندما منع لقب (بروفيسور) . وكان يعمل في القسم التركي بجامعة بطرسبورغ .

التاسع عشر . ويكفي أن نورد هنا مذكره ديتيل بنفسه عن العشائر الكردية ،
اذ يقول :

« لقد عرفت هنا (في كردستان - ك . م .) حوالي ٢٥٠ عشيرة
لايعرف منها الاوروبيون الا حوالي سبعين عشيرة » (٧٥) .

وقد احتل الكرد موقعا بارزا في البحوث الأخرى المنشورة لديتيل ومنها
« استعراض لرحلة ثلاث سنوات في الشرق » (٧٦) وبحثه الخاص بعنوان
« الأكراد » الذي كرسه لدراسة أصلهم ولغتهم (٧٧) .

تطرق بيريزن كذلك في دراساته الى الكرد وبلادهم مرارا ، فخلال
الرحلة الأخيرة من رحلته والتي بدأت من البصرة ، مريريزن ببغداد وكركوك

(٧٥) ف. ديتيل ، دراسة عن رحلات في الشرق من العام ١٨٤٢ حتى العام
١٨٤٥ ، - «المكتبة للمطالعة» ، بطرسبورغ ، المجلد ٩٥ ، ١٨٤٩ ، الص
١٩٨ - ١٩٩ (مقتبس من :

B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 200 - 201).

« المكتبة للمطالعة » مجلة شهرية صدرت في بطرسبورغ خلال الفترة
١٨٣٤ - ١٨٦٥ و أولت نشر البحوث عن الرحلات في بلدان الشرق
اهتماما كبيرا . ظهرت في هذه المجلة مقالات عدة عن الشعب الكردي .

(٧٦) منشور في مجلة «وزارة التعليم الشعبي» ، المجلد الاول ، القسم الرابع ،
١٨٤٧ ، الص ١ - ٣ .

(٧٧) نشر كذلك في مجلة «المكتبة للمطالعة» ، المجلد ١١٩ ، القسم السابع ،
١٨٥٣ ، الص ٨ - ١٧ ، وقد نشر تحت عنوان : «الأكراد» من مذكرات
«رحلة العام ١٨٤٦» غير المنشورة لديتيل .
نشر لوليام ديتيل بحث باللغة الفرنسية هو :

V. Dittel, Aperçu Sommaire de trois ans de voyage en Asie,
dans le Caucase, la Perse, le Kurdistan, la Mesopotamie,
(Nouvelles Annales des Voyages), Paris, T. III, 1849, PP. 141 -
168.

وأربيل والموصل ونصيبين وماردين وديار بكر وغيرها مما أعطاه « امكانية التعرف عن قرب على السكان الاكراد في المنطقة ، وعلى عاداتهم »^(٧٨) . وهو أيضا من أوائل المستشرقين الذين تطرقوا بذكاء الى مواضيع مهمة تخص علاقة الكرد بجيرانهم المسيحيين^(٧٩) التي تحولت الى عنصر محرك مهم للأحداث السياسية الدامية التي وقعت في كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى .

وفي العام ١٨٨٩ قام أ. ي. جيبوس و د. د. د. كيدنيوف برحلة عبر أرمينيا وكردستان وسوريا بهدف القيام بدراسة جغرافية - فلكية لمناطق معينة داخل الأمبراطورية العثمانية ، وقد استغرقت رحلتها أكثر من ثلاثة أشهر قطعاً خلالها ثلاثة آلاف فرسخ فزارا مدن وان وبدليس وديار بكر وموش وأرضروم وأرزنجان وخربوط وملاطية وغيرها ، كما وصلا الى حلب والأسكندرونة أيضا وتوصلا الى استنتاجات أعتبرت مهمة وجديدة بالنسبة لزمانهما^(٨٠) .

(٧٨) مقتبس من : B. M. Dantsig, Russkey . . . , PP. 173 - 179.
من بحوثه التي تطرق فيها الى الاكراد : « الموصل » - من رحلة في الشرق - ، مجلة «الكتابة للمطالعة» ، المجلد ١٣٣ ، القسم الأول ، ١٨٥٥ ، الص ١٧٠ - ١٩٠ ، و «طريق خطر» نشر في عدد تشرين الثاني من المجلد ١٥٢ من المجلة نفسها ، الص ١ - ٥٠ ، ووردت فيه معلومات كثيرة عن اكراد الامبراطورية العثمانية .

(٧٩) ولاسيما في مقاله «المسيحيون في ميسوبوتاميا وسوريا» المنشور في المجلة الادبية - العلمية - التاريخية « موسكو فيتياين » ((Moskvitianin)) (الموسكوفي) ، المجلد الرابع ، القسم الثاني ، موسكو ، ١٨٥٤ ، الص ١٢٩ - ١٥٦ والمجلد الخامس ، القسم الثاني ، الص ١ - ٢٨ .

(٨٠) راجع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 324, 398.

والى جانب هؤلاء وغيرهم ظهر عدد من المستشرقين الروس الذين غدت الدراسات الكردية تجلب اهتمامهم بشكل خاص ، وأكثر من أي حقلم آخر أحيانا . فان « الكردي الصغير »^(٨١) پ . ليرخ [١٨٢١ - ١٨٨٤] الذي كان من أعلام الاستشراق الروسي البارزين في القرن التاسع عشر^(٨٢) درس ، بمق ، قضايا كثيرة تتعلق بتاريخ الشعب الكردي وأدبه ولغته وأثنوغرافياه ، وقد خلف لنا في مجالاتها أبحاثا علمية قيمة يأتي في مقدمتها كتابه المعروف « دراسات حول الأكراد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين » الذي يقع في ثلاثة أجزاء نشرت في الأعوام ١٨٥٦ و ١٨٥٧ و ١٨٥٨ بالتتابع ، وصدر اثنان منها باللغة الألمانية أيضا . وقد قضى المستشرق الروسي ثلاث سنوات كاملة في تدوين الجزء الأول منها فقط^(٨٣) . يحتوى الكتاب بأجزائه الثلاثة

(٨١) أطلق عليه أصدقاؤه هذا اللقب تعبيرا عن اهتمامه الكبير بالدراسات الكردية .

(٨٢) اشادت مصادر عديدة بأعمال ليرخ العلمية في مجال الدراسات الكردية (راجع مثلا : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , P. 228) .

وقد بلغ اعجاب ك. ك. كوردوييف بليرخ حد أنه اعتبره « واحدا من أكبر علماء الروس في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر » (راجع :

Курдоев К.К. , Труды П.И.Лерх по курдоведению. К вопросу об изучении истории курдов в России, - "Очерки по истории русского Востоковедения", Москва, 1959, стр.39.

ك. ك. كوردوييف ، أعمال پ . ي . ليرخ في الدراسات الكردية . حول مسألة دراسة تاريخ الكرد في روسيا ، في كتاب « دراسات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، موسكو ، ١٩٥٩ ، الص ٣٩) .

(٨٣) Лерх П. , Исследования об Курдах и их предках северных Халдеев, Санктпетербург, кн. I, 1856, кн. II, 1857; кн. III, 1858.

على معلومات مهمة عن اللغة والمصائر الكردية مع استعراض عدد جد كبير من المصادر الغربية التي تبحث عن الشعب الكردي .

والمثل المهم الآخر الذي يجدر بنا ذكره هنا هو الجهد القيم الذي بذله المستشرق الروسي ف. زيرنوف (١٨٣٠ - ١٩٠٤) لنشر النص الفارسي لكتاب «شرفنامه» الذي وضعه شرفخان البدليسي ، وهو مؤرخ كردي عاش في القرن السادس عشر . ويعتبر هذا الكتاب من أقدم المصادر المعروفة وأهمها . نشر ف. زيرنوف الجزء الأول من «شرفنامه» المخصص لتأريخ الكرد في العام

پ. ليرخ ، دراسات حول الاكراد الايرانيين واسلافهم الكلدانيين الشماليين ، بطرسبورغ ، الكتاب الاول ١٨٥٦ ، الثاني ١٨٥٧ ، الثالث ١٨٥٨ . يبلغ مجموع صفحات الأجزاء الثلاثة من الكتاب (٣٧٦ + ٥١) صفحة .

نود أن نلفت النظر هنا الى نقطة علمية مهمة تتعلق بعنوان الكتاب . فأولا ان مضمونه لاينطبق على عنوانه ، فقد كرس الجزء الأول كله من الكتاب تقريبا للبحث عن المصائر الكردية في الدولة العثمانية وايران وروسيا ، وخصص الجزء الثاني منه للبحث عن اللغة الكردية وفي الأساس للبحث عن اللهجتين الكرمانجية والزازا . أما الجزء الثالث منه فهو عبارة عن مقدمة توضيحية مفصلة مع قاموس للكلمات المختارة من اللهجتين المذكورتين أنفسهما . وهكذا فان ليرخ قلما يتطرق الى العلاقة التاريخية بين أصل الكرد والكلدانيين وذلك ضمن مقدمة الجزء الأول من الكتاب فقط . وحسبما يبدو فان ليرخ نفسه سرعان ما أحس بالخطأ الذي وقع فيه ، لذا نراه يصدر الجزئين الأول والثاني من الكتاب نفسه باللغة الألمانية تحت عنوان يختلف عن العنوان الروسي للكتاب ، فقد اطلق عليه بالألمانية العنوان التالي :

P. Lerch, Forschungen über die Kurden und die iranischen Nordchaldäen, Abt. I - II, S. - Pbg., 1857, 1858.

أي « دراسات حول الاكراد والكلدانيين الشماليين الايرانيين » ، والفرق بين العنوانين ، من وجهة نظر علمية بحثية ، كبير وجد واضح ، وان كان العنوان الألماني للكتاب يستحق النقاش فيما يخص الكلدانيين ، وهو امر خارج عن صدد بحثنا .

١٨٦٥ بالاستناد الى عدد من المخطوطات النادرة ، مع مقدمة فرنسية تقع في عشرين صفحة ، ثم نشر بعد ذلك بستين الجزء الثاني من المخطوط ، وقد منحه أكاديمية العلوم الروسية لقب (الأكاديمي) الرفيع تقديرا لجهده الكبير هذا . أما المستشرق الضليع في اللغة الفارسية البروفيسور فرانسوا بيرنارد فقد قضى ثلاثين عاما من عمره لترجمة الكتاب ذاته الى اللغة الفرنسية والتعليق عليه باسهاب . وقد نشرت هذه الترجمة في بطرسبورغ أيضا (٨٤) .

برز أعلام آخرون من بين المستشرقين الروس الذين عرفوا بأبحاثهم الجدية في مجال الدراسات الكردية منهم ألكسندر ژابا و ن. مارّ وكثيرون غيرهما . وان عددا من الموظفين الروس الذين عملوا بين الأكراد باتوا فيما بعد علماء كبارا ومعروفين في نفس الميدان منهم ف. مينورسكي و ب. نيكتين . ومن الجدير بالذكر أن عددا من العلماء الأرمن في روسيا القيصرية قد اهتموا بدورهم بدراسة تاريخ الشعب الكردي ولغته وأدبه وعاداته وذلك

(٨٤) لمزيد من التفاصيل راجع : الدكتور كمال مظهر أحمد ، حول الشرفانمة والطبعة الكردية لهذا الأثر التاريخي الخالد ، - « التآخي » (صفحة « الثقافة الكردية » - ٨ - ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣) . ف. ب. شارموا فرنسي عمل في بطرسبورغ . لم يقض شارموا ، بالطبع ، كل تلك السنوات الطوال في ترجمة كتاب شرفانمة فقط ، لأنه كان يعمل في مجال التعليم الجامعي أيضا ، لكنه احتاج حتما الى جانب كبير منها في سبيل انجاز ذلك العمل الشاق . فمن المعلوم أن أسلوب كتابة شرفخان البدليسي كان من النوع الأدبي الرفيع للغاية ، وتعتبر تعليقات شارموا على متن الكتاب من الأعمال الاستشرافية القيمة ، فقد أخرج ترجمته مع تعليقاته في أربعة أجزاء بلغ مجموع صفحاتها ٢٧٧١ صفحة . (راجع : ((Chéref - Námeh ou fastes de la nation Kourde par Chéref-ou ddine, Prince de Bidlis, dans l'lialet d'Arzeroúme)) . Trad. du Persan et commentés par F. B. Charmoy, S. - Pbg., T. I, Pt. I, 1868 ; T. I, Pt. II, 1870 ; T. II, Pt. I, 1873 ; T. II, Pt. II, 1875).

قبل الحرب العالمية الأولى بفترة غير قصيرة^(٨٥) ، ومن هؤلاء خه أبوغيان صاحب أول دراسة أثنوغرافية عن الكرد [في السنة ١٨٤٨] والبروفيسور س. أ. يگيزاروف وهو أول من كتب بأسهاب عن أكراد یريقان [في السنة ١٨٩١] و أ. أوريللي الذي جلب الشعب الكردي ظره قبل الحرب الأولى واستحوذ على تفكيره وعمله ، وغير هؤلاء كثيرون . وقد بحث العديد من العلماء الأرمن عن العلاقات القائمة بين شعبهم وبين الأكراد كما تطرق الى ذلك في حينه .

عاد كل هذا الأهتمام المتعدد الجوانب (السياسي ، العسكري ، الثقافي^(٨٦) ، العلمي) بالكرد وکردستان بمغانم معينة على روسيا القيصرية . فان عددا غير قليل من زعماء الكرد المتذمرين من جراء أعمال الأوساط العثمانية والایرانية الحاكمة بدأوا يتصورون أنهم يستطيعون تحقيق مآربهم السياسية بمساعدة الروس . ولهذا الغرض فقد أقام بعضهم معهم صلات عن كتب ، وحتى أن شخصا مثل عبدالرزاق بدرخان قدم لهم عدة مشاريع ذكية وبعيدة النظر بهذا الشأن . كما أن زعيم عشائر شكاله سسكو تعاون مرارا مع الدبلوماسيين الروس وسمى الى نيل العون منهم . بل ان الشيخ محمودا الذي كانت منطقة نفوذه تقع في احدى أبعد النقاط الكردية عن روسيا حاول عدة مرات ، سواء قبل الحرب أو خلالها، إقامة الصلات معهم للغرض ذاته^(٨٧) .

(٨٥) نقتصر هنا على ذكر المحدثين من العلماء الأرمن . أما الأقدمون منهم فقد تركوا لنا ثروة غنية لاتقدر من المعلومات المهمة عن الكرد وکردستان تتضمنها المخطوطات الأرمنية القيمة ومن بينها أعمال الكاتب والمؤرخ الأرمني القديم موفسيس خورينانسي (مايساي خورينسكي) التي استند اليها مينورسكي في بحثه عن أصل الكرد .

(٨٦) قام الروس قبل الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة بتأسيس مطبعة في مدينة ورمي .

(٨٧) سوف نعود بالتفصيل الى هذا الموضوع ضمن الفصل الرابع .

وقبل اندلاع نيران الحرب بفترة قصيرة بدأ البعض من هؤلاء يؤيدون بحرارة اقامة كردستان ذات حكم ذاتي شرطية أن تكون تحت اشراف روسي . ومع أنه لاشك في أن المسؤولين الروس كانوا يرغبون في ذلك ، الا أنهم لم يكونوا يجرؤون على الاقدام على اللعب بهذه الورقة خوفاً من تأزيم الوضع في المناطق الواقعة على حدود بلادهم الجنوبية ، ذلك أن مثل هذه المحاولة في تلك الظروف الدقيقة كان من شأنها أن تؤدي الى نتائج سلبية بالنسبة اليهم ، فقد كانوا يدركون أن المسؤولين في الدولة العثمانية وايران وألمانيا يقاومون مثل هذا المشروع بكل وسيلة . وبالفعل فان المسؤولين العثمانيين أخذوا يفتعلون المشاكل للضباط والدبلوماسيين الروس في المناطق الكردية ، يشجعهم في ذلك الألمان . كما بدأت الدول الأخرى تنشط كذلك بكل ما في طاقتها ضد أي شكل من أشكال انتشار النفوذ الروسي في المناطق نفسها . هذه العوامل ، والى حد كبير تراخي الروس أنفسهم ، أدت في الواقع الى أن لا تحرز سياستهم النجاح المتوقع في كردستان مع أن الظروف كانت مواتية بالنسبة اليهم أكثر من أي عنصر أوروبي آخر . وقد بلغ الأمر أخيراً حد أن الروس لم يستطيعوا حتى الحفاظ على الأمن والاستقرار على حدودهم المحاذية للمناطق الكردية . أما في سنوات الحرب نفسها فقد كان هم المسؤولين الروس بالنسبة للأكراد محصوراً في التفكير في الدور الذي سيكون لهم في ميادين القتال في آسيا الصغرى وكيف يمكنهم أن يحولوا ، على الأقل ، دون وقوف الأكراد ضدهم ، ان لم يستطيعوا كسبهم الى جانب قواتهم .

وهكذا ، وكما نرى ، فان روسيا رغم أنها كانت تتطلع نحو أراضي كردستان وثوراتها ، شأنها شأن معظم الدول الكبرى الأخرى ، لكنها كانت تفتقد خطاً سياسياً واضحاً ازاء كردستان ، وكثيراً ما كانت سياستها تتغير حسب مقتضيات الزمان والمكان . لقد اعترف القنصل الروسي في ورمي ، في

احدى الوثائق السرية ، بجلاء ، بأن الروس كانوا ينظرون في الدرجة الاولى الى المسألة الكردية ومستقبل كردستان من زاوية اقامة دولة أرمنية المستقلة^(٨٨) . وهذا ما كان في الواقع سببا رئيسا لأن يتعمد حتى الأكراد القاطنون على الحدود عن روسيا التي كانت تنتهج بجلاء سياستين مختلفتين ازاء الكرد وازاء الأرمن . فلم يحدث ، بالنسبة للكرد ، أن آزرتهم موآزره تامة في مسألة مهمة ، في حين أنها كانت تساند الآثوريين والأرمن باستمرار ولا سيما الأخيرين ، وكانت تزودهم بالسلاح عند الضرورة ، فضلا عن أنها كانت تملك سياسة واضحة وجليه ازاء مستقبل أرمنيا . وقد تجلت سياسة روسيا هذه في سنوات الحرب العالمية الاولى أكثر من أي وقت غيرها . وفي كتاب رسمي كتب الأمير شاخوفسكي بهذا الصدد يقول : « كان الاعتماد منذ بداية الحركات العسكرية (في الحرب العالمية الاولى - ك.م .) على الأرمن كبيرا ، سواء في قيادة القفقاس أو في بطرسبورغ ، وكان ذلك في ضوء التقارير الواردة من تبليس ، فعقدت على أعمالهم آمال كبيرة ، حيث بوشر بتشكيل فرقة أرمنية متطوعة ، بينما لم يشعر الأكراد أي اهتمام تقريبا »^(٨٩) . مثل هذا الموقف الذي اتخذه الروس كان يدفع القوميين الأرمن المتطرفين أكثر

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 301

(٨٨) راجع :

(٨٩) راجع :

**Курд-Оглу, Курды и империализм,-"Бюллетень
прессы Среднего Востока", Ташкент, № 13-14,
1932, стр.108.**

کرد اوغلو ، الكرد والامبريالية ، «نشرة مطبوعات الشرق الاوسط» ،
طاشقند ، العدد ١٣ - ١٤ ، ١٩٣٢ ، الص ١٠٨ . (في الهوامش القادمة:
Kurd - Oghlu . . .) .

فاكثر ليتصرفوا مع جيرانهم الكرد بخشونة^(٩٠) . وكثيرا ما حدث في سنوات الحرب أن الأرمن المسلحين القاطنين في تلك المناطق من تركيا التي كان يدخلها الجيش الروسي ، انقضوا على السكان الأكراد دون أن يعترض سبيلهم قادة هذا الجيش ، وهذا ما كان يؤدي الى مزيد من ابتعاد الكرد عن الروس .

وقضلا عن بريطانيا وألمانيا وروسيا ، فإن كلا من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية أيضا أولتا الاهتمام لكردستان وفق سياستها ازاء مستقبل الدولة العثمانية ومصالحها الخاصة في الشرق الأوسط . وما ارسال الأدميرال چيستر ، الذي تحدثنا عنه من قبل الا أحد البراهين الدالة على اهتمام الأمريكان بالمنطقة التي يعود تأريخ دخولهم اليها الى عقود سبقت ذلك التاريخ^(٩١) . الا أن هذا الدخول لم يبلغ المستوى الذي بلغه تغفل الدول الأوروبية لعوامل عديدة مترابطة منها عدم اشتداد حاجة الرأسمالية الأمريكية

(٩٠) في اثر ظهور حركة التحرر القومي بين الارمن ، اخذت الاوساط الحاكمة في الدولة العثمانية تحقد عليهم أشد الحقد . ومع تنامي نضالهم في سبيل حرية بلادهم اخذ الحكام العثمانيون يفكرون في ابادتهم ، وذلك ما حدث فعلا ، فقد انقضوا عليهم في العام ١٨٩٦ كما انقضوا عليهم للمرة الثانية في العام ١٩١٥ وبادوا منهم مئات الالوف مما اثار الرأي العام الاوروبي ، واذ تعرض الحكام العثمانيون الى ضغط سياسي كبير ، حاولوا أن يسندوا جريرتهم الى الكرد تبراة لدمتهم هم . لقد أدى ذلك فضلا عن اشتراك بعض الاقطاعيين والمتعصبين الكرد في تلك المذابح ، الى حقد القوميين الأرمن على الكرد ، ولذلك فانهم كانوا يبحثون عن فرصة مثل احداث الحرب الأولى للثأر منهم . وسوف نعود الى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الخامس .

(٩١) لمزيد من التفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، حول تغفل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن ، مجلة « آفاق عربية » ، بغداد ، العدد ٣ ، تشرين الثاني ١٩٧٦ ، الص ١٠٢ - ١٣١ .

آثذ الى أسواق الأمبراطورية العثمانية وإيران ، ومنها كذلك شدة جشمع الدول الأوروبية الكبرى وقوة أطماعهم فيها ، وأخيرا البعد الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية عن المنطقة وعدم تطور وسائل النقل حينذاك بدرجة تقلل من تأثير هذا البعد . ومع ذلك فان المحاولات الأمريكية الأولى للتغلغل في الشرق الأوسط يعود تاريخها الى بداية القرن الماضي ، حيث بدأت الولايات المتحدة تفكر منذ ذلك الحين في اقامة مصالح لها في المنطقة وحمايتها ، فمقدت في السابع من مايس من العام ١٨٣٠ معاهدة للصدقة والتبادل التجاري مع الأمبراطورية العثمانية أصبحت تتمتع بموجب بنودها الثمانية (٩٢) بنظام الامتيازات في المناطق العثمانية ، الذي اقتصر التمتع بها حتى ذلك التاريخ على الدول الأوروبية فقط . وقد أعطى البند الثاني من المعاهدة الأمريكان حق اقامة قنصليات لهم أينما طلبت مصالحهم في المناطق العثمانية ، كما أعطى البند السابع منها السفن الأمريكية حق الدخول في مياه البحر الأسود . وتضمنت المعاهدة في النهاية بندا سريا تعهدت الولايات المتحدة بموجه بالقيام ببناء أنواع مختلفة من السفن للدولة العثمانية عند الحاجة وبموجب عقود خاصة تبرم في حينها .

عقدت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة مشابهة مع ايران في كانون الأول من العام ١٨٥٦ ، وقد أعطى البند الثالث منها امتيازات واسعة «للرحالة والتجار والصناعيين» من أتباع البلدين (!) الذين أصبح من حقهم «نقل

(٩٢) للاطلاع على بنود المعاهدة راجع :

J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East.
A Document Record 1535 - 1914, V. I, Prinsceton, 1956, PP.
112 - 113.

أقامت الولايات المتحدة الأمريكية العلاقات الدبلوماسية مع الأمبراطورية العثمانية منذ العام ١٨٢٤ .

جميع أنواع البضائع والمنتوجات برا أو بحرا ، من و الى البلدين ، والقيام ببيعها أو مبادلتها أو شرائها أو ايصالها الى جميع المناطق داخل حدود كل من الطرفين المتعاقدين الساميين» (٩٣) . وتم بموجب البند السابع من المعاهدة تأسيس ثلاث قنصليات أمريكية في كل من طهران وبندر بوشهر وتبريز . وهذه الأخيرة هي التي وقعت على عاتقها مهمة العمل في المناطق الكردية من ايران . وقد تحول ذلك الى تقليد دبلوماسي أمريكي فيما بعد (٩٤) .

الا أن الظروف السائدة آنثذ لم تكن تسمح بأن تتعدى المصالح الأمريكية في المنطقة حدود العمل لتطوير العلاقات التجارية والتظفل الثقافي وحماية المؤسسات الخيرية والتبشيرية فيها . وقد قطعت الولايات المتحدة بالنسبة للأخيرة شوطا بعيد المدى بحيث سبقت في هذا الميدان جميع الدول الأوروبية تقريبا . ويستحق هذا الموضوع ، في نطاق بحثنا ، التفاتة خاصة ، بسبب ما لأوجه معينة منه من علاقة بالمناطق الكردية والمناطق الأخرى المجاورة لها والتي تحولت الى مركز رئيس لنشاط المبشرين الأمريكان وبأسلوب لم يخل من تأثير على العلائق القائمة بين مسلمي المنطقة ومسيحييها .

(٩٣) راجع :

"Хрестоматия по истории международных отношений", выпуск II, Москва, 1972, стр.85-86.

« مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية » ، الجزء الثاني ، موسكو ، ١٩٧٢ ، الص ٨٥ - ٨٦ .

(٩٤) أبدى العديد من الدبلوماسيين الأمريكان العاملين في تبريز نشاطا واسعا بين العشائر الكردية ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى وبشكل أوسع منذ الحرب العالمية الثانية ، ومن هؤلاء القنصل وليام ايكلتن الذي عمل في كركوك أيضا وأصدر كتابا خاصا عن جمهورية مهاباد .

W. Eagleton, The Kurdish Republic of 1946, Oxford University Press, 1963, 142 PP.

تعود بداية نشاط المؤسسات التبشيرية والخيرية الأمريكية في الشرق الأوسط الى العام ١٨٢٠ . الا أن المعارضة القوية التي كانت تلقاها من الدول الأوروبية (ولا سيما من فرنسا و روسيا) غير الراغبة في ظهور منافس جديد لها ، تسببت في أن تتطور هذه المؤسسات في البداية ببطء ولكن دون انقطاع، ولاسيما وانها كانت تموّن منذ بداية ظهورها من جانب خزينة الدولة الأمريكية^(٩٥) ، كما أنها كانت تتمتع بجميع الامتيازات الواردة في معاهدة العام ١٨٣٠ . ومنذ أواخر القرن الماضي بدأت هذه المؤسسات توسع نشاطاتها الى حد كبير ، بحيث أنها شملت جميع أجزاء الامبراطورية العثمانية^(٩٦) ، ولكنها ركزت هذه النشاطات بشكل خاص بين أبناء الأقليات الدينية . ففي مدينة صغيرة واحدة مثل سيواس في وسط الأناضول افتتح الأمريكان ٢٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذ واحدة منها فقط حوالي ١٥٠٠ شخص كان معظمهم من الأرمن . وتشير الاحصائيات الرسمية للعام ١٩١٤ الى وجود ٦٧٥ مدرسة أمريكية في تركيا بلغ عدد طلابها حوالي ٣٥ ألف شخص^(٩٧) كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأطفال المسلمين الأتراك خاصة والأكراد بدرجة أقل . ويمكن قياس مدى نجاح المبشرين الأمريكان من خلال سرعة

(٩٥) N. Morten, Middle East, New York, 1943, PP. 213 - 214

(٩٦) تم في العام ١٨٨٩ ، مثلا ، تاسيس جمعية تبشيرية خاصة في ولاية نيوجرسي باسم « البعثة العربية » (Arabian Mission) وقد اثارت حملة دعابة واسعة لخططها الرامية - كما ادعت - الى نشر تعاليم المسيح « بين سكان الجزيرة العربية ... » . وتم بالفعل تاسيس مركز لها في البصرة في العام ١٨٩١ مع فرع في البحرين (في العام ١٨٩٣) ، وآخر في مدينة العمارة (في العام ١٨٩٤) .

(٩٧) راجع : مصطفى كمال ، طريق تركيا الحديثة ١٩١٩ - ١٩٢٧ ، الترجمة الروسية ، الجزء الاول ، موسكو ، ١٩٢٩ ، الص ٩٠ ، ٤٠٥ (قسم الملاحظات) .

انتشار المذهب البروتستانتى بين الأرمن والآثوريين ، فلم تفض على وجودهم سوى سنوات قليلة حتى بلغ أتباع المذهب الجديد بين الأرمن وحدهم أكثر من مئة ألف شخص تبعمهم ١٩٨ كنيسة خاصة مع ٣٥٦ مدرسة^(٩٨) . كان يقع قسم منها في المناطق والمدن الكردية . وحقق المبشرون الأمريكان بعض النجاح بين الآثوريين القاطنين بين الأكراد حيث اعتنق قسم منهم البروتستانتية نتيجة جهود أولئك^(٩٩) .

قدرت مؤسسات التبشير الأمريكية موقعها في البلاد بشكل واقعي . لذا فإنها كانت تعمل بدقة وحذر في المجالات ذات الصلة بالتغلغل السياسي وحتى الاقتصادي لبلادها ، فلم تبلغ تدخلاتها - والحق يقال - بل ولم تكن تستطيع أن تبلغ حتى ذلك الحين ما بلغته مؤسسات التبشير الفرنسية مثلا . وقد أدى هذا الأمر الى خلق انطباع طيب بين الأوساط المثقفة في الإمبراطورية العثمانية صاغت من خلاله تلك الأوساط ، في سنوات الحرب العالمية وبمدها بشكل خاص ، نظراتها السياسية عن الولايات المتحدة الأمريكية ، بصورة غير واقعية .

لكن ذلك لايعني أبدا أن السلطات والأوساط المالية الأمريكية لم تحاول استغلال وجود مثل تلك الشبكة الواسعة من مؤسسات التبشير التابعة لبلادها لصالح تغلغلها هي في مناطق الشرقين الأدنى والأوسط، ولاسيما وأن كلها كانت

A. Adamov, Iraq . . . , P. 219

(٩٨) راجع :

(٩٩) راجع :

Sir Percy Sykes, A summary of the history of the Assyrians in Iraq 1918 - 1933, - ((JRCAS)) , Vol. XXI, April 1934, P. 256.

لمزيد من التفاصيل راجع بحثنا المنشور باللغة الروسية : « حول المشكلة الآثورية في العراق ١٩١٨ - ١٩٣٣ » ، مجلة أكاديمية علوم أذربيجان السوفيتية «الأخبار» ، العدد ٢ ، ١٩٦٩ ، الص ٣٠-٤٠ .

مرتبطة بـ ((American Board of Commissioners for Foreign Missions)) (مجلس الوكلاء للبعثات الأجنبية - الأمريكي) الذي تأسس في بوسطن وتحول فيما بعد الى مؤسسة صيرفية . وقد كان في حوزة هذا المجلس صحافته ومطابعه التي كانت تنشر الكتب بست لغات ، كما كان له جهاز اداري كهم ، وكان يقوم بتنظيم مؤتمرات سنوية للمبشرين الأمريكان . وكما جاء في بحث روسي عن نشاطات المبشرين البروتستانت في المناطق الشمالية الشرقية من تركيا ، يعود الى العام ١٨٨٨ ، فان ثلث المبالغ الضخمة التي كان يخصصها المجلس لمؤسسات التبشير الأمريكية ، كان يصرف من أجل كسب السكان والموظفين المحليين (١٠٠) .

ومن جانب آخر كان المبشرون الأمريكان على اتصال وثيق بسفارة بلادهم في استانبول . وكما تذكر مجلة ((Asia)) في عددها الصادر في مارس من العام ١٩٢٣ فان هؤلاء المبشرين ، كانوا يلعبون بحكم اطلاعهم الواسع على أقطار الشرق الأوسط دور مستشارين غير رسميين أثناء النظر في القضايا المتعلقة بالامبراطورية العثمانية . وقد تجلّى ذلك بشكل واضح تماما خلال أعمال مؤتمر الصلح في باريس . ومن الجدير بالذكر أن بعضا من كبار المشرفين على المؤسسات الثقافية والتبشيرية الأمريكية (١٠١) كانوا من

(١٠٠) راجع :

**Шпилькова В. И. , Империалистическая политика
США в отношении Турции (1914-1920), Москва,
1960, стр.30.**

ف. ي. شپيلكوفا ، السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الأمريكية في تركيا (١٩١٤ - ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ٣٠ . (في الهوامش القادمة : V. Shpilkova ...) .

(١٠١) منهم چارلس كرين الذي كان عضوا في مجلس ادارة كلية روبرت

أصدقاء الرئيس الأمريكي ولسن الذي جاء الى الحكم منذ العام ١٩١٢ وظل فيه طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى .

وتعدى الأمر هذه الحدود أيضا . فقد دخلت السفن الحربية الأمريكية أكثر من مرة المياه الإقليمية للإمبراطورية العثمانية ، بحجة حماية أرواح المبشرين الأمريكان ، حتى أن واحدة منها وصلت في العام ١٩٠٠ الى العاصمة استانبول وكانت بقيادة الأدميرال جيوسترا الذي جاء في هذه المرة للحصول على التعويض عن الخسائر التي سببتها مذابح الأرمن لبعض المبشرين ، وقد وفق في مهمته . وفي الوقت نفسه أعار المسؤولون الأمريكان مسألة تشغيل خريجي مؤسساتهم الثقافية اهتماما غير قليل وصل أحيانا حد استخدام الضغط السياسي .

ومما يجدر بالقول أن وجود أمثال هؤلاء المبشرين في المناطق الكردية وغيرها أدى الى تعمق الخلافات بين سكانها المسلمين والمسيحيين^(١٠٢) . وقد تسبب ذلك خلال سنوات الحرب العالمية الأولى في انفجار صراعات وحدوث مذابح بينهم في أماكن عديدة . وعلى سبيل المثال فقد حدثت في بداية الحرب معركة كبيرة بين المسلمين والمسيحيين في منطقة ورمي التي كان المبشرون الأمريكان قد اتخذوها منذ العام ١٨٣١ مركزا لنشاطهم . ونتيجة لهذه المعركة

الأمريكية في استانبول ثم مديرتها وفيما بعد أحد عضوي لجنة كنيك - كرين المعروفة التي أرسلها الرئيس الأمريكي ولسن الى مناطق مختلفة من الشرق العربي .

(١٠٢) لاينكر أن معظم أولئك المبشرين كانوا يقدمون المساعدات الطبية وغيرها الى سكان المناطق التي كانوا يعملون فيها ، فضلا عن ان وجودهم وطراز معيشتهم وتعاملهم تدخل ضمن الاسباب الأولية لايجاد نوع من الصلة بين السكان المحليين والحضارة الغربية .

راح عدد كبير من المسيحيين الأبرياء كبوش فداء (١٠٣) .

شهدت مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى أيضا بداية التغلغل الاقتصادي الأمريكي في بلدان الشرق الأوسط التي جاءت بطيئة نتيجة لسيطرة عدد من الدول الأوروبية على أسواقها وبسبب بعد تلك الأسواق - كما أسلفنا القول - وضعف القوة الشرائية فيها خاصة وأن الدولة العثمانية نفسها كانت تن تحت وطأة قروض الدول الأجنبية المتراكمة عليها . وكانت هذه البداية قد دشنت ووضعت لبناتها الأولى منذ أواخر القرن الماضي ، وقطع التغلغل بعض الأشواط في بداية القرن الحالي ، وبصورة خاصة لأنه تمتع بموجب معاهدة العام ١٨٣٠ بجميع الحقوق التي تضمنها نظام الامتيازات من اغفاءات جمركية وتجارة حرة . وفي هذه الفترة بالذات وجدت بعض المنتجات الكردية طريقها الى الأسواق الأمريكية في نطاق محدود .

وأيا كان الأمر فقد كان للأمريكان كذلك خططهم الطموحة بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط المختلفة والتي توضحت وتشعبت مع اقتراب الحرب العالمية الأولى أكثر فاكتر . ومن المفيد أن نشير هنا الى أن اتفاقية كولبي جيمستر حول بناء ثلاثة خطوط حديد سبق ذكرها ، كانت تمس في حالة تطبيقها ، مناطق كردية واسعة . فقد كان من المقرر أن يمتد الخط الرئيس من سيواس الى السليمانية . أما الخطان الآخزان فقد كانا يصلان بدورهما الى مدن كردية منها دياربكر وخربوط وبدليس وغيرها (١٠٤) .

(١٠٣) راجع : علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية ، أو جولة في كردستان الجنوبية ، القاهرة ١٩٣٩ ، الص ٢١٥ - ٢١٨ .

(١٠٤) راجع :

((Papers Relating to Foreign Relations of the United States, 1919)), Vol. II, PP. 918 - 919.

.(V. Shpil'kova, Op. Cit., PP. 36 - 37

: مقتبس من)

وفي سنوات الحرب العالمية الأولى تصفها تبنى الأمريكان سياسة ذكية بالنسبة للإمبراطورية العثمانية . فما ان اندلعت الحرب حتى وجهت وزارة الخارجية تعليمات صريحة الى الدبلوماسيين الأمريكان العاملين في الأراضي العثمانية تطلب منهم العمل من أجل تطوير العلاقات القائمة بين البلدين ، ولاسيما وقد ظهرت أمام الولايات المتحدة امكانيات أكبر للعمل هناك بعد زوال الضغط الانكليزي - الفرنسي - الروسي على الباب العالي بشأن مصالحها وبعد أن صارت الظروف أنسب حتى من السابق بالنسبة لعمل مبشرها في مناطق وجودهم . ومن المهم أن نذكر بهذا الصدد أن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب ضد الإمبراطورية العثمانية بعد اشتراكها فيها ضد حليفيتها ألمانيا والنمسا [أعلنت الحرب ضد ألمانيا في السادس من نيسان من العام ١٩١٧ وضد النمسا في كانون الأول من العام نفسه] . لذا فالتنازها تمكنت من الحفاظ على مواقع أقدامها في المناطق العثمانية حتى بعد أن اضطر الباب العالي ، تحت ضغط الألمان ، الى قطع العلاقات الدبلوماسية معها اعتبارا من العشرين من نيسان من العام ١٩١٧ . وليس أدل على ذلك من أن واردات تركيا من البضائع الأمريكية ارتفعت بمقدار ثلاث مرات ونصف المرة في العام ١٩١٧ وبمقدار سبع مرات في العام ١٩١٨ بالقياس مع العام ١٩١٦ (١٠٥) . وقد ظهرت نتائج هذه السياسة جلية بعد انتهاء الحرب وأثناء مؤتمر الصلح وفي الأحداث السريعة التي شهدتها المنطقة منذ العام ١٩١٨ .

أما فرنسا فانها كانت من أكثر الدول الأوروبية نشاطا من أجل التغلغل في مناطق الشرق الأوسط ، وقد تمكنت من تحقيق مكاسب مبكرة ومهمة في هذا الميدان . فهي سبقت الولايات المتحدة مثلا بحوالي قرن في الحصول

على نظام الامتيازات في الامبراطورية العثمانية ، وذلك بموجب اتفاق خاص حوى أكثر من ثمانين بندا تم التوقيع عليه بين الطرفين في مايس من العام ١٧٤٠ (١٠٦) . حققت فرنسا نجاحات مشهودة في ايران أيضا تجسدت في عقد سلسلة من الاتفاقات والمعاهدات التي منحت الجانب الفرنسي امتيازات كبيرة ، منها ما أبرم في أيلول من العام ١٧٠٨ وفي آب من العام ١٧١٥ وفي كانون الثاني من العام ١٨٠٨ وغيرها (١٠٧) .

اتخذ التدخل الفرنسي السياسي والاقتصادي في المنطقة ، قبل الحرب طابعا اتسم بالعمل الدؤوب من أجل ايجاد مواقع ثابتة وبأساليب مختلفة في أصقاع كثيرة اعتبرت الأوساط الفرنسية الحاكمة مجالا حيويا بالنسبة لانتلاقاتها المقبلة في الشرق الأوسط . ويكفي القول هنا أن الرأسمال الفرنسي المستغل في تركيا قبل الحرب قد فاق تقريبا رساميل جميع الدول الرأسمالية الأخرى المستغلة هناك ، وقد بلغت حصة فرنسا من القرض العثماني حوالي ٦٣٪ من مجموع ذلك القرض (١٠٨) ، مما كان يشكل مبلغا ضخماً للغاية يزيد عن ملياري فرنك ذهب تحول الى أكبر عبء اقتصادي غانت منه كل الدولة العثمانية . وبلغت الرساميل الفرنسية المستغلة في مجال الاتاج الصناعي وغيره حوالي نصف مليار فرنك آخر (١٠٩) .

(١٠٦) راجع : « مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية » ، الجزء الثاني ، الص ٤٠ - ٤١ .

(١٠٧) المصدر السابق ، الص ٥٦ - ٦٠ و ٧٠ - ٧١ .
A. D. Novichev, Ocherki . . . , P. 128.

(١٠٨) راجع :

(١٠٩) راجع :

**Миллер А.Ф., Очерки новейшей истории Турции,
Москва, 1948, стр.100.**

١. ف. ميللر، دراسة تاريخ تركيا المعاصر، موسكو، ١٩٤٨، الص ١٠٠ .
(في الهوامش القادمة : . . . A. F. Miller .)

بداية الاطماع

أولى الفرنسيون بناء الخطوط الحديد في الإمبراطورية العثمانية جانبا كبيرا من اهتمامهم ، بحيث أنهم كانوا يحتلون في هذا المجال موقعا جد متقدم على الانكليز بل وحتى على الألمان ، فقبل انتهاء القرن الماضي بلغ مجموع ما بناه الانكليز من السكك العاملة في الأراضي العثمانية ٤٤٠ كيلومتر فقط تقابلها ١٠٢٠ كيلومتر شيدها الألمان ، بينما بلغت المسافة التي بناها الفرنسيون ١٢٦٦ كيلومتر . وهذا الواقع هو الذي دفع الألمان في البداية الى اشراك الفرنسيين في مشروع بناء سكة حديد بغداد ومنحهم ٤٠٪ من مجموع أسهمها المقررة^(١١٠) . وكان الفرنسيون يطمحون الى بناء المزيد من الخطوط الحديد ، وبشكل خاص في شرقي الأناضول .

اتسم التغلغل الثقافي الفرنسي في الشرق الأوسط بالسرعة والشمول أيضا ، فسرعان ماتحولت الفرنسية الى اللغة الأوروبية المفضلة لدى الأوساط المثقفة التركية وغيرها والى اللغة الثانية للتعامل بعد اللغة التركية . وكانت العوائل الأرستقراطية تفضلها حتى على لغتها القومية . فتركت ، مع الثقافة الفرنسية ، آثارا جد واضحة على ثقافة عدد من الشعوب الداخلة في الإمبراطورية العثمانية وآدابها . وكان المثقفون الكرد الذين يقطنون العاصمة استانبول من بين المتأثرين بالثقافة واللغة الفرنسييتين . وقد درس قسم منهم في الجامعات الفرنسية والسويسرية^(١١١) . كما برز من بينهم دبلوماسيون

V. Shpilkova, Op. Cit., P. 16

(١١٠) راجع :

(١١١) كان معدوح سليم وقدري جميل باشا واکرم جميل باشا وعدد كبير من البدرخانين وغيرهم من الذين برزوا على المسرح السياسي قبيل الحرب الأولى وبعدها يجيدون الفرنسية ودرس بعضهم في باريس . كما تعلم المؤرخ المعروف محمد أمين زكي واسماعيل حقي شاويس وغيرهما من الأكراد العراقيين الفرنسية أيضا خلال دراستهم وعملهم في استانبول .

معروفون من أمثال شريف باشا الذي كان يجيد الفرنسية اجادة تامة وقضى فترة من حياته في باريس .

نشطت البعثات التبشيرية الفرنسية كذلك في البلاد العثمانية . فقد بلغ عدد المدارس التي أسستها في تركيا حوالي ٥٠٠ مدرسة كان يدرس فيها حوالي ٦٠ ألف تلميذ^(١١٢) . ونشط المبشرون الفرنسيون في ولاية الموصل نشاطا متميزا^(١١٣) وكان لهم موقعهم الخاص في الحياة الثقافية لمدينة الموصل نفسها وقد خلبت اللغة الفرنسية لب العديد من مثقفيها^(١١٤) . وفيما يتعلق بالمناطق الكردية من هذه الولاية فقد تفضل المبشرون في أنحاء بهدينان واحتكوا بسكانها الأكراد وتعلموا لغتهم واطلعوا على عاداتهم^(١١٥) . ومن الجدير

(١١٢) راجع :

Дамсутдинов А.М., Национально-освободительная борьба в Турции 1918-1932, Москва, 1966, стр. 31.

١. م . شمس الدينوف ، النضال التحرري - الوطني في تركيا ١٩١٨ - ١٩٢٣ ، موسكو ، ١٩٦٦ ، الص ٣١ .

(١١٣) يقع جزء كبير من كردستان الجنوبية ، كما هو معروف ، ضمن ماكان يطلق عليه في العهد العثماني (ولاية الموصل) ، وقد كانت هذه المنطقة محط أنظار الدول الاستعمارية ، كما تحدثنا عن ذلك بإسهاب في هذا الفصل ولاكثر من مرة ، وهذا السبب بالذات هو الذي يفسر تكرار تعبير (ولاية الموصل) في هذا الفصل وأماكن أخرى من الكتاب مرات عديدة .

(١١٤) لمزيد من التفاصيل راجع : ابراهيم خليل ، ولاية الموصل . دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢ (رسالة ماجستير) ، بغداد ، ١٩٧٥ ، الص ١٣٥ - ١٣٩ .

(١١٥) قضى الأب توما بوا سنوات عديدة بين اكراد ولاية الموصل ، وقد برز

بالذكر أن التفلغل الفرنسي في ولاية الموصل كان يثير الانكليز وقد عمل كلا الطرفين من أجل وضع العراقيل أمام نشاطات الطرف الآخر .

كل ما سبق يبين بوضوح كيف أن معظم الدول الكبرى كانت تهتم بكردستان في حدود مصالحها السياسية والاقتصادية وامكانياتها الواقعية ووفق سياساتها المرسومة ازاء مستقبل الامبراطورية العثمانية وضمن اطار محاولاتها للتغلغل في الشرق الأوسط . وقد تجلت عواقب هذا الاهتمام في سنوات الحرب العالمية الأولى بوضوح وأثرت على أحداث تلك الحرب ونتائجها بالنسبة للشعب الكردي ، كما ستحدث عن ذلك في الفصول التالية من هذا الكتاب .



فيما بعد كمتشرق متضلغ في الدراسات الكردية ، بحيث عهد اليه المشرفون على « دائرة المعارف الاسلامية » المعروفة بكتابة الموضوع الخاص بالكرد وكردستان للطبعة الجديدة من الموسوعة المذكورة ، وقد انتهى من تأليفه قبل وفاته في العام ١٩٧٥ مضيغاً بذلك عملاً جليلاً الى اعماله العلمية الكثيرة عن تاريخ الشعب الكردي ولفته وعاداته ومعتقداته .

الفصل الثاني

على ابواب الحرب

كان الضعف والانحلال اللذان أصيبت بهما إيران وتركيا منذ ما قبل بداية الحرب العالمية الأولى بعدة أعوام ، من القوة بحيث لم يبق بعدهما الا السقوط والانهيار ، سواء بفعل عامل خارجي أو من جراء تحول ثوري داخلي . فالحرب التي وقعت في العام ١٩١١ بين الدولة العثمانية وإيطاليا وحرب السنة ١٩١٢ بين الأخيرة وبلاد البلقان ، والخلافات الدائرة في صفوف الاتحاديين في تركيا ذاتها ، والصراع على الحدود بين إيران وتركيا ، والوضع المعقد ، وصعوبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلدين ، وسرعة تطلُّع الدول الاستعمارية في المنطقة ، وتزايد مؤامراتها ومحاولاتها لكسب جماعات وطوائف وعشائر مختلفة ، مع أسباب عديدة أخرى ، كل تلك جعلت البلدين في حالة وهن مستفحل دب في كل جزء من أجزائهما . ففي السنة التي اندلعت فيها الحرب العالمية الأولى كانت ديون انكلترا وروسيا المتراكمة على إيران قد بلغت حوالي ٧ ملايين جنيه استرليني ، وهي مبلغ ضخم اذا أخذنا بنظر الاعتبار واقع القوة الشرائية للنقد المتداول آنذاك . وفي العام نفسه بلغت الفوائد التي كان على إيران دفعها سنوياً للدول الأوروبية لقاء ديونها أكثر من ٥٦٠ ألف جنيه ، أي ما لا يقل عن ربع جميع مصروفات الدولة خلال

السنة الواحدة^(١) وفي مثل هذه الظروف الصعبة اضطرت جميع المؤسسات الصناعية التي كان يمتلكها الإيرانيون للتوقف عن العمل قبل الحرب بفترة قصيرة ، بما فيها معملان للنسيج وثالث لصنع الطابوق . وشهد الاتاج الحربي بدوره ركوداً كبيراً حتى اضطرت ثلاثة أرباع المحلات الحرفية في بعض المدن الإيرانية الى غلق أبوابها . وتلاحظ ظاهرة عدم الاستقرار والانحلال نفسها ، في المجال الزراعي كذلك^(٢) .

اتخذ الانحلال في الأمبراطورية العثمانية قبيل الحرب بعدا أعمق حتى من ذلك . فقد أخذ نظام الامتيازات^(٣) -الوجه الأبرز للتغلغل الكولونيالي- بخناق الدولة ، بحيث قال عنه أحد الزعماء السياسيين الأتراك انه « عبودية

(١) راجع :

Иванов М.С., Очерк истории Ирана, Москва, 1952, стр.250-251.

م . س . ايفانوف ، دراسة في تاريخ ايران ، موسكو ، ١٩٥٢ ، الص ٢٥٠ - ٢٥١ . (في الهوامش القادمة : M. S. Ivanov ...) .

(٢) راجع :

Глуходед В.С., Проблемы экономического развития Ирана, Москва, 1968, стр.29, 39-41 и др.

ف . س . كلوخديد ، مشاكل التطور الاقتصادي لايران ، موسكو ، ١٩٦٨ ، الص ٢٩ ، ٣٩ - ٤١ وغيرها .

(٣) بلغت امتيازات الدول الأوروبية في الأمبراطورية العثمانية حد أن الرسوم الكمركية المفروضة على بضائعها المستوردة كانت تشكل نسبة ضئيلة للغاية لم تتجاوز ال ٥٪ حتى بداية القرن العشرين عندما رفعت الى ٨٪ وقبيل الحرب الى ١١٪ فقط . وكان الميزان التجاري في صالح تلك الدول باستمرار ، فقبل بداية الحرب بسنة واحدة بلغت واردات تركيا [٨/٤٠ مليون ليرة] ضعف صادراتها تقريبا [٤/٢١ مليون ليرة] .

ثقيلة تقع على كواهلنا»^(٤) وقد تجسدت الصورة الأسوأ لهذه المبودية ، في « مؤسسة القرض العثماني » باعبائها الثقيلة للغاية^(٥) . فقد بلغت القروض الخارجية للدولة عند ابتداء الحرب أكثر من ١٥٠ مليون ليرة تركية ، عهد في تنظيم القضايا المتعلقة بـ ١٤٣٢ مليوناً منها الى « مؤسسة القرض العثماني » . فشلت ثورة الاتحاديين [١٩٠٨] في حل المشاكل العويصة التي كانت تعاني منها الأمبراطورية ، بل على العكس فإن اتجاهات معينة من سياستها ساهمت في تعقيد معظمها . وربما يكفي القول هنا ان الحكومة الجديدة التي تشكلت اثر انتصار الثورة ، اقترضت خلال ست سنوات من تسنمها للحكم أكثر من ٤٩ مليون ليرة ، بينما بلغ مجموع ما استقرضته حكومة السلطان عبد الحميد على مدى ١٨ عاماً [من ١٨٩٠ الى ١٩٠٨] أقل من ذلك بحوالي ٤ مليون ليرة^(٦) .

كانت المناطق الكردية الداخلة ضمن الأمبراطورية العثمانية وایران تشكل نموذجاً صارخاً للانحلال الذي كانت تعيش فيه الدولتان قبيل الحرب

(٤) مقتبس من : A. F. Miller, Op. Cit., P. 17.

(٥) تأسست بموجب « مرسوم المحرم » الذي صدر في العام ١٨٨١ مؤسسة خاصة للإشراف على قروض الدولة العثمانية كان يديرها مجلس ادارة أعضاؤه من ممثلي الدول الأجنبية الدائنة ، فكان لديه جهازه الإداري الخاص الذي تجاوز عدد العاملين فيه خمسة آلاف شخص منحوا حق جباية الضرائب . لقد كانت مؤسسة ادارة القرض العثماني تشكل ، بحق ، دولة قوية مصنونة داخل دولة هزيلة منحلة .

(٦) أحسبت الأرقام بالاستناد الى المعلومات الواردة في كتاب :

Новичев А.Д., Турция. Краткая история, Москва, 1965, стр.128-129.

١. د. نوفيچيف ، تركيا ، تاريخ مختصر ، موسكو ، ١٩٦٥ ، الص ١٢٨ - ١٢٩ . (في الهوامش القادمة : A. D. Novichev, Turkey ...)

العالمية الأولى . فقد كانت سيطرتها في كردستان ضعفت الى درجة واضحة ، بل ان الشعور بوجودهما كان معدوماً بالمرّة في المناطق الوعرة وبين القبائل القوية . وكان الشباب في تلك المناطق يترددون علانية ودونما وجل على أوامر التجنيد ، والفلاحون يرفضون في أماكن عديدة دفع الضرائب ، بل باتوا لا يعيرون رجال « الضبطية » والجندرمة الحكوميين أي اهتمام . ويقدم الأستاذ صديق الدمولوجي في كتابه عن « امارة بهدينان » صوراً صادقة عن هذه الأوضاع ، فقد قضى بنفسه سنوات عديدة ، في أواخر العهد العثماني ، موظفاً في تلك المناطق الكردية . يقول الأستاذ الدمولوجي :

« يوجد في كل قضاء ثلة من أفراد الضبطية لا يزيد عددهم على الثلاثين ، عليهم ضابط برتبة ملازم أول أو يوزباشي . واجراءاتهم منحصرة في قرى النصارى ، والقرى المسلمة الضعيفة على أن لا تكون تابعة لحماية أحد المتنفذين . وفي النواحي يكون تفران أو ثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما يستخدمون في نقل أوراق المخابرات ، واحضار الأشخاص الذين تطلبهم الادارة ، ويكونون دائماً في فقر وضيق ولا يتناول أحدهم بالسنة أكثر من راتب شهرين أو ثلاثة أشهر وقد يعطف الناس عليهم » . أما عن المالية فانه يقول : « ينظر اليها الأهلون كواسطة لنهب الأموال . يضع مأموروها الضرائب دون وجه قانوني ويحصلونها بالقانون : وهو السجن والمصادرة والتعذيب ومدراء المال يضربون الحد القياسي في الارتشاء وقد يشترتون وظائفهم من (دفتردار) الولاية ، وتكون قيمة كل مديرية بالنسبة الى جسامه القضاء وموارده . وفي انتهاء السنة يجدد العقد والا يكون مصيره العزل . وترى مدراء المال المعزولين مكسدين أمام باب غرفة دفتردار ينتظرون عزل مدير مال ليحلوا مكانه ، ويكون من نصيب من يعطي ثمناً أعلى » . وعن دوائر التجنيد يذكر المؤلف أنه « لم تكن لهذه الدوائر وظيفة

تقوم بها ، ويندر أن جندت نفراً واحداً في سنة كاملة عدا المدن الخاضعة لتسجيل النفوس . وقد يكون ضباط التجنيد في حالة البطالة دوماً . . . ويكونون في حاجة ملحة وقد لا يتناول أحدهم أكثر من راتب ثلاثة أو أربعة أشهر في السنة» (٧) .

لكن الأوساط العشائية الحاكمة حاولت حتى في مرحلة الانحلال هذه تحويل العشائر الكردية الى قوة احتياط في يدها بهدف السيطرة عليها أولاً ومن أجل الحفاظ على سطوة السلطان ولضرب الحركة القومية للشعوب غير التركية بما في ذلك نضال الشعب الكردي نفسه ، ولاثارة الاضطرابات في مناطق الحدود الروسية ، ثانياً . وأخيراً في سبيل اعدادها للاشتراك بشكل أكفأ في الحرب أو الحروب القادمة المتوقعة ، خاصة مع روسيا . وعلى هذا الأساس بوشر منذ أواخر القرن الماضي باقامة تشكيلات غير نظامية من العشائر الكردية^(٨) سميت بـ « الفرسان الحميدية » تيمناً باسم السلطان عبدالحميد الثاني فجاء الاسم على المسمى تماماً .

أولى المسؤولين هذه التشكيلات الغربية اهتماماً بالغا ، واضعين لها قائمة مفصلة من التعليمات^(٩) ، فكان على العشيرة التي توافق على الانضمام اليها

(٧) صديق الدمولوجي ، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية ، الموصل ، ١٩٥٢ ، الص ٨٠ - ٨٦ . الكتاب عبارة عن مذكرات سجلها المؤلف عندما كان موظفاً في مناطق بهدينان مما يعطيه أهمية أكبر .

(٨) شكلت جماعات مشابهة من بعض العشائر العربية ولاسيما في سوريا ، ولكن ظلت العشائر الكردية هي التي تشكل العمود الفقري للتشكيلات غير النظامية الجديدة .

(٩) التعليمات مقتبسة من كتاب افيريانوف (الأكراد في حروب روسيا مع ايران وتركيا ، الص ٢٤٤ - ٢٤٧) وهو اقتبسها بدوره من النص الرسمي للتعليمات ، فقد كان أحد الأسباب الرئيسة لتأليف كتابه الضخم ، دراسة وضع الفرسان الحميدية ، كما ذكرنا ذلك في حينه .

تقديم « فارس » واحد عن كل عائلة على أن يبقى في الخدمة لمدة ٢٣ عاماً حسب التصنيف الآتي : ١ - «الأحضارية»^(١٠) ومدة هذا النوع من الخدمة ثلاث سنوات ، يدخلها البالغون من العمر ١٧ عاماً ويقومون بالتدريب في مناطق سكنهم في ضوء تعليمات وردت في كتاب عسكري وضع خصيصاً لهذا الغرض ؛ ٢ - « النظامية » ومدتها ١٢ عاماً . يضم المتمون الى هذه الخدمة الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٣٢ عاماً حسب زمن التحاقهم . وكان أفراد هذا الصنف يجتمعون للتدريب بين الحين والآخر ، الا أنهم كانوا ملزمين بالحضور مع خيولهم وكامل أسلحتهم وعتادهم خلال ٢٤ ساعة من استدعائهم ؛ ٣ - « احتياطية » (الاحتياط) ومدتها ٨ سنوات . وهذه الخدمة هي للفرسان الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٣ و ٤٠ عاماً ، ولم يكن هؤلاء خاضعين للتدريب الا أنهم كانوا يستدعون للخدمة الفعلية في الحالات الضرورية . وعلى الفارس ، في جميع الأحوال ، أن يكون له حصانه أو فرسه وتقوم الدولة بالصرف عليه أثناء الخدمة الفعلية وفي فترة التدريب التي حددت في البداية بثلاثة أشهر في السنة ثم خفضت الى ٥ - ٦ أسابيع .

كان حجم الفرق الحميدية يعتمد على حجم المشيرة نفسها ، الا أنه كان من المقرر أن يتكون كل آلاي (فوج) حميدي من ٣ الى ٦ كئاب والكتيبة الواحدة من ٣ الى ٤ سرايا « طقم » وكل سرية من ٢٠ الى ٣٠ فارساً . وكان يقف على رأس كل فوج ضابط خيال نظامي يختار عادة من بين أكما ضباط هذا الصنف ، ولاسيما في بداية ظهور الفرق الحميدية .

كان المسؤولون العثمانيون يريدون زج أكبر عدد ممكن من العشائر الكردية في صفوف التشكيلات الحميدية ، ولذا فانهم لم « يبخلوا » في منح

(١٠) المقصود من الكلمة أن فرسان هذا الصنف يحضرون ويدربون ليكونوا مقاتلين في المستقبل .

امتيازات واسعة ، معظمها شكلية ، لكل عشيرة توافق على الانضمام إليها . فافرادها كانوا يعفون من أداء جميع الضرائب والرسوم لخزينة الدولة فيما عدا ضريبي العشر والأغنام ، وهما اللذان أثقلا كاهل الفلاح الكردي . وتقرر « منح » كل « عشيرة حميدية »^(١١) أراضي أميرية خالية ، في حين لم تكن أمثال تلك العشائر ، والقوية منها بشكل خاص ، تنتظر ، في الأساس ، أي تفويض رسمي حتى تقوم باشغال الأراضي غير المستغلة التي كانت في متناولها دوماً ، وكان استقرارها أو انتقالها إليها يرتبط بعملية اقتصادية - اجتماعية معقدة لم تستطع الدولة العثمانية بسبب انحلالها أن تؤثر عليها بشكل ملموس ، إلا أن المشرع اشترط ، مع ذلك ، استرجاع الأراضي « المنوحة » للعشيرة التي تسحب من التشكيلات الحميدية . وتقرر فتح عدد من المدارس في المراكز الكردية الرئيسية بقصد أعداد أفراد الجيل الناشيء للانخراط في الحميدية ، فهم أكثر استعدادا لتقبل المبادئ الأولية للتدريب العسكري الحديث بالطبع .

ان أخطر بند مفرغ - حسب اعتقادنا - في التعليمات هو ذلك البند الذي نص على اخضاع الفرسان الحميديين لمحاكم خاصة، والترجمة الفعلية لهذا البند كانت تعني اطلاق يد رجال العشائر ضد كل معارض للعرض العثماني ، فأصبح نصيب الأرمن من نتائج هذه « المنحة » غير الكريمة أكبر من غيرهم .

رافقت صدور القرار حملة دعائية جد واسعة لتشجيع رؤساء العشائر على تقبل فكرة تشكيل الفرق الحميدية ، فقام عدد من المسؤولين الكبار بالتجوال في المناطق الكردية^(١٢) للاتصال المباشر بالمتنفذين الذين أعطوا

(١١) هذا التعبير غير مستعمل ، ولذلك فانا وضعناه بين اقواس صغيرة .
(١٢) قام المشير زكي باشا وحده بأربع جولات في المناطق الكردية من أجل ترغيب الرؤساء في الالتحاق بالفرسان الحميدية .

وعوداً سخية باسم « خليفة المسلمين » الذي قرر ، كما قيل لهم ، توزيع الهدايا الكثيرة والألقاب الرفيعة والمنح السخية على كل رئيس ينخرط رجاله في التشكيلات الجديدة . وقد جرى توزيع نداء خاص في جميع المناطق الكردية باسم السلطان الذي خاطب فيه « الأكراد المؤمنين - حماة الاسلام »^(١٣) مشجعاً إياهم على ضرورة الأسراع الى تلبية الدعوة: «المخلصة» الى أداء « الواجب المقدس » . وكان يجري التأكيد في كل مكان على «الاسم الرفيع» للتشكيلات الجديدة الذي جاء - حسب قولهم - بمثابة دليل قاطع على الاهتمام البالغ من لدن السلطان وعلى « التفاتته الكريمة » . وقد دعي عشرات من رؤساء العشائر للقيام سوية بزيارة خاصة الى استانبول فلبوا الدعوة وظلوا هناك لمدة أربعة أسابيع حيث جرى احتفاء كبير بمقدمهم حتى أنهم قدموا مرتين الى شخص السلطان عبدالحميد الذي قلما كان يسمح لنفسه آنذاك بمثل هذه اللقاءات - المرة الاولى أثناء قيام أتباعهم الذين رافقوهم في سفرتهم باستعراض خاص للسلطان وهم في ثيابهم المزركشة ، والمرة الثانية عندما التقى بهم في قصره الخاص . يعلق الضابط الروسي أفيريانوف على الاستقبال الحار الذي جرى للرؤساء الأكراد في استانبول بقوله :

« لقد أولت الحكومة التركية الرؤساء الأكراد وأتباعهم عناية جيدة على مدى كل الفترة التي قضوها في العاصمة ، باحثة بذلك عن كل السبل الممكنة لاقتناعهم »^(١٤) .

ومن الجدير بالذكر أن بعضاً من الرؤساء وقعوا تحت تأثير الاستقبال الحار وسحر العاصمة التي لم يروا أعظم منها ، فطرفوا ، أثناء التقائهم

P. Averianov, Op. Cit., P. 249.

(١٣) راجع :

Ibid, P. 250.

(١٤)

بالسلطان ، في بذل الوعود بتقديم أعداد جد كبيرة من الفرسان تفوق امكانياتهم الفعلية الى حد كبير ، مما استدعى التفاتة خاصة من لدن عبدالحميد الذي أمر بمنح هؤلاء أوسمة وألقاباً رفيعة كالباشا الذي كان يمنح حامله منزلة تعادل مقام الجنرال (الزعيم) في العرف العسكري العثماني . كما أمر بتوزيع الهدايا عليهم جميعاً وبتقطع مخصصات للرؤساء العشائريين والزعماء الروحانيين اعتمد مقدارها على ماكانوا يتمتعون به من نفوذ .

لم تذهب كل هذه الجهود والوعود هباء ، فقد استجاب العديد من رؤساء العشائر في البداية لنداء السلطان . ولكن بالرغم من ذلك جاء الوليد الجديد هزبلاً ، وبالطبع ، وكما سنرى ، كان شريراً أيضاً . ان صاحب فكرة تشكيل الفرق الحميدية شاكر باشا لم يكن سوى سيرفانتس^(١٥) عثماني ، ولكن في ثوب غير واقعي . لذا جاء «الفارس» الحميدي صورة مشوهة لدون كيخوت النبيل .

لم يكن بالامكان قطعاً أن تنجح خطة تأسيس الفرق الحميدية التي فشلت في أن تحقق جزءاً ، وان كان يسيراً ، من المهام التي شكلت من أجلها ، اللهم الا فيما يتعلق بالمذابح الأرمنية وهو نجاح أسود كما نبين ذلك بالتفصيل

(١٥) سيرفانتس (١٥٤٧-١٦١٦) كاتب اسباني عبقرى عبر في كتابه ذائع الصيت «دون كيخوت» (دون كيشوت) بشكل مبدع عن خيبة امل المفكرين الانسانيين في عصر النهضة الأوروبية عندما أرادوا تغيير الواقع المجحف بأساليب خيالية . فبطل القصة دون كيخوت يحلم باحياء الفروسية في وقت ولى عهداً ، ويحاول تغيير الواقع بقوة يده فيظهر في ثوب مضحك امام القاريء . واضح ان هناك بونا شاسعا بين فكرة سيرفانتس العبقرية التي انتقد من خلالها بشكل لاذع وخلاق اساليب الانسانيين في عصر النهضة وبين ما كان يحلم به شاكر باشا ، الا ان هناك شيئاً واحداً يجمع بينهما هو محاولة تغيير الواقع بأساليب بالية فجاء « الفارس » في الحالتين هزبلاً مضحكاً .

في الفصل الخامس . وقد تعاملت عوامل معينة فيما بينها أدت الى فشل المشروع في النهاية . فقبل كل شيء رفض عدد كبير من العشائر الكردية الانخراط في صفوف الحميدية ، بعضها استنكفت عن ذلك وبعضها الآخر علمتها التجارب دروساً قاسية بحيث أصبح من السهل بالنسبة لها ادراك الحقائق مباشرة ، لذلك لم تخضع للاغراءات وأحياناً للتهديد غير المباشر ، حتى أن عشيرة مثل الهموند التي عرفت بالشجاعة النادرة وبالمغامرات العجبية^(١٦) لم تستجب لنداء السلطان لأنها أخذت ، على ما يبدو ، درساً قاسياً من التاريخ^(١٧) . ومن مجموع خمس عشائر كبيرة في منطقة بدليس لم ينضم سوى قسم من عشيرة الجلاي الى الحميدية ، ولم يختلف الوضع عن ذلك في ولاية ديار بكر حيث رفضت الأكثرية الساحقة من عشائرها الاعتراف بها . أما في منطقة درسيم الوعرة فقد رفض الجميع بشكل مطلق الانخراط في صفوفها . وفي الامكان ايراد قائمة مفصلة بأسماء الرؤساء المتنفذين والزعماء المعروفين الذين لم يستجيبوا لدعوة السلطان الحارة ومنهم البدرخانيون والشمزنيون والشيخ محمود ورؤساء البشدر وغيرهم كثيرون . بل وقف بعض من هؤلاء ، وبشكل خاص البدرخانيون منهم ، ضد انخراط العشائر الكردية في صفوف فرق

(١٦) عن مغامرات عشيرة الهموند ، راجع :

E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, London, Second ed., 1926, PP. 164, 179 - 182, 287 - 288.

في ترجمته العربية للاستاذ فؤاد جميل راجع : الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٧١ ، الص ٢٧ - ٣٢ .

(١٧) تم في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر نقل أعداد كبيرة من افراد عشيرة الهموند الى طرابلس الشام وأدنة ، لكنهم رجعوا فيما بعد الى موطنهم . غالباً كانت السلطة تلجأ الى استخدام العنف وأحياناً الخداع في علاقاتها بالهموند (للتفصيل راجع : محمد أمين زكي ، تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل بندي الروؤبياني ، بغداد ، ١٩٥١ ، الص ١٨٩ - ١٩٦) .

الحميدية التي أدركوا المرامي الحقيقية لتشكيلها مباشرة ، كما أنهم قدروا بشكل صحيح النتائج السلبية التي تركها أعمال تلك الفرق على العلائق الأرمنية - الكردية وعلى موقف الأوروبيين من الكرد بشكل عام . فإن جريدة « كردستان » التي هي أول جريدة كردية ، وقد أصدرها البدرخانيون في الخارج ، انتقدت بشدة الفرق الحميدية في عددها الثامن والعشرين الصادر في ١٥ أيلول من العام ١٩٠١ معتبرة إياها « مؤسسة فاسدة » . وقد استعرضت الجريدة في افتتاحيتها الظروف التي أدت الى تشكيل هذه المؤسسة وذكرت - وهذا هو الأكثر أهمية في المقال - أن زكي باشا فكر في تأسيس الحميدية لأنه أراد تحويلها الى أداة ضد الحركة القومية الأرمنية وللحيلولة دون التقاء الشعبين الأرمني والكرد في ضد استبداد عبدالحميد ، لذا أصبحت أعمال « هذه الفرق منذ يوم تأسيسها مضررة بالبلاد وبالشعب بشكل لا يوصف » . وتشير الجريدة أيضاً الى محاولات السلطان عبدالحميد وأعوانه لتشكيل فرق مشابهة من العشائر العربية فتحذر تلك العشائر من ذلك وتؤكد على ضرورة اتفاق الشعوب العربية والأرمنية والكردية في سوح النضال ضد حكم السلطان عبدالحميد الدموي ومؤامراته ونواياه . ومن الجدير بالذكر أن الجريدة نشرت نص المقال باللغة التركية وفي العدد نفسه أيضاً (١٨) .

وفي الواقع لم تكن الاستجابة للانخراط في صفوف الحميدية متحمسة بالشكل المتوقع حتى بين العشائر التي عرف رؤسائها بالولاء للسلطان عبدالحميد والذين كان تلهف معظمهم في البداية تابعاً من جريهم وراء الكسب الرخيص . فإن رئيس عشيرة الجلاللي في منطقة بايزيد قد تعهد ، مثلاً ، بتقديم الآيين للتشكيلات الحميدية ، إلا أنه بعد عودته من استانبول بدأ يتراجع عن

(١٨) « كردستان » ، فولكستون ، العدد - ٢٨ - ، ١ جمادى الآخرة ١٣١٩ ،
١٥ أيلول ١٩٠١ .

وعوده ويتعذر بانتقال رجال عشيرته الى مراعيهم داخل الحدود الايرانية مما دفع المسؤولين الى الاعتماد على رؤساء آخرين من العشيرة نفسها . والمثل الأكثر دلالة هو ما وقع لأمين آغا رئيس عشيرة حيدرآلي الذي وعد بدوره بتقديم الآيين فاستحق عن ذلك الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة ولقب الباشا السامي ، الا أنه فشل حتى في جمع عدد من الرجال يكفي لتشكيل كتيبة واحدة فقط^(١٩) علماً بأن عشيرة الحيدرآلي كانت من أكبر العشائر الكردية الداخلة في الأمبراطورية العثمانية وكان عدد أسرها آنذاك يقدر بما لا يقل عن عشرين ألف أسرة تقطن منطقة شاسعة امتدت بين موش و ورمي وشملت أصقاعاً من باشوية وان^(٢٠) . وانسحب فيما بعد عدد من رؤساء العشائر الكردية من صفوف الحميدية بعد أن خدموا فيها لمدد مختلفة .

وكان هناك عامل اقتصادي - اجتماعي جد مهم يحول دون تحمس الفلاح والاقطاعي الكردي للعمل في صفوف الحميدية ، ولاسيما بعد أن بدأت التدريبات الفعلية وبعد أن تم ارسال قطعات منها لأداء واجبات عسكرية قمعية في مناطق بعيدة عن مناطقها . فلم يكن من صالح الفلاح ، كقوة انتاج رئيسة ، الانقطاع عن العمل المنتج لمدد مختلفة . ومن جانب آخر كان من شأن التشكيلات الجديدة - في حالة تطورها - تقوية صلات الفلاحين «الفرسان» بالسلطة ، مما كان يعني منطقياً اضعاف نفوذ وتأثير رئيس العشيرة عليهم بالتدريج وهو أمر مرفوض في مفهومه قطعاً . وقد فكر شاکر باشا ، فعلاً ، بهذه النقطة التي اعتبرها من العوامل الضرورية لاقامة تشكيلات عسكرية

P. Averianov, Op. Cit., P. 252.

(١٩) راجع :

(٢٠) عن حيدرآلي راجع : محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ،

J. Jalil, Kurds , P. 21.

١٩٣٦ ، الص ٢٤٩ . راجع ايضاً :

غير نظامية من أبناء العشائر .

ولم تكن الدولتان المجاورتان روسيا وإيران ، وبصورة خاصة الأولى منهما ، مرتاحتين من تشكيل الفرق الحميدية ، ولاسيما وأن واحداً من أهدافها الأساسية كان اعدادها - كما ذكرنا - للحرب أو الحروب القادمة المتوقعة مع روسيا قبل غيرها . وقد تمكنت هذه الأخيرة من كسب عدد لا بأس به من رؤساء العشائر في منطقة الحدود ، فكان من الطبيعي أن يقف أمثال هؤلاء ضد التشكيلات الحميدية ، كما قام الضباط والدبلوماسيون الروس وكذلك الأرمن بتنظيم دعاية واسعة في الداخل والخارج لتشجيع الأكراد على عدم الانخراط في صفوف الحميدية . ولم تحسن العشائر المعروفة بميلها نحو إيران أو بارتباط مصالحها بها - مثل عشيرة الجاف الكبيرة - لفكرة إقامة الحميدية أساساً .

ومن الأسباب المهمة الأخرى لفشل التنظيمات الحميدية واقع الانحلال الذي كانت تعيشه البلاد . فلم يكن بمستطاع خزينة الدولة المفلسة فتح باب جديد للصرف ، لذا بقيت معظم الوعود التي بذلت لرؤساء العشائر على الورق فقط . وأكثر من ذلك أن الجهات المسؤولة لم تستطع حتى ضمان الخيول « للفرسان » الذين لم تكن لديهم خيول أو أن خيولهم لم تكن صالحة للاستخدام العسكري ، وكان هؤلاء وأولئك يؤلفون الأكثرية الساحقة من المنخرطين في صفوف الحميدية . ثم إن المسؤولين عن تنظيم هذه الفرق وجدوا الفرصة سانحة لضمان موارد كبيرة لأنفسهم وذلك عن طريق الاختلاس والاحتيال وحتى الاغتصاب . وهكذا كان من الطبيعي أن تكون الفرق الحميدية ناقصة العدد والعدة ، قليلة الامام بالفنون العسكرية الحديثة . فحتى النهاية لم يصبح بالامكان تشكيل مئة آلاي حميدي من العشائر الكردية والعربية كما كان مقرراً ولم يبلغ عدد الخيالة في الكتيبة الواحدة

ثلاثمئة شخص الا في حالات جد نادرة ، بينما كان من المقرر أن يصل الى خمسمئة خيال وهذا أدى الى أن يكون ما لا يقل عن نصف المنضمين الى الفرق الحميدية من المشاة لا الفرسان مع أن التعليمات نصت على أن يكونوا جميعاً من الصنف الأخير فقط .

ومع ذلك فقد حاول المسؤولون بعد ثورة العام ١٩٠٨ ، ومع اقتراب الحرب ، تحويل الفرق الحميدية تحت واجهات أخرى الى قوة فعالة تستطيع أداء دور من شأنه تخفيف ضغط الأعداء على الجيوش النظامية العثمانية ، فأضيف صنف مدفعي الى تشكيلاتها . الا أنها ظلت تؤلف ، مع ذلك ، قوة غير قادرة على التحرك الجدي ، بل انها فقدت كل احترام لها بين الناس ، فكانوا ينظرون اليها بازدراء ولاسيما وأنها تحولت في العديد من المناطق الى عبء ثقيل على كواهلهم . ثم ان ثقة المسؤولين أنفسهم بهذه الفرق بدأت تزعزع هي الأخرى خاصة بعد أن لاحظوا الفتور الواضح الذي بات يخيم على المنخرطين في صفوفها . وتوجد حالات كثيرة رفض فيها رؤساء العشائر الملتحقون بالحميدية الامتثال لأوامر السلطة بالتوجه لقمع حركات واتفاضات كانت تقع هنا وهناك في سبيل الانعتاق من النير العثماني . فان ابراهيم باشا رئيس عشائر الملي المعروفة مثلاً رفض الاشتراك في الحرب ضد اليونانيين ولم يوافق على أن يزوج بأتباعه في الحملات الموجهة ضد الثوار اليمانيين^(٢١) مع

(٢١) راجع :

Лазарев М.С., Курдский вопрос (1891-1917), Москва, 1972, стр.115, 398.

٢٠٠٠ س. لازاريف ، القضية الكردية (١٨٩١ - ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٧٢ ، الص ١١٥ و ٣٩٨ . (في الهوامش القادمة : M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . .). راجع أيضاً : الدكتور أحمد عثمان ابوبكر ، اكراد الملي و ابراهيم باشا ، بغداد ، ١٩٧٣ ، الص ٤٧ .

أنه كان يتمتع بحظوة كبيرة لدى شخص السلطان عبدالحميد الثاني الذي منحه لقب الباشا الرفيع لاجابه الشديد بمغامراته الواسعة . ويبدو أنه لم تكن للسلطات العثمانية ثقة كبيرة حتى بتلك العشائر الكردية التي كان رؤساؤها يعتبرون أنفسهم من أخلص الناس لسدة « الخلافة العثمانية » ، لذا نصت تعليمات تشكيل الحميدية على توزيع الأسلحة على « الفرسان » أثناء التدريب أو التوجه نحو ميادين القتال فقط ، وفيما عدا مثل تلك الحالات كانت الأسلحة تجمع في أقرب حامية عسكرية .

في مثل هذه الظروف اضطر المسؤولون العثمانيون لبذل جهود كبيرة خارج نطاق التشكيلات الحميدية من أجل كسب ود رؤساء العشائر الكردية الأخرى لأنهم كانوا يدركون أن ثغرة ملموسة ستقع في مقدرتهم القتالية أثناء الحرب ان لم تنضم تلك القبائل اليهم . كان حكام الأمبراطورية يريدون اقامة سد منيع من العشائر الكردية بوجه القوات الروسية من جهة وتحولها الى أداة للتغلغل في ايران من جهة أخرى ، لذا حاولوا التقرب من جميع الرؤساء المتنفذين في كردستان وكانوا يبذلون لهم الوعود المسولة لدفعهم الى تحقيق أهدافهم تلك .

لكن جهود الأتراك ومساعدتهم في هذا المضمار كانت قليلة الفائدة وعديمة الجدوى الى حد كبير ، فلم يلب نداءهم الا عدد محدود من رؤساء العشائر الكردية ، في حين أن رؤساء عشائر كردية آخرين كانوا يعلنون دونما خوف أو وجل أنهم سينتفضون اذا ما حدثت حرب ضد الجيش التركي وسينضمون الى الروس . وما يجدر ذكره بهذا الصدد أن عدداً من الوطنيين المستأين كانوا يساندون هذه الفكرة الى حد كبير ، فقد جعلتهم المظالم العثمانية بعيدين عن أن يقيموا بشكل سليم مطامع الطبقات الحاكمة الروسية وخطتها .

لم يطرأ تبدل ما على سياسة الأوساط العثمانية الحاكمة تجاه الشعوب غير التركية بعد انتصار ثورة الاتحاديين في العام ١٩٠٨ ، بل على العكس من ذلك ظهرت عوامل محرّكة جديدة في المجال السياسي بالنسبة للقوى الوطنية لهذه الشعوب نجمت عن الخيبة الكبرى التي أصيبت بها بسبب النهج غير المتوقع الذي سار عليه الاتحاديون بعد تسنّمهم السلطة . فاذا كان السلطان عبدالحميد الثاني يريد جعل الدعوة الى الجامعة الاسلامية وسيلة للحفاظ على كيان امبراطورته فان الاتحاديين تبنا لنفس الغاية سياسة قومية متطرفة جاءت على طرفي تقيض مع مصالح الشعوب الداخلة في نطاق الدولة العثمانية ، بما في ذلك الشعب التركي نفسه . وفي البداية تمت صياغة هذه السياسة في اطار الدعوة الى الوحدة العثمانية التي كانت تستهدف تحويل جميع شعوب الامبراطورية الى «أمة عثمانية» واحدة . ولم يخف الاتحاديون الهدف الحقيقي من سياستهم هذه ، فقد صرح جمال باشا ، وهو من أركانهم البارزين ، صرح قائلاً « اننا لا تتبع سياسة تركية ، بل تتبع سياسة الوحدة العثمانية » ، الا انه أضاف على ذلك قوله ان الشعب التركي هو الذي يشكل « حجر الزاوية » بالنسبة لكل الامبراطورية العثمانية^(٢٢) . وكما يقول المتخصص المعروف في دراسة تأريخ تركيا الحديث البروفيسور أ. ف. ميلر فان الاتحاديين كانوا يقصدون من فكرة الوحدة العثمانية « تترك جميع الشعوب الأخرى » لا غير^(٢٣) . وعندما اعتقد هؤلاء أنهم لم يبقوا بحاجة الى عرض أفكارهم المتطرفة بشكل غير مباشر بدأوا يجاهرون بها علناً . ففي قرار اتخذته جمعية الاتحاد والترقي في ربيع العام ١٩١١ أعلن الزعماء الجدد أنه

(٢٢) في الواقع كان العرب هم الذين يشكلون الاكثرية العددية في الامبراطورية العثمانية .

A. F. Miller, Op. Cit., P. 20.

(٢٣)

لا بد من عثمة جميع العناصر غير التركية عاجلاً أم آجلاً وأنه لا يمكن « تحقيق ذلك عن طريق الاقتناع » بل يجب اللجوء الى استخدام القوة لاجبارها على ذلك (٢٤) .

كان الاتحاديون يحاولون ايجاد تبريرات واهية لمثل هذه السياسة التي استهدفت شعوب الامبراطورية العثمانية دون استثناء . فقد كتبت صحيفة « تين » (التين) الناطقة باسم جمعية الاتحاد والترقي تقول : « الحرية شيء جيد ، ومن شأن منحها للاقليات القومية (٢٥) كسب عطف أوروبا الى جانبنا . الا أننا معشر الأتراك ، ضعفاء اقتصادياً ، فاذا منحنا الشعوب الأخرى الحرية السياسية أيضاً فان ذلك يعني أننا أعطيناهم عنصراً جديداً للتفوق علينا » (٢٦) . ولم يتعظ الاتحاديون بالفشل الذريع الذي لحقهم في مناطق البلقان من جراء سياستهم هذه ، لذا زاهم يخطون خطوة أخرى الى الوراء عندما تبناوا قبيل الحرب مباشرة سياسة التتريك التي حلت علانية محل فكرة الوحدة العثمانية . وكان من الطبيعي أن تثير السياستان الشعوب العربية (٢٧)

Ibid, PP. 20 — 21.

(٢٤)

(٢٥) كانت الاوساط الحاكمة تعتبر جميع الشعوب غير التركية الداخلة في الامبراطورية العثمانية اقلية قومية .

(٢٦) مقتبس من :

Гордлевский В.А., Избранные сочинения, т. III, (История и культура), Москва, 1962, стр. 81.

الاكاديمي ف. ا. كردليفسكي ، مؤلفات مختارة ، الجزء الثالث (تاريخ وثقافة) ، موسكو ، ١٩٦٢ ، المص ٨١ . (في الهوامش القادمة : V. A. Gardlevski . . .) .

(٢٧) توجد عشرات من المصادر العربية التي ألفت الضوء على معظم جوانب ذلك الاستياء وطابعه ، والمهم أن بعضاً منها يعود الى أيام حكم الاتحاديين انفسهم فقد ألفها اناس عاصروا الاحداث وراقبوها عن كتب ومنهم من

والأرمنية^(٢٨) والكردية وغيرها الى حد كبير ، فقد وقف ضدّها في البرلمان علانية نائب درسيم الكردي لانها أدت على حد قوله الى « وأد فكرة الحكم اللامركزي بالقوة على أيدي الاتحادين »^(٢٩) .

اتخذ الاستياء في كردستان طابعاً مميزاً وذلك بفعل عدد من العوامل المتشابكة ، فمن جهة أدى الأمر الى حدوث مد ثوري تقديمي ومن جهة أخرى الى انتعاش رجعي متخلف . فأولى الحركات التي وقعت ضد الاتحادين قام بها بعض رؤساء العشائر الكردية من الموالين للسلطان عبدالحميد والذين توجسوا الخيفة من النظام الجديد بدوافع ذاتية لا قومية . فلم يكن قد مضى شهر ونيّف على انتصار الاتحادين عندما رفع ابراهيم باشا الملي عصا العصيان ضدهم واستطاعت قواته المتكوّنة من عدة آلاف مسلح السيطرة على مناطق واسعة بين أرزنجان وديرالزور . وكما يذكر ك. ز. ألييف في بحثه المفصل عن تركيا في عهد الاتحادين فان تحرك ابراهيم باشا أثار « تخوفاً كبيراً في نفوس الأتراك الفتيان لطمهم بأن من المحتمل أن يؤدي انتصاره الى هز كل أساس الحكومة التركية في آسيا الصغرى »^(٣٠) لذا وجهوا ضده قوة كبيرة

اشترك فيها مباشرة ، لذا تعتبر مؤلفاتهم مصادر أصيلة في هذا المجال .
ودرس المؤرخون العرب والأجانب الموضوع نفسه بشيء من الاسهاب .
(٢٨) تنطبق المقولة الواردة في الهامش السابق على الأرمن أيضاً ، فتوجد مصادر أصيلة كثيرة ودراسات عميقة مختلفة تبين أوجه الاستياء الأرمني

المشروع .

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 83.

(٢٩) راجع :

(٣٠)

Алиев Г.З., Турция в период правления младоту-
рок, Москва, 1972, стр.188.

ك. ز. ألييف ، تركيا في عهد الأتراك الفتيان ، موسكو ، ١٩٧٢ ، الص ١٨٨ . (في الهوامش القادمة : G. Z. Aliev . . .)

تألف من اثنتين وعشرين كتيبة بقيادة نشأت باشا ، تمكنت من قمع الحركة بعد معارك دامية^(٣١) . وقعت حركات أخرى مشابهة في عدد من المناطق الكردية الا أنها لم تؤد الى نتائج ملموسة . وقد لاحظ م. س. لازاريف ، بحق ، أن مثل هذه الحركات ماكانت لتستطيع الاستمرار باهتمام الجماهير الكردية لولا سياسة الاتحاديين أنفسهم ولولا حقيقة أن آثار الثورة لم تصل الى الجبال الكردية ، وهو يستند في الفقرة الأخيرة من رأيه الى وثائق قنصلية مهمة و الى ما ذكره بعض الغربيين بهذا الصدد في حينه^(٣٢) .

ولكن حدث مقابل ذلك مد ملحوظ في الحركة القومية الكردية ذات الطابع الديمقراطي الواضح^(٣٣) . ومما كان يؤدي الى اضمحاء مضمون اجتماعي على هذه الحركة ، الوضع المتردي للحياة الاقتصادية والاجتماعية في كردستان ما قبل الحرب ، شأنها في ذلك شأن معظم المناطق الأخرى من ايران

(٣١) راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 148 — 149.

راجع ايضا : الدكتور احمد عثمان ابوبكر ، المصدر السابق ، الص ٥٢ -

٥٥ .

M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 148, 406. (٣٢)

(٣٣) لايمكن الاتفاق مع المؤرخ الأذربيجاني السوفيتي ك. ز. البييف في قوله

ان الحركة الكردية اتخذت طابعا ديمقراطياً فقط عندما بلغت سياسة الصهر التي تبناها الاتحاديون درجة لا تحتمل (G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 189 — 190) . حيث ان الطابع الديمقراطي الذي يتحدث عنه

المؤرخ كان في الواقع موجوداً منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وقد جاء ميلاده بحكم عوامل موضوعية محددة حتمت ظهوره ، وكان له دوره في تمهيد الطريق لانتصار ثورة الاتحاديين التي أدت بأحداثها الإيجابية والسلبية الى تعميق ذلك الطابع بشكل ملموس . وكما لا يخفى على الدكتور البييف فان أرشيفات الاتحاد السوفيتي مليئة بالوثائق والتقارير المهمة التي تعود الى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ومن شأنها القاء أضواء كاشفة على هذا الجانب الحساس من التاريخ الكردي الحديث كما فعل زميله الدكتور لازاريف .

والبلاد العثمانية ، فازداد عدد الأكراد الذين ينادون بضرورة تلبية المطالب القومية والاجتماعية المشروعة لشعبهم ، مما تجلّى في اتساع بعض النشاطات السياسية والاجتماعية . فقد تكاثرت عدد الجمعيات والمنظمات الكردية وكان تأثيرها بين الناس ، ولاسيما بين المثقفين ، في نمو مطرد ، وهي بدأت تنشر على نطاق واسع البيانات والنشرات المليئة بالآراء المتحررة وبالغضب المشروع ازاء نفس السياسة المتخلفة التي أثارته حتى الشعوب الأخرى أيضاً . ومن بين تلك النشرات كانت احداها تحمل مثل هذا العنوان المعبر : « هذه الأرض أرضنا » . انتقدت هذه النشرة سياسة الاتحاديين بشدة ، وحسب المعلومات الواردة في التقارير القنصلية التي تعود الى ذلك العهد فانها تركت صدى عميقاً بين أوساط الناس وكانت تصل الى زوايا قصية من كردستان^(٣٤) . ومن الجدير بالذكر أن تلك البيانات والنشرات كانت تصدر في مدن مثل دياربكر وغيرها ، كما كان بعضها يصدر في كردستان ايران ، الا أن نسخاً منها كانت ترسل بطريقة خاصة الى بعض التكايا النقشبندية في بهدينان حيث توزع من هناك . وكما يروي الأستاذ صديق الدمولوجي كانت هذه النشرات تلقى « في التكايا الدينية . . . رواجاً [بين الناس - المترجم] ويقرأونها ويتفهمونها » بينما كان البعض ممن « تصل اليهم هذه البيانات والمنشآت يرفعونها الى الحكومة دلالة على صداقتهم واستنكاراً لهذه الجمعيات التي تعمل « لتسميم الأفكار » على حد تعريف الحكومة لها »^(٣٥) .

وفي تلكم السنوات أيضاً كانت بعض الجمعيات والمنظمات الكردية التي

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 200.

(٣٤) راجع :

(٣٥) صديق الدمولوجي ، المصدر السابق ، الص ٩٤ - ٩٥ .

تكونت ابان انتصار ثورة الاتحاديين^(٣٦) ، تعمل بصورة علنية وتنشر بياناتها وكانت مكاتمتها تتعزز باستمرار ولاسيما بين المثقفين . كانت جمعية «هيثي» للطلبة الأكراد (كورد طلبه هيثي جمعيتي) أكثر الجمعيات الكردية نشاطا في فترة ما قبل الحرب ، بل انها استطاعت أن تنشئ لها فروعا في بعض المدن الأوروبية ، وكان لهذه الجمعية لسان حال خاص يسمى « روژا كورد » (يوم الكرد) ثم أبدل الاسم الى « هه تافى كورد » (شمس الكرد) ثم الى « ژين » (الحياة) ولم تتوقف « هيثي » عن العمل حتى بداية الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لم تستطع فيما بعد مواصلة العمل ، شأنها شأن الجمعيات والمنظمات الكردستانية الأخرى ، وذلك بسبب سوق معظم كوادرها الى الجيش .

ومن الجمعيات السياسية الفعالة الأخرى في كردستان تركيا آتذ ، (جمعية رقي الكرد وتقدمهم) « كومهلى تعالى وترقي كورد » التي كانت أول منظمة سياسية كردية وقد تجمع حولها عدد من مشاهير رجال الكرد من أمثال أمين عالي بدرخان وشرف باشا والشيخ عبدالقادر الشيرزني^(٣٧) . ولكن السياسة الشوفينية للاتحاديين جعلت نشاط هذه الجمعية لا تتعدى في الفترة التي سبقت الحرب نطاقا ضيقا .

(٣٦) جمع قسم مهم من المعلومات الواردة في هذا الفصل ، ولاسيما مايتعلق منها بنشاط المنظمات والجمعيات السياسية ورؤسائها ، من قبل المؤلف نفسه . وقد استفاد في هذا المجال استفادة كبيرة من الاستاذين ممدوح سليم وأكرم جميل باشا اللذين ساهما في انشاء معظم تلك الجمعيات ، واتصل مرارا بالاستاذ اسماعيل حقي شاويس بقصد التقصي والمقارنة توخيا للأمانة العلمية .

(٣٧) راجع : الدكتور بله ج شيركوه ، القضية الكردية . ماضي الكرد وحاضرهم ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، الص ٥١ .

ومع أن الوطنيين في كردستان تركيا كانوا في تلك الفترة ، ولأسباب خاصة ، أكثر نشاطاً من زملائهم في الأجزاء الأخرى من كردستان ، إلا أنه كان يمكن الاحساس بالنهوض والاستيقاظ في كردستان ايران كذلك . فقبل الحرب ، وفي سنوات الحرب ذاتها ، كانت « جمعية استخلاص كردستان » تعمل بنشاط وجد . وقد رفعت شعارات قومية واضحة المعالم . وفي تلك الآونة كذلك [العام ١٩١٢] تأسست في كردستان ايران أيضاً جمعية « جهانداني » (معرفة العالم) . كانت هذه الجمعية تحاول قيادة النضال الكردي في مسار صحيح وفي اطار موحد (٢٨) .

كان أحد الأوجه الجديدة المهمة للنضال الثقافي للجمعيات والمنظمات والشخصيات السياسية الكردية المعروفة في تلك الفترة ، الاهتمام بنشر الدراسة والتعليم بين الأطفال والشباب الكرد اليافعين وخدمة اللغة الكردية وأدب الشعب الكردي باعتبار أن اللغة والأدب عاملان فعالان لصيانة العادات والمشاعر القومية وتنميتها بين جماهير الشعب . كان الأستاذ خليل خيالي أحد الذين أولوا هذا الموضوع اهتماماً خاصاً في نضالهم اليومي . لقد كان هذا الوطني المخلص يشوق المثقفين الكرد في أن ينظروا الى هذه المهمة الملقاة على عاتقهم نظرة بعيدة ، وكان يتحدث في كل مجال عن أن الأمية احدى

(٢٨) راجع :

Фаризов И.О., Место национально-освободительного движения курдов в борьбе народов Ближнего и Среднего Востока против империализма, Канд. дисс. (реферат), Москва, 1953, стр.19.

اي. و. فاريزوف ، مكانة حركة التحرر القومي الكردية في نضال شعوب الشرقين الأدنى والأوسط ضد الامبريالية (خلاصة رسالة دكتوراه) ، موسكو ، ١٩٥٣ ، الص ١٩ .

الطل الكبرى التي يعاني منها المجتمع الكردي . وبدفع من الأستاذ خيالي أسس عدد من المثقفين من تلامذته ورفاقه (الجمعية الكردية لتعميم المعارف) « كورد تعميم معارف جمعيتي » التي فتحت قبل الحرب مدرسة خاصة في استانبول للصبية الكرد^(٣٩) .

وفي تلك الآونة أيضا كان عبدالرزاق بدرخان ذو الشهرة الواسعة ، قد احتل مكانة الأستاذ خيالي بين أكراد ايران ، وكان يعمل بهمة ونشاط لنشر العلم والمعرفة في صفوفهم ، وكان أحد المواضيع المهمة في ديوانه العام التحدث عن قيمة تحصيل العلم وترغيب الناس في الاهتمام به . ولم يتوقف نشاط عبدالرزاق بدرخان في هذا المضمار عند هذا الحد . ففي أوائل العام ١٩١٣ أسس جمعية ثقافية في مدينة خوى ، وكان ينوي انشاء مطبعة لها أيضا واصدار جريدة باسم الجمعية وأن يفتح بعد ذلك عدة مدارس كذلك . ان الخطوة الأهم والأكثر مغزى والتي خطتها هذه الجمعية هي فتح أول مدرسة كردية في مدينة خوى من المبالغ التي تبرع بها أهالي المنطقة أنفسهم وقد افتتحت هذه المدرسة في الرابع من تشرين الثاني من العام ١٩١٣ وأقيم بهذه المناسبة احتفال كبير في المدينة . كان عدد تلامذة الدورة الأولى ٢٩ شخصا وكانوا يتلقون دروسهم باللغة الكردية ويستخدمون في الكتابة الألفباء الروسية ، كما كانوا يدرسون اللغة والأدب الروسيين كذلك . وكان في المدرسة مستشفى صغير أيضا^(٤٠) .

(٣٩) كان التعليم في هذه المدرسة باللغة الكردية ، وكان تلاميذها يربون بروح وطنية ، ولكن لم تلبث المدرسة طويلا حتى اضطرت لغلاق أبوابها .

(٤٠) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 227 — 228.

راجع كذلك : الدكتور كمال مظهر أحمد ، أول مدرسة كردية في ايران ، « التأخي » (صفحة « الثقافة الكردية » - ٨ -) ، ٢٠ تشرين الثاني (١٩٧٣) .

وفي الوقت نفسه فان هناك وثائق قيمة تدل على اهتمام الشخصيات السياسية المثقفة في كردستان باللغة والأدب الكرديين قبل بداية الحرب بفترة^(٤١) . وهذا ، كما هو واضح ، خطوة كبيرة ومهمة بالنسبة للحياة السياسية والاجتماعية لأي شعب . كانت المنظمات والشخصيات السياسية في كردستان تركيا ، وفي الدرجة الأولى الأستاذ خليل خيالي ، بدأت تفكر في أمر ايجاد نهج خاص لتقريب الكرمانجية والسورانية^(٤٢) من بعضهما . وفي كردستان ايران طلب عبدالرزاق بدرخان في شباط من العام ١٩١٣ من روسيا من خلال وكيل القنصل الروسي في خوى ارسال المستشرق والمستكرد الروسي المعروف أوربيللي^(٤٣) الى كردستان لوضع قواعد اللغة الكردية ولتأليف قاموس كردي ولترجمة النتاجات الأدبية الروسية الى اللغة الكردية ،

(٤١) اهتمت (كردستان) ، وهي اول جريدة كردية كما ذكرنا ، اهتماما كبيرا ، بنشر الادب الكردي ، وكانت تسمى بصورة خاصة لاثارة مشاعر قرائها الكرد من خلال نشر اشعار (أحمدى خاني) وتطلب منهم أن يصفوا بانتباه لنصائحه وتوجيهاته (راجع ، مثلا ، : «كردستان» ، العدد ٦ ، جنييف ٢٥ جمادي الاولى ١٣١٦ ، ٨ تشرين الاول ١٨٩٨) . [اعيد طبع الأعداد ١ - ٣١ من هذه الجريدة ، باستثناء الأعداد ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٩ منها ، في بغداد ، بالافسيت ، في العام ١٩٧٢ من قبل الدكتور كمال فواد ، الذي قدم لها بمقدمة موجزة باللغة الكردية . وقد اطلعنا نحن على النسخ الأصلية لبعض اعداد الجريدة وحوّلنا تواريخ الصدور أينما وردت في كتابنا هذا الى التاريخ الميلادي أيضا تسهيلا للقاريء] .

(٤٢) المقصود بهما اللهجتان الكرمانجية الشمالية والكرمانجية الجنوبية وهما اللهجتان الرئيستان في اللغة الكردية وتليهما من حيث الأهمية اللرية والكورانية - المترجم .

(٤٣) المستشرق الروسي والسوفياني المعروف يوسف أبكاروفيتش أوربيللي (١٨٨٧ - ١٩٦١) أحد العلماء رفيعي الشأن الذين أحبوا الكرد من أعماق قلوبهم . وقد اهتم باخلاص بالدراسات الكردية . أسس القسم الكردي في معهد الاستشراق في لينينغراد بناء على اقتراح منه .

كما طلب انشاء قسم كردي في مؤسسة الاستشراق في بطرسبورغ . وكان بدرخان يفكر في أن المهمة الأولى لهذا القسم ستكون وضع النباء خاصة باللغة الكردية بمساعدة الألقباء الروسية .

ومما يجدر بالذكر أنه في سنوات ما قبل الحرب لم يكن المرء يحسن في كردستان الجنوبية (كردستان العراق) بمثل تلك الحركات والنشاطات التي كان يحسن بها في كردستان ايران وبصورة خاصة في كردستان تركيا . الا أن تأسيس الجمعيات والمنظمات في كردستان تركيا ومطبوعات تلك الجمعيات والمنظمات ، تركت صدى في بعض المناطق من هذا القسم من كردستان أيضا . وكما ذكرنا من قبل ، فإن نسخا من المطبوعات السياسية السرية التي كانت تطبع في كردستان تركيا ، كانت تصل الى بعض أنحاء بهدينان . وقبل الحرب بفترة قليلة ، بدأ جمال الدين بابان يصدر مجلة كردية - تركية باسم « بانك كرد » (نداء الكرد) حيث كان يطبعها في مطبعة الآداب ببغداد ويوزعها من هناك^(٤٤) .

ان ما يجب أن تلفت اليه الأظار هنا بصورة خاصة هو أن الاحساس القومي قد تجلى في العديد من مواضيع هذه المجلة . فقد تحدثت «بانك كرد» في احدى مقالاتها باسهاب عن أهمية التعليم ودوره في حياة الشعوب . وقد مثلت المجلة لذلك باليابان وبريطانيا ، فكتبت تقول :

(٤٤) طبع العدد الاول من هذه المجلة في الثاني عشر من ربيع الأول من العام ١٣٣٢ الهجري [الثامن من شباط من العام ١٩١٤] . تتكون أعدادها الاول والثاني والثالث مجتمعة من ٧٢ صفحة ، اي يتألف كل عدد منها من ٢٤ صفحة .

« وعلى سبيل المثال^(٤٥) ، اليابان ! ماذا كان هذا الشعب الصغير ! والله انه لم يكن شيئاً . الا أنهم بفضل السعي وتقدير قيمة الوقت هزموا دولة عظيمة كروسية ومزقوها شر مزق ! »

« على سبيل المثال ، انكلترا : انهم بشر مثلنا كذلك . ولكن لماذا يخلقون بفضل عقولهم وفكرهم تلك الاختراعات والابتكارات التي تجنن الانسان وتجعل كل شخص مضطرا لتعظيمهم وتقدير أشخاصهم »^(٤٦) .

وفي الوقت نفسه ، كانت « بانك كرد » تطالب بتأسيس الجمعيات وفتح المدارس . وبهذا الصدد كتبت في أحد أعدادها قائلة :

« . . من أجل ذلك نلح في الصراخ والتشكي والتوسل قائلين فلتفتح في بغداد جمعية تؤسس بمساعيها وترغيباتها المدارس في كل مكان وتنقذ جماعة الكرد من هذا الجهل . فلنعلم من ذا من الأكراد يرفع رأسه لينال هذا الشرف العظيم . ولكن وأسفاه ، فان هذه الخدمة لا تؤدي بشخص أو شخصين . ولو كان الامر كذلك ففي بغداد كثيرون يشخصون بأبصارهم بانتظار تحقيق هذه الخدمة »^(٤٧) .

وها نحن ننشر هنا أبحاثنا من إحدى القصائد التي كانت تنشر في أعداد « بانك كرد » ، وهي بحد ذاتها دليل على انتشار الأحاسيس القومية وبلوغ ما كان يعرف بمصر التنوير وعلى اهتمام المثقفين الكرد بالمجلة المذكورة :

« ينبغي أن تتحد في سبيل رقي الدولة والأمة

الأولى بذل الهمة ، فدعونا لا نضيع هذه الفرصة .

(٤٥) آثرنا ترجمة النص من المجلة بصورة حرفية ، رغم ما يلاحظ فيها من ركة - المترجم .

(٤٦) « بانك كرد » ، الممدد ٣ ، ١٣٣٢ ، الص ٦٨ .

(٤٧) المصدر السابق ، الص ٦٩ .

تراب الوطن هو المكان الذي نصون فيه ديننا وشريعتنا
وعمرانه انما هو بوفرة العلوم والفنون والصناعات
فاذا جرى الأمر على هذا النحو ،
فان الوطن سيكون منورا وعامرا
وسنجد نحن من قبضة هذه المذلة
معاذة العلوم والمعارف تدمر دارنا
انها داء وبيل ومهلك فلنعالجه . .
« بانك كرد » هي حقا طبيب أسقام هذا القوم
فلنستيقظ من منام الغفلة والوحشة
ولتدم هي حتى يوم القيامة لشفاء هذه الأمة
ان أوضاع العصر وأحواله طعنة فينا ودروس يتعظ بها » (٤٨) . .

وكانت « بانك كرد » تنشر في الوقت ذاته مقالات باللغة التركية في تاريخ
الشعب الكردي (٤٩) ، كما كانت تهتم في حدود امكانيات تلك الأيام ومستوى
الفهم السائد فيها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب الكردي (٥٠) . وكل

(٤٨) هذه الأبيات من قصيدة نشرت في العدد الثالث من « بانك كرد » باسم
(صائبزاده سليمانيه لي محمد عارف) الص ٦٨ - ٦٩ . [كان المومى اليه
معروفا في السليمانية باسم (عارف صائب) وهو من المنورين الكرد وله
قصائد في التنديد بالحرب العالمية الأولى ، وقد مات في حادث اغتيال
سياسي في عهد حكومة الشيخ محمود - المترجم] .

(٤٩) نشر شكري الفضلي مقالا طويلا في عدة اعداد من (بانك كرد) بعنوان
« تاريخ الكرد في صدر الاسلام » .

(٥٠) نشر مقال باللغة التركية في العدد الثالث من هذه المجلة ، (الص ٦٤ -
٦٦) بعنوان « كردلده زرامت » اي : الزراعة بين الاكراد .

ذلك أدلة لا يرتقي إليها الشك على أن الاحساس القومي بين الشعب الكردي في العراق أيضا ، كان في الفترة ما قبل الحرب في غليان وتحول ، الأمر الذي ينهض عليه الدليل كذلك في أعمال الشيخ محمود في تلك الآونة ، ولاسيما اقامته الصلات مع البدرخانين . فقد سعى في العام ١٩١٣ للاتفاق مع كامل بيك وحسين بيك ولدي بدرخان باشا للنضال في سبيل تخطيط كردستان من السيطرة العثمانية واقامة دولة فدرالية كردية فيها . وفي تلك الأثناء أيضا بعث رسائل حول المستقبل السياسي لكردستان الى المسؤولين الروس .

لم يؤد هذا النضال السلمي ، الذي رافقه نضال مشابه أوسع مدى بين الشعبين العربي والأرمني ، ولا النتائج السلبية الكبيرة التي تمخضت عن سياسات الاتحاديين الخاطئة ، الى حدوث تغير ولو جزئي في النهج الذي تبناه هؤلاء . بل على العكس من ذلك تماما ازداد تمسك الاتحاديين بسياساتهم تلك مع اقتراب الحرب ومع تفاقم المشاكل المعقدة التي كافت تعاني منها الأمبراطورية بأسرها . فسرعان ما أصيب الفلاحون والعمال ، من الأتراك وغيرهم ، بخيبة أمل كبيرة بعد أن كانوا قد علقوا آمالا جساما على زوال عهد السلطان عبدالحميد المتخلف ، ذلك لأن العهد الجديد فشل بدوره في تحقيق أي مكسب ملموس لهم . فلم يستطع الاتحاديون تبني سياسة زراعية جذرية من شأنها وضع نهاية للعلاقات الاقطاعية القائمة أو على الأقل التخفيف من آثار الاستغلال الاقطاعي الذي اتخذ قبل مجيئهم أسوأ شكل له . وجاء ذلك بمثابة انعكاس طبيعي لواقعهم الاجتماعي ، فانهم كانوا ينتمون بأغليبيتهم الساحقة الى العوائل الأرستقراطية - الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة . ومن هنا لاغرابة في أن يقابل تصريح وزير الداخلية في البرلمان حول عدم نية الحكومة التدخل في العلاقات القائمة بين أصحاب الأراضي والفلاحين، بتصفيق حاد من النواب الذين كان بينهم عدد كبير من الاقطاعيين الذين يمتلكون

هم أو عوائلهم مئات القرى !! •

إذا كان من الطبيعي أن تفشل سياسة الاتحاديين الزراعية فشلاً ذريعاً مع أنها بدأت تستهدف ، بحكم التطور وتحت ضغط بعض الظروف ، تطبيق الأسلوب الرأسمالي في الإنتاج والعلاقات الى حد ما . وقد ظلت الضرائب تثقل كالسابق كواهل الفلاحين مع أن الاتحاديين تمهدوا بإجراء تعديل فيها ، ولا سيما في ضريبة العشر التي تحولت الى عبء ثقيل للغاية على عاتق الفلاح لأنها كانت تجمع بوساطة الملتزمين الذين لم تتزعزع مواقعهم بعد ثورة العام ١٩٠٨ ، وبشكل خاص في المناطق الكردية والولايات البعيدة . ولم يكتف المهد الجديد بذلك بل انه زاد على الضرائب الكثيرة السابقة ضرائب اخرى جديدة، فقد زاد ضريبة المواشي والبناء وغيرهما . وكان من الطبيعي ان يؤدي كل ذلك الى زعزعة ثقة الفلاحين بالنظام الجديد فحدثت انتفاضات وتحركات فلاحية في مناطق مختلفة منها الأصقاع الكردية كما حدث مثلاً في منطقة دياربكر .

لم يطرأ أي تغيير على أوضاع العمال أيضاً . فبالرغم من الآمال الجسام التي علقها هؤلاء على المهد الجديد ، ظل يوم العمل كالسابق لا يقل عن ١٤ ساعة الا فيما ندر ، كما لم يحدث أي تبدل في مستوى أجورهم ، علماً بأن الحركة العمالية بدأت تتبلور وتحول الى قوة اجتماعية ملموسة قبل مجيء الاتحاديين الى الحكم بفترة غير قصيرة ، وقد توضحت أهداف العمال آنذاك في جملة مطالب مشروعة لم تكن الاستجابة لها أمراً معقداً بالنسبة لرجال المهد الجديد. على أي حال لم تمض على انتصار ثورة العام ١٩٠٨ سوى مدة قصيرة حتى عمت الاضرابات العمالية أنحاء مختلفة من البلاد ، فحاول المسؤولون « معالجة » الوضع بسن قوانين وأصدروا قرارات في صيف العام ١٩٠٩ تمنع الاضرابات والاجتماعات العمالية وتحول دون تأسيس النقابات وتعاقب

العاطلين عن العمل بحجة منع التسول . الا أن هذه الاجراءات لم تحل دون وقوع اضرابات عمالية جديدة ، منها الاضراب الكبير الذي قام به عمال السكائر والتبوغ في استانبول وسالونيك والذي استمر في الأولى منها لمدة ٥٠ يوماً وفي الأخيرة لمدة ٢٠ يوماً . رفع العمال خلال هذا الاضراب شعارات حول زيادة الأجور بنسبة ٣٠٪/ وتحديد يوم العمل بثمان ساعات فقط^(٥١) .

أدت هذه الأوضاع ، الى جانب السياسة الشوفينية للحكام ، الى تأزيم الوضع السياسي واحتدام الصراع بشكل لم يسبق له مثيل . فيكفي القول ان الاتحادين اضطروا خلال سنوات حكمهم العشر لتغيير الوزارة ١٤ مرة ، وهي رقم قياسي في تاريخ تركيا لم تشهد له مثيلاً من قبل . وقد جرى أهم تلك التغييرات قبيل الحرب مباشرة عندما قام أنور بيك وطلعت بيك [صارا يلقبان بالباشا فيما بعد] على رأس حوالي ٢٠٠ ضابط اتحادي بانقلاب في كانون الثاني من العام ١٩١٣ قتل أثناءه وزير الحربية واعتقل رئيس الوزراء وعدد من كبار شخصيات الدولة ثم شكلت حكومة اتحادية جديدة برئاسة محمود شوكت باشا .

اعتزمت الحكومة الجديدة منذ اللحظة الأولى تبني سياسة دكتاتورية في جميع المجالات . وقد ساهم اغتيال محمود شوكت باشا بعد مرور حوالي خمسة أشهر فقط على تسلمه رئاسة الوزارة ، في تعجيل ظهور حكم دموي دكتاتوري مطلق وقف على رأسه الثالث المعروف أنور باشا الذي أصبح وزيراً للحربية ورئيساً للقيادة العامة وطلعت باشا الذي كان رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي وصار وزيراً للداخلية وجمال باشا الذي صار وزيراً للبحرية وحاكماً عسكرياً في استانبول . ولم يبق للسلطان العجوز والمتشكك

محمد الخامس^(٥٢) أي دور في الحكم ، حتى يروى أنه علم عن طريق الجرائد بتعيين وزير جديد للحربية كان من المفروض أن تصدر إرادته السلطانية به . قام هذا الثالث بضرب اليمين واليسار والجماهير الشعبية والقوميات غير التركية على حد سواء ، فكان يوجد من بين حوالي الثلاثئة من الشخصيات السياسية البارزة المعتقلين في قلعة مدينة سينوب على البحر الأسود عدد غير قليل من الناس المعروفين بأرائهم المتحررة وباخلاصهم لقضية الجماهير العادلة التي وقع على عاتقها الثقل الأكبر لضيم الاتحاديين وسياستهم اللاديمقراطية . ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الأتراك المعاصرين ، ومنهم أ. ب. كوران^(٥٣) يشبهون العهد الدكتاتوري الجديد بعهد السلطان عبد الحميد الدموي .

في مثل هذه الظروف ازداد سخط الجماهير التركية وغير التركية الى حد كبير ، ولكن الاستياء كان بين الأخيرة أشد وأعم بسبب سياسة التريك البغيضة التي أصبحت هدفاً أساسياً للشالوث المتحكم . وقد تعمق طابمها الدموي نتيجة إصرار جمال باشا على استخدام القوة على نطاق واسع لقمع الحركات التحررية للشعوب الأخرى ، وكان يريد تقوية الجيش لهذا الغرض . ومن الجدير بالذكر أن جمال باشا هو نفسه الذي لقب فيما بعد بجمال السفاح من جراء الأعمال الوحشية التي ارتكبها ضد أحرار سوريا .

أما بالنسبة للجماهير الكردية فإن سخطها ونضالها في سبيل الانتماء بلغ حد الانهجار من جديد قبيل الحرب مباشرة ، وقد تجلى ذلك في بعض المناطق في شكل كفاح مسلح . لقد حدثت أكبر تلك الانتفاضات في العام ١٩١٤

(٥٢) كان يبلغ من العمر ٧٢ عاماً .

(٥٣) في كتابه «تاريخ الثورة والأتراك الفتيان» ، استانبول ، ١٩٤٥ ، الص ٣٢٨

(مقتبس من (G. Z. Aliev, Op. Ct., PP. 230, 379).

في منطقة بدليس بقيادة الملا سليم^(٥٤) وبعض الزعماء الوطنيين الآخرين ، حيث كانوا يطالبون بتنفيذ أحكام الشريعة وابعاد الموظفين الأتراك ، لأن الجهاز الاداري التركي ، كما ورد في أحد التقارير الدبلوماسية السرية لتلك الفترة ، كان ، في رأي أولئك الزعماء ، « يتنف الكرد ويبيع البلاد للأجانب »^(٥٥) .

لقد عم لهيب الانتفاضة بسرعة وانضم اليها عدد كبير من مسلحي القبائل الكردية في تلك المناطق بحيث بلغ عدد المشتركين فيها في التاسع من آذار حوالي أربعة آلاف شخص ، وبعد ذلك بيوم ، أي في العاشر من آذار تجاوز الرقم ثمانية آلاف بكثير . وهكذا فان انتفاضة كردستان الجديدة أحدثت دوبا أكبر ، حتى أن الجنود الأكراد في الجيش العثماني المرابط في تلك المناطق انجازوا اليها بأسلحتهم . كان قادة انتفاضة بدليس يريدون اشعال نار الثورة تدريجيا في المناطق الأخرى من كردستان . وتحقيقا لهذا الغرض ، فقد أرادوا تثبيت مواقع أقدامهم باديء ذي بدء بصورة كاملة في منطقة بدليس ، بل انهم طلبوا المساندة والمعونة من الأرمن والآثوريين القاطنين في تلك الديار^(٥٦) .

لقد أوقعت الأحداث ومبادرة زعماء الانتفاضة وصداها بين أكراد المناطق الأخرى ، الرعب في قلوب الحكام العثمانيين الذين أرادوا ، خوفا من عواقب الأمور ، أن يضعوا حدا للانتفاضة بأسرع وقت وبأي ثمن كان . وفي الواقع فان وضع الدولة العثمانية في تلك الآونة واقترب الحرب واستياء الشعوب غير التركية وأسباباً أخرى ، جعلت فرائص الحكام ترتعد من كل نهضة

(٥٤) يعرف باسم الملا سليم افندي الخيزاني .

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 215.

(٥٥) راجع :

A. Safrastian, Kurds and Kurdistan, London, 1948, P. 73.

(٥٦)

ازعجت محاولة زعماء انتفاضة بدليس التقرب من الأرمن والآثوريين حكام الأستانة . فقد كان هؤلاء يسعون على العكس وفي كل مجال ، لاثارة الأكراد ضد تلك الاقليات ، وبصورة خاصة ضد الأرمن .

واتفاضة . لذلك فقد أخذوا يتحركون بنشاط لقمع انتفاضة بدليس ، وعينوا لهذا الغرض واليا قوي الشكيمة للمنطقة وأرسلوه مصحوبا بقوة كبيرة الى بدليس . وفي تلك الأثناء وقع الأكراد في خطأ جسيم ، حيث تركوا مواقعهم الاستراتيجية وحاصروا مدينة بدليس واستطاعوا الاستيلاء عليها في الثالث من نيسان . الا أن ذلك أصبح في الوقت نفسه عاملا مساعدا للجيش العثماني على درجة كبيرة من الأهمية ، فقد تمكن هذا الجيش من استثمار ماجرى على خير وجه واستطاع أن يضرب الثوار الأكراد في داخل المدينة ويربكهم ويقمع بذلك انتفاضتهم^(٥٧) ، واضطر الملا سليم أفندي وبعض الزعماء الكرد الآخرين للالتجاء الى القنصلية الروسية في مدينة بدليس . وارهابا للكرد والأرمن والآتوريين ، أطلق المسؤولون العثمانيون لانتفاضة العنان لمعاملة سكان منطقة بدليس بخشونة وقسوة ، فملأوا منهم المسجون وكانوا يشنقون بين يوم وآخر مجموعة جديدة^(٥٨) .

كان الوضع في منطقة بهدينان وماوالاها قد اضطرب قبل الحرب ، وكان الناس على أتم الاستعداد لحمل السلاح ضد العثمانيين . ولهذا الغرض فقد تجمع الكل حول الشيخ عبدالسلام الذي أخذ بدوره يحث رؤساء القبائل الكردية على الاتحاد والضغط على الآستانة للتخلي عن سياسة اهمال المنطقة . ولاريب في أن الحكام العثمانيين لم يكونوا مستعدين للاصغاء الى مثل هذه المطالب ، كما لم يكن من شأنهم تحقيقها . ولذلك فإن القسم الأكبر من

(٥٧) سهل دخول الأكراد مدينة بدليس مهمة القوات العثمانية تماما ، فقد استطاعت هذه القوات في اليوم نفسه أن تترك الثوار بحيث قتلت منهم ستين شخصا [مقابل ٤ قتلى من العثمانيين] .

(٥٨) في يوم واحد فقط هو السابع من مايس من العام ١٩١٤ شنق أحد عشر زعيما من زعماء الانتفاضة في بدليس (راجع :

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 216).

منطقة بهدينان قد أعلن التمرد في ربيع العام ١٩١٤ وبصورة خاصة بعد أن زادت الحكومة مقدار الضرائب المفروضة على الفلاحين ، وسعى الشيخ عبدالسلام لالهاب نار الانتفاضة في سائر أنحاء كردستان ولتحريك بعض الدول الكبرى (ولاسيما روسيا وبريطانيا) لمساندة مطالب الأكراد واجبار المسؤولين العثمانيين على الاستجابة لها .

ينقل الأستاذ صديق الدملوجي وقائع مهمة عن هذه الحركة وأهدافها ، فقد كان يشغل آنذاك وظيفة وكيل قائمقام العمادية ، لذا كان على اتصال مباشر بزعيم الحركة وراقب أحداثها عن كثب ، كما اطلع - حسبما يشير بنفسه - على التقارير الرسمية واشترك في وضع عدد منها ، ومن هنا تكتسب أقواله أهمية استثنائية في هذا المجال وهي تعطي امكانية الوقوف على أهداف الحركة . ففي الحديث الطويل الذي دار بين الدملوجي والشيخ عبدالسلام استفسر الأخير قائلا : « هل تركتنا الحكومة (الاتحادية - ك.م.م) وشأننا حتى نتصرف الى نشر العلم ونخلص هذه الأمة من الجهل ، ونحن أكثر ما نحتاجه اعمار قرانا التي خربتها الحروب !؟ » . وفي تعليقه على قول الأستاذ الدملوجي « كان عليكم أن تتفاهموا معها (مع الحكومة الاتحادية - ك.م.م) وتزيلوا ما علق بذهنها بحقكم » ، قال الشيخ : « ان الطريق مسدود أمامنا وليس لنا من يدافع عنا ، واذا تبرع أحد للدفاع عنا ، لا يدافع لوجه الله ، وكلهم أصحاب غايات ومصالح . . . »^(٥٩) . وكما يؤيد الدملوجي نفسه فانه « كان للدعايات التي تقوم بها الجمعيات الكردية تأثير في تطور الحالة وأخذ شكلها الأخير »^(٦٠) ، فقد كان الشيخ عبدالسلام على اتصال بالقادة الأكراد

(٥٩) صديق الدملوجي ، المصدر السابق ، الص ٩١ - ٩٢ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

في استانبول ومنهم الشيخ عبدالقادر النهري وأمين عالي بدرخان والفريق شرف باشا بن سعيد باشا السليمانى .

حدد الشيخ عبدالسلام مطالبه في برقية أرسلها الى « المراجع العليا ومجلس النواب والأعيان في استانبول » وتلور جميعها حول الاعتراف باللغة الكردية وتمين موظفين « ممن يحسنون » هذه اللغة و « جعل الأحكام بمقتضى الشريعة الاسلامية طالما دين الدولة الاسلام » وتمين « أصحاب المذهب الشافعي » في الوظائف الدينية في المنطقة واستيفاء « الضرائب من المكلفين بمقتضى ما نص عليه الشرع » على أن يلغى « ما يزيد عليها أو يخالفها » والاحتفاظ بضرية « بدلات العملة المكلفة » شرطاً أن « تخصص لاصلاح الطرق » في المنطقة نفسها^(٦١) . ويبدو واضحاً من تأكيدات الدملوجي والأحداث التي يرويها أن الاتحاديين وبعض الموظفين المرتشين والمتذبذبين كانوا هم المسؤولين عن ما آل اليه الوضع من تردٍ ، وأن الأمر كان في اطاره العام صورة معادة – كما يذكر – لأحداث سوريا آنذاك .

أوقعت هذه الاتفاضة كذلك رعباً كبيراً في نفوس الحكام الاتحاديين ، لأنهم كانوا يدركون أن بوسع الشيخ عبدالسلام أن يجمع حوله عدداً كبيراً من القبائل الكردية المعروفة في العراق وايران ، كما كانوا يخشون أن تؤدي هذه الاتفاضة الى أن يفلت زمام الأمور من أيديهم في ولايتي الموصل وبغداد ايضاً ، فقد كانوا يعلمون أن العشائر العربية المسلحة في تلك المناطق على استعداد كذلك للانتفاض . لهذه الأسباب يادر الاتحاديون الى تحشيد قوات كبيرة في رواندوز وعقرة والعمادية واستطاعوا قمع الحركة في معظم المناطق التي شملتها قبل انتهاء حزيران من العام ١٩١٤ ، واضطر الشيخ

(٦١) النص الكامل في المصدر السابق ، الص ٩٦ .

عبدالسلام وبعض رفاقه للاختفاء حيناً من الزمن في منطقة ورمي القربة .
من الجدير بالذكر أن واحداً من الأسباب الرئيسة التي سهلت مهمة
الاتحاديين في قمع الانتفاضات التي حدثت في كردستان آنذاك ، هو انعدام
الوحدة والترابط بين تلك الانتفاضات ، كما كان عليه الأمر في العديد من
المناطق العثمانية الأخرى . فعلى سبيل المثال لم يتخذ الزعماء الأكراد أي
اجراء لتوحيد الانتفاضتين اللتين اندلعتا في بدليس وبهدينان في وقت واحد
تقريباً ، حتى أن الأكاديمي گردليفسكي يربط فشل الأولى منهما بعدم وقوف
المناطق والعشائر الكردية الأخرى الى جانبها^(٦٢) . ورغم ذلك فإن التهاب
نضال بقية شعوب الأمبراطورية ، وبصورة خاصة نضال الشعبين العربي
والأرمني المتجاورين وانعتاق شعوب البلقان زاد من وقع الانتفاضات
والتحركات الكردية ومن تأثيرها المباشر على وضع الاتحاديين .

من الضروري أن نشير بهذا الصدد الى ظاهرة تاريخية مهمة بدأت
بالتبلور قبل الحرب أيضاً وهي تتعلق بظهور بوادر التفاعل العضوي بين
نضال الكرد والشعوب الأخرى الداخلة في الأمبراطورية العثمانية . فان
الضغط والارهاب الدموي لسلطين آل عثمان خلقا مناخاً ملائماً للتقرب بين
أحرار الترك وغيرهم مما تجسد بشكل خاص في عهد السلطان عبدالحميد .
وخير مثال نورده هنا هو الدور الذي لعبه المثقفون الأكراد في تأسيس جمعية
الاتحاد والترقي وفي نشاطاتها . فان اثنين من مجموع أربعة من أعضائها
المؤسسين الأوائل^(٦٣) كانا من الطلبة الأكراد في الكلية الطبية العسكرية

(٦٢) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 122.

(٦٣) تعتبر الحلقة التي شكلها في مايس من العام ١٨٨٩ الطالب الالباني في الكلية
الطبية العسكرية باستانبول ابراهيم تيمو النواة الاولى لجمعية « الاتحاد
والترقي ». تألفت هذه الحلقة ، التي أطلقت على نفسها اسم « الاتحاد

باستانبول، هما اسحاق سكوتي من دياربكر وعبدالله جودت من عربكير (٦٤) . وانضم فيما بعد عدد آخر من المثقفين الكرد الى الجمعية ، كان من بينهم الصحفي الاتحادي البارز اسماعيل بابان زادة . وعندما عقد أول مؤتمر

العثماني « ، من اربعة اشخاص ينتمون الى نفس الكلية هم اسحاق وعبدالله المذكوران وابراهيم ومحمد رشيد الجركسي . ونجد في بعض المصادر اسما خامساً هو علي حسين زادة من باكو ، واحياناً يروى اسمان آخران أيضاً هما حكمت أمين من قونية واسماعيل ابراهيم . (للتفصيل راجع :

E. E. Ramsaur, The Young Turks. Prelude of the Revolution of 1908, Princeton - New Jersey, 1957, PP. 14 - 15.

G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 56 — 341) . راجع أيضاً :

(٦٤) زاول كلاهما نشاطاً واسعاً في بدايات تأسيس الجمعية ، ونفياً مع عدد من مؤسسيها وأعضائها الأوائل ، فقد ابعث اسحاق سكوتي الى رودس ولم تمر عليه فترة طويلة حتى تمكن من الهرب مع آخرين الى باريس . أما عبدالله جودت فقد نفى الى طرابلس الغرب واستطاع هو الآخر ان يهرب الى تونس أولاً ومن هناك التحق برفاقه في باريس .

عندما دب اليأس في نفوس العديد من قادة الاتحاديين الأوائل فتراجعوا في العام ١٨٩٧ امام ضغوط السلطان عبدالحميد وافراءاته ووعوده ، رفض اسحاق سكوتي وعبدالله جودت السير مع هؤلاء . وبعد ان غيرت جريدة «المشورة» لسان حال الجمعية سياستها تجاه السلطان بتأثير من المساومين معه ، قام هذان العضوان باصدار جريدة «عثمانلي» في جنيف . لكن عبدالحميد لم يتخل عن محاولاته للتأثير فيهما ، فعرض عليهما بواسطة سفيره منربك رغبته في الافراج عن السجناء السياسيين المحجوزين في طرابلس مقابل ايقاف « عثمانلي » . وحسبما يذكر رامزور فان عبدالله جودت الذي كان يعرف الظروف الشاقة لهؤلاء السجناء في الصحراء وافق على الاقتراح (E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 53) ثم هذا سكوتي حذوه ، وقد اوقفا اصدار الجريدة فعلاً بعد ان تم الافراج عن السجناء . ولكن هذه النقطة تحولت الى بداية لمساومة « اكبر » ، فتم في العام ١٩٠٠ تعيين اسحاق سكوتي طبيباً عسكرياً في السفارة العثمانية بروما وعين

للاتحاديين بباريس في الرابع من شباط من العام ١٩٠٢^(٦٥) حضره مندوبون
أكراد منهم محرر جريدة « كردستان » عبدالرحمن بدرخان الذي اشترك كذلك

عبدالله جودت في العام نفسه في منصب مشابه بفيننا . ولكن اسحاق
سكوتي ظل على اتصال برفاقه وكان يكتب سرا الى جريدة « عثمانلي »
التي اعاد الامر صباح الدين اصدارها في لندن ثم في فولكستون .
يقول رامزور عن سكوتي وجودت « انهما كانا يفضلان » أن « يعتبرا من
الأتراك أو عثمانيين على الأقل ، أكثر من اعتبارهما قوميين كرديين »
(E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 63.) . ولكن لدى تقييمنا لمثل هذا القول
يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار ، أولا ، حقيقة أن « العثمانية » كانت تستند في
البداية الى ركنين أساسيين هما « الاتحاد » و « المساواة » بين جميع مواطني
الامبراطورية دون تفریق ، وقد تحولت فيما بعد وبسرعة الى اتجاه
شوفيني يستهدف تترك الشعوب الأخرى . ثم ان الهدف الاساسي الذي
كان يجمع الوطنيين العثمانيين آنذاك ، تركز حول قلب نظام عبدالحميد
الاستبدادي واحياء دستور العام ١٨٧٦ . ولا بأس في أن نشير ايضا الى
توفر معلومات موثوقة تبين بوضوح شعور اسحاق سكوتي العميق نحو
قضية شعبه ، فقد كان على اتصال وثيق بالبدرخانيين الذين كانوا يقفون
على رأس الحركة الكردية سواء في الداخل أو في الخارج ، بل انه كان
صديقا لمبدالرحمن بدرخان صاحب جريدة « كردستان » الذي نشر في
العدد الثلاثين من جريدته رثاء حارا بعنوان « ضياع عظيم » بمناسبة وفاته
في سان ريمو بايطاليا ، وقد اشاد فيه باخلاص « اسحاق سكوتي أفندي
الدياربكري » ووطنيته وشجاعته وثقافته ودافع عنه ضد التهم الموجهة
اليه ، إذ أن عبدالرحمن بدرخان كان ، كما يبدو من مضمون الرثاء ، على
علم باتصالات اسحاق سكوتي السرية (راجع : « كردستان » ، العدد
- ٣٠ - ، جنيف ، ٤ ذي الحجة ١٣١٩ ، ١٤ آذار ١٩٠٢) . وحسبما
يبدو ايضا ، كان سكوتي حلقة وصل بين جمعية « الاتحاد والترقي »
والتنظيمات الكردية .

(٦٥) اشترك في أعمال المؤتمر ٧ مندوبا كان يوجد بينهم الى جانب الأتراك
والأكراد مدد من العرب والأرمن واليونان وغيرهم . اضطر المؤتمر الى
عقد اجتماعاتهم في دار احد الاشتراكيين الفرنسيين ثم في منزل الأمير
صباح الدين وذلك بسبب الضغط الذي مارسه البوليس الفرنسي نتيجة
تدخل السلطان عبدالحميد .

في تحرير جريدة «عثمالي»^(٦٦) ويتحدث المطلع على شؤون تركيا الأكاديمي
 گردليشكي عن «الأكراد الفتيان»^(٦٧) الذين اتصلوا قبل العام ١٩٠٨
 بالاتحاديين^(٦٨) . وقد رحبت جميع القوى الناهضة في شعوب الأمبراطورية
 العثمانية ، بما فيها الشعب الكردي ، بانتصار هذه الثورة . وقد جاء ذلك في
 توافق تام مع منطوق التاريخ لأنه كان من المحتم أن ترحب الجماهير بالانعتاق
 من نظام دموي كان الفقر يزاد في ظله «بمعدلات هندسية» حسب التعبير
 الموفق لسافرستيان^(٦٩) . ومن هذا المنطلق الحيوي آذرت الجماهير غير
 التركية ، مثل تلك ، الاتحاديين وأرادت السير معهم لولا سياسة هؤلاء التي
 دفعتها عن النظام الجديد دفعا .

لكن ذلك لم يعن ، بالطبع ، حدوث قطيعة بين الشعبين التركي والكردي،
 بل حدث نوع من الاستقطاب باتجاهين متناقضين ومتحدين في آن واحد -
 متناقضين من حيث التطلع الى الأمام والوراء ، ومتحدين من حيث معاداة
 الاتحاديين . فان العديد من الزعماء التقليديين الكرد أيدوا بحماس نشاطات
 حزب «الأحرار» وورثته حزب «الائتلاف والحرية» اليميني الذي نادى
 - بدافع تكتيكي بحت - باللامركزية والذي عمل بنشاط ضد الاتحاديين في
 الداخل والخارج^(٧٠) ، بينما وقف الآخرون مع الاتجاه الديمقراطي الذي

(٦٦) راجع : E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 63.

(٦٧) تشبيهاً بـ «الأتراك الفتيان» وهو الاسم الآخر للاتحاديين .

(٦٨) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 119.

(٦٩) A. Safrastian, Op. Cit., P. 69.

(٧٠) في العام ١٩٠٨ ألف المعارضون للاتحاديين حزب «الأحرار» الذي حظر
 بسبب موامراته المتكررة . وفي العام ١٩١١ ظهر بدلا منه حزب «الحرية
 والائتلاف» الذي ضم الأعضاء السابقين للأحرار مع المعارضين الذين
 تركوا جمعية «الاتحاد والترقي» . وقد تبنى هذا الحزب الجديد أهدافا

كانت منطلقاته صائبة وان كان ضعيفاً بذاته . ولا بد من أن نشير هنا الى حزب « المجدد » الذي شكله في كانون الأول من العام ١٩١٢ النائب والمحامي والناشر الكردي المعروف لطفي فكري والذي عرف بمعاداته لجمعية «الاتحاد والترقي» كما دعا في برنامجه الى علمانية الدولة وتجريد السلطان من لقب الخليفة وصلاحياته ، وقد كان معظم أعضاء حزبه من المثقفين الترك (٧١) .

ظهرت البوادر ذاتها في كردستان ايران أيضاً ، وبشكل خاص خلال سنوات الثورة الدستورية [١٩٠٥ - ١٩١١] التي تركت آثارا واضحة على الأذربيجانيين والأكراد وغيرهم . فبالرغم من أن أعداء الثورة

متخلفة منها منح السلطان حق النقض (الفيتو) والحفاظ على نظام الامتيازات للدول الأجنبية ، الا انه رفع الى جانب ذلك شعارات ديماغوجية مثل ضمان الحريات الديمقراطية العامة والحقوق القومية للشعوب غير التركية . استفاد هذا الحزب من فشل الاتحاديين في الحرب مع ايطاليا فتمكن من الوصول الى الحكم في تموز من العام ١٩١٢ . الا أن فشل تركيا في حرب البلقان وموقف الحكومة الجديدة من الامتيازات الأجنبية سهلا قيام الاتحاديين بانقلاب ناجح في ٢٣ كانون الثاني من العام ١٩١٣ ادى الى عودتهم الى الحكم كما مر بنا . ولكن الائتلافيين لم يتخلوا عن نشاطاتهم ، فهم الذين دبروا اغتيال محمود شوكت باشا مما أعطى الاتحاديين ذريعة لضربهم بشدة . انتعش حزب « الحرية والائتلاف » من جديد بعد الحرب وفي ظل الاحتلال الأجنبي ، واشترك في الحكومات السورية التي الفها الحلفاء ووقف ضد الحركة الكمالية ، الا انه اختفى عن الوجود نهائياً بعد انتصار هذه الاخيرة .

بدل الائتلافيون قبل الحرب ، ولاسيما في ايام حكمهم ، جهوداً كبيرة لكسب الأكراد محاولين استغلال عواطفهم الدينية ، فقام ممثلون عن الحزب بالتجوال في المناطق الكردية وتمكنوا من كسب العديد من الناس الى جانبهم وذلك نتيجة للسياسة الخاطئة التي انتهجها الاتحاديون .

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 96, 533.

(٧١) راجع :

تمكنوا من كسب عدد من المتنفذين الكرد إلى جانبهم^(٧٣) ، وقتت أكثرية الشعب الكردي في صف الثورة واشترك عدد كبير من أبنائه في أحداثها بشكل فعال . فتشير إحدى وثائق « أرشيف سياسة روسيا الخارجية » التي تعود إلى العام ١٩٠٧ ، إلى اشتراك حوالي ٣٠ ألف مقاتل كردي في مناطق خوي و ماكو ضد العصابات التي شكلها أعداء الثورة هناك بقصد ضربها . وتشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها إلى « المساعدات الكبيرة » التي « قدمها الأكراد للشوار العاملين في مناطق ورمي وساوجبولاق وسلماس »^(٧٣) وهي جميعها مناطق كردية .

كان من المنطقي أن تتخذ مظاهر التفاعل والتأثير والتأثر بين نضال الشعوب المضطهدة بدءاً أعمق وأشمل . فإن النجاحات التي حققتها شعوب البلقان البعيدة مثلاً ألهمت الأكراد بشكل أدخل الرعب في نفوس حكام استانبول الذين بدأوا يخشون - كما جاء في إحدى الوثائق الدبلوماسية الروسية التي تعود إلى تلك الفترة - أن يطلق « الأكراد للأتراك ألبانيا جديدة »^(٧٤) . ولاشك في أنهم كانوا يخشون أكثر ، التقارب بين الشعوب المتجاورة الداخلة في أمبراطوريتهم الواسعة ، ولاسيما وقد بدأوا يلاحظون النمو السريع لمثل هذا التوجه الجديد الذي اعتبروه نذير شر يهدد كياناتهم

(٧٢) زاول سالار الدولة شقيق ولي العهد محمد علي شاه نشاطاً واسعاً في المناطق الكردية ضد الثورة ، وسانده المسؤولون الأتراك والإنكليز في ذلك . وقد تمكن من كسب عدد من رؤساء عشائر الجاف والزنكنة والموكري إلى جانبه ، لكن سرعان ما انسحب معظم رجال هذه العشائر من صفوف قواته الزاحفة نحو طهران وفشل هو في تحقيق مهمته . ووقفت الرجعية الأذربيجانية بدورها إلى جانب الرجعية الفارسية ضد الثورة .

M. S. Lazarev, *Kurdistan . . .* , P. 118.

(٧٣) راجع :

Ibid, PP. 203 — 204.

(٧٤)

السياسي . فبالرغم من جميع محاولات العثمانيين ، وأحيانا حتى الغربيين [الألمان بشكل خاص] ، الموجهة الى تعميق التناقضات والخلافات الأرمنية- الكردية^(٧٥) بالضرب على وتر العاطفة الدينية الحساس ، وبالرغم من تحقيق هذه السياسة للعديد من غاياتها غير النبيلة على حساب المصالح الأساسية لجماهير الطرفين ، فرضت الحياة ومصالحها العميقة صوراً رائعة للتعاون والتقارب الأرمني - الكردي من خلال آلام ومآسي تنطرق الى تفاصيلها في الفصل الخامس من هذا الكتاب . ونكتفي هنا ، وفي اطار هذا الموضوع ، بالتأكيد على توفر وثائق أصيلة كثيرة ، قسم منها أرمنية ، تبين بجلاء الأوجه البارزة للتقارب بين الشعبين ، وهو ما يطلق عليه الدكتور لازارييف بقوله : « . . . لقد أولد قلقاً خاصاً لدى كبار الاتحاديين واقع أن مد الحركة التحررية الكردية حفز ، على العكس من جميع التوقعات ، تحركات الشعب الأرمني المعادية للاقطاع والسلطة »^(٧٦) .

اتخذت بوادر التفاعل بين فضال الشعبين العربي والكردي بعداً أعمق ، وذلك بحكم العلائق التاريخية القديمة والروابط الدينية المتينة والتجاور المباشر بين الشعبين ، فضلاً عن أنهما كانا يتعرضان الى خطر آت من مصدر واحد . وبالنسبة لهذا الأخير نشير الى مثال قريب . فعندما قام الاتحاديون في العراق بحملة معادية ضد الوطنيين وأجلوا الانتخابات هناك أرسلوا جاويد باشا خصيصاً لولاية البلاد وللإشراف على تطبيق سياستهم هناك مزودين اياه بتعليمات خاصة « لاقرار السكينة » بين العرب والأكراد على حد سواء^(٧٧) .

(٧٥) أرسل الاتحاديون عملاءهم مراراً الى المناطق الكردية والأرمنية بهدف اثاره الخلافات بين أبناء الشعبين (راجع : (A. Safrastian, Op. Cit., P. 71)

(٧٦) راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , P. 218.

(٧٧) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 82.

ظهر بحكم هذه العوامل الأساسية نوع من التفاعل بين فضال الشعبين منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطور أحياناً إلى أشكال أولية من الكفاح المشترك . ومن المهم أن نشير بهذا الصدد إلى أن التقارير القنصلية الروسية الخاصة التي كانت ترسل إلى وزارة الخارجية في بطرسبورغ أو إلى القيادة العامة لمنطقة القفقاس تحتوي على شواهد ذات مغزى عميق حول هذا الموضوع بالذات . فتشير تلك التقارير، مثلاً، إلى اشتراك عدد من المسلحين العرب والأرمن والآشوريين في الانتفاضة الكبيرة (٧٨) التي وقعت في أواخر العام ١٨٥٤ بقيادة يزدان شير من عائلة بلرخان والتي شملت مناطق واسعة امتدت من الموصل حتى وان وارتفع عدد المشتركين فيها بسرعة إلى حوالي مئة ألف شخص . وقد فشلت قوات والي بغداد في قمعها الذي لم يتحقق للعثمانيين إلا بمساعدة مباشرة من الإنجليز (٧٩) . يقول المستشرق الدكتور ن. أ. خالفين معلقاً على اشتراك العناصر غير الكردية في هذه الانتفاضة : « إن النضال المشترك للشعوب المضطهدة ضد الحكومة

(٧٨) يعتبر الدكتور لازاريث ذلك حادثة بارزة جديرة بالاهتمام (M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , P. 32).

(٧٩) لمعرفة المزيد عن الانتفاضة راجع كتاب پ. م. أفيريانوف الأنف الذكر وقد كرس لبحثها كل الفصل الخامس (الص ١٤٤ - ١٥٨) ؛ راجع أيضاً :

Халфин Н.А., Борьба за Курдистан (Курдский вопрос в международных отношениях XIX века), Москва, 1963, стр.70-76.

ن. أ. خالفين ، الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر) ، موسكو ، ١٩٦٣ ، الص ٧٠ - ٧٦ . ويمكن كذلك مراجعة الترجمة العربية لهذا الكتاب ، التي أنجزها الدكتور أحمد عثمان أبوبكر ونشرها في بغداد في العام ١٩٦٩ . (في الهوامش القادمة: N. A. Khalfin . . .).

ساعد الى حد غير قليل في تقدم حركة يزدان شير»^(٨٠) . وتشير الوثيقة الموجودة في الملف التاسع والعشرين ضمن محفوظات «الأرشيف الأساسي ١ - ٩» التابع لأرشيف سياسة روسيا الخارجية (مجموعة الأعوام ١٨٨٠ - ١٨٨٢) الى أن عدة آلاف من المسلحين العرب عبروا عن كامل استعدادهم للاشتراك في الانتفاضة الكبيرة التي قادها الشيخ عبيدالله في بداية الثمانينات من القرن الماضي ، ومنهم من وصل الى المنطقة فعلاً^(٨١) .

ومن المؤشرات المهمة التي تعود الى القرن التاسع عشر أيضاً ، أن الجريدة الكردية الأولى « كردستان » ، صدرت في القاهرة في ٢٢ نيسان من العام ١٨٩٨ وذلك بعد أن يش المثقفون الأكراد من أن ينالوا موافقة السلطان عبدالحميد على اصدارها في استانبول^(٨٢) . كانت الجريدة تطبع بطبعة « الهلال » وترسل أعداد كثيرة منها سراً الى المناطق الكردية المختلفة عبر سوريا . لقد أثار اصدار « كردستان » في القاهرة الباب العالي الذي مارس الضغط على المسؤولين المصريين للحيلولة دون صدورها ، مما يبدو واضحاً من مضمون الأعداد الخمسة الأولى من الجريدة نفسها^(٨٣) .

N. A. Khalfin, Op. Cit., P. 73.

(٨٠.)

(٨١) راجع :

Джамале Джамля, Восстание Курдов 1880 года, Москва, 1966, стр.91.

الدكتور ج. جليل ، انتفاضة الكرد في العام ١٨٨٠ ، موسكو ، ١٩٦٦ ،
الصفحة ٩١ .

(٨٢) تحولت مصر آنذاك الى ملجأ لعدد كبير من احرار الترك والارمن والكرد الذين نشطوا على نطاق واسع ضد حكم السلطان عبدالحميد .

(٨٣) لمب ذلك دوره على ما يبدو في انتقال الجريدة بعد صدور عددها الخامس في ١٨ حزيران من العام ١٨٩٨ الى مدينة جنيف .

انتقلت مظاهر هذا التفاعل قبل الحرب العالمية الاولى ، وبالتحديد في عهد « استيقاظ آسيا » ، الى مرحلة جديدة أهم وأشمل . ومن الشواهد التاريخية المبكرة التي تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقة ، يمكن ذكر الأحداث التي رافقت انتفاضة بشاري چتو^(٨٤) التي وقعت في منطقة سمرقند قبل انتصار ثورة الاتحاديين بحوالي سنتين ونصف السنة . فبعد فشل القوات الكبيرة التي أرسلها الباب العالي بقيادة عزت باشا لقمع الانتفاضة ، امتد لهيها الى منطقة دياربكر حيث انضم اليها - كما تشير الى ذلك وثائق الأرشيف الحربي - التاريخي المركزي وأرشيف السياسة الخارجية الروسية - رجال بعض القبائل العربية . وعندما اضطر قائد الانتفاضة الى الهرب تحت ضغط القوات العثمانية المتزايد وبعد معارك دامية ، فانه التجأ - حسبما أوردته بعض المصادر - الى اليمن التي ترك فضال شعبها ، وحسبما تؤكد الوثائق نفسها ، تأثيراً ملموساً على الأكراد .

دخل فضال العرب بعد ثورة الاتحاديين مرحلة حاسمة ، فعم الاستياء جميع أنحاء المشرق العربي وبلغ حد الانفجار الشديد في مناطق مختلفة منها ، مما ترك تأثيراً مزدوجاً على الوضع في كردستان . فمن جهة حركت أصداؤه الجماهير الكردية أكثر من السابق . ومن جهة أخرى أدى تردي الوضع في تلك الأصقاع الى تخفيف ضغط العثمانيين على شعوب الأمبراطورية الأخرى وفي مقدمتها الشعب الكردي . وتتوفر بالنسبة لهذين الموضوعين مجموعة كبيرة من الوثائق الدبلوماسية الدقيقة والمفصلة التي تلقي الضوء الكافي

(٨٤) كان بشار من المتنفذين المعروفين في منطقة بدليس . عاد قبيل الحرب الى منطقتهم دون أن يتخلى عن موقفه المادي للعثمانيين .

على مختلف جوانبهما^(٨٥) . فعندما تأزمت الأوضاع في العام ١٩١٠ في بدليس وماوالاها نتيجة لنشاطات الوطنيين هناك وقيامهم بدعاية واسعة ضد الاتحاديين وتأسيسهم لعدد من الجمعيات والنوادي ، أراد الوالي الجديد اسماعيل حقي استخدام القوة لوضع حد لهذه النشاطات ، ولكن سرعان ما جاءت تطييمات صريحة من استانبول تطلب منه عدم اثارة الاكرد « كي لا تظهر صعوبات جديدة أمام الحكومة في وقت لزم عليها بذل جهود كبيرة لتقمع حركة العرب التحررية في اليمن وسوريا وفيما وراء الأردن » كما ورد في تقارير دبلوماسية خاصة بمعثها السفارة الروسية في استانبول الى وزارة الخارجية في بطرسبورغ . ويعلق الدكتور لازاريث على ذلك بقوله :

« لقد تطورت الحركة الكردية بعد ثورة الاتحاديين في تماس مع النضال التحرري لشعوب الأمبراطورية العثمانية الأخرى ، وفي مقدمتها الشعب العربي . ففي تلك الفترة حدثت انتفاضات عربية في اليمن والمراق وحوران وجبل الدروز [وكلاهما في سوريا] ، كما اتخذ زعماء الحجاز ونجد والسير والأصقاع الأخرى في شبه الجزيرة العربية موقفا معاديا من الحكومة التركية »^(٨٦) .

وحول الموضوع نفسه توجد بين أيدينا وثيقة مهمة للغاية تعود الى

(٨٥) الوثائق التي نشر اليها بهذا الصدد منشورة ضمن كتابي الدكتور م. س. لازاريث :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 113 — 114, 154 — 156, 397 — 398, 407 — 409; M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 111 — 112, 148 — 150.

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 148 — 149.

(٨٦)

الفترة نفسها كتبها وكيل القنصل الروسي في بايزيد أكيموڤيچ ، نقل فيما يلي نصها نظراً لدالتها المميقة في اطار بحثنا . يقول أكيموڤيچ بالحرف الواحد :

« بقدر ما استاء الترك من فشلهم في شبه الجزيرة العربية ، ارتاح الكرد من ذلك الفشل . واذا ما تابع العرب صراعهم مع الأتراك بنجاح فانه سيكون من المتوقع جداً انهجار انتفاضة في كردستان التي يسودها الهدوء حالياً . ويخشى الترك ذلك بدون شك لعلمهم بأن قمع الأكراد المسلحين حتى أسنانهم سوف يكلفهم ضحايا كبيرة » .

وتشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها الى أن « أكراد ولاية بدليس يتلقون بمطف كبير أخبار نجاحات الثوار في اليمن » .

وحسب تعبير الدكتور لازاريف لم يقتصر هذا التفاعل على « عطف افلاطوني (مثالي - ك. م.) من جانب الكرد على (نضال - ك. م.) العرب »^(٨٧) . بل سرعان ما انتقل التأييد الكردي الى طور الفعل والمساندة المباشرة في حدود الامكانيات القليلة المتوفرة آنذاك . فحسب المعلومات الواردة في الوثائق الدبلوماسية الروسية نفسها ، أقام عدد من الزعماء الكرد اتصالاً مباشراً مع الثوار اليمانيين ، كما بوشر في مناطق كردية مختلفة بجمع الأموال لمساندة قضيتهم العادلة . حينذاك بدأ زعماء اليمن بارسال ممثلين عنهم الى كردستان حيث اتصلوا مباشرة ببعض المتنفذين في مناطق دياربكر وموش وخنس وغيرها . ثم وصل في بداية مارس من العام ١٩١١ الممثل الشخصي للامام يحيى الذي عقد اجتماعاً خاصاً مع عدد من

الرؤساء الكرد في مدينة موش ، ولكن سرعان ما عرفت السلطات بالأمر وألقت القبض على المشتركين في هذا الاجتماع .

نظر الاتحاديون الى هذه الأحداث كنذير شؤم فشدوا من مراقبتهم للمعارضين في كردستان ، كما بدأوا بملاحقة كل عربي يصل الى هناك ، ولاسيما وأنهم ربطوا بوادر التحرك الجديد في مناطق درسيم وأرزنجان وغيرها بالوقع الذي تركته الأحداث العربية هناك . وتأثير من هذه الأخيرة ، مع أحداث أخرى مشابهة ، اضطر المسؤولون لأن يتبنوا في الوقت نفسه سياسة التودد مع عدد من الزعماء الأكراد ، وهو ما استحق ملاحظة دقيقة من جانب وكيل القنصل الروسي في ورمي گلوينوفا الذي ذكر في تقرير له :

« لولا انشغال الترك بالانتفاضات القائمة في شبه الجزيرة العربية ومقدونيا وبالاضطرابات الداخلية ، لأصبح التطلب على الأكراد أسهل بالنسبة لهم مما هو عليه الأمر الآن ، حيث يضطرون الى مداهنة البيكوات الكرد بواسطة الهدايا التي لا تحقق أهدافها دائماً » .

لا شك في أن هذه الأحداث شكلت لبنة جديدة في صرح العلاقات التاريخية القائمة بين الشمين العربي والكرد ، ولا تخلو وقائع الحرب نفسها من نماذج أخرى مشابهة لتلك التي أوردناها في هذا الفصل .

تعطي الحقائق الواردة ضمن هذا الفصل امكانية التوصل الى الاستنتاج الأخير وهو أن الاطار العام للوضع في كردستان ما قبل الحرب وقيلها كان يحدد الاستياء غير المحدود والسخط البالغ اللذين عما السكان ، وانتشار الشعور القومي بينهم . ولو لم تندلع نار الحرب العالمية الأولى ،

لربما باتت المناطق الكردية بلقانا جديداً^(٨٨) للدولة العثمانية . وقد أحس المسؤولون الاتحاديون ، كما لاحظنا ، بهذه الحقيقة وبدأوا يخشون أن تفلت المنطقة من أيديهم ، لذلك فقد درسوا الموضوع عدة مرات ، حتى أن جمعية « الاتحاد والترقي » عقدت اجتماعا خاصا في الرابع من نيسان من العام ١٩١٤ ، أي قبل الحرب مباشرة لدراسة سياستها ازاء الأكراد ، وقد اعترف مدحت شكري باشا في الاجتماع ببعض الجوانب الخاطئة لتلك السياسة . لكن ذلك لم يؤد الى اجراء أي تغيير ملموس في سياساتهم التي كانت تشكل جزءا من خط عام مبني على أساس فكري خاطيء . ومما زاد من تعقد الوضع أكثر أن الانكليز من جهة والروس من جهة أخرى تمكنوا من كسب عدد غير قليل من رؤساء العشائر الكردية في الأمبراطورية العثمانية وفي ايران الى جانبهم ، مما انعكس بأشكال مختلفة على أحداث الحرب العالمية الأولى في المنطقة . وفي كل الأحوال استطاع المسؤولون العثمانيون أيضاً أن يحولوا ، باسم الدين ، جانباً كبيراً من قوة الأكراد وطاقاتهم الى سلاح من الأسلحة التي استخدموها في ميادين القتال الضارية خلال الحرب .

كتب نيكييتين بهذا الصدد يقول :

(٨٨) كانت بلاد منطقة البلقان تشكل ، كما هو معروف ، جزءا من الأمبراطورية العثمانية ، ولكن اتساع الشعور القومي بين شعوب هذه المنطقة ، والسياسة الشوفينية التي انتهجها الاتحاديون ازاءها تسببا في اندلاع سلسلة من الانتفاضات والثورات فيها . ونتيجة لذلك فقد استطاعت هذه الشعوب أن تحرر نفسها الواحدة تلو الأخرى من السيطرة العثمانية . وقد تركت انتصاراتها آثاراً واضحة على الوضع الفكري بين العرب والأرمن والى حد أقل بين الأكراد أيضا . وبالنسبة للأكراد يمكن الاستدلال ببعض الوثائق التي تعود الى ذلك الوقت وبمضامين عدد من المقالات التي نشرتها جريدة «کردستان» في أعدادها الصادرة خلال الفترة من العام ١٨٩٨ حتى العام ١٩٠٢ .

« استطاعت دعوة الجهاد التي برقعت مرة أخرى بغطاء
الاسلام ، أن تسوق قوة الكرد القتالية في نهج لم يكن ينسجم
بحال من الأحوال مع المصالح الوطنية لذلك الشعب » (٨٩) .

وواضح أن أحداث الحرب المرعبة زادت من سوء عواقب هذا الأمر ،
فقد وقعت كردستان وسط لهيب النار في ميادين الحرب العالمية الأولى في
الشرق الأوسط ، وهو ما تنطرق اليه في الفصل القادم .



(٨٩)
B. Nikitine, Les Kurdes. Etude Sociologique et historique, Paris,
1956, P. 195.

الفصل الثالث

في أتون الحرب

قبل الخوض في محاولة تحديد موقع الشعب الكردي في أحداث الحرب العالمية الأولى ، ومن أجل اعطاء الموضوع حقه ضمن اطار أشمل ، من الضروري تقديم لوحة عامة عن الظروف التي دفعت بالامبراطورية العثمانية الى أتون الحرب في جبهة واحدة مع ألمانيا والقاء ضوء على الخطط التي وضعتها من أجل تحقيق الأهداف الكبيرة ضمن حساباتها التي ظهر عدم دقتها مع الأحداث السريعة التي تتابعت منذ الأشهر الأولى للحرب .

هيا تحقيق الوحدة الألمانية في القرن الماضي الظروف اللازمة لحدوث تطور اقتصادي عارم في البلاد . فحتى بداية سبعينيات القرن التاسع عشر كانت ألمانيا تشكل دولة زراعية بالأساس ، وآنذاك فقط بدأت صناعتها الثقيلة تخطو أولى خطواتها نحو الأمام لتتحول الى انطلاقة خارقة قبل أن يحل العقد الأخير من نفس القرن . ومع مطلع القرن العشرين أصبحت ألمانيا تحتل المكانة الأولى في القارة الأوروبية كلها من حيث التطور الصناعي وسبقت أكبر الدول الرأسمالية وأقدمها وأقواها في مجالات إنتاجية مهمة . فقد بلغ إنتاجها من الحديد - عصب الصناعة الثقيلة - ٤٩ مليون طن في العام ١٨٩٢ مقابل ٦٩ مليون طن أنتجتها انكلترا في العام نفسه ، وفي العام

١٩١٢ ارتفع انتاج ألمانيا الى ١٧ر٦ مليون طن بينما ارتفع انتاج انكلترا الى ٩ ملايين طن فقط .

ومن مؤشرات سرعة التطور الصناعي الرأسمالي الألماني ، التوجه نحو الاحتكار في ألمانيا قبل جميع البلدان الأوروبية الأخرى ، بما فيها تلك التي ظهرت فيها العلائق الرأسمالية وشهدت الثورة الصناعية قبلها بفترة غير قصيرة . وهكذا ظهرت في ألمانيا منذ أواخر القرن الماضي « ملوك غير متوجين » من أمثال كروب والاخوة ماينزمان وغيرهم الذين سيطروا على القسم الأعظم من الانتاج الصناعي الثقيل وحقول المعادن والسكك قبلت أرباحهم الصافية في العام ١٩١٣ حوالي ١٥ مليار مارك^(١) ، وهو مبلغ خيالي من حيث القوة الشرائية يومذاك ومن حيث المقارنة مع واقع «الزملاء» في أكثر الأقطار الأوروبية تقدماً . وقد نزل الرأسماليون الألمان الى الميدان الخارجي في وقت متأخر بالمقارنة مع الرأسمالين الفرنسيين والانكليز بشكل خاص الذين تمكنوا من ايجاد مواقع حصينة لمصالحهم كان يستحيل للرأسمال الألماني اختراقها لولا القاعدة القوية التي منحتم امكانية التنافس . فبالرغم من جميع الصعوبات ازداد الرأسمال الألماني المستغل في الخارج بمقدار ثلاث مرات ونصف المرة خلال فترة زمنية قياسية لم تبلغ العقد ونصف العقد [من العام ١٩٠٢ حتى العام ١٩١٤] ، وأصبح يشكل حوالي نصف مجموع الرأسمال الانكليزي المستغل في الخارج بعد أن كان يشكل خمسة فقط في

(١) راجع :

Айзен Б.А., Германия, - "Всемирная история",

т. VII, Москва, 1960, стр. 404.

ب. أ. آيزن ، ألمانيا ، - «تاريخ العالم» ، الجزء السابع ، موسكو ،

١٩٦٠ ، الص ٤٠٤ (في الهوامش القادمة : . . . B. A. Izen) .

العام ١٩٠٢ ، وصار يشكل أكثر من ثلثي الرأسمال الفرنسي المستغل بعد أن كان أقل منه بمرتين في العام نفسه^(٢) . وحقق الألمان نجاحات مشهودة في المجال التجاري أيضاً بحيث غدت تجارتهم الخارجية تحتل نسبة ١٣٪ في الميزان التجاري العالمي .

ومع عظم هذه النجاحات ، فقد كان بمستطاع الألمان تحقيق نجاحات أعظم بكثير مما حققوها خلال فترة قصيرة من الزمن ، لولا حقيقة أنهم كانوا يصطدمون في كل مكان تقريباً بمقاومة شديدة من جانب الرأسماليين « الرواد » ، فلم تكن أيديهم مطلقة مثل هؤلاء في استغلال أغنى الأصقاع الأفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية ، ذلك لأن « حصّة » ألمانيا من المستعمرات كانت تشكل في العام ١٩١٤ حوالي ٢٩ مليون كيلومتر مربع ، وهي أقل بـ ٣٥ مرة من مساحة المستعمرات الفرنسية [١٠٦ مليون كم^٢] و بـ ١١٥ مرة عن مساحة المستعمرات الانكليزية [٣٣٥ مليون كم^٢] . وهذا يعني - في ضوء ما سبق - أن تناسب القوى على صعيد الدول الرأسمالية وفي إطار تنافسها فيما بينها قد اختلف بشكل خطير بلغ حداً لم يكن هناك مجال للتفيس عنه الا في إعادة تقسيم الأسواق عن طريق الحرب ، فألمانيا القوية كانت تريد حصّة تتناسب مع طاقاتها الجديدة ، بينما لم تكن الدول الكبرى الأخرى ، بما فيها روسيا القيصرية - الحلقة الرأسمالية الضعيفة والضيعة - ، على استعداد للتنازل لها عن « قلامة ظفر » بالوسائل « السلمية » الممهودة ، فكان لا بد اذاً من اللجوء الى القوة بقصد ارغامها على ذلك . وهذا ما كان يتطلب تكريس جهود كبيرة تضمن نجاحه ، فتوجهت السلطة والاحتكارات نحو اعداد عسكري لم تشهد له القارة

(٢) احتسبت هذه النسب بالاستناد الى الأرقام الواردة في البحث المشار اليه في الهامش الأول .

مثيلا . فخلال أقل من أربعة عقود تضاعفت المخصصات العسكرية في الميزانية الألمانية خمس مرات بحيث أنها غدت تشكل في العام ١٩١٤ أكثر من ملياري مارك ، أي نصف مجموع ميزانية الدولة التي اكتشفت فجأة «أن الطريق من برلين الى أوديسا أقرب من طريق برلين - استانبول ، وأن عبر وارشو وكييف وروستوف على الدون ، ومن خلال جبال القفقاس وتبليس وتبريز يمتد خط حديدي مستقيم يفضي الى الخليج فالهند»^(٣) ، يستحق احتواؤه مع غيره مثل تلك الميزانية الضخمة .

كان لا بد من صياغة فكرية لوضع هذه الطموحات الواسعة داخل اطارها بشكل يهيب الشعب الألماني لتقديم الضحايا الجسيمة التي بدأت تنتظره ، فظهرت جمعيات كثيرة تروج للحرب وللأفكار الشوفينية وتؤكد على « رسالة الشعب الألماني الحضارية » و « طاقاته الخلاقة التي تفوق طاقات غيره من الشعوب »^(٤) . وهكذا لم يبق سوى سماع دوي طلقة سراجيفو المعروفة^(٥) حتى يدب « الحزن » العميق في قلب كل احتكاري

(٣) مقتبس من كلام شتروب ، أحد المتحمسين للتوسع الألماني آنذاك ، حيث كتب يقول : « انظروا الى الخارطة لتروا ان الطريق من برلين الى اوديسا ... الخ » (مقتبس من :

Брусалинский А. , Германский империализм : история и современность , Москва , 1964 , стр.203.

١. يروسليمسكي ، الاستعمار الألماني : الماضي والحاضر ، موسكو ،

١٩٦٤ ، المص ٢٠٣ . (في الهوامش القادمة : A. Eroslemskey .)

B. A. Izen, Op. Cit., P. 411.

(٤) راجع :

(٥) اطلق أحد الوطنيين الصربيين النار على ولي العهد النمساوي في بلدة

سراجيفو اليوغوسلافية فأرداه قتيلا في ٢٨ حزيران ١٩١٤ ، وقد اتخذ الالمان وحلفاؤهم ذلك ذريعة لاعلان الحرب فلم يمر على الحادث اكثر من شهر واحد حتى بدأت العمليات الحربية على الحدود بين النمسا

ومسؤول ألماني كبير وأنصارهم الذين عقدوا النية على الانتقام للدم الطاهر المراق مع أن الذين فجموا حقاً بفقدان ولي العهد النمساوي لم يكونوا « سوى أولاد القتل » كما جاء في إحدى الصحف النرويجية^(٦) . ومع ذلك فقد أشعلت شمعة سيراچيفو الصغيرة حريقاً لم ير تأريخ الإنسان مثيلاً له حتى ذلك اليوم ، ولاسيما وأن الجانب المقابل لم يكن أقل استعداداً لمواجهة الاتسجار الألماني المتوقع في كل لحظة . وسرعان ما تحولت العمليات الحربية التي بدأت في تموز من العام ١٩١٤ على الحدود بين النمسا والصرب الى حرب شاملة اشتركت فيها الى جانب معظم الدول الأوروبية كل من اليابان والأمبراطورية العثمانية وأخيراً الولايات المتحدة الأمريكية .

ولاشتراك الأمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى تأريخ متشابك يعكس في واقعه الطموحات الواسعة جداً لفئة بورجوازية جد هزيلة وغير متجانسة لم تستطع في خضم الصراع الدولي العاد والمشاكل الداخلية المتفاقمة بسبب منها ، أن تبني سياسة صحيحة وواضحة . فالاتحاديون ساروا وراء سراب كان يعكس لهم صور الماضي البعيد بشكل غير واقعي . ان الحفاظ على الأمبراطورية وخلق نموذ قوي في العالم الإسلامي ووضع حد للتغلغل الأجنبي كان يتطلب الاعتماد أولاً على الجماهير التركية وغير التركية ، والابتعاد ثانياً عن الدول الاستعمارية^(٧) ، الا أن ذلك كان فوق طاقة

والصرب . ومن هنا جرت العادة باعتبار تلك الطلقة بداية للحرب العالمية الأولى .

A. Eroslemskey, Op. Cit., P. 201.

(٦) مقتبس من :

(٧) يعتبر البعض ذلك بمثابة «أسطورة» ، الا أنهم ينسون أو ربما يتناسون أن مصطفى كمال أتاتورك تمكن من تحقيق تلك «الأسطورة» بالاعتماد على الجماهير في مواجهة الدول الاستعمارية في ظروف دولية معقدة للغاية ؛

الاتحاديين وفهمهم • لذا نرى أصحاب الأحلام الكبيرة يتخبطون في خطط سياسية متناقضة ويلجأون الى اجراءات متضاربة لايتصورها العقل السياسي السليم • وبوسع أمثلة قليلة اعطاء صورة واضحة عن الواقع المتضارب • فمثلاً عندما اندلعت الحرب كانت بعثة ليمان فون ساندرس الألمانية تشرف على القوات البرية العثمانية ، بينما كانت بعثة ليمپوس الانكليزية تشرف على القوات البحرية • وبعد طلقات سيرا جيئو بالذات كان الاتحاديون يتوددون الى فرنسا ويحاولون التقرب منها • ففي أواسط تموز قام وزير البحرية جمال باشا بزيارة رسمية الى فرنسا لحضور المناورات العسكرية لأكبر جيش معاد لألمانيا وأقربه • واقترح الوزير العثماني اثناء وجوده في باريس على كبار المسؤولين الفرنسيين انضمام بلاده الى جانب الحلفاء شريطة اعادة الجزر الواقعة في بحر ايجة اليها وضمان عدم تدخل روسيا في شؤونها • وقبله بفترة قصيرة حصل مسؤول عثماني آخر على موافقة فرنسا على منح الباب العالي قرضاً ببلغ ٨٠٠ مليون فرنك وبشرط واحد هو «عدم صرفه على أعمال معادية موجهة ضد الجيران»^(٨) ، أي ضد روسيا • هذه الوقائع الى جانب القروض الكبيرة والعلاقات الاقتصادية المتينة ، خلقت لدى الحلفاء قناعة تامة بأنه لايمكن للدولة العثمانية الانضمام الى الجبهة المعادية لهم ، لذا فانهم لم يروا أي داع لممارسة الضغط على الباب العالي كي لايتخذ مثل ذلك الاجراء الذي لم يتوقعوه أصلاً ، ولاسيما وأنهم كانوا يعلمون بوجود جناح

بينما حمل التناسب الجديد الذي نجم عن انفجار الحرب بين أكبر الدول واقواها الظروف موآبية بالنسبة للاتحاديين في حينه دون أن يتمكنوا من استغلالها كما يجب •

(٨) للتفصيل راجع :

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 26 - 27 ; G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 260.

كبير بين الاتحادين يؤكد على ضرورة التروي ازاء الأحداث العالمية المتوترة
آنذاك .

كانت دوافع أفراد هذا الجناح الأخير متباينة . فكان قسم كبير منهم
يميلون الى الاشتراك في الحرب يحدوهم في ذلك تحقيق أهداف الجناح
المتحمس لمثل ذلك الاشتراك ، نفسها . الا أنهم كانوا يقدرون واقع البلاد
وطاقتها بشكل أصح ، حتى أن الهلع اتاب السلطان عندما عرف عن طريق
غيره أن بلاده مقدمة على الصدام المباشر مع روسيا ، فصرح قائلاً : « ان
جثت قتلاها تكفي لسحقنا »^(٩) . وظل معظم الوزراء يعارضون لوقت طويل
تورط الأمبراطورية المباشر في الحرب ، بحيث ان الجنرال الألماني ليمان فون
ساندرس بدأ في وقت ما يشك في امكانية اقناع الباب العالي لخوض الحرب
الى جانب بلاده عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

بالرغم من كل ذلك كان الجناح الاتحادي الموالي لألمانيا أقوى نقوذاً
وأكثر نشاطاً ، وكان يقف على رأسه المغامر الكبير والشخصية المتنفذة وقائد
انقلاب ٢٣ كانون الثاني من العام ١٩١٣ أنور باشا الذي عرف بعلاقاته
الوثيقة جداً مع الأوساط الحاكمة والمالية الألمانية منذ أن كان ملحقاً عسكرياً
لبلاده في برلين خلال الأعوام ١٩٠٩ - ١٩١١ ، حتى أن بعض المؤرخين
يؤكدون أنه تحول منذ ذلك الوقت الى عميل ألماني^(١٠) . كان أنور باشا
يعتقد أن بإمكان الاتحادين تحقيق أهدافهم في ضمان بقاء الأمبراطورية
واستعادة مجدها الفابر و سطوتها السابقة التي فقدتها على مدى القرنين

(٩) مقتبس من : A. D. Novichev, Turkey . . . , P. 130.

(١٠) منهم المتخصص في تاريخ تركيا الحديث والمعاصر البروفيسور أ. ف. ميللر الذي توفر له الاطلاع على وثائق سرية كثيرة ومختلفة (راجع :
الصفحة ٢٢ من كتابه المذكور آنفاً) .

الماضيين ، عن طريق الحرب وبمساعدة ألمانيا ، وكان يشاركه الرأي الزعيمان المتنفذان الآخران طلعت باشا وجمال باشا ، وان كان الأخير لايميل كثيراً الى الألمان .

قد يبدو هذا التناقض الكبير في الرأي وهذا الاختلاف الكلي في التوجه نحو المعسكرين المتنافسين أمراً وارداً في خضم صراع استعماري حاد توقفت على نتائجه مصائر قضايا عالمية كثيرة، ولاسيما وأن دولاً أخرى أوروبية لعبت أدواراً مشابهة آنذاك جاءت في توافق مطلق مع طبيعة الحرب الدائرة كأول حرب استعمارية عالمية من أجل إعادة تقسيم مناطق النفوذ . وبإمكان الموقف الذي اتخذته إيطاليا ازاء المعسكرين المتنازعين تقديم صورة معبرة عن هذا الواقع . فاعتبرت إيطاليا الحرب الدائرة - وكما كانت في الواقع - سوقاً يمكن الدخول اليها من أوسع أبواب التعامل التجاري الحربي وتحديد الموقف في ضوء الربح النهائي المتوقع ، وهي اتصلت لهذا الغرض بالذات بالجهتين المتحاربتين في وقت واحد وتفاوضت معهما على مدى أشهر لتحديد مسألة مكتسباتها من اشتراكها الى جانب أي منهما ، وكما يعترف رئيس الوزارة البريطانية أثناء الحرب لويد جورج فقد « كان لدى الحلفاء امكانيات عرض شروط أفضل ، فقررت الحكومة الإيطالية ربط مصيرها بهم » (١١) . صحيح أن العديد من الحكام العثمانيين كانوا ينظرون الى الأمر بنفس منظار أورلاندو الإيطالي ، الا أن وضعهم كان يختلف عن وضعه من الأساس ، وكان يرتبط - مثلما ذكرنا - بواقعهم الفكري الذي كان يفصله بون شاسع عن واقعهم المادي ، لذا لم يعتمد تقرير قضايا مصرية كثيرة عليهم هم ، بل كانت تحركها أحداث أكبر وأيادٍ أقوى من وراء كواليس خفية . وتعتبر الأحداث السريعة

التي وقعت خلال الأسابيع الأولى للحرب نفسها والتي أدت الى اشتراك
الأمبراطورية العثمانية المباشر في الحرب دليلاً على ذلك لا يدحض .

فبالرغم من تحمس وزير الحرية أنور باشا وأنصاره ، وبالرغم من
نشاطاتهم الواسعة في مختلف الميادين وعلى شتى الأصعدة ، لم تعلن الدولة
العثمانية الحرب خلال الأسابيع الأولى من وقوعها ، ذلك لأن مصالح الألمان
كانت تستوجب آنذاك تبني سياسة ترمي الى ضمان الكسب النهائي
للإمبراطورية العثمانية الى جانبهم لاستغلالها عند الحاجة حسبما يشاءون
هم لا كما تشاء هي . وقد جرى تنفيذ دقيق وناجح للخطة الألمانية بهذا
الاتجاه . فيما أن ألمانيا لم تر من صالح خططها الاستراتيجية الأولى فتح جبهة
في الشرق الأوسط يمكن أن تتحول الى عبء ثقيل عليها^(١٢) أو الى « جرح
في استراتيجية الوفاق الثلاثي » حسب تعبير السفير الألماني في استانبول^(١٣) ،
في وقت ارتأت التركيز على الجبهتين الأوروبية - الغربية والشرقية ، فقد
أصبح لزاماً على الحكام العثمانيين أن يكونوا حلفاء حقيقين للألمان سراً
ومحايدين بالنسبة للجميع علناً . وعلى هذا الأساس تم في الثاني من آب من
العام ١٩١٤ التوقيع على معاهدة تحالف سرية بين الرايخشتاغ والباب العالي
لم يطلع على مضمونها قبل التوقيع سوى الصدر الأعظم سعيد حليم وأنور
مع طلعت باشا^(١٤) . والأغرب من ذلك أن استانبول أعلنت بعد أقل من ٢٤

(١٢) كان المسؤولون الألمان على بينة من الوضع العسكري المتحطل للإمبراطورية
العثمانية ، ولاسيما وأن بعثتهم العسكرية بقيادة الجنرال ليان فون
ساندرس كانت تشرف منذ العام ١٩١٣ على تنظيم الجيش العثماني .

(١٣) مقتبس من : A. S. Avetian, Op. Cit., P. 119.

(١٤) لم يطلع عليها لا السلطان ولا حتى القطب الثالث في الحكم جمال باشا
الا بعد التوقيع عليها . عن المعاهدة راجع :

A. S. Avetian, Op. Ct., PP. 120 - 121.

ساعة^(١٥) حياد الأمبراطورية العثمانية في الحرب الدائرة ، ولم يكن هناك ما يدعو الحلفاء الى عدم تصديقها ولاسيما وأنهم لم يكونوا على بينة من أمر المعاهدة العثمانية - الألمانية السرية التي لم تكن قد أودعت خزائن وزارتي الخارجية في استانبول وبرلين بعد مع أن خبرها كان قد جف . وأغلب الظن أن نص المعاهدة السرية مع قرار الحياد العثماني العلني وصلا برلين في وقت واحد . وقد دفع هذا الأخير الدول المتحالفة الى أن تعلن أنها هي الأخرى لن تنتهك حرمة أراضي الدولة العثمانية ما دامت هي تحافظ على حيادها .

ولكن لم تمض سوى فترة وجيزة للغاية ، حتى انقلبت الحسابات الألمانية وانقلب معها الموقف العثماني من الحرب . فقبل كل شيء كانت ألمانيا تتوقع أن تقف انكلترا على الحياد ، بينما انها أعلنت الحرب ضدها في اليوم الرابع من آب ، أي بعد يوم واحد على اعلان ألمانيا الحرب ضد فرنسا . والأسوأ من ذلك هو الاندحار غير المتوقع الذي اصطدم به الألمان في الأسابيع الأولى من الحرب . ففي اثر توغل الجيوش الألمانية في فرنسا بعد اختراقها السريع لأراضي بلجيكا ولوكسمبرغ المحايدتين بدأت معارك حاسمة في المنطقة الممتدة بين العاصمة باريس ومدينة فيردان القريبة من الحدود الألمانية حيث كانت الحرب سجالاتاً بين مليوني عسكري ألماني وفرنسي وانكليزي من الخامس حتى التاسع من أيلول^(١٦) وتمكن الحلفاء خلالها من وقف الزحف الألماني بنجاح فيما كان من المقرر له بموجب حسابات القيادة الألمانية حسم نتيجة الحرب لصالح الألمان بسرعة بينما أنه دشّن ، على العكس

(١٥) نقول أقل من ٢٤ ساعة على أساس أن التوقيع على معاهدة التحالف الألمانية - العثمانية السرية قد تم في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم الثاني من آب من العام ١٩١٤ .

(١٦) دخلت التاريخ باسم «موقعة مارن» نسبة الى نهر مارن وهو من فروع نهر السين .

من ذلك تماماً ، بداية الفشل الألماني . وقد بلغت آثار هذا الفشل حد أن رئيس هيئة الأركان الألمانية العامة الجنرال مولتكه^(١٧) اضطر للاستقالة من منصبه في ١٤ أيلول .

ومن جانب آخر توغلت القوات الروسية بنجاح في بروسيا الشرقية واستطاعت احتلال مناطق حساسة من غاليسيا . فاضطرت القيادة الألمانية تبعاً لذلك الى تغيير موقعها من الاشتراك المباشر للقوات العثمانية في الحرب، ذلك لأنها أصبحت بأمس الحاجة الى أي شيء يخفف عنها الضغط في ميادين القتال الأوروبية . كتب جمال باشا فيما بعد بهذا الصدد يقول : « كانت ألمانيا توافق (في البداية - ك. م.) على أن تبقى محايدتين الى أن نستكمل تعبئة جيشنا . . . ولكن بعد أن انتقلت القوات الألمانية بعد موقعة مارن^(١٨) من الهجوم الى الدفاع وبعد أن تقدم الجيش الروسي بنجاح في بروسيا الشرقية واحتل قسماً كبيراً من غاليسيا ، تغير موقف حليفتنا ألمانيا الى حد ما وبدأت تلح باصرار على اشتراكنا في الحرب بغية جذب القوات الروسية نحو القفقاس ولاجبار الانكليز على الاحتفاظ بجيش كبير في مصر »^(١٩) .

هكذا بدأت الأمبراطورية العثمانية أخيراً تخوض غمار الحرب بشكل مباشر في أوائل تشرين الثاني من العام ١٩١٤ لتصبح الحليفة الأساسية الثالثة في الجبهة الألمانية - النمساوية . ولم ينتصف شهر تشرين الثاني حتى أعلنت جميع الدول المتحاربة في جبهة الحلفاء الحرب ضد الأمبراطورية العثمانية الواحدة تلو الأخرى .

(١٧) من اقرباء الفيلد مارشال مولتكه الذي ورد اسمه في الفصل الأول من هذا الكتاب .

(١٨) راجع : الهامش ١٦ .

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 41 - 42.

(١٩) مقتبس من :

كان الاتحاديون قد بدأوا بتحضير أنفسهم لمثل هذا اليوم قبل أن تبدأ الحرب بفترة غير قصيرة . وقد سبق أن تطرقنا الى جوانب معينة من هذا الموضوع في حدود علاقته بالأكراد آنذاك . واستكمالاً للموضوع وتمهيداً لتوضيح الأحداث التي وقعت فيما بعد ، فلخص هنا أهم جوانب استعداد الدولة العثمانية للحرب . فمنذ العام ١٩١٠ بدأ ، لأول مرة ، تجنيد المواطنين غير المسلمين في الجيش وبوشر برفع ميزانية وزارة الحرية بحيث انها أصبحت تشكل مع حصة وزارتي البحرية واللاخية حوالي ٤٥٪ من مجموع ميزانية الدولة الفعلية للعام ١٩١٤ وارتفعت في سنوات الحرب أكثر لتشكّل ٧٥٪ منها^(٢٠) . وفي بداية الحرب دعي ٦٥٠ ألف شاب الى الخدمة العسكرية، ولكن هذا الرقم ارتفع في سنوات الحرب نفسها الى أربعة ملايين شخص^(٢١) . وجرى في الوقت نفسه تجهيز قطعات الجيش العثماني بأسلحة ألمانية جديدة . لعبت ألمانيا ، كما كان متوقفاً ، دوراً أساسياً في الاستعدادات والخطط العسكرية العثمانية . فما ان بدأت الحرب وتم عقد المعاهدة السرية بين الطرفين حتى بوشر بارسال كميات كبيرة من الأسلحة الألمانية الى تركيا بطرق مختلفة . فخلال أقل من شهر واحد بعد التوقيع على المعاهدة المذكورة تم ارسال متي قاطرة محملة بأنواع الأسلحة والمتفجرات الى الأراضي العثمانية . وتوجهت في الوقت نفسه أعداد كبيرة من العسكريين والبحارة والفنيين الألمان الى استانبول بلغ عددهم حتى أواخر أيلول خمسة آلاف شخص تفلطوا في مختلف المرافق العسكرية الحساسة حتى أصبح من المألوف أن تلتقي بضابط ألماني على ظهر كل سفينة عثمانية^(٢٢) . وقامت برلين أيضاً بمنح الباب العالي

(٢٠) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 255, 258.

(٢١) راجع : A. D. Novichev, Turkey, P. 130.

(٢٢) هذه الأرقام مقتبسة من الوثائق الرسمية (راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 128, 134).

قرضاً جديداً مقداره ١٠٠ مليون فرنك (٢٣) .

من جانب آخر التزم الألمان بتعهدات كثيرة كانوا يبغون منها ضرب مصالح الدول الرأسمالية الأخرى في الأمبراطورية العثمانية وربط مصيرها بمصير بلادهم كلياً . فبعد التوقيع على معاهدة التحالف السرية بين الطرفين أرسل السفير الألماني لدى الباب العالي رسالة الى الصدر الأعظم احتوت على وعود كثيرة منها أن ألمانيا « تساعد تركيا على إلغاء نظام الامتيازات » وفي العمل من أجل « إعادة الجزر الواقعة في بحر ايجه » اليها « في حالة اشتراك اليونان في الحرب » الى جانب الحلفاء ، ومن أجل « تغيير الحدود الشرقية لتركيا بشكل يمكنها من الاحتكاك المباشر بالعناصر المسلمة في روسيا » وأخيراً تعهدت ألمانيا بأن لا تعقد صلحاً منفرداً « الا بعد أن يتم تحرير جميع أراضي الأمبراطورية العثمانية من الجيوش المعادية » (٢٤) . ولكن حتى في سنوات الحرب كانت جهود ألمانيا موجهة في الواقع الى تحويل الأمبراطورية العثمانية الى شبه مستعمرة تابعة لها . وبهذا الصدد يقول ج . پوميانووسكي الملحق العسكري النمساوي في استانبول آنذاك :

« ان كل ما رأيت وسمعت كان يدل على أن الألمان يحاولون السيطرة على الأراضي التركية [يقصد العثمانية - ك. م.] بالتدريج اما على شكل محمية أو عن طريق معاهدة سياسية وكان لديهم أكثر من ذلك خطط مختلفة بعيدة المدى بالنسبة للمناطق الآسيوية الداخلية وحتى الهند اذا أمكن » (٢٥) .

ظل القادة الاتحاديون ، مع ذلك ، يسبحون كالسابق في عالم الخيال ويضعون الخطط الطموحة فوق الرمال . فحسب تصورات أنور باشا المثالية

A. F. Miller, Op. Cit., P. 43.

(٢٣) راجع :

A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 121 - 122.

(٢٤) راجع :

Ibid, PP. 7 - 8, 129.

(٢٥)

غدا كل شيء في متناول اليد . لذا نراه ، وقد أصبح نائباً للقائد الأعلى (٢٦) ، يضع مع أقرب أعوانه خطة عسكرية واسعة لم تتناسب لا مع واقع طاقات الأبراطورية ولا مع واقع تناسب القوى على صعيد المنطقة والعالم . فقد كان من المقرر حسب خطة أنور باشا (٢٧) أن تتقدم القوات العثمانية باتجاهين - أحدهما نحو القفقاس ضد الروس والآخر نحو قناة السويس ومصر ضد الانكليز . وبما أن واضعي الخطة كانوا على ثقة تامة من سحق العدوين خلال فترة قصيرة فانهم جعلوا الخطوات التالية بشكل تؤدي الى نشر العمليات العسكرية في أرجاء العالم الاسلامي كله (١) دون تأخير . فمن شأن الجهاد - حسب تصور أنور وزملائه - ضمان انضمام ايران وأفغانستان الى جانب الجيوش العثمانية التي تكون قد حققت - فوق الخارطة العسكرية طبعاً - الانتصار الحاسم على الانكليز والروس في الجبهتين المذكورتين . وبعد اعلان الدولتين المسلمتين الحرب ضد الحلفاء تتجمع جيوشهما الجرارة مع القوات العثمانية في ايران لتخترق من هناك المرات الجبلية في شمالي غربي أفغانستان فتصل الى الهند مظفرة حيث يلتحق بها في الحال مسلمو شبه القارة الهندية . ولا تقل الانتصارات في الجناح الغربي عظمة وسرعة عن هذه بكل تأكيد . فبعد انتهاء مهمة القوات العثمانية في القناة ونشر راية السلطان الخفاقة لترفرف عالياً فوق كل شبر من وادي النيل ، وربما بعد استراحة قصيرة ، تتوجه هذه القوات الى ليبيا حيث ينضم اليها السنوسيون في الحال و الى السودان التي يستقبلها أهلها بنفس الحماس ومن ثم يتوجه الجميع « لانتقاد » سكان المستعمرات الافريقية كافة من نير الحلفاء . ولاتقل القوات العاملة في جبهة

(٢٦) تمسكاً بالتقاليد الموروثة ظل السلطان يشغل اسماً منصب القائد الأعلى للجيش .

(٢٧) الغريب في الأمر أن الالمان المعروفين بحنكتهم العسكرية وباطلاعهم عن قرب على وضع الجيش العثماني ساهموا في وضع هذه الخطة .

القفقاس همة دون شك ، فانها تتقدم لأداء مهماتها بنفس السرعة وربما بأكثر منها ، فمن المقرر لها أن تقوم بسيطرة خاطفة على القفقاس كله لتتوجه القوات المنتصرة بعد ذلك الى آذربيجان الإيرانية فتتم محاصرة بحر قزوين من جميع أطرافه بشكل محكم مما يسهل - حسب الخطة طبعا - الوصول الى مناطق سكنى التتر المسلمين والى سائر أنحاء آسيا الوسطى .

هذه هي الخطة التي حدد الخبير العسكري التركي العقيد فؤاد بيك الدرجة التي تستحقها في « المدرسة العسكرية التابعة للقيادة العامة » بـ « الصفر من المئة » فقط (٢٨) ، بينما كانت تستحق في نظر أنور باشا والمقربين والمتزلفين درجة تفوق المئة من المئة (!) حتماً . لذا نراه يختار لنفسه مهمة قيادة القوات المتوجهة نحو القفقاس ويختار لزميله جمال باشا « مهمة نابليون بونابارت » التي لم يشك هذا لحظة واحدة في امكانية تحقيقها الموفق ، لذا نراه يعلن على رؤوس الأشهاد وبكسل اعتزاز وغرور يوم توديعه في محطة القطار أنه « سوف يعود بحراً عن طريق الاسكندرية » (٢٩) ولا نعلم هل أكد الباشا عهده الرفيع بأغظ الايمان أم لم ير موجبا لذلك أصلا . مهما يكن من أمر فان اللقب الوحيد الذي حصله القائد الاتحادي والوزير البحري بعد الفشل الذريع والهرب الى ألمانيا ثم اللجوء الى سويسرا فافغانستان هو « السفاح » لأنه سفتح في طريقه الى مصر دماء كثيرة ، ولكنها لم تكن دماء الأعداء الذين ذهب لمقاتلتهم ، انما كانت دماء الوطنيين السوريين الذين كانوا يناضلون في سبيل الحقوق القومية المشروعة لشعبهم العربي في الشام . ولم يكن مصير زملائه بأحسن من ذلك ، لكن - وهذا ما يؤسف له - بعد أن جروا ويلات لا توصف على جميع شعوب الامبراطورية ، وفي مقدمتها الشعب التركي ،

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 45 - 46.

(٢٨) مقتبس من :

Ibid, P. 47.

(٢٩)

وهو موضوع نضطر للعودة الى ذكر بعض تفاصيله من خلال عرضنا لموقع الكرد في أحداث الحرب العالمية الأولى .

★ ★ ★

اهتم الاتحاديون والألمان منذ « طلبة سراجيقو » ، بأشكال مختلفة ، باقحام الكرد في أتون الحرب ، ولاسيما وأن جميع مناطق سكنهم كانت تقع في قلب المخطط الذي وضعه أنور باشا . وقد لجأوا لتحقيق هذه الغاية الى مختلف الوسائل والحيل . فقد حاولوا في بادئ الأمر ، إثارة المشاعر الدينية للناس البسطاء ، فلم يكن الأكراد آخر من قصدهم السلطان - الخليفة في دعوته الى « الجهاد المقدس » ولا آخر من أراد تحريكهم شيخ الاسلام بفتاواه الخمس التي أصدرها في بداية الحرب ضد « كفار روسيا وانكلترا وفرنسا » الذين يحاولون « لا سامح الله » اطفاء « القدر المعلي » للاسلام كما ورد في فتواه . واذ لم تؤد هذه الفتاوى والدعوات الى نتيجة ما بين مسلمي القفقاس ومصر والهند ، فانها حققت بعض النتائج في كردستان لأنها كانت تصل الى أيدي الناس بسهولة وفي اطار عاطفي مثير ضمن الدعاية الألمانية - التركية الواسعة . فان صحافة الاتحاديين التي لم تكن تصل الى الأرجاء الاسلامية الأخرى الا نادراً ، كانت توزع في معظم المدن الكردية وهي كانت تصور الانتصارات الألمانية بشكل مبالغ فيه دون أن تذكر كلمة واحدة بالطبع عن نجاحات الحلفاء . ثم انها كانت تضرب بدورها على وتر العاطفة الدينية الحساس بأسلوب لا يمكن الا أن يؤثر على مشاعر الناس . فجريدة « تنين » مثلاً ذكرت المسلمين في عدديها الصادرين يومي ٢٣ و ٢٤ تشرين الأول من العام ١٩١٤ ، بالقسم الرفيع الذي أداه الإمبراطور الألماني « على ضريح صلاح الدين في دمشق » بأن يحمي المسلمين من « ظلم الدول المسيحية » ، كما ذكرت الجريدة الناس على لسان الشاعر فائق علي ، بأن السلطان سليم

(١٠ - ٢)

ياوز كان أول من « حمل لقب خليفة المسلمين » بين سلاطين آل عثمان ، ولو لم تخطفه يد المنون فانه كان يصل - كما يقول الشاعر - خلال سنوات قلائل «الى سواحل المحيط الهندي ليندو كل العالم الاسلامي تحت رايته المظفرة» . وفي تعليق طريف له على مثل هذا القول يأسف الأكاديمي مردليفسكي لأن الناس نسوا كيف أن هذا السلطان « المؤمن » كان يرى في « قتل شيوعي واحد حسنة أكبر وأجراً أعظم مما في قتل سبعين مسيحياً »^(٣٠) . الا أنه لم يكن من الصعب على لسان حال الاتحاديين قلب تلك الصورة من أجل الهدف الجديد^(٣١) لتظهر بهذا الشكل : « كان الترك هم السابقين الى حمل سيف الحق لبتز أعداء الاسلام . وبالتأكيد فان اليد الأخرى التي (تحمل السيف - ك.م .) تكون لحماية الفرس » من أعداء الاسلام . ولم يكن مستوى الوعي بين الكرد وغيرهم بلغ بالطبع حداً يطالبون حملة السيف بأن يحموا بنفس الحماس مسلمي البلقان من ظلم حليفهم النمسا ، بل اندفعت اعداد منهم، في البداية على الأقل ، لمواجهة كمار لندن وباريس والمسقوف بشكل خاص دون أن يحسبوا حساباً « للقرابة البعيدة » التي كانت تربطهم بقيصر روسيا^(٣٢) .

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 84 - 86.

(٣٠)

(٣١) عندما كان التوجه نحو أوروبا ، والبلقان بالذات ، يشكل منفذ حياة ومخرج رفاه ، كان قتل المسيحيين - بنظر السلاطين - عملاً صالحاً يثاب عليه المرء ومن شأنه جعل الحياة رخيصة في نظر البسطاء . لكن ما أن تمكنت الدول الأوروبية القوية من وضع حد للخطر الأثمي من الشرق وغدت المناطق الآسيوية الغنية المجاورة تشكل عوضاً عن خسارة الغرب الكبرى ، حتى أصبح في قتل المسلم الشيوعي مثوبة أكبر - لكن الهدف بقي وان تغير الموقع ! .

(٣٢) تشير إحدى الوثائق الروسية الى أن حماس أحد رؤساء العشائر الأكراد الموالين لروسيا القيصرية ، بلغ حد أنه أكد في حديث له مع دبلوماسي روسي « وجود صلة قريى بين الأكراد وعظمة القيصر » .

كان بإمكان دعوة السلطان الى الجهاد وفتاوى شيخ الاسلام تحريك قطاع واسع من الشعب الكردي لم يكن من الصعب عليه تغيير موقفه بسره عند أول اصطدام له بالواقع المرتبط بلقمة عيشه ووجود اولاده ، لكنها لم تكن كافية منذ البداية لدفع الجميع الى نار الحرب الدائرة ، لذا بدأ الاتحاديون ينشرون الوعود يمنة ويسرة حول اقامة نظام للحكم الذاتي في كردستان ، وان رغب الناس فأكثر ، ولكن بعد أن تفضع الحرب أوزارها ودون أدنى تأخير ، في كلتا الحالتين . وكان هم الاتحادين منصبا آنذاك على تحريض رؤساء العشائر القوية بقصد اثاره المشاكل للروس في منطقة القفقاس، وبدأوا بمحاولة بث الحياة في « الفارس الحميدي » لهذا الغرض ، ولكن تحت واجهات جديدة (٣٣) .

لم يكن اهتمام الألمان بالأكراد أقل من اهتمام العثمانيين بهم ، ولم يأت ذلك اعتباطاً ، بل جاء في اطار خط سياسي عام تبنيه ازاء شعوب المنطقة . فقد أعار الألمان موضوع اثاره الشعوب الاسلامية ضد الحلفاء اهتماماً بالغاً ضمن مجهوداتهم العسكرية والدعائية . ففي بداية الحرب لم تحبذ الأوساط الحاكمة في برلين - كما مر بنا - الاشتراك المباشر للقوات العثمانية في العمليات الحربية ، بينما أرادوا منذ ذلك الوقت تحريك الشعوب المسلمة في الشرق الأوسط ضد الانكليز والروس بشكل خاص ، وهذا ما جاء صراحة في الرسالة التي بعثها رئيس هيئة الأركان الألمانية الجنرال مولكته الى أنور

(٣٣) لم يتخذ الاتحاديون منذ توليهم السلطة اجراءً جدياً ضد الفرق الحميدية بالرغم من الحاح الجماهير الكردية والأرمنية وعرائضها المتكررة حول ضرورة وضع نهاية لهذه الفرق واستهتارها . وقد نجم موقف الاتحادين هذا من عاملين متناقضين الى حد ما هما عدم توفر امكانيات فعلية لديهم لاتخاذ مثل ذلك الاجراء أولاً ولرغبتهم في استغلال هذه الفرق ضد روسيا ثانياً .

باشا في ١٠ آب من العام ١٩١٤ حيث طالبه بالعمل بجد لاثارة انتفاضات وحركات معادية لروسيا وانكلترا في العالم الاسلامي^(٣٤) . وكان الألمان جد مهتمين بمناطق الحدود وبالقفقاس لأنهم كانوا يريدون خلق مشاكل هناك يكون من شأنها الحيلولة دون تفرغ روسيا التام لمساعدة الصرب ورومانيا ، كما كانوا يريدون اثاره مشاكل مشابهة للانكليز في مصر والهند كذلك . وقد استأثر هذا الموضوع باهتمام شخصيات من أرفع المستويات بما في ذلك شخص الامبراطور ، فتم تأسيس شعبة خاصة في هيئة الأركان الألمانية برئاسة رجل الاستخبارات القدير رادولف نادولن وكان يساعده القنصل الألماني السابق في القاهرة ماكس . وانتشر جواسيس ألمانيا وعملاؤها في ارجاء اسلامية شتى لأداء هذه المهمة ، ومن بينها بعض المناطق الكردية العثمانية والایرانية ، وجرى تنسيق في العمل بين العثمانيين والألمان بالنسبة للأخيرة كما نعود الى تفصيل ذلك فيما بعد .

الا أنه ، وبغض النظر عن كل ذلك ، لم يكن بوسع الشعب الكردي أن يقف ، على أي حال ، بمعزل عن لظى الحرب الدائرة . ذلك لأن موطنه كان قد بات ميداناً لصراع ضروس بين ثلاثة جيوش - العثماني والروسي والبريطاني الى جانب الألمان العاملين في القوات العثمانية ، فكانت نيران الحرب تحاصره والسنة اللهب تمتد اليه من جوانب عديدة وبأشكال مختلفة . لذا يمكن القول ان الشعب الكردي اشترك في أحداث الحرب العالمية الأولى منذ بدايتها ولكن دون أن يكون الأمر في يديه ودون أن تكون له رغبة فعلية أو مصلحة حيوية في ذلك . وفي الواقع فان وطنه لم يكن قد تحول الى أحد ميادين القتال الرئيسية وحسب ، بل ، وكما يقول الدكتور م . س . لازاريف ،

فان « أولى طلقات الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى قد دوت في كردستان الايرانية^(٢٥) لا في البحر الأسود^(٢٦) . ومنذ ذلك الحين وعلى مدى أربع سنوات كانت الجيوش العثمانية والروسية والبريطانية تصطدم ببعضها في العديد من المناطق الكردية ، وقد وقعت بينها حروب ضارية كانت نتائج بعضها ترك أثرها بوضوح على ميزان القوى بين المتحاربين في ميادين قتال الشرق الأوسط . وفي الوقت نفسه فانها كانت تؤدي الى الدمار والتشرد في العديد من نواحي كردستان . فضلا عن أن عددا كبيرا من شباب الكرد ذهبوا ضحية للحرب ، فقد كانت الغالبية الساحقة من الجيش التاسع المرابط في منطقة أرضروم والجيش العاشر المرابط في منطقة سيواس والجيش الحادي عشر المرابط في منطقة العزيز والجيش الثاني عشر المرابط في منطقة الموصل مؤلفة من الأكراد^(٢٧) ، فضلا عن القوات غير النظامية التي كانت

(٢٥) لم تدخل الامبراطورية العثمانية الحرب مباشرة كما أسلفنا ، ومع ذلك ، فقد ظهرت بوادر التحالف الألماني - العثماني بسرعة . وقبل اعلان الحرب رسمياً بين الدولة العثمانية والحلفاء لجأت الأولى الى اجراءات فعلية ضد مصالح هؤلاء ، فقامت سفينتان المانيتان تحملان العلم العثماني ويقودهما بحارة عثمانيون الى جانب الالمان بقصف الشواطئ الروسية للبحر الأسود في التاسع والعشرين من تشرين الأول من العام ١٩١٤ . ويعتبر هذا الحادث ، مثل طلقة سراجيفو ، بداية للحرب في المنطقة مع أن الاعلان عنه قد تأخر لعدة ايام . الا أن حوادث ضرب المصالح الروسية في كردستان الايرانية قد سبقت في الواقع المدوان الذي وقع في البحر الأسود مما دفع الدكتور لازاريف الى مثل هذا القول .

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 299.

(٢٦)

(٢٧) محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، الص ٢٧٤ . لا يرتقي الشك الى صحة هذه المعلومات ولاسيما وأن المؤلف نفسه كان من الضباط المطلعين في الجيش العثماني وكان العديد من مؤلفاته من المصادر الموثوقة المعتمد عليها في المدارس العسكرية العثمانية وحتى التركية فيما بعد .

تشارك في العديد من المناطق في القتال الدائر وتقدم الضحايا قليلاً أو كثيراً . ومن الجدير بالذكر أن الموظفين العثمانيين في المناطق الكردية شددوا في بداية الحرب ، أكثر من أي وقت مضى ، لانجاح عملية التجنيد التي أثارت رد فعل كبيراً بين الأوساط الفلاحية وغيرها ، حتى ان كلمة «سفربرلك»^(٣٨) التي تعني في اللغة التركية النفير العام دخلت اللغة الكردية منذ تلك الأيام وغلت مصطلحاً يستخدم حتى اليوم للدلالة على الحظ السيء والسفر المشؤوم الذي لا رجعة منه .

عبر رد الفعل الكردي ازاء الحرب والتعبئة العامة عن نفسه بسرعة . فمنذ البداية رفضت عشائر كردية كثيرة الاستجابة لنداءات الاتحاديين المتكررة حول « الجهاد المقدس » والتجنيد العام ، كما لم يمض على اندلاع نار الحرب وقت طويل حتى أخذ الجنود الأكراد يفرون زرافات ووحداناً تاركين صفوف الجيش العثماني وعلى سبيل المثال لم ينقض أكثر من أشهر قلائل على بدء القتال ، حتى هرب أكثر من ١٥ ألف خيال كردي من صفوف الجيش الثالث وهذا يشكل نسبة تزيد عن خمسة أسداس مجموعهم في الجيش المذكور^(٣٩) . وكثيراً ما كان يحدث في مناطق الحدود أن يولي الجنود الأكراد ورجال العشائر ورؤساؤهم بكامل أسلحتهم الى جانب القوات

(٣٨) حورت في معظم المناطق الى « سفربرلك » .

(٣٩) احتسبت على أساس الأرقام الواردة في :

**Корсун Н.Г. , Сарыкамышская операция на Кав-
казском фронте мировой войны в 1914-1915, Мос-
ква, 1937, стр.30.**

ن.ك. كارسون، معركة ساري قاميش في جبهة القفقاس للحرب العالمية في العامين ١٩١٤ - ١٩١٥ ، موسكو ، ١٩٣٧ ، الص ٣٠ . (في الهوامش القادمة : N. G. Carsoon ...) .

الروسية العاملة هناك . يتطرق بوريس شاخوفسكي في مذكراته الى هذا الموضوع فيذكر أسماء العديد من المتنفيذين الكرد الذين تركوا صفوف العثمانيين وانضموا الى الروس ومنهم رسول بيك وشقيقه خالد بيك ابنا أيوب باشا في منطقة قره كيليس وقد التحق معهما أتباعهما الحميديون ، ورئيس عشيرة أداما نلي علي بيك وغيرهم . وكما يذكر هذا المصدر الموثوق نفسه فان رئيس عشيرة حيدرآلي القوية كوير حسين باشا المعروف^(٤٠) قد اتصل بالروس وأبدى استعدادة للانضمام اليهم كذلك^(٤١) .

ومنذ بداية الحرب زاول رجال العشائر الكردية في بعض المناطق هجمات مفاجئة على القطعات العثمانية بدوافع مختلفة منها تحريض العملاء الانكليز لهم ومنها الرغبة في الحصول على بعض الفنائم (البنادق والخرابيش بشكل خاص) ومنها ما كان يحدث بدافع الحقد ضد السلطة العثمانية . يشير المؤلف الألماني ك. لوربي بهذا الصدد الى الهجمات المتلاحقة التي قام بها « الأكراد والعرب » ابتداء من ربيع العام ١٩١٤ حتى نهاية العام ١٩١٥ ضد القوافل المتوجهة الى ساحة القتال في جنوبي العراق بحيث اضطرت القيادة

(٤٠) كان رئيس الحيدرآلي كوير حسين باشا من الأكراد المعروفين بنفوذهم الواسع وثوراتهم الطائفة ، فقد كان يملك حوالي ٣٠٠ قرية . عرف بمصاداته للاتحاديين وتعاون مع الشيخ عبدالقادر النهري وكان على اتصال بالروس قبل أن تبدأ الحرب .
(٤١) راجع :

**Курд-Оглу, Курды и империализм, - "Бюллетень
прессы Среднего Востока", Ташкент, № 13-14,
1932, стр.108.**

كورد اوغلو ، الكرد والاستعمار ، - «النشرة الصحفية للشرق الأوسط ،
طاشقند ، الممدد ١٣ - ١٤ ، ١٩٣٢ ، الص ١٠٨ . (في الهوامش القادمة :
Kurd - Oghlu . . .) .

العثمانية — الألمانية المشتركة الى تخصيص قوات اضافية لحماية الطرق التي تجتازها تلك القوافل (٤٢) .

امتدت نيران الحرب الى المناطق الكردية ، بعد تورط الامبراطورية العثمانية فيها مباشرة ، ذلك لأن خطة أنور باشا لضرب القوات الروسية واحتلال القفقاس كانت تقضي بفتح جبهة تبدأ من أردهان في شمالي قارص وتمتد الى ساري قاميش في جنوبي قارص أيضا وتتجه من هناك باتجاه جنوبي شرقي الى ورمي داخل الأراضي الايرانية . كان أنور باشا واثقا من النصر حتى أنه أراد أن يكون شرفه من نصيبه هو ، لذا قاد بنفسه القوات العثمانية في هذه الجبهة وكان يساعده الجنرال الألماني بروتزارت فون شيليندروف . لكن سرعان ما تكررت مأساة مارن الأوروبية في ساري قاميش الآسيوية بحجم أصغر ولكن بخسارة أكبر نسبيا . فقد تمكنت القوات الروسية من التقدم في تشرين الثاني من العام ١٩١٤ باتجاه أرضروم ووان ، فجابها أنور باشا بقوات كبيرة تألفت من الجيش الثالث برمته — ١٢٧ فوجاً و ٢٢ فرقة من الخيالة النظامية وعدة فرق من الخيالة الأكراد غير النظاميين مع ٢٧١ مدفعا (بلغ تعداد الجميع ٩٠ ألف شخص) . حقق الفيلق الحادي عشر والفرقة الثانية من الجيش الثالث مع الخيالة الأكراد بعض التقدم باتجاه ساري قاميش منذ التاسع من كانون الأول من العام ١٩١٤ ، الا أن القوات الروسية تمكنت من وقف زحف القوات العثمانية وانتقلت الى الهجوم منذ

(٤٢) راجع :

Дорей Г. , Операция германо-турецких морских сил в 1914-1918 гг. , Москва, 1934, стр.320.

د.ك. لوربي ، عمليات القوات البحرية الألمانية — التركية في الاعوام ١٩١٤ — ١٩١٨ ، الترجمة الروسية ، موسكو ، ١٩٣٤ ، الص ٢٢٠ .

اليوم السادس عشر من الشهر نفسه واستطاعت أن تحكم سيطرتها على بعض المواقع الاستراتيجية وحقت بعد ذلك بأربعة أيام نصراً كبيراً عندما أوقعت كل الفيلق التاسع من الجيش العثماني في الأسر . وأخيراً انتهت المعركة في اليوم السادس من كانون الثاني من العام ١٩١٥ باندحار فظيع لقوات أنور باشا التي فقدت ٧٠ ألف شخص ، أي أكثر من ثلاثة أرباعها ، مات حوالي ٣٠ ألفاً منهم بسبب البرد^(٤٣) .

ترك أنور باشا القيادة بعد هذه الهزيمة النكراء وعاد الى استانبول ولم يسمح للرأي العام بالاطلاع لفترة طويلة على القتل الذريع الذي أصاب خطته في أول خطوة لها^(٤٤) فأثر على وضع القوات العثمانية العاملة ، وعلى خطته هو في جنوبي العراق لاحتلال القناة ومصر ، وعلى سمعة العثمانيين في ايران . والأسوأ من كل ذلك أن اتكاسة ساري قاميش مهدت الطريق أمام تقدم الجيش الروسي نحو وان حيث تمكن من احكام سيطرته على المنطقة خلال الصيف من العام ١٩١٥ ثم احتل في بداية العام ١٩١٦ أرضروم فطرايزون وأرزنجان وبعد ذلك بعدة أشهر (في الصيف من العام نفسه) احتل موش وبديليس ، وكان ذلك كله يعني احتكاكاً مباشراً أكبر وأوسع للروس بالأكراد .

ازداد اهتمام الروس بالشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وازداد تبعاً لذلك تورط هذا الشعب في الأحداث الدموية التي رافقت تلك الحرب . فبقدر ما كان العثمانيون والألمان يتمون بإثارة الكرد ضد الروس ، كان هؤلاء يحاولون كسبهم الى جانبهم والاستفادة منهم في

N. G. Carsoon, Op. Cit., P. 30.

(٤٣) راجع :

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 47 - 48.

(٤٤) راجع :

عملياتهم الحربية التي توسعت بشكل امتدت حتى كردستان الجنوبية كما نعود الى بحث ذلك بالتفصيل فيما بعد . وهكذا ازداد نشاط الضباط الروس وغيرهم في كردستان بشكل ملموس وقد عهدت مهمة الاشراف على تنظيم اتصال القيادة الروسية في القفقاس بالرؤساء الأكراد الى قنصل روسيا السابق في دمشق بوريس شاخوفسكي الذي أسره العثمانيون مع اعلان الحرب الا أنه تمكن من الهرب بمساعدة الأكراد له . وما ساعد على نجاح شاخوفسكي في مهمته الجديدة تعاون كامل بيك من عائلة بدرخان معه كما يشير شخصياً الى ذلك في مذكراته^(٤٥) . وكما ذكرنا سابقاً فان نشاطات الروس أدت الى كسب عدد غير قليل من المتنفذين الكرد الذين تركوا صفوف العثمانيين ومنهم من انضم مع رجاله الى جانب الروس .

تجول عدد من الضباط والمدنيين الروس في سنوات الحرب في المناطق الكردية منهم گردليفسكي الذي وصل في العام ١٩١٦ الى أكراد جبل سبجان داغ ونشر بحثاً خاصاً عنهم في السنة التالية مع مقال آخر بعنوان « ملاحظات عن الأكراد »^(٤٦) . وتم نشر بحوث أخرى كذلك عن الكرد ومناطقهم في

(٤٥) جميع المعلومات الواردة هنا عن نشاط بوريس شاخوفسكي بين الأكراد مقتبسة من بحث كورد اوغلو الأنف الذكر (الصف ١٠٨ - ١٠٩) واقتبسها هو بدوره من مذكرات شاخوفسكي والمصادر الارشيفية الأخرى .

(٤٦) نشر ف. ا. گردليفسكي بحثه الاول تحت عنوان « بين اكراد سبجان داغ » في المجلد الاول من مجلة « العالم الاسلامي » (بيتروغراد ١٩١٧ ، الصف ٢٣ - ٢٤) ونشر أيضاً على شكل مستقل مستقل يقع في ١٤ صفحة:

Гардлевский В., У Спиханджских курдов, - "Му-
сульманский Мир", Петроград, ч. I, вып. I, 1917,
стр. 23-34.

ونشر البحث نفسه مرة أخرى ضمن مؤلفات گردليفسكي المختارة (V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 447 - 457).

اما مقاله « ملاحظات عن الأكراد » فقد نشر في العام نفسه في العدد الثامن

سنوات الحرب منها « رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية » كتبها القنصل الروسي السابق في ساوجبولاق (سابلاغ) العقيد الفنلندي المولد ألكسندر ايفانوفيتش ايباس وقد ألحق به خارطة مع ٢٧ صورة عن المناطق التي زارها [نشر في العام ١٩١٥]^(٤٧) . وقام مينورسكي في العامين ١٩١٥ و ١٩١٦ بنشر عدد من بحوثه وملاحظاته عن الشعب الكردي وببلاده منها بحثه « الأكراد . ملاحظات وانطباعات » الذي نشره على شكل مقال في مجلة « أخبار وزارة الخارجية » [العدد الثالث ، ١٩١٥]^(٤٨) و « معلومات عن

= من جريدة "Русские ведомости" (الكشوف الروسية) التي كان

يصدرها عدد من الاساتذة الليبراليين في موسكو . أعيد نشر المقال ضمن مؤلفات كردليفسكي المختارة تحت عنوان جديد هو « من تاريخ الأكراد » (V. A. Gardievski, Op. Cit., Vol. III, PP. 113 - 120).

Ияс А. И. , Поездка по Северному Персидскому Курдистану, Петроград, 1915. (٤٧)

١. ي. ايباس ، رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية ، بيتروغراد ١٩١٥ . (في الهوامش القادمة : A. I. Eyas ...) . نشرت مع البحث مقدمة باسم (ف. م.) ، وكما يبدو واضحاً من سياقها فان (ف. م.) هو فلاديمير مينورسكي . يتضمن البحث كذلك خارطة دقيقة لمناطق الحدود العثمانية - الايرانية التي زارها العقيد ايباس . نشر للمؤلف نفسه قبل ذلك بحث آخر بعنوان « الموقع الجغرافي والوضع الاقتصادي لمنطقة ساوجبولاق في كردستان » في العدد ٣٨ [العام ١٩١٤] من « تقارير القناصل الروس في الخارج عن قضايا تجارية - صناعية » (المص ١-١٧) .
(٤٨) نشر على شكل مستل خاص (٣٣ صفحة) تحت العنوان نفسه :

Минорский В. Ф. , Курды. Заметки и впечатления, Петроград, 1915.

ونقله الدكتور معروف خزندار الى العربية ونشره في العام ١٩٦٨ في بغداد ، في كتاب .

سكان بعض مناطق الحدود التركية - الايرانية « في دورية « معلومات لدراسة الشرق » [المجلد الثاني ١٩١٥] (٤٩) . وترجم نيكيتين من الانكليزية بحثاً للميجرسون وعلق عليه وطبعه في العام ١٩١٧ في ورني تحت عنوان « عن الكرد وبلادهم » . كما نشرت بحوث ودراسات وخرائط عديدة أخرى عن كردستان باللغة الروسية في سنوات الحرب .

ولكن بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من جميع أخطاء الاتحاديين ، فان الأمور لم تجر بين الأكراد دوما كما كان الروس يشتهون . ولا تحتل السياسة الخاطئة التي تبناها بعض المسؤولين الروس المكافة الأخيرة بين الأسباب التي أدت الى ظهور مصاعب مختلفة أمام القوات الروسية العاملة في المناطق الكردية . فقد ارتكبت هذه القوات أعمالاً فظيعة في العديد من المناطق كما ستعرض الى نماذج منها فيما بعد . ولم يتصرف المسؤولون الروس بود حتى مع رؤساء الكرد الذين اتقلوا الى جانبهم وهو أمر لم يكن يخلو من اقدام وتحد كبيرين في ظروف العالم الاسلامي آنذ (٥٠) . ومع

(٤٩) نشر مينورسكي في الفترة نفسها تقريباً بعض الدراسات العلمية الصرفة عن الكرد سواء ضمن بحثه عن ماكو [العام ١٩١٦] أو عن كيلهشين بالقرب من بحيرة وان [في العام نفسه] وقد كرس هذا الأخير لدراسة المواقع الأثرية في كردستان .

(٥٠) جرت حالات مشابهة في مناطق أخرى معظمها كانت بعيدة عن مركز الإمبراطورية وكانت تمر بظروف تختلف الى حد ما عن ظروف كردستان، كما حدث في الحجاز مثلاً. لكن حتى هنا لم يكن من السهل للجميع هضم صورة حمل السيف بوجه « السلطان الخليفة » ، علماً بأن نداء الجهاد الذي اذاعه السلطان لم يجد له أي صدى تقريباً في شبه الجزيرة العربية على العكس من بعض المناطق الكردية (راجع :

((War Memories of David Lloyd George)) , Vol. IV, London, 1936, P. 1810).

ذلك ، وكما يذكر بوريس شاخوفسكي في مذكراته^(٥١) ، فقد تم اعتقال رسول بيك وخالد بيك اللذين التحقا مع رجالهما - كما أسلفنا - بالجبهة الروسية . وحسب الأسلوب الشرقي العتيق الذي غالباً ما لجأ اليه المستعمرون ، قام المسؤولون الروس بالقبض على علي بيك وغيره من رؤساء منطقة بايزيد بعد دعوتهم لحضور احتفال عسكري حيث أرسلوا من هناك مخفورين الى سيبيريا ، كما تم حجز أموال العديد من الأكراد .

والأسوأ من كل ذلك أن القيادة الروسية في منطقة القفقاس تبنت الوجه الآخر للسياسة العثمانية العقيمة ازاء العلاقات الأرمنية - الكردية فزادت من تعقيدها . « انها - كما يقول شاخوفسكي - بدأت بملاحقة الأكراد مباشرة ولم تحل دون مخالقات الأرمن الفظة »^(٥٢) ازاء الكرد طبعاً^(٥٣) . فقد كان القوميون المتعصبون من الأرمن يريدون ، كما يذكر شاخوفسكي نفسه ، « اباداة جميع السكان المسلمين الموجودين في المناطق التي قمنا باحتلالها . »

كان من الطبيعي جداً أن تؤدي مثل هذه السياسة وتلك الأعمال الى نتائج سلبية بالنسبة للروس في المناطق الكردية . فقبل كل شيء تقلص بالتدريج عدد الأكراد الذين كانوا يفضلون الانتقال الى جانب الروس ، كما استغل العثمانيون والألمان الحوادث المذكورة وغيرها في حملتهم الواسعة لتحريض المشائر الكردية ضد روسيا القيصرية، وكانت النتيجة أن أدت بشكل

Kurd - Oghlu, Op. Cit., P. 108.

(٥١) راجع :

Ibid

(٥٢)

(٥٣) استغل بعض القوميون المتطرفين من الداشناقيين مجيء القوات الروسية

لضرب مسلمي المنطقة ، والاكراد منهم بشكل خاص ، فيما كانوا يعتبرونه

انتقاماً للدماء الأرمنية^٤ البريئة التي أريققت مراراً على مدى القرون

الاخيرة . وسوف نعود الى هذا الموضوع بتفصيل في الفصل الخامس من

هذا الكتاب .

غير مباشر الى رفع سمعة الانكليز في نظر العديد من الرؤساء الأكراد لتبني مسؤوليهم - كما سنرى - سياسة أكثر ذكاء من تلك التي تبناها الروس في المناطق الكردية . وأخيراً فإن الأخطاء المرتكبة دفعت العديد من الأكراد دفعاً الى مقاومة القوات الروسية مما أدى الى خلق صعوبات جديدة لها . يشير بوريس شاخوفسكي في مذكراته الى هذه الحقيقة فيطلق عليها بهذا الأسلوب : « أدت مقاومة الأكراد المستميتة في العام ١٩١٥ وبداية العام ١٩١٦ الى تعقيد عملياتنا (العسكرية - ك.م.ه) بشكل رهيب للغاية وجعلت من المحال القيام بأي عمل استطلاعي » .

لكن اهتمام الروس بالأكراد لم يفتقر ، مع ذلك ، فقد قدر العديد من المسؤولين بشكل صائب ضرورة كسبهم ، ومنهم بوريس شاخوفسكي ومينورسكي وگردليشسكي وآخرون . فقد كان مينورسكي يدافع بحماس في تقاريره عن مثل هذا الرأي ويعارض بشدة استخدام القوة ضد العناصر الكردية المعادية ، ولا سيما وأن اللجوء اليه في السابق « لم يؤد الى نتائج طيبة في أي مكان » ، فما أجدرنا بأن نتبعه عنه - كما ذكر - لكي « نستطيع كسب هذا الشعب القدير » . واقترح مينورسكي من أجل ذلك « الاهتمام بالشعور التحرري الكردي » واعطاء وعود بالعمل من أجل تحقيق الحكم الذاتي لهم (٥٤) .

أما ما ذكره ف.ه.أه. گردليشسكي بهذا الصدد فيعتبر مؤشراً مهماً وذكياً لاهتمام الروس حتى النهاية بالأكراد . ففي شباط من العام ١٩١٧ ، أي في نفس الشهر الذي اتصرت فيه ثورة شباط الروسية ، كتب گردليشسكي

(٥٤) راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question... , PP. 346 - 352, 450.

الأسطر التالية ، ذات الدلالة العميقة ، والتي اختتم بها بحثه عن أكراد سبحان داغ :

« تقف أمام روسيا مهمة ثقافية كبيرة، فعليها الآن أن تكسب عطف الشعب الكردي الى جانبها . عليها الآن أن تهتم بتحسين ظروف الأكراد كي يستطيع الكردي أن يقرر بعد الحرب عن وعي أيهما أفضل بالنسبة له : أن يبقى هنا (مع روسيا - كـ ٠٣) أم ينصرف الى تركيا . فليعط الكردي فرصة الاقتناع بتفوق الثقافة الروسية على الثقافة التركية ، وليتوسع نطاق رسالة روسيا الثقافية في الشرق ... لكن يجب فقط عدم تكرار ما فعله العثمانيون »^(٥٥) .

وقد حدث بالفعل نوع من التبدل في الموقف الروسي ازاء الأكراد ، ولم يأت ذلك اعتباطاً بل جاء بتوافق تام مع المصالح والطموحات والمخططات الروسية العلية والخبفية . ففي ميدان العمل العسكري كانت القيادة الروسية تهكر في التوجه الى أقصى ما يمكن جنوباً وغرباً ، أي عبر كل المناطق الكردية، حتى يمكن حصر القوات العثمانية في نطاق ضيق بينها وبين القوات البريطانية المتقدمة في جنوبي العراق بحيث يمكن قضم ظهرها نهائياً . ومن المفيد أن نذكر بهذا الصدد أن بعضاً من الروس العاملين في المنطقة رأوا أن من الضروري والممكن احتلال كربلاء بمساعدة العشائر الكردية في

(٥٥) ورد هذا النص في خاتمة مستل مقال كردليفسكي «بين أكراد سبحان داغ» (الصفحة ١٤) المنشور أصلاً في مجلة «العالم الإسلامي» . ورد النص نفسه في الصفحات ٤٥٦ - ٤٥٧ من الجزء الثالث من مؤلفات كردليفسكي المختارة مع اختلاف واحد فقط ، ففي المصدر الأخير جاء اسم الأتراك بدل العثمانيين .

ايران^(٥٦) . الا أن العامل الأهم الذي دفع المسؤولين الروس الى اجراء بعض التغيير في سياستهم الكردية يرتبط كالسابق بطموحاتهم الواسعة التي ضمنت معاهدة « سايكس - بيكو » السرية في هذه الفترة بالذات جانباً كبيراً منها بأن خصصت مناطق واسعة ، بضمنها رقعة غير صغيرة من كردستان ، لروسيا .

لم تقتصر عمليات الروس العسكرية ونشاطاتهم الأخرى في سنوات الحرب على المناطق الكردية العثمانية ، بل انها امتدت كذلك الى المناطق الكردية الايرانية التي أولاها العثمانيون والألمان في الوقت نفسه جانباً كبيراً من اهتمامهم . ولا يمكن عزل ذلك ، بالطبع ، عن مجهود أوسع ارتبط باهتمام جميع الأطراف المتحاربة بواقع ايران في سنوات الحرب وبموقعها في مخططات المستقبل ، حتى أن روسيا وبريطانيا وقعتا اتفاقاً سرياً في آذار من العام ١٩١٥ بشأن تقسيمها فيما بينهما . أما ألمانيا فانها كانت تعمل منذ بداية الحرب في سبيل تحويل الأراضي الايرانية الى قاعدة انطلاق لمخططاتها بالنسبة للشرق الأوسط ، فأرسلت بعثة عسكرية خاصة عن طريقها الى أفغانستان بقصد تحريضها على الانضمام الى دول الوفاق ضد الحلفاء . وتم ارسال بعثة مشابهة وعن الطريق نفسه الى بلوجستان . وقد زاول قاسموس القنصل الألماني في بوشهر نشاطاً واسعاً بين عشائر المنطقة طيلة سني الحرب حتى أنه أصبح يعرف في أوساط مختلفة بـ « لورانس الألماني »^(٥٧) . تمكن

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 327.

(٥٦) راجع :

(٥٧) للتفصيل راجع :

Агаев С.Л., Германский империализм в Иране,
Москва, 1969, стр.7-9.

س. ل. آكاييف ، الاستعمار الألماني في ايران ، موسكو ، ١٩٦٩ ، الص

فاسموس من تحقيق نجاحات أقلقت بال الانكليز بشكل جدي خاصة بعد أن استطاع التأثير على بعض العشائر الجنوبية وقام عن طريقها بضرب مصالح الانكليز النفطية في المنطقة .

التجأ الألمان والاتحاديون الى تحريك الشعور الديني للناس في ايران على نطاق واسع وبتمجيع منهم أسست في سنوات الحرب منظمة باسم «اتحاد اسلام» وقد انتشرت فروعها في العديد من المدن والمناطق الايرانية . كما أنهم قاموا بتوزيع نشرات مليئة بالتحريض ضد الحلفاء في معظم المدن وأقاموا اتصالا مباشراً بالعديد من رؤساء العشائر في الشمال لتحريكهم ضد الروس وفي الجنوب لتحريكهم ضد الانكليز . ومن أجل تحقيق الغرض نفسه بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل استغلال النضال التحرري الملتهم في بعض المناطق الايرانية والذي كان رأس رمحه موجهاً بحكم ظروف البلاد ضد الانكليز والروس^(٥٨) ، ويمكن أن نورد على سبيل المثال هنا المحاولات التي بذلها الألمان والاتحاديون من أجل التغلغل في صفوف الثوار الجنگليين في منطقة گيلان الشمالية . فقد اتصل أنور باشا شخصياً بقائد الجنگليين ميرزا كوچك خان وأرسل له سيفاً مرصعاً حفرت عليه عبارة « هدية الى المجاهد الايراني

٧ - ٩ . (في الهوامش القادمة : S. L. Agaev . . .) . كما تذكر مجلة ((The Near East)) في عددها الصادر في العاشر من كانون الاول من العام ١٩٣١ أن الضابط الانكليزي الكابتن نوييل المعروف باهتماماته الكردية ، تمكن من أسر فاسموس أثناء الحرب الا ان الأخير استطاع التخلص منه بمساعدة حراسه الايرانيين .

(٥٨) ولدت اطماع روسيا وانكلترا وخرقهما المتكرر لسيادة ايران ، وخاصة احتلالهما أيام الثورة الدستورية المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد ، الى جانب عوامل أخرى ، شعوراً معادياً قوياً بين الأوساط الوطنية الايرانية ضد هاتين الدولتين الاستعماريتين .

مرزا كوچك خان ، كما وصلت الى المنطقة أيضاً كميات من الأسلحة مع بعض المسكرين الألمان والعثمانيين بقصد تنظيم الجنكليين وتشجيعهم على القتال ضد الانكليز والروس بشكل خاص^(٥٩) . ومن الجدير بالذكر أن لجنة خاصة من لجان « اتحاد اسلام » كانت تشرف على تنظيم جميع شؤون الثوار الجنكليين في سنوات الحرب وكانت تتألف من عدد من الأعضاء كان خالو قوربان الكردي واحداً من أبرزهم^(٦٠) لما كان يتمتع به من هوذ واحترام كبيرين هناك فقد شارك مع عدد غفير من الفلاحين المسلحين الأكراد بنشاط في صفوف الحركة الجنكلية كما سنذكر ذلك بشيء من التفصيل ضمن الفصل القادم من هذا الكتاب . ومن المهم أن نذكر هنا أيضاً أن الجنكليين نظموا حملات ناجحة ضد قوات الطفاء وأنهم تمكنوا من وضع عراقيل جدية بواسطة مسلحي عشيرة سنجايوي الكردية أمام قوات الجنرال باراتوف الروسية المتوجة نحو العراق^(٦١) .

زاول العثمانيون والألمان نشاطات واسعة داخل المناطق وبين العشائر الكردية الايرانية نفسها كذلك . ففي بداية الحرب حول عملاء الألمان مدينة كرمانشاه الى احدى قواعد عملهم المتواصل في المنطقة اذ تم في هذه المدينة جمع المتطوعين وتنظيم مخازن للسلاح بالأموال الألمانية كما كان عليه الأمر في

(٥٩) للتفصيل راجع : ابراهيم فخراي ، ميرزا كوچك خان سردار جنكل ، تهران ، ١٣٤٤ شمسی [١٩٦٥ م] ، الص ٧٤ - ٨١ .
(٦٠) راجع :

Иванова М.Н. , Национально-освободительное движение в Иране, Москва, 1961, стр.17,19.

م . ن . ايفانوفا ، حركة التحرر - الوطني في ايران ، موسكو ، ١٩٦١ .
الص ١٧ ، ١٩ . (في الهوامش القادمة : (M. N. Ivanova ...)
(٦١) ابراهيم فخراي ، المصدر السابق ، الص ٧٤ .

المدن الايرانية الأخرى^(٦٢) . وقد أجرى هؤلاء اتصالات مركزة بالعديد من رؤساء الكرد المتنفذين مما أثار قلقاً كبيراً في الأوساط العسكرية والدبلوماسية الروسية التي شبعت وثائقها الوضع في كردستان الايرانية بـ « قدر يظني » من جراء نشاطات الألمان والاتحاديين^(٦٣) الذين « تمكنوا من جذب أكثرية سكان كردستان الايرانية الى جانبهم واثارتهم ضد روسيا مما أثر بسرعة على الوضع العسكري في جبهة القفقاس ، وبشكل خاص في مناطق آذربيجان وكردستان »^(٦٤) . واضطر جميع العاملين الروس الى ترك المنطقة ، وكان من بينهم القنصل في ساوجبولاك العقيد أ. اياس الذي اغتيل أثناء انسحابه^(٦٥) .

كان من شأن هذه الأحداث وأخرى غيرها كثيرة أن تجعل من الحياد الذي أعلنته الحكومة الايرانية في الثاني من تشرين الثاني من العام ١٩١٤ أقل حتى من مجرد حبر على ورق اذ امتدت العمليات الحربية بسرعة الى أهم أرجاء ايران التي تحولت الى إحدى ساحات الحرب في الشرق الأوسط . وقد تركز الاحتكاك العسكري المباشر بين الروس والعثمانيين في مناطق آذربيجان وكردستان الايرانية ، ولاسيما وأن خطة أنور باشا كانت تقضي بالتوجه السريع نحوهما . وهذا ما حصل فعلاً ، فقد اخترقت القوات العثمانية الحدود الايرانية بعد تورط الأمبراطورية المباشرة في الحرب فاحتلت في النصف الأول من تشرين الثاني من العام ١٩١٤ قسماً من المناطق الغربية

M. N. Ivanova, Op. Cit., P. 13. (٦٢) راجع :

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 319. (٦٣) مقتبس من :

Ibid, P. 320. (٦٤)

A. I. Eyas, Op. Cit., PP. 4 - 5. (٦٥) راجع :

بسميه مينورسكي « الضحية الأولى (لروسيا - ك. م.) على اعتبار كردستان البعيدة » (Ibid).

من ايران بما فيها مدينتا خوي و ورمى وغيرها ووصلت مدينة تبريز في الرابع عشر من الشهر نفسه ، فاضطرت القطعات الروسية الموجودة في آذربيجان الايرانية للانسحاب نحو الشمال . ومن جانب آخر أصبحت القوات العثمانية في احتكاك مباشر بالمناطق الكردية بمد أن احتلت لاهيجان المجاورة لساوجبولاقي في ١٧ تشرين الثاني من العام نفسه . وطبيعي أن هذه العمليات لم تجر دون صدمات متفرقة وتضحيات امتدت بشكل خاص الى الذين عرفوا بموالاتهم للروس ومنهم رئيس عشيرة موكري الكردية محمد حسين خان وابنه اللذان شنقا في هذه الأثناء^(٦٦) .

مهد تقدم الجيش العثماني الطريق للاتحادين والألمان لمزاولة نشاط أكبر بين أكراد ايران في بداية الحرب ، فتمكنوا من كسب بعض القبائل الكردية كعشيرة شكاك الكبيرة ، وبتحريض منهم أقام بعض الاقطاعيين من كرمانشاه «حكومة» باسم «الحكومة الوطنية» في تلك المناطق ونصبوا الاقطاعي المعروف والي لورستان نظام السلطنة رئيساً لها . وكان من شأن سياسة الاتحادين والألمان تعميق التناقضات القومية والخلافات الدينية في المناطق الغربية من ايران . فما ان احتل العثمانيون مدينة ورمى حتى بدأ جنودهم والمسلحون من بعض القبائل الكردية الموالية لهم يعبثون بمقدرات المسيحيين القاطنين في المدينة وأطرافها ، ولاسيما الآثوريين منهم ، بحجة انحيازهم الى جانب الجيش الروسي ، فأحرقوا حوالي مئة قرية من قراهم وقتلوا عدداً كبيراً من أفرادهم وشردوا من تبقى منهم على قيد الحياة^(٦٧) . وفي الوقت نفسه تقريباً حدثت مجزرة أخرى في شلماش (سلماس) ذهب ضحيتها حوالي ألف شخص برىء ،

(٦٦) Ibid, P. 2 وسنعود للموضوع في الفصل القادم .

(٦٧) راجع : علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية أو رحلة في كردستان الجنوبية ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، الص ٢٠٥ - ٢٠٩ .

وقد لعب في هذه المجزرة اسماعيل آغا زعيم الشكاك دوراً أساسياً فاعتقله الروس بعد عودتهم ونهوه الى جورجيا^(٦٨) .

شكل التقدم العثماني في الأراضي الإيرانية وانسحاب الروس الاضطراري من معظم مناطقها الغربية خطراً جدياً بالنسبة للاخيرين^(٦٩) ولذلك فقد أصبح الصدام المباشر بين الطرفين أمراً لا بد منه ولاسيما وأن ضربة ساري قاميش عقدت ظروف القوات العثمانية المتقدمة في آذربيجان الإيرانية مما هيا الظروف المناسبة لتوغل القوات الروسية مجدداً في آذربيجان الجنوبية اعتباراً من كانون الثاني من العام ١٩١٥ فتمكنت في الواحد والثلاثين منه من احتلال مدينة تبريز المهمة مرة أخرى^(٧٠) فانفتح الطريق أمامها للتقدم نحو ورمي التي احتلتها من جديد في الخامس والعشرين من مايس من العام ١٩١٥ بعد معركة صغيرة مع مسلحي الشكاك في أطراف خوي ، فاتمته بذلك السيطرة العثمانية على تلك المنطقة والتي دامت حوالي خمسة أشهر . ومنذ ذلك التاريخ ظلت القطعات الروسية تسيطر على هذه الأصقاع حتى نهاية الحرب وكان أول عمل قامت به هذه القطعات ضرب مصالح الألمان والعثمانيين في المنطقة حتى أنها أوقمت معمل صنع السجاد الألماني في تبريز وحولت بنايته الى ثكنة عسكرية^(٧١) .

(٦٨) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 330.

(٦٩) شكل التقدم العثماني في ايران الذي بلغ همدان ، خطراً على الانكليز ايضاً ، فقاموا بتعزيز قواتهم في جنوبي البلاد الذي امتدت اليه موآمرات الألمان بشكل يهدد مصالحهم الحيوية في المنطقة .

(٧٠) راجع : M. S. Ivanov, Op. Cit., PP. 252 - 253.

(٧١) S. L. Agaev, Op. Cit., PP. 7, 9 كان هذا المعمل الذي أقامه راسماليون المان في العام ١٩١٢ ، أكبر مؤسسة لصنع السجاد في ايران كلها وكان يستخدم ، كما أسلفنا ، كميات من الصوف المنتج في المناطق الكردية القريبة .

مهدت انتصارات الروس هذه الطريق امامهم للتوغل اكر في المناطق الكردية الايرانية . فبعد احتلال ورمي وما والاها من مناطق استطاع الجيش الروسي أن يدخل شنو وساوجبولاق كذلك ، لكنه جوبه في تلك النواحي بمقاومة بعض القبائل الكردية المسلحة . وأخيراً وصل الروس الى مدينة كرمانشاه في شباط من العام ١٩١٦ ثم بلغوا مناطق الحدود العثمانية - الايرانية . الا أن هذه المناطق لم تستقر على وضع معين ، فقد تمكن العثمانيون بعد عدة أشهر من العودة مجدداً الى كرمانشاه وهمدان فأعاد علاؤهم ومؤيدوهم مع عملاء الألمان نشاطهم ضد الحلفاء في المناطق الغربية من ايران ، ولكن سرعان ما استطاع الجيش الروسي أن يضرب العثمانيين مرة اخرى . وعلى كل حال فقد حقق عملاء الألمان ، وعلى رأسهم الكابتن شولتسي ، نجاحات مشهودة في هذه النواحي، حيث تمكنوا من كسب العديد من العشائر الكردية في منطقة كرمانشاه واستطاعوا بمساعدتها أن يحولوا دون اتصال الروس والانكليز ببعضهم عبر هذه المنطقة طيلة العام ١٩١٦ ولاسيما وأن عشيرة سنجاوي القوية قد تحولت الى آله بيد الألمان . وقامت عشائر منطقة مريوان بقطع الطريق أمام تقدم قوة روسية قوامها ١٥٠٠ مسلح ومنعتها من التقدم طيلة ثمانية أشهر . وبعد أن فقدت هذه القوة - حسبما تشير الى ذلك الوثائق الروسية - ما لا يقل عن نصف رجالها اضطرت أخيراً للتراجع نحو الشمال حيث «زاولت أعمال التخريب والسطو ضد السكان الكرد» في طريق انسحابها (٧٢) .

Kurd - Oghlu, Op. Cit., P. 110.

(٧٢) راجع :

(٧٣) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 340. ترك معظم المجندين الاكراد صفوف الجيش مع اقتراب القوات الروسية وعادوا الى مراعيهم في الجانب الآخر من كردستان .

طلبت هذه الأوضاع من الروس أن يبدوا اهتماماً متزايداً بأكراد إيران، ولاسيما وأنهم كانوا مقدمين على توغل أكبر في المناطق الكردية باتجاه الجنوب والغرب، وكانوا يعرفون أن جانباً كبيراً من أفراد القوات العثمانية العاملة في إيران من الفلاحين الأكراد، وقد بلغ عددهم في منطقة همدان مثلاً حوالي ١٠ آلاف من مجموع ١٤ ألف جندي هو مجموع أفراد القوة العثمانية العاملة هناك^(٧٣). وهكذا لم يمض وقت طويل على عودة الروس إلى مدن آذربيجان الإيرانية حتى أقاموا صلات واسعة بعدد من رؤساء المشائر الكردية في المنطقة، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا أيضاً سراح سكو وبدأوا التعاون معه من أجل هدفهم «الأسمي» الذي تطلب، على ما يبدو، منحه، بعد السجن طبعاً، مكافأة شهرية مقدارها ٥٠٠٠ خمسة آلاف روبل ذهب فقط^(٧٤). وفيما بعد، أي بعد الإفراج عنه، عينوه حاكماً على بعض المناطق الكردية. ولم يأت ذلك قطعاً على تقيض مع منطق القياصرة الذين كانوا ينظرون من على قم جبال كردستان الإيرانية بعيداً إلى الغرب والجنوب!

وهكذا لم تمض فترة طويلة على نجاحات الروس الأولى في جبهة القفقاس حتى بدأت قواتهم بالتوجه صوب كردستان العراق وأخذ البعض منهم يقترح التقدم حتى نحو مدن مثل كربلاء كما أسلفنا. وقد ارتبط ذلك بطموحات روسيا التي انعكست في مخططات الحلفاء السرية وبوضع الإنجليز العسكري في جبهة العراق. فظف الكواليس تقرر آنذاك نصيب روسيا القيصرية من غنائم «الرجل المريض» الذي شمل - كما هو معلوم - قسماً من الأراضي الكردية العثمانية وتقرر أيضاً تقسيم إيران إلى منطقة قفوز بين روسيا وبريطانيا. وفي الحالتين كان على الروس تثبيت أقدامهم في المنطقة وإبعاد

(٧٤) تؤكد الوثائق الأرشيفية الخاصة هذه الحقيقة (راجع: Kurd - Oghlu, Op. Cit., P. 108).

العثمانيين والألمان عنها . أما في الميدان العسكري فبعد أن حققت الحليفة بريطانيا تقدماً سريعاً نسبياً في جنوبي العراق ، وقع حوالي ١٤ ألفاً من قواتها في مأزق حرج عندما حاصرها العثمانيون وأحكموا الطوق عليها في الكوت منذ أوائل كانون الأول من العام ١٩١٥^(٧٥) ، لذا بدأ الانكليز يحثون الروس على التقدم للضغط على العثمانيين في بغداد وعلى مؤخره جيشهم حتى يصبح بالامكان اتقاذ القوة المحاصرة .

بدأت القوات الروسية بالتحرك نحو العراق في بداية الربيع من العام ١٩١٦ من ثلاث جهات رئيسة هي خانقين والسليمانية ورواندوز^(٧٦) . مع التركيز بشكل خاص على جبهة خانقين المؤدية الى بغداد عبر طريق أسهل وأقرب ، فقد تم تخصيص فيلق بقيادة الجنرال باراتوف لانجاز هذه المهمة . وبالرغم من تقدم قطعات من هذا الفيلق الى نقاط معينة داخل الأراضي العراقية ، الا أنها جوبهت بمقاومة شديدة من جانب العثمانيين الذين كانوا يخشون الى حد كبير ضياع بغداد ، كما كانوا يتحرقون شوقاً لتوجيه ضربة انتقامية قوية للقوات البريطانية بغية تحسين وضعهم في العراق الجنوبي بعد اندحاراتهم أمام الانكليز بشكل أثر على معنويات جنودهم وعلى سمعتهم ولاسيما بين رجال العشائر الذين كانوا أكثر تأثراً في مثل هذه الحالات ، لذا فلاعجب اذا ما قام أنور باشا بنفسه بزيارة لخانقين يرافقه القائد الألماني الجنرال فون لوسوف . وأهم معركة شهدتها هذه الجبهة وقعت في بداية حزيران من العام ١٩١٦ وقد انتهت بانسحاب القوات الروسية الى داخل الأراضي الايرانية

(٧٥)

A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia, 1914 - 1917. A personal and historical record*, London, 1930, P. 96.

(٧٦) للتفصيل راجع : شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٧ ، الطبعة الثالثة ، بغداد ، ١٩٧٤ .

بعد أن تركت في ساحة القتال ما لا يقل عن ٢٠٠ قتيل و ٥٧ أسيراً بينما بلغت خسائر العثمانيين ٨١ قتيلاً و ٣٤٠ جريحاً ومفقوداً^(٧٧) . وقد دفع فشل الفيلق الروسي العامل في هذا الخط المسؤولين الروس الى أن يعيروا كسب الأكراد اهتماماً أكبر من السابق ، وقد وردت تعليمات رسمية خاصة بهذا الصدد من العاصمة بيتروغراد ومن تبليس الى السلطات الروسية في إيران^(٧٨) .

(٧٧) المصدر السابق ، الص ٢٩ . لا يمكن قطعاً الاتفاق مع الدكتور م . س . لازارييف في قوله ان «انعدام التعاون المتبادل» بين الانكليز والروس وعدم اتخاذ الاولين موقفاً ايجابياً أدى الى فشل القوات الروسية « في جهات تركيا الآسيوية» وفي خانتين بالدات (راجع: M. S. Lazarev, Kurdistan, PP. 333, 337). لا ينكر ان الانكليز لم يكونوا ينظرون بارتياح الى نجاح الروس في آسيا الصغرى وايران ، وما كان بإمكانهم أن لا يحسبوا الحساب لكل تقدم روسي في العراق ، لانهم لم يكونوا على استعداد لتحمل وجود منازع لهم فيه . الا أن أوضاعهم الحرجة للغاية في أواخر العام ١٩١٥ وبداية العام ١٩١٦ ، بسبب محاصرة قواتهم في الكوت ، كانت تجعلهم يرحبون بكل ما من شأنه انقاذ تلك القوات ، ويكفي أن نقول انهم ضحوا بحوالي عشرة آلاف رجل من أجل ذلك ، وبدلوا جهوداً خارقة في البر والجو وداخل نهر دجلة في سبيل تهيئة ظروف تمكن المحاصرين من المقاومة يوماً أكثر ، ولاشك في أنه لم يكن من السهل لهم ولخططهم ولسمعتهم أن يضطر ١٣٣٠٩ رجلاً تحملوا طيلة أشهر عديدة كل ما يمكن أن يتحملة انسان ، للاستسلام أخيراً في التاسع والعشرين من نيسان من العام ١٩١٦ و . . . « دون قيد أو شرط » (للتفصيل راجع : A. T. Wilson, Loyalties Mesopotamia, PP. 91 - 100).

ومن الجدير بالذكر أن العديد من المؤلفين يرون ، على العكس مما ذهب اليه الدكتور لازارييف وغيره ، في « تلكوء القوات الروسية » واحداً من الأسباب الرئيسية في سقوط الكوت ثانية بيد العثمانيين (راجع على سبيل المثال : شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، الطبعة الثامنة ، بغداد ، ١٩٧٤ ، الص ١١٥) .

(٧٨) راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 330 - 331, 447.

أما القوات الروسية التي توجهت نحو رواندوز فانها كانت تحت قيادة الجنرال جيورنوزوبوف الذي نشط منذ بداية الحرب في مناطق آذربيجان وكرديستان الايرانيتين وكان على اتصال بالعديد من رؤساء الأكراد مثل سمكو وغيره . تمكنت القوات الروسية في هذا القطاع من الدخول الى العراق عن طريق رايات ودريند ودخلت مدينة رواندوز وظلت هناك لمدة أسابيع في ربيع العام ١٩١٦^(٧٩) ، واضطر الضمانيون لبذل جهود كبيرة من أجل استعادة هذه المنطقة حتى يحولوا دون تقدم أكبر للقوات الروسية ويمنعوا التقاء قطاعاتها العاملة في جبهات العراق الثلاث . ومن الجدير بالذكر أن أكراد هذه المنطقة لم يهتموا كثيراً بسجىء الروس في البداية ، بل ان قسماً منهم رحبوا بتقدمهم لكونه أدى الى انحسار ظل الاتحاديين الذين أثاروا رد فعل كبيراً في هذه الأنحاء بالذات منذ أن اشتعلت نيران الحرب . الا أن الأخطاء الكبيرة التي ارتكبتها الروس بعد مجيئهم أدت الى تبدل الموقف منهم بسرعة ، فلم يصل المسؤولون الروس دون ارتكاب التطوعين الأرمن المرافقين لهم أعمالاً فظة خاصة داخل رواندوز وحواليها^(٨٠) ، كما لم يتبنوا سياسة ودية مع رؤساء العشائر ، بل على العكس ، فقد شنقوا رشيد آغا رئيس عشيرة الهركي

(٧٩) حسب المعلومات الواردة في المصادر الروسية التي تستند الى الوثائق الرسمية ، فقد احتل الروس مدينة رواندوز في بداية شهر نيسان من العام ١٩١٦ ، بينما يشير الأستاذ شكري محمود نديم - وهو يستند في ذلك الى كتاب «بويوك حربده ايران جيههسي» (الجبهة الايرانية في الحرب العظمى) لمؤلفه اللواء الركن محمد كتمان باشا الضابط في الجيش العثماني - الى أن احتلال الروس لرواندوز قد تم في الثالث عشر من مايس من العام ١٩١٦ وبقوا فيها مدة تربو على ٦٥ يوماً (شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الص ٩ ، ١٥ ، ٢٢ - ٧٦) .

(٨٠) نتطرق الى تفاصيلها في الفصل الخامس .

المعروفة . وكان من الطبيعي أن يدفع كل ذلك أعداداً غفيرة من رجال المشائر الى جانب العثمانيين^(٨١) الذين تمكنوا من اعادة سيطرتهم على المنطقة في أواخر تموز من العام نفسه بعد خسائر كبيرة نسبياً بلغت ٢٠٦ قتلى و ٥٣ مفقوداً و ٤١٩ جريحاً^(٨٢)، وكانت خسائر الجيش الروسي المنسحب أكثر من ذلك بالضرورة .

لم تحدث معارك فاصلة بين القوات الروسية الزاحفة والعثمانية المدافعة في جبهة السليمانية . فلم تجتز القطعات الروسية العاملة في هذا القاطع الحدود الايرانية الغربية طيلة العام ١٩١٦ ، بل دخلت الأراضي العراقية في أواخر حزيران من العام التالي ، فاستطاعت أن تحتل بلدة بينجوين لكنها انسحبت منها بعد أيام معدودات تحت ضغط التمزيزات العثمانية التي أسرعت الى المنطقة لمعاونة القوة العثمانية المنسحبة من هناك تحت ضغط الروس .

لم تؤد ثورة شباط من العام ١٩١٧^(٨٣) الى حدوث تغيير ملموس في

(٨١) راجع :

W. R. Hay, Two Years in Kurdistan. Experiences of a Political Officer, London, 1921, P. 192.

(٨٢) راجع : شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الص ٧١ .

(٨٣) يخلط الأستاذ شكري محمود نديم (وآخرون ايضاً) بين الثورة البورجوازية الروسية التي انتصرت في شباط من العام ١٩١٧ وبين ثورة اكتوبر الاشتراكية التي انتصرت في تشرين الثاني من العام نفسه فيسمى الاولى ايضاً بـ «الثورة البلشفية» و «الثورة الشيوعية» (راجع : شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الص ١٦ ، ٣٢ ، ٧٩ وكتابه الآخر : حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، الص ١٥٨) ويبدى استغرابه لانسحاب بعض القطعات الروسية العاملة في جبهات العراق بعد شباط بينما بقيت أكثريتها ، ويمزو ذلك الى « اختلال منظمة القيادة في

سياسة روسيا تجاه كردستان ، فقد استمرت قواتها تحتل المناطق الكردية كالسابق وتزاول العمليات الحربية بين الحين والآخر كتلك التي وقعت في جبهة السليمانية التي أولاها الروس بعد ثورة شباط اهتماماً واضحاً . وكما تشير الوثائق الدبلوماسية الروسية التي تعود لتلك الفترة فان مينورسكي اقترح ابداء العون للحركة الكردية المعادية للعثمانيين في العراق ، وخاصة للشيوخ محمود لأنه رأى في ذلك ضماناً أكيدة لسيطرة روسيا على ذلك الجزء من سكة حديد بغداد التي كان من المقرر لها أن تمر بالقرب من منطقة النفوذ الروسية في ايران . وفي وثيقة أخرى أكد مينورسكي ، الذي كان يشغل آنذاك منصب القائم بالأعمال في طهران ، أهمية مساندة الكرد في العراق « من وجهة نظر عسكرية بشكل خاص » لما لذلك من تأثير على « خطة الهجوم المرتقب على الموصل » كما ورد نصاً في الوثيقة . ومن المهم أن نشير الى أن مينورسكي الذي عرف ببعده نظره قد أدرك عقم أسلوب تحريض الأكراد على التحرك المسلح «الذي لم يعط حتى اليوم سوى فائدة قليلة» - كما جاء في رسالة أخرى له - لذا نراه يؤكد على ضرورة كسب ود الأكراد الذي يتم ، حسبما ورد في الرسالة

=

الجيش الروسي بتأثير الثورة البلشفية . في الواقع يوجد فرق كبير بين الثورتين ولم يحدث الانسحاب الفعلي للقطعات الروسية الا بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية كما سنأتي على تفاصيل ذلك ، اما الانسحابات الجزئية التي كانت تحدث في منطقة أو أخرى ، فقد كانت لأسباب تكتيكية عسكرية صرفة . ومن الجدير بالذكر أن مجلة « الكتب الجديدة الصادرة في الخارج » الموسكوية التي نشرت تقريرا للطبعة الثانية من كتاب « الجيش الروسي في حرب العراق » في عددها الصادر في الخامس عشر من مايس من العام ١٩١٧ (الص ٥٨) وضمت علامة تعجب أمام جملة « اندلعت الثورة الشيوعية في روسيا ووصل تأثيرها الى القطعات الروسية في جبهة العراق في شهر آذار ١٩١٧ » التي يذكرها المؤلف في خاتمة كتابه .

نفسها ، عن طريق الوعد بضمان حقوقهم^(٨٤) . وقد رحبت قيادة القفقاس بمقترحات مينورسكي وأعطت التعليمات لبعض المسؤولين العاملين في المنطقة بإجراء اتصالات مع المتنفذين من الأكراد ، وتم فعلاً الاتصال بعدد منهم ، كان الشيخ محمود في مقدمتهم^(٨٥) .

بعد ثورة شباط حاولت القوات الروسية التقدم من جديد في جبهة خانقين وقد أقيمت صلات مباشرة بين الروس والانكليز بهذا الشأن ، ولاسيما وأن الأخيرين ، بعد أن اطمأنوا الى « النيات الحسنة » للنظام الجديد في روسيا ، أرادوا استغلال القوات الروسية لاحتلال العراق كله ، وفعلاً بدأ تقدم قطعات من الجيش الروسي في صيف العام ١٩١٧ باتجاه الموصل وخانقين لاشغال الجيش العثماني السادس وخلال هذه المرحلة بالذات اشترك الروس لأول مرة جنباً الى جنب مع البريطانيين في بعض المواقع الحربية التي وقعت في العراق في العام ١٩١٧ . الا أن القوات العثمانية تمكنت في نهاية الأمر من افشال المخطط الروسي ، فتراجعت قطعات القفقاس العاملة في هذه الجبهة نهائياً .

وهكذا يبدو واضحاً أن أطماع روسيا القيصريّة في كردستان لم تنته باتتصار ثورة شباط البورجوازية التي رفعت بعض الشعارات الليبرالية . وعلى رأس المؤشرات المهمة لتوضيح هذه الحقيقة يأتي موقف الحكومة الروسية

(٨٤) راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question... , PP. 346 - 347, 450.

(٨٥) قبل أن يبدأ الحرب بفترة وجيزة جرت اتصالات كثيرة بين الشيخ محمود وفرنصل روسيا العام في بغداد أروث والفرنصل الروسي في مدينة الموصل كيرسانوف (للتفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر أحمد ، وناق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود ، - «التأخي» ، ٨ تشرين الاول ١٩٧٣ (صفحة « الثقافة الكردية » - ٢ -) .

المؤقتة التي تشكلت بعد ثورة شباط من التقارب الأرمني - الكردي الذي كان يستحيل من دونه ايجاد مخرج عملي لمأساة الشعب الأرمني . وقد أدرك العديد من قادة الأرمن والكرد هذه الحقيقة بعمق أكثر من أي وقت مضى وذلك بفضل اصطدامهم بالواقع المرطيلة سنوات الحرب فبدأوا يعملون من أجل تحقيق مثل ذلك التقارب وعرضوا أمره على المسؤولين الروس . ولكن حسبما تشير بعض الوثائق الرسمية التي تعود الى فترة ما بعد ثورة شباط لم يكن المسؤولون الروس مرتاحين من التقارب بين الشعبين الذي اعتبره بعضهم «أمرأ غير قابل للاحتمال»^(٨٦) . ومن شأن كل ذلك - دون ريب - اعطاء تفسير منطقي لبقاء القوات الروسية في معظم المناطق الكردية بعد شباط من العام ١٩١٧ اذ لم يتم سحبها الا بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في العام نفسه حيث تم عقد صلح بين النظام الجديد والدولة العثمانية انسحبت في اثره القطعات الروسية من المنطقة سوى تلك التي وقتت ضد الثورة وبضمنها الجنرال باراتوف مع عدد قليل من جنوده . فخلال كانون الأول من العام ١٩١٧ وحده انسحب حوالي ٤٠ ألف جندي روسي من جبهة القفقاس .

ومن الجدير بالذكر أن العديد من العشائر الكردية اغتنمت ظروف الانحلال الذي بدأ يدب في صفوف القوات الروسية مع تصاعد المد الثوري واحتدام التناقض بين الأجنحة المختلفة منذ أيام انتصار ثورة شباط ، فحققت بعض المعانم وحصلت على أسلحة كثيرة بطرق مختلفة . ويجدر بالذكر أيضاً أن الاتحاديين حاولوا الاستفادة كالسابق من طاقات الكرد في مخططاتهم الأخيرة التي ظهرت نتيجة للظروف الجديدة في روسيا وبشكل خاص في مناطق القفقاس . فان أنور باشا أراد التعويض عن الفشل السابق بالتوجه منذ أواخر

مارس من العام ١٩١٨ الى مناطق القفقاس حيث بدأ تعاون فعلي بينه وبين أعداء الثورة الاشتراكية وتم تشكيل «الجيش الاسلامي» بقيادة شقيقه نوري باشا الذي احتل العديد من مناطق القفقاس بما فيها مدينة باكو . وكان يعمل في صفوف هذا الجيش العديد من الضباط والجنود الأكراد النظاميين وغير النظاميين الذين لقي العديد منهم حتفهم أو وقعوا في الأسر^(٨٧) . الا أن أهم نتيجة تركها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في هذا المجال ترتبط بازدياد اهتمام الانكليز بكردستان مما انعكس بشكل واضح في أحداث كثيرة وقعت خلال السنة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة .

بيننا في الفصل السابق جوانب معينة لاهتمام الانكليز بالشعب الكردي وبكردستان ضمن اطار التغلغل الاستعماري في المنطقة قبل الحرب ، وكان من الطبيعي أن يتخذ هذا الأمر بعداً جديداً مع انتقال الصراع الدولي من أجل مناطق النفوذ الى مرحلة الانفجار والصدام المباشر على الصعيد العالمي مع اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى . فبالرغم من «الخوف» الذي أبداه رئيس الوزارة البريطانية أسكويث في بداية الحرب مما أسماه «الخطر الأبدي... في كردستان» الذي يبقى - حسب قوله - حتى بعد ترتيب الأمور « في بلاد ما بين النهرين» التي اعتبر مشاكلها أسوأ وأكثر تعقيدا من أي مشكلة جابهت البريطانيين في الهند^(٨٨) ، نقول بالرغم من ذلك ظهرت دلائل جد قوية قبل

(٨٧) استفاد المؤلف من المعلومات التي استقاها من الضابط العثماني السابق الأستاذ فؤاد مستي الذي كان قد وقع في أسر البلاشفة وقضى فترة في سجون باكو .

(٨٨) سجل رئيس الوزارة البريطانية هذه الملاحظة ضمن يومياته في ٢٥ آذار من العام ١٩١٥ ونشرها في الص ٦٩ من الجزء الثاني من مذكراته (راجع: A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia*, P. 83).

أن يضطر هو للتخلي عن الحكم^(٨٩) ، تشير صراحة الى عزم الانكليز على تحدي ذلك « الخطر الأبدي » وكسبه ، ان أمكن ، والا فترويضه . فاستمر الانكليز يبذلون المحاولات من أجل كسب العشائر الكردية الى جانبهم بقصد اثاره المشاكل للعثمانيين والألمان في هذه المرحلة ، ولم يقلّ عملاؤهم نشاطاً ونجاحاً من عملاء حلفائهم الروس أو أعدائهم الألمان والعثمانيين . وقد كان التقرب من المتنفذين الأكراد بالنسبة للانكليز أسهل من غيرهم الى حد ما وذلك بسبب تفلطهم الناجح في المنطقة قبل الحرب ولما كانوا يتمتعون به من سمعة بين الأوساط المثقفة الكردية التي كانت ترى في الانكليز خير رسل للحضارة الغربية^(٩٠) .

كان يهيم الانكليز كثيرا أن يضعوا حداً للنفوذ الألماني في ايران التي لم يحل العام ١٩١٧ الا وكانت أراضيها كلها محتلة تقريباً من قبل ثلاثة جيوش أجنبية - في الشمال والشمال الغربي من قبل الجيش الروسي ، وفي الجنوب والجنوب الشرقي من قبل الجيش الانكليزي ، وفي الغرب من قبل الجيش الألماني - العثماني المشترك . وقد امتد نشاط العملاء الألمان الى المناطق الأخرى أيضاً فتمكنوا من إلحاق أضرار جسيمة بالمصالح النفطية لبريطانيا في الجنوب . ولم يكفّ الألمان عن نشاطاتهم هذه لغاية اليوم الأخير من الحرب العالمية الأولى، ويكفي أن نقول انه عندما عقد الصلح بين ألمانيا والحلفاء كانت

(٨٩) ظل في منصبه كرئيس للوزارة البريطانية من العام ١٩٠٨ حتى العام ١٩١٦ حيث خلفه لويد جورج .

(٩٠) تستثنى من ذلك الى حدما المناطق الكردية من ايران، فان الشعور المعادي للانكليز والروس كان عاماً في البلاد الإيرانية وذلك نتيجة تدخلاتهم الفظة والمباشرة في شؤون ايران الداخلية ولدورهم الكبير في ضرب ثورتها الدستورية ولاستمرارهم في حجب المؤامرات الرامية الى تقسيمها ، كما اشرنا الى ذلك في الهامش (٥٨) .

مجموعة من رجال الاستخبارات الألمانية في طريقها الى ايران تصحبها قاطرتان مليتان بعملات ايرانية فضية الا أنها توقفت في الطريق بسبب الاعلان عن ابرام الصلح^(٩١) . وكان الانكليز يهتمون بايران من منطلق آخر ايضاً هو اشغال أكبر ما يمكن اشغاله من قطعات الجيش العثماني هناك خاصة وانها كانت تجابه القوات الروسية بالأساس مما كان يؤثر حتماً على امكانيات الاتحاديين العسكرية في العراق ، وهذه النقطة كانت حيوية للانكليز بشكل خاص عندما كانت قواتهم محاصرة في الكوت .

بدافع من هذه العوامل وغيرها حاول الانكليز كسب أوسع قطاع عشيري كردي ممكن، وبالفعل فانهم تمكنوا من شراء ذمم العديد من الرؤساء المتنفذين وعلى رأسهم رئيس عشيرة كلهور التي تعتبر من أكبر العشائر الكردية في ايران ، وقد تمكنوا بمساعدتها هي وغيرها ، من توجيه بعض الضربات للمصالح الألمانية^(٩٢) . ومن الجدير بالذكر أن العميل الألماني الكابتن شولتسي الذي تطرقنا الى نشاطاته من قبل، أغتيل مع ألماني آخر بأيدي رجال الكلهور الذين وجدوا بحوزتهما ١٢ ألف ليرة مع ٨٠٠ بندقية^(٩٣) . ومن المهم أن نشير هنا الى أن نجاحات الانكليز بين العشائر الكردية بلغ حد اثاره المخاوف في نفوس المسؤولين الروس . فقد جاء في تقرير سري بعثه العميل الروسي في قصر شيرين ليثكيسكي الى المسؤولين في وزارة الخارجية الروسية ما يلي :

« يمارس الانكليز نفوذهم في كردستان بنجاح بالغ . ومع انتهاء الحرب وخروج قواتنا من ايران ، فانهم سوف يستقرون

S. L. Agaev, Op. Cit., P. 8.

Kurd - Oghlu, Op. Cit., PP. 109 - 110.

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 350 - 351.

(٩١) راجع :

(٩٢) راجع :

(٩٣) راجع :

بشكل وطيء في تلك المناطق التي ينوون تحويلها الى ما يمكن تشبيهه بحصن في وجه التجاوز على ميسوپوتاميا «١٩٠٠» (٩٤) .

لم تقلّ نجاحات الانكليز بين اكراد العراق عن نجاحاتهم بين اكراد ايران ، وهو ما تنطرق اليه ضمن بحثنا عن العمليات العسكرية البريطانية في العراق .

لم يمض أكثر من يوم واحد على اشتراك الدولة العثمانية بصورة رسمية في الحرب العالمية الأولى حتى هاجمت القوات البريطانية المسلحة جنوبي العراق واحتلت الفاو - الميناء الوحيد في البلاد، واستطاعت أن تحتل بعد ذلك بأيام قلائل مدينة البصرة كذلك . وفي محاولة لوقف الزحف البريطاني بدأ المسؤولون العثمانيون في العراق باتخاذ اجراءات سريعة كان من أهمها تحريض العشائر العربية والكردية على الاشتراك في القتال باسم «الجهاد» ضد الكفار واستطاعوا فعلاً اثاره مشاعر الكثيرين عن هذا الطريق ، فأخذ هؤلاء يلتحقون بالقوات العثمانية بحيث لم يمر على احتلال البصرة وقت طويل حتى احتشد حوالي عشرة آلاف مقاتل كان بينهم أكثر من ألف خيال كردي بقيادة الشيخ محمود^(٩٥) قرب مدينة الناصرية يدفعهم الحماس الديني لردع القوات البريطانية الغازية . وفي المعركة التي وقعت في نيسان من العام ١٩١٥ بالقرب من الشعبية بينهم وبين الانكليز هزم العثمانيون والمتطوعون هزيمة منكرة . لقد قتل وجرح في تلك المعركة من الجانب العثماني أكثر من ألفين وخمسة شخص ، كما أسر منه حوالي ٨٠٠ شخص ، فضلاً عن كميات من الأسلحة والعتاد استولى عليها المنتصرون . أما خسائر الانكليز في هذه المعركة فقد

(٩٤) مقتبس من : M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 349, 451.

(٩٥) راجع : رفيق حلمي ، يادداشت (مذكرات) ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٥٦ ، الص ٤٩ - ٥٠ .

بلغت حوالي ١٢٥٠ شخصاً^(٩٦) . ان هذه الهزيمة ، فضلاً عن موقف الضباط العثمانيين غير الودي ، والتسيب الذي ساد جيبتهم ، دفعت المقاتلين العرب والكرد الى ترك سوح القتال والعودة الى ديارهم رغم أنهم كانوا قد جاءوا الى الشعبية باندفاع ذاتي كان بالامكان تحويله الى قوة مؤثرة في ميزان القوى^(٩٧) .

أولى الانكليز احتلال بغداد اهتماماً خاصاً لما كان ينطوي عليه من مغزى معنوي عميق بالنسبة للعالم الاسلامي وباعتباره « أحسن عوض عن كل ما يفقد في أي مكان آخر » فتحول الى هدف مبكر في مخططات القادة البريطانيين ومقر الجيش في الهند وحظي باهتمام كبير من لدن المحافظ السياسية في لندن^(٩٨) ، كما حرضت على تحقيقه الأوساط الرأسمالية الانكليزية^(٩٩) . ولم يكن بلوغ هذا الهدف أمراً هيناً نظراً للاهتمام المشابه

(٩٦) A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia*, P. 35. حسبما جاء في بعض المصادر ، فان عدد القتلى والجرحى من الجانب العثماني كان أكثر من ذلك (راجع على سبيل المثال : محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الأول ، الموصل ، ١٩٢٤ ، الص ١٠٥ . حول معركة الشعبية يمكن كذلك مراجعة : شكري محمود نديم ، حرب العراق ، الص ٢٦ - ٣٤) .

(٩٧) لا ينكر أن رجال العشائر لم يستطيعوا ان يلعبوا دوراً كبيراً في الشعبية وذلك للأسباب التي عرضناها ، الا أن ا. ت. ولسن يحاول الانتقاص من دورهم بشكل واضح قريب من الاستهزاء
(A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia*, PP. 22 - 23) .

(٩٨) راجع :
A. T. Wilson, *Loyalities Mesopotamia*, PP. 38, 50, 80 - 81, 83 - 84.

(٩٩) راجع ايضاً : شكري محمود نديم ، حرب العراق ، الص ٤٤ .
راجع : الدكتور زكي صالح ، مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٥٢ ، الص ١١ .

الذي كان يديه الجانب المقابل وللدوافع ذاتها للحفاظ على بغداد في حوزته ، فاصطدمت خطط الانكليز بصعوبات كبيرة وكلف تحقيقها أخيراً في ١٢ مارس من العام ١٩١٧ وقتاً كثيراً وضحايا جسيمة^(١٠٠) . وقد أصدر الجنرال مود بعد دخوله بغداد بيانه المعروف الذي تم اعداده بأسلوب خاص وبتوجيه من أعلى المستويات ، ولكن عملاء الألمان والعثمانيين حاولوا استغلال خلو البيان من أي اشارة الى الأكراد لتحريضهم ضد الانكليز^(١٠١) .

وكما كان متوقفاً فقد ترك سقوط بغداد أثراً كبيراً في نفوس الألمان والعثمانيين بشكل خاص لما تركه من تأثير كبير على سمعتهم بين جميع الشعوب الإسلامية فاضطر الاتحاديون للتفكير جدياً من أجل استرداد عاصمة العباسيين بأسرع ما يمكن . فتم في ٣١ آذار عقد اجتماع سري حضره أنور باشا وطلعت باشا وجميع الوزراء وممثلون عن مجلس النواب مع ليمان فون ساندرس حيث أقر المجتمعون بأن «كارثة بغداد سوف تترك أثراً بالغاً على جميع المسلمين» . ومن المهم أن نشير أيضاً الى أن سقوط بغداد كان من شأنه دفع الخلافات القائمة بين الاتحاديين الى السطح بقوة أكبر من السابق . فبالرغم من أن الحاضرين في الاجتماع السري المذكور كانوا في أكثرتهم الساحقة من أتباع أنور وطلعت المقربين ، الا أن ٣٦ شخصاً منهم تجرأوا على توجيه نقد لاذع لسياسة الدولة معلنين معارضتهم القوية لأسلوبها^(١٠٢) .

غير أنه لم يكن من السهل ايجاد مخرج للأزمة التي فجرها سقوط بغداد

(١٠٠) للتفصيل راجع : شكري محمود نديم ، حرب العراق ، الص ٥٤ - ١٤٢ (راجع أيضاً الهامش ٧٧ من هذا الفصل) . كانت ضحايا القوات العثمانية المنسحبة أكثر بكثير من ضحايا الانكليز .

(١٠١) راجع : A. T. Wilson, Loyalties Mesopotamia. PP. 266 - 267.

(١٠٢) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 316, 364

بقوة أكبر من السابق ، ذلك لأن سياسة الاتحاديين نفسها كانت تشكل المعرقل الأساس أمام وضع أي خطة عملية من شأنها التخفيف عن الوضع سواء في ميادين القتال أو على الصعيد الداخلي . وفي هذه الأثناء انكشفت أوراق «الصديق الوفي لألمانيا»^(١٠٣) أنور باشا أكثر من أي وقت مضى، فبدلاً من أن يبادر لارسال تعزيزات عاجلة الى العراق - وهو ما كان يطالب به الضباط الوطنيون وعدد من النواب - أمر بتوجيه سبع فرق مختارة قوامها ١٢٠ ألف رجل لمساندة القوات الألمانية - النمساوية العاملة في جبهات رومانيا وغاليسيا ومقدونيا في وقت أصبح من المتذر تماماً على استانبول ملا الفراغ الكبير في صفوف قواتها العاملة في جبهتي العراق ومصر والناجم عن العدد الكبير من القتلى والأسرى والجرحى والهاربين منها ، ففي هذه الفترة بالذات بلغ عدد الجرحى والمرضى الذين كانوا ينقلون الى الخطوط الخلفية في الجبهتين حوالي أربعة آلاف شخص في الشهر^(١٠٤) .

جاءت اجراءات الاتحاديين « لاسترداد بغداد » صورة صادقة ومعبرة للوضع السائد ، فقد تقرر تشكيل وحدات من بقايا القوات المدمرة والمنهوكة في ميادين القتال لانجاز هذه المهمة الشاقة التي ربما اعتقد الاتحاديون امكانية تحقيقها باضفاء اسم روماتينيكي عليها هو « ايلدرم » اي الصاعقة . وتجسد الصورة داخل اطار بشكل أقوى تعبيراً اذا علمنا أن الضباط الألمان الخمسة والستين الذين انضموا الى « الصاعقة » كانوا هم الذين يشرفون على شؤونها ، وليس في ذلك - بالطبع - ما يشوه الصورة التي تبدو أروع وأقوى اذا عرفنا أيضاً أن على رأس هؤلاء كان يقف فيلد مارشال ألماني ...

(١٠٣) كان القادة المسكربون الألمان يصفون أنور باشا عادة بـ « الصديق الوفي لألمانيا » .

G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 316 - 317, 384.

(١٠٤) راجع :

لكن هذا الفيلد مارشال لم يكن سوى فالكينهاين ((Falkenhayn)) المطرود من منصبه كرئيس لهيئة الأركان اثر فشله الذريع في معارك فيردان [١٩١٦] التي انتهت بانتصار الفرنسيين وانسحاب الألمان الذين فقدوا حوالي ٦٠٠ ألف شخص أي ضعف ما فقدته الفرنسيون تقريبا (١٠٥) .

بلغ تمداد « الصاعقة » حوالي ٣٨ ألف جندي وضابط كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأكراد (١٠٦) . وعلى ما يبدو فان الفيلد مارشال فالكينهاين كان يتحرق شوقاً للاقدام على خطوة نابليونية من شأنها اسدال الستار على هزيمة فيردان ، لذا كان يتعجل في نيل شرف استرداد المدينة التاريخية ، وهو ما أصر عليه في المؤتمر الخاص الذي عقده القادة الاتحاديون في حلب بحضوره وحضور ليمان فون ساندرس وعدد من الضباط الألمان والعثمانيين لهذا الغرض ، الأمر الذي استدعى تهكماً لاذعاً واحتجاجاً جريئاً من أحد الضباط الأتراك الوطنيين المشتركين في هذا المؤتمر والذي لم يكن سوى ٠٠٠ مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) (١٠٧) .

(١٠٥) من الطريف أن نذكر أن ابريخ فون فالكينهاين (١٨٦١ - ١٩٢٢) أصبح رئيساً لهيئة الأركان اثر فشل مولتكه في مارن (راجع الهامش ١٧ من هنا الفصل) ، وقد كان قبل ذلك وزيراً للحربية [١٩١٣ - ١٩١٤] . وبعد فشله في فيردان أعطي مهمة الاشراف على القوات الألمانية - العثمانية المشتركة في ميادين الشرق الأوسط .

(١٠٦) أكد هذه الحقيقة عدد من الضباط السابقين في الجيش العثماني من الذين اتصلت بهم . فحسب أقوال المرحوم الأستاذ اسماعيل حقي شاويس سمي المشرفون على « الصاعقة » لاستغلال روح الاقدام والمحافظة الدينية لدى البسطاء من الأكراد بتجنيدهم في هذه الوحدات ودفعهم الى المفارقات القتالية .

(١٠٧) للتفصيل راجع :

H. C. Armstrong, Grey Wolf Mustafa Kemal. An Intimate study of a Dictator, London, Third Ed., 1932, PP. 89 - 90.

=

كان من الطبيعي أن لا يسفر مثل هذا الاجراء الهزيل وغيره عن أي نتيجة ، فهو ليس لم يؤد الى استرداد بغداد فحسب ، بل لم يكن بإمكانه أن يؤثر بشيء أصلا في ميزان القوى بالنسبة لميلان العراق العسكري^(١٠٨) الذي شهد تقدماً متواصلاً للقوات البريطانية باتجاه الشمال والشمال الشرقي . وفي هذه المرحلة بالذات ظهر عنصر جديد على الصعيد الدولي دفع الانكليز الى التسريع في حركة قواتهم فيما وراء بغداد نحو الشمال ، ألا وهو انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا . فقد تركت هذه الثورة آثاراً عميقة على أصعدة مختلفة من أهمها ، بالنسبة للشرق الأوسط خاصة ، حدوث تغيير ملموس في ميزان القوى استوجب اجراء تغيير متوافق في خطط الدول الكبرى الخاصة بالمنطقة والتي تجسدت في بنود اتفاقية « سايكس - بيكو » السرية . وقد اعترف رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج بذلك صراحة في خطابه الشهير الذي ألقاه في الخامس من كانون الثاني من العام ١٩١٨^(١٠٩) عندما دعي الى « نقاش حر » حول شروط السلام لأن خروج روسيا من اللعبة أدى الى « تغيير وضع الاشياء بشكل جذري » .

من الصفحات المشرقة التي يسجلها التاريخ لمصطفى كمال تحديه التابع من حبه العميق لوطنه ومن ذكائه ، لخطط الألمان العسكرية [اصطدم مع ليتمان فون ساندروس وفالكينهاين] ولواقف القادة الاتحاديين خلال سنوات الحرب العالمية الأولى . ولاشك في أن الاحداث المفجعة التي رافقت تلك الحرب لعبت دوراً مباشراً في صياغة فكرة السياسي وتوجهاته فيما بعد .

(١٠٨) اضطر العثمانيون والامان بعد حماسهم الكبير واستعداداتهم السريعة للتنازل عن فكرة استخدام «الصاعقة» في ميدان العراق الحربي .
(١٠٩) نص الخطاب في :

((War Memories of David Lloyd George)) , Vol. V, London, 1936, PP. 2515 - 2527.

انعكس هذا الواقع في الميدان العسكري للعراق بسرعة لأن بريطانيا التي لم تكن ترغب في المجاورة المباشرة في مناطق نفوذها مع روسيا القيصرية فتنازلت عن ولاية الموصل لفرنسا بموجب اتفاقية « ساينكس - بيكو » ، بدأت الآن ترنو الى ما وراء هذه الولاية ، أي الى المناطق الكردية التي خصصتها هذه المعاهدة السرية نفسها لروسيا . وهكذا جاء اندفاع القوات الانكليزية منذ أواخر العام ١٩١٧ وبشكل خاص مع اقتراب الحرب من نهايتها متوافقاً كلياً مع التغييرات في الخطط التي فرضتها نتائج ثورة أكتوبر . ولا تخلو من معنى عميق في هذا المجال حقيقة أن القوات البريطانية التي احتاجت الى حوالي ثلاثة أعوام لدخول بغداد ، تمكنت خلال فترة أقصر بكثير من طرد القوات والادارة العثمانية من معظم مناطق العراق الأخرى . ومن مؤشرات السرعة غير الاعتيادية التي شهدتها ميادين القتال العراقية في هذه الفترة أن لواءً خيلاً بريطانياً قام خلال يومين فقط بقطع مسافة ثلاثة وثمانين ميلاً تضمن اجتياز نهرين كبيرين هما الزاب الصغير ودجلة ، كما قام لواء خيال آخر بقطع مسافة خمسين ميلاً خلال ١٦ ساعة فقط^(١١٠) ومن جانب آخر لم يخجل الانكليز في تقديم ضحايا جسيمة من أجل التقدم خطوة أكثر نحو الشمال^(١١١) . ومن الأمثلة الدالة التي تستحق الذكر هنا بشكل خاص، الحرب الضروس التي خاضتها القوات البريطانية في جنوبي الموصل قبل التوقيع على

(١١٠) راجع : شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، الص ٢١٠ - ٢١١ .

(١١١) يقول الأستاذ شكري محمود نديم في تعليقه على الحركات العسكرية التي وقعت خلال هذه المرحلة في جبهة العراق « كانت العوامل السياسية مسيطرة سيطرة تامة طوال هذه الفترة من الحركات ... وقد طفت الاعتبارات السياسية على جميع العوامل العسكرية وبرزت بروزاً واضحاً في ادارة الحركات » . راجع : شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، الص ٢١٤ .

هدنة مودروس باثني عشر يوماً فقط، أي في وقت بدت نهاية الحرب في صالح الحلفاء واضحة بالنسبة للجميع ، ومع ذلك فقد ضحى البريطانيون بحوالي ألفي شخص من قواتهم^(١١٢) لا لشيء الا ليتقدموا خطوات قليلة اخرى قبل أن تنتهي الحرب^(١١٣) . وقبل ذلك بفترة تقدم الجيش البريطاني في الجبهة الشمالية الشرقية تقدماً ملحوظاً واستطاع أن يدخل قسبة ككري في الثامن والعشرين من نيسان من العام ١٩١٨ واحتل بعد ذلك بيوم قسبة طوزخورماتو^(١١٤) . وقد وقعت في هذه المناطق أيضاً مصادمات بين القوات الانكليزية والقوات العثمانية خسرت أثناءها الأخيرة أكثر من ٢٠٠ جندي مع ٢٠ مدفعاً وحوالي ١٣٠٠ أسير بينما بلغت خسائر الانكليز حوالي ٢٠٠ قتيل وجريح فقط^(١١٥) . واستطاع البريطانيون فيما بعد و اثر معركة صغيرة احتلال كركوك أيضاً في السابع من مايس ، لكنهم انسحبوا منها بعد حوالي ثلاثة أسابيع [في الرابع والعشرين من مايس] وعادت اليها القوات العثمانية التي اضطرت بعد فترة قصيرة الى تركها ثانية . . وفي هذه المرة لاحقتها القطعات البريطانية الى أطراف آتون كويري .

(١١٢) مما يجدر بالذكر ان مجموع عدد قتلى القوات البريطانية في جميع أنحاء العراق خلال أربع سنوات من القتال بلغ حوالي ٣١ ألف شخص .

(١١٣) خسر العثمانيون في تلك المرحلة حوالي احد عشر الف اسير و ٥١ مدفعاً وكميات كبيرة من الذخائر (راجع :

A. T. Wilson, Mesopotamia, 1917 - 1920. A clash of loyalties. A personal and historical record, London, 1931, PP. 16 - 17).

(١١٤) وردت معلومات مفصلة ومفيدة عن هذه المواقع في جريدة «تيگهشتني راستي» الكردية وبأسلوب كان الانكليز يبغون من ورائه الكشف أكثر عن ضعف العثمانيين (راجع على سبيل المثال الأعداد الصادرة في ١٣ آيار و ٣ حزيران و ٥ آب و ١٤ تشرين الأول ١٩١٨) .

(١١٥) راجع : A. T. Wilson, Mesopotamia, 1917 - 1920, P. 8.

هنا يجدر بنا أن نشير الى أنه بعد احتلال بغداد مباشرة بدأ الانكليز يرسلون عدداً من ضباطهم القديرين ، ولا سيّما أولئك الذين تلقوا من بينهم تدريباً خاصاً في الهند أو عاثوا في كردستان قبل الحرب ، وذلك بقصد اقامة اتصالات مباشرة مع الأكراد ، وبشكل خاص مع زعماء المشائر الكردية . وكان الميجر سون واحداً من هؤلاء الضباط الذين زاروا المناطق الكردية لمرات عديدة خلال هذه المرحلة من الحرب^(١١٦) . وما ان احتل الانكليز بلدة كمرلي حتى أقاموا الصلات عن قرب مع بعض الشخصيات المعروفة في كركوك والسليمانية^(١١٧) كما أوفدوا الكابتن نوثيل^(١١٨) خصيصاً الى السليمانية لمقابلة الشيخ محمود الذي أخذ زمام أمور المنطقة بيده منذ أن انسحب منها الجنود والموظفون العثمانيون .

(١١٦) اشاد ارنولد ولسن ، وهو اول وكيل حاكم سياسي في العراق ، بالميجر سون ، ومحدث بصورة خاصة من خدماته في المناطق الكردية والتي اعتبرها مفيدة جداً لعمل الجيش البريطاني في تلك الانحاء . ومما قاله عنه : « كان سون أحد الرجال البارزين الذين أسعدني الحظ بالتعرف عليهم . . . كان عالماً باللغات لانظير له . . . ومن بين الذين رأيتهم في حياتي كان الوحيد الذي استطاع المييش بنجاح ، متنكراً بين الفرس وكأنه فارسي

(A. T. Wilson, Loyalties Mesopotamia, PP. 168 - 169).

(١١٧) للتفصيل راجع :

C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North - Eastern Iraq, London, 1957, P. 29.

راجع أيضاً : « نيكه بشتني راستي » ، ٢٦ آب ١٩١٨ .

(١١٨) كان الكابتن (فيما بعد الميجر) نوثيل ضابطاً نشيطاً هادئاً ذا اطلاع واسع ، يعرف اللغة الفارسية معرفة جيدة . تفهم نفسية القبائل الشرقية ورؤسائها تفهماً تاماً . كان يعمل في البداية بين قبائل بختياري وقد استطاع اثارة الناس في تلك المناطق ضد الالمان وأن يقدم خدمات جلي الى شركة النفط الانكليزية في ايران . وفي السنوات الأخيرة

ومن مؤشرات اهتمام الانكليز ، المتزايد ، بالاكراذ منذ احتلال بغداد واثر « خروج روسيا من اللعبة » بشكل خاص ، أنهم بدأوا منذ اليوم الأول من كانون الثاني من العام ١٩١٨ باصدار جريدة كردية في بغداد تحمل اسم « تيگه يشتنى راستي » (فهم الحقيقة) . لا يمكن عزل اصدار هذه الجريدة بالطبع ، عن حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الأولى . فان طبيعة هذه الحرب وظروفها الحساسة ومرحلتها المتطورة استدعت الاهتمام بمسألة الدعاية بأسلوب جديد وواسع للغاية . وفي العراق نفسه نماذج كثيرة تبين هذه الحقيقة بجلاء ووضوح . فان الانكليز ، مثلاً ، زينوا صدر جريدتهم « العرب » منذ عددها الأول الصادر في ٤ تموز من العام ١٩١٧ بشعار دعائي صارخ ومثير هو أنها « عربية المبدأ والغرض ينشئها في بغداد عرب للعرب » (١١٩) .

=

من الحرب استطاع ان يعقد صلات قريبة مع عدد كبير من رؤساء العشائر والشخصيات المتنفذة في كردستان حتى انه بدأ يتعلم اللغة الكردية . ومما يجدر بالذكر أن سون كان يصر على ضرورة اهتمام الانكليز بالاكراذ بشكل يمكن من كسبهم . وفي تقاريره السرية التي كان يرفعها الى المسؤولين البريطانيين كان يحنهم بحرارة على ذلك (راجع : ((Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First series, Vol. IV, London, 1952, PP. 678, 693, 742, 782).

ورغم ان نوييل عمل سنوات قليلة فقط بين الاكراذ ، الا انه سرعان ما استطاع ان يكسب الى جانبه مشاعر عدد كبير من رجالهم المعروفين ، حتى ان واحداً مثل الأستاذ رفيق حلمي اصبح على ثقة من انه لو سارت الامور وفق رغبات نوييل ، فان الاكراذ كانوا يحققون جميع طموحاتهم (رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الص ٦٩) . لم يبق نوييل فترة طويلة في كردستان فقد ارسله المسؤولون الانكليز لانجاز مهام « خاصة » الى منطقة القفقاس ، وعند عودته أسر من قبل الثوار الجنكليين .

(١١٩) « العرب » ، بغداد ، العدد الأول ، ٤ تموز ١٩١٧ والاعداد التالية .

اهتم المسؤولون السياسيون في الجيش البريطاني المحتل اهتماماً ملموساً بجريدتهم الكردية التي أشرف على إصدارها الميجر سون لا لاملامه التام باللغة الكردية وحسب ، بل ولاطلاع الواسع كذلك على مهنة الصحافة مما أهله لأن يلعب دوراً بارزاً في سائر الجرائد التي أصدرها الانكليز منذ احتلالهم للبصرة (١٣٠) . وهذا بالذات هو الذي أدى الى أن تصدر الجريدة بمستوى رفيع لم تبلغه صحف كردية أخرى عديدة صدرت بعدها بسنوات كثيرة وفي ظروف أصبح فيها للصحافة وزنها الكبير في الوسط الثقافي الكردي .

جاء اسم الجريدة « فهم الحقيقة » مطابقاً تماماً لأهدافها المقصودة ، فان الغرض الأساس لـ «تيگه يشتني راستي» كان - كما يبدو واضحاً من مضمون أعدادها المختلفة - جعل الأكراد « يفهمون حقيقتين » نابعتين من وجهة نظر انكليزية بحتة - حقيقة بريطانيا الناصعة والحقيقة القائمة للألمان والعثمانيين بشكل خاص . وكانوا يبغون من ذلك تحويلها ، مع جريدة « العرب » ، الى وسيلة دعائية فعالة لاثهار «عظمة بريطانيا» (١٣١) ولقطع خط الرجعة على العثمانيين والحط من سمعتهم بأسلوب يؤدي الى « التخلص من شرهم » بحيث لا يعود العراقيون يسمعون « اسمهم القبيح » مرة أخرى وذلك في سبيل أن « تحيا حكومة بريطانيا العادلة » و « يهلك الأتراك الظالمون » لأنهم «قلبوا النعيم بؤساً ، والسعادة شقاء» ، والخصب جدياً ، والعمران خراباً» (١٣٢) . ومقابل ذلك فـ « ان بريطانيا العظمى ... ستقوم ، بعد أن

(١٢٠) لعب الميجر سون دوراً بارزاً في إصدار جريدتي التايمس البصرية والتايمس البغدادية اللتين بدأ صدورهما منذ احتلال الانكليز لمدينتي البصرة وبغداد .

(١٢١) ورد مثل هذا التعبير عشرات المرات على صفحات «تيگه يشتني راستي» .

(١٢٢) راجع : « تيگه يشتني راستي » ، بغداد ، ٥ و ١٢ و ٢٦ كانون الثاني (١٩١٨) و ٥ و ١٩ شباط ١٩١٨ ، « العرب » ، ١٢ و ١٧ كانون الثاني ١٩١٨ .

تخرج ظافرة من الحرب ، بانقاذ شعوب الشرق قاطبة ، ولاسيما عرب العراق وما حوله وكردهما ، من المآسي وتسعدهم بالانعتاق والحرية والاتحاد اذ أن تحقيق مثل هذه المطالب المقدسة محال دون مساعدة حكومة عادلة منصفة مثل بريطانيا العظمى» . بقي أن نضيف أن هذا القول جاء تحت عنوان مماثل لاسم الجريدة نفسها - « فهم الحقيقة » (١٢٣) .

حاولت « تيگه يشتني راستي » استغلال العاطفة الدينية والشعور القومي للجماهير الكردية بأسلوب من شأنه اثاره الضغائن ضد العثمانيين الذين لا يمكن أن يكون الوقوف بوجههم متعارضاً مع القيم الاسلامية ، كما أكدت الجريدة مراراً ، ذلك لأن « الدين شيء والسياسة شيء » [عنوان افتتاحية العدد الرابع (١٢٤)] ، بل ذهبت « تيگه يشتني راستي » الى أبعد من ذلك عندما حاولت اظهار الاتحاديين في ثوب الخارجين على الدين مما يجعل مناهضتهم فرضاً على كل المخلصين « باعتبار حكومتهم غير شرعية » ولأن الكفر بلغ بهم حد أنهم « ينفرون من سماع اسم محمد صلوات الله عليه ، بينما اذا سمعوا أسماء أنور وطلعت وجمال فانهم يصلون عليهم ويسلمون » (١٢٥) ، علماً بأن رجال هؤلاء « كانوا ييمون حقاً كبيراً مع دينهم لقاء رشوة بخسة » (١٢٦) . وبالمقابل فقد أجهدت « تيگه يشتني راستي » نفسها لاطهار الانكليز كمدافعين أمناء عن الاسلام بحيث لامناص من الوقوف في صفهم . فلا عجب اذا خرجت علينا الجريدة في عددها الثالث عشر بمثل هذا العنوان البارز :

(١٢٣) « تيگه يشتني راستي » ، ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ .

(١٢٤) المصدر السابق .

(١٢٥) المصدر السابق ، ٢٠ ايار ١٩١٨ .

(١٢٦) ورد ذلك في العدد الاول من الجريدة ضمن مقال « حسنات الحكومة البريطانية العظيمة للعراق » (المصدر السابق ، ١ كانون الثاني ١٩١٨) .

« انكلترا والاسلام » (١٣٧) ثم يصبح العنوان في العدد الحادي والعشرين بهذا الشكل : « الأتراك الاتحاديون مضرون بالاسلام » (١٣٨) لأنهم دأبوا على « امحاء مفاتيح آداب الدين الاسلامي الحنيف » بينما ان « من يرجع الى التاريخ » يرى جلياً كيف أن « حكومة بريطانيا العظمى هبت مراراً لمساعدة الاسلام » وأنها « قامت من أجل المسلمين باتقاذ الحكومة التركية مرات عديدة من موت أكيد » وحتى في هذه الحرب فان « حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا » فكرت بالمسلمين و « من أجلهم نصحت الحكومة التركية بأن تقف على الحياد . . . لكن الاتحاديين الذين يرومون امحاء العرب والكرد . . . لم يصنوا الى مثل هذا الكلام » . والدليل الآخر على حب بريطانيا الجامع للاسلام والمسلمين هو « ذلكم النعيم » و « تلكم السعادة » التي تتمتع بها « شعوب اسلامية كثيرة » في ظل الانكليز الوارثين ، بينما ، « والكل يعرفون ذلك » ، تعمل « ألمانيا بدأب من أجل القضاء على المسلمين » لأنها « عدوة للاسلام » (١٣٩) . وهاكم « أيها القراء الأكراد المسلمون » دليلاً قريباً ، مثراً ، لا يدحض ، فهذه قائمة باسماء الانكليز الذين تركوا المسيحية واعتنقوا الدين الاسلامي واختاروا لأهسهم أسماء عربية اسلامية (١٤٠) .

بالامكان ايراد أمثلة كثيرة تبين أسلوب الجريدة في اثاره الشعور القومي الكردي باتجاه يخدم مصالح بريطانيا في الحرب الدائرة آنذاك . فقد زنت « تيگه يشتني راستي » صدر عددها الأول بهذا الشعار : « صحيفة سياسية - اجتماعية تخدم اتحاد الأكراد وحررتهم » . لاغبار بالطبع على مثل هذا الشعار،

(١٣٧) المصدر السابق ، ١٢ شباط ١٩١٨ .

(١٣٨) المصدر السابق ، ٢٥ آذار ١٩١٨ .

(١٣٩) المصدر السابق ، ١٢ شباط و ٢٢ نيسان ١٩١٨ .

(١٤٠) المصدر السابق ، ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ .

لولا التأكيد في افتتاحيات الجريدة ومقالاتها على أن « بإمكان بريطانيا العظمى وحدها » تحقيق مثل « هذه الأهداف المقدسة » مما يحتم « تقدير صداقة الانكليز » وعدم « الاتيان بعمل يفضي الى ندم أبدي » ولاسيما وأن « الانكليز أصدقاء للکرد أكثر من أي شعب آخر » فهم « عشاق بسالتهم » وحبوبهم « أكثر حتى من أهالي بغداد » الذين « أصبحوا بفضلهم ينعمون برفاة الحياة » لأن ما أنجزه الانكليز في هذه المدينة خلال عام واحد « ما كان بمستطاع الأتراك انجازه خلال ٥٠٠ سنة » ، بل « انهم (الأتراك - ك. م.) لم يستطيعوا خلال كل عهدهم ضمان ساعة واحدة من تلك السعادة التي يتمتع بها الأهليون في العراق وفلسطين منذ أول يوم وطأت فيه أقدام الجيش الانكليزي أرضيهما » لذا عبرت الجريدة عن ثقتها بأن أبناء « الشعب الكردي لن يخدعوا باكاذيب الترك » ولذلك فانهم « يضعون أيديهم بأيدي الانكليز وينقذون أنفسهم من مظالم الأتراك لينهمكوا في اعمار اصقاعهم » (١٣١) ، ولاسيما وأن « حكومة بريطانيا المعظمة تسعى لسعادة الكرد » [عنوان افتتاحية العدد ٣٣ (١٣٢)] .

انعكست جهود البريطانيين لدفع رؤساء العشائر الكردية العراقية الى حمل السلاح ضد المشانين واتصالاتهم بهؤلاء الرؤساء من أجل ذلك ، على صفحات « تيگه يشتني راستي » بوضوح وبأسلوب لم يخل من ذكاء واثارة وخبث . وبالنسبة لهذه النقطة الأخيرة نكتفي بالقول ان الأدبيات السياحية

(١٣١) المصدر السابق ، ٢٣ شباط و ١٣ آيار و ٣ حزيران ١٩١٨ . ورد قسم كبير من المقتبسات المذكورة في هذه الفقرة ضمن افتتاحية العدد ٢٨ الصادر في ١٣ آيار المعنونة « لن يفيد الترك الكرد والاقوام الأخرى » وافتتاحية العدد ٣١ في ٣ حزيران المعنونة « هل بقي شيء لم يفعله الأتراك الاتحاديون ضد الاسلام ؟ » .

(١٣٢) المصدر السابق ، ١٠ حزيران ١٩١٨ .

التي دونها البريطانيون الذين زاروا كردستان العراق قبل الحرب مليئة بصور روماتيكية ، إلا أنها مخيفة للغاية ، عن عشيرة الهوند ، جاء تجسيدها في كتاب المشرف على جريدة « تيگه يشتني راستي » الميجرسون (١٣٣) بأسلوب لم يبلغه غيره، ومع ذلك نرى هذه الجريدة نفسها تتغنى بمآثر الهوند كخير دليل على شجاعة الكرد واقدامهم فتقول ما نصه : « لا داعي لكي نبتعد كثيراً . فقبل سنوات مضت أذلت عشيرة الهوند الكردية عساكر الترك والعجم مراراً . واليوم لانريد منكم أتم يا أحفاد هؤلاء الميامين سوى أن تكونوا حريصين على صداقة الانكليز ٠٠٠ » (١٣٤) . . و « الحرص على صداقة الانكليز » يفرض سؤالاً ملحاً يتحول الى عنوان لافتتاحية العدد التاسع عشر: « ماذا على رؤساء الكرد أن يفعلوا ؟ » وفيها اطناب كثير لماضي الأكراد الذين « لم يخضعوا في أي عهد » للعثمانيين ، ما يدعو الى العجب لـ « أنهم لم يتحركوا بعد » مع كونهم « أشجع من أقوام أخرى كثيرة » . ثم تذكر الجريدة أسماء عدد من المتنفذين الأكراد المعروفين مثل الشيخ محمود واقربائه «الذين لم يهابوا الترك يوماً ما » ورؤساء « عشيرة الجاف الكبيرة التي لا تعترف بوجود الحكومة التركية وأفرادها مسلحون بأسلحة جيدة » ورؤساء البشدر ومنكور « الذين لم يقدر عليهم الأتراك بمدافعهم وجندهم » ورؤساء بانه وهوند وزنگنه وطالباني وشوان وشيخ بزني وباجلان الذين تطلب منهم الجريدة اثارة «حركة واسعة» من شأنها « انقاذ السليمانية وما والاها من ظلم الأتراك » (١٣٥) .

(١٣٣)

E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise. PP.

164, 179 - 182, 287 - 288.

(١٣٤) « تيگه يشتني راستي » ، ٢٣ شباط ١٩١٨ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ٥ آذار ١٩١٨ .

ويبدو واضحاً من مضامين « تيگه يشتنى راستي » أن الانكليز اهتموا اهتماماً خاصاً بالرؤساء الأكراد الذين كانوا يعيشون في بغداد أو الذين كانوا يزورون المناطق الواقعة تحت الاحتلال البريطاني ، فقد ورد اسم « سليل الأمراء الأجل الأكرم حمدي بك بابان » مراراً على صفحات الجريدة كما اهتم المسؤولون بمقدم « الأجل سليمان خان بن الأجل داود خان الكلهري » لزيارة العتبات المقدسة في النجف و كربلاء مما اعتبرته الجريدة دليلاً على « الحب العميق الذي يكنه الانكليز للأكراد » (١٣٦) .

وكرست الجريدة جانباً كبيراً من أعدادها لابرز انتصارات القوات العربية في الحجاز وسوريا وحاولت جعلها نموذجاً يقتدى به ، مستغلة في سبيل ذلك العواطف الدينية والشعور القومي للجماهير الكردية بأسلوب ناجح . فان العرب « بدأوا يتداركون وضمهم منذ سنوات تحت ضغط الاتحاديين » وأوشكوا أن يبلغوا مأربهم « بالضحية . . . فأقاموا حكومة عربية في أرض الحجاز الطاهرة باعثن بها اسم قحطان وقريش . . . » وهي تستظل « براية رسول الله » وبفضلها « أصبحت الكعبة بيد حفيد النبي حسين الثاني » الذي « أصبح اليوم ملكاً معظماً للعرب وبادشاهاً شرعياً للمسلمين » فأعلن الجهاد « الذي قوبل من المسلمين بحماس » وبدافع منه « انفصل نجله الطاهر فيصل عن العثمانيين » لأن جميع توسلاته بهم « للرفق بالنساء والأطفال » لم تجد تفعلاً ، وبين الكرد « يوجد كثير من الرؤساء » الذين يستطيعون الوقوف « مثل السلطان حسين » ضد الاتحاديين ، ولاسيما وأنهم « فقلوا قواهم ولم يبق من يخشاهم » (١٣٧) . والواقع أن جهود « تيگه يشتنى راستي » والمحاولات

(١٣٦) المصدر السابق ، ٢ و ١١ آذار ١٩١٨ .

(١٣٧) المصدر السابق ، ٨ كانون الثاني و ٢٣ شباط و ٥ آذار ١٩١٨ .

الأخرى التي بذلها الإنكليز لكسب أكراد العراق لم تذهب هباءً ، فقد استجاب لهم العديد من رؤساء العشائر المتنفذة الذين رغبوا في التعاون معهم .

وهكذا استطاع الإنكليز قبل الاعلان عن هدنة مودروس في الثلاثين من تشرين الأول من العام ١٩١٨ بين الحلفاء والدولة العثمانية ، أن ينشروا هودهم في معظم الأصقاع الشمالية والشمالية - الشرقية العراقية بما فيها معظم المناطق الكردية . ولكن ظلت مع ذلك مناطق عديدة في ولاية الموصل لم تدخلها القوات البريطانية قبل الهدنة . ففي جبهة الموصل مثلاً بقي أمام تلك القوات اثناعشر ميلاً للدخول في المدينة نفسها ، الا أن الإنكليز لم يعمروا أي اقباء لوقف القتال ، فدخلوا مدينة الموصل وطردها المسؤولين العثمانيين منها متطلين بالبند السابع من اتفاقية مودروس التي كانت تسمح لهم بـ «احتلال أي موقع استراتيجي» والبند السادس عشر منها الذي فرض على العثمانيين استسلام جميع قواتهم « في ما بين النهرين » . وبهذه الحجة تم احتلال جميع أجزاء ولاية الموصل التي لم تحتلها القوات البريطانية قبل عقد الهدنة وكان الإنكليز مصممين على فرض ائدابهم عليها مع بقية أقسام البلاد^(١٣٨) دون أن يعيروا بنود معاهدة « سايكس - بيكو » أي اهتمام ، لذا فانهم كانوا على استعداد فعلاً للجوء الى استخدام القوة لاجبار العثمانيين على تركها بعد الهدنة مباشرة^(١٣٩) . فالإنكليز ، كما قال اللورد كيرزن في حينه ، كانوا يرون أن الحدود الغربية للهند تمر عبر الفرات الذي لا يمكن

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. IV, PP. 676, (١٣٨) 694, 743.

(١٣٩) راجع :

H. J. Philby, Arabian days, London, 1948, PP. 173 - 174.

السيطرة عليه الا عن طريق الموصل (١٤٠) وحدها (١٤١) . ويبدو أن مثل هذا التمسك الانكليزي الشديد بولاية الموصل هو الذي دفع الفرنسيين الى التنازل عنها بعد الحرب مباشرة ، ولاسيما وأنهم كانوا بحاجة الى اجراء مساومات معينة مع الانكليز . يقول لويد جورج بهذا الصدد :

« عندما جاء كليمنصو بعد الحرب الى لندن سألتني عما أود الحصول عليه من فرنسا بشكل خاص ، فأجبت على الفور انني أريد ضم الموصل الى العراق وافق كليمنصو على ذلك بدون أي نقاش ، ونحن وان لم نسجل اتفاقنا في أي مكان ، فان كليمنصو تمسك به باخلاص خلال المحادثات التي جرت فيما بعد » (١٤٢) .

يبدو واضحا من الحقائق الواردة في هذا الفصل أن المناطق الكردية المختلفة غدت جزءاً مهماً من ميادين الحرب العالمية الأولى في الشرقين الأدنى والأوسط ، وكانت الجيوش البريطانية والروسية والعثمانية والعشائر الكردية المسلحة وعملاء الألمان والعسكريون منهم يؤدون أدواراً مختلفة على مسرح كردستان . وتشير الوقائع الى أنه لو لم تنتصر ثورة أكتوبر التي أدت الى انسحاب القوات الروسية ، لما ظل أي جزء من كردستان حتى نهاية الحرب في

(١٤٠) يقصد ولاية الموصل .

(١٤١) مقتبس من :

ن. ك. كارسون ، الشرق العربي - العراق ، موسكو ، ١٩٢٨ ،

الصفحة ٣٥ .

Корсун Н. Г. , Арабский Восток-Ирак, Москва, 1928, стр. 35.

Lloyd George, The truth... , Vol. II, P. 1038.

(١٤٢) راجع :

وسوف نعود الى تفاصيل هذا الموضوع ضمن الفصل الاخير من هذا

الكتاب .

قبضة محتليها الأولين . ومع ذلك فان هذه الحرب وعواقبها أدت الى حدوث تغيرات سياسية واقتصادية مهمة في معظم أرجاء كردستان ، ولاسيما القسم الجنوبي منها الذي وقع تحت السيطرة الانكليزية مباشرة . وفي الوقت نفسه فان أحداث الحرب العالمية الأولى تركت في أعوام الحرب نفسها أثراً كبيراً على الوضع السياسي للشعب الكردي وجلبت له دماراً كبيراً وبؤساً شاملاً وخسائر جسيمة نستعرض بعض أوجهها ضمن الفصل القادم .



الفصل الرابع

نضال . . وضحايا

باتت الحرب العالمية الأولى والأحداث التي وقعت في مجراها ، عقبة كبيرة في طريق تطور حركة التحرر - القومي الكردية ونموها وتعمق محتواها . الا أن ذلك لا يعني ألبتة أن الشعب الكردي تخطى كلياً عن النضال في تلك السنين^(١) . فعلى أقل تقدير ظلت العوامل المحركة لهذا النضال باقية ، كما في الماضي ، بل ان بمضاً منها تمتعت أكثر من ذي قبل . فقبل كل شيء واصل الحكام العثمانيون سياستهم الشوفينية السابقة تجاه جميع شعوب الأمبراطورية ، بل ان هذه السياسة بدت في مجمل تصرفاتهم اليومية بصورة أكثر جلاء بسبب من أن الوضع الاقتصادي قد ساء في مختلف أنحاء البلاد ، ولحد الغاية، من جراء الحرب . وكان سلوك العثمانيين في هذا المضمار سلوك من لا يدرك شيئاً من عواقب الأمور ، فقد اغتتموا فرصة الحرب ، كما يبدو،

(١) أخطأ بعض المؤرخين ، ومنهم باسيل نيكيتين ، في ما زعموا من أن الشعب الكردي تخطى عن النضال في سنوات الحرب تحت تأثير الدعوة الى الجهاد . لقد أثرت الحرب بالطبع على وضع الشعوب العثمانية الاسلامية وموقفها، الا انها لم تستطع أن تضع حداً لظاهرة لم تختف عوامل حياتها بمجرد ظهور الدعوة الى الوقوف بوجه « الكفار » .

لضرب الحركة التحررية لشعوب الأمبراطورية بما في ذلك الحركة الكردية . وامتدت آثار سياستهم هذه لتشمل أبناء فئات اجتماعية مختلفة ، فلم يحاول الاتحاديون في ظروفهم الحرجة تلك ، أن يكسبوا حتى الزعماء السياسيين والروحانيين للشعوب الأخرى الا في نطاق ضيق للغاية وبأسلوب لم يخل من تعالٍ بعيد عن الذكاء السياسي ، بينما بدأوا في المقابل بضرب جميع من اعتبروهم أعداء سياسيين لهم ، فمنذ بدايات الحرب شهد العديد من مدن الأمبراطورية مشاقق صعد عليها المثقفون ورؤساء العشائر والفلاحون، واغتيل آخرون منهم بأساليب أخرى . وبالامكان ايراد أمثلة عديدة من هذا القبيل وقعت في مناطق كردية مختلفة . ففي الأول من كانون الأول من العام ١٩١٤ شنق الشيخ عبدالسلام واثنان من رجاله وأحد الرؤساء الريكانيين في سجن الموصل مما أثار حفيظة الناس في معظم مناطق بهدينان(٢) .

ورأى ولاية الأمر في بدليس في اعلان الحرب على روسيا فرصة سانحة للهجوم على القنصلية الروسية واعتقال الملا سليم الخيزاني ورفاقه . فشنقوهم فوراً بقصد ارهاب الناس في تلك المناطق وتركوا جثثهم معلقة في الشوارع عدة أيام(٣) .

(٢) للتفصيل راجع : صديق الديمولوجي ، المصدر السابق ، الص ١٠٢ - ١٠٥ و ١٦٦ - ١٦٧ ؛ عبدالمنعم الفلامي ، الضحايا الثلاث ، الموصل ١٩٥٢ ، ص ٥٠ - ٥١ . يورد الأستاذ صديق الديمولوجي معلومات مهمة حول هذا الموضوع ولاسيما وأنه عاصر أحداثه وكان أيضاً في نفس السجن الذي نفذ فيه حكم الامدام بحق الشيخ عبدالسلام وأعوانه ، وهو يؤكد أن التنفيذ جاء قبل مصادقة الباب العالي على الحكم الصادر من المحكمة وذلك - كما يذكر - بتدبير خاص من قبل والي الموصل سليمان نظيف الذي كان يعد من الأنصار المتطرفين للاتحاديين . ويجدر بالذكر أن العثمانيين تمكنوا من اللقاء القبض على الشيخ عبدالسلام في خريف العام ١٩١٤ بواسطة شرك نصبه له بمساعدة المدعو الصوفي عبدالله الشكاكي الفنكي .

(٣) الدكتور بلهج شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٥٠ .

ولكن لا هذه الأعمال المنكرة التي اقترفها الاتحاديون في كل مكان ولا النظام الدكتاتوري الذي فرضوه على الناس تحت شعار ظروف الحرب ، استطاعت وضع حد لنضال شعوب الأمبراطورية بما فيها الشعب الكردي . صحيح أنه في تلك الظروف حيث كان معظم المثقفين الكرد قد سيقوا الى الخدمة العسكرية وأرسلوا الى ميادين القتال وتعطلت المنظمات والجمعيات والصحف التي كانوا قد أسسوها قبل الحرب ، لم يعد بالامكان الهاب حماس جماهير الشعب ، كما كان بالأمس ، الا أنه ، وبالرغم من ذلك ، سرعان ما أدت سياسة الاتحاديين الى ظهور منظمات سرية جديدة . فكما تشير بعض الوثائق الدبلوماسية الموثوقة لم تمض على اندلاع نيران الحرب سوى فترة وجيزة حتى ظهرت جمعيات كردية جديدة في الولايات الشرقية ، وبشكل خاص في منطقة وان^(٤) ، وكانت هذه الجمعيات تستهدف - حسبما تؤكد الوثائق نفسها - تنظيم انتفاضة عامة ضد الاتحاديين واختارت أساليب ارهاية للعمل ضد المتعاونين معهم . كما حاول بعض المثقفين تنظيم جمعية باسم «جمعية استخلاص كردستان» في استانبول ، كان لها على ما يبدو بعض الصلات مع الروس ومع أوساط عربية معينة^(٥) .

لم تستطع هذه الجمعيات أن تلعب دوراً ملموساً في الحياة السياسية لكردستان خلال سنوات الحرب ، الا أن ذلك لم يحل دون أن يعبر سخط السكان واستيائهم عن نفسه على شكل انتفاضات وتحركات عفوية في العديد من الأصقاع الكردية . فعلى سبيل المثال لجأ الأهالي في منطقة بوتان الى السلاح بصورة علنية في ربيع العام ١٩١٥ ضد السيطرة العثمانية وأخذوا

(٤) كان للمثقفين الأرمن على ما يبدو دورهم في تأسيس هذه المنظمات .

(٥) للتفصيل راجع :

يقاومون قواتها • وبالرغم من المحاولات التي قام بها أنور باشا للتقرب من بعض المتنفذين في منطقة درسيم الوعرة « التي لم تشترك في الحرب أصلاً » كما شهد شاهد من أهلها^(٦) ، فإن الأوضاع قد توترت فيها في الفترة نفسها تقريباً وتمكن سكانها من طرد الجنود العثمانيين من منطقتهم لأكثر من سنة واستولوا على مقاليد الأمور كاملة فيها^(٧) . وقد لعب الشاعر المعروف في هذه المنطقة علي شير دوراً بارزاً في إثارة مشاعر الناس وأخذ يحرض بكل قواه عشائر درسيم وقوچگیر على الاتحاد في سبيل الانعتاق والحيلولة دون إفساح المجال لعودة المظالم العثمانية ، وكان من المتوقع لهذه الحركة أن تتطور لتتخذ بعداً أعمق وأشمل ، لولا الموقف السلبي الذي وقفه عدد من رؤساء العشائر المواليين للعثمانيين والذين لم يكونوا مرتاحين من نشاطات الشاعر الشعبي علي شير وأعوانه^(٨) .

وبتأثير الهزائم المتلاحقة التي أصابت الجيش العثماني في مختلف الميادين واتساع نطاق الحركة التحررية لمعظم الشعوب الواقعة تحت سيطرة الأمبراطورية العثمانية ، أخذ نضال الشعب الكردي يتخذ في أواخر الحرب طابعاً أكثر عمقاً واتساعاً • فقد تمرد السكان في المادية والسليمانية وأنحاء أخرى من كردستان عدة مرات ضد السيطرة العثمانية ، وكان الشيخ محمود منذ أن قتل والده الشيخ سعيد بتحريض من المسؤولين العثمانيين في الموصل

(٦) للتفصيل راجع :

Dr. Nuri Dersimi, Kürdistan Tarihinde Dersim, Halep, 1952, S. 94 — 99.

M. S. Lazarev, Kurdistan. . . , P. 311. راجع (٧)

(٨) حول حياة علي شير ونضاله في سنوات الحرب العالمية الأولى راجع :
Dr. Nuri Dersimi, Kürdistan Tarihinde Dersim, S. 112 — 113.

قبل الحرب^(٩) ، فقد ثقته بالاتحاديين ، فكان يتحين الفرص للثأر لوالده ، حتى ان ذهابه الى الشعبية لمقاتلة الانكليز كان بتحريض من رجال الدين وبتأثير فتاواهم والموقف الذي اتخذته العشائر العربية في الوسط والجنوب ، كما ان عودته كانت من جراء كرهه للضباط العثمانيين ونقمتهم عليهم . لقد اغتم الشيخ محمود فرصة الوضع السيء الذي كانت الدولة العثمانية متخبطة فيه في السنوات الأخيرة من الحرب وأخذ يناضل علنا لاسقاط السيطرة العثمانية في كردستان الجنوبية على الأقل والتي كانت الجيوش البريطانية قد اقتربت منها . وتحقيقاً لهذا الغرض فقد بدأ يقيم العلاقات مع خصوم الدولة العثمانية وفي مقدمتهم روسيا حيث بعث رسالة خاصة الى المسؤولين الروس طلب فيها المساعدة منهم . وسعياً وراء الهدف نفسه أقام الصلات مع الانكليز الذين ما ان وصلت قواتهم الى منطقة ككري حتى بدأوا يرسلونه مباشرة وقبل أن تضع الحرب أوزارها بعثوا الكابتن نويل الى السليمانية للتفاوض معه شخصياً^(١٠) . وكما ذكرنا في مكان آخر من هذا البحث ، فقد أصبح الشيخ محمود قبيل انتهاء الحرب المسيطر الفعلي الوحيد في منطقة السليمانية كلها ، وكان ينوي استغلال الظروف الجديدة للعمل في سبيل ضمان حقوق

(٩) أبعد الشيخ سعيد والد الشيخ محمود الى الموصل بعد انتصار ثورة الاتحاديين ، وفي العام نفسه قتل هناك مع ابنه الشيخ أحمد وبعض رجاله بأسلوب درامي دبره المسؤولون العثمانيون في المدينة (للتفصيل راجع : عبدالمنعم الفلامي ، المصدر السابق ، الص ١٢ - ٢٦) . ومن الشواهد المهمة على مسؤولية الاتحاديين في تدبير أمر اغتيال الشيخ سعيد ان المتهمين في الحادث حوكموا بعد انقلاب الائتلايين ومجيئهم المؤقت للسلطة فصدرت بحقهم احكام مشددة ، منها عقوبة الاعدام ، ولكن ما ان تسلم الاتحاديون السلطة من جديد حتى أفرجوا عنهم دون تأخير .

(١٠) C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 39. راجع أيضاً بحثنا المذكور سابقاً :

« وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود » .

شعبه ، وكان يرغب في التعاون مع الأطراف الأخرى العاملة من أجل الهدف نفسه (١١) .

كاف الجماهير الكردية تصبح مع اقتراب الحرب من نهايتها أكثر اصراراً على النضال . ففي صيف العام ١٩١٧ انتفض السكان في درسيم وبوتان للمرة الثانية ، كما انتفض سكان خربوط للمرة الأولى . وفي أوائل آب قام الأهالي في ماردین وآمد (دياربكر) بانتفاضة كبرى أجرت المسؤولين العثمانيين على تخصيص قوة كبيرة لقمعها (١٢) ولاسيما وأنهم كانوا يخشون عواقب العلاقات القريبة التي كان زعماء الانتفاضة قد أقاموها مع القوات الروسية المحاربة في تلك المناطق ، حتى انهم كانوا يزودونهم بالمعلومات عن الجيش العثماني وتحركاته . وفي الخريف من العام نفسه انتفض سكان بدليس من جديد ، وكان عدد مسلحيهم في هذه المرة يناهز الثلاثين ألفاً . ومن الجدير بالذكر أن المسؤولين السياسيين والعسكريين الروس وعلماءهم أولوا هذه الانتفاضات والتحركات الكردية اهتماماً بالغا وكانوا يحاولون اذكاء نارها حيثما أمكنهم ذلك ، كما كانوا يعيشون تقارير مفصلة ودقيقة عن أحداثها الى قيادة القفقاس ووزارة الخارجية في بطرسبورغ (١٣) .

خاض أكراد ايران كذلك حومة النضال في تلك السنوات بحماس

(١١) انعكس ذلك بشكل خاص في محاولاته لاقامة صلات قريبة مع الوفد الكردي في مؤتمر باريس .

(١٢) خصصت السلطات العثمانية الفرقة السابعة والاربعين برمتها ، فضلا عن بعض القوات الأخرى ، لاصماد انتفاضة دياربكر وماردين (راجع :

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 349) .

(١٣) تدخل هذه التقارير ضمن المصادر الاصلية للدراسة تلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي وقد اعانت المستشرقين السوفيت في دراساتهم كثيراً .

ورفعوا السلاح علناً ضد السلطات الايرانية والمحتلين الأجانب في العديد من المناطق وقد تجسد ذلك بشكل صارخ في اشتراكهم الفعّال في حركة الجنكليين وهو ما نعود الى تفاصيله ضمن هذا الفصل . وقد برز في ميدان النشاط الوطني آنذاك بعض المثقفين الكرد الايرانيين منهم أفراد اسرة قاضي المعروفة في ساوجبولاق والشاعر الشيخ بابا الفوئث آبادي الذي أسس جمعية صغيرة وحاول الاتصال بالروس ، ولكن نشاط جمعيته ظل ، على ما يبدو ، محصوراً في نطاق ضيق لم يتعد الشاعر والبعض من أصدقائه المقربين .

ومن جهة أخرى خلقت مظالم المحتلين ، بمختلف فصائلهم ، ردود فعل كبيرة بين أوساط كردية مختلفة اضطرت للجوء الى السلاح دفاعاً عن كرامتها مما بات جزءاً مهماً من نضال الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى . فقد أثارت تصرفات المحتلين السكان في العديد من مناطق كردستان الايرانية ودفعتهم الى مقاومتهم بالقوة . ورداً على تصرفات الجنود العثمانيين، تقرب المسيحيون في منطقة ورمي أكثر من ذي قبل من الروس ومن بعدهم من الانكليز ، وأخذ سكان منطقة ساوجبولاق يقاومون الجيش العثماني ثم الجيش الروسي بنشاط تقودهم الشخصية المعروفة القاضي فتاح (١٤) . وقد أثارت الأعمال التي اقترفها الجنود الروس والمتطوعون الأرمن في منطقة رواندوز ، جميع الناس هناك وفي مناطق كويسنجق وأربيل فاندفعت العشائر

(١٤) القاضي فتاح (المرزا فتاح القاضي) (١٨٣٢ هـ - ١٩١٦) هو الأخ الأصغر لجده القاضي محمد ، واحد من أشهر رجال الكريان ، عرف بخدماته الجليلة مما أثار حنق المسؤولين عليه . دافع في سنوات الحرب عن منطقة ساوجبولاق ضد الجيوش العثمانية والروسية فيما بعد ، واستشهد هو واحد أنجاله على ايدي الروس . وقد أبدى شجاعة كبيرة في المعركة كما يروي المطلعون ، ووجدت فيما بعد آثار ١٧ طلقة على جثته (للتفصيل راجع : الدكتور رحيم قاضي ، القاضي محمد ، (مخطوطة) ، الص ٣١ - ٣٤) .

الكردية الى مقاومتهم ، كما هاجمهم الشيخ محمود ومسلحوه في جبهة
پنجوين ، وقاومهم سكان علياوه في منطقة خانقين ببسالة ومايزال أبناء الجيل
القديم يتذكرون صور تلك الأيام القاتمة .

وفضلا عن كل ذلك تجاوز فضال الأكراد في المرحلة الأخيرة من الحرب
حدود كردستان ، وعاد المثقفون الكردي في المديد من المناطق الى سوح
النضال وبدأوا يحاولون جلب الأظار الى المسألة الكردية من جديد، ولاسيما
بعد أن لاحت عاقبة النظام العثماني في الأفق الدولي بوضوح .

أخذ ثريا بدرخان قبيل انتهاء الحرب زمام المبادرة وبدأ نشاطه في
القاهرة فاستطاع ان يؤسس جمعية سياسية تتولى أمر توضيح المسألة
الكردية وشرع في اقامة الصلات مع المثقفين الكرد الذين أسرتهم القوات
البريطانية أثناء القتال وأرسلتهم معتقلين الى مصر والهند^(١٥) . كان ثريا
بدرخان ورفاقه يريدون عقد مؤتمر في احدى المدن الأوروبية تحضره
الشخصيات السياسية الكردية لدراسة الوضع في كردستان ولبحث مصيرها
في ضوء الأحداث التي وضعت عموم الشرقين الأدنى والأوسط على حافة
مرحلة تاريخية جديدة .

يجدر بنا قبل أن نأتي على نهاية هذا الموضوع أن نشير كذلك الى أن
أحداث كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى لا تخلو من صور
جديدة للنضال المشترك تستحق الذكر والاهتمام في اطار بحثنا . ولا جدال
في أن أبرز تلك الصور قد تجسدت في ميدانين مهمين - في گيلان الايرانية

(١٥) كان المثقفون الكرد المعتقلون في الخارج قد أسسوا لهم ، وفق ما جاء في
المعلومات التي نشرتها الشخصية العاصرة لتلك الأحداث الأستاذ اسماعيل
حقي شاويس ، شبه منظمة قومية سرية (راجع مجلة « روژی نوى » ،
العدد ٩ ، كانون الأول ١٩٦٠ ، الص ٢٤ - ٢٦) .

وفي ظهور بوادر جديدة للتعاون العربي - الكردي .

شهدت منطقة گیلان الواقعة في شمالي ايران مدأ جديداً في حركة الجنگليين^(١٦) المعروفة التي تعود بداية انهجارها الى ما قبل الحرب بحوالي العامين^(١٧) والتي كان يقودها ميرزا كوچك خان^(١٨) بالتعاون مع عدد من المثقفين وبنض المنتهين الى الأوساط التجارية منهم الدكتور حشمت الطالقاني والتاجر الحاج أحمد القاسمي وغيرهم ، أما قاعدة الحركة فقد كانت فلاحية بالأساس . كانت قيادة الحركة وقاعدتها تتألف من اتماءات قومية مختلفة^(١٩) جمعتهما أهداف مشتركة تركزت خلال سنوات الحرب في النضال ضد المستعمرين والمحتلين وفي مقدمتهم الروس والانگليز ومن أجل ضمان

(١٦) تمنى كلمة (جنكل) في اللغتين الفارسية والكردية الغابة ، وبما أن الثوار اتخذوا من غابات گیلان الكثيفة مركزاً لنشاطاتهم فقد عرفوا بالجنگليين اي سكان الغابة .

(١٧) عن بداية المد الثوري في تلك المناطق راجع الص ١١٩ - ١٢٠ من الفصل الثاني .

(١٨) اعتبر السيد علي السنجري ، خطأ ، ميرزا كوچك خان من « الشخصيات الكردية المعروفة » (راجع : مهلا مهلي سهنجيري ، له بياوه ناوداره كاني كورد - ميرزا كوچك خان ، جريدة « ژين » ، السليمانية ، العدد ٣٢ ، تموز ١٩٧١) ، فقد ولد ميرزا كوچك خان في رشت التي تعتبر أهم مدينة في مقاطعة گیلان المحاذية لحدود آذربيجان السوفيتية وهو ينتمي الى عائلة اتمهنت التجارة والزراعة ، اتاه لقب الخان من انصاره وكان اسمه في الأصل يونس ، ثقّف في المدارس الدينية واشترك بنشاط في الثورة الدستورية وفي الحياة السياسية لايران (المعرفة المزيد عن حياته راجع : ابراهيم فخرائي ، ميرزا كوچك خان سردار جنكل ، الص ٢٨ - ٢٨ . راجع كذلك : (M. S. Ivanov, Op. Cit., PP. 259 — 261.

(١٩) اشترك في الحركة ، فضلا عن سكان منطقة گیلان ، عدد كبير من المتطوعين الذين اتوا من المدن والمناطق الاخرى بما فيها العاصمة طهران ومدينة تبريز الاذربيجانية وبعض المناطق الكردية وغيرها .

الاستقلال السياسي الناجز لايران^(٢٠) . ومما كان يدفع الناس ، وبشكل خاص الفلاحين ، للالتفاف حول الحركة تأكيد قاداتها على ضرورة العودة الى القيم الاسلامية الاصلية وتحويلها الى سلاح ماض للنضال ضد المحتلين الأجانب والى حد أقل ضد المستغلين في الداخل . وقد شكل الجنكليون منذ أواخر العام ١٩١٧ لجنة خاصة للاشراف على حركتهم باسم « اتحاد اسلام » . ومن الجدير بالذكر أن الألمان والعثمانيين عملوا بنشاط في سنوات الحرب من أجل اذكاء الدعاية للجامعة الاسلامية في منطقة گيلان لأنهم كانوا يدركون امكانية توجيه ضربات الى أعدائهم الروس والانكليز بواسطة الجنكليين فبعثوا عددا من الضباط الى منطقتهم كان من بينهم الضابط العثماني المقدم حسين أفندي التبريزي الذي كان مطلقاً على المناطق والشؤون الكردية خاصة لاشتراكه في المارك الحربية التي وقعت بين القوات الروسية والعثمانية في كردستان^(٢١) . وقد تمكن الاتحاديون والألمان فعلا من الاستفادة الى حد ما من الحركة الجنگلية حتى ان ميرزا كوچك خان أرسل مجموعات من المجاهدين لمعاونة القوات التركية والألمانية في المناطق الأخرى بما فيها منطقة كرمانشاه . كما أن توسع الحركة التي امتدت منذ العام ١٩١٧ الى المناطق المجاورة من گيلان (مازندران ، طالش وغيرها) لم يكن في كل الأحوال في صالح الروس والأوساط الحاكمة الايرانية التي كانت تتعاون آنذاك مع الانكليز على مختلف الأصعدة .

اشترك عدد غير قليل من الفلاحين الكرد بحماس في الحركة الجنگلية

(٢٠) تحول استقلال ايران الى الشعار الرئيس للحركة في سنوات الحرب ، وقد اقسام المشتركون فيها أن لا يطلقوا لحاهم حتى يتحقق مبتغاهم ، وقد صار هذا تقليدا غالباً ما التجأ اليه الثوريون الايرانيون فيما بعد .

M. N. Ivanova, Op. Cit., P. 18.

(٢١) راجع :

وتقاطرت مجموعات منهم الى مركز الحركة مع اندلاع الحرب مباشرة ، وتحول خالو قوربان الى واحد من أبرز قادة الحركة المقربين من ميرزا كوچك خان كما برز عدد آخر من الأكراد في صفوف الجنكليين منهم كريم خان وقنبر خان وخالو حشمت وبابا خان الذي كان ينتمي الى خالو قوربان(٢٣) بصلة القرابة .

لم يقتصر اشتراك الأكراد الايرانيين في حياة البلاد السياسية أثناء الحرب على الحركة الجنكلية التي لم تنته بانتهاء الحرب(٢٣) ، بل انهم أسهموا كذلك وبأشكال مختلفة في نضالات الشعب الايراني . فعندما احتدم صراع القوى الوطنية ضد حكومة وثوق الدولة(٢٤) التي عرفت بموالاتها للانگليز ، ومن أجل اجبار تلك الحكومة على اجراء انتخابات جديدة ودعوة المجلس للانمقاد ، عقدت اجتماعات جماهيرية في مدينة كرمانشاه رفعت فيها شعارات

(٢٢) علا شأن خالو قوربان في صفوف حركة الجنكليين حتى انه بلغ منصب قوميسر او ما يوازي درجة وزير الحربية ، ولكنه انفصل عنها في النهاية ودخل سوق المساومات الرائجة آنذاك وقتل أثناء اشتراكه في العمليات العسكرية التي جرت ضد سمو (راجع : ابراهيم فخراي ، المصدر السابق ، إص ٣٤٧ ، وكذلك المقال المنوه عنه للسيد علي السنجري - الهامش ١٨ ؛ M. S. Ivanov, Op. Cit., PP. 282, 293, 295) .

(٢٣) دخلت الحركة الجنكلية مرحلة جديدة بعد انتصار ثورة اكتوبر وانتهاء الحرب العالمية الاولى فتم في الخامس من حزيران ١٩٢٠ الاعلان عن تشكيل جمهورية كيلان ، الا ان ضعف التحالف بين القوى الوطنية احدث ثغرة كبيرة في جبهة الجنكليين مما مكن من القضاء على حركتهم وجمهوريتهم في تشرين الاول من العام التالي ولقي ميرزا كوچك خان مصرعه في جبال طالش وذلك أثناء مطاردته من قبل القوات الحكومية في اواخر تشرين الثاني من العام ١٩٢١ .

(٢٤) شكل في آب من العام ١٩١٦ وزارة جديدة وكان من السياسيين الموالين لبريطانيا .

بهذا المعنى ، وقد لعب الشاعر المعروف ، الكردي القومية ، أبو القاسم لاهوتي دوراً بارزاً في تلك الاجتماعات (٢٥) .

وعلى صعيد آخر شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى كذلك أمثلة للتعاون بين العرب والأكراد في نضالهم العادل ضد السياسة العنصرية للاتحاديين . فقد قدم العرب ما كان بإمكانهم تقديمه من مساعدات الى المشتركين في الانتفاضة التي اندلعت فيرانها في مناطق ماردين ودياربكر (٣٦) في آب من العام ١٩١٧ والتي سبق أن تطرقنا اليها . وكان لموقف السكان العرب من الانتفاضة المذكورة تأثيره في دفع الاتحاديين الى اتخاذ اجراءات سريعة لقمعها خشية المضاعفات المتوقعة منها ، ولاسيما وأن الاوضاع بين العشائر الكردية والعربية في المناطق المجاورة لم تكن أقل توتراً من ذلك . ثم ان الروس كانوا يتحينون الفرص لاستغلال كل ثغرة جديدة يمكن التطفل من خلالها لتوجيه ضربات جديدة لمواقع العثمانيين في المنطقة ، لذا أقاموا - كما ذكرنا - اتصالاً وثيقاً مع قادة الانتفاضة .

وهنا يجب أن نشير الى أن اتصالات الشيخ محمود في سنوات الحرب العالمية الأولى لم تقتصر على ممثلي الدول الكبرى في الأمبراطورية العثمانية وايران بل شملت كذلك بعض قادة الحركات السياسية لشعوب المنطقة الذين كانوا يعملون في سبيل تحرير شعوبهم من يدي العثمانيين . وأهم تلك الاتصالات أجراها الشيخ محمود مع شرف مكة حسين وأولاده مقترحاً عليهم التعاون في نضال الطرفين ضد الاتحاديين ، فبعث اليهم رسائل عديدة

M. N. Ivanova, Op. Cit., PP. 22 — 23.

: راجع (٢٥)

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 249 .

: راجع (٢٦)

حول هذا الموضوع وقعت احداها بيد المسؤولين العثمانيين^(٢٧) . وبالرغم من أن هذه الاتصالات لم تؤد الى نتائج ملموسة الا أنها تعتبر في كل الأحوال من الدلائل التي تشير الى انعكاس الأحداث العربية في المناطق الكردية وهي ما يؤكد عليها الدكتور م . س . لازاريف بشكل خاص^(٢٨) . ومن جانب آخر أثارت تلك الاتصالات حقد الاتحاديين أكثر ضد الساسة الأكراد ، فبعد وقوفهم على اتصالات الشيخ محمود بشريف مكة المعادي لهم ، تمادوا في التركيز على حبك الدسائس ضده بقصد اضعاف نفوذه بين الأكراد ، كما دبروا نهب داره في السليمانية .

ومن الجدير بالذكر أن الانكليز أيضاً أدركوا مدى تأثير الموقف العربي من العثمانيين على الأكراد ، ولذا نراهم يركزون على هذه النقطة بشكل ذكي وبأساليب مختلفة وذلك بقصد اثاره الأكراد ضد الاتحاديين أكثر فأكثر . فجريدتهم الكردية « تيگه يشتني راستي » طافحة بالأمثلة الواضحة على ذلك كما ذكرنا في حينه^(٢٩) كما أن الجريدة نفسها أولت نشاطات الشريف حسين ضد العثمانيين و انتصارات قوات الأمير فيصل في ميادين فلسطين وسوريا اهتماماً أكبر من أي حدث آخر من أحداث الحرب^(٣٠) .

(٢٧) كان الدبلوماسيون والعسكريون الروس على علم باتصالات الشيخ محمود مع شريف مكة حسبما يبدو فأشاروا اليها في تقاريرهم الخاصة (راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 340, 449).
(٢٨) M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 349.

(٢٩) راجع: الص ١٨٧ - ١٩٣ .

(٣٠) راجع على سبيل المثال : « تيگه يشتني راستي » ، العدد ٢٨ ، ١٣ ايار والعدد ٥٢ ، ٢٨ تشرين الأول ١٩١٨ وتحدثت الجريدة عن الموضوع نفسه في اعداد أخرى كثيرة . كما أنها كانت تكرر أحيانا افتتاحية عدد بكاملها لبحث الانتصارات في ميادين فلسطين (راجع : العدد ٤٨ ، ٢٠ أيلول ١٩١٨) .

شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى صوراً رائعة للتعاون الأرمني - الكردي ، ولاسيما في أيام المذابح الأرمنية التي دبرها الاتحاديون في العام ١٩١٥ وسوف نعود الى تفاصيلها ضمن الفصل المخصص لهذا الموضوع . الا أنه يجب الاعتراف كذلك بأن أحداث كردستان خلال سنوات الحرب لا تخلو في الوقت نفسه من بعض الصور الماكرة القائمة التي كان من شأنها تمكير صفو العلاقات بين شعوب المنطقة . فالزعيم الكردي المعروف سمو لم يتورع مثلاً عن اللجوء الى أقسى الأساليب في تعامله مع الأذربايجانيين والآثوريين بشكل خاص ، وكان أسوأ ما قام به في هذا المجال تديره اغتيال المار شمعون بنيامين مع عدد كبير من أعوانه في اليوم الثالث من آذار من العام ١٩١٨ بعد أن دعاه للاجتماع به بحجة التباحث معه حول مستقبل شعبيهما المتجاورين مما ترك آثاراً جد سلبية على العلاقات الآثورية - الكردية فيما بعد^(٣١) . وسوف نتطرق الى صور قريبة من هذه في الفصل

(٣١) صحيح ان المستعمرين الأجانب ، والبشرين بشكل خاص ، حاولوا بث بذور الشقاق بين الآثوريين والاكرد ، وصحيح ايضاً ان الروس والانكليز استغلوا الآثوريين ضد العثمانيين الكردي التي تعاونت مع الالمان والعثمانيين مما ترك آثاراً سلبية على العلاقات القائمة بين الشعبين ، وهو ما يعترف به المؤرخون الآثوريون أنفسهم (راجع على سبيل المثال :

**Матвеев (Бар-Маттай) К. П. , Мар-Юханна И. И. ,
Ассирийский вопрос во время и после первой
мировой войны, Москва, 1968, стр. 62.**

ك. ت. ماتفييف (بارماتاي) ، ا. ا. مار يوحنا ، المسألة الآثورية خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، موسكو ، ١٩٦٨ ، الص ٦٢ .
الا أن التأريخ يدين ، بالرغم من كل ذلك ، ما قام به سمو ولايمكن الاتفاق قطعاً مع محاولات بعض المؤلفين الاكرد ايجاد مبررات غير منطقية البتة لعمل سمو ، فهي محاولات لاتتفق بأي حال مع تفاصيل الاحداث التي

الخامس من هذا الكتاب •

تبقى نقطة أخيرة في مجال البحث في نضال الأكراد في سنوات الحرب تستحق الاهتمام وهي ما يتطرق بالآثار المبكرة التي تركها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في العام ١٩١٧ على المتورين الأكراد وعلى الوضع العام في كردستان • فقبل كل شيء أدى انسحاب روسيا من الحرب ومن مخططات تقسيم مناطق النفوذ ، الى تغيير موازين وحسابات تكتيكية و استراتيجية كثيرة في ميادين الشرقين الأدنى والأوسط تأتي على تفاصيل ما يتعلق منها بالأكراد ضمن الفصل الأخير من هذا الكتاب^(٣٢) • ولكن الى جانب ذلك كان لانتصار الثورة تأثيره الواضح على المواقف السياسية لبعض الأوساط الكردية ظهرت أولى بوادرها في السنة الأخيرة من سنوات الحرب • فقبل انتصار الثورة أقامت المنظمات السياسية السرية العاملة في صفوف الجيش الروسي الصلات مع بعض المثقفين الثوريين الكرد ، بل انها أسست لجنة مشتركة من ممثلي الجانبين في منطقة كرمانشاه^(٣٣) • وفي الوقت نفسه كان

رافقت هذه القضية من وجهة النظر التاريخية البحتة (راجع على سبيل المثال : علاء الدين سجادي ، شورشه كاني كورد وه كورد و كوماري عمراق (الثورات الكردية والكرد والجمهورية العراقية) ، بغداد ١٩٥٩ ، الص ٢٥١ - ٢٥٤) • من الجدير بالذكر أن سمو نفسه راح في العام ١٩٣٠ ضحية مؤامرة شبيهة تماماً لتلك التي دبرها هو ضد المار شمعون •
(٣٢) تطرقنا في الفصل السابق الى تأثير ذلك على تحركات الجيش البريطاني في العراق •
(٣٣) راجع :

"Всемирная история", т.VII, Москва, 1960,
стр. 574.

« تاريخ العالم » ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ٥٧٤ • (ورد في الص ٨٠ [الهامش رقم ١٠] من النص الكردي لهذا الكتاب (الجزء الثامن) سهواً مما اقتضى التنويه - المؤلف) •

لبعض الثوريين من مدينة ساوجبولاك ، وعلى رأسهم القاضي محمد ، صلات مع المنظمات البلشفية التي كانت تعمل داخل صفوف قطعات الجيش الروسي العاملة في تلك المنطقة وقد مهد ذلك الطريق لاقامة منظمة سياسية سرية في هذه المدينة قبيل انتصار ثورة أكتوبر رفعت شعار تلبية الحقوق القومية للأكراد^(٣٤) . ويشير المؤلف الإيراني أحمد شرفي الى اتصال كل من سمكو والسيد طه الشمديني بالبلاشفة عندما كانا منفيين في روسيا^(٣٥) في بداية الحرب كما سبق أن ذكرنا .

توجد دلائل من نوع آخر تشير كذلك الى هذه الحقيقة . فعندما دبر الروس البيض ، بتحريض من الانكليز ، هجوماً في ٢ تشرين الثاني من العام ١٩١٨ على مركز أول بعثة سوفيتية في طهران وألقوا القبض على جميع العاملين فيها ، استطاع رئيسها ي . وه كليمتسييف الهرب والعودة الى بلاده

(٣٤) راجع :

"Большая Советская Энциклопедия"، второе издание، т.28، Москва، 1954، стр.460-461.

« الموسوعة السوفيتية الكبرى » ، الطبعة الثانية ، الجزء ٢٨ ، موسكو ، ١٩٥٤ ، الص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣٥) أحمد شرفي ، عشائر شكاك وشرح زندگي آنها به رهبري اسماعيل آغا سمكو ، طهران ١٣٤٨ ، ص ١٩ . (أحمد شرفي ، عشائر الشكاك وتفصيل حياتها بقيادة اسماعيل آغا سمكو ، طهران ، ١٣٤٨ [١٩٦٩]) ، الص ١٩ . حاولنا دون جدوى العثور على دلائل من مصادر أصيلة تؤيد ذلك . يشير الأستاذ علاءالدين سجادي الى علاقات محددة لسمكو مع القنصل الروسي في ورمي بعد الحرب (راجع : علاءالدين سجادي ، المصدر السابق ، الص ٢٦٦) .

بمساعدة أفراد عشيرة سنجاوي الكردية^(٣٦) ، أما بقية أعضاء البعثة ، بما فيهم زوجة كليبتسيث ، فقد تفاهم الانكليز عن طريق بغداد الى الهند . ولا يخلو من معنى أن لسان حال القوات البريطانية العاملة في العراق ، الجريدة الكردية «تيگه يشتنى راستي» ، بدأت مباشرة بنشر أخبار ومواضيع معادية لروسيا السوفيتية وبأسلوب من شأنه إثارة الحذر والريبة في قوس الناس البسطاء فوصفت السلطة الجديدة بأنها « حكومة غير شرعية » وادعت أن « سكان روسيا استنجدوا بالحلفاء » ، فأعطت على هذا الأساس صوراً مفايرة للواقع عن حرب التدخل التي اشتركت فيها قوات ١٤ دولة رأسمالية^(٣٧) وقاومتها شعوب روسيا السوفيتية بشدة مما أجبرها على التقهقر ، بينما كانت « تيگه يشتنى راستي » تؤكد « استقبال أهل روسيا لمساکر الحلفاء بكل ترحاب » لكونهم « حماة حريتهم واستقلالهم »^(٣٨) . ان مثل هذا الموقف لم يكن يعكس فقط ما أثاره

(٣٦) راجع :

Мирошников Л. И. , Английская экспансия в Иране (1914-1920), Москва, 1961, стр.145.

ل. ا. ميروشنيكوف ، التغفل الانكليزي في ايران (١٩١٤ - ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ١٤٥ . (في الهوامش القادمة : L. Miroshnikov ...).

(٣٧) تحولت بغداد الى احدي قواعد حرب التدخل الرئيسية ، اذ ان القوات البريطانية بقيادة الجنرال دنسترفيل توجهت من بغداد الى مناطق القفقاس ، كما تم ارسال العديد من رجال الاستخبارات الانكليز عن طريق العراق ، منهم - كما ذكرنا - المتخصص في الشؤون الكردية الكابتن نوثيل .

(٣٨) « تيگه يشتنى راستي » ، العدد ٢١ ، ٢٥ آذار ، العدد ٤٤ ، ٢ ايلول ، العدد ٤٥ ، ٩ ايلول ، العدد ٦٠ ، ٢٣ كانون الاول ١٩١٨ . يجدر بنا ان نشير الى ان « تيگه يشتنى راستي » تحتوي في الوقت ذاته على اتجاهات

انتصار أول ثورة اشتراكية من مخاوف في العالم الرأسمالي فحسب ، بل كان أيضاً بمثابة خطوة وقائية كان لها موقعها ، بالرغم من صغر حجمها ، في حسابات الانكليز بالنسبة لمستقبل المنطقة . وعلى أي حال لم يكن قد مضى سوى وقت قصير للغاية على انتهاء الحرب عندما كتب حاكم مدينة السليمانية الميجر سون ضمن تقرير سري رفعه الى وكيل الحاكم العام البريطاني في العراق يقول « ان الناس هنا بدأوا ، لسوء الحظ ، يتفهمون أفكار البلاشفة » (٣٩) . وقد وضع كل ذلك بدايات لأحداث أهم وأبرز بدأت تظهر على المسرح السياسي في كردستان بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (٤٠) .

من كل ما سبق يبدو واضحاً أن أحداث الحرب ومآسيها والسياسة الدكتاتورية التي اتجهها الاتحاديون والأعيب المحتلين لم تؤد الى وقف نضال الشعب الكردي في سنوات الحرب . ومع ذلك فان هذا النضال لم يحقق أياً من أهدافه الكبرى ، فضلاً عن الوضع السياسي الدولي آتذ ، حالت أسباب عديدة أخرى دون ذلك . وتعود تلك الأسباب في الواقع الى تخلف سكان كردستان في تلك الأيام وانخفاض مستوى وعيهم السياسي .

مضادة أيضاً ، لانه كان من شأن هذه الاتجاهات المضادة فضح اعداء الانكليز من الالمان والعثمانيين ، لذا نرى الجريدة تتحدث عن احتجاج السلطة السوفيتية على سياسة الاتحاديين تجاه الارمن وتشير الى التحاق جنود المان ونساويين بالبلاشفة وغير ذلك من المواضيع (راجع : العدد ٢٥ ، ٢٢ نيسان والعدد ٣١ ، ٣ حزيران ١٩١٨) .

(٣٩) مقتبس من : A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920, P. 145.
 (٤٠) للتفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر أحمد ، أكتوبر والمسألة الكردية ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، «الثقافة الجديدة» ، العدد ٢٩ ، - تشرين الأول - ١٩٧١ ، الص ١٥٢ - ١٦٢ ، أو الاصل الكردي للمقال : « برايهي » العدد ٩ ، السنة الأولى ، الدورة الثانية ، كانون الأول ١٩٧٠ ، الص ٤ - ١٢ .

فقبل كل شيء لم تنصب الاتفاقيات التي قام بها الشعب الكردي في تلكم السنوات في مجرى واحد لتستطيع الصمود وتمكن من خلال ذلك من تحقيق نتائج ملموسة . فبالرغم من حدوث العديد من تلك الاتفاقيات في وقت واحد في أنحاء مختلفة من كردستان ، لم يفكر قادتها في أن يقيموا صلات معينة فيما بينهم يتوحدون من خلالها . وفضلا عن ذلك لم يكن لأي من تلك الاتفاقيات تاكيد و استراتيج محددان . فطى سبيل المثال كان الشعور الديني يكفي بالنسبة للشيخ محمود ليحمه على حمل السلاح في سبيل أعدائه هو ضد الانكليز ، هذا فضلا عن أنه كان يهاجم قوات الروس بالسلاح في نفس الوقت الذي كان يرأسهم فيه ويطلب منهم المساعدة . ثم ان العديد من رؤساء العشائر الكردية كانوا يحاولون استغلال ظروف الحرب من أجل مصالحهم الذاتية فكانوا يدخلون سوح المساومات ويفيرون المواقف بسرعة ، فمنهم من تعاون مع الروس والانكليز والألمان والعثمانيين ، وفي بعض الأحيان كان يحتفظ بالعلاقات مع أكثر من جهة في وقت واحد ، ولما أعار هؤلاء حقوق الجماهير القومية والاجتماعية أي اعتبار يذكر ، بل وان معظمهم لم يستطيعوا ادراك كنه ذلك وتقييم أهميته .

ومن العوامل الأخرى التي أثرت سلباً على تطور النضال الكردي في هذه المرحلة أن الجهات المتصارعة المختلفة كانت تحاول بأساليب شتى دفع استياء الجماهير الكردية في مجرى يخدم مصالحها هي ، بتحويل ذلك الاستياء الى رأس حربة موجهة الى أعدائها ، مما كان يحول حتماً دون تعميق محتواه القومي بنفس المستوى الذي حدث بين العرب والأرمن مثلاً . ففي هذا الاتجاه عمل كل من الروس والانكليز والألمان وحتى الاتحاديون ، وفي مضامين جريدة « تيگهشتنى راستي » دلائل مقنعة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة . كما لم يكن من العيب أن نشاطات الروس بين الأكراد بلغت في

سنوات الحرب حد أنهم ظلموا عقد مؤتمرات كبيرة ضمت أعداداً غفيرة من الرؤساء الكرد وغيرهم كالمؤتمر الذي عقد في كردستان إيران في أواسط تموز من العام ١٩١٧ والذي استمر ثلاثة أيام واشترك في أعماله أكثر من ألفي كردي فضلاً عن ممثلين عن روسيا وانكلترا وإيران ، والمؤتمر الذي عقد بعد ذلك بأقل من شهرين بالقرب من مدينة سنندج والذي حضره الجنرال باراتوف شخصياً وحدد أهدافه في « توحيد جميع العشائر الكردية وفسح المجال أمام قواها للدفاع عن الوطن » (١) وهو ما أدرك الروس أخيراً كنهه ، بعد المرور بطريق مليء بالأخطاء ، كخبر وسيلة لضمان مصالحهم في المنطقة مما أعطاهم نتائج ايجابية كثيرة يراها الدكتور لازاريث امراً منسجماً مع المنطق ، فكما يقول في تعليقه على ذلك : « كان يكفي الاستجابة للمطالب القومية للشعب الكردي وتأييد فكرة الحكم الذاتي أو حق تقرير المصير للأكراد ورفض أسلوب الحملات لتغيير العشائر مواقعها في الجبهة وتوافق على التعاون مع روسيا » (٤١) .

وبالرغم من جميع النواقص والثغرات التي نوهنا عنها فانه يجب الاقرار بأهمية نضال الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى والذي تحول الى أحد العوامل المساعدة لانهايار أسس النظام العثماني وذلك ضمن اطار أشمل حددت السياسة القومية للاتحادين بعده الواقعي ، حتى ان المؤرخ الأذربيجاني الدكتور حميد علييف يعطي هذه القضية في دراسته الواسعة عن تركيا في عهد الاتحادين المقام الأول بين عوامل انهيار الأمبراطورية العثمانية فيقول : « يمكن القول بدون مبالغة ان الاضطهاد القومي لشعوب البلدان الخاضعة والنضال ضده يحتلان المكان الأول بين الأسباب التي أدت

(٤١) للتفصيل راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 362 — 364.

الى سقوط الأمبراطورية العثمانية» (٤٢) .

ومن جانب آخر ساعد نضال الأكراد في سنوات الحرب على رفع الوعي القومي بينهم والاحساس بالغبن الذي لحقهم ، شأنهم شأن القوميات الأخرى اللاخلة في الأمبراطورية ، مما أدى الى رسوخ شعار الحكم الذاتي لكردستان بل وحتى شعار حق تقرير المصير أكثر فأكثر في نفوس الناس والمثقفين منهم بوجه خاص ، وهذا تحول بدوره الى عامل مساعد للانتقال الى مرحلة جديدة من النضال التحرري فيما بعد الحرب . كما أن ذلك النضال لعب دوره كذلك في لفت نظر أوساط مختلفة الى المسألة الكردية أكثر من السابق وتقييم أبعادها بشكل أكثر واقعية . فليس مجرد صدفة مثلا أن أقرت أعلى المستويات المسؤولة في بترسبورغ اقتراح مينورسكي في العام ١٩١٧ (٤٣) حول ضرورة وقوف روسيا بشكل رسمي الى جانب طموحات الشعب الكردي (٤٤) . ولم يكن أيضا مجرد صدفة أن جريدة « تيگه يشتني راستي » كانت تؤكد باستمرار استعداد الانكليز الكامل للوقوف الى جانب طموحات الشعب الكردي و « العمل من أجل اسعاده » كما « يفعلون ذلك مع الشعوب الأخرى » بل « وحتى أكثر مما يفعلون للأخرين » لأن « انكلترا تعرف الأكراد أكثر مما تعرفهم الدول الأخرى » (٤٥) .

G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 275.

(٤٢)

(٤٣) قبل انتصار ثورة اكتوبر .

(٤٤) ورد ذلك ضمن الوثائق الدبلوماسية الروسية الخاصة (للتفصيل راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 351, 451).

(٤٥) الجريدة طافحة بمقالات حول هذه المواضيع وبتحريض واضح لاثارة الشعور القومي الكردي ضد العثمانيين وبلاستناد الى الوقائع التاريخية (راجع على سبيل المثال : « تيگه يشتني راستي » ، العدد ٣ ، ٨ كانون الثاني والعدد ٤ ، ١٢ كانون الثاني والعدد ١٥ ، ١٩ شباط والعدد ١٩ ، ٥ آذار ١٩١٨ واعدادا أخرى كثيرة) .

أثار استمرار النضال التحرري لشعوب الأمبراطورية ، والذي اتخذ بالنسبة لعدد غير قليل منها طابعاً في غاية الجدية ، حقد الحكام العثمانيين أكثر من ذي قبل وألهم فيهم روح التعصب العنصري في أسوأ أشكاله . وبالنسبة للأكراد فقد اتخذ هذا الأمر طابعاً خاصاً بعد أن فشل الحكام العثمانيون في تحويلهم الى عنصر مؤثر في الحرب الجارية كما كان عليه الأمر في الماضي ، اذ بدأ الجنود الأكراد يتركون صفوف الجيش العثماني أفواجا^(٤٦) وكثيراً ما كانوا ينفضون بكامل أسلحتهم الى جانب الثوار من أبناء شعبهم . ويعلق الأكاديمي گردليفسكي على هذه الحقيقة قائلاً : « ثارت ثائرة الترك ضد الكرد لأنهم لم يشتركوا في الدفاع عن الوطن^(٤٧) ، أما الكرد فقد ثارت ثائرتهم ضد الترك لأنهم عانوا من الجوع بسببهم^(٤٨) .

ومما كان يثير العثمانيين أيضاً أنهم لم يستطيعوا ، كما ستحدث عن ذلك في مجال آخر من هذا البحث ، جعل أبناء الشعب الكردي آلة في أيديهم ضد الأقليات الدينية في الدولة العثمانية ، وبشكل خاص ضد الشعب الأرمني المجاور . وأخيراً فإن الاتحاديين كانوا مستائين جداً من اتصالات الرؤساء الأكراد بالروس والانكليز من جهة وبالزعماء العرب والأرمن المناوئين لهم من جهة أخرى . لهذه الأسباب باتت الفئات العثمانية الحاكمة واثقة من أنها خسرت عواطف الشعب الكردي نهائياً ، لذلك فانها بدأت تعمل في المرحلة الأخيرة من الحرب بقسوة وفظاظة لصهر الشعب الكردي وأطلقت يدها فيه واهمة أن ذلك خير سبيل للحفاظ على كردستان . ومما يجدر

(٤٦) بلغ الأمر في أواخر الحرب حد أنه نادراً ما كان يمر على جندي كردي او عربي في صفوف الجيش العثماني .

(٤٧) يقصد المطلق أنهم لم يشتركوا الى جانب العثمانيين في الحرب الجارية [آتئذ] .

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 121.

(٤٨)

بالذكر أن حلفاءهم الألمان كانوا يشاركونهم رأيهم هذا. ولتحقيق هذا الغرض أصدر الاتحاديون قبيل انتهاء الحرب سلسلة من المراسيم والقرارات تقضي بتشتيت الأكراد في القرى التركية على أن لا تتجاوز نسبتهم في أي مكان ٥ - ١٠٪ من السكان الأصليين للمناطق التي يصاد توطينهم فيها ، وكان من المقرر اسكان الشخصيات ورؤساء القبائل الكردية في مدن الأناضول الغربية ووضعم هناك تحت الإقامة الجبرية ومنعم من الاتصال فيما بينهم أو برجالهم الموزعين في القرى^(٤٩) . باشر الاتحاديون قبيل انتهاء الحرب تنفيذ خطتهم هذه بنشاط ، بادئين بالقبائل « الجامحة » والرؤساء « الجامحين » الذين ما كان بوسع الحكام ترويضهم ، وقد استطاعوا ابعاد الألوف منهم بقوة السلاح الى المناطق النائية والقصية من غربي الأناضول . وهكذا تمكن الحكام الاتحاديون من ابعاد عدد كبير من الأكراد خلال الفترة الأخيرة من الحرب ، فمات أكثر من نصفهم في الطريق جوعاً ومن شدة البرد أو فتكت بهم الأمراض ولم يستطع الاقله منهم العودة الى أماكنهم الأصلية ، وذلك بعد انتهاء الحرب . أما الذين استقروا منهم في مهاجرهم فقد عاشوا في ظروف بالغة القسوة من البطالة والأمراض ، مما أدى الى أن يموت من هؤلاء أيضاً خلق كثير^(٥٠) . وهكذا أعاد العثمانيون بعد مرور

(٤٩) الدكتور بله ج شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٦٠ .
(٥٠) تقدر مصادر مختلفة عدد المهجرين بما لا يقل عن ٧٠٠ الف شخص (راجع على سبيل المثال :

((Memorandum sur la situation des Kurdes. . .)), P. 11 ; A. Saf-rastian, Op. Cit., PP. 76, 81 ; M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , P. 309 ; ((The massacres of Kurds in Turkey)) , Cairo, 1928, P. 9 ; D. A. Shmidt, Journey among brave men, Toronto, 1964, P. 52).

ومع ذلك فان المؤلف يشك في صحة هذا الرقم ويراها أكثر من الواقع مع

ثلاثة قرون ونيف صورة أخرى للمآسي التي شهدتها اسبانيا والتي اذاعها التاريخ^(٥١) ، بل أعادوا صورة مصغرة لمآسي الأرمن التي بقيت ذبولها حتى

أن الدكتور بلج شيركوه يؤكد أن هذه الاحصائية مثبتة في ملفات «مهاجرة ادارهسى» (دائرة الهجرة في استانبول) (الدكتور بلج شيركوه؛ المصدر السابق ، الص ٦٢) . وأيا ما كان الامر فان جريدة « سربستي » (الاستقلال أو الحرية) التي كانت تصدر في استانبول تحدثت في عددها الصادر في الثلاثين من نيسان من العام ١٩١٩ عن عدة الوف من الاكراد ابعثوا قسرا في سنوات الحرب الى بعض المناطق غربي الأناضول . كما أكدت جريدة « مشاك » الأرمنية أن المنطقة الممتدة الى الجنوب والغرب من بحيرة وان كانت خالية من السكان بعد الحرب بعد أن كان يقطنها في السابق ما لا يقل عن ٨٠٠ ألف كردي (راجع :

M. S. Lazarev, Kurdistan..., P. 314).

وبعد انتهاء الحرب طالب هؤلاء ، المسؤولين بالسماح لهم بالعودة الى ديارهم ، واستغل عدد غير قليل منهم ظروف انهيار الامبراطورية فعادوا الى مواطنهم الاصلية دونما اخذ أي رخصة بذلك .

(٥١) للعرب ، كما هو معروف ، تاريخ سياسي - حضاري حافل في اسبانيا فأصبح استيطان قسم منهم في تلك البلاد نتيجة ملازمة لذلك التاريخ . وباعتراف المؤرخين الغربيين انفسهم لعب العرب هناك دوراً بارزاً في تطوير الانتاج الزراعي والحرفي وفي تشييد صرح حضاري شامخ بقيت آثاره حتى اليوم . وبعد سقوط آخر معاقلهم في غرناطة في العام ١٤٩٢ ساءت أوضاعهم الى حد كبير ، وبلغ سوء معاملتهم منذ عهد فليپ الثاني (١٥٥٦ - ١٥٩٨) الدرورة ، فقد اتبع أبشع الاساليب معهم لاجبارهم على ترك لغتهم القومية ومعتقداتهم الدينية وعاداتهم الموروثة ومنعوا حتى من استخدام الاسماء العربية وأصبح العديد من المخطوطات والمؤلفات الاسلامية القيمة طعمة لنيران محاكم التفتيش في عهده ، وأصدر خلفه فليپ الثالث في العام ١٦٠٩ مرسوماً يقضي بإبعاد جميع المسلمين [أكثر من نصف مليون نسمة] من اسبانيا فتوجهوا تحت تهديد السلاح الى أقطار المغرب العربي مما أضر الى حد كبير باقتصاديات البلاد ، لآلمه عرفوا بمهارتهم الحرفية وخبراتهم الزراعية . وقد اتبع العثمانيون سياسة مشابهة لتلك مع الاكراد ومع الأرمن بشكل خاص . ولئن كان

اليوم^(٥٢) ، وكان ذلك في الوقت نفسه جزءاً من سياسة عامة عافت منها جميع شعوب الأمبراطورية وتمكن أعداء العثمانيين من استغلالها بسهولة لصالحهم .
وفضلاً عن كل ذلك فإن الجيش العثماني شرد وطرد معظم سكان مناطق دياربكر وموش وبدليس من مواطنهم تحت ستار متطلبات القتال ، فاضطر الكثير من هؤلاء للجوء الى مدن كحلب والموصل يعيشون فيها في حر الصيف وبرد الشتاء على أرصفة الشوارع ويأكلون تحت وطأة الجوع جيف الحيوانات الفاطسة في تلك الأنحاء بل وحتى جثث الموتى من ذويهم^(٥٣) الذين هلكوا بدورهم من شدة الجوع .

ومن جانب آخر أدت السياسة الاقتصادية للاتحادين في سنوات الحرب الى الحاق الدمار بجميع أصقاع الأمبراطورية بما فيها المناطق الكردية .
ففي تلك السنوات تضاعفت الديون الخارجية للدولة العثمانية بمقدار ثلاث مرات (من ١٥٣٣٦ مليون ليرة الى ٤٦٥٧٧ مليون) ، والآنكى من ذلك أن أكثر من نصف هذه المبالغ جاء من ألمانيا على شكل معدات حربية بالأساس .
وتعطي ميزانية الدولة في سنوات الحرب صورة أكثر قتامة . فقد كان المتوقع أن تبلغ واردات الدولة للسنة المالية ١٩١٦ - ١٩١٧ ، ٢١ مليون ليرة على

حكام اسبانيا اتخذوا من الحرص على الديانة المسيحية حجة لما أقدموا عليه ، فان حكام الأمبراطورية العثمانية قلبوا العملة نفسها وجعلوا من الحرص على الاسلام حجة رئيسة لهم في تعاملهم مع الأرمن .

(٥٢) للتفصيل راجع الفصل الخامس .

(٥٣) تحدث عدد من المؤرخين عن المحن والمصائب الكثيرة التي أصابت الشعب الكردي في سنوات الحرب ، ومن هؤلاء الأستاذ محمد أمين زكي الذي شاهد الكثير منها بأم عينيه (راجع : محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، الص ٢٧٣ - ٢٨٠) .

أن لا تزيد مصروفاتها عن ٣٢ مليون ليرة، بينما لم تتجاوز الواردات في الواقع ١٩ مليون ليرة وارتفعت المصروفات بالمقابل الى ٧٥ مليون ليرة ، وهذا يعني أن العجز السنوي للميزانية خلال الحرب بلغ ٥٦ مليون ليرة بدل ١١ مليون ليرة حسب « تخطيط » وزارة المالية^(٥٤) .

وقد تحول الغلاء الفاحش الى أسوأ ظاهرة للأزمة الخائقة التي بدأ يعاني منها الاقتصاد العثماني طيلة سنوات الحرب ، ومن شأن نماذج قليلة اعطاء صورة واضحة عن مدى عمق المأساة التي بدأ يعيشها سكان الأمبراطورية . فحتى العام ١٩١٧ ارتفع سعر الخبز أكثر من اثنتي عشرة مرة بالقياس مع العام ١٩١٣ ، وارتفع سعر اللحم خلال الفترة نفسها بمقدار ثلاث مرات والرز بمقدار خمس عشرة مرة والدهن بمقدار يزيد عن اثنتي عشرة مرة وارتفع سعر النفط بمقدار يزيد عن خمس عشرة مرة . وفي العام ١٩١٨ أصبحت لوحة الأسعار بهذا الشكل المفزع : حقة^(٥٥) اللحم أصبحت تباع بـ ١٣٥ قرشاً بدل ٣٠ قرشاً كان سعرها في العام ١٩١٧ ، وخلال السنة نفسها ارتفع سعر حقة الرز من ٤٥ الى ٩٠ قرشاً والدهن من ٢٠٠ الى ٤٠٠ قرش بعد ان كانت الحقة تباع في العام ١٩١٣ بـ ١٦ قرشاً فقط^(٥٦) . ولم يقتصر ارتفاع الأسعار في الواقع على الحاجيات الحياتية الضرورية كالخبز واللحم فحسب ، بل ان آثاره امتدت الى حاجيات أخرى أصبحت تدخل في عداد الكماليات النادرة بسبب ارتفاع أثمانها الفاحش ، فقد ارتفع سعر القهوة مثلاً

A. F. Miller, Op. Cit., P. 70.

(٥٤) للتفصيل راجع :

(٥٥) الحقه تعادل ١ر٢٥ كيلو غراماً .

(٥٦) الأرقام والنسب المذكورة احتسبت بالاستناد الى المعلومات التي أوردها البروفيسور ميللر في كتابه (A. F. Miller, Op. Cit., PP. 70 — 71) .

بمقدار ٧٠ مرة عما كان عليه قبل الحرب (٥٧) . والى جانب الأسعار الخيالية هذه كانت الحاجيات نفسها غير متوفرة بشكل يمكن من تلبية الحد الأدنى من طلبات الناس ، لذا صار وقوف الطواير الطويلة أمام المخازن والمخازن وكذلك تدخل رجال الشرطة من المظاهر المألوفة منذ الأيام الأولى لاعلان الحرب (٥٨) .

وزاد الركود الذي أصاب تجارة تركيا الخارجية من ثقل الضائقة المالية في كل البلاد . فقد انخفضت وارداتها من ٤٢ مليون ليرة في العام ١٩١٣ الى ٤٧ مليون ليرة فقط في العام ١٩١٨ ، أما صادراتها فقد انخفضت خلال الفترة نفسها من ٢١ مليون ليرة الى ٥ مليون فقط (٥٩) . وقد دفع هذا الهبوط الكبير معظم التجار الكومبرادور الى سوح السوق السوداء للتعويض بذلك عن جانب من خسائرهم الكبيرة فتحول الأمر بشكل غير مباشر الى عبء جديد على كاهل فقراء الناس وذوي الدخل المحدود .

ومما زاد أكثر فأكثر آثار هذه الأوضاع المؤلمة وتآجها موقف القسم الأعظم من المسؤولين الاتحادين الذين استغلوا ظروف الحرب للاثراء بأباليب جد رخيصة على حساب الشعب والوطن ولقمة عيش الأطفال الذين كان آباؤهم يخرون صرعى بالآلاف في جبهات القتال المختلفة دفاعا عن الوطن في أخرج مراحل تاريخه . وهنا أيضاً يمكن الركون الى نماذج قليلة لتقديم صورة مجسمة عن الواقع المخزي . فمثلا تم في العاصمة استانبول

(٥٧) راجع :

Ahmed Emin, Turkey in the World War, New Haven, 1930, PP.

147 — 148.

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 86.

(٥٨)

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 71 — 72.

(٥٩)

تأسيس ما سمي بـ « جمعية الأصناف » لتنظيم شؤون الحاجيات الحياتية الضرورية وعلى رأسها المواد الغذائية في ظل الظروف الجديدة ، إلا أنها تحولت في الواقع الى مؤسسة احتكارية أو سوق سوداء « رسمية » ضمنت أرباحاً خيالية لعدد قليل من المسؤولين على حساب جماهير الشعب ، وكان في مقدمة المستفيدين من الجمعية قره كمال الذي لم يكن سوى أحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب الاتحاد والترقي وقد نظم الأمور بشكل يؤدي الى انتقال مئات الألوف من الليرات من أرباح الجمعية الى خزينة الدولة العامة وتذهب الملايين الى بعض الجيوب الخاصة . كما تحولت الأعباء وزير التموين اسماعيل حقي تويال (الأعرج) ومحرر جريدة الاتحاديين « تين » حسين جاهد والصحفي المعروف أحمد أمين وغيرهم من الشخصيات الاتحادية البارزة وصفقاتهم الى حديث مجالس الخواص والعوام . ولم يكن غريباً أن تظهر في سنوات الحرب العvisية ، ولكن بفضل هذه الظروف ، محلة راقية جديدة في استانبول اختارت حكمة الناس لقصورها أسماء معبرة تدل على مصادرها مثل « شكر بالاس » (قصر السكر) و « كيميور بالاس » (قصر الفحم) و « جوال بالاس » (قصر الأكياس)^(٦٠) وما شابه ومنح الناس البسطاء قره كمال لقباً جاء في مكانه - « دكتاتور المؤن » (!!) . فمن ذا كان يجد في نفسه الشجاعة الكافية ويتجرأ أن يقف بوجه هؤلاء بمدّ الدرر القاسي الذي تعلمه المخلصون من الاتحاديين من تجربة أحد رواد حزبهم أحمد رضا الذي كان يشغل منصب رئيس مجلس الأعيان في سنوات الحرب^(٦١) . فعندما بلغ السيل الزبى ، وبعد أن تحولت صورة النظام الذي

(٦٠) حتى الأكياس الفارغة تحولت الى مصدر رزق حرام بالنسبة لعدد من المتنفذين .

(٦١) بعد انتصار ثورة العام ١٩٠٨ عين أحمد رضا أول رئيس لمجلس النواب

كأن يحلم به الى صفحة قائمة في تاريخ بلاده الحافل تجراً أحمد رضا واتهم الجهاز الاداري في العاصمة بالفساد فما كان عليه الا أن ٠٠٠ يقضي ٢٤ ساعة قسط في التوقيف ، فكان طبيعياً أن لا يكرر هو أو غيره مثل « خطيته » (٦٢) .

أدت المشاكل الاقتصادية ومآسي الحروب المتكررة التي خاضتها الدولة الى تهاقم المشاكل الاجتماعية في طول البلاد وعرضها ، وكان بسطاء الناس ضحاياها الأبرياء . وها نحن ننقل هنا صورة على لسان واحد من هؤلاء الضحايا بسيطة في مظهرها الا أنها عميقة في محتواها . ففي حديث جرى بين الروسي گردليشكي وجندي أسير من الجيش العثماني ، قال الأخير :

« انك تسألني لماذا لم أتزوج ، وأنا أقول : وهل كان لدي وقت لذلك ؟ . بدأت حرب طرابلس فوقعت في أسر الطليان ، ثم في حرب البلقان وقعت في أسر البلغار ، وها أنا الآن في أسر الروس » (٦٣) .

وبالرغم من أن آثار هذه المآسي كانت عامة بالنسبة لجميع أجزاء الإمبراطورية العثمانية ، الا أن ظروفها خاصة جعلت من بعض أقسامها تعاني من ويلات الحرب أكثر من غيرها . وتدخل كردستان ضمن هذه الأخيرة ، ذلك لأنها تحولت ، كما رأينا ، الى أحد ميادين القتال الرئيسة في الشرق الأوسط . ثم انها بالإضافة الى ذلك كانت متخلفة أكثر من غيرها فلم تكن اقتصادياتها

=
الجديد ، الا انه عرف بضعف شخصيته وبقلة تأثيره على سير الأحداث (للتفصيل عنه راجع :

E. E. Ramsaur, Op. Cit., PP. 22 — 26, 35 — 40, 94, 129).

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 70 — 71. (٦٢) للتفصيل راجع :

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 107. (٦٣)

تحمل ضربات كتلك التي جلبتها أحداث الحرب معها . كما أن وجود قطعات من جميع الجيوش المتحاربة تقريباً على أرض كردستان زاد تفاقم وضعها الاقتصادي ، وكانت القطعات العثمانية نفسها تشكل أكبر عبء على كاهل الناس ، ولاسيما وأن الجيش أعطي حق جمع ضريبة العشر من الناس منذ بداية الحرب^(٦٤) وذلك من أجل سد جانب من احتياجات قطعائه .

يمكننا في الواقع عرض مئات الصور المؤلمة عن آثار مآسي الحرب في كردستان حيث راحت عشرات الألوف من أبناءها كبوش فداء للجوع والأمراض والدمار . وعلى سبيل المثال فمن مجموع اثني عشر ألف شخص كانوا يقطنون عشرين قرية في إحدى مناطق كردستان الشمالية مات في الأشهر الستة أو السبعة الأولى من الحرب حوالي ثمانية آلاف شخص^(٦٥) . بل إن منطقة مثل كردستان الجنوبية التي كانت من أبعد المناطق الكردية عن لظى الحرب ومآسيها ، أصابها ويلات كثيرة تنقل فيما يلي نماذج قليلة منها : انخفض عدد السكان في مدينة السليمانية حتى نهاية الحرب إلى الثلث . وبنفس النسبة بل وأكثر منها انخفض عدد السكان في القرى المحيطة بها^(٦٦) ، واضطر أكثر من نصف السكان في بعض المناطق الأخرى إلى ترك بيوتهم بسبب الجوع والأمراض ومظالم المحتلين^(٦٧) واضطر قسم كبير منهم للانتقال إلى ضواحي ديارلي والخالص والمقدادية وغيرها^(٦٨) ، ولم يكن الوضع في

G. Z. Aliev, Op. Cit., p. 258. : راجع (٦٤)

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 314. : راجع (٦٥)

C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 81. : راجع (٦٦)

A. T. Wilson, Loyalties Mesopotamia, P. 266. : راجع (٦٧)

(٦٨) راجع : « تيکه‌بشتنی راستی » ، العدد ١٥ ، ١٦ شباط ١٩١٨ .

روانوز أحسن بحال من الأحوال (٦٩) .

شهدت المناطق الكردية موجة غلاء لم تر لها مثيلاً من قبل ، وقد شطت حتى المتوجات المحلية التي كانت الى ما قبل الحرب تفيض عن حاجة السكان، كما امتدت أيضاً الى المناطق التي لم يكن ضغط المحتلين عليها كبيراً . ففي كردستان العراق ارتفع سعر القمح بما يزيد سبع مرات بالمقارنة مع ما كان سائداً في أسوأ فترات المجاعة التي مرت بها المنطقة في أواخر القرن الماضي (٧٠) . ومن الجدير بالذكر أن الانكليز حاولوا استغلال هذه الأوضاع بذكاء ، فقد قاموا، من جهة، بتشغيل المشردين حيثما كانوا بحاجة الى الأيدي العاملة لانجاز الأعمال الضرورية لتحركات قطعانهم نحو الشمال والشمال - الشرقي من البلاد بل وحتى في أعمال السكك والميناء في أقصى الجنوب ، كما أبدوا بعض المساعدات لغيرهم . وجعلوا ذلك ، من جهة أخرى ، موضوعاً مهماً ضمن حملتهم الدعائية لكسب الأكراد واثارتهم ضد العثمانيين . كتبت جريدة « تيگه يشتني راستي » في تعليق لها على تشغيل الأكراد ، تقول : « كم من المرات أكدنا أن الاتراك ينوون ابادة العرب والكرد والأرمن والروم (١) (٧١) ، فطى كل من له عقل أن ينقذ نفسه من هؤلاء الظالمين قبل أن يقوموا هم بالقضاء عليه » (٧٢) . وفي عدد آخر حرصت الجريدة الفقراء على الانتفاض

(٦٩) للتفصيل راجع : حسين حزني المكرياني ، موجز تاريخ امراء سوران ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، بغداد (بلا) ، الص ٨٣ ، أو الاصل الكردي : به كورتي ميژوي ميراني سوران ، ههولير ، ١٩٣٥ ، ل ١٠٢ - ١٠٣ .

(٧٠) اشارت الى ذلك « تيگه يشتني راستي » واعطت بمض الأرقام المقارنة حول الموضوع (« تيگه يشتني راستي » ، العدد ١٥ ، ١٩ شباط ١٩١٨) .

(٧١) علامة التعجب وضعت من قبلنا .

(٧٢) « تيگه يشتني راستي » ، العدد ١٤ ، ١٦ شباط ١٩١٨ .

« أسوة بفقراء النمسا وألمانيا » ودعت الجنود الأكراد للالتحاق مع أسلحتهم باخوتهم واستغلال فرصة انشغال القوات العثمانية في الجبهات الأخرى « لاثارة حركة واسعة » من أجل الانعتاق ، فمن الأفضل « أن يموت الانسان في سبيل الوطن بدلا من أن يقتله العدو جوعاً » ، ولم يفت الجريدة بالطبع تحديد مفهوم ذلك الانعتاق في عدد آخر عندما أكدت أنه « في كردستان والموصل يموت عدد كبير من الناس جوعاً » بسبب العثمانيين والألمان ، بينما « جيوب الجميع مليئة وبطونهم شبعي » في بغداد بفضل الانكليز (٧٣) .

هكذا بات الألوف وعشرات الألوف من أبناء الشعب الكردي ضحايا للحرب العالمية الأولى . وقد قدر الأستاذ محمد أمين زكي عدد هؤلاء بحوالي نصف مليون شخص ، ولا يستبعد أبداً أن يكون العدد أكبر ، فحسب المعلومات التي وردت في كتاب الدكتور م. س. لازاريف والتي استخلصها من الوثائق الدبلوماسية للعهد القيصري ، انخفض عدد أفراد الأسر المتكونة من ٢٥ - ٣٥ شخصاً ، الى ثلاثة أو أربعة اشخاص في سني الحرب في العديد من المناطق (٧٤) . فضلا عن ذلك ، فقد أدت الحرب الى تدمير الحياة الاقتصادية للمناطق الكردية من أساسها وكان أحد الأسباب الرئيسة لذلك ، الشلل الذي أصاب قوة العمل فيها . فمن جهة سيق كل القادرين على العمل الى سوح القتال أو انهم هربوا من مواقع أعمالهم والتجأوا الى الجبال ، ومن جهة أخرى وضع الجيش المشائي اليد على معظم الدواب في هذه المنطقة والتي كان قسم كبير منها يستخدم في مجال الانتاج الزراعي ، لذلك لم يبق من يعمل في الحقول الا الشيوخ والنساء والأطفال ، بل ان كثيراً ممن كانوا ما يزالون

(٧٣) « تيگه يشتني راستي » ، العدد ١٤ ، ١٦ شباط والعدد ١٥ ، ١٩ شباط والعدد ١٩ ، ٥ آذار والعدد ٢٠ ، ١١ آذار والعدد ٢٨ ، ١٣ ايار ١٩١٨ .

M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 314.

(٧٤)

يطبقون العمل الى حد ما تركوا قراهم لأن ما كان يبقى لهم من ناتج عملهم لم يكن يكفي لسد رمقهم فصاروا الى المدن الكبيرة أو القواعد العسكرية او المنشآت التي كانت تبنى لأغراض الحرب ، بحثاً عن لقمة العيش . ونتيجة لهذه العوامل كلها فقد أهملت أراض واسعة في سني الحرب ، ففي كردستان الجنوبية أهمل أكثر من ٥٠٪ من الأراضي التي كانت تزرع قبل الحرب . وهكذا هبط انتاج المحاصيل الزراعية في المناطق الكردية هبوطاً تاماً . أما التزر اليسير من المحاصيل والذي كانت تنتجه البقية الباقية من الأيدي العاملة بصعوبة بالغة ومشقات لا تتصور ، فقد كان محرماً على المواطن العادي مادام هناك الجيش العثماني الذي لم يكن يتردد في نهبه أو كان يفرض على أصحابه بيعه له مقابل أسعار بخسة ويدفع لهم في الغالب نقوداً لا رصيد لها^(٧٥) . وكان وضع المواشي أكثر سوءاً فقد هلكت أو استولى عليها الجندرمة والجنود ، حتى ان القبائل الكردية من المناطق الشمالية والتي التجأت ببواشيتها الى مراعي منطقة أربيل والموصل ، لم تتحمل مواشيتها الظروف المناخية الجديدة ، فنفق الكثير منها^(٧٦) . وتضررت غابات مناطق عديدة من كردستان من جراء تصرفات

(٧٥) اضطرت بعض الدول ، تحت وطأة الوضع الاقتصادي المرهق ، الى اصدار الأوراق المالية دونما رصيد مما أدى الى انخفاض اسعار عملتها بدرجة كبيرة . فقد انخفض سعر الأوراق المالية العثمانية بالقياس الى العملة الذهبية بمقدار خمس مرات حتى العام ١٩١٧ .

(٧٦) راجع :

((League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq)) , Geneva, 1924, P. 42.

لا تتوفر احصاءات كافية لتحديد خسائر المناطق الكردية بشكل دقيق، ولكن يمكن تكوين فكرة واضحة عن الموضوع من خلال اللقاء نظرة على خسائر تركيا نفسها . فاذا كانت الثروة الحيوانية في تركيا بلغت في العام ١٩١٣ ، وبالرغم من جميع النكسات التي أصابت البلاد قبيل الحرب ، حوالي ٤٠ مليون رأس ، فانها انخفضت في نهاية الحرب الى ما لا يزيد عن

أفراد الجيش الذين لم يترددوا في قطع أشجارها لأغراض الطبخ والتدفئة بشكل خاص ، ولم يكن أمام هؤلاء البؤساء مخرج آخر في واقع الأمر في ظروفهم الصعبة للغاية تلك (٧٧) .

أدت العوامل المذكورة مجتمعة الى أن يعم المناطق الكردية قحط شديد شمل كل مدينة وقرية ومنزل ، واضطر الناس للاقتيات بأعشاب البراري . وكما يروي الأستاذ رفيع حلمي ، وهو شاهد عيان ، فإنه « حتى الخبز اليابس والباقلاء المسلوقة باتا نادرين كالدواء ، ولم يكن يحصل عليهما الا المحظوظون ،

١٩ مليون رأس فقط . ومما زاد آثار هذا النقص الكبير أن دواب العمل (الثيران والجواميس) هي التي قلت أكثر من غيرها ، بحيث انخفض عددها من حوالي ثلاثة ملايين في العام ١٩١٣ الى حوالي ٢٨٠ ألف رأس فقط في نهاية الحرب .

أما فيما يخص الأرض الزراعية فإنها تقلصت على صعيد الإمبراطورية (بدون البلدان العربية) من ٦٤ مليون دونم في العام ١٩١٣ - ١٩١٤ الى ٢٥ مليوناً في العام ١٩١٦ ، وبصعوبة بالغة أصبح بالإمكان رفع هذا الرقم الى ٣٠ مليوناً في العام ١٩١٧ . فكان من الطبيعي بالتالي أن ينخفض إنتاج التبغ مثلاً من ٤٩ ألف طن الى ١٨٥ ألف طن ، وإنتاج القطن من ٢٤ ألف طن الى ألفي طن فقط ، كما تقلص إنتاج الفواكه بالنسبة نفسها أو أكثر (للتفصيل راجع : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 69 — 70)

(٧٧) لا تتوفر احصاءات عن الخسائر التي أصابت غابات كردستان ، ولكن الجنود لجأوا الى العملية نفسها في مناطق أخرى كثيرة مما أدى الى تدمير غابات وبساتين واسعة ويمكن قياس ما جرى في كردستان عليها للحصول على صورة مقاربة . ففي سوريا مثلاً تم حتى نهاية الحرب قطع أشجار حوالي ٦٠٪ من بساتين الزيتون فيها . لم يكن أمام الجنود العثمانيين مخرج آخر في ظروفهم القاسية تلك ، كما ذكرنا ، فإن الواحد منهم كان يتسلم في جبهة العراق مثلاً ما لا يزيد عن ٣٥ فراماً من الخبز في اليوم ، ولم يكن في الامكان كذلك اعطاء أكثر من كيلوين ونصف الكيلو من العلف للدابة الواحدة في اليوم (للتفصيل راجع :

G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 263 — 264) .

بل حتى ان ذلك أيضا كان أمراً بعيد المنال » و « لم يمد بوسع الدوائر البلدية دفن الموتى » وقلة من النسوة كن يستطعن أن يعشن عيشة ضنكة بعض الوقت وذلك « عن طريق الاتجار بأجسادهن » (٧٨) .

وقد حاولت فئات كردية معينة استغلال ظروف الناس القاسية للآثراء على حسابهم ، فحقق بعض رؤساء العشائر والتجار الأكراد، مثل سواهم، مكاسب مادية ملموسة في سنوات الحرب . كما أن السلطة العثمانية نفسها اتبعت سياسة كان من شأنها فسح المجال أمام رؤساء العشائر وكبار الملاكين لتوسيع امكانياتهم^(٧٩) ، ولئن ظلت آثار اجراءات السلطة في هذا المجال محدودة بالنسبة لكردستان ، فان عاملا آخر لعب دوره في اثناء عدد من المتنفذين الأكراد . فقد حاولت جميع الجهات المتنازعة كسب ود هؤلاء ولم تبخل أي منها في صرف الأموال من أجل تحقيق ذلك ، حتى ان هذا الأمر تحول الى عامل فعال جديد لتعميق التناقضات القبلية في كردستان . فعلى سبيل المثال احتدم النزاع في العام ١٩١٧ بين العشائر الكردية الايرانية الموالية للانكليز وتلك التي كانت تؤيد الألمان والعثمانيين ، فقامت عشيرة كلهور وعشائر غيرها بالاعتداء على عشائر كردية أخرى منها عشيرة سنجاوي وذلك بتحريض من الانكليز الذين تمكنوا من شراء ذمم رؤساء العشائر المعتدية^(٨٠) . وحققت بعض التجار

(٧٨) رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، الص ٣٠ - ٣١ .
(٧٩) منح الاتحاديون كبار الملاكين بعض الامتيازات الجديدة في سنوات الحرب (للتفصيل راجع :)

Новичев А.Д. , Крестьянство Турции в новейшее время, Москва, 1959, стр.13.

١. د. نوفيچيف ، فلاحو تركيا في العصر الحاضر، موسكو ، ١٩٥٩ ،
الص ١٣ .

Kurd — Oghlu, Op. Cit., P. 110.

(٨٠) للتفصيل راجع :

الأكراد وبأساليب مختلفة مكاسب مادية في سنوات الحرب ظلت محدودة بالمقارنة مع ما حققه غيرهم في معظم المناطق الأخرى وذلك بحكم انخفاض مستوى المعيشة في كردستان أكثر من غيرها . وعلى أي حال فقد أسهمت هذه الظروف في تعميق التناقضات الاجتماعية بشكل أو بآخر في المناطق الكردية . ومن الطرف أن نذكر أن جريدة « تيگهيشتنى راستى » اعترفت بهذه الحقيقة بكل صراحة فرأت من الواجب التوجه الى الفقراء لحثهم على الاتفاض ضد الاتحاديين حيث « ان الاغنياء بلغوا مآربهم » ولذا فانهم « يحبون أرواحهم أكثر من الشعب الكردي ، بل أكثر من الدنيا بأسرها »^(٨١).

ولم يكن دور السياسة الضريبية للدولة في تردي الوضع الاقتصادي للفئات الاجتماعية الكردية الدنيا ، شأنها في ذلك شأن الفئات الشبيهة لها في كل الأمبراطورية العثمانية ، دورا ثانويا . فبالرغم من صعوبة الظروف المعاشية للناس ، وبالرغم من تدمير الناس أصلا من الضرائب القائمة ، لجأ الاتحاديون في سنوات الحرب الى وضع ضرائب جديدة طارئة والى زيادة القديمة منها ، فضريبة الأغنام مثلا زادت بمقدار أربع مرات^(٨٢) وكان هذا بحد ذاته كافيا ليدفع العديد من أصحاب الحيوانات الأكراد للانتقال الى المناطق التي لم تكن تخضع لسيطرة القوات العثمانية .

ومما كان يزيد وطأة هذه الأوضاع الأسلوب الفظ الذي غالبا ماكان المحتلون يلجأون اليه في تعاملهم مع بسطاء الناس ومع أولئك الذين كانوا يرفضون التعاون معهم . ففي كثير من المناطق الكردية الايرانية أطلق الجندرمة العثمانيون أيديهم في حياة الناس دونما رحمة أو شفقة . وعلى سبيل المثال

(٨١) « تيگهيشتنى راستى » ، العدد ١٥ ، ١٩ شباط ١٩١٨ .

G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 264 — 265.

(٨٢) راجع :

شقوا في إحدى المناطق الكردية اثنتين من الرؤساء هما محمد حسين خان نسقزي وابنه سيف الدين خان وذلك بعد اعلان الحرب مباشرة وتركوا جثتيهما معلقتين عدة أيام اربعاً للناس في تلك المناطق . ولم يبق الروس بأقل مما قام به الشمانيون . ان كلمة « مسقوف »^(٨٣) انما هي من مخلفات تلك الأيام المظلمة^(٨٤) .

وقبل أن نأتي على نهاية هذا الموضوع من الضروري أن نشير كذلك الى انه كان للكرد أيضاً نصيبهم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بالجيش العثماني في سنوات الحرب من جراء أحداثها المؤلمة ومعاركها الطاحنة ، فبالرغم من أن قسماً كبيراً من الجنود الأكراد تركوا صفوف الجيش ، ولاسيما عندما أوشك أن تنتهي الحرب ، الا أنهم تمتعوا مع ذلك بحق المساواة في تقديم الضحايا ، وخاصة لأن القطعات التي كان الجنود الأكراد يؤلفون نسبة كبيرة فيها خاضت معارك حاسمة في بداية الحرب ، وأن العديد من العشائر الكردية اشتركت في الكثير من تلك المعارك كما جرى في موقعة ساري قاميش التي تطرقنا الى تفاصيلها في الفصل السابق . أما خسائر القوات العثمانية في الحرب فتقدر

(٨٣) الكلمة مأخوذة من (مسكوفي) اي المنسوب الى موسكو . ماتزال المجازر الكردية في العديد من مناطق كردستان يتذكرن كيف ان الروس ماكانوا يسمحون بأكثر من سكينه واحده لكل سبع اسر . وقد سجل ارنولد ولسن في الجزء الاول من كتابه ان اي منطقة دخلها الجيش الروسي بات سكانها حاقدين عليه (راجع :

A. T. Wilson, Loyalties Mesopotamia, P. 162).

(٨٤) يذكر الأستاذ حسين حزني المكرياني أن الجيش الروسي لم يبق الا على منازل قليلة في مدينة رواندوز ، وتلك هي المنازل التي كان يحتاج اليها لاغراضه الخاصة ، واحرق ماعداها دفعة واحدة (راجع : حسين حزني المكرياني ، المصدر السابق ، الص ٨٣) . أغلب الظن أن ما يذكره المؤلف انما كان من عمل المتطوعين الارمن الذين رافقوا القطعات الروسية .

بحوالي ٦٠٠ ألف شخص بما في ذلك حوالي ٤٠٠ ألف من القتلى أو من الذين ماتوا متأثرين بجروحهم ، وحوالي ١٠٠ ألف من الجرحى و ٨٠ ألف من الأسرى والمفقودين^(٨٥) .

يعطي كل ما سبق امكانية القول ان سنوات الحرب العالمية الأولى الأربع لم تجلب للجماهير الكردية وبلادها بل وحتى لعدد غير قليل من الملاكين والتجار الأكراد سوى الدمار والتشرد والأمراض والهلاك . ولا نجانب الحقيقة اذا ما أكدنا أن أيا من شعوب الشرقين الأدنى والأوسط لم يمان من جراء الحرب ما عاناه الأرمن والآثوريون والكرد من بؤس وشقاء وتعاسة . والأنكى من ذلك أن المسؤولين العثمانيين كانوا يسعون بكل وسيلة لأن يمسحوا أيديهم المملوطة بدماء الأرمن بأيدي الكرد المشدودة الوثاق وهو ما تحللت عنه في الفصل التالي بشيء من التفصيل .



(٨٥) راجع : A. Emin, Op. Cit., P. 252. بمض المصادر تعطي ارقاما أقل من تلك (راجع مثلا : A. D. Novichev, Turkey..., P. 130).

الفصل الخامس

الكرد والدم الأرمني المراق

يؤلف الأرمن واحدا من أقدم شعوب منطقة الشرق الأوسط . وتقع بلاد الأرمن ، أرمينيا أو أرمستان ، الى الشمال من منابع الفرات عند بحيرة وان ، أي أنها تحادد كردستان . كان للشعب الأرمني ، منذ الأزمنة السحيقة في القدم ، دولته المستقلة وحضارته المتقدمة^(١) . وقد انتشر الدين المسيحي بين الأرمن منذ القرن الرابع . واللغة الأرمنية واحدة من اللغات الهندو - أوروبية المستقلة القديمة .

يتشابه تاريخ الأرمن والكرد والأحداث التي مرت على الشعبين من عدة وجوه . فلم يستمر استقلال الشعب الأرمني أيضا أمدا طويلا . ومنذ أن خسر سيادته على أرض بلاده وقع هو الآخر في قبضة الأجانب وغدا وطنه جزءا من مملكة الرومان . كما أنه وقع كذلك في أيدي الإيرانيين مرات عديدة . وفي العام ٣٨٧ ب . م قسمت بلاده بين الدولتين الساسانية الإيرانية والبيزنطية . وفي بداية القرن الثامن صارت أرمينيا جزءا من الإمبراطورية

(١) تأسست اول دولة أرمنية مستقلة في القرن السادس ق . م . كان للأرمن في العصور القديمة والوسطى حضارتهم الزاهرة، ولهذه الحضارة مكانة بارزة في تاريخ الشرق الاوسط .

العربية - الاسلامية . وفي منتصف القرن الحادي عشر وقعت من جديد في قبضة البيزنطيين ثم السلاجقة الذين تسببوا للشعب الأرمني في محن كثيرة . وحمل اليه التتر والمغول في أواسط القرن الثالث عشر قدرا غير يسير من الدمار والخراب والمصائب . وفي الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر كانت أرمينيا احدي أهم ميادين التوتر والحروب العدوانية بين الدولتين العثمانية والصفوية ، مما جلب للأرمن مزيدا من التخلف . وقد شرد الشاه عباس الصفوي وحده عشرات الألوف من الأرمن من أرض آبائهم وأجدادهم^(٢) . وفي العام ١٦٣٩ قسمت أرمينيا نهائيا ، وألحق القسم الشرقي منها بالدولة الصفوية ، كما أعطي قسمها الغربي للدولة العثمانية^(٣) . ونتيجة لهزيمة الايرانيين في حربهم مع الروس في الأعوام (١٨٢٦ - ١٨٢٨) التي أسفرت عن عقد معاهدة (ترمان چاي) بين الطرفين في العام ١٨٢٨ ، أصبحت أرمينيا الشرقية جزءا من روسيا^(٤) .

تعود العلاقات بين الأرمن والكرد ، بوصفهما شعبين يعيشان في وطنين متجاورين ، الى عهد قديم ، عهد الميديين . الا أن تلك العلاقات كانت منذ الفتح الاسلامي ، وبصورة خاصة منذ أن صارت أرمينيا ، شأنها شأن كردستان ، جزءا من ايران والدولة العثمانية - عرضة لتغيرات ايجابية أو سلبية مستمرة .

(٢) شرد هذا الشاه نفسه ، العديد من القبائل الكردية عن بلادها (للتفصيل راجع : محمد امين زكي ، المصدر السابق ، الص ١٥) .

(٣) قسمت كردستان قبل ذلك بحوالي قرن ، اي في العام ١٥١٤ ، بين ايران الصفوية والدولة العثمانية .

(٤) في تلك السنة نفسها انضم جزء من الشعب الكردي الى روسيا ، ومعظم اكراد الاتحاد السوفياتي اليوم هم أحفاد هؤلاء .

فقد كانت هناك عوامل تبعد الشعبين ، أو بتعبير أدق بعض الطبقات من الشعبين ، عن بعضهما . كما كانت هناك عوامل أخرى تقرب بينهما . كان الدين أحد العوامل المفرقة أو الفاصلة بينهما على الأقل . إلا أن اختلاف الدين لم يصبح ، و الى فترة طويلة ، وفي الحقيقة حتى ظهور عوامل أخرى مساعدة ، سببا لظهور الخلافات والتناقضات بين الأرمن والكرد ، أو بين الكرد والشعوب المسيحية الأخرى في المنطقة^(٥) .

كان هناك سبب آخر يفصل الشعبين عن بعضهما ، ألا وهو تقدم الأرمن بالقياس الى الكرد . لقد مر هذا الشعب بمرحلة العبودية منذ زمن بعيد وأقام أسس حضارته واستقلاله في هذه المرحلة ، واجتاز عهد الاقطاع قبل الكرد بمدة طويلة وسنحت له الفرصة في القرون الوسطى أكثر من مرة للتمتع بالاستقلال ، وكان له أدبه المتطور وأبجديته المتميزة^(٦) . ووقع جزء من وطنه تحت سيطرة دولة أوروبية متقدمة ، بدلا من أن يكون جزءا من بلد آسيوي متخلف . ولأسباب عديدة سبقت أرمينيا كردستان في الاندماج بالسوق الرأسمالية ، ولذلك فقد ظهرت العلاقات الجديدة في المجتمع الأرمني قبلها في المجتمع الكردي وتسببت له في حدوث تغيرات كبرى داخله .

(٥) أكد العديد من الكتاب الأجانب الذين تحدثوا عن الكرد ، بصورة خاصة ، أنهم - أي الكرد - قوم بعيدون عن التعصب ، مما أدى ، في رأيهم ، الى أن يستطيع الأتوريون مئات السنين الحفاظ على دينهم وتقاليدهم في قلب كردستان .

(٦) ظل الأرمن يستعملون أبجديتهم الخاصة حتى بعد أن تعلموا اللغة التركية وأخذوا يستخدمونها للكتابة ، فكانوا يكتبونها بالحروف الأرمنية . ويذكر الدكتور أستارچيان أنه بصدد أول جريدة أرمنية في العام ١٧٩٤ أصبح الأرمن عاشر شعب له صحافته . وبذلك سبقوا حتى الأمريكان والأتراك (راجع : الدكتور ك. أستارچيان ، تأريخ الثقافة والادب الأرمني ، الموصل ، ١٩٥٤ ، الص ١٣١) .

وبسبب من توطن الأرمن وسد أبواب الزراعة بوجههم الى حد ما منذ زمن بعيد^(٧) ، فان الصناعات الحرفية المحلية ، شأنها شأن التجارة ، في كردستان وقعت في أيدي الحرفيين الأرمن المعروفين بمهارتهم وخبراتهم الواسعة^(٨) .

وكان عدد كبير من الاقطاعيين وملاك الأراضي والفلاحين الكرد يلجأون للحصول على أدواتهم الزراعية ووسائل اتاجهم الأخرى ولشراء البضائع الضرورية لهم الى أولئك الحرفيين . وعندما اندمجت كردستان بالسوق الرأسمالية وصارت النقود الواسطة الرئيسة لتنظيم العلاقات أصبح الأرمن الأثرياء أكبر مصدر للاستدانة والاستلاف . فكان الاقطاعيون والكادحون الفقراء في كردستان يتوجهون سوية ، عندما كان المال يعوزهم ، الى أولئك . وبديهي أنه لا يحدث قط أن يجب مدين دائننا من هذا النوع . كما لم يكن بوسع الحرفي الكردي الذي لم يستطع أن ينافس في عمله منتجات الحرفيين الأرمن، أن ينظر اليهم بعين المودة . وكثيرا ما كان يحدث أن ينهب الاقطاعيون الأكراد بطرائق لصوصية التجار الأرمن ويسلبوهم بضائعهم خشية أن يقعوا تحت أعباء ديونهم .

وفضلا عن ذلك فان الحركة التحررية العادلة للشعب الأرمني أصبحت

(٧) يتحدث المؤلف ، فيما بعد ، عن أسباب انسداد ابواب الزراعة بوجه الأرمن - المترجم .

(٨) في مدينة كيواس ، مثلا ، حيث كان الأرمن يشكلون قبل مدابهم ٣٥٪ من السكان ، كان ١٢٥ تاجرا كبيرا مستوردا من مجموع ١٦٦ تاجرا [أي حوالي ٧٥٪ منهم] من الأرمن . كما كان ٦٨٠٠ تاجر صغير من مجموع ٩٨٠٠ تاجر في هذه المدينة من الأرمن أيضا . وكان ١٢٠ محلا حرفيا من مجموع محلاتها الحرفية البالغة ١٥٣ محلا ، يعود لحرفيين أرمن كذلك . أما في مدينة وان ، فكانت النسبة أكثر (راجع :

M. S. Lazarev, Kurdistan... , P. 36).

لأسباب عديدة ، ولفترة من الزمن ، سببا لأن يتوجس الأكراد بعض الخوف من نتائجها المتوقعة حسب مخططات الجناح المتطرف في الحركة المذكورة ، كما نتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد .

الا أنه كان هناك ، بالمقابل ، بعض العوامل الفعالة التي تقرب الكرد والأرمن عن بعضهم ، ولاسيما الجماهير الشعبية منهم . كان العامل الأكبر والأهم في هذا المجال وحدة الجهة التي تضطهد الشعبين معا وتحتل بلادهما ، فقد كان الكرد والأرمن يثنون سوية وبصورة متشابهة الى حد بعيد ، تحت وطأة حكم الشاهات الصفويين^(٩) من جهة والسلطين العثمانيين من جهة أخرى . فالشاه عباس نفسه الذي حرم ألوف الأرمن من وطنهم ، هو نفسه الذي فعل بالكرد ما هو أدهى وأمر^(١٠) . والسلطين الذين سدوا كل أبواب الرقي والتقدم بوجه الكرد هم أنفسهم الذين كانوا يوقعون عجلة التقدم بالنسبة للأرمن كذلك . ولاشك في أن هذا الوضع كان مما يوحد مشاعر الكرد والأرمن ، وان كان قصر النظر قد حال في بادئ الأمر دون أن يستوعب زعماء الشعبين أهمية تلكم الظروف التاريخية . غير أن هذه الحقيقة أخذت بعد حين تلعب دورها بصورة تدريجية في تقريب الشعبين عن بعضهما كما نتحدث عن ذلك أيضا فيما بعد .

كان هناك عامل مهم آخر في هذا المجال يترك أثره ويقرب الجماهير الشعبية في أرمينيا وكردستان من بعضها . فقد كان الفلاحون وسائر الكادحين الزراعيين من الشعبين يدفعون الضرائب الى خزانة واحدة ، وكانت وطأة هذه الضرائب تشتد عليهم يوما بعد آخر . وخير تعبير عن هذه الحقيقة

(٩) قبل ان تصبح أرمينيا الشرقية جزءا من روسيا .

(١٠) راجع الهامش ٢ .

ما ورد في احدى الوثائق التاريخية التي تعود الى ذلك العهد . ففي رسالة سرية أرسلها أحد زعماء الأرمن الدينيين من موش في الثالث عشر من تشرين الأول من العام ١٩١٢ الى الحبر الأعظم للأرمن الكاثوليك ، تحدث ، ضمن ما تحدث عنه ، عن أن الكادحين الأرمن والكرد كانوا يمانون معا من وطأة حياة الضرائب ، فيقول في رسالته انه « فضلا عن كل ما نحن فيه من بؤس وشقاء ، فان قضية المظالم التي يرتكبها بحقنا الملتزمون قد أرهقتنا الى حد كبير . . انهم ينهبون الفلاحين الأرمن والكرد معا بحجة (ضريبة العشر)^(١١) . فعندما يأتون الى الحقول لمدة أسابيع ، يأخذون الحنطة المدروسة لهم دون أن يكيلوها ويطالبون بضرائب أكثر حتى يأخذوا حصتهم »^(١٢) . وهذا يعني أن الضريبة المجبأة كانت تذهب ، عمليا ، الى ثلاث جهات : خزينة الدولة وجيوب الملتزمين الكبار وجامعي الضريبة الصغار الذين كانوا يلتجئون الى

(١١) كان اطلاق اسم (ضريبة العشر) على هذه الضريبة مجرد تسمية . ففي حين كان المقدار الرسمي للضريبة ١٢ر٦٣٪ ، كانت في الواقع أكثر من ذلك ، وكان قسم كبير من أولئك الملتزمين الذين يجمعون العشر في كردستان وأرمينيا من الأكراد .

(١٢) كانت هذه الرسالة رسالة سرية وقد كتبت باللغة الأرمنية ، وكانت مكرسة للحديث عن حياة الأرمن . ومع ذلك فلم يكن بوسع كاتبها التمييز بين الفلاحين الأرمن والكرد (بشأن هذه الرسالة راجع :

"Геноцид Армян в Османской Империи", (Сборник документов и материалов под редакцией проф. М. Г.Нарсисяна), Ереван, 1966, стр.209-210.

« اباداة الارمن في الامبراطورية العثمانية . مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت اشراف البروفيسور م . ك . نيرسيسيان » ، يريفان ، ١٩٦٦ ، الص ٢٠٩ - ٢١٠) (في الهوامش القادمة :

The Genocide of the Armenians ...) .

أشع الأساليب وأفظعها لجمع أكبر مقدار يزيد عن حصة الدولة المقررة .
وهؤلاء الجباة كانوا اما من الشقاة أو يحيطون أنفسهم بعددٍ منهم .

وفي القرون الأخيرة بلغ الأمر حد أن الاقطاعي الذي كان يستغل
العلاج الكردي كان هو الذي يضطهد الفلاح الأرمني أيضا . فقد صارت
الظروف موآتية بالنسبة للاقطاعيين الأكراد للاستحواذ ، بالتدريج ، على
أراضي الفلاحين وحتى المتنفذين من الأرمن ، بحيث ان بعض المصادر
الأرمنية تؤكد أن الآغوات الأكراد كانوا يشكلون الأكثرية من بين ملاكي
الأرض في أرمينيا الغربية كلها التي لم يبق فيها - كما تؤكد المصادر نفسها -
ملاكون أرمن متنفذون^(١٣) . وفي ظل الحكم العثماني ، وبصورة خاصة
بسبب من السياسة المتخلفة التي كان ينتهجها السلطان عبدالحميد الثاني ،
كانت قبضة الاقطاعيين الأكراد على القرى الأرمنية تشتد وتتقوى . فكانوا
يستوفون منهم الضرائب ، وكانوا يسمون هذه الضرائب ، بكل بساطة ،
« ضريبة الكفر ا » ، وكان معظم الفلاحين الأرمن في أرمينيا الغربية مضطرين
ليدفعوا ، فضلا عن الضرائب الحكومية الكثيرة ، اتاوات الى الاقطاعيين

(١٣) راجع على سبيل المثال :

Амбарян А.С., **Аграрные отношения в Западной
Армении (1856-1914)**, авт. док. дисс., **Ереван,**
1965, стр.15-16.

١. س. امباريان ، العلاقات الزراعية في أرمينيا الغربية (١٨٥٦ -
١٩١٤) ، ملخص رسالة لنيل دكتوراه العلوم ، يريفان ، ١٩٥٦ ، الص
١٥ - ١٦ . من الضروري ان نلفت الأنظار الى أن المؤلف يدخل مناطق
كردية كثيرة مثل خربوط ودياربكر وهكاري ضمن أرمينيا الغربية ، الا
أن ذلك لايفير من حقيقة تفضل المتنفذين الكرد في المناطق الأرمنية
نفسها .

الأكراد ، بل بلغ الأمر حد أن القساوسة وسائر رجال الدين كانوا مضطرين كذلك لدفع هذه الاتاوات . لم تقف مظالم الآغوات والاقطاعيين الكرد تجاه الفلاحين الأرمن عند هذا الحد ، فقد كان على أولئك الفلاحين البائسين أن ينفموا ، علاوة على « ضريبة الكفر » ، ضروبا أخرى من الضرائب والاتاوات ، بل ان بعض المصادر تروي كيف كانت العروس الأرمنية في بعض المناطق ، تؤخذ في ليلة الدخول الى الاقطاعي الكردي أولا^(١٤) .

والواقع أن المظالم التي كان ينزلها الآغوات الأكراد بالفلاحين الأرمن، كانت أكثر بكثير مما كان يتعرض له الفلاح الكردي المسلم ، مما غدا عبئا ثقيلًا على عاتق الفلاحين الأرمن . كانت الظروف تساعد الآغوات الأكراد في هذا المجال مساعدة كبيرة ، خاصة وأن السلطان عبدالحميد كان يحرضهم جهارا ويفض الطرف عن مظالمهم بل ويقدم اليهم المساعدات النقدية والعينية للاستيلاء على أراضي الآخرين^(١٥) . وكان اختلاف الدين ، أي كون الأرمن « كفارا » ، وفر لهم التبرير المقبول في ظنهم وظر الناس البسطاء لاضطهاد الأرمن . كانت هناك عبودية حقيقية في بعض المناطق ، وكان الفلاحون الأرمن قد سجلوا كمتلكات للملاكين الأكراد ، كما كانوا يباعون ويشترون كأقنان . كتب الأكاديمي ف. مردليفسكي^(١٦) الذي طاف عدة مرات قبل الحرب

(١٤) راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question... , PP. 40, 381 ; M. S. Lazarev, Kurdistan... , P. 33.

(١٥) كان هناك اكراد متمكنون يتعاطون السلم والربا ويستولون عن هذا الطريق على أراضي الأرمن .

(١٦) لتقييمات الأكاديمي ف. ا. مردليفسكي أهميتها في كل مجال وفي هذا المجال على وجه الخصوص لا لكونه متخصصا كبيرا في الدراسات التركية وحسب ، بل ولأنه تتبع كذلك أحداث المسألة الأرمنية وراقبها عن كثب ، كما كان على اتصال مباشر بالعديد من الأرمن المنتسبين الى أوساط مختلفة .

وخلالها بالعديد من المناطق في أرمينيا وكردستان ورأى بأم عينيه الوضع السيء الذي كان يعيشه الأرمن والمظالم التي تجاوزت الحدود والتي كان الاقطاعيون الكرد ينزلونها بالفلاحين الأرمن ، كتب يقول : « كان الأرمني اندي يعيش في أراضي الكرد يباع ويشترى كالقن ٠٠٠ كان عليه أن يعمل للاقطاعي الكردي ، ولم يكن يتصور أن هناك أرضا تتوفر فيها الحرية ٠٠٠ حتى ان العبودية والخضوع باتا من الأمور المألوفة في ظره » (١٧) .

بديهي أن كل هذه المظالم والاستعباد وسلب الأراضي ونهب المحاصيل قد أولدت كرها شديدا ومشروعا في قلوب الناس في أرمينيا تجاه الاقطاع الكردي والاقطاعيين الأكراد . وكانت شرارات هذا الكره تصل أحيانا ، اذ ينفخ في ناره المحرضون ودعاة السوء ، الى العلاقات بين الشعبين الأرمني والكردي كذلك . يقول مردليشكي نفسه بهذا الصدد : « كان الحكام يطمون الاقطاعيين الأكراد أن ينظروا الى الأرمني بمثابة (بقرة طوب) ، وكانوا يتفرجون بأنفسهم على مايجري على المسرح ، من وراء حجاب . فقد كان العداء بين الأرمن والكرد في صالحهم هم . ولذلك فقد كانوا يتبعون معهم دوما - كما يؤكد مردليشكي وغيره - سياسة (فرق تسد) » (١٨) .

لاشك في أن أي تحليل علمي للعلاقات الكردية - الأرمينية في المرحلة الجديدة والتي تلتها ، يجب أن يأخذ هذين الجانبين بنظر الاعتبار ، أعني الأسباب التي كانت توحد الشعبين ، والتي كانت تفرق بينهما . ولدراسة دور الكرد في مذابح الأرمن يجب ملاحظة تلكم الأسباب مجتمعة قبل أي شيء آخر . فهناك أسباب ، كما سنذكر ذلك فيما بعد بالتفصيل ، أدت الى

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 127.

(١٧) راجع :

Ibid, PP. 126 — 127.

(١٨)

أن يشترك الأكراد الى حد غير يسير في تلك المذابح . ولدراسة هذه القضية التي بلغت في سنوات الحرب العالمية الأولى ذروتها - أهمية تاريخية كبيرة ، ان لم يكن لشيء فلان الكرد أدينوا أكثر مما يستحقون وعن أكثر مما ارتكبوا في الواقع . وقد تسببت تلك المذابح في الحقيقة ، والى حد كبير ، في تشويه سمعة الكرد في أوروبا . ان معظم الكتاب الغربيين الذين تحدثوا عن تطشش الكرد « لسفك الدماء » ورغبتهم في « السلب والنهب » و « ميولهم الفريزية للاعتداء » ، انما تأثروا ، على الأغلب ، بوقائع تلك الأحداث ، ذلك لأنها لم توضع حتى الآن في اطارها الحقيقي السليم^(١٩) . ومن هنا فانا نتحدث عنها في هذا المجال لعلنا نجلو الغطاء عن المسألة بقدر ما في وسعنا .



أخذت أرمينيا الشرقية ، منذ أن صارت جزءا من روسيا ، تتطور بوتائر أسرع من أرمينيا الغربية بل ومن أجزاء الدولة العثمانية الأخرى أيضا . وقد كان ذلك أمرا طبيعيا ، ذلك لأن مجال التطور في ظل دولة أوروبية أكثر بكثير منه في ظل دولة آسيوية متخلفة . لقد اتهمت الحياة الثقافية في هذا الجزء من أرمينيا طريق الازدهار أسرع بكثير مما في أرمينيا الغربية^(٢٠) واندمج بالسوق الرأسمالية العالمية قبل الجزء الغربي بوقت غير

(١٩) تستثنى من ذلك بعض الدراسات السوفيتية التي حاول اصحابها عرض المسألة في اطارها الموضوعي وحالفهم النجاح الى حد كبير لتوفر وثائق مختلفة ومهمة بين ايديهم تتعلق بدقائق الأحداث التي رافقت مذابح الأرمن في جميع مراحلها .

(٢٠) وضعت أسس الكثير من دور الأوبرا والمتاحف والمكتبات وغيرها من المؤسسات الثقافية في أرمينيا و آذربايجان السوفياتية قبل انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية .

قبل ونشأت العلاقات الاتاجية الجديدة والطبقات والفئات الجديدة داخل
 معقدة الاجتماعية ولاسيما وأن الزراعة والصناعة أخذتا تنموان في هذا الجزء
 وتزدهران بصورة أسرع . وعلى سبيل المثال فخلال السنوات (١٨٨٠ -
 ١٨٩٠) تضاعف انتاج النحاس في أرمينيا الشرقية خمسة أضعاف ونصفا ،
 وتضاعف في الستة عشر عاما التي تلت هذه الفترة ست مرات أخرى ، وازداد
 انتاج الكونياك في فترة وجيزة حوالي أربعين ضعفا وأخذ يغزو ، الى جانب
 آخر الأرمني ، العديد من الأسواق الأجنبية ، وتطورت صناعة الأقمشة
 نوطية بسرعة^(٢١) . أما من الناحية الادارية فقد تحسنت حياة الأرمن بعد
 تأسيس حاكمية يريفان ، وتعزز دورهم أكثر بكثير من ذي قبل .

وهكذا فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر عامل محرك
 آخر مهم فضلا عن الدين ، يدفع الأرمن الى التطلع نحو روسيا والنظر بحقد
 أشد من ذي قبل الى سياسة السلاطين العثمانيين . فلم يكن قد مضى أكثر
 من سنة على انضمام أرمينيا الشرقية الى روسيا عندما عبر حوالي ٩٠ ألف
 أرمني حدود الدولة العثمانية الى الجانب الآخر . وكان عدد كبير من رؤساء
 الأرمن يطالبون قياصرة الروس منذ زمن بعيد بمد يد المساعدة بمختلف
 أشكالها الى الأرمن في صراعهم ضد العثمانيين . وخلال الحروب التي كانت
 تقع بين روسيا والدولة العثمانية ، كان الأرمن يفتقون دوما الى جانب الجيوش
 الروسية^(٢٢) ، فإثناء حرب العام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ مثلا انضم أرامنة كثيرون

(٢١) واضح ان هذا لا يعني بأي حال ان وضع الأرمن في ظل حكم القياصرة
 الروس كان وضعاً جيداً . الا انه كان أحسن بكثير ، على كل حال ،
 من وضعهم داخل الدولة العثمانية . وهذه الأدلة انما نوردتها لإيضاح
 تلك الحقيقة التي لعبت دورها في الاعداد لمذابح الأرمن .

(٢٢) كثيرا ما انضمت القبائل الكردية المسلحة كذلك الى جانب الجيش
 الروسي وتودد العديد من الزعماء الكرد الى روسيا وطلبوا منها

بأسلحتهم الى الجيش الروسي وقدموا له مساعدات مفيدة كثيرة .

ولم تقصر روسيا أيضا من جانبها ، فقد كانت تنظر بعيون طامعة الى القسم الآخر من أرمينيا ، وكانت تستخدم كل وسيلة لجلب عطف السكان هناك الى جانبها . وفي حرب العامين ١٨٢٨ - ١٨٢٩ بين الأمبراطورية العثمانية وروسيا احتل جيش الأخيرة قسما كبيرا من أراضي أرمينيا الغربية بما فيها قارص وأرضروم ، ولكنه اضطر الى إعادة هذه الأراضي المحتلة الى الدولة العثمانية وفقا لمعاهدة أدريانوبول للعام ١٨٢٩ . ولم تمض فترة طويلة حتى سنحت فرصة جديدة لروسيا ، فبعد حرب العامين ١٨٧٧ - ١٨٧٨ أعطيت قارص ومناطق أخرى من أرمينيا الغربية ، وكان قد تقرر تخصيص أرمينيا الغربية كلها لها وفق معاهدة «سايكس - بيكو» السرية للعام ١٩١٦ .

أثار ميل الأرمن الى روسيا ومساغي الأخيرة لاحتلال أرمينيا الغربية حقد الحكام العثمانيين ضد الأرمن الى أقصى حد . وبدلا من أن يفعلوا شيئا يجلب لهم عطف الأرمن بهدف وضع حد لتغلغل النفوذ الروسي على أقل تقدير ، فانهم كانوا يبحثون عن فرصة يفتنونها للقضاء عليهم نهائيا . وقد أدى نشوء الحركة التحررية الأرمنية وتطورها الى تعمق كره العثمانيين للأرمن ، مما انعكس أكثر فأكثر في ترسخ جذور سياستهم المتخلفة ازاءهم والتي تحولت الى عنصر مهم في نمو الحركة الأرمنية .

تضافرت في جانبي أرمينيا عوامل ومبررات موضوعية لميلاد الحركة الوطنية التحررية ونموها وانتشار أفكارها بين أوساط الشعب بقوة . ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت هذه الحركة قطعت شوطا بعيدا في

المساعدة ضد الدولة العثمانية ، وقد أعطينا بعض الشواهد على ذلك في اطار بحثنا ضمن الفصول السابقة .

الجانب الغربي من أرمينيا بحيث عبرت عن نفسها في انتفاضات مسلحة . فقد انتفض الفلاحون في العام ١٨٦٢ في منطقة زيتون ضد مظالم العثمانيين . وفي العامين ١٨٧٨ و ١٨٨٤ انتفض سكان هذه المنطقة مرتين آخرين . كما انتفض سكان وان الأرمن في العام ١٨٨٦ . وقد قمع العثمانيون هذه الانتفاضات وسائر انتفاضات الأرمن ، كما كانوا يقمعون انتفاضات الشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرتهم ، بكل قسوة وشدة .

كان من الأسباب التي تسهل مهمة قمع هذه الانتفاضات ضعفها التنظيمي . وهذا ما حدا بالمتقنين الأرمن البعيدي النظر الى أن يفكروا في أمر إقامة منظمات خاصة بهم . وقد لعب النهج الذي سلكته الشعوب الأخرى ، دوره الى حد ما في هذا المضمار . وهكذا فقد تأسس في العام ١٨٨٧ حزب «هنجاك» ويعني (الناقوس) . وبعده بثلاثة أعوام تأسس حزب «داشناق» أي (الاتحاد) . وقد لعب هذان الحزبان دورا بارزا في تأريخ أرمينيا الحديثة ، كما نتحدث عن ذلك فيما بعد .

وبالرغم من الفشل الذي آل اليه أمر انتفاضات الشعب الأرمني في تحقيق أهدافها النهائية ، الا أنها لم تكن دون جدوى . فقد أدت ، من جهة ، الى اشتداد الاحساس القومي لجماهير الشعب الأرمني . ومن جهة أخرى أخرجت المسألة الأرمنية من اطار الأمبراطورية العثمانية لتصبح قضية دولية حساسة ، خاصة وأن الدول الكبرى الطامعة في الممتلكات العثمانية عرفت كيف تستغل بدهاء مآسي الأرمن للتدخل من خلالها في شؤون الدولة العثمانية أكثر فأكثر . ومن هنا فقد غدت المسألة الأرمنية مسألة تبحث في المؤتمرات والمعاهدات الدولية . وعلى سبيل المثال فان المادة السادسة عشرة من معاهدة (سانستيفانو) المعقودة في شباط من العام ١٨٧٨ والتي وضعت حدا للحرب

الروسلة العثمانلة ، خصصآ للمسألة الأرمنلة . لقد نصآ هذه الماده ، بصورة خاصة ، على ضرورة آهسفن الشؤون الادارلة فى هذاه الجزء من الدوله العثمانلة^(٢٣) . وعندما عقد فىما بعد مؤآمر برلن فى آزبران - آموز من العام آهسه والمذى اشآرك فىه الكآسفر من الدول الأوروللة الكبرى (برطانيا وروسلا وألمانلا وفرنسا والنمسا) والدوله العثمانلة ومآلو عدد من دول البلقان وشعوبه ، قدم رئلس عموم الكنائس الأرمنلة الى برلن بقصد الاشآراك فى هذاه المؤآمر بصورة خاصة^(٢٤) . ومع أنه لم لسح لهذاه المآل الأرمنى بحضور جلسات المؤآمر ، فقد خصص البند الواحد والسآون من الاتفاللة الآى وقع عليها بعد انآهآ أعمال المؤآمر ، للمسألة الأرمنلة . وقد كان ىنبفى على الدوله العثمانلة بموجب هذاه البند أن آنفذ اصلاآات ادارلة فى أرمنلا وآعطى سكانها آرلآات أكثر لاداره شؤون منآقآهم بأهسهم وأن آقضى على الفروق بىن الأرمن والمسلملن . ومع أن معاهده برلن لم آلآ حتى العام ١٩١٢ ، الا أن بندها الواحد والسآلن كان بىن بنودها الآى لم آنفذ أبدا . وبعد معاهآآى سان سآلفانو وبرلن آآارآ الدول الكبرى مسألة الأرمن

(٢٣) عقدآ معاهده سان سآلفانو بىن روسلا المنآصرة والدوله العثمانلة المهزومه فقط وادآ الى اشآداد نفوذ الولى ولاسبملا فى منآق البلقان . ولاربب فى أن الدول الكبرى الآآرى اسآاءآ من ذلك مما جعلها آضفظ على روسلا للاشآراك فى مؤآمر برلن الذى أنفى الى عقد معاهده آدلده وضآآ بنودها آدا للمكاسب الكآسره الآى آضمآآها معاهده سان سآلفانو لروسلا . والمهم فى مجال بآآنا هو أن المسألة الأرمنلة بآآآ كموضوع مسآقل وبنفس المسآوى آقرلآا فى آاآلن المعاهآلن ، مما اعطاها بعدا آدلدا على الصمىد الدولى .

(٢٤) مآلما لم لسح لمآل الأرمن بالاشآراك فى جلسات المؤآمر ، لم لسح لمآلن آآرلن أيضا بذلك . الا أن آدوم المآل الأرمنى والاتصالآ الآى آجراها فى برلن كانت فى آد ذاتها مكسبا كبرلا بالنسبه للآضبة الأرمنلة على الصمىد الدولى .

مرات عديدة أخرى ، وكانت تبني من وراء ذلك – كما أسلفنا القول – أن تتدخل أكثر فأكثر في شؤون الدولة العثمانية ، وهو ماتحول الى عامل جديد لتشجيع الأرمن على الوقوف بوجه سياسة العثمانيين والاصرار على نيل الاستقلال واقامة العلاقات مع العديد من الجهات .

وهكذا برزت مخاطر انفصال أرمينيا الغربية عن الدولة العثمانية وخروجها من طوقها . كان ذلك يثير الحكام العثمانيين الى حد بعيد ، ولاسيما وأن الشعوب المسيحية الأخرى التي كانت تحت سيطرتهم من قبل ، قد استطاعت بنضالها هي وبمساندة الدول الكبرى أن تنتزع حريتها من قبضة حكمهم المتخلف . غير أن الحكام العثمانيين لم يتفظوا بعبء التاريخ ولم يكونوا مستعدين في الواقع للاتعاظ بها . ولذلك فانهم بدلا من أن يحسنوا أحوال الأرمن المعيشية ويقضوا على الظلم والاضطهاد القومي والديني الذي كانوا يثنون تحت وطأته ، اتبعوا ازاءهم سياسة أشد وأقسى من ذي قبل . وقد تجلت هذه السياسة بوضوح ابان حكم السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) وبشكل خاص منذ أن اتخذ من فكرة (الجامعة الإسلامية) – حسب مفهومه لها – أساسا لسياسته . ولهذا السبب بالذات ، فضلا عن جملة أسباب أخرى ، كان يحاول احاطة الأرمن القاطنين على الحدود الروسية بحزام « اسلامي » (٢٥) .

ولم يمض زمن طويل حتى وجدت هذه السياسة ترجمتها الحقيقية في

(٢٥) بذلت جهود في عهد السلطان عبدالحميد نفسه لتحقيق هذا الحلم . وقد تحدث القنصل الروسي العام في بيروت في رسالة سرية له ارسلها في الثاني عشر من ايلول من العام ١٨٩٨ الى السفير الروسي في استانبول عن هذا الموضوع (راجع :

((The Genocide of the Armenians ...)), P. 140 .

سلسلة من المذابح التي أقيمت للأرمن . حدثت المذبحة الأولى في آب وأيلول من العام ١٨٩٤ في منطقة ساسون عندما أخذ الجنود والجندرية وبعض الشقاة يفتكون بالناس القاطنين في تلك الديار كبارا وصغارا ، نساء ورجالا ، ودمروا في فترة وجيزة ٤٠ قرية وقتلوا حوالي ١٠ آلاف شخص (٢٦) . وبعد « النجاح » الأول بسنة بدأت مذبحة ثانية كان من الطبيعي أن تكون حسب « قانون التطور » شاملة . . ففي أيلول من العام ١٨٩٥ بدأ رجال السلطان في العاصمة استانبول يفتكون بالأرمن فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، أما « المحظوظون » منهم فقد كانوا هم الذين زج بهم في السجون . ثم انتقلت المذبحة الى مدن أرمينيا الغربية والمدن الأخرى التي كان يقطنها أرمن مثل مرعش ودياربكر ومدن كثيرة أخرى غيرها . وها نحن نذكر هنا نماذج قليلة لها تكفي وتزيد لاعطاء صورة واضحة لعمق المأساة . ففي مدينة استانبول ، أيد خلال يومين فقط ، حوالي ٥٠٠٠ أرمني (٢٧) ، بل ان مسيحين آخرين كثيرين قتلوا كذلك باعتبار أنهم أرمن . وطبقا لما جاء في الكتاب الفرنسي الأصفر فقد استمرت مذبحة الأرمن في دياربكر ثلاثة أيام (من أول تشرين الثاني من العام ١٨٩٥) . لقد قتل في هذه المدينة على ايقاع «التصلية والتسليم» حوالي ثلاثة آلاف شخص ، كما دمرت حوالي ١٢٠ قرية واغتصبت في المدينة وحدها عشرات الأرمنيات . أما خارجها فقد تمدى الاغتصاب هذه الحدود . وكان القتل واللصوص قد خصصوا واحدا من تلكم الأيام الثلاثة لنهب المتاجر والدكاكين العائدة للأرمن وقتلوا وجرحوا

Ibid, P. VII.

(٢٦)

(٢٧) تقدر بعض المصادر قتلى استانبول بـ ١٥ ألف شخص (راجع على سبيل المثال : فائز الفصين ، المذابح في أرمينيا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، بلا ، الص ١٠) .

منهم ماشاء لهم هواهم . ويقدر الكتاب الأصفر نفسه خسائر الأرمن المادية بليونى ليرة عثمانية . ويتحدث الكتاب المذكور كذلك عن مذبحه مدينة سيواس التي بلغ عدد القتلى فيها حتى الثاني عشر من تشرين الثاني حوالي ألف شخص . وكانت جثث ميتين الى ثلاثائة منهم قد ألقيت في احدى خانات المدينة . وكما ذكر شاهد عيان فان معظم الضحايا في سيواس كانوا قتلوا بالساطور وقضبان الحديد والمصي الغليظة والخناجر وماشاكل ، ربما لأن القتلة كانوا يضمنون بطلقات بنادقهم ! وقد شملت المذابح وأعمال النهب والسلب والتخريب الوحشية هذه مناطق كثيرة أخرى كذلك وتكررت في السنة التالية أيضا . ووفقا لما جاء في رسالة سرية للقنصل الروسي في استانبول أرسلها الى وزير خارجية بلاده ، فان عدد الأطفال الذين تيمموا نتيجة لتلك الأحداث المفجعة ، بلغ ما لا يقل عن ٥٠ ألف طفل (٢٨) .

هذه الأعمال التي قلما يذكر لها نظير في التاريخ ، أثارته لحد الفاية قلوب الأرمن ضد النظام العثماني عموما وضد حكم السلطان عبدالحميد بصورة خاصة ، فأخذ الوطنيون الأرمن يساندون ، بحماس ، المنظمات السياسية المناوئة لنظام عبدالحميد وبدأ كثيرون منهم في ابداء العون لحركة الاتحاديين (٢٩) الذين اتخذوا من (الحرية والعدالة والمساواة) شعارا رئيسا

(٢٨) للتفصيل راجع : ((The Genocide of the Armenians...)), PP. 95, 107, 115 — 122, 137, 139.

في هذا الكتاب عشرات الامثلة الاخرى عن المآسي التي رافقت هذه المذبحة . وقد ورد معظمها ضمن وثائق تعتبر من أهم المصادر الاصلية حول هذا الموضوع .

(٢٩) اشترك ممثلون عن الارمن في اول مؤتمر عقده الاتحاديون في باريس في اوائل شباط من العام ١٩٠٢ (راجع :

E. E. Ramsaur, Op. Cit., PP. 66 — 67 .

راجع كذلك جريدة «کردستان» ، جنيف ، ٦ محرم ١٣٢٠ ، ١٤ نيسان ١٩٠٢ .

لنضالهم وتمكنوا من خلال ذلك من تحشيد طاقات قوى وطنية لشعوب مختلفة ضد حكم السلطان عبدالحميد الدموي^(٣٠) . وكثيرا ما حدث أن اختبأ أولئك الزعماء عن أظار عيون السلطان عبدالحميد ورفائه بين الأرمن . لقد استقبل الشعب الأرمني ، شأنه شأن الشعوب العثمانية الأخرى ، بحرارة ، انتصار ثورة الاتحاديين (في تموز من العام ١٩٠٨) ، ولكنه لم يمض وقت طويل حتى انكشف الوجه الحقيقي للنظام الجديد كذلك وصار الأرمن أنفسهم أول ضحاياه . فلم يكن قد اتقضى عام واحد على انتصار هذه الثورة ، حتى التجأت وبصورة أسوأ من ذي قبل الى السياسة قسما التي كان يسير عليها السلطان عبدالحميد . وفي نيسان من العام ١٩٠٩ أقام النظام الجديد مذبحه جديدة في مدينة أطنة أدت الى مقتل ٣٠ ألف انسان بريء فقط .

ومن الطريف أن الحكام شنوا بعد المذبحة حملة اعتقال وتحقيق بحجة معاقبة المجرمين الذين دبروا المذبحة ، كما ادعوا . وكانت نتيجة تلك الاعتقالات والتحقيقات أن شنق ١٥ شخصا كان ستة منهم من الأرمن . والأغرب من كل تلك أن المسلم الوحيد بين المتهمين حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر ، في حين حكم على الأرمن الثمانية بالسجن من ٥ سنوات الى ١٠

(٣٠) حدد ريتشارد روبنسن باختصار وبدقة البعد الواقعي لهذه القضية حيث قال : « كانت جماعة تركيا الفتاة تلقى المساعدة والعون من قبل الجمعيات الثورية الأرمنية والكردية وغيرها . فقد كان يهم الجميع سواء سقوط السلطان التركي ، وان أمكن اختلاف الدافع لدى كل منها عنه لدى غيره » . وذهب أرنست رامزور الى استنتاج مشابه (راجع : P. O. Robinson, The First Turkish Republic. A case study in national development, Cambridge, 1963, P. 6 ; E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 67).

سنوات ، ثم اعتقل ٣٦٢ شخصا آخر كان ٣١٢ منهم (فقط !) مسيحين^(٣١) ! كانت تلك كلها باكورة العمل وبادرة النوايا الخفية التي كان يحملها النظام الجديد ازاء شعوب الامبراطورية العثمانية . غير أنها ، ولأسباب عديدة ، ظهرت بالنسبة للارمن بصورة أقسى وأشد . لقد اغتتم الارمن ، كسائر شعوب الامبراطورية العثمانية ، فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى ، لينالوا من خلالها أهدافهم ، فأخذوا يعملون لهذا الغرض بنشاط ، تدفعهم صور الماضي المليئة بالمآسي والخوف المشروع من تكررها أولا ومن الأعيب الطامعين ثانيا ، الى التسرع في بعض من خطواتهم ، كما تلاحظ ذلك من خلال أحداث معينة نستعرضها ضمن هذا الفصل . وعلى أي حال فما ان امتدت نيران الحرب الى الشرق الأوسط حتى بدأ شباب الارمن المتحمسون ينظمون صفوفهم وقد حمل كثيرون منهم السلاح وانضموا الى الجيوش الروسية المقاتلة في مناطق القفقاس وتركيا وايران ، وكما ذكرنا من قبل فقد دحرت القوات العثمانية في جهات عدة ، وكان على القائد العام أنور باشا ورفيقه طلعت باشا أن يجدا « المجرم المسؤول » عن هذه الهزائم . ولم يكن هناك من « يصلح » لالصاق هذه التهمة به أكثر من الارمن ، فجاء العقاب صارما كلف من الضحايا أضعاف أضعاف ما كلفته خطط أنور باشا الفاشلة في ميادين القتال . فقد أصدر الاتحاديون قرارهم غير المعلن بتنظيم مذبحة أرمنية جديدة بدأت حلقاتها الأولى في ربيع العام ١٩١٥ واتمت في السنة التالية . وفيما يلي نماذج قليلة من أحداث مرحلتها الأخيرة ، وهي الحلقة الختامية في سلسلة المذابح الأرمنية .

(٣١) للتفصيل راجع :

((The Genocide of the Armenians ...)), PP. VIII, 172 — 173, 221.

كتب المؤلف والسياسي العربي فائز الفصين^(٣٢) الذي كان في تلك الأيام في تركيا ، يقول : « أما في موش ، فقسم من الأرمن أتلف بالمئات والقسم الأعظم أتلف رميا بالرصاص وطعنا بالسكاكين . وكانت الحكومة تستأجر قصابين ، تعطي لكل واحد منهم ليرة عثمانية يوميا . وقد قص عليّ أحد الأطباء ويسمى عزيزبك أنه كان في قضاء مرزفون من أعمال ولاية سيواس وعلم أن قافلة من الأرمن سترسل للقتل ، فذهب لعند القائم مقام وقال له . . . أرجو أن تأذن لي بالذهاب لأرى هذه العملية التشريحية بأم عيني . فرخص لي وذهبت فوجدت أربعة من القصابين ، بيد كل واحد منهم مدينة طويلة وأفراد الدرك يفرقون كل عشرة من الأرمن على حدة ويرسلون الواحد بعد الآخر لعند القصابين، فيقول القصاب للأرمني: مد رقبتك، فيمدها، فيذبحه ذبح النعم . وكان يتمجب هذا الطبيب من اقدام الأرمن على الموت دون أن يتكلموا بكلمة أو يظهروا خوفا . وكان أفراد الدرك يربطون النساء والأطفال ويلقونهم من محل عالٍ جدا إلى أسفل ، فلا يصلون الأرض الا قطعا واربا »^(٣٣) .

وتحدث أحد الصحفيين في أوائل أيلول من العام ١٩١٥ عن مذبحه مدينة وان ، وكيف أن القطع العسكرية الروسية التي جاءت لاحتلال المدينة

(٣٢) سياسي سوري معروف تعاون مع الأمير فيصل وحكمه في سوريا . كان واحدا من الاعضاء الأربعة في الوفد الذي رافق الأمير الى مؤتمر الصلح في باريس . طبع كتابه «المدائح في أرمينيا» في العام ١٩١٧ وأعيد طبعه من قبل « مكتب المعلومات الأرمني » في لبنان في أواسط الستينيات ، ويحتوي على معلومات تكمن أهمية بعضها في أن المؤلف كان شاهد عيان لها أو سمعها من أناس شاهدوها .

(٣٣) فائز الفصين ، المصدر المذكور ، الص ٢٨ (نقلنا النص كما هو في الكتاب دون تصرف) .

لم تستطع دخولها بسبب من الرائحة العفنة التي كانت تهوح من جثث القتلى . كما نشر هذا الصحفي نص البرقية التي بعث بها قائد تلك القطع حيث كتب فيها يقول : « لقد دمرت مدينة وان بأكملها . أحرقت مبانيها الجيدة ، أما منازلها المبنية من الطين فقد هدمت . الشوارع وأقنية المنازل مليئة بجثث الأرمن والمواشي ، والأمتعة نهبت وأخذت » (٣٤) .

في مدينة بدليس لم يبق على قيد الحياة من ١٨ ألف أرمني ، الا ٣٠٠ - ٤٠٠ امرأة وطفل . ومن ٢٥ ألف أرمني في أرضروم نجا من القتل حوالي ٢٠٠ شخص فقط . أما في موش والقرى الثلاثئة المحيطة بها ، فمن ٢٥ ألف أرمني كانوا يسكنون المدينة وألوف غيرهم كانوا يسكنون القرى المجاورة لها ، لم يعثر بعد المذبحة على رجل واحد بين الذين بقوا على قيد الحياة (٣٥) . وفي العديد من المناطق اتحلت النساء والأطفال الذين لم يقتلوا ، الاسلام خوفا على حياتهم . وكانت هناك عوائل فقيرة مسلمة «قيض الله» لها خدمات من بنات الأرمن ثلاثا أو أربعا (٣٦) .

(٣٤) مقتبس من : ((The Genocide of the Armenians ...)) , P. 316.

(٣٥) Ibid, PP. 220 — 221, 280 — 281, 285, 315 — 316, 352 — 387, 410.

من الممكن ايراد عشرات بل ومئات النماذج الأخرى من هذا النوع . الا اننا نرى ان ما اوردناه يكفي لتقديم صورة واضحة عن عمق المآسي التي رافقت المذابح الأرمنية في سنوات الحرب . وسوف نذكر نماذج أخرى عندما نعود الى البحث عن دور الكرد في تلك المذابح .

(٣٦) في كتاب « اباداة الأرمن في الامبراطورية العثمانية » بعض النماذج لهذا الموضوع . وبهذا الصدد يقول فائز الفصين : « انك لاتدخل دارا في دياربكر الا وتجد من الخادمة الى الخمس خدمات من بنات الأرمن في تلك الدار ، وكنت ترى احقر الباعة اصبح عنده خادمة أرمنية . وربما كانت تلك الأرمنية في حياة والدها وأمها لا ترضى ان تكلم ذلك البائع كلاما ... وقد قيل ان مقدار النساء والبنات الخادمت في دياربكر

يقدر الأكاديمي ف. تارليه بعد دراسات ومقارنات دقيقة وعلى أساس اختيار الحد الأدنى ، الرقم الأخير لخسائر الأرمن كما يلي : ١٨٢ ألف هربوا الى مناطق القفقاس والحدود الروسية ، ٤٢٠٠ منهم التجأوا الى مصر (٣٧) ، ربع مليون منهم اعتنقوا الاسلام ، وقتل منهم حوالي المليون (٣٨) . هذه الأرقام ، كما ذكرنا ، أخذت على أساس الحد الأدنى . الا أن معظم المصادر

يربو على الخمسة آلاف وأكثرهن من بنات الأرمن من أروم وخربوط والولايات الأخرى « (فائز الفصين ، المصدر السابق ، الص ٣٧ - ٣٨) .

(٣٧) يعيش الآن حوالي ثلاثة ملايين أرمني في الاتحاد السوفيتي . وعدا هؤلاء يعيش الأرمن كذلك في أكثر من ستين بلدا من بلدان العالم . ففي الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٥٠ ألفا ، وفي فرنسا ٢٠٠ ألف ، وفي إيران ٢٠٠ ألف ، وفي لبنان ١٨٠ ألفا ، وفي سوريا ١٥٠ ألفا ، وفي الأرجنتين ٦٠ ألفا ، وفي العراق ومصر والبرازيل وكندا واليونان وبلغاريا والهند وعشرات البلدان الأخرى يعيش الوف الأرمن . ان قسما كبيرا من هؤلاء الأرمن هربوا خوفا من البطش والمظالم والمذابح ، ولكن أبناء هذا الشعب الموهوب يظهرون في كل مكان قدراتهم الخلاقة وابداعاتهم الرائعة . ان أسماء العلماء والفنانين الأرمن تلمع في العديد من المجالات ، بل وقد أصبح لهم دورهم حتى في غزو الفضاء الخارجي . وأرمينيا السوفياتية اليوم احدي أكثر بلدان الشرق تقدما ، وقد صاغ أحد الكتاب الأرمن هذه الحقيقة في المقولة التالية « لقد صغر حجم الشعب الأرمني تحت الضغط حتى بات كحجر الالماس » .

(٣٨) راجع :

Тарле В.В., Европа в эпоху империализма, 1871-1919, Москва-Ленинград, 1928, стр.388-393.

الأكاديمي ي. ف. تارليه ، أوروبا في عصر الإمبريالية ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٢٨ ، الص ٣٨٨ - ٣٩٢ (في الهوامش القادمة : V. Tarle ...) .

لاخرى تعطي أرقاما أعلى ، فالبروفيسور نيرسيسيان يعطي ، استنادا الى
درست لمئات الوثائق والأدلة التاريخية المهمة ، الأرقام التالية : قتلى مذابح
لسطان عبدالحميد ٣٠٠ ألف شخص ، قتلى مذابح الاتحاديين : مليون
وصف المليون . الهاربون الى القفقاس والبلاد العربية : ٨٠٠ ألف (٣٩) .
وكيفما كان الأمر ، فان الشقاء الذي عاناه الأرمن والخسائر التي لحقت بهم
هي ما تندر ظاؤها في التاريخ .

ومما يؤسف له أشد الأسف ، أن الكرد أسهموا قليلا أو كثيرا ، عن
وعمي أو دونه ، بتحريض من الآخرين أو عن عمد ، في مذابح الأرمن هذه .
فتذكر نماذج قليلة لهذا الاسهام ، قبل أن نأتي على تقييم الموضوع نفسه
صن اطاره الواقعي .

خلال المذبحة الأولى افتتح أحد مشايخ الطرق واسمه الملا سعيد أحمد،
تحلية بنفسه في مدينة أورفه في الثامن والعشرين من كانون الأول من العام
١٨٩٥ حيث أمر باحضار أرمني بريء أمامه فبطحوه على الأرض وفصل رأسه
عن جسده بيده على مزأى من الجمهور (٤٠) . وقبل ذلك بأيام جمع وجهاء
المدينة وحرصهم على قتل الأرمن لأنهم « لا يخضعون لسلطان الخليفة » .

وفي المذبحة الأولى أيضا قتل شقيقان سوية في منطقة وان كانا يسميان
عبدالحميد وعبدالغفور ٢٠٠ أرمني ، وكان هناك كثيرون من أمثال هذين
الآخرين في خربوط . فهناك أيضا قتل شقيقان سوية أكثر من ٣٠٠ شخص ،
وقتل شخص كان يسمى حاجي بگو ، وحده ، مئة شخص . وكان أحد

(٣٧) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. XI — XII .

(٤٠) ورد ذلك في رسالة خاصة من القنصل البرتغالي في حلب الى السفير
الاطالي في استانبول .

الخبازين يتباهى بأنه قتل بنفسه ٩٧ شخصا ، وكان قد قطع عهدا على نفسه أن يبلغ عدد ضحاياه مئة شخص . . فقط (٤١) .

كان هناك آغوات أكراد يشترون قوافل الأرمن من الجندرمة ، وبعد أن يسلبوا منهم كل ما معهم كانوا يقتلونهم [كان ذلك الشرط الذي يشترطه الجندرمة مقابل بيع أفراد القوافل الأرمنية لأولئك الآغوات] . وبعد القتل كانوا يبقرون بطونهم بحثا عن الليرات والذهب . والويل لمن كان يملك منهم سنا ذهبية ، فقد كان يرى العالم الآخر بعينه قبل أن يموت حقا (٤٢) .

كتب ف. مردليفسكي بهذا الصدد يقول : « رأيت بأم عيني في صيف العام ١٩١٦ كيف كان الأكراد يسوقون الأرمن جماعات الى بدليس . . يبدو أنهم كانوا متشوقين للمنح النقدية التي كانت تمنحها لهم لجنة اللاجئيين (٤٣) . كان الأكراد يخفون الأرمن لديهم عن أعين الأتراك ، ولكنهم كانوا يسوقونهم فيما بعد الى بدليس وكانهم يأخذونهم الى سوق المبيد . كان يبدو أن الأرمن المرعوبين فقدوا ارادتهم ، أو أنهم لا يعرفون طريق بدليس دون أن يدلهم عليها الكرد . حقا كان الأرمن المنهكون ذوو الثياب الرثة موضع رافعة . كان يبدو على مخياهم البؤس الذي رأوه قبل هنيهة وراء الجبال (٤٤) . وفي حالات معينة كان الرؤساء الأكراد يتمنون ما بدأه غيرهم . فان زعيم الشكاك

(٤١) راجع :

((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 31, 99 — 100, 105.

(٤٢) فائز الفصين ، المصدر السابق ، الص ٢٩ — ٣٠ .

(٤٣) كان في بدليس لجنة تسمى (لجنة اللاجئيين) . ويبدو أن الآغوات الأكراد كانوا يأخذون الأرمن ك (هدايا) الى هذه اللجنة ويقبضون موزا عنهم نقودا ، فاللجنة كانت تمنحهم ماليا عن ذلك . ولكن البلغ خفض فيما بعد نظرا لان الأرمن كانوا كثيرين الى حد كبير .

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 129 — 130.

(٤٤)

سكو ، مثلا ، وضع كميننا في مضيق «قوتور» لجماعات من الأرمن الذين جروا من الموت ، فباغتهم رجاله وأقاموا لهم مذبحه جديدة(٤٥) .

في الامكان عرض نماذج كثيرة أخرى في هذا المجال ، الا أن « حفنة واحدة تنبىء عما في الحمل » ، كما يقول المثل الكردي ، واذا كانت الحفنة متفنة ، فان الحمل يكون أشد عفونة بكثير .



كانت تلك خلاصة مركزة لما يتعلق بقضية المذابح الأرمنية وموقع لأكراد فيها. كما كانت كذلك صورة مقتضبة عن اسهام الكرد في تلك المذابح . ولكن الموضوع الثاني ، وأعني اسهام الكرد في تلك المذابح ، بحاجة إلى دراسة أعمق ، ليكون بوسعنا أن نضع اليد على مختلف أوجه هذه القضية ومداهها وعواملها المحركة . وللوضوع أهميته التاريخية من ناحية أخرى . ذلك لأن المسؤولين العثمانيين ، ولاسيما ابا ن حكم السلطان عبدالحميد ، كانوا يريدون القاء الجريرة عن كل تلك المذابح على عاتق الكرد ورطها بتخلف الكرد وتمصبهم الديني الأعمى . وهو ما يستحق وقفة خاصة منا .

يجب الاعتراف ، بادىء ذي بدء ، بأن التمصب الديني الأعمى والتخلف الحضاري كانا سببين رئيسيين دفعا الكثيرين من الكرد للسمي لتحل عليهم «بركة» الرب عبر الاسهام في قتل «الكفار» . وكما ذكرنا فقد كان هناك أكراد

(٤٥) راجع : علاء الدين سجادي ، المصدر السابق ، الص ٢٥٤ . هنا أيضا لا يمكننا الاتفاق مع رأي الأستاذ الفاضل في أن ما حدا بسمكو للأقدام على هذا العمل هو اتخاذ الاحتياطات من المخاوف المتوقعة من الأرمن في المستقبل .

يذبحون الأرمن وهم يصلون على النبي . وهنا تفرض مقارنة تاريخية بسيطة ومنطقية نفسها بالحاح ، فان الكرد والترك وغيرهم من ابناء شعوب المنطقة ، كانوا قبل ظهور بدعة المذابح ، أكثر تطلفا ، ولم يكونوا بالطبع أقل تمسكا بالاسلام ، ومع ذلك فلم تقع خلال مئات السنين مأساة دامية بين الكرد والأرمن أو الكرد والآثوريين ، بله مذبحه بمثل هذه القسوة^(٤٦) . ليس ذلك وحسب ، بل وان كثيرا من الكتاب الأجانب لفتوا الأنظار ، بصورة خاصة ، الى العلاقات الطيبة بين الأكراد ومسيحي كردستان ووصفوها بأنها أحسن العلاقات التي سادت بين شعوب الشرق الأوسط . وبهذا الصدد يقول الميجرك . ماسون في محاضرة له ألقاها أمام الجمعية الجغرافية الملكية في لندن : «قد يكون لأي منا فكرة غامضة عن كون الأكراد مسؤولين عن مذابح الأرمن ، ولكن قليلا منا يعرف أن الغالبية العظمى من المسيحيين كانوا يعيشون في سعادة كبيرة في كردستان قبل سنوات الحرب»^(٤٧) . وقد اعترفت بهذه الحقيقة بصورة خاصة اللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لدراسة مشكلة الموصل . وأكثر من ذلك أن ف . گردليفسكي يقول : « لم يلب اختلاف الدين بين الأكراد المسلمين والأرمن المسيحيين أي دور » ، بل انه يؤكد كذلك أن تردد الأرمن على مساجد المسلمين وتردد الكرد على كنائس الأرمن كلز أمرا طبيعيا^(٤٨) .

(٤٦) أهم حادث وقع من قبل ولفت اليه الأنظار هو ضرب الآثوريين من قبل بدرخان ، وكان ذلك بسبب أن هؤلاء كانوا يرفضون ، بتحريض من بعض الجهات ، دفع الضرائب للمؤسسات التي أقامها هو .

(٤٧)

Major Kenneth Mason, Central Kurdistan, - ((The Geographical Journal)) , Vol. LIV, No. 6, December 1919, P. 329.

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 126 — 127.

(٤٨)

لعب المتنوردون الأرمن دورا ايجابيا في احترام كلا الجانبين الأرمني

إذا ، فان العوامل المحرصة الجديدة هي التي أسدلت ، كما ذكرنا ذلك من قبل ، ستارا أسود من التعصب الأعمى على أحاسيس الكرد الدينية ازاء الأرمن . وهناك من الأدلة بهذا الصدد ما يكفي . ففي العديد من المناطق كان الملالي والمفتون ورجال الدين الآخرون يشيرون ، ووفق أوامر صادرة لهم من الحكومة ، مشاعر الناس ويحرضونهم جهارا على قتل « الكفار » . فخلال المذبحة الأولى كان مفتي (پالو) يدفع الناس للقتل ويطلب منهم أن لا يلتفوا أولا بالسلب والنهب . وكان المسؤولون في أرضروم يصرخون فيهم علانية «أقتلوا المسيحيين ولا تخشوا شيئا» و «الموت للمسيحيين والحياة للمسلمين» . تلك كانت شعارات الملالي والدرأويش في سيواس وأورفه . أما في عربكير فقد أدخلوا في روع الناس البسطاء أن قتل الأرمن « مهمة في عاتق أمة محمد » . مثل هذه التحريضات جعلت الكثيرين ينطلقون بصورة عشوائية لتقتيل رجال الدين من الأرمن ولتهديم كنائسهم القديمة الأثرية (٤٩) .

كان العديد من الأكراد البسطاء ينظرون الى قتل الأرمن وكأنه «جهاد» في سبيل الله . وليس أدل على ذلك من أنهم كانوا يتركون أي أرمني يعتقد

والكردي المشاعر الدينية للجانب الآخر، فقد كان كثير منهم ينظرون الى الموضوع نظرة بعيدة عن التعصب الديني الأعمى ، وكانوا يدركون أن مصلحة الطرفين تكمن في الاحترام المتبادل للمشاعر الدينية لبعضهما ، بل ان صلات الارمن والكرد كانت جيدة في روسيا أيضا . وما كان يحدث بين الارمن والاذربايجانيين قبل ثورة أكتوبر ، انما كان يحدث، في الاغلب، بدوافع قومية ضيقة وليس من جراء تناقض ديني.

(٤٩) راجع :

((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 126, 137, 143, 225, 241 — 242, 247, 315.

الاسلام ولا يمسونه بأذى . وهكذا فان المشاعر الدينية العمياء لدى الأكراد البسطاء والتي كانت هامة في النفوس حتى ذلك الحين ، أوقلت من غزوتها وفق خطة مرسومة وبصورة متممة ، سيق اليها الأكراد سوفا . ويقع وزر ذلك ، أول ما يقع ، على عاتق الذين كان يهمهم أن يحدث ما حدث فعلا .

ينبغي علينا في هذا المقام أن نلفت النظر الى أن معظم الأكراد الذين أسهموا في مذابح الأرمن كانوا من « الفرسان الحميدية » ، هذه التشكيلة العسكرية التي أنشئت في الأساس للقيام بمثل هذه الأعمال ولإلقاء الكرذ^(٥٠) . وعلى سبيل المثال ، فان معظم الحوادث التي وقعت في ديار بكر أثناء المذبحة الأولى انما جرت على أيدي هؤلاء الفرسان الذين جلبوا الى المدينة خصيما لهذا الغرض . وفي المذبحة الثانية كان المسؤولون في أرضروم يحثون رجال العشائر غير النظامية علنا على تقتيل الأرمن وعلى مرأى من اطفالهم وعوائلهم^(٥١) . وبديهي أن حصيلة مثل هذه التحريضات لم تكن قليلة ، الا أنه ينبغي النظر الى اشتراك « الفرسان الحميدية » في المذابح كشكيلة حكومية ، شأنه شأن اشتراك الجنود والجنדרمة ، وليس باعتبار أفراد تلك التشكيلة أكرادا وأن اشتراكهم يعني اشتراك الكرذ ، رغم ان رجمية عدد من الاقطاعيين الأكراد وتخليفهم لبا كذلك دورهما في الأمر . وجدير بالذكر أن قادة الفرسان الحميدية وعددا من الاقطاعيين والآغوات الآخرين كانوا يعتبرون تقتيل الأرمن فرصة سافحة لهم ليملاوا خلالها جيوبهم ولينهبوا أراضي أولئك الأرمن وممتلكاتهم . وعلى سبيل المثال فان المدعو ابراهيم بك ، وكان مالك قرية (سكرات) في (پالو) ، أخفى لديه عددا كبيرا من الأرمن على أساس أنه يحميهم من القتل ، ولكنه وبعد أن نهب امتعتهم

(٥٠) اوضحنا ذلك بشيء من التفصيل ضمن الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٥١) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 93, 277 .

ومواشيهم ، تخلى عنهم وأطلقهم ليواجهوا مصيرهم بأنفسهم . وفي كثير من المناطق الأخرى كان الآغوات يضعون أيديهم على أراضي الأرمن القتلى والهاربين ، وكانت السلطات الحكومية تحرضهم بدورها على مثل تلك الأعمال بل كانت تساعدهم أحيانا .

ولنتقل الآن الى موضوع جد مهم ألا وهو دور الحركتين القوميتين الكردية والأرمنية اللتين كان ينبغي لهما في ظروف الدولة العثمانية آنذاك أن تعملتا في سبيل تقارب الشعبين ووحدة لهما وليس لابتعادهما عن بعضهما . وبزهد الأنف فان بعض الأخطاء وبعض الأسباب الأخرى والى حد ما قصر نظر رجال السياسة لدى الطرفين وتدخل السلطات الحكومية والأيدي الأجنبية ، كل تلك أدت الى أن تؤتى بذور الشقاق القومي بين الأرمن وجيرانهم الكرد أكلها ليجنيها أعداء الشعبين .

تحدثنا في مجال آخر من هذا الفصل بايجاز عن ظهور الحركة القومية الأرمنية وتأسيس حزب ال «هنچاك» (١٨٨٧) وحزب ال «داشناق» (١٨٩٠) . تأسس حزب ال «هنچاك» من قبل ليف من الطلبة الأرمن في جنيف . كان ال «هنچاك» حزب البورجوازية الأرمنية الصغيرة وكان قد اتخذ الحرية والوحدة لأرمينيا وإقامة الدولة الأرمنية المستقلة عن طريق الكفاح المسلح شعارا أساسيا له . أما ال «داشناق» المعروف فقد كان حزبا بورجوازيا قوميا يسمى لتحرير الأرمن من مظالم الدولة العثمانية ، وكان ينبغي ، آنئذ ، تحقيق الحكم الذاتي لأرمينيا في إطار الدولة العثمانية عن طريق الكفاح المسلح أيضا ، وكان يعتقد أن بوسع الشعب الأرمني أن يحقق هدفه هذا بمساعدة الدول الأوروبية الكبيرة .

ولكن أيا من ال «هنچاك» (الذي كان يعتبر نفسه حزبا ماركسيا)

وال « داشناق » لم يستطيعا أن يقيما علاقات الشعوب الجارة في المنطقة ومصالحها المشتركة ، ولا سيما علاقات الكرد والأرمن ، تقييما صحيحا ، ويعملا ما من شأنه توحيد مشاعر الشعبين وفضالهما . يقول م. س. لازاريف بهذا الصدد : « وفي تلك الأيام (أيام المناجح - ك. م.) قدم الداشناقيون خدمة سيئة الى الشعب الأرمني ، حيث كانوا يدفعونه الى انتفاضة لم يحن أوانها بعد ويشيرون في نفوس أبنائه روح الكره والحقد ضد الأكراد والأتراك كلهم » (٥٢) . وقد حدد بعض المؤرخين الأرمن اطار هذا الموضوع الخطير بشكل موضوعي . يقول الدكتور أروتونيان بهذا الصدد :

« بدلا من جذب القوى الديمقراطية للشعب الكردي كحلفاء والقيام معها بنضال تحرري مشترك ضد الاقطاعيين الأتراك والأكراد ، حاولت الأحزاب القومية - الديمقراطية الأرمنية ، بدعواتها الى الكره العنصري والديني ، أن تفعل كل شيء من أجل اقامة جدار بين الشعبين (الأرمني والكردي - ك. م.) . وقد كان من شأن سياسة لاشعبية واتحارية كهذه أن تخدم ، كما خلعت فعلا ، الطبقات الاقطاعية التركية والكردية لاغيرها » (٥٣) .

M. S. Lazarev, Kurdistan ... , P. 57.

(٥٢) راجع :

مما يجدر بالذكر ان حزب داشناق كان يمثل منذ البداية بأسلوب متعصب منطلق ، وكان يقود كفاح الأرمن في طريق غير صحيح . وقد وقف في أرمينيا الشرقية ضد الكفاح الثوري المشترك مع الشعوب الأخرى في المنطقة ، كما كان له دور في إثارة المذابح بين الأرمن والتر في منطقة القفقاس .

(٥٣) راجع :

Арутюнян Г. М., Реакционная политика английской буржуазии в армянском вопросе в середине 90-х годов XIX века, Москва, 1954, стр. 116.

وفضلا عن ذلك فانه سواء ال «هنچاك» أو ال «داسناق» أو رجال السياسة والمتورون الأرمن ، قبل تأسيس الحزبين المذكورين أو بعده ، كانوا يقصدون بحديثهم عن «أرمينيا الكبرى» أو «استقلال أرمينيا» أو «الحكم الذاتي لأرمينيا» كل المنطقة التي كان معظم سكانها في يوم من الأيام السحيقة في القدم من الأرمن أو كانت تحت سيطرة الدول التي أسسوها يوما ما . وعلى سبيل المثال كانت مدينة دياربكر وما والاها في ظرهم جزءا من صميم أرمينيا . وقد انعكست هذه الأفكار في مطبوعات الأرمن آتذ وفي أدبهم ونضالهم اليومي بصورة صارخة وبشكل يستلفت الأظار^(٥٤) .

ولا شك في أن هذا كان يلقي في روع الأكراد مخاوف مشروعة ، خاصة وأنهم كانوا يحسون أن الدول الكبرى تساعد ، كيفما كان الأمر ومهما كان الدافع ، الأرمن الذين يتفقون واياهم في الدين ، على بلوغ أهدافهم أو على الخلاص من الظلم العثماني على الأقل . وإذا عرضنا هذا الموضوع في اطار آخر ، فإن النتيجة تكون كما يلي : كان المتنور الكردي يخشى تضاؤل حجمه ، والفلاح الكردي يخاف أن يفقد أرضه . أما الآغوات والاقطاعيون الكرد فقد كان يهمهم أن يحافظوا على سيطرتهم . وواضح أن هذا هو الذي حدا بشاعر متنور وبعيد النظر مثل الحاج قادر الكويي [توفي في العام ١٨٩٧]

ك. م. أروتونيان ، السياسة الرجعية للبورجوازية الانكليزية في القضية الارمنية في اواسط تسعينيات القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٥٤ ، الص ١١٦ .

(٥٤) وعلى العكس من ذلك كان معظم رجال السياسة الاكراد يعتبرون أرمينيا الغربية كلها ضمن كردستان . غير أن ضعف الحركة القومية الكردية ، بالقياس الى مثيلتها الأرمنية ، لم يتح المجال لأن يكون لادعاءات الكرد صدى كبير ، بل انها لم تتأطر في صيغة محددة ، شأنها شأن الادعاءات الأرمنية ، ولذلك فانها لم تلعب في الواقع دورا ما .

ليطلق قبل المذبحة الأولى بعدة سنوات صرخات التحذير عاليا ويقول :

« وأسفاه ! ان بلاد الجزيرة وبوتان ، أعني بلاد الكرد ،

يحولونها الى ديسار أرمنية .. » (٥٥)

(٥٥) راجع : كومهله شيمري حاجي قادري كوي ، چاپ و بلاوكر : عبدالرحمن سعيد ، بغداد ، ١٩٢٥ ، ل ٥١ . [مجموعة أشعار الحاج قادر الكوي، طابعا وناشرها عبدالرحمن سعيد ، بغداد، ١٩٢٥ ، الص [٥١] .

القصيدة التي يدخل ضمنها هذا البيت ، من أهم نتاجات الحاج قادر . وهي حافلة ، في الواقع ، بالحديث من القضايا المهمة التي كانت دائرة في عصره . وقد لفتت إليها أنظار عدد من الكتاب الأكراد ولاسيما الاساتذة مسعود محمد وجلال الطالباني والدكتور احسان فؤاد والدكتور عزالدين مصطفى رسول ومحمد الملا عبدالكريم . فالدكتور احسان فؤاد الذي قدم أطروحة للدكتوراه عن حياة الحاج قادر وأبدامه ، يقول ان الحاج قادر ساند ، مع «عميق» الاحاسيس « نضال ... الأرمن في أراضي الجزيرة وبوتان » (احسان فؤاد ، نتاج الحاج قادر الكوي ومكانته في الأدب الكردي [ملخص أطروحة الدكتوراه باللغة الروسية] ، موسكو ، ١٩٦٦ ، الص ١٢) . أما الدكتور عزالدين مصطفى رسول فقد تحدث باقتضاب شديد ، وفي سطور قلائل ، عن هذه القصيدة ، فقال ان الحاج قادرا توجه بها الى الكرد ينبههم الى المساومة التي حصلت بين الاستعماريين والحركة الوطنية الأرمنية على حساب اعطاء اراضى كردية للأرمن (راجع : الدكتور عزالدين مصطفى رسول ، الواقعية في الأدب الكردي ، بيروت ، بلا ، الص ٨٦) . أما الأستاذ محمد الملا عبدالكريم فقد رأى من القضية جانبا واحدا فقط . وعلى هذا الأساس فقد انتقد الحاج قادرا بشدة باعتبار انه نهض « بوجه كفاح سكان أرمنستان » ودعا الشعب الكردي « بكل قوة » لمقاومة « منح هذا الشعب حقه في الاستقلال » (راجع : محمدي مهلاكريم ، حاجي قادري كوي شاعري قوناغيكى نوي به له زيانى نه وهوى كورد ، بغداد ، بى ، ل ٦٢ - ٦٦ [محمد الملا عبدالكريم ، الحاج قادر الكوي شاعر مرحلة جديدة من حياة الشعب الكردي ، بغداد ، بلا ، الص ٦٢ - ٦٦] * .

أما الأستاذ جلال الطالباني الذي رد على الأستاذ محمد الملا عبد الكريم باسم بيروت (راجع : « خهبات = النضال » ، ٢٦ تموز ١٩٦٠) فقد رأى الوجه الآخر للقضية واعتبر أن الدول الامبريالية « ولا سيما روسيا وبريطانيا » كانت تريد أن تقيم دولة رجمية للأرمن وتلحق بها جزءا من أراضي كردستان . علما بأنه لحين التوقيع على معاهدة سيفر لم يدر أي حديث في المعاهدات والاتفاقيات الدولية عن استقلال أرمينستان . فالبنء السادس عشر من معاهدة سان ستيفانو والبنء الواحد والستون من معاهدة برلين اللذان يعتبران لحين التوقيع على معاهدة سيفر ذروة اهتمام الدول الكبرى بالأرمن ، لم يتطرقا حتى الى حكم ذاتي لهم ، فالحديث فيهما إنما يدور عن « الإصلاحات » و « حماية الأرمن من الجركس والكرد » . ويبدو أنه لهذا السبب بالذات صرح ممثل الأرمن الى مؤتمر برلين بعد عودته منها بقوله « طبخت الحرية في برلين ، ولكننا لم نستطع أن نتناول منها لقمة واحدة . اولادي ! (يقصد الأرمن - ك. م .) لا تفقدوا أي أمل على الأجانب . دبروا شؤونكم بانفسكم » .

أما الأستاذ مسعود محمد فلم يبلغ في الجزئين الاول والثاني من كتابه حول الحاج قادر الكوي حد الحديث عن نتاجاته في استانبول ، التي يبدو أنه يخصص لها الجزء الثالث من الكتاب ، [ومن المعلوم أن القصيدة موضوعة بحثنا هذا من قصائده التي نظمها في استانبول . وقد صدر الجزء الثالث أيضا من الكتاب ، وليس فيه كذلك شيء عن نشاط الحاج قادر ونتاجاته في استانبول - المترجم] . إلا أنه يرى ، كما تبين لي من حديث خاص دار بيني وبينه بهذا الشأن ، أن الحاج قادرا نظم هذه القصيدة ، ردا على معاهدة برلين للعام ١٨٧٨ . من الواضح ، وكما يبدو من فحوى هذا البحث ، أن لا معاهدة برلين وحدها بل هي ، ومعاهدة سان ستيفانو ، واهتمام الدول الكبرى بالأرمن ، كل هذه جيمما كانت ضمن الشروط الضرورية لتوفر المناخ الذي أنتج قصيدة الحاج قادر هذه . فهي (أي القصيدة) نفسها تحتوي على دليل مهم يظهر أنها اقل عمرا من معاهدة برلين بعدة سنوات على الأقل . لقد نظم الحاج قادر هذه القصيدة اما في أواسط الثمانينيات أو قبل مذبحة الارمن الاولى بسنوات قليلة ، فهو يقول فيها :

**بالأمس ، لا قبله ، نهض سكان السودان كالأسود
وهم الآن مستقلون ، يفيضهم أتباع كل دين**

جلي انه يجب ان يكون حدث كبير وقع في السودان قد لفت انتباه الحاج قادر والدين كانوا يفكرون مثله عندما نظم هذه القصيدة . وما من حدث سوداني في تلك الفترة لفت الأنظار الا انتفاضة المهدي . وقد بدأت هذه الانتفاضة في العام ١٨٨١ ، غير انها استمرت ١٧ عاما ولم تبلغ مستوى يجذب اليها انظار مفكري الشعوب الاخرى الا في اواسط الثمانينيات ، ولاسيما بعد ان تمكن الثوار في تشرين الثاني من العام ١٨٨٣ من دحر الجيش الانكليزي الذي كان قوامه ١٠ آلاف مقاتل . وكان ذلك حدثا كبيرا في تلك الايام ، واستطاعوا بعد ذلك تحرير الخرطوم في كانون الثاني من العام ١٨٨٥ وقتلوا الحاكم الانكليزي في السودان وأعلنوا استقلال بلادهم . والحاج قادر يتحدث عن انتصار السودان « بالأمس » واستقلاله « اليوم » .

ومادمننا بصدد الحديث عن الحاج قادر الكوي وقصيدته هذه ، فاني لا ارى ضيرا في ان ألفت انظار المتخصصين منا في الادب الى نقطة مهمة اخرى وردت في قصيدة الحاج قادر هذه . يخاطب الحاج قادر في بيت آخر من هذه القصيدة الشعب الكردي قائلا :

**تجمعوا دفعة واحدة كالنحل ، تشاوروا فيما بينكم بصمت
احصلوا لكم على عدد الحرب من مدافع وبنادق و (هاون)**

هنا تلفت كلمة (هاون) الأنظار . صحيح ان المدفع الهاون Mortar اخترع بصورة جد بدائية في القرون الوسطى واستخدمه العثمانيون لأول مرة في اواسط القرن الخامس عشر ، الا ان تخلف التكنيك كان يؤدي الى أن تكون اضرار استعمال مثل هذا المدفع اكثر من فوائده . ولذلك فرعان ما أهمل ولم يعد له من ذكر حتى أوائل القرن العشرين وبعد وفاة الحاج قادر بحوالي عشر سنوات [توفي الحاج قادر في العام ١٨٩٧] حيث بدىء بانتاجه من جديد . وفي هذه الدورة استخدم المدفع الهاون لأول مرة في الحرب الروسية - اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) : تلك الحرب التي لفتت اليها انظار شعوب الشرق كلها ، وبصورة خاصة شعوب الامبراطورية العثمانية . وقد بدأ الألمان بعد هذه الحرب ، وبالتحديد منذ العام ١٩٠٨ ، بانتاج مدافع هاون من نوعية جيدة .

وهكذا فان سوا الا يفرض نفسه هنا وهو الا يمكن القول ان تحريفا جرى في هذا البيت او ان اضافة قد حدثت في القصيدة نفسها بعد وفاة الحاج قادر من قبل آخرين ! هذا امر كثيرا تحدث نظائره ، والا فمن اي (هاون) يتحدث الشاعر ؟ كيفما كان الامر فان الموضوع بحاجة الى دراسة من قبل المختصين . [من الممكن ان يكون اسم ال (هاون) القديم قد بقي على اللسان ، او كان يطلق خطأ على المدافع الأخرى ، واحتياج اليه الشاعر لضرورة القافية ولاسيما وانه كلمة مناسبة في هذا المقام ، فضلا عن انه لم يكن على علم بالمصطلحات العسكرية بالطبع - المترجم] .

✻ لست انفي صحة النقد الذي ذكره المؤلف من انني في عرضي لافكار الحاج قادر الكوي ازاء المسألة الأرمنية وارتباطها بالمسألة الكردية ، رايت جانبا واحدا فقط في القضية ، فقد كنت - وانا اول من يتصدى ليس لهذا الموضوع وحسب ، بل ولدراسة موقع الحاج قادر الكوي في الفكر الكردي على وجه العموم ، على ما اعلم ، ولاسيما بالنسبة لأولئك المثقفين الاكراد الذين اورد المؤلف اسماءهم - ادرس الفكرة من وجهة نظر سياسية صرفة ، ولم تكن لدي معلومات مفصلة عن الجانب التاريخي الواقعي للفكر السياسي الارمني . كنت اعلم ، كاي تقدمي يهتدي بالفكرة السياسية القائلة بحق الشعوب ، صغرها وكبيرها ، في تقرير مصائرهما بانفسها ، ان للارمن كذلك ، كما للكرد ، قضية عادلة هي قضية الحرية والسيادة الوطنية . ولانني لم اكن على بينة من امر التشابك المعقد للحدود الجغرافية القومية بين ارمينيا وكردستان ، لم تكن لديّ كذلك فكرة واضحة عن الشعارات الشوقينية التي كانت البورجوازية الأرمنية الناهضة ترفعها ، ولا بد من ذلك ، كاي بورجوازية شوقينية في اي امة .

الا ان الجانب المهم في نظري في افكار الحاج قادر في هذا الموضوع ، هو انه تأثر في معالجة القضية بالفكر المتخلف السائد في الامبراطورية العثمانية ولم يستطع صفاء ذهنه ان يحرره منه ، وان مشاعره الدينية كمسلم - وهو القومي الذي كان شعبه بالذات يعاني من الاضطهاد القومي على يد الدولة العثمانية المسلمة - لعبت دورها في تحديد موقفه السياسي ، رغم انه ينبه في القصيدة موضوعة البحث نفسها الى ان الدولة العثمانية لا يمكن الركون اليها في اتخاذ موقف حازم لحماية كردستان من ان تصبح جزءا من ارمينيا وان يفقد الشعب الكردي

حقوقه القومية وحرياته الدينية بل ووجوده وكيانه . لقد دعا الحاج قادر في هذه القصيدة الى اتخاذ أساليب سياسية وعملية جد صائبة ، بل انه دعا الى حرب قومية شاملة تشترك فيها كل طبقات الشعب الكردي ، مما يشبه شعارات الدعوة الى الجبهة العريضة والتي ترفعها العناصر الواعية اليوم في الشعوب التي تتعرض الى العدوان الأجنبي . ولكن الغرض من حربه التي دعا اليها ، كان ، وبالأسف ، الوقوف بوجه استقلال الأرمن في الجور . انه يطرح القضية ، مثيرا الحماس القومي والديني بل وحتى المصالح الحيوية اليومية للشعب الكردي في آن واحد ، دون أي اشارة الى عدالة جوهر القضية الأرمنية ووجود مصالح حقيقية مشتركة بين الأكراد والأرمن . بل أن اشادته بدأب الأرمن وجلدهم ، حيث يبرهن بذلك على أنهم يستحقون ما يريدون ، انما يريد بها مزيدا من اثاره الحمية لدى الأكراد . ولو كان الحاج قادر على قدر كاف من الوعي السليم بأبعاد المسألة ، لآقر حق الأرمن في تقرير مصيرهم وعارض في الوقت نفسه الجوانب الضارة الشوفينية في سياسة احزابهم القومية ودافع عن الكيان الجغرافي الطبيعي لوطنه كردستان . لكنه لم يتطرق الى شيء من هذا القبيل وخطب بمن العادل والظالم في مسألة الأرمن القومية كما كانت تطرح آنذاك . غير أن هذه الحقيقة يجب النظر اليها ، رغم كل شيء ، في اطار الشروط الاجتماعية والفكرية التي كان يعيش فيها الشاعر الكبير . طبيعي انه لا يحق لنا نحن أن نحاسب الحاج قادرا لانه لم يكن يدرك ابعاد المسألة القومية وعلاقات الأمم كما نفهمها نحن اليوم ، ولكن هذا لا يعني كذلك أن لا نضع النقاط على الحروف ببيان أوجه الصواب والخطأ في تفكيره . ان النقاط التي يوردها المؤلف في بحثه هذا بشأن مواقف الأكراد السياسية آتت ، تدل بوضوح على أن معظمهم لم يكونوا يمتلكون الحد الأدنى من الفهم الصحيح للعلاقة الجدلية بين المسألتين القوميتين الكردية والأرمنية ازاء الدولة العثمانية ، وأنهم ، بوجه عام ، كانوا ازاء الأرمن مسلمين وعثمانيين أكثر من أن يكونوا أكرادا وقوميين ، ولم يشذ عنهم حتى الحاج قادر في هذا الموقف في اطاره العام . فلو كان له ، وهو القومي المخلص للغاية لشعبه ، موقف قومي متنور من المسألة الأرمنية ، وهو ما يلتقى بالموقف الأممي في التحليل الأخير ، لكات له وجهة نظر أكثر شمولية ، ولقال شيئا ضد مجزرة الأرمن التي ساقمت التضليلات العثمانية قطاعا غير قليل من أبناء شعبه الكردي سوا للاسهام فيها ،

والشعارات التي كانت ترفعها القوى السياسية وقادة الرأي بين الأرمن وأساليب النضال التي كانوا ينتهجونها والاستراتيجي والتكتيك اللذان كانوا يسيرون وفقهما ، هي كذلك ما دفع الحاج قادرا للقول :

« قسما بالقرآن ، لم تبق هناك غيرة .

ان ظهر أرمنستان للوجود فلن يبق أحد من الأكراد »^(٥٦)

كما أشار الى الموضوع نفسه، ولكن بأسلوب آخر ، عدد من السياسيين الكرد العاملين في المهجر . فجريدة « كردستان » التي كرست جانباً كبيراً من أعدادها الصادرة في العامين ١٩٠١ و ١٩٠٢ للدفاع عن الأرمن ولادانة المذابح التي ارتكبت بحقهم^(٥٧) ، أشارت أكثر من مرة الى مخاطر ما وصفته بـ « النوايا العدوانية » لـ « قلة من الأرمن »^(٥٨) ، لكنها وضعت مقابل ذلك في الوقت نفسه الأعمال والنوايا العدوانية لـ « قلة من الأكراد »^(٥٩).

- =
- وقد وقمت الحلقة الاولى من هذه الجزرة قبل وفاته هو بثلاثة اعوام .
واخيراً ، أود أن أشير كذلك الى أن الدكتور عز الدين مصطفى رسول ،
رد عليّ ، هو الآخر ، بشأن هذه القضية ، شأنه في ذلك شأن (بيروت) ،
ولكنه كان يبحث في رده عن مبررات لقصر النظر السياسي لدى الحاج
قادر في تفهم المسألة (راجع : الدكتور عز الدين مصطفى رسول ،
المصدر السابق) . (لمزيد من التفاصيل حول القصيدة وطريقتي في
عرض أفكار الحاج قادر الواردة فيها ، راجع كتابي المشار اليه في
بداية هامش المؤلف ، الص ٦٢ - ٦٦) - المترجم .
- (٥٦) « كومهله شيمرى حاجى قادرى كويى » ، الص ٥١ .
- (٥٧) نعود الى هذا الموضوع فيما بعد .
- (٥٨) راجع على سبيل المثال : « كردستان » ، العدد ٢٦ ، ٢٢ رمضان
١٣١٨ ، ١٤ كانون الثاني ١٩٠١ .
- (٥٩) لم تبلغ الصحيفة في جميع تقييماتها السابقة للمسألة الارمنية ، وما كان
بإمكانها أن تبلغ ، مثل هذا المستوى الموضوعي .

ان ما ضخم هذه المخاوف في نظر الكرد أكثر، هو ، كما سبق لنا القول، أن الدول الأوروبية كانت تولي المسألة الأرمنية اهتماما . صحيح أن القسم الأكبر من ذلك الاهتمام كان نابعا من المصالح الخاصة لتلك الدول نفسها كما سنذكر ذلك فيما بعد ، إلا أنه كان قد أربح ليس مسؤولي الدولة العثمانية وحدهم بل والكرد كذلك ، حيث كان يشاع في أوساطهم أن دولة ستقام للأرمن بمساعدة روسيا وبريطانيا وفرنسا وأن الأكراد المسلمين سيقعون تحت سيطرة هذه الدولة المسيحية . وفي الحقيقة فإن قسما من الأرمن ، ولاسيما الداشناقيين منهم ، كانوا يأملون ذلك ، وكانوا متفائلين الى حد كبير ويتوقعون الخير من الدول الكبرى ، وذلك لفرط ما عانوه من الاضطهاد الديني والقومي على أيدي العثمانيين . ومن هنا كان توسل المثقفين ورجال الدين والقوى السياسية الأرمنية بين حين وآخر الى الدول الكبرى ، التي كثيرا ما كانت تهب لنجدتهم لأغراض خاصة بها . وهذا ما كان قد أخاف الكرد الى حد ما ، خاصة وأن تدخل الدول الكبرى في المسألة الأرمنية كان يؤثر على أوضاعهم ، أي أوضاع الكرد ، الحياتية والمعيشية . وعلى سبيل المثال قابل سفراء الدول الكبرى المسؤولين العثمانيين قبل المذبحة الأولى أكثر من مرة بشأن حياة الأرمن ، ونتيجة لتلك المقابلات ، فقد وعد أولئك المسؤولون باتخاذ بعض الاجراءات بشأن الأرمن وأرمينيا ، كان بعضها يتعلق بالكرد وكرديستان فقط ، منها ما تقرر من فرض الرقابة على تنقلات القبائل الكردية الرحالة وعدم السماح للفرسان الحميدية بحمل السلاح بدون موافقة خاصة^(٦٠) وتقديمهم كغيرهم الى المحاكم الحكومية^(٦١) .

(٦٠) كان السلاح آثذ بالنسبة للكرد والشعوب التي كانت تعيش في ظروفهم بعد ضمن الضرورات الحياتية .

(٦١) راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 71, 388.

كان الأرمن حضريين ، أما الكرد فكان قسم كبير منهم ما يزالون

مثل هذه المواضيع كانت تشيع بين الناس بسرعة . ورغم أن الكثير منها لم يكن يجد طريقه الى التنفيذ ، الا أنها كانت تلقي المخاوف في النفوس ولاسيما القضايا المهمة منها كتنقل القبائل الرحالة التي كانت حقا قضية حياة أو موت بالنسبة لتلك القبائل . وواضح أن هذا هو ما حدا كذلك بالحاج قادر ليقول في بالغ الاهتمام :

« ها ان طريقكم يسد بوجوهكم ، يا قبائل الجاف واللباس ا
فحتى اذا متم من الحر ، لن يسمح لكم بالرحيل الى المصائف » (٦٢)

وتيجة لقصر نظر العثمانيين ، كان اعتماد الأرمن على الدول الكبرى يشتد يوما بعد يوم ، مما كان يلقي روعا أشد في نفوس الحكام وفي نفوس الكرد كذلك الى حد ما . ذكر مرديشكي قبل بداية الحرب العالمية الأولى وبعد المذبحة الأخيرة بفترة وجيزة كيف أن « السياسة الشوقينية لتركيا العتاة لم تلبث أن أصابت الأرمن بخيبة أمل جعلتهم يعقدون الرجاء على التدخل الخارجي فقط ، فعندما كنت أجوب مناطق آسيا الصغرى في العام ١٩١٣ كان الناس ينظرون اليّ ، أنا الرحالة الروسي ، وكأني منتدب لدراسة

يعيشون حياة التنقل ، وكان فيهم قبائل تصل في رحلاتها الشتوية والصفية الى مناطق أرمينيا وقره باغ . وكما هو معروف ، فان القبائل المتنقلة تشكل دوما مصدرا للمحن والصعاب للحضريين . ولذلك فليس الأرمن وحدهم ، بل والأكراد الحضريون كذلك ، كانوا يعانون الكثير على ايدي الأكراد الرحالة . غير أن محنة الأرمن كانت قد اتخذت لها طابعا مختلفا نوعا ما لانهم كانوا يشكلون فريسة اسهل بالنسبة للقبائل الرحالة القوية الشكيمة ، مما جعل حياة الترحل لهذه القبائل عامل تدمير شديد بين الأرمن الذين غالبا ما كانوا يطالبون السلطة العثمانية والدول الأجنبية بالعمل من أجل وضع حد لها .

(٦٢) « كومهله شيعرى حاجى قادرى كويى » ، الص ٥١ .

الأوضاع الداخلية (للمنطقة - ك. م. ه.) « (٦٣) . ولذلك فقد استقبله الأرمن بحرارة وأخذوه الى أماكن عديدة .

كان للمسؤولين الثمانين اليد الطولى في نشر المخاوف بين الأكراد وفي تخريب العلاقات الكردية - الأرمنية ، فقد كان ذلك في مصلحة دولتهم ، ولذلك كانوا يسمون بكل وسيلة لاشعال نار الشقاق والخلاف بين الشعبين الجارين ، وكانوا يبادرون الى سد أي منفذ يمكن أن تهب منها رياح التقارب بينهما . فقد كانوا يخشون مثل هذا التقارب أكثر من أي شيء آخر ، خاصة وأنهم كانوا يطمون أن الرجال بعيدي النظر وذوي الأحاسيس الديمقراطية في الشعبين يقيمون مثل ذلك التقارب تقيما صحيحا ، رغم أن أمثال هؤلاء كانوا قلة . وما يروى أن الشيخ عبيدالله النهري قائد اتفاضة العام ١٨٨٠ رفض منذ البداية أن يعير أذنا صاغية لتحريضات الثمانين الهادفة الى اقامة مذبحه بين مسيحي ورمي حيث كانوا يريدون تحقيق مخططهم على يدي الشيخ المذكور (٦٤) . وكما كتب الدكتور أ. أستارچيان ، فان زعيم الداشناق التقى في أواسط التسعينيات من القرن الماضي بعبدالرحمن بدرخان في جنيف وتحدث معه حول توحيد مساعي الكرد والأرمن ، ونشر بدرخان مقالا باللغة الكردية وبالحروف العربية في جريدة « تروشاك »

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 83.

(٦٣)

B. Nikitine, Op. Cit., P. 189.

(٦٤) راجع :

من المهم ان نشر بهذا الصدد الى أن جريدة « كردستان » التي كان يصدرها البدرخانيون في الخارج اشارت الى هذا الموقف باعتزاز وأبدت أملها في أن يتحول الى نموذج يحتذيه احفاد الشيخ في تعاملهم مع الأرمن . كان هذا جزءا من حملة الجريدة ضد مذابح الأرمن ، وسنعود الى هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الفصل (راجع : « كردستان » ، فولكستون ، العدد ٢٧ ، ٢٢ ذي القعدة ١٣١٨ ، ١٤ آذار ١٩٠١) .

(الراية) لسان حال الداشناقين^(٦٥) ، وبذلت مساعٍ أخرى أيضا بعد ذلك ،
للتقريب بين الأكراد والأرمن ، كما سنتحدث عنها فيما بعد .

كان من الطبيعي أن يبدأ المسؤولون العثمانيون ببذل الجهود النشطة
للهيولة دون أن تثمر تلك المساعي الحميدة ، فأخذوا يشنون بدور
الشقاق والنزاع بين الأكراد والأرمن ويلهبون نار الخلاف من كل الجهات .
وكانوا في الوقت نفسه يخشون للغاية أن يدفع النضال الحازم والمادل الذي
كان يخوضه الأرمن ، جماهير الشعب الكردي أكثر فأكثر لتناضل هي
الأخرى في سبيل حقوقها ، وكان نضال الأرمن حقيقة تاريخية مطروحة على
بساط التطبيق . ورغم كل المخاطر التي تحدث عنها الحاج قادر في شعره
بشأن مستقبل الكرد وكردستان اذا قدر للمسألة الأرمنية أن تتكلم بالنجاح
والتي نبه الكرد من خلالها ، فانه يرى في الموضوع (أي في نضال الأرمن)
حقيقة مهمة يتنى أن تصبح مثالا للکرد وقدوة ، وها هو يقول :

« ومع ذلك فان للأرمن الحق .

انهم غياري ، أفرادا وجماعات . .

انهم ليسوا مثلنا ، فيقاتل بعضهم بعضا بالسيوف »^(٦٦) .

مثل هذه الأفكار كانت مطروحة قليلا أو كثيرا^(٦٧) ، وكانت تدفع

(٦٥) الدكتور ك. ا. استارچيان ، تاريخ الامة الارمنية ، الموصل ، ١٩٥١ ،
الصفحة ٣١٥ . من الجدير بالذكر أن جريدة « تروشاك » هذه نشرت في
حينه بعض الرسائل والمقالات المهمة للشخصية الوطنية الكردية الأستاذ
اسماعيل حقي شاويس (راجع : « التآخي » - صفحة الثقافة الكردية
١٥ - ، ١٢ كانون الثاني ١٩٧٤) .

(٦٦) « كومهله شيمرى حاجى قادرى كوى » ، الصفح ٥٤ .

(٦٧) كان مصطفى باشا ياملكي ، وهو أحد الضباط الكبار في الدولة العثمانية ،
بحث الأكراد في كتاباته بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وعودته الى

الحكام العثمانيين لبيدوا مزيدا من الجهد لتشويه سمعة الأرمن لدى الكرد
لثلا تصبح حركتهم القومية المعادلة قدوة لهم . فضلا عن ذلك كان
العثمانيون يدركون أنهم بذلك يرمون « عصفورين بحجرة واحدة » إذ
يضربون الحركة الأرمنية من جهة ويوجهون الحركة الكردية في مسار خاطيء
من جهة أخرى ، وهو ما كان يؤدي حتما الى أن يصيها الضعف والهزال .
ومن المفيد أن نشير هنا الى وثيقة تاريخية مهمة تلقي الضوء على مسائل كثيرة
بهذا الصدد . فقد تحدث القنصل الروسي العام في أرضروم آداموف في رسالة
رسمية له بعثها الى السفير الروسي في استانبول بشأن الأرمن ، عن العلاقات
الكردية - الأرمنية ، على لسان أحد زعماء الأرمن . كتب آداموف يقول :

« دعوت البطريرك اليّ للافطار ، وحاولت جره الى الحديث عن
العلاقات بين الكرد والأرمن . كان رأيي نيافته كما يلي : اذا كان
بين القبائل الكردية ، ولاسيما في ولاية بدليس ، من يعتبر عدوا
للأرمن ، فان الآخرين ينظرون الى الأرمن كأصدقاء ، وهم على
استعداد ليضعوا أيديهم في أيدي الأرمن . واليوم حيث تظهر في
صفوف الأكراد حركة ، فان الحكومة التركية التي تنظر منذ زمن
بعيد نظرة شك وريبة الى الصداقة الأرمنية - الكردية ، والتي
سعت على الدوام لتحريضها ضد بعضها ، تبذل جهودا خاصة
لتوجيه رأس رمح هذه الحركة ضد الأرمن » (٦٨) .

السليمانية على الاقتداء بالأرمن في النضال والاتحاد (راجع على سبيل
المثال : جريدة « بانك كردستان » (نداء كردستان) ، السليمانية ،
العدد ٣ ، ٢١ آب ١٩٢٢) .

(٦٨) مقتبس من :

((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 236 — 237.

وهكذا فإن قصر نظر الحركة القومية سواء لدى الأرمين أو لدى الكرد وتدخل الدول الكبرى ومساعي الدولة العثمانية لتخريب العلاقات - الكردية - الأرمنية وتضليل الكرد ، كل تلك لعبت دورها في اثاره قطاع من الأكراد ضد الأرمين . وبديهي أنه هنا أيضا تقع الجريمة الكبرى على عاتق تلك الجهة التي كانت تبذر حثيثا وعلى الدوام بذور الشقاق . ان كل تقييم دقيق لدور الكرد في مذابح الأرمين ، ينبغي أن يأخذ هذه الحقيقة التاريخية المهمة كذلك بنظر الاعتبار .



من كل ماسبق يبدو واضحا أن مذابح الأرمين وأحداثها الدامية كانت أعمق من أن تفسر بكونها حصيلة المشاعر العمياء للکرد أو نتيجة لتخلفهم . كانت القضية عبارة عن عمل ظم بدقه واشتركت في اعداده أطراف مختلفة ولدوافع كانت في الغالب متباينة . لم يكن بوسع الحكام العثمانيين أن يحلوا المشكلة الأرمنية ، وكانوا في الوقت نفسه يخشون أن تفلت أرمينيا من قبضتهم ، كما أفلت البلقان من قبل . تلك هي البؤرة الأساسية للمذابح التي صار قسم قليل من الشعب الكردي احدي الأدوات التي استخضمت في تنفيذها ، بل انه بالنسبة للمرحلة الأولى من هذه المذابح والتي سمى السلطان عبدالحميد وأعوانه كثيرا لالقاء المسؤولية عنها على عاتق الشعب الكردي ، هناك وثائق تاريخية تثبت بوضوح أن الباب العالي هو الذي ظمها وعلى عاتقه تقع مسؤولية أحداثها المفجعة . ففي بعض المناطق كانت المذبحة تبدأ على أيدي الجنود والجنדרمة وتنتهي على أيديهم ، فقد كلف ٣٠ ألف جندي ودركي في أورفه و ١٦٠٠ آخرون في عركير للقيام بآبادة الأرمين الموجودين فيها (٦٩) .

وتجلت الحقيقة نفسها في منابح الحرب الأولى بصورة أكثر سطوعا ، فقد زالت البراقع عن وجوه الجميع في ظروف الحرب وتكشفت على حقيقتها أمام الأقطار . فالدولة العثمانية التي كانت تحلم بالفوز في الحرب العالمية الأولى ، لم تكن تحسب حسابا للرأي العام الأوروبي . صحيح أن قسما من المسؤولين كانوا يحاولون اخفاء جرائم السلطة^(٧٠) ، إلا أن معظمهم كانوا يتباهون بها علنا . فضلا عن ذلك فهناك عدة وثائق مهمة سرية وعلنية تدلنا على جريمة السلطة ومسئوليتها من كل الوجوه . ومن الضروري القاء نظرة سريعة على بعض من هذه الوثائق ، لأن من شأن مضامينها تحديد أبعاد الاطار العام للقضية بشكل موضوعي مما يعطي المؤرخ امكانية أكبر لتحديد الموقع الحقيقي للأكراد ضمن ذلك الاطار .

نتقل في البداية برقية لوزير الداخلية طلعت باشا أرسلها الى والي حلب ، وقد جاء فيها مايلي بالنص :

« لقد أبلغتم من قبل أنه تقرر نهائيا ، حسب أوامر الجمعية^(٧١) ، إبادة الأرمن الذين يعيشون في تركيا ، والذين يقفون ضد هذا القرار (يقصد من المسؤولين - كهـ م) لايسمح البقاء في وظائفهم . ومهما تكن الاجراءات التي ستخذ شديدة وقاسية ، ينبغي وضع نهاية للأرمن . لاتلقوا بالا ، بأي

(٧٠) فمثلا كان التقاط الصور للجرائم المرتكبة ممنوعا في بعض المناطق . وكثيرا ما كانت تلك المآسي تخفى عن انظار الرأي العام في الخارج ولاسيما في البداية . ويتحدث فائز الفصين عما قيل من أن المسؤولين كانوا يكسون قتلى الأرمن الملابس الكردية ثم يلتقطون لهم الصور للإيهام بأن تلك الجرائم من صنع الأرمن (راجع : فائز الفصين ، المصدر السابق ، الص ٣٨ - ٣٩ . راجع كذلك :

((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 287 — 323 .

(٧١) يقصد « جمعية الاتحاد والترقي » .

صورة ، للعمر والوجدان والرجال والنساء» (٧٢) .

كان طلعت باشا يعرف جيدا ما يريد ، وكان ينفذ بدقة ما يقول . وها نحن ثبت صورة لبرقيتين آخرين له أرسلهما الى حاكم حلب (٧٣) :

يقول في برقيته الأولى :

علمنا أن عددا من الموظفين قد أحيلوا على المحكمة العسكرية بتهمة السلب والنهب واستعمال الشدة مع الشعب المعلوم (بديهي أنه يقصد الأرمن - ك.م) . من شأن اجراء كهذا ، حتى وان كان شكليا ، أن يؤدي الى تسيط عزائم الموظفين الآخرين . لذلك فاني أمر بعدم افساح المجال لهذه المحاكمات .

ويقول في برقيته الثانية :

« اذا أصبح السمع للشكاوى التي يقدمها أولئك (يقصد الأرمن - ك.م) حول شؤونهم الخاصة المختلفة، فان ذلك يؤدي لا الى تأخر تسفيرهم الى الصحارى وحسب ، بل ومن الممكن أن يؤدي الى ظهور سلسلة من الأعمال التي لا يستبعد أن تسبب في المستقبل في ظهور بعض المراقيل السياسية . وفي ضوء هذا ينبغي اصدار الأوامر اللازمة للموظفين» (٧٤) .

(٧٢) مقتبس من :

((The memories of Naim Bey. Turkish official documents relating to the deportations and massacres of Armenians)), London, 1921, P. 64.

(٧٣) كان الأرمن الذين يبعدون عن طريق حلب، يرسلون الى سوريا والعراق .

(٧٤) تجاوزت وحشية طلعت باشا ازاء الأرمن كل الحدود . وطبقا لما ورد في مقال نشرته « التايمس » اللندنية (في التاسع والعشرين من ايلول من العام ١٩١٥) فان طلعت باشا اغتتم فرصة هزيمة رفيقه أنور باشا

ومما يجدر ذكره أن مولان زاده رفعت وهو من كبار الاتحاديين قد اعترف بهذه الحقائق في ذلك القسم من مذكراته الذي نشره في حلب في العام ١٩٢٩ باللغة التركية فيبين كيف أن قادة الاتحاديين قرروا بعد اجتماعات

في القفقاس فاستغلها لضرب الأرمن الذين كان يريد أن يلقي مسؤولية تلك الهزيمة على عاتقهم . ومن الجدير بالذكر أن الثالثو المتحکم طلعت باشا ورفيقه أنور باشا وجمال باشا كاتوا ينظرون الى العرب والکرد أيضا بالمنظار نفسه . وبعد خسارة الحرب وانهيار الدولة العثمانية ، أقر طلعت باشا صراحة بفشل سياسة الاتحاديين من كل الوجوه . فلم يتجرأ الثالثو على مجابهة النعمة الشعبية التي أخذت بخناقهم ، فهربوا جميعا من البلاد . ولكن القدر شاء أن يلقي ثلاثتهم مصيرا متشابها جاء بمثابة جزاء عادل لما اقترفته أيديهم من جرائم وموبقات بحق الجميع وفي مقدمتهم الشعب الأرمني . فبالنسبة لرئيس الجمعية طلعت باشا كرس الطالب الأرمني تاليريان نفسه للبحث عنه حتى التقى به وجها لوجه في أحد شوارع برلين فأرداه قتيلا ، وذلك في الخامس عشر من آذار من العام ١٩٢١ . أما جمال باشا السفاح فقد التجأ بعد الحرب الى ألمانيا ثم سويسرا . ومنذ العام ١٩٢٠ صار مستشارا عسكريا للحكومة الأفغانية ، الا انه اغتيل في العام ١٩٢٢ على يد أحد أعضاء حزب « الداشناق » الأرمني وذلك أثناء ذهابه الى مدينة تبليس . وحاول المفامر الأول من بين زعماء الاتحاديين أنور باشا العودة من الأبواب الخلفية الى الحياة السياسية عندما أراد استغلال الظروف التي استجدت في آسيا الوسطى ومناطق ما وراء القفقاس السوفيتية من جراء تدخل جيوش الدول الاستعمارية في تلك البلاد . وبعد أن اشترك في مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في باكو في العام ١٩٢٠ ، بعد ان ادعى التأييد للكومينترن وقدم نفسه ممثلا لما أسماه بـ « اتحاد المنظمات الثورية في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وشبه الجزيرة العربية والهند » وتباهى بالاعتماد على « الفئات الاجتماعية الكادحة وعلى رأسها الطبقة الفلاحية » ، اغتيل الجلاد السابق و « التقدمي » اللاحق أنور باشا على يد قطعات من الجيش الأحمر ، وذلك بعد انضمامه الى الحركة المسلحة المتخلفة التي اندلمت في بعض جهات آسيا الوسطى بمساندة مباشرة من الإنكليز والأمريكان .

ودراسات خاصة إبادة الأرمن عن بكرة أبيهم . ويبدو مما نشره أن سارق قوت الشعب ، عضو اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي ورئيس « جمعية الأصناف » التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، قره كمال ، كان من بين أشد المتحمسين لخطة الإبادة هذه^(٧٥) . أما أنور باشا نفسه فقد صرح ، دون أدنى مواربة ، بأن « من الضروري » ازاحة « العنصر الأرمني » في الأمبراطورية العثمانية^(٧٦) .

ينبغي النظر الى مآسي الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى من هذه الزاوية . لقد كانت نوايا الحكومة واضحة وجلية . كان الجيش ورجال الإدارة يقومون ، طبقا لتلك الأوامر ، بما « ينبغي » القيام به . وبديهي أنه بدون اسهام أساسي من مدفعية الجيش لم يكن من الممكن إبادة مليون ونصف المليون بتلك السهولة . وعلى سبيل المثال فإتانا نورد مايلي : في بداية تموز من العام ١٩١٥ توجه ٢٠ ألف جندي مسلح ومعهم أحد عشر مدفعا من استانبول نحو مدينة موش . وفي العاشر من الشهر نفسه قصفت المدافع الأحد عشر محلات الأرمن ومناطق سكناتهم في المدينة المذكورة قسفا متواصل لعدة ساعات^(٧٧) . وقد كان بعض المسؤولين ، من أمثال متصرف موش ، يتباهون علنا وعلى الملا باسهامهم في تلك المذابح بكل فظاظة وغلظة^(٧٨) .

(٧٥)

Mevlan Zade Rifat, Türkiye inkilâbinin ic yîlzü, Halep, 1929, SS. 89 — 93.

(مقتبس من كتاب :

((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 362 — 366 .

G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 276.

(٧٦) راجع :

(٧٧) راجع :

((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 255, 280 — 282.

Ibid, PP. 279 — 280.

(٧٨)

فاذا نظرنا الى الموضوع من هذه الزاوية ، كما ذكرنا من قبل ، فهنا بكل سهولة وأدركنا أن قسما من الأكراد الذين أسهموا في تلك الحوادث ، انما تورطوا فيها بدفع من المسؤولين . وفي الامكان ايراد العديد من البراهين والوثائق من مصادر جد متنوعة لايفضح هذا الموضوع . صحيح أنه كان هناك أكراد بسطاء وفقراء يرغبون في الاشتراك في نهب الأرمن بدافع من وضعهم الاقتصادي المزري وبسبب من تخلفهم الكبير ، الا أن ذلك ما كان ليرضي المسؤولين . فهم كانوا يريدون من الأكراد قتل الأرمن أولا ومن ثم نهب أموالهم . « لقد أمرناهم (أي الأكراد - ك. م.) بآبادة الأرمن ، ولكنهم كانوا سباقين الى النهب أكثر منهم الى القتل » . هذا ماقاله أحد المسؤولين الكبار في مدينة موش ابان المذبحة الأولى (٧٩) . وكان هناك أكراد مغفلون يتصورون أنهم انما ينفذون أوامر السلطان والحكومة كواجب عليهم ، حتى انهم كانوا يصرحون بذلك لضحاياهم الأرمن في بعض الأحيان . وفي العديد من المرات لم يكن بوسع الفرسان الحميدية أو العشائر الموالية للسلطة أن يفعلوا شيئا لو لم تهب المدفعية والجيش لنجدتهم . وأسوأ من ذلك أن المسؤولين في العديد من المناطق كانوا يطلقون سراح السجناء الأكراد ومنهم لصوص وقتلة ويشترطون عليهم الاشتراك في المذابح الأرمنية ثمنا لحياتهم . لقد حدث مثل هذا العمل اللاأخلاقي في مختلف مراحل المذبحة (٨٠) . وكما يذكر الأستاذ عبدالعزيز ياملكي ، فان المسؤولين كانوا يجلبون سجناء من مناطق أخرى ويلبسونهم الزي الكردي ويرسلونهم أفواجا

Ibid, PP. 88 — 89, 126.

(٧٩)

(٨٠)

Ibid, PP. 122 — 123, 126, 184 — 185, 210, 227, 306, 309, 321, 488.

الى مدينتي أرضروم ودياربكر للاشتراك في عملية الابادة الجارية هناك (٨١) .
وخلال المذبحة الأولى أرسل المسؤولون جنودا بملابس كردية لأداء الدور
نفسه (٨٢) .

وبعد أن كان يجري تجميع السجناء والأشقياء والفرسان الحديدية ،
كان المسؤولون ينهضون فيهم محرضين اياهم بكل حماس على قتل الأرمن
ويطعون بعقولهم وأفكارهم ، ثم يطلقون أيديهم للبدء في ما رسم وخطط
لهم . بعض الأرمن الذين رأوا مثل هذه الحوادث بعيونهم ، كتبوا في رسالة
لهم مايلي : « كان المسؤولون يحيكون قبل المذابح وخلالها وبعدها بعض
الاتهامات ، فيوجهونها الى الأرمن ، وأكثر تلك الاتهامات كانت تهمة
العصيان والتمرد ، وذلك لايجاد مبرر ما للمذابح ولاثارة الجمهور أكثر فأكثر
ضدهم » (٨٣) .

يوجد دليل تاريخي مهم آخر على أن مذبحة الأرمن كانت أبعد بكثير
من أن تكون حصيلة الأحاسيس الدينية العمياء لدى الكرد ونتيجة لتخلفهم ،
ويرتبط هذا الدليل مباشرة بما كان للألمان من دور رجعي في ما وقع لاختوتهم
في الدين على أيدي حلفائهم المسلمين وعلى مرأى ومسمع من ضباطهم
وعملائهم المنتشرين في طول البلاد وعرضها . بديهي أن الألمان كانوا يفكرون
بموقفهم هذا في مصالحهم الخاصة قبل أي شيء آخر . انهم كانوا يطمون أن
الأرمن يعتمدون على روسيا (٨٤) وبريطانيا المعاديتين لألمانيا أكثر مما يعتمدون

(٨١) عبدالعزيز ياملكي ، المصدر السابق ، الص ٦٢ .

(٨٢) ((The Genocide of the Armenians ...)) , P. 38.

Ibid, P. 126. (٨٣)

(٨٤) كانت العلاقات الارمنية - الروسية التي تحكمت فيها عوامل مختلفة
سياسية وجغرافية واقتصادية ، تحفز الأوساط الألمانية الحاكمة ضد

عليهم ، كما كانوا يعلمون أن روسيا وبريطانيا تريدان التدخل مع فرنسا في شؤون الدولة العثمانية التي غدت في الواقع شبه مستعمرة ألمانية ، وذلك عن طريق المسألة الأرمنية . لقد كانت ألمانيا تعمل جاهدة من أجل أن تكون لها يد مباشرة في كل ما يتعلق بالمسألة الأرمنية ، ولجعل المسألة محصورة في إطار الأمبراطورية العثمانية نفسها . وقد أبدى الدبلوماسيون والصحفيون الألمان قبيل الحرب وفي بدايتها نشاطا ملحوظا في هذا الاتجاه ، حيث قاموا بحملة دعاية بين الأرمن لدفعهم الى حصر مطالبهم في الحكم اللامركزي وللتعاون مع الاتحاديين والابتعاد عن الروس ، حتى ان وكيل القنصل الألماني في الموصل هولشتين أرسل خصيصا الى مدينة وان حيث قضى ثلاثة أشهر بين الأرمن لهذا الغرض (٨٥) .

وتوجد بعض الدلائل المهمة التي تعود الى ما قبل المناجح الأرمنية في سنوات الحرب العالمية الأولى بوقت قريب ، تدين موقف ألمانيا وتوضح مخططاتها بشكل لابس فيه . ففي محاضرة لباول رورباخ (٨٦) ألقاها في أواخر العام ١٩١٣ في اجتماع مطلق ضم ضباط الأركان الألمان ، حدد هنا

الارمن اكثر فاكثر ، ولاسيما وانها كانت تخشى أن تتحول أرمينيا الغربية الى « مفتاح بيد روسيا للوصول الى آسيا الصغرى وميسر بوتاميا » (راجع : (A. S. Avetian, Op. Cit., P. 37).
(٨٥) راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., P. 38.

(٨٦) باول رورباخ Rohrbach واحد من الكتاب السياسيين البارزين الألمان . عبر في كتاباته عن طموحات ألمانيا العسكرية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، فقبل الحرب العالمية الأولى وفي سنواتها كان يدعو الى إعادة تقسيم المستعمرات البريطانية والفرنسية والروسية بشكل تصبغ لألمانيا حصة متناسب مع إمكاناتها الجديدة . وفي دعوته الى فرض السيادة الألمانية على العالم أولى مناطق الشرق الأوسط اهتماما خاصا وقد زار قسماً منها .

هكر الألماني سياسة بلاده تجاه المسألة الأرمنية بدقة . فقد ذكر بصراحة أن على ألمانيا أن لاتسمح باجراء اصلاحات جذرية في أرمينيا الغربية ، بل انه ذهب الى مدى أبعد من ذلك بكثير عندما أكد أن على بلاده أن تعمل من أجل تهجير الأرمين من مناطق سكناهم وتشجيعهم بوسائل مختلفة للاستيلاء على امتداد خط سكة حديد بغداد ومن ثم نقل عشائر من التتر والأتراك الى أرمينيا الغربية حتى يصبح بالإمكان ، حسب قوله ، إقامة حاجز فولاذي بوجه روسيا . ولقيت الفكرة استحسان الحاضرين ، وكان بينهم عدد من كبار العسكريين الألمان . وقد أكد رورباخ الفكرة نفسها في محاضرة أخرى له ألقاها في أواخر تشرين الثاني من العام ١٩١٣ أمام « الجمعية الألمانية الآسيوية » أشار فيها الى ضرورة بقاء أرمينيا الغربية داخل الإمبراطورية العثمانية لتوافق ذلك مع مصالح ألمانيا . وفي محاضرته الثانية هذه كشف عن نقطة مهمة للغاية بالنسبة لموضوع بحثنا من شأنها القاء ضوء كاشف على خفايا معينة في مسألة المناهج الأرمنية . فقد ذكر المحاضر أن أرمينيا الغربية تشكل ما أسماه « بؤرة فوضى في تركيا » « يحتاج اخمادها (وهذا هو المهم في الموضوع - ك.م.) الى استخدام الأكراد » . ثم أوضح رورباخ الأمر أكثر عندما أعلن بكل صراحة أن ألمانيا سوف لاتعارض في دفع الأكراد لضرب الأرمين (٨٧) .

وقد ترجم المسؤولون الألمان كل ذلك الى مواقف عملية في سنوات الحرب . فقد تضمنت المذكرة التي رفعها السفير الألماني الى الصدر الأعظم سعيد حليم باشا في ٤ حزيران من العام ١٩١٥ تأييد ألمانيا الكامل لما وصفته بإبعاد الأرمين عن شرقي الأناضول ، معتبرة مثل هذا العمل « وسيلة شرعية

للدفاع عن البلاد » . وردا على احتجاج ممثلي البلدان المحايدة ، أكد السفير أن بلاده « لاتنوي التدخل في الشؤون الداخلية لحليفها تركيا » (٨٨) . ان مثل هذه الحقائق وغيرها من الدلائل والوثائق دفعت المؤرخ الدكتور آفتيان للتأكيد على أن ألمانيا « اشتركت بشكل فعال ومباشر في ابادَة أرامنة الأمبراطورية العثمانية » (٨٩) .

وقد كان للألمان ، بالفعل ، يد في مذابح الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى . فقد كتبت جريدة التايمس اللندنية في عددها السابق الذكر (٩٠) أنه كان لعدد من القناصل الألمان يد في تحريض المسؤولين العثمانيين ضد الأرمن . وقد خصصت بالذكر بين هؤلاء القنصل الألماني في حلب . ويبدو أن ضباطا ألمانا كانوا في بعض المناطق ، ومنها أورفة ، مع الجيوش العثمانية التي كانت تضرب الأرمن دونما شفقة . وفي بعض المناطق الأخرى أفاد الجنود أنهم ينفذون أوامر السلطان وأمبراطور ألمانيا . وكان الأرمن أنفسهم يعتقدون أن ألمانيا تنظر اليهم بعين الحقد ، وأن لها يدا في تدمير مذابحهم وتشريدهم (٩١) .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء محاكمة تاليريان أمام احدى محاكم برلين بتهمة قتل طلعت باشا (٩٢) ، جرى الحديث عن دور ألمانيا في مذابح الأرمن .

(٨٨) مقتبس من : G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 277.

واقتبسها هو بدوره من الص ١١٥ من كتاب أرنولد توينبي :

((Nationality and the War)) , London, 1915.

A. S. Avetian, Op. Cit., P. 45. (٨٩)

(٩٠) راجع الهامش ٧٤ .

(٩١) فائز الفصين ، المصدر السابق ، الص ٢٩ - ٤٠ .

((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 316, 325, 340, 395.

(٩٢) راجع الهامش ٧٤ .

ولم تقتصر نتيجة المحاكمة على اقرار المحكمة بأن لتاليريان الحق في قتل طلعت باشا وأمرها باطلاق سراحه على هذا الأساس ، بل ان الحقائق التي أثيرت أمام المحكمة كان لها صدى كبير في الصحف الألمانية ، وعلى أساسها طالبت تلك الصحف بتحديد ما أسسته بالمسؤولية الأدبية للامبراطورية الألمانية السابقة نفسها في مذابح الأرمن (٩٣) .

وفي هذا المجال نرى من المناسب أن نتطرق بإيجاز الى موقف الرأي العام العالمي والدول الكبرى ازاء مذابح الأرمن . لقد ذكرنا أكثر من مرة أن الأرمن كانوا مضطرين تحت وطأة الاضطهاد العثماني الذي تعدى الحدود الى الاعتماد أكثر فأكثر على الدول الكبرى والاحتماء بها (٩٤) . ولكن هذه الدول كانت تنظر الى الأرمن والمسألة القومية الأرمنية من زاوية مصالحها الخاصة قبل أي اعتبار آخر ، فكانت تساندهم متى مارأت ذلك في صالحها . وكثيرا ما كانت تتغافل ازاءهم أو تنتصر لهم تحت تأثير الرأي العام ولكنها تحصر اهتمامها بهم في اطار الأقوال ، بعيدا عن أي عمل واقعي ، ذلك لأن الموقف الرسمي للدول الأوروبية تجاه القضية الأرمنية ارتبط كليا بأبعاد الصراع الدولي والخطط المتشعبة لتقرير مستقبل المنطقة بأسرها ، حتى ان انكلترا التي ارادت أن تظهر نفسها أكثر حرصا من غيرها في الدفاع عن حقوق الأرمن، كانت تخشى أن يؤثر فرض حل جذري لتلك المسألة على خططها هي بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط الأخرى ، بأن يتحول الأمر الى نموذج تحتذيته

(٩٣) راجع : V. Tarle, Op. Cit., PP. 392 — 393.

(٩٤) ذكر لي أحد الشيوخ الأرمن ان كل آمالهم كانت قد انحصرت في تلكم الأيام في رحمة الأوروبيين ، بحيث بلغ الامر حد أنه كلما كانت سفينة تابعة لاحدى الدول الكبرى تدخل احدى الموانئ العثمانية ، كان بسطاء الأرمن واطفالهم يهبون لاستقبالها سباحة . ولكن البحارة كثيرا ما كانوا يسخرون منهم ويصبون عليهم الماء الحار .

شعوب آسيا الصغرى وسوريا وشبه الجزيرة العربية ، في وقت كانت جهود السياسة البريطانية مكرسة لتحويلها الى مستعمرات تابعة لها . ويبدو مثل هذا التخوف البريطاني واضحا من مذكرة سرية للسير أدوارد جراي حول مشروع اصلاحي بصدد أرمينيا الغربية يعود تاريخها الى ما قبل الحرب بحوالي العام الواحد (٩٥) .

هنا يتبين لنا لماذا لم تتحرك الدول الأوروبية ابان مذابح السلطان عبدالحميد التي اقامها للأرمن ، الا مكرهة . ففي بلاد كفرنسا لم يرفع صوت الاحتجاج الا قر من أشد أنصار الحرية المعادين للنظام . وفي الوقت نفسه فان كثيرين كانوا يلهثون وراء ايجاد مبررات لسكوتهم وصمتهم ومواقفهم الاتهازية . ان أحسن تعبير عن ذلك الوضع هو مقاله الكاتب الفرنسي الكبير أناتول فرانس : « بما أن الغالبية تدير ظهرها ، عادة ، للمنكوب ، فان كثيرين استطاعوا أن يجدوا أساسا لادانة الضحايا » .

وعندما استيقظت أوروبا من سباتها العميق في سنوات الحرب ازاء ما جرى لـ « أكثر شعوب الشرق بؤسا وأقلها حظا » (٩٦) ، كانت المأساة قد تحولت الى جزء من ذكريات الماضي ، ولكنه حتى في ذلك الحين ، لم يتحرك الضمير الأوروبي الا لتوجيه اللوم للألمان بالأساس وفي اطار حرب الدعاية الدائرة بين الفرقاء المتحاربين . صحيح أن الرأي العام في أوروبا وبدرجة

(٩٥)

((British documents on the origins of the War. 1898 — 1914)),
Vol. X, Part I, London, 1936, PP. 501 — 502.

(A. S. Avetian, Op. Cit., P. 40.

: مقتبس من :

(٩٦) هكذا يصف المؤرخ المعروف كارل بروكلمان الارمن ، بحق (راجع : كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البلبكي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٥ ، الص ٧٥) .

أقل في الولايات المتحدة قد اتصر للأرمن ، الا أن ذلك الانتصار كان دون
دعاء مليون ونصف مليون انسان بريء ، ودون تشريد مئات الألوف من
الأطفال والمعزة - بكثير . لقد كان ، اذا جاز القول ، قطرة من الشهامة
والنبل وسط بحر من الدماء^(٩٧) .



في ضوء الحقائق التي أسلفنا ذكرها والمقارنات والدراسات التي قدمناها
حتى الآن نستطيع أن نؤكد تارة أخرى ، وبثقة ، أن قضية مذابح الأرمن
كانت أكبر وأعمق من أن تكون حصيلة الأحاسيس الدينية العمياء لدى الكرد
وتيجة تخلفهم . في هذا المقام ينقل المؤرخ المعروف أرنولد توينبي قولاً
صائباً للورد جيمس برايس ورد في خطاب له ألقاه في مجلس اللوردات
البريطاني ، جاء فيه : « لم تكن هذه (المذابح - كء مء) نتيجة فوران
غضب المسلمين ضد الأرمن المسيحيين ، بل كانت كلها متطابقة مع رغبات
الدولة . انها لم تكن نتيجة المشاعر الدينية العمياء ، انما كانت حصيلة أسباب
سياسية . كانت الدولة تريد أن تتخلص من الشعوب غير المسلمة لأنها كانت
عقبة في طريق وحدة عناصر الأمة ، وتؤلف عنصراً غير مستعد دوماً للسكوت
عن الظلم »^(٩٨) .

(٩٧) وقع الاستاذ محمد الملا عبدالكريم في خطأ اذ قال كان نضال الأمة الارمنية
« يساند بحرارة من قبل المناضلين في سبيل الحرية في العالم كله » .
(محمد الملا عبدالكريم ، المصدر السابق ، الص ٦٣) . [لاشك في ان
التعميم الذي اطلقته ، كان غير دقيق ، ومع ذلك فقد كنت أشير بذلك
الى مواقف كالتي اشار اليها المؤلف نفسه واشرت اليها أنا في هامش
كتابي من قبيل مقالات الاشتراكي الاممي الفرنسي جان جوريس مؤسس
جريدة الاومانيتيه - المترجم] .

(٩٨) مقتبس من : ((Genocide of the Armenians ...)) , P. 395.

ومع أن قسما فقط من الأكراد ، وليس الشعب الكردي نفسه كمشعب ، كان أحد الأدوات التي استخدمت لتنفيذ المذابح بين الأرمن^(٩٩) ، فإن هذه المذابح لعبت دورها السلبي في توتير صلات الشعبين الكردي والأرمني ببعضهما وفي تخريب علاقاتهما الأخوية . وقد استفاد من ذلك عدوهما المشترك ، بل ان هذه المذابح ظلت حتى بعد انتهائها ريحا تلهب نار الشقاق ، فجاءت في توافق كلي مع مصالح جميع الأطراف الطامعة والمستغلة .

لقد انعكس تعمق التوتر والشقاق بين الكرد والأرمن ، في مدى قصير، في أحداث عديدة يمكن لنماذج منها أن تعطي فكرة واضحة عن الموضوع . ففي العديد من المناطق بادر المتطوعون الأرمن الى إبادة السكان المسلمين دون استثناء ، بأمل تطهير أراضي الدولة الأرمنية المقبلة حسب تصورهم . لم تلب الرغبة الدفينة في الانتقام للدم الأرمني المراق ، بمثل هذا الأسلوب الخاطيء ، الدور الأخير في هذا بالطبع . فبمثل هذه الروحية تصرف المتطوعون الأرمن مع سكان قرى منطقة بايزيد التي احتلتها القوات الروسية ، حتى انهم لم يترددوا في قتل جميع أعضاء الوفد الكردي الذي جاء لاستقبال الروس^(١٠٠) . وقد تكرر مثل هذه الصورة في مناطق أخرى كثيرة . وبين الأحداث التي جرت في هذا الاطار ، لفتت المصادر الأوروبية الأظار الى

(٩٩) ورد في بعض المصادر العربية أن عددا من الضباط العرب وجدوا في السنة ١٩١٢ وثيقة مهمة هي رسالة من أحد قادة الاتحاديين الى ضابط كبير جاء فيها : « عرضوا العرب لرماس المدو واعملوا على التخلص منهم لأن قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لأنهم يلزمون لنا في بلاد الأرمن » وتقول هذه المصادر ان معظم الصحف العربية آنثذ نشرت هذه الرسالة (راجع : « ثورة العرب . مقدماتها ، أسبابها ، نتائجها » ، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية ، القاهرة ، ١٩١٦ ، الص ١٤٦ . وكذلك راجع : « مؤتمر الشهداء » ، بيروت ، الص ٤٥ .

(١٠٠) للتفصيل راجع : Kurd - Oghlu, Op. Cit., PP. 108 — 109.

اعمال الهدم والتقتيل التي جرت في رواندوز في سنوات الحرب أكثر من غيرها . ففي أوائل مايس من العام ١٩١٦ زحفت القوات الروسية بقيادة الجنرال جيورنزابوف نحو رواندوز تصحبها أربعة أفواج من المتطوعين الأرمن والنساطرة^(١٠١) وفي الثالث عشر من الشهر نفسه احتلت هذه القوات المدينة . كان الأرمن الذين تفيض قلوبهم حقداً وضعينة لما أصابهم من قبل ، يخون الثأر . فانطلقوا يفتكون أمام أنظار الجنود الروس بسكان رواندوز، حيث راح حوالي خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل كردي ضحايا . ويقال ان معظم هؤلاء لم يقتلوا بالرصاص ، انما ألقوا في نهر رواندوز أحياء . وبين حوالي ألفي منزل في المدينة لم يسلم أكثر من ٢٠ منزلاً من الهدم^(١٠٢) .

وفضلاً عما أصاب رواندوز ، فإن الخسائر التي لحقت الكرد خلال

(١.١) تطرقنا الى تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(١.٢) راجع :

K. Mason, Op. Cit., PP. 331, 335 ; ((League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq)), P. 42.

يبدو هذا الرقم كبيراً . فلا الأستاذ محمد امين زكي الذي تحدث عن خسائر الحرب الأولى ولا الأستاذ حسين حزني المكرياني الذي عاش بنفسه في رواندوز بعد الحرب وكتب عنها ، تحدثا عن هذا الرقم الكبير . ما هو شائع بين الاكراد هو ان كثرات من النسوة القين بانفسهن من عل الى اعماق الوادي خوفاً على اعراضهن . ويتحدث الأستاذ حسين حزني المكرياني عن الدمار الذي لحق بالمدينة ولكنه نسب ذلك الى الجيش الروسي الذي كان بصحبته بعض الأرمن والآثوريين الايرانيين (راجع : حسين حزني المكرياني ، المصدر السابق ، الص ٨٣ [في الاصل الكردي الص ١٠٢]) . كما ان الكابتن هاي الذي تولى ادارة هذه المنطقة بعد الحرب مباشرة والذي يتطرق في كتابه الى احتلال الروس والأرمن لرواندوز والى اعمالهم التي اثارت رد فعل قويا في مناطق كردية مختلفة ، لايشير الى هذا الرقم (راجع : W. R. Hay, Op. Cit., P. 192) .

المذابح هسها ، لم تكن أيضا قليلة . فائناء المذبحة الاولى وفي منطقة واحدة فقط ، قتل حوالي مئة كردي نتيجة الدفاع الباسل الذي أبداه الأرمن للنفود عن أنفسهم . وفي منطقة ديار بكر قتل من المسلمين بما فيهم الأكراد ١٩٥ شخصا . غير أن حوالي ٧٠ من هؤلاء قتلوا بأيدي رفاقهم نتيجة اختلافهم فيما بينهم على الأسلاب^(١٠٣) . وفي العام ١٨٩٧ شن الأرمن المسلحون هجوما كبيرا على قبيلة كردية وألحقوا بها أضرارا فادحة^(١٠٤) . وخلال المذبحة أيضا لحقت الأكراد أضرار من هذا النوع .

وقبل أن نهي هذا الموضوع الحيوي ، ينبغي أن نلقي نظرة على الجانب الآخر من الموضوع كذلك ، ذلك الجانب الذي لم يمر له ، مع الأسف ، ما يستحق من اهتمام ، رغم أنه لا يمكن تحديد موقع الكرد في المذابح الأرمنية بصورة كاملة ومحايدة ، دون توضيح هذا الجانب من المسألة أيضا .

صحيح أن تأريخ هذه المذابح ينطوي على صفحات قائمة السواد ، سلبية للغاية بالنسبة لبعض الأوساط الكردية ، وقد بيننا ذلك بوضوح ، الا أنها لا تفتقد كذلك صفحات ايجابية مشرقة مليئة بالمجد والفخار . فقبل كل شيء يجدر بنا أن نشير بصورة خاصة الى مواقف معينة مدركة وقتها قطاعات من القوى الوطنية الكردية البعيدة النظر ، التي حددت في وقت مبكر جوانب كثيرة من أسباب المذابح الأرمنية وأهدافها وقدرت بشكل صحيح نتائجها المتوقعة . لذا فإنها حاولت ، بأساليب متباينة وعلى مستويات مختلفة ، العمل من أجل الحيلولة دون تحويل الأكراد الى آلة لتنفيذ تلك المهمة غير المشرفة . فان جريدة « كردستان » التي كانت الصحيفة الوحيدة الناطقة

(١٠٣) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)) , P. 253.

(١٠٤) راجع : البروفيسور بول اميل ، المصدر السابق ، الص ٤٩ .

لسان الأوساط الكردية المناوئة للحكم العثماني المتخلف ، نشرت مقالات مفصلة كرستها للبحث عن العلاقات الأرمينية - الكردية ولفضح محاولات العثمانيين لاستغلال الكرد وتحريضهم ضد الأرمن ، متبعين في ذلك سياسة « فرق تسد » السيئة الصيت ، كما ذكرت الجريدة ، فان « الكرد مجبولون على الاحسان والكرم » وعليهم « أن يحافظوا على جيرانهم الأرمن » الذين « يمانون مثلهم من مظالم عبدالحيد »^(١٠٥) . واستشهدت « كردستان » بموقف الزعيم الكردي المعروف الشيخ عبيدالله النهري الذي رفض في سبعينيات القرن التاسع عشر أن يتحول الى آلة في مؤامرة استهدفت ضرب العناصر غير المسلمة في المنطقة^(١٠٦) . وحاولت الجريدة تحريك العاطفة الدينية للمواطنين الأكراد بقصد تنبيههم الى الأعباء الحكام الجديدة في هذا المجال، فأوردت أحاديث نبوية لتبين كيف أن أعمال هؤلاء الحكام وسياستهم ازاء الأرمن ، على طرفي نقيض مع التعاليم الاسلامية السمحة . وقد أدانت « كردستان » بعض رؤساء العشائر وقادة الفرسان الحميدية ، ذاكرة أسماءهم بصراحة ، لمواقفهم غير الودية نحو المسيحيين . وكانت انتقادات « كردستان » تتخذ في بعض الأحيان طابعا شديدا بل وقاسيا أيضا . ففي احدي افتتاحياتها كتبت الجريدة ما نصه : « انك أيها الكردي لم تكدر أحدا . ولكن المسؤولين هم الذين خدعوك فلطخوا اسمك وأسماء أجدادك بالسواد »^(١٠٧) .

وإذا كان هذا موقف جريدة « كردستان » ، فليس من الغريب أن نرى صاحبها عبدالرحمن بدرخان يدين ابنه بالذات ويتبرأ منه على رؤوس الأشهاد

(١٠٥) « كردستان » ، العدد ٢٦ ، ٢٢ رمضان ١٣١٨ ، ١٤ كانون الثاني ١٩٠١ .

(١٠٦) المصدر السابق ، العدد ٢٧ ، ٢٢ ذو القعدة ١٣١٨ ، ١٤ آذار ١٩٠١ .

(١٠٧) المصدر السابق .

بسبب موقفه من الأرمن الذين أعاروا نهج والده المشرف اهتماما خاصا ، فأبرزوه في مطبوعاتهم (١٠٨) .

واتخذ متنفذون أكراد آخرون مواقف قريبة من موقف عبدالرحمن بدرخان ، وان لم تكن في مستواه من حيث العمق والتفهم الصحيح لمعظم جوانب المشكلة . فقد نشر الجنرال شريف باشا (١٠٩) في العام ١٩١٤ مقالا في جريدة « المشروطية » أدان فيه سياسة الاتحاديين القومية ولاسيما ما يتعلق منها بمذابح الأرمن التي قيمها الكاتب كوسيلة لتشوية سمعة شعبه في نظر أوروبا (١١٠) . وسوف نمود الى عرض مواقف بعض الزعماء الكرد الآخرين فيما بعد .

وقد كان من الطبيعي أن يتخذ الناس البسطاء ، بفطرتهم ، مواقف مشرفة من ضحايا مخطط إبادة الأرمن ، مع أن سياسة الحكام حلت نطاق ذلك وحالت بأساليب شتى دون اتساع مداه . لقد ظلت الأكثرية

E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 63. (١٠٨) راجع :

لا يستبعد مثل هذا الموقف من عبدالرحمن بدرخان ، فان جميع الدلائل تشير الى أنه كان وطنيا مخلصا وسياسيا مدركا بعيد النظر ، أنتقل بين جنيف ولندن وفولكستون في سبيل اصدار الجريدة الكردية الوحيدة « كردستان » . كان على اتصال قريب بالقوى الوطنية التركية والمربية والارمنية . اشترك في المؤتمر الاول للاتحاديين الذي انعقد في باريس ، وانضم في اجتماعات المؤتمر الى الاقلية الراديكالية التي ادانت كل اشكال التدخل الأجنبي في شؤون الامبراطورية ورفضت تعاون جمعية «الاتحاد والترقي» مع الدول الأوروبية ونشر عن ذلك بحثا مفصلا في جريدته يعتبر من المصادر الاصلية النادرة في مجاله (راجع : « كردستان » ، العدد ٣١ ، جنيف ، ٦ محرم ١٣٢٠ ، ١٤ نيسان ١٩٠٢) .

(١٠٩) من الشخصيات الكردية البارزة ، تسنم وظائف عسكرية ودبلوماسية عديدة في العهد العثماني . مثل الاكراد في مؤتمر الصلح بباريس .

(١١٠) راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 215, 421.

الساحقة من الكرد بمعزل عما جرى خلال المذبحتين الأولى والثانية. والسبب الرئيس لاكتفائهم بهذا الموقف الذي يمكن وصفه بالمحايد ، انما يكمن في التهديدات التي كان يطلقها المسؤولون على نطاق واسع والى وعيدهم بأن أشد العقوبات تنتظر كل من يقدم على ابداء أقل مساعدة الى الأرمن المنكوبين . وفي أيام المذبحة الثالثة (أي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى) كانت السلطة تشر في مناطق عديدة بيانات مفادها أن « من يتجرأ على اخفاء طفل أو امرأة أو فتاة أرمنية في منزله ويعثر عليه (أو عليها) لديه ، فان هذا الشخص يعتبر أرمنيا وسيدفع رأسه ثمنا لذلك » وفي أماكن كثيرة كان الكردي الذي يجدون لديه أرمنيا ، يكره على أن يقتله بنفسه^(١١١) .

ورغم ذلك كله فان سكان العديد من المناطق عبروا عن استيائهم لما جرى بحق الأرمن من مذابح ، كما أنهم كانوا يمدون في مناطق أخرى يد المساندة الأخوية الى الأرمن المنكوبين وينقذون المئات والالوف منهم من الموت والمجاعة . وبهذا الصدد كتب الأكاديمي گردليفسكي يقول : « كان للأرمن في كل مكان أصدقاء بين الأكراد ينقذونهم عند الملمات من بين أيدي الترك . كان الأمر كذلك أثناء مذابح الأرمن في خواتيم القرن التاسع عشر . والآن (يقصد سنوات الحرب العالمية الأولى - لك . م .) فان الأمر كذلك أيضا ، فكثيرا ما أروني أكرادا أنقذوا أرامنة »^(١١٢) .

تتوفر وثائق وأدلة كثيرة من هذا النوع . ويبدو أن هذا بالذات هو

(١١١) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)) , P. 253.

(١١٢) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 122.

يذكر الكاتب نفسه ان الأرمن ساعدوا الأكراد في العديد من المناطق التي دخلها الجيش الروسي ودلوهم على الطريق المؤدي الى أماكن وجود الروس (المصدر السابق ، الص ١٥٣) .

ما حدا بكردي مثل الأستاذ عبدالعزيز ياملكي ليقول : « ان كان قد بقي في الأناضول أرامنة ، فهم الذين نجوا من سيوف الترك . وبدون أي مبالغة منا ، فان ثلاثة أرباع هؤلاء نجوا بمساعدة الكرد » (١١٣) . فلنعرض هنا ، أيضا ، بعض النماذج لهذا الجانب الحيوي من المسألة :

عرف ابراهيم باشا الملبى باخلاصه للسلطان عبدالحميد وكان له دور بارز في تشكيلات الفرسان الحميدية . ومع ذلك فقد اتخذ موقعا ايجابيا للغاية من الأرمن أثناء المرحلة الأولى من المذابح ، اذ تمكن من انقاذ حوالي عشرة آلاف أرمني (١١٤) . وأثناء مذبحه أودفه [التي جرت في اليومين الأخيرين من العام ١٨٩٤] لجأ حوالي ٢٥٠٠ شخص معظمهم من النسوة والأطفال الى كنيسة الأرمن ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى صب الغوغاء النفط على الكنيسة وأشعلوا فيها النار . لم ينج من هؤلاء الا حوالي ٥٠ شخصا ، وكان ذلك بمساعدة مصطفى آغا رجب وحيدر و خليل رجب . لقد أقتد هؤلاء الثلاثة ، عدا الخمسين شخصا الذين مر ذكرهم آتقا ، جميع الأرمن القاطنين في محلتهم وكثيرين غيرهم من الموت (١١٥) .

(١١٣) عبدالعزيز ياملكي ، كردستان وكرد اختلاللرى جلد ١ ، تهران ، ١٩٤٦ ،
الصفحة ٦٢ .

(١١٤) راجع : Mark Sykes, The Caliph's Last Heritage, P. 324.

كان ابراهيم باشا حسب ما يذكر مارك سايكس ، على علاقات ودية مع الأرمن والكلدان وقد شجعهم على النزوح الى منطقتهم حيث أسهموا في تطويرها (راجع كذلك : الدكتور أحمد عثمان ابوبكر ، المصدر السابق ، الصفحات ٣٨) . يقدر الاكاديمي كردليشكي عدد الذين انقدهم ابراهيم باشا بالمئات ويفسر ذلك بكون هؤلاء اساسا ازدهار « عاصمته » ويران شهر التي يصنفها ب « وليدته المحبوبة » .

(V. A. Grdlevcki, Op. Cit., Vol. III, P. 116).

(١١٥) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 100 — 101

في كتاب صدر باللغة الروسية في موسكو في العام ١٨٩٧ باسم « المساعدات الأخوية لأرامنة تركيا المنكوبين » لفت الانتباه بصورة خاصة الى مساعدات الكرد للأرمن ومواقفهم الأخوية تجاههم . فقد جاء في الكتاب المذكور أنه « كان هناك آغوات كثيرون أنقذوا العديد من الأرمن . لقد أنقذ محمود زاده بيت الله بيك الذي عرف برجولته وشهامته جميع سكان منطقة مكس من الموت . لم يكن أثناء المذبحة في منطقته ، ولكنه كان يعلم أن الأشقياء سيستغلون فرصة غيابه ويفتكون بالأرمن ، فعاد على جناح السرعة وجمع حوله ٤٠٠ فارس كردي شجاع وطارد رجال العشائر الكردية (يقصد الفرسان الحميدية - ك. م.) الذين كانوا يتجهون نحو مكس للاسهام في المعركة . ان هذا البيك قدم في العام الماضي (أي في العام ١٨٩٥ - ك. م.) ٣٠٠ ليرة كتبرع للأرمن ، فضلا عن المساعدات الأخرى التي قدمها لهم » (١١٦) .

في العديد من المناطق كان الأكراد يساعدون الأرمن على الهروب والاختفاء . وفي مناطق أخرى لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فقد انضم أكراد كثيرون بأسلحتهم الى الأرمن ونهضوا لمقاومة رجال الحكومة بقصد وضع حد للمذابح . لقد برز أكراد درسيم في هذا المجال بشكل خاص . فقد اتفصوا مرارا جنبا الى جنب مع الأرمن ، ولم يقصروا في مختلف مراحل المذبحة عن تقديم أي مساعدة ضرورية للمنكوبين منهم ، ولم يكونوا يتوجسون خيفة من الاتفاق مع زعماء الأرمن ، بل ان ضابطا كرديا يسمى مصطفى وفا انضم مع القوات التي كانت تحت امرته الى الروس للقتال ضد

العثمانيين ، وذلك تنفيذاً لاتفاق من هذا النوع (١١٧) . وهكذا آوى اكراد درسيم أكثر من خمسة آلاف أرمني وأتقذوهم من الموت . وقد اعترف الأرمن أنفسهم بمواقف اكراد درسيم الشهمة أكثر من مرة (١١٨) ، وان موقفاً مشابهاً من اكراد مكس أثناء مذابح العام ١٩١٥ ، جعلهم يتقاسمون الضحايا مع اخوانهم الأرمن (١١٩) .

أما الأكراد اليزيديون الذين لم يكونوا قد نالوا بدورهم من مظالم العثمانيين أقل مما ناله المسيحيون ، فقد ساندوا الأرمن بشاعر عميقة من التضامن وقدموا لهم ما كان بوسعهم تقديمه من معرفة . وعلى سبيل المثال فإثناء المذابح الأولى التجأ المئات من الأرمن عن طريق دير الزور الى اليزيديين الذين آووههم ولم يسلموهم الى السلطات رغم كل الضغوط التي تعرضوا لها (١٢٠) .

(١١٧) راجع :

Nuri Dersimi, Kurdistan tarininde Dersim, S. 112 — 114.

M. S. Lazarev, Kurdistan ... , PP. 57, 67, 68, 315. راجع :

(١١٩) أكد العالم الأرمني الكبير الأكاديمي أوربيللي هذه الحقيقة مرارا ، خاصة وأنه زار المنطقة بنفسه ووقف على آثار أحداثها عن كثب (للتفصيل راجع :

Дзбемян К.Н., Академик Иосиф Абгарович Орбелли, Москва, 1964, стр.33-34.

ل. ن. يوزباشيان ، الأكاديمي يوسف إيكاروفيج أوربيللي ، موسكو ، ١٩٦٤ ، الص ٣٣ - ٣٤ . راجع كذلك الهامش ٤٣ في الص ١٠٢ من الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(١٢٠) راجع :

Harry Charles Luke, Mosul and its Minorities, London, 1925, P. 129.

وفضلا عن ذلك كانت القوات الروسية ترى عندما تصل الى أي مكان في أرمينيا وكردستان ، عددا كبيرا من اللاجئين الأرمن لدى الأكراد . وقد ذكر أرامنة قرية (خاتسو) في رسالة خاصة كيف أن أكراد عشيرة محمد آغا تصدوا بالسلح للجنود والجندرمة العشائين ولم يسمحوا لهم بنقل الأرمن . وقد جاء في تلك الرسالة « انهم (أي أكراد عشيرة محمد آغا - ك . م) كانوا رغم معاناتهم من المجاعة ، يقسمون آخر كسرة خبز لديهم مناصفة مع الأرمن ، وكانوا يبيعون أمتعتهم الخاصة من أجل اطعام هؤلاء » (١٢١) .

وبعد انتهاء الحرب أيضا عثر على لاجئين أرمن في العديد من أنحاء كردستان . وبعد عقد هدنة مودروس بفترة قليلة ، زار مندوبون أكراد مثلي السلطات البريطانية في حلب ، حاملين اليهم رسالة خاصة بشأن الأرمن الذين آووهم ، وقد كتب هؤلاء في رسالتهم أنه : « في قرانا وخيامنا ٦٥٠ أرمينيا ، معظمهم من النساء والأطفال . وعند رفاقنا القاطنين في جوارنا أكثر من ٣٨٠٠ شخص . لقد أطعمناهم أربع سنوات ولسنا نرغب في أن يذهب الخبز الذي أطعمناهم اياه هدرا . ونعلم كذلك أن في خيام القبائل الصديقة أيضا ، والتي تقطن المناطق الشرقية ، على مسافة جد بعيدة عنا ، ٦٨٠٠ أرمني آخر يصعب علينا نحن الاتصال بهم » (١٢٢) . وقد أبدى أولئك الأكراد في رسالتهم تلك استعدادهم التام لابتداء أي مساعدة ضرورية للبحث عن الأرمن المشردين وتجميعهم . وقد اتخذ المئات من أمثال هؤلاء الأرمن كردستان العراقية والارياية ملاجئ لهم ضمنوا فيها حياتهم ومستقبلهم .

وما يجدر بالذكر أنه فضلا عن الأكراد ، قدمت الشعوب الأخرى

(١٢١) مقتبس من :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 310, 441.

E. H. Keeling, Op. Cit., P. 209.

(١٢٢) راجع :

القاطنة في المنطقة ، كذلك ، المساعدات للأرمن كل حسب ظروفه وبمقتدار ما كان في وسعه . وقد ورد اسم الجركس في عدة وثائق بهذا الصدد . كما كان رجال القبائل العريية في بعض المناطق يقدمون مختلف ضروب المساعدات للأرمن المنكوبين . وفي العديد من الحالات تعرض آكراد أو غيرهم الى شديد الأذى لأنهم ألقنوا أرامنة أو آوهم . وأي كردي توفرت المعلومات لدى السلطات عن أنه يؤيد الاتحاد أو التقارب بين الكرد والأرمن، كان يلقي القبض عليه فوراً ويساق الى المصير المجهول وتشرده عشيرته ورجاله (١٣٣) .

مثل هذا التضامن والعاون ، فضلا عن كونه صفحة جديرة بالاعتزاز ، لعب كذلك دوره المعلوم في التقارب الذي حصل فيما بعد بين الأرمن والكرد، والذي ظهرت بوادره بانهاء الحرب العالمية الأولى ، ولاسيما في تلك الاتفاقية التي عقدت بين بوغوص فوبار باشا ممثل الأرمن وشريف باشا ممثل الكرد في مؤتمر الصلح بباريس . ولأرشاك سافرستيان تطبيق قصير بهذا الشأن جاء تماما في موقعه . يقول سافرستيان :

« لقد دهش رجال الدبلوماسية والخبراء ومن بعدهم الصحفيون على اختلافهم ، من هذا الاتفاق الذي حصل بين الأرمن والكرد ، فقد مضى حوالي نصف قرن وهم يزعمون أن هذين الشعبين الجارين عدوان لبعضهما ، وأنهما لن يملاقط معاً » (١٣٤) .

وما دنا تحدثنا عن روح التضامن التي أبدتها بعض الشعوب المجاورة

(١٣٣) راجع : ك. ا. أستارچيان ، المصدر السابق ، الص ٣١٥ - ٣١٦ ؛
فائز الفصين ، المصدر السابق ، الص ٤٠ ، ٤٣ ؛

((The Genocide of the Armenians ...)) , PP. 176 — 177.

A. Safrastian, Op. Cit., P. 77.

(١٣٤) راجع :

للأرمن في محتتمهم ، فان من المهم أن نلاحظ أيضا بهذا الصدد أن بعض المفكرين والمتورين الأتراك بدأوا يفهمون قبل الحرب جوانب معينة من القضية الأرمنية ، بل والمسألة القومية داخل الأمبراطورية العثمانية على وجه العموم وأخذوا يدعون « الترك والکرد والأرمن لوضع برنامج وفاق أبدي بينهم » وطالبوا بالصفح عن أخطاء الماضي وبتفتح صفحة جديدة في العلاقات القائمة فيما بين شعوب الأمبراطورية^(١٢٥) . ومع أن هذا التوجه ، الجديد في مضمونه ، لم يستطع هضم جميع أبعاد المسألة القومية وتمقيداتها ، كما ينبغي ، الا أنه كان يشكل بعض التحول في تفكير أوساط بورجوازية تركية معينة وكان بالامكان تطويره لتجنب المآسي التي وقعت خلال سنوات الحرب العالمية الأولى التي لم تخل أيضا من أمثلة حية لمواقف ايجابية وقتها بعض القطاعات الجماهيرية وحتى أوساط رسمية مسؤولة تركية . ففي صيف العام ١٩١٥ احتج مواطنو مدينة أرضروم من الأتراك ضد موقف السلطة تجاه الأرمن . وفي طرابزون قامت عوائل تركية كثيرة باخفاء أعداد غير قليلة منهم وحمايتهم^(١٢٦) . وكان يظهر أحيانا مسؤولون يرفضون علانية تنفيذ

(١٢٥) راجع على سبيل المثال : جلال نوري ، تاريخ استقبال ، مسائل أساسية ، استانبول ، ١٣٣٢ ، الص ١٧٦ - ١٨١ . يعتبر هذا الرأي بمثابة تحول جزئي في آراء هذا المفكر التركي الذي ظل ، مع ذلك ، بعيداً عن فهم أبعاد المسألة القومية فهماً ديمقراطياً متكاملًا .

(١٢٦) راجع :

**Саркисян Б.К. , Экспансионистская политика
Османской империи в Закавказье накануне и
в годы первой мировой войны, Ереван, 1962,
стр.254.**

ي. ك. سركيسيان ، السياسة التوسعية للأمبراطورية العثمانية في ما وراء القفقاس قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها ، يريفان ، ١٩٦٢ ، الص ٢٥٤ .

أوامر السلطات العليا بشأن إبادة الأرمن أو يجدون مختلف المبررات لاتخاذ قسم منهم .

وهكذا فإن الأرمن لم يكونوا سوى ضحية قصر النظر لبعض الفئات الحاكمة وللأعياب الدول الكبرى وأطماعها التي تجسدت أكثر بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، كما نلاحظ بعض جوانب ذلك فيما يتعلق بالأرمن كذلك في الفصل القادم .



الفصل السادس

تجسيد الأطماع

كان السبب الرئيس لنشوب الحرب العالمية الأولى ، كما سبق أن قلنا ، مطامع الدول الكبرى الراغبة في إعادة توزيع العالم . كانت تلك الدول جميعها قد ركزت أقطارها على ممتلكات الإمبراطورية العثمانية منتظرة ، بلهفة ، الوقت المناسب للاستحواذ على تركتها . بل انه حتى ألمانيا الحليفة للدولة العثمانية ، لم تكن أقل اهتماماً من الدول الكبرى الأخرى بتلك الممتلكات، لذلك كانت هذه الدول مشغولة خلال سنوات الحرب بوضع الخطط وتدير المؤامرات ، فرادى وجماعات ، لتحقيق أغراضها التي سبق أن أدت الى اشتعال نيران الحرب . ومن الواضح أنه كان لكردستان ، بوصفها جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، مكان بارز في تلك الخطط .

كانت ألمانيا تطمح في الاستيلاء بمفردها على جميع ممتلكات الدولة العثمانية عن طريق التغلغل المباشر في جميع مرافقها الحيوية . أما الدول المعادية لها والتي كانت قد تكتلت جميعاً في جبهة واحدة فكان لكل منها خطتها المنسجمة آتشد مع المصالح الخاصة للأطراف الأخرى بشكل مختلف . كانت بريطانيا تريد الاستحواذ على ولاية الموصل ، الا أنها لم تكن ترغب في مجاورة روسيا والاحتكاك المباشر بها . وكافت روسيا تريد أن تأخذ لها

کردستان العثمانية كلها ان استطاعت الى ذلك سيلا . أما فرنسا فكانت تطمح في ولاية الموصل أيضاً فضلاً عن سوريا . هذه النوايا المختلفة أدت ، بالطبع ، الى حدوث تناقض خفي بين الدول المتحالفة التي واجهت مع أحداث الحرب مهمة ايجاد الحد الأدنى من الانسجام فيما بينها . ومن هذا يتبين لماذا لم يكن انشغال الدبلوماسيين البريطانيين والروس والفرنسيين والاطاليين داخل الأروقة ووراء الكواليس ، أقل من انشغال قوات بلادهم المحاربة في الخنادق والميادين طيلة سنوات القتال .

كان من الطبيعي أن يتخذ الصراع الدولي في سبيل الاستحواذ على المنطقة طابعاً جديداً فرضته ظروف الحرب وطبيعة العلاقات الجديدة بين الدول المتحاربة . فلأول مرة منذ ظهور « المسألة الشرقية »^(١) وجدت الأمبراطورية العثمانية نفسها خلال الحرب العالمية الأولى وجهاً لوجه أمام ألد أعدائها الطامعين في ممتلكاتها (روسيا وانكلترا وفرنسا) في جبهة موحدة ، بينما كان الصراع بين تلك الدول يشكل في السابق العلاج الوحيد تقريباً للحفاظ على حياة « الرجل المريض »^(٢) . ومن هنا كان الموت قد دنا من الأمبراطورية العثمانية أكثر من أي وقت مضى وذلك من جراء الشكل الجديد

(١) « المسألة الشرقية » - مصطلح مجازي يطلق على الأحداث التي رافقت صراعات الدول الكبرى من أجل اقتسام ممتلكات الأمبراطورية العثمانية ونمو النضال التحرري لشعوب تلك الأمبراطورية في فترة انحلالها (القرن الثامن عشر - بداية القرن العشرين) . استخدم لأول مرة في العام ١٨٢٢ .

(٢) « الرجل المريض » - مصطلح استخدمه لأول مرة القيصر الروسي نيقولا الأول (١٨٢٥ - ١٨٥٥) الذي أولى « المسألة الشرقية » جانباً كبيراً من اهتمامه . انتشر المصطلح على نطاق واسع لدلالته بشكل معبر على الواقع المتحلل للأمبراطورية العثمانية .

الذي اتخذه تناسب القوى على الصعيد الدولي^(٣) . وليس أدل على ذلك من أن بريطانيا التي كان يهتما استمرار روسيا في الحرب الى جانب الحلفاء بدأت تلمح الى القيصر الروسي ولأول مرة في التاريخ بشأن امكانية تحقيق طموحاته هو وأسلافه في المضائق وفي العاصمة العثمانية استانبول . فلم تمض على دخول الأمبراطورية العثمانية الحرب سوى فترة وجيزة حتى اتصل وزير الخارجية السير أدوارد غراي بالسفير الروسي في لندن بمدد هذا الموضوع بالذات . واتخذ الأمر طابع اتفاق سري ثلاثي بين الحلفاء بسرعة (مارت - نيسان من العام ١٩١٥) ، فقد تم تبادل مذكرتين سريتين بين الأطراف المعنية تضمنتا الاعتراف بـ « حق » روسيا في الاشراف على المضائق وعلى استانبول مع ضمان كاف لمصالح الحليفتين فرنسا وانكلترا^(٤) .

دشن هذا الاتفاق بداية التفاوض بين الحلفاء بشأن تقسيم الممتلكات العثمانية الآسيوية ، وهو أمر لم يخل من صعوبات كثيرة بالرغم من كل ما أوجدته الحرب من ظروف موآتية ، لذا فقد احتاج التوصل الى الاتفاق بين انكلترا وفرنسا حول تقسيم الشرق الأدنى الى حوالي سنة من المداولة والبحث المباشر لايجاد صيغة مقبولة تنسجم مع الصراع الخفي الذي ظل محتدماً بين الدولتين على مدى عقود طويلة .

بدأت المفاوضات السرية الجديدة بين انكلترا وفرنسا أولاً وذلك في

(٢) ظهرت البوادر مباشرة . ففي الخامس من تشرين الثاني من العام ١٩١٤ اتخذت انكلترا قراراً يقضي بقطع كل علاقة للدولة العثمانية بجزيرة قبرص ، وبعد حوالي شهر ونصف الشهر صدر في لندن قرار مشابه حول المصير القانوني لمصر ، بينما لم يكن من السهل قبل الحرب اتخاذ قرارات مماثلة بهذه البساطة ، رغم أنها لم تكن تمنى أكثر من مجرد اضافة صيغة قانونية على حقيقة واقعة .

(٤) للتفصيل راجع : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 49, 51 — 52.

خريف العام ١٩١٥ عندما قام مارك سايكس الانكليزي وجورج بيكو الفرنسي بوضع خطة لتقسيم الملكات العثمانية . وفي بداية العام التالي وصل سايكس وبيكو الى پيتروغراد حيث أجريا التعديلات الضرورية في خطتهما بالتعاون مع الممثلين الروس وفي ضوء المصالح المشتركة والخاصة للأطراف الثلاثة . وبعد أن نالا الموافقة المبدئية لوزارة الخارجية الروسية عادا الى لندن حيث تبودلت الوثائق الضرورية بين انكلترا وفرنسا والتي تنص على قبول خطة التقسيم في آيار من العام ١٩١٦ ، ثم أعطت روسيا في الأول من أيلول موافقتها النهائية على الخطة وبذلك تم إبرام واحدة من أخطر المعاهدات الاستعمارية في تاريخ الدبلوماسية السرية وهي التي دخلت التاريخ باسم معاهدة « سايكس - بيكو »^(٥) التي خصص القسم الأعظم منها لتحديد كيفية تقسيم البلاد العربية الداخلة في اطار الأبراطورية العثمانية .

احتلت كردستان في محادثات الحلفاء السرية مكانة ملموسة كانت تتفق مع الاهتمام الكبير الذي بدأت الدول الكبرى توليه اياها منذ زمن ليس بالقصير . جاء بحث مستقبل المنطقة الكردية العثمانية في رسالة سرية بثها سazanوف وزير خارجية روسيا في نيسان من العام ١٩١٦ الى السفير الفرنسي في پيتروغراد ، على النحو التالي :

« ١٠٠٠ - تأخذ روسيا لها مناطق أرضروم وطرابزون و وان وبدليس حتى الموقع الذي سيحدد فيما بعد غربي طرابزون على

(٥) تحمل المعاهدة بذلك اسم المفاوضين الانكليزي (مارك سايكس) والفرنسي (جورج بيكو) ، وكان كلاهما من ذوي الاطلاع الواسع على احوال شعوب الشرق الأوسط وبلدانه . كان الاول منهما يعرف الكرد عن كتب وكانت له صلات مع العديد من رؤساء العشائر الكردية (راجع الص ٣٨ - ٣٩ من الفصل الأول) .

ساحل البحر الأسود^(٦) .

٢- يجب أن تترك منطقة كردستان ، غربي وان وبدليس ، بين موش وسمرد ونهر دجلة وجزيرة ابن عمر وخط سلسلة الجبال المطلة على العمادية ومهرگه وهر لروسيا ، وهي (أي روسيا - كه م .) تعترف مقابل ذلك لفرنسا بالمناطق الواقعة بين آله داخ وقيصرية وخربوط «^(٧) .

لكن فرنسا كانت تطمع في أكثر من ذلك . فبالإضافة الى المناطق الكردية العثمانية التي كانت تمتد الى نقطة انتهاء منطقة النفوذ الروسي في جزيرة ابن عمر ، كانت الأوساط الحاكمة الفرنسية ترى من الضروري أن تمتد منطقة نفوذ بلادها هنا الى داخل الحدود الإيرانية بحيث تصل الى نواحي سردشت الكردية ، وهو ما اعتبره السير مارك سايكس أمراً وارداً على أساس أن منطقة النفوذ الفرنسي تتحول آنذاك الى وحدة حاجزة بين منطقتي النفوذ الروسي والنفوذ البريطاني^(٨) . وكانت فرنسا قد ضمنت لها

(٦) مع أن الغالبية العظمى من هذه المناطق (فيما عدا بدليس) كانت أرمنية، إلا أن نسبة كبيرة من سكانها ، خاصة في وان ، كانت من الأكراد ، كما أن مشاكلها كانت ترتبط بالمسألة الكردية بخيوط كثيرة .

(٧) راجع : V. Clüchnikov and A. Sabanin, Op. Cit., Vol. II, P. 42.

(٨) للتفصيل راجع :

"Север и Лозанна. Севрский Мирный Договор и Акты, подписанные в Лозане", под редакцией проф. D.В.Ключникова и проф. А.В.Сабанина, Москва, 1927, стр.У.

«سيفر ولوزان . معاهدة صلح سيفر والاتفاقات المبرمة في لوزان » ،
بإشراف البروفيسور يو . ف . كلوچنيكوف والبروفيسور أ . ف .

بموجب بنود معاهدة « سايكس - بيكو » نفسها جميع امتيازاتها السابقة في المناطق التي خصصت لروسيا^(٩) ، بما فيها المنطقة الكردية ، وبشكل خاص ما كان يتعلق منها بامتيازات السكك في تركيا والتي كان لها - أي لفرنسا - حصة الأسد منها .

ومن الجدير بالذكر أن روسيا وقفت في البداية ، بقوة ، ضد اعطاء أي جزء من المناطق الكردية لفرنسا ، فهي كانت تريد كل أرمينيا وکردستان العثمانيتين لنفسها دون منازع ، الا أنها وافقت أخيراً وبعد أخذ ورد طويلاً ومساومات وارضاعات كثيرة على القبول بادخال أصقاع كردية واسعة ضمن منطقة النفوذ الفرنسي .

أما بريطانيا فكانت تتطلع منذ زمن بعيد ، وكما هو معروف ، الى ولاية الموصل وتعمل في سبيل توطيد مواقع أقدامها فيها بشتى الأساليب ، وذلك ضمن خطتها الرامية الى السيطرة على جميع حقول النفط في الشرق الأوسط وكذلك على المنافذ الضرورية لنقل ذلك النفط عبرها . كما كانت تهكر بالدفاع نفسه في الاستحواذ على جزء من كردستان الإيرانية أيضاً طر:

سبانين ، موسكو ، ١٩٢٧ ، الص ٧ (في الهوامش القادمة :
((Sévres and Lausanne))).

(٩) راجع :

"История Дипломатии" , том второй (Дипломатия в Новое Время 1872-1919гг.) , Москва-Ленинград , 1945 , стр.287.

« تاريخ الدبلوماسية » ، المجلد الثاني (الدبلوماسية في العصر الحديث ١٨٧٢ - ١٩١٩) ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٥ ، الص ٢٨٧ . (في الهوامش القادمة : « تاريخ الدبلوماسية ») .

لأهميتها من هذه الناحية ، وكانت على استعداد ، في سبيل ذلك ، لتجاهل حقيقة أن ايران بقيت محايدة طيلة سنوات الحرب . اذاً ، فإن التخلي عن المناطق الكردية الجنوبية لم يكن مما يدور في خلد بريطانيا على الاطلاق . كل ما كان هنالك هو أنها كانت ترى من المصلحة تحقيق أهدافها بيد فرنسية دون الاحتكاك المباشر بالروس في مناطق نفوذهم ، وقد عبر المسؤولون الانكليز عن ذلك بجلاء أكثر من مرة بعد الحرب مباشرة^(١٠) .

ضمنت بريطانيا كل مصالحها الاقتصادية في ولاية الموصل ، بما فيها المناطق الكردية الداخلة ضمنها . فإثناء المحادثات التي جرت لصياغة مضمون معاهدة « سايكس - بيكو » وبعد التوقيع عليها ، اتصل السير أدوارد جراي عدة مرات بالسفير الفرنسي پول كامبون الى أن تم ضمان اعتراف فرنسا بكل ما لبريطانيا من « حقوق » في ولاية الموصل^(١١) والتي تقف في مقدمتها ، بالطبع ، المصالح النفطية . وقد أعلن پ. كامبون في وقت مبكر ، ودونما لف أو دوران ، « أن فرنسا مستعدة للاعتراف بجميع الامتيازات التي

(١٠) في الاجتماع الاخير لمؤتمر استانبول المكرس لمشكلة الموصل تحدث المندوب التركي فذكر « أن اصرار بريطانيا على عدم فصل الموصل من العراق يناقض اتفاقية « سايكس - بيكو » (١٩١٦) التي اعطت الموصل لفرنسا » . فأجاب السير بيرسي كوكس « أن تلك الاتفاقية عقدت بين بريطانيا العظمى وفرنسا عندما كانت روسيا حليفتهما ، وأن بريطانيا لم ترغب في مجاورة روسيا » (راجع : الدكتور فاضل حسين ، مشكلة الموصل . دراسة في الدبلوماسية التركية - العراقية - الانكليزية وفي الراي العام ، بغداد ، ١٩٥٥ . الص ٤٤) .

(١١) للتفصيل راجع :

V. Clüchnikov and A. Sabanin, Op. Cit., Vol. II, P. 42.

كانت لبريطانيا (في ولاية الموصل - ك. م.) قبل الحرب « (١٢) » .
أُتبع معاهدة « سايكس - بيكو » سلسلة مفاوضات واتفاقات أخرى
لم يكن منها بد لإيجاد الحد الأدنى المطلوب من التوافق بين المصالح
المتصارعة . فبالرغم من أن إيطاليا حصلت على بعض الضمانات بالنسبة
لمصالحها في آسيا الصغرى وذلك بموجب المعاهدة التي أبرمت بينها وبين
الحلفاء في نيسان من العام ١٩١٥ ، إلا أنها أبعدت عن الاشتراك في مفاوضات
« سايكس - بيكو » التي ظلت تجهلها أصلاً لفترة من الزمن . وما ان اطلعت
على أمر ابرام المعاهدة حتى قدمت احتجاجاً شديد اللهجة الى حلفائها مما
أسفر في النهاية عن انضمامها بدورها الى المعاهدة المعقودة وذلك في ١٩
تشرين الثاني من العام ١٩١٦ . وفي مطلع العام ١٩١٧ (قبيل ثورة شباط)
تم التوصل الى اتفاق سري آخر بين روسيا وفرنسا تمهدت الأولى بموجب
بنوده بتأييد مطالب الثانية في الألزاس واللورين وحوض السار وغيرها ،
ومقابل ذلك فقد تعهدت الحكومة الفرنسية مجدداً بتأييد أطماع روسيا في
استانبول والمضائق حسب ما تم التوصل الى الاتفاق بشأنها ، واعترفت بحرية
روسيا في تعيين حدودها الغربية حال انتهاء الحرب في صالح الحلفاء « (١٣) » .
ومن المفيد أن نشير في هذا المجال الى حادثة تاريخية ذات صلة مباشرة
بموضوعنا ، لم يسلط عليها الضوء في دراساتنا بعد . ففي كانون الأول من

(١٢) راجع :

Гофман К. , Нефтяная политика и англо-саксонский империализм, Москва, 1930, стр. 81

ك. كوفمان ، السياسة النفطية والاستعمار الانكلو - سكسوني ،
موسكو ، ١٩٣٠ ، الص ٨١ .

(١٣) راجع : « تاريخ الدبلوماسية » ، المجلد الثاني ، الص ٢٨٨ .

عام ١٩١٥ أخبرت الشخصية الأرمينية المعروفة زافريثف مسؤولا روسيا في تيوان بامكانية كسب جمال باشا الى جانب الحلفاء في حالة الاستجابة الى طلبه التي كانت تدور حول ١- ضمان الاستقلال التام للجزء الآسيوي من الإمبراطورية العثمانية ، الذي كان يجب أن يتألف - حسب خطته هو - من مجموعة اقلمة ذات حكم ذاتي تحت سيادة السلطان ، تضم سوريا وفلسطين وميسوبوتاميا وشبه الجزيرة العربية وأرمينيا وكيليكيا وكردستان. ٢- منح جمال باشا ، الذي أراد أن يصبح سلطانا مع التمتع بحق انتقال العرش الى ورثته ، المساعدات العسكرية والسياسية والمالية . ومقابل ذلك ظن يعارض جمال باشا بدوره في فصل استانبول والممرات المائية عن الدولة العثمانية الجديدة . وقد اعتبر وزير الخارجية الروسية سazanوف من الضروري التفاوض مع جمال باشا ، فاتصل في الحال بالحلفاء حول الموضوع ، الا أن مسؤولي انكلترا وفرنسا عارضوا ، بشدة ، الاقتراح ، الذي كان يؤدي في حالة تحقيقه الى حرمان بلدانهم من فرض سيطرتها المباشرة على مناطق الشرق الأوسط بالشكل الذي ورد في معاهدة « سايكس - بيكو » ، كما أنهم لم يتوقعوا النجاح لخطة جمال باشا الانقلابية . الا أن الموضوع أصبح على أي حال مدار بحث ومراسلات بين لندن وباريس وبيتروغراد^(١٤) وهو يشكل وجها آخر من أوجه المؤامرة الكبرى التي كانت خيوطها تحاك

(١٤) للتفصيل راجع :

Лазарев М.С. , Крушение турецкого господства на Арабском Востоке, Москва, 1960, стр. 128-129.

م. س. لازاريف ، زوال السيادة التركية على المشرق العربي ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ١٢٨ - ١٢٩ .

من وراء ظهر شعوب المنطقة وعلى حساب مصالحها الحيوية ومطامحها المشروعة .

وهكذا فإن الدول الكبرى أخذت تلمب ، كما يحلو لها ، بمصير الشعب الكردي ، شأنه شأن الشعبين العربي والأرمني ، وذلك من خلال معاهدة « سايكس - بيكو » وغيرها من الاتفاقيات والمفاوضات التي وضمت هذه المعاهدة بداية خلية لها ، مما كانت تمس في الوقت نفسه مصالح الشعب التركي في الصميم . ومع أن جميع المفاوضات وإبرام المعاهدة نفسه قد جرت في سرية تامة بحيث لم يطلع عليها ، كما ذكرنا ، حتى الحليفة الرابعة إيطاليا إلا في وقت لاحق ، فقد بدأ الاتحاديون ومعارضوهم والرأي العام التركي إلى حد ما يدركون ما يحاك لهم في الخفاء ، فارتفعت بعض الأصوات منادية بتدارك الأمر^(١٥) ، إلا أن ذلك جاء بعد فوات الأوان لأن الألمان تمكنوا خلال الأشهر الأولى للحرب من إحكام قبضتهم كلياً على جميع مرافق الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة العثمانية^(١٦) ، وكان سندهم الأمين أنور باشا يتمتع ، كما ذكرنا في حينه^(١٧) ، بنفوذ قوي داخل الحكم بحيث لم يكن من السهل التصرف ، مع وجوده ، باتجاه معاكس لما تقتضيه المصالح الألمانية^(١٨) . أما الشعوب الأخرى الداخلة ضمن الإمبراطورية فإنها لم تكن

(١٥) كان مصطفى كمال واحداً من أبرز الذين رفعوا صوت المعارضة ، وقد جرت محاولات لتنظيم انقلاب عسكري ضد الثالثو الدكتاتوري .

(١٦) بلغ الأمر بالألمان حد أنهم فرضوا سيطرتهم المباشرة حتى على الرقابة العسكرية العثمانية ، وأنهم وسعوا من صلاحياتها بحيث كان من الواجب أن تعرض عليها فرمانات السلطان وفتاوى شيخ الإسلام قبل إصدارها .

(١٧) راجع الص ١٣٦ - ١٣٧ من الفصل الثالث .

(١٨) لم يكن عبثاً أن بدأ المسؤولون الألمان يطلقون على تركيا ، بل وعلى كل الإمبراطورية العثمانية اسم (Enverland أنور لاند) أي بلاد أنور .

تصور أن الحلفاء يلتجأون الى مثل ذلك الأسلوب من العمل ، خاصة وأنها كانت واقعة ، بشكل أو بآخر ، تحت تأثير دعايتهم الواسعة ، كما أن الحلفاء كانوا يتقربون ، على صعيد آخر ، من زعماء تلك الشعوب ويعقدون الاتفاقات مع بعضهم بشأن ضمان الاستقلال لبلدانهم حال انتهاء الحرب ، كما تجسد ذلك بشكل واضح في اتفاقية حسين - مكماهون المعروفة .

وقبل أن تنتهي الحرب ظهر عنصر مهم جديد على المسرح ارتبط بانتصار ثورة أكتوبر في روسيا والذي ترك آثاراً في أشكال مختلفة على المخططات السرية التي وضعتها الدول الكبرى في سنوات الحرب . فقبل كل شيء انسحبت الدولة الجديدة من اللعبة وتخلت عن جميع المعاهدات والاتفاقات السرية والعلنية التي عقدها النظام السابق ، وسحبت في الوقت نفسه القوات الروسية من ميادين القتال تاركة كل مكان دخلته^(١٩) . وقد أدى ذلك كله الى حدوث تغير أساسي في موازين القوى وبشكل كان يؤثر بالضرورة على طبيعة العلاقات الدولية التي ظممتها سلسلة المعاهدات والاتفاقات السرية السابقة . فقد زالت مخاوف انكلترا القديمة عن مجاورة روسيا ، بل غدت ترد ، على العكس ، الوصول مباشرة ، ان أمكن ، الى أقرب نقطة من حدود الدولة الجديدة التي جاء مكن الخطر منها في شكل نظامها ومن البديهي أن تزداد أهمية كردستان لدى الانكليز بالنسبة ذاتها في هذه الظروف الجديدة فأخذت القوات البريطانية في جنوبي العراق تستعد وتسمى لاحتلال أكبر

بينما كان مصطفى كمال ينعت انور و غيره من القادة الاتحاديين بنعوت معاكسة ذات مضامين عميقة (راجع :

H. C. Armstrong, Op. Cit., P. 38; A. F. Miller, Op. Cit., P. 62).

(١٩) تستثنى من ذلك بعض الوحدات التي اتخذت موقفاً معادياً من الثورة .

مساحة ممكنة من المناطق الكردية قبل أن تضع الحرب أوزارها (٢٠) . والى جانب ذلك أرسل الانكليز لفيماً من أنشط رجالهم الى كردستان وأرمينيا وهو ما نعود الى تفاصيله فيما بعد .

ومن الأدلة التاريخية المهمة بصدد هذا التحول ، الى جانب ما لاحظناه من واقع ملموس في السنة الأخيرة من الحرب ، تصريح أدلى به في حينه السير ونستن چرچل ، ووقائع ذات دلالات واضحة شهدت المنطقة ومماهدات الصلح بعد انتهاء الحرب مباشرة . فقد قال وزير التموين الحربي البريطاني معلقاً على الاتفاقية التي تم التوصل اليها بين بلاده وفرنسا حول تقسيم ما سمي بـ « مناطق العمل » في روسيا بينهما :

« ... حدد مجال النشاط الفرنسي في المنطقة الممتدة الى الشمال من البحر الأسود ... أما المجال الانكليزي فالى الشرق منه ... وهكذا ، وكما هو مبين في البند الثالث من الاتفاقية ، كان من المقرر أن تشتمل المنطقة الفرنسية على يساراييا و أوكرانيا والقرم ، أما المنطقة الانكليزية فقد كان من المقرر أن تشتمل على مناطق القوزاق والقفقاس وأرمينيا وجورجيا وكردستان » (٢١) .

(٢٠) تطرقنا الى ذلك بالتفصيل ضمن الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٢١) راجع :

Winston S. Churchill, The Great War, Vol. III, London, 1934, pp. 1394 — 1395.

تم التوقيع على هذه الاتفاقية في باريس على أرفع مستوى ، فقد وقمها عن الجانب الفرنسي رئيس الوزراء كليمنصو ووزير الخارجية بيثون وقائد الجيش الفرنسي (فيما بعد القائد العام لقوات الحلفاء في الجبهة الغربية) فوش ، وعن الجانب الانكليزي وزير الحربية اللورد ألفريد ميلنر وعن الخارجية الوزير اللورد روبرت سيسيل والممثلون العسكريون

ارتبط اسم الكرد بمخططات من نوع آخر ظهرت في سنوات الحرب كذلك . فرؤساء الأرمن كانوا قد أدركوا أنه في ظروف كالتى تميئش فيها المنطقة يرتبط حل المسألة القومية لشعبهم بالمسألة القومية للشعب الكردي الجار ، الى حد كبير . وكانت الدول الكبرى قد أدركت بدورها هذه الحقيقة وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الى أن تنعكس قضية مستقبل الكرد في الخطط السياسية الأرمنية كذلك . وعلى سبيل المثال فان الخطة التي قدمها بوغوص نوبار باشا ، زعيم الأرمن ، في حزيران من العام ١٩١٥ الى وزير الخارجية الفرنسية تضمنت ذكر الكرد أيضاً . فقد اقترح الزعيم الأرمني في مذكرته اقرار الحكم الذاتي للأكراد شرطاً أن يكون تحت اشراف مباشر لاحدى الدول العليفة أو جميعها^(٢٢) . ولكن الدول الكبرى لم تكن تعير آتئذ أهمية تذكر لئىل تلك المخططات وغيرها لأنها بتعبيرها عن مصالح معينة لشعوب المنطقة كانت تتناقض مع ما تم الاتفاق بشأنه في المعاهدات والاتفاقات السرية التي أثرت بحكم طابعها الاستعماري على مستقبل جميع شعوب الأمبراطورية العثمانية ، بما فيها الشعب الكردي الذي تأثر ، « تقدمه الاجتماعي - الاقتصادي والثقافي والسياسي » بتلك المعاهدات والاتفاقات

البريطانيون في فرنسا . وفي معرض التعليق على الاحداث المتعلقة بهذه الاتفاكية الانكلو - فرنسية يذكر جرچل حقيقة مهمة تدل على واقع الظروف الجديدة في المنطقة و « الفراغ » الذي بدأت تشهده . فهو يقول بلغت القوات البريطانية في المنطقة المخصصة لنشاطاتها والتي يصفها ب « اكبر خط ستراتيجي في العالم » ، حوالي ٢٠ ألف رجل في اواخر كانون الثاني من العام ١٩١٩ . ويضيف انه بالامكان بفضل « هذا الدرع » - كما يسميه - « منع هجمات البلاشفة سواء على تركيا ... أو كردستان أو ايران ... » (Ibid, P. 1395) .

(٢٢) للتفصيل راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 335, 448.

بشكل ملموس كما يقول الدكتور لازاريف (٢٣) .

غير أن الكشف عن مضامين المعاهدات والاتفاقات السرية تحول من جانب آخر الى عنصر مهم في تجسيد أطماع الدول الكبرى أمام أقطار شعوب المنطقة ما أدى الى تنبيهها وشحذ وعيها . ففي الثامن من تشرين الثاني من العام ١٩١٧ أعلنت السلطة السوفيتية في روسيا اداتها للدبلوماسية السرية الاستعمارية وتعهدت بنشر ما يتوفر لديها من نصوص المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين الدول الكبرى في هذا المجال بأسرع ما يمكن . وقد شكلت بالفعل لجنة خاصة لحل رموز العديد من تلك المعاهدات ، وبعد حوالي ستة أسابيع من العمل المتواصل تم اعداد سبع مجموعات من الوثائق السرية نشرت في البداية على صفحات الجرائد اليومية . وقد ضمت احدي تلك المجموعات بنود معاهدة «سايبكس - بيكو» وكل ما كان يتعلق بها من اتصالات وتبادل وثائق ومراسلات مع عدد آخر من الاتفاقيات التي تخص أيضاً أقطار المنطقة ، ومنها الاتفاقية الروسية الانكليزية للعام ١٩٠٧ بشأن تقسيم ايران ، التي كانت المناطق الكردية الايرانية تدخل بموجبها ضمن منطقتي نفوذ الدولتين (٢٤) .

كان من الطبيعي أن يحدث هذا الأمر ضجة كبرى على الصعيد العالمي ، انتقلت آثارها الى أقطار الشرقين الأدنى والأوسط بصور وأشكال مختلفة . فقد بادرت صحف البلدان المحايدة الى اعادة نشر نصوص المعاهدات السرية ، وسرعان ما قامت صحافة الدول المتحاربة بالعمل نفسه . بل اضطر وزير

M. S. Lazarev, Kurdistan ... , P. 346. (٢٣)

(٢٤) بلغ مجموع المعاهدات والاتفاقيات السرية التي نشرت أكثر من ١٠٠ معاهدة واتفاقية ، الى جانب عدد كبير من الوثائق والمراسلات الدبلوماسية السرية التي كان قسم منها يعود الى أواخر القرن الماضي (للتفصيل راجع : « تاريخ الدبلوماسية » ، المجلد الثاني ، الص ٢٠٥ - ٢٠٦) .

الغارجية الفرنسي الى تقديم ايضاح حول الموضوع أمام البرلمان . وهكذا سقطت فجأة أقنعة خفية وظهرت الوجوه على حقيقتها مما أحدث رد فعل كبيراً ولاسيما في البلاد العربية ، ذلك لأن اذاعة نصوص تلك المعاهدات « أثبتت » كما يقول المؤرخ المصري المعروف أمين سعيد « خيانة الانكليز للعرب » وبينت « كيف أنهم يمكرون بهم »^(٢٥) . فأصرع الشريف حسين الذي ، لم يكن يعرف ، كما يقول عنه أمين سعيد نفسه ، شيئاً عن أمر المعاهدات المنشورة والذي كان « لسوء الحظ ما يزال يثق بالانكليز ويثق باخلاصهم ومودتهم » يستمر منهم عن حقيقتها^(٢٦) وفي أواخر العام ١٩١٧ قام زعيم مسلمي الهند محمد علي جناح بزيارة خاصة الى لندن يقصد منها ابلاغ رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج احتجاجه « باسم ٧٠ مليون مسلم هندي » على مخططات الحلفاء لابعاد الأتراك من استانبول^(٢٧) .

لم يبلغ رد الفعل المباشر بين الأكراد مثل هذا المستوى من الادراك ، وهو ما يعكس واقع تخلف الوعي لدى القوى السياسية الكردية آنذاك . الا أن الأمر تحول، مع ذلك، فيما بعد الى عامل مساعد للكشف عن نوايا المستعمرين أمام أقطار الأكراد أيضاً ، وبشكل خاص بين المثقفين منهم^(٢٨) . ويجب أن لا ننسى كذلك حقيقة أن السياسة القومية للعثمانيين جعلت من الكرد والأرمن والآثوريين بشكل خاص ، بل وحتى من قسم غير قليل من العرب ، غير قادرين

(٢٥) أمين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، بلا ، الص . ٥٠ .

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) راجع : ((Sévres and Lausanne)) , P. VIII.

(٢٨) أشار العديد من السياسيين والكتاب الاكراد ، وبشكل خاص الصحافة التقدمية الكردية ، فيما بعد ، الى طبيعة معاهدة « سايكس - بيكو » وغيرها من المعاهدات والاتفاقيات الاستعمارية .

على تقييم جميع الأبعاد الخطيرة للمخططات الاستعمارية كما ينبغي ، بحيث يعيرونها ما تستحق من اهتمام . ولم تلعب الدعاية الماكسة للدول الغربية الدور الأخير في ذلك . فقد حاول المسؤولون الغربيون تصوير الأمر وكأنه مجرد « لعبة بلشفية » تبني « افساد العلاقات بين العرب والحلفاء » كما ورد في كتاب رسمي بعثته وزارة الخارجية البريطانية عن طريق القاهرة الى الشريف حسين رداً على استفساره السالف الذكر^(٢٩) . وقد صدق العديد من ساسة المنطقة هذه الفرية ، ومنهم الأمير فيصل الذي ظل يعتقد بصحة أسطورة « اللعبة » الى أن بين له صديقه الحميم لورانس المشهور حقيقة الأمر .

تحول الكشف عن المعاهدات السرية الى عامل محرك من نوع جديد في حرب الدعاية للطرفين المتحاربين ، ولاسيما بالنسبة للحلفاء الذين بدأ زعماءهم يدلون بتصريحات تختلف في طابعها الى حد ما عن تصريحاتهم السابقة وتناقض كلياً مضامين اتفاقاتهم ودبلوماسيتهم السرية التي لم يتخلوا عنها نهائياً . ففي الخامس من كانون الثاني ١٩١٨ ألقى لويد جورج خطاباً أمام ممثلي النقابات العمالية ظل صدها يتردد في المحافل الدولية والأوساط السياسية وبأشكال مختلفة على مدى سنين طوال^(٣٠) . وقد أكد المسؤول البريطاني الكبير في خطابه أن اشتراك بلاده في الحرب الدائرة جاء « للدفاع عن النفس » وعن « حق الشعوب » و « الشرائع الدولية » ، وطالب بإقامة « نظام ديمقراطي دستوري حقيقي » في ألمانيا واعتبر إعادة المستعمرات الى

(٢٩) راجع : أمين سعيد ، المصدر السابق ، الص ٥٠ .

(٣٠) للاطلاع على نص الخطاب راجع :

((War memories of David Lloyd George)) , Vol. V, London, 1936, PP. 2515 — 2527.

هذه الاخيرة مناقضاً « لجميع مبادئ حق تقرير المصير » التي « تتلشى
بنلك في مهب ريح خفيفة » . وعند الكلام عن تلك المستعمرات أشار رئيس
الوزارة البريطانية الى ضرورة اقامة ادارة « تراعي رغبات شعوبها » وعارض
حتى استغلال رأسماليي أوروبا وحكوماتها لها في المستقبل . وعلى نفس
النوال تكلم لويد جورج عن ضرورة « الاعتراف بالظروف القومية الخاصة »
لكل من « شبه الجزيرة وأرمينيا وميسوپوتاميا وسوريا » .

ولم تمض سوى ثلاثة أيام على خطاب لويد جورج حتى أعلن الرئيس
ولسن عن بنوده الأربعة عشر الذائعة الصيت أمام الكونغريس الأمريكي ،
ثم أتبعها بأربعة بنود ثم بخمسة أخرى توضيحية^(٢١) .

طرق الرئيس ولسن في بنوده الى قضايا دولية خطيرة كالحرب والسلام
والدبلوماسية السرية وحرية التجارة الدولية و « تقليص التسلح القومي الى
الحد الأدنى » والوضع في روسيا السوفيتية وغير ذلك . وما يهنا هنا هو
مضمون البندين الخامس والثاني عشر من بنوده . ففي البند الخامس دعا
الرئيس ولسن الى « حل حر و صريح ومنصف بشكل مطلق لجميع المنازعات
الخاصة بالمستعمرات ، يستند الى التمسك الجدي بمبدأ يقضي بأنه في حالة
حل جميع القضايا المتعلقة بالسيادة ، فان مصالح سكان المستعمرات المعنية
تمتع بنفس وزن الطموحات المشروعة للحكومة التي تحدد حقوقها » . أما
البند الثاني عشر فقد خصص للإمبراطورية العثمانية ونص على ما يلي :

(٢١) للاطلاع على نص البنود الأربعة عشر والبنود التوضيحية راجع :
((A history of the Peace Conference of Paris)) , Edited by H.
W. Temperley, Vol. I, Oxford, 1969, PP. 129 — 194, 433; C. E.
Black and E. C. Helmreich, Twentieth Century Europe, New
York, 1950, PP. 839 — 841.

« يجب ضمان سيادة أكيدة للأجزاء التركية من الإمبراطورية العثمانية الحالية ، أما القوميات الأخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي فيجب أن يضمن لها اطمئنان على الحياة لا شك فيه ، وفرصة مطلقة مصونة لتطوير الاستقلال الذاتي^(٣٢) ، والدردنيل يجب فتحه بصورة دائمة وبضمانات دولية أمام بواخر جميع الشعوب وتجارتها » .

قام الحلفاء في المرحلة الأخيرة من الحرب بدعاية واسعة لتصريحاتهم ووعودهم الكثيرة لأنهم وجئوا ، كما يذكر لويد جورج بالنص ، « أن بالإمكان نفس قدرات العدو عن طريق استغلال تدمير الأمم الخاضعة له » . وعلى سبيل المثال يقول : « فإن مئات السنين من النير جعلت عيش العرب تحت حكم الترك أمراً مستحيلاً » ، فحرك الحلفاء مثل هذه الأمم متمهدين بـ « منحها الاستقلال لقاء ذلك »^(٣٣) . وقد أوضح رئيس الوزارة البريطانية الأمر نفسه بشكل أشمل في مذكراته عندما اعترف بان « دعاية الجانبين في هذه الحرب (يقصد الحرب العالمية الأولى - ك.م) لعبت دوراً أكبر من أي وقت مضى » . ومثل لذلك قائلاً « أستطيع على الأقل ايراد التصريحات العلنية للحلفاء عن نواياهم حول تحرير الشعوب المضطهدة الرازحة تحت سيطرة الإمبراطوريات المادية تركيا وألمانيا والنمسا وحول منحها حق تقرير المصير . كانت هذه التصريحات تستهدف اعطاء انطباع معين لا في بلدان الحلفاء فحسب بل وفي البلدان المحايدة كذلك ، وبصورة خاصة في معسكر

(٣٢) في النص :

((... absolutely unmolested opportunity of autonomous development)) .

(٣٣)

David Lloyd George, The truth about Peace Treaties, Vol. II, London, 1938, P. 755.

تدعو... انا كنا نعلم أن الاعلان عن التحرير كواحد من أهدافنا الحربية يساعد على تصديق وحدة البلدان المعادية ، ونحن لم نخطيء في ذلك» (٣٤) .

ومن هذا المنطلق أولى الحلفاء ، وبشكل خاص الانكليز ، الدعاية بين شعوب الداخلة في الامبراطورية العثمانية اهتماماً ملموساً . فعلى سبيل المثال أثارت الصحافة التي كانت تصدرها قوات الاحتلال البريطاني في العراق ، بما فيها «العرب» و «تيكيشتنى راستى» الكردية، ضجة كبيرة حول تصريحات الحلفاء وعودهم ، فعرضت هاتان الجريدتان خطاب لويد جورج الذي أشرنا اليه آنفاً ، كخطاب « سياسي عظيم » جاء بمثابة « القول الفصل » و « الخطبة القراء التي أصاب بها (رئيس الوزراء - لكه م .) شاكلة السداد وكشف القناع عن حقائق الأمور فتجاوبت بذكرها محافل السياسة ، واهتزت لها أرجاء الأرض » لذا أقسمت « العرب » بأنه « خير ما قال قائل في هذه الحرب العوان ... » (٣٥) . ونشرت الجريدتان نبذة عن بنود الرئيس الأمريكي ولسن وكتبت « العرب » انها « تستهدف تلبية نداء الشعوب المستعمرة والاذعان لرغباتها ومطالبها » (٣٦) ، ولكنها أخفت ، مع ذلك ، الجزء المتعلق بشعوب الامبراطورية العثمانية في البند الثاني عشر ، بل لم تنشر حتى بعد طلب القراء سوى الجزء الخاص مت بمضائق البسفور والدردينيل (٣٧) . كما نشرت الجريدتان كل ما يتعلق ببلجيكا وپولونيا

Ibid, P. 1118.

(٣٤)

(٣٥) « العرب » ، ١٢ ، و ١٩ كانون الثاني ١٩١٨ ؛ « تيكيشتنى راستى » ، ١٥ و ١٩ و ٢٢ كانون الثاني ١٩١٨ .

(٣٦) « العرب » ، ٣١ كانون الثاني ١٩١٨ .

(٣٧) « العرب » ، ٧ شباط ١٩١٨ .

ورومانيا وغيرها من البلدان والشعوب التي وردت اسماؤها في خطاب لويد جورج بينما لم تذكر كلمة واحدة عما جاء فيه حول سوريا والعراق وبلدان المنطقة الأخرى .

وبالرغم من كل ذلك ، وبنفس النظر عن الأهداف الحقيقية^(٣٨) ، فإن هذه التصريحات لم تمر دون أن تؤثر على أوساط سياسية مختلفة في بلدان الشرق الأوسط . وبالنسبة للأكراد يكفي أن نذكر هنا أن الشيخ محمودا حارب القوات البريطانية بعد الحرب مباشرة رابطاً فوق زنده الترجمة الكردية لبعض هذه التصريحات مدونة على أوراق من المصحف الشريف جابه بها الحكام الانكليز أثناء محاكمته في بغداد قائلًا لهم انه انما يحاربهم باسم بنود الحلفاء أنفسهم ووعودهم^(٣٩) . وكما يؤكد الأستاذ أكرم جميل باشا ، فإن بنود الرئيس ولسن تركت آثاراً كبيرة على المثقفين الكرد الذين علقوا - حسبما يقول - الآمال على بنوده الخاصة بشعوب المستعمرات والأمبراطورية العثمانية^(٤٠) . وكما يذكر الاستاذ عبدالمنعم الفلامي ، وهو من مثقبي

(٣٨) عن حقيقة أهداف بنود الرئيس ولسن الأربعة عشر يمكن مراجعة بحثنا « حول تغفل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن » ، - « آفاق عربية » ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، الص ١٠٢ - ١٣١ .

(٣٩) راجع :

A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920, P. 139.

راجع كذلك :

Левин И. , Ирак, Москва, 1937. стр.116.

٤٠. ليفين ، العراق ، موسكو ، ١٩٣٧ ، الص ١١٦ .
(٤٠) أكد الأستاذ أكرم جميل باشا ذلك للمؤلف ، وذكر أن الشخصيات والمؤسسات السياسية الكردية كانت تنوي الاتصال بالرئيس ولسن وطلبت من شريف باشا أن يحاول بدوره الاتصال به ، إلا أنه - حسبما

حوصل الذين كانوا على اتصال بأوساط كردية مختلفة أثناء الحرب وبعدها مباشرة ، فإن « فريقاً من زعماء الأكراد وأهل الحل والوجاهة فيهم » بثوا مذكرة خاصة الى مؤتمر الصلح في باريس طالبوا فيها باستقلال العراق وذكروا كيف أن « السياسي الكبير الرئيس ولسن والملك الخطير جورج ومتفيهما من دول الائتلاف ورجالهم قد صرحوا غير مرة في بياناتهم، ووعدوا للأمم والأقوام المستضعفة الاستقلال والتحرير ومنح ما تتوقف عليه الموجودة السياسية لهم » (٤١) .

سرعان ما انتهت الحرب بمد هذه التصريحات وسرعان ما ظهرت النوايا على حقيقتها . فمن جهة اشتد الصراع بين الأطراف المتصارعة ، ومن جهة أخرى اتخذ ذلك الصراع طابعاً جديداً بحكم التوازن الجديد الذي ظهر في القوى على الصعيد الدولي . وهنا أيضاً كان للشعب الكردي نصيبه الذي توافق مع حجمه وموقعه وظروف المنطقة .

ارتبط العامل الأول الذي أثر بشكل فعال على سير الأحداث ومصير

يبدو - لم يعر الموضوع اهتماماً كبيراً لانه كان يعتقد - كما سنرى - أن الانكليز هم وحدهم الذين بإمكانهم مد يد « المساعدة » للأكراد . كما لا يستبعد أن يكون قد حاول الاتصال به ولكنه لم يفلح شأنه شأن العديد من الساسة الشرقيين الآخرين ومنهم سعد زغلول . كما رفض السفير الأمريكي في طهران مقابلة الضابط العثماني السابق السيد توفيق فكرت الذي أرسله الشيخ محمود مندوبا لعرض وجهة نظره على السفير ليقوم بدوره بنقلها الى الرئيس ولسن (للتفصيل راجع : « آفاق عربية » ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، الص ١٠٤ ، ١١٩ - ١٢٠) .

(٤١) عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ - ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ - ١٩٢٠ م) ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٦٦ ، الص ٢٦ - ٢٧ ، ١١٢ - ١١٤ . يؤكد المؤلف انه يحتفظ بالنسخة الثانية للنص الاصلي للمذكرة .

شعوب الشرقين الأدنى والأوسط في المرحلة الجديدة ، بالتقدم الواسع الذي حققته انكلترا خلال سنوات الحرب في هذه المنطقة . فهي التي تحملت وحدها ، دون سائر الحلفاء^(٤٢) ، عبء الحرب فيمتلكات العثمانية اذ بلغت قواتها في ساحات الحرب حوالي مليون جندي ذهب ما يقرب من ١٢٥ ألف شخص منهم ضحايا^(٤٣) ، فيما بلغ عدد القوات الفرنسية نسبة جد ضئيلة غير قابلة للمقارنة مع الجهود الحربية الانكليزي في ميادين الشرق الأوسط^(٤٤) ، بينما لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية الحرب أصلا ضد الدولة العثمانية . وهكذا فان القوات البريطانية هي التي دخلت في سنوات الحرب سوريا وفلسطين والعراق ، كما أنها كانت تحتفظ قبل الحرب بقواعد ثابتة في كل من قبرص ومصر و عدن والكويت ، وصارت السيادة الفعلية في المياه الاقليمية العثمانية بعد عقد هدنة « مودروس » للاسطول البريطاني ، كما كان للانكليز « رتل خامس » متنفذ في بلدان الشرق الأوسط دون استثناء ، فلم يعودوا ، والحالة هذه ، يرضون بالخطط والتقسيمات التي أقرت قبل الحرب أو في سنواتها ، بل بدأوا ينشطون في العمل من أجل فرض سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة على الشرق الأوسط بأكمله ، وكانوا يرون أنفسهم أجدر وأحق من غيرهم بأن يصبحوا الورثة « الشرعيين » للقيصرة

(٤٢) ولأسيما بعد انسحاب روسيا من الحرب .

(٤٣) راجع :

Lloyd George, The truth..., Vol. II, PP. 1031, 1061.

(٤٤) نذكر ، على سبيل المثال ، ان اشتراك الفرنسيين في الجهود الحربية للشريف حسين لم يتمد فرقة واحدة مع ستة مدافع فقط ، علماً بان ارسالهم لهذه القوات جاء ضمن تخطيطهم لمنافسة النفوذ البريطاني في المنطقة (للتفصيل راجع : سليمان موسى ، الحركة العربية . سرية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ ، بيروت ، ١٩٧٠ ، الص ٤١٩) .

تجسيد الأطماع

الروس ، كما كانوا يقدرّون بشكل صحيح ضعف إيطاليا^(٤٥) وحاجة فرنسا الى مساندهم لايجاد طول مرضية بالنسبة لمصالحها وطموحاتها في أوروبا^(٤٦) كما كان لهم نقاط التقاء عديدة مع الأمريكان في مناهضة النظام الاشتراكي الجديد في روسيا . اذاً ، فان الظروف جميعها كانت موآتية بالنسبة للانكليز لكي تتخذ أطماعهم في الشرق الأوسط طابعاً توسعياً غير محدود لم يعرف له تأريضهم الكولونيالي مثيلاً . فاذا كان اللورد كيرزن يرى في بداية القرن العشرين حدود الهند على الفرات^(٤٧) ، فانه وغيره من المسؤولين البريطانيين بدأوا في المرحلة الجديدة يتصورون حدود الامبراطورية في الشرق الأوسط على هذا الشكل : أبعد من الموصل شمالاً وكابل شرقاً والخرطوم جنوباً مع التخطيط للوصول الى نطق باكو ومناطق القفقاس كذلك . فبدأت الدبلوماسية البريطانية تنشط في سبيل فرض الحماية الانكليزية على أفغانستان وايران وتخطط من أجل اقامة سلسلة من المستعمرات وشبه المستعمرات على امتداد المنطقة الواقعة بين الهند والبسفور . وكان الانكليز يأملون - حسب تعبير البروفيسور ميلر - في تحويل « استانبول الى جبل طارق ثانٍ ، والأناضول الى مصر ثانية » في هذا النظام^(٤٨) . من هنا لم يكن

(٤٥) لم تكن إيطاليا في وضع يسمح لها بأن تلعب دوراً ملموساً على الصعيد الأوروبي وفي الشرق الأدنى بوجه خاص ، بحيث لم تر انكثرا من الصعب أن تتجاهل حتى ما وعدتها به مؤخراً من نصيب قليل من تركة الامبراطورية العثمانية . وقد بلغ تجاهل المصالح الإيطالية في مؤتمر باريس حد أن أورلاندو رئيس الوزارة الإيطالية انسحب منه احتجاجاً .

(٤٦) كانت فرنسا جد مهتمة بالأمور المتعلقة بمصائر حوض السار والراين واعادة ترحيل الألمان من المناطق الفرنسية وغيرها ، وكانت بحاجة ملحة الى مساندة الانكليز في مؤتمر باريس بهذا الشأن .

(٤٧) راجع الص ١٩٤ - ١٩٥ من الفصل الثالث .

A. F. Miller, Op. Cit., P. 75.

(٤٨)

من المبت أن بات لويد جورج يعتبر معاهدة « سايكس - بيكو » مجرد « وثيقة سخيفة»^(٤٩) ، وأن أذان اللورد كيرزن بنفس العنف جوانب كثيرة من مضمون المعاهدة ، وأن أصبح مؤلفها البريطاني مارك سايكس مضروباً عليه بسبب تقديراته التي جاءت نتائجها غير متوافقة مع موقع بريطانيا الجديد في الشرق الأوسط . وهذه العوامل نفسها هي التي حددت طبيعة التعامل الجديد للانكليز مع كردستان وهي التي أثرت أكثر من غيرها على مصير هذه البلاد كما نحاول تبيان ذلك في هذا الفصل .

ظهرت البادرة الأولى للأوضاع المستجدة في نفس اليوم الذي تقرر فيه وضع نهاية للحرب بين الحلفاء والأمبراطورية العثمانية . ففي الثلاثين من تشرين الأول من العام ١٩١٨ جرى التوقيع على الهدنة بين الطرفين على ظهر الباخرة الانكليزية آغا ممنون (Agamemnon) في ميناء مودروس الواقع في جزيرة ليمنوس في بحر ايجه^(٥٠) . ومع أن الأدميرال آرثر كارلثورپ (A. Carlthorpe) وقع الهدنة باسم الحلفاء ، إلا أنها جاءت في الواقع بمثابة اتفاق ثنائي حتى ان الانكليز منعوا صعود الممثل الفرنسي الى الباخرة بالرغم من احتجاج بلاده^(٥١) ، وقد أملى الجانب البريطاني مواد الاتفاقية على الجانب العثماني وتم التوقيع على نصها الانكليزي فقط^(٥٢) . وعندما احتج

Lloyd George, The truth ..., Vol. II, P. 1025. (٤٩)

من هنا عرفت باسم « هدنة مودروس » . (٥٠)

A. F. Miller, Op. Cit., P. 74. راجع : (٥١)

راجع : (٥٢)

((A history of the Peace Conference of Paris)), Vol. I, Oxford, 1969, P. 497.

وقع الهدنة عن الجانب العثماني ثلاثة أشخاص هم حسين رؤوف بيك ورشاد حكمت بيك وسعد الله بيك ، بينما وقعها عن الدول الحليفة مجتمعة شخص واحد هو الأدميرال آرثر كارلثورپ .

رئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو لدى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج لأن « هدنة مودروس » لم تراع المصالح الفرنسية ، كما ينبغي ، قال له لويد جورج : « لم يقدم أحد ، فيما عدا بريطانيا العظمى ، أكثر من بضعة أفواج من (الجنود - ك. م.) السود للاشتراك في الحملة على فلسطين . لقد فوجئت حقا بضيق الصدر هذا من جانب الحكومة الفرنسية . ان للبريطانيين الآن حوالي ٥٠٠ ألف جندي في الأراضي التركية . وقد أسروا ثلاثة أو أربعة من الجيوش التركية وتحملوا مئات الألوف من الضحايا في الحرب مع تركيا . أما الحكومات الأخرى فانها بعثت عددا قليلا من رجال الدرك السود (Nigger Policemen) ليراقبوا ما اذا كنا نسطو على الضريح المقدس تولا ! . وعندما آن آوان التوقيع على الهدنة ، أثير كل هذه الضجة » (٥٣) . ان في هذا الكلام تعبيراً صادقا عن واقع الأمر في أقطار الشرق وعما كان ينوره الانكليز في هذه الأقطار بعد انتهاء الحرب مباشرة في ضوء تناسب القوى الجديد على الصعيد العالمي .

أعطت بنود اتفاقية « مودروس » الخمسة والعشرون^(٥٤) الانكليز امكانيات كبيرة للتحرك في الشرق الأوسط ، الا أنهم لم يترددوا مع ذلك في خرقها عندما كانت مصالحهم تقتضي ذلك ، علماً بأن الأدميرال كارلثورپ أكد

(٥٣) ((War memories of David Lloyd George)) , Vol. VI, P. 3314.

أثار موضوع « هدنة مودروس » ورفض الأدميرال كارلثورپ اشتراك الممثل الفرنسي الأدميرال أميت (Amet) في مفاوضاتها نقاشاً حامياً للغاية بين رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج ورئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو . . (Ibid, PP. 3309 — 3312, 3314 — 3315) .

(٥٤) راجع نص البنود في :

((A history of the Peace Conference of Paris)) , Vol. I, PP.

495 — 497.

ثلاث مرات في رده على استفسار وزير الحرية التركي حسين رؤوف بيك ، تمسك بلاده القاطع بروح الاتفاقية . وعلى أي حال فقد كانت بنود هدنة «مودروس» تفسر من الجانبين دون أدنى اعتبار لرغبات السكان الأصليين وآمالهم . فقد دخلت القوات والادارة البريطانية العديد من المناطق الكردية المراقية بعد التوقيع على الاتفاقية ، وان كان رفع العلم البريطاني فوق سارية بناية الولاية في الموصل هو الذي جلب الأقطار وأثار احتجاج الباب العالي . كما أصبح يعق للحلفاء بموجب البند الرابع والعشرين من اتفاقية « مودروس » التدخل في الولايات الشرقية العثمانية ، حيث يقطن الأرمن ، في حالة « حدوث فوضى فيها » ، وهو أمر كان يمس الأكراد بشكل مباشر أيضاً .

تجسدت الأطماع وتبلور الصراع أكثر في مؤتمر الصلح الذي عقد بباريس بين الدول المتحاربة والذي كان مصير العالم يتوقف على نتائجه الى حد كبير . فخلال أعمال المؤتمر التي استغرقت أكثر من سنة (١٨ كانون الثاني من العام ١٩١٩ - ٢١ كانون الثاني من العام ١٩٢٠) دار حول كل موضوع أثير أمامه نقاش حاد كان ينتهي أحياناً بالتهديد بالانسحاب كما أشيع عن الرئيس ولسن ، أو كان ينتهي بالانسحاب فعلا كما فعل زميله الايطالي فيتوريو أورلاندو (Orlando) . وفي أحيان كثيرة أخرى كانت حلقة الصراع تصل حد نفس المؤتمر من أساسه . ومن الجدير بالتأكيد هنا أن مسألة تقسيم ممتلكات ألمانيا والأمبراطورية العثمانية كانت واحدة من أهم وأدق القضايا التي أثارت منذ الأيام الأولى للمؤتمر جدلاً حامياً طويلاً تمخضت عنه فكرة الانتداب الذي لم يكن في واقعه ، حسب اعتراف اللورد كيرزن أمام مجلس اللوردات ، سوى « وسيلة لتقسيم البلدان المفتوحة بين

«نتصرون»^(٥٥) . وأقر المؤتمر ، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي ولسن ورئيس الوزارة البريطانية لويد جورج ، أن « أقصى ما يمكن منحه »
خلف العناصر هو « الاستقلال الذاتي »^(٥٦) .

أبدى الأكراد نشاطاً محدوداً في أيام مؤتمر الصلح في باريس انعكس بشكل خاص في أعمال وفدهم الصغير برئاسة الدبلوماسي والعسكري العثماني السابق شريف باشا^(٥٧) الذي قدم الى المؤتمرين مذكرتين حول حقوق الأكراد^(٥٨) وأجرى اتصالات بأعضاء بعض الوفود ودخل في مفاوضات

(٥٥) راجع : كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، الص ٩٥ .

(٥٦) راجع :

F. Lee Benns, Europe since 1914, fifth ed., New York, 1945, P. 119.

(٥٧) لا نعرف بالضبط كم كان عدد أعضاء الوفد ومن كانوا . ولكنهم كانوا في أغلب الظن من السياسيين الكرد المعارضين للاتحاديين والذين كانوا يعيشون في الخارج ، فان شريف باشا نفسه كان قد استقر في باريس منذ ثورة الاتحاديين في العام ١٩٠٨ . وكما يؤكد الدكتور بلهـج شيركوه ، وهو من الذين راقبوا أحداث تلك الفترة عن كثب واشتركوا فيها ، فان الجمعيات الكردية هي التي انتخبت شريف باشا لهذه المهمة (الدكتور بلهـج شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٦٧) . يعتبر دافيد بيرلي ارسال الوفد « نتيجة حتمية » لتطورات داخلية بلغت مستوى مثل هذا النشاط (دافيد ب. بيرلي ، كردستان. المثل الكردي الأعلى وانعكاساته على العلاقات الآشورية - الكردية ، نقلها الى العربية عن الاصل الانكليزي ي. ناظر ، نيوجرسي ، ١٩٤٦ ، الص ٦) .

(٥٨) قدمت المذكرة الاولى باللغة الفرنسية في ٢٢ آذار من العام ١٩١٩ وهي تحمل توقيع « الجنرال شريف باشا رئيس الوفد الكردي الى مؤتمر باريس » ، وقد طبعت على شكل كراس خاص يقع في ١٤ صفحة . في المذكرة معلومات عن الأكراد ومناطق سكناهم ، وضعهم ونضالهم وعلاقاتهم بالأرمن مع مطالبهم ((Memorandum sur les revendications du Peuple Kurde)) , Paris, 1919.

وفي العام نفسه نشرت الترجمة الانكليزية لنص المذكرة :

((Memorandum on the claims of the Kurdish People)) , Paris, 1919.

تفصيلية مع رئيس الوفد الأرمني بوغوص نوبار باشا وممثل جمهورية أرمينيا م. أوهانجانيان (M. Ohandjanian) (٥٩) أسفرت عن التوصل في كانون الأول من العام ١٩١٩ الى اتفاق مشترك حول قضايا كثيرة تهم الجانبين ، مما جلب انتباه أوساط سياسية مختلفة في الداخل والخارج . فقد نشرت اثنتان من صحف استانبول (« پیام » في ٢٤ شباط و « تان » في ١٠ آذار ١٩٢٠) نص الاتفاق الذي أولاه المسؤولون الانكليز كذلك اهتماماً خاصاً . حتى ان اللورد كيرزن أصدر تعليمات خاصة الى المندوب السامي البريطاني في استانبول الأدميرال السيرج . دي رويك (J. de Robeck) تقضي بـ « ابداء كل تشجيع ممكن » للاتجاه الجديد (٦٠) . واعتبرت أوساط مختلفة الاتفاق أمراً غير متوقع ألبتة (٦١) . وقدم الجانبان بمد ذلك مذكرة مشتركة حول مصير الشعيين الى المؤتمر (٦٢) .

لم يقتصر نشاط الأكراد على ما ذكرنا من أعمال الوفد الكردي . فقد حاول الشيخ محمود بدوره ارسال وفد خاص الى باريس للاتحاق بشريف

(٥٩) لم تشر المصادر التي تسنى لنا الاطلاع عليها الى اشتراك ممثل جمهورية أرمينيا التي أسسها الداشناقيون في يريفان واجمادزين (أرمينيا الشرقية) منذ أواخر آيار من العام ١٩١٨ في المفاوضات الأرمينية - الكردية ، الا ان وثائق السياسة الخارجية البريطانية تؤكد اشتراك أوهانجانيان ممثل الجمهورية المذكورة الى مؤتمر باريس ، في تلك المفاوضات (راجع :

((Documents on British Foreign Policy 1919 — 1939), Vol. IV, PP. 927 — 928).

((DBFP), Vol. IV, P. 928.

(٦٠) راجع :

(٦١) راجع :

A. Safrastian, Op. Cit., P. 77. حتى ان بعض المسؤولين البريطانيين

ساورتهم الشكوك في ان يؤدي الاتفاق الى نتائج ملموسة (راجع :

((Documents on British Foreign Policy), Vol. IV, P. 928).

((DBFP), Vol. IV, P. 928 .

(٦٢)

باشا ، الا أن الانكليز حالوا دون وصوله^(٦٣) بسبب توتر علاقاتهم مع الشيخ والذي كان قد بلغ حد الانفجار في تلك الأيام بالذات ، مما كان يعني بالضرورة أن الوفد سيسير باتجاه معاكس لرغبات الانكليز^(٦٤) . ويؤكد الأستاذ عبدالمنعم الغلامي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، أن مجموعة كبيرة من رؤساء العشائر الكردية في منطقة بهدينان بعثوا بواسطة « جمعية العلم » الموصلية مذكرة خاصة الى المؤتمر يطالبون فيها باستقلال العراق^(٦٥) .

اما المسألة الكردية فلم يتطرق اليها المؤتمر الا في اطار عام وفي حدود علاقتها بمصير ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، وقد جاء ذلك في الأغلب بسبب ارتباط هذه المسألة من أوجه كثيرة ، بالمسألة الأرمنية التي أولاها المؤتمر ، لعوامل معينة^(٦٦) ، بعض الاهتمام ، حيث ناقش موضوع مستقبل أرمينيا والدولة التي توضع تحت ائتدابها . وقبل أن ينهي مؤتمر باريس أعماله أرسل الرئيس ولسن لجنة خاصة برئاسة جيمس هاربرود لدرس المسألة الأرمنية ، وقد زارت اللجنة آسيا الصغرى ، بما في ذلك بعض المناطق

(٦٣) راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، الص ٦٥ - ٦٦ ؛ الجزء الثاني ، الص ١٩٠ .

(٦٤) حاول الانكليز عرقلة وصول كل وفد معارض لنواياهم الى المؤتمر ، واتخذ الامر طابعاً جدياً في بعض المناطق بحيث أدى الى انفجار انتفاضات و هبات شعبية ضدهم ، كما حدث في مصر مثلاً عندما حاول البريطانيون منع الوفد المصري برئاسة سعد زغلول من السفر الى باريس .

(٦٥) عبدالمنعم الغلامي ، نورثنا في شمال العراق ، الص ٢٦ - ٢٧ ، ١١٢ - ١١٤ .

(٦٦) تأتي في مقدمتها حدة المسألة الأرمنية وما بلغته من مستوى جعلها تتحول الى واحد من أبرز وجوه « المسألة الشرقية » ككل . الا ان اهتمام الدول الكبرى بهذه المسألة في مؤتمر باريس وخارجه وبعد انقضائه ، ظل في جميع الأحوال دائراً في فلك مخططاتها بالنسبة للمنطقة .

الكردية ، وأوصت في تشرين الأول من العام ١٩١٩ بأن تكون هناك دولة منتدبة واحدة بالنسبة لتركيا كلها ولمناطق ما وراء القفقاس وذلك لـ « اعتبارات اقتصادية وعرقية معينة » كما ادعت^(٦٧) . وقد ورد ذكر المناطق الكردية كذلك في المذكرة التي قدمتها الحكومة الإيرانية^(٦٨) الى المؤتمر والتي طالبت فيها بضم مناطق جد واسعة^(٦٩) الى ايران بضمنها كل المناطق الكردية العثمانية تقريباً ، بل انها طالبت حتى بمدينة الموصل وبمناطق أبعد منها ، تقع بعضها على الفرات . وفي تطبيقه على ذلك يقول المتخصص في الدراسات الإيرانية البروفيسور م . س . ايفانوف ما نصه : « ان مطالب الحكومة الإيرانية هذه كانت من الطيش بحيث رفض مؤتمر باريس حتى مجرد النظر فيها »^(٧٠) .

لم يتوصل مؤتمر باريس الى قرارات نهائية بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط ، ولكن الأبعاد الحقيقية لمخططات الدول الكبرى وصراعاتها الحادة بصد هذه المناطق ظهرت من خلال المواضيع التي طرحت للبحث سواء أمام المؤتمر أو أمام مجلس « الأربعة الكبار » ((The Big Four))^(٧١) . فحتى الرئيس ولسن الذي عقدت قوى سياسية شرقية مختلفة الآمال على بنوده

(٦٧) راجع :

George Lenczowski, *The Middle East in World Affairs*, second ed. (second printing), New York, 1957, P. 98.

(٦٨) كان يرأس الوزارة الإيرانية آنذاك وثوق الدولة وكان معروفاً بأفكاره الرجعية وميوله المنحازة للانكليز .

(٦٩) طالبت المذكرة الإيرانية كذلك بأذربيجان الشمالية كلها وبقره باغ وبقسم من داغستان وغيرها .

M. S. Ivanov, *Op. Cit.*, P. 270. (٧٠)

(٧١) يقصد بهم رؤساء وفود الولايات المتحدة (ولسن) وبريطانيا (لويد جورج) وفرنسا (كليمنصو) وإيطاليا (أورلاندو) .

الأربعة عشر ، والذي كان يحاول ، لأسباب ارتبطت بطبيعة الصراع الدولي القائم يومذاك ، اضعاف مواقع الفرنسيين والانكليز بشكل خاص في الشرق الأوسط ، أقر أمام المؤتمر بصريح العبارة بـ « أنه لا يعتقد بإمكانية ترك مصائر هذه الشعوب (يقصد الشعوب التي كانت تدخل ضمن الأمبراطورية العثمانية - كـ م .) تماما في أيديها ، فهي تحتاج الى القيادة والى شيء من المراقبة الودية »^(٧٢) . والأخطر من ذلك ما ذكره لويد جورج فيما بعد بهذا الصدد ، اذ كتب في مذكراته يقول :

« تحدثنا مرات عديدة مع الرئيس ولسن في باريس حول تقسيم ممتلكات الأمبراطورية التركية . وتحدثنا كذلك حول هذا الموضوع مع الكولونيل هاوس^(٧٣) قبل وصول الرئيس (الى باريس - كـ م .) وبعده . وعندما وافق الحلفاء على فكرة الانتداب صار بحث تطبيق هذا المبدأ بحق المستعمرات الألمانية والأمبراطورية التركية موضوعاً غالباً ما تبودل حوله الرأي »^(٧٤) .

كان الانكليز يميلون في تلك الأيام الى دفع الأمريكان لقبول الانتداب على أرمينيا و استانبول والمضائق والقفقاس معاً . ولم يأت هذا « السخاء » الانكليزي عبثاً ، بل كان وليد حسابات دقيقة وبعيدة النظر . فان تنفيذ هذا الأمر كان يحتاج ، في البداية على الأقل ، الى تكاليف مالية باهظة وقوى عسكرية كبيرة قدرت بربع مليون جندي مع احتمال التورط في مشاكل

(٧٢) راجع :

Lloyd George, The truth..., Vol. II, PP. 1068, 1077 — 1078.

(٧٣) من اقرب مستشاري الرئيس الامريكى ولسن ومن الشخصيات البارزة في مؤتمر باريس .

Lloyd George, The truth ..., Vol. I, P. 381.

(٧٤)

سياسية معقدة لأن جميع الدلائل أخذت تشير الى نجاح النظام الجديد في روسيا والى اقتراب « الخطر » من القفص مع احتمال انفجار الوضع بقوة في الأناضول . وكان الانكليز بدأوا يرغبون في ظروف ما بعد الحرب في اشراك الولايات المتحدة بإمكاناتها السياسية الكبيرة وطاقاتها المادية الهائلة في مجابهة حركات التحرر - الوطني لشعوب الشرق الأوسط التي بدأت بوادها تظهر بقوة هنا وهناك^(٧٥) . لم يكن من الصعب ، بالطبع ، على المسؤولين الأمريكيين ادراك كنه اللعبة الانكليزية وتقدير أهدافها القريبة والبعيدة ، ولذلك رفضوا جميع اقتراحات « الحلفاء » « الودية »^(٧٦) بهذا

(٧٥) يجب تقييم هذا الأمر في ضوء المشاكل الاقتصادية الكبيرة التي كانت تعاني منها انكلترا يومذاك والتي تحولت الى محور للصراع السياسي في الداخل والى السبب الأساس لاستياء دافع الضريبة البريطاني ، وقد بلغ الأمر حد أن أوساطاً سياسية مؤثرة بدأت تطالب بالانسحاب من بلاد الرافدين التي كانت تعتبر الى عهد قريب بمثابة الدرّة الثمينة في التاج البريطاني .

(٧٦) في تعليق معبر على ذلك ذكر السناتور الأمريكي سمث : « يقترح علينا الانتداب على الامبراطورية التركية ... الا أنه لا بد في أغلب الظن من عشر سنوات حتى يصبح بالإمكان إقامة قانون ونظام ثابتين في تركيا ، وهذا يكلف حوالي مليار دولار في السنة » (مقتبس من :

Трухановский В.Г. , Внешняя политика Англии на первом этапе общего кризиса капитализма (1918-1939гг.) , Москва , 1962 , стр.96.

ف. كد. تروخانوفسكي ، سياسة انكلترا الخارجية في المرحلة الأولى من الأزمة العامة للرأسمالية ، موسكو ، ١٩٦٢ ، (الصفحة ٩٦) . واعطت جريدة ال ((Times)) في عددها الصادر في الثاني عشر من آب من العام ١٩١٩ تفسيراً أكثر واقعية حتى من ذلك حيث كتبت تقول : « جاء عرض القضية في أمريكا على النحو التالي : لماذا يجب على الولايات المتحدة قبول صدقة تافهة في الوقت الذي استولت فرنسا وانكلترا على جميع المناطق المربحة » .

الشأن . لقد أقر هذا الوضع ، فضلا عن عوامل أخرى ، « حل » العديد من قضايا الشرق الأوسط الحاسمة^(٧٧) ، واحتاج الأمر الى مداولات مجددة أسفرت ، كما سنرى ، عن عقد معاهدة « سيثر » المعروفة .

اتخذ الصراع طابعا أكثر حدة وجدية خارج أروقة مؤتمر باريس ، في « ساحة العمل » نفسها اذا جاز التعبير ، ذلك لأن الصياغة القانونية من جانب المؤتمر كانت تعتمد على حصيلة المكتسبات الفعلية في الساحة المذكورة . وأحداث كردستان آنذاك مليئة بالشواهد ذات الدلالة والتي تبين مدى أطماع الدول الكبرى ، وعلى رأسها انكلترا ، في المنطقة وأسلوب تجسيد هذه الأطماع . لقد وسع الانكليز من اتصالاتهم بالشخصيات ورؤساء العشائر الكردية بشكل ملحوظ . فقبل أن تنتهي الحرب جرى اتصال بين السير بيرسي كوكس وشريف پاشا في مارسيليا تباحثا خلاله حول مستقبل المنطقة الكردية^(٧٨) . واستمرت علاقات شريف پاشا بالانكليز بعد الحرب كذلك ، بل انها اتخذت طابعا أكثر جدية حتى انه أخبرهم عن نيته في أن يطلب من مؤتمر الصلح في باريس « وضع كردستان تحت الانتداب البريطاني » ، وذلك قبل أن يقدم مذكرته الأولى الى المؤتمر ، وتمنى أن تلقى مذكرته هذه « تأييد حكومة صاحب الجلالة »^(٧٩) .

(٧٧) تم « حل » قسم كبير من تلك القضايا بموجب القرار الذي اتخذته المجلس الأعلى للحلفاء في اجتماع له بسان ريمو (٢٤ نيسان ١٩٢٠) أسهم في ايجاد نوع من التوافق بين المصالح الانكلو - فرنسية عن طريق تخصيص الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا وعلى سوريا لفرنسا .

(٧٨) راجع :

((Review of the civil administration of Mesopotamia)) , London, 1920, P. 60.

(٧٩) راجع :

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. IV, P. 813.

وبالأسلوب نفسه جرت اتصالات مباشرة مع العديد من المتنفذين الكرد وفي مختلف المناطق ، وجرت مخابرات سرية مباشرة بشأنها وبصدد القضايا المتعلقة بالمسألة الكردية على العموم ، بين الوزارات البريطانية المختصة وهيئاتها العاملة في بلدان الشرق الأوسط ، ولاسيما في استانبول وبغداد ، وقد أشارت الى ذلك مراراً وثائق الخارجية البريطانية^(٨٠) ، التي بوشر بنشرها لأول مرة منذ بداية الخمسينيات . وهنا لا بد من التطرق بشكل خاص الى النشاطات الواسعة للضابط السياسي نوئيل الذي عرف باطلاعه عن كتب على الشؤون الكردية^(٨١) .

عين نوئيل حاكماً سياسياً لمنطقة السليمانية بعد احتلالها من قبل القوات الانكليزية مباشرة . ولكن لم تمض عليه فترة وجيزة حتى أرسل بمهمة خاصة الى المناطق الكردية الداخلية ، حيث قام بجولات واسعة اتصل خلالها بالعديد من رؤساء العشائر والشخصيات والمنظمات السياسية . وقد رافقه في رحلته هذه ومنذ البداية المحامي فائق توفيق (فائق طاير) من السليمانية ثم التحق بهما في ديار بكر كل من جلادت بدرخان وكامران بدرخان وأكرم جميل باشا الذين كانوا من أنشط السياسيين الكرد يومذاك^(٨٢) . وكان نوئيل يؤكد

(٨٠)

Ibid, PP. 678, 693, 782, 926 — 927 etc. ; Vol. XIII, London, 1963, PP. 49 — 50, 65, 108 etc.

(٨١) راجع الص ١٨٦ — ١٨٧ من الفصل الثالث .

(٨٢) فضلا عن المصادر الوثائقية اعتمد المؤلف كذلك على ما رواه له الأستاذ أكرم جميل باشا حول هذا الموضوع ، ولم يجد أي اختلاف أو تناقض بين ما رواه الأستاذ أكرم وما ورد في المصادر المذكورة . وردا على استفسار المؤلف أكد الأستاذ أكرم أن نوئيل لم يحاول اغراء أحد ولم يتم بتوزيع الاموال في أي مكان ، بل اعتبر بمثابة ضيف على الجمعية التي كان هو وزملاؤه ينتمون اليها .

بحماس ، في كل مكان يصل اليه ، نوايا حكومته الطيبة تجاه مستقبل الأكراد
 نذنين كان يطلب منهم أن لا يعتمدوا الا على الانكليز . وقد أولى نوثيل
 التوزيع السكاني في المنطقة ، ولاسيما نسبة الأرمن في الولايات الشرقية ،
 والعلاقات بين الأرمن والكرد^(٨٣) جانبا كبيرا من اهتمامه . وبمقتضى تقارير
 مفصلة حول هذه المواضيع وغيرها الى الجهات المختصة في لندن حاول فيها
 تقديم صورة واضحة عن الوضع في كردستان وعن رغبات سكانها^(٨٤) ،
 ولا تخطو تقاريره هذه من ميل واضح نحو الأكراد ومن حماس كبير لمساندة
 قضيتهم^(٨٥) وربما كان مبعث ذلك اعجاباه بصفات الشعب الكردي أو رغبته

كان يرافق نوثيل ، حسبما تشير المصادر الوثائقية التركية ، ثلاثة
 من العسكريين الانكليز ، كما كانت ثلثة من المسلحين الاكراد تقوم بحمايتهم .
 وحسب المعلومات الواردة في الوثائق نفسها التحق بنوثيل الى جانب
 جلادت وكامران بدرخان واكرم جميل باشا شخصيات كردية معروفة
 اخرى منهم الصحفي والكاتب مولان زادة رفعت رئيس تحرير جريدة
 « سربستي » (راجع : مصطفى كمال (اتاتورك) ، المصدر السابق ،
 الجزء الأول ، الص ٢٤٦ ، ٢٥٠ - ٢٥٢ ، ٢٤٦) .

(٨٣) كان نوثيل يؤكد في تقاريره السرية عدم صحة الادعاءات التي تحاول
 القاء تبعة المذابح الأرمنية على عاتق الاكراد ويشير الى « انقاذ الاكراد
 للألوف من الأرمن » راجع على سبيل المثال :

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. IV, P. 693 .

((DBFP)) , PP. 678, 693, 782 etc. راجع : (٨٤)

تصفه الوثائق البريطانية الخاصة بـ « حوارى » أو بـ «رسول» الاكراد (٨٥)

« المتعصب لهم » (راجع : ((DBFP)) , Vol. IV, PP. 693, 742 .

أكد الأستاذ رفيق حلمي الذي عاصره وعمل معه ، هذا الأمر مرارا في
 مذكراته (راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، الص
 ٦٩) ، وهو ما أشار اليه كذلك كل من اكرم جميل باشا واحمد تقي
 وغيرهما (راجع : « خهباتى گهلى كورد له يادداشته كانى نه حمهد
 ته قى دا » ، ريكخستن و ناماده كردنى بو چاپ : جلال ته قى ، بهغداد ،

في أن يتحول الى « لورانس الكرد » أو بدافع من العاملين معا^(٨٦) .

ولم تخل مهمة نوثيل مع ذلك من توجهات معاكسة للحركة الكمالية التي بدأ الانكليز يخشونها الى حد كبير لأنها كانت تشكل واحداً من أخطر مصادر التهديد بالنسبة للجانب الأكبر من خططهم المتعلقة بجزء واسع وحساس من الشرق الأوسط . فبالرغم من وقوف القطاع الأوسع من الشعب الكردي الى جانب الحركة المذكورة فإن الانكليز حاولوا فعلاً تحريك بعض العشائر الكردية القوية ضدها ، وهو أمر كانت حكومة السلطان ترغب فيه وتشجع الانكليز عليه^(٨٧) كما يمكن اعتباره بمثابة باكورة السياسة الانكليزية المعروفة

١٩٧٠ ، ل ٢٣ - ٢٥ ، « نضال الشعب الكردي في مذكرات احمد

تقي » ، أعده للطبع جلال تقي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، الص ٢٣ - ٢٥) .
(٨٦) ربما كان ذلك ما ادى الى امتعاض بعض المسؤولين الانكليز منه ، حتى انه أمر بترك المناطق الكردية والتوجه الى حلب فوراً ، خاصة بعد أن اثارت جولته حفيظة الكماليين (راجع :

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. IV, P. 782.

راجع كذلك : مصطفى كمال (أتاتورك) ، المصدر السابق ، الجزء الاول .
الص ١١٧ - ١٢١ ، ١٣٦) .

(٨٧) ورد ذلك في الوثائق البريطانية مراراً . فقد اقترح رئيس الوزراء فريد باشا بنفسه الامر على المندوب السامي البريطاني في استانبول الذي ابرق الى لندن بصدده . ومن المفيد ان نشير هنا الى الصياغة الفكرية للباب العالي حول الموضوع كما وردت نصاً في واحدة من تلك الوثائق :
« سوف تتمتع كردستان بالحكم الذاتي بموجب المعاهدة . ولكن القادة الاكراد يكرهون مصطفى كمال لأنه يريد أن يأتي بالبلاشفة لمساندته . وأنتم ترفضون مصطفى كمال لأنه يرفض معاهدتكم . اذا لنستخدم معاً الاكراد ضده » . وتشير الوثائق نفسها الى ما كان يكتنف ذلك من صعوبات كبيرة (راجع :

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. XIII, PP. 65 — 66, 108) .

تجاه المسألة الكردية بشكل عام . وليس عبثاً أن أثارَت نشاطات نوئيل مخوف كبيرة لدى الكمالين ، فأولاهها شخص مصطفى كمال اهتماماً كبيراً لخاصة وناقش بشأنها على أرفع مستوى مسؤول في حركته (٨٨) .

وعلى أي حال فإن مهمة نوئيل وموقف المسؤولين البريطانيين المتذبذب تجاهها ، يبينان بوضوح عدم استقرار سياسة الانكليز يومذاك بالنسبة لمسألة الكردية ، وهو ما يزيد توضيح أبعاده حتى يتسنى لنا ، فيما بعد ، فهم حقيقة بنود « معاهدة سيفر » المتعلقة بها . فإن نوئيل الذي عرف بذكائه السياسي ومروته في التصرف وباخلاصه في عمله الذي أعيد له خصيصاً (٨٩) ، والذي عهد اليه بمهمات خطيرة حتى انه وقع في أسر الثوار الجنكليين (٩٠) ، والذي رافقه في جولته نهر من العسكريين البريطانيين ، ماكان في الامكان طلقاً أن يقدم على عمل خطير دون أن يكلف به رسمياً ، بينما نرى المسؤولين الانكليز يحاولون تصوير الأمر للكمالين بشكل مغاير للواقع تماماً . فان العقيد ب. بيل الذي وصل المنطقة الكردية في أيلول من العام ١٩١٩ لزيارة الوجهاء والسلطات المدنية والضباط في ملاطية وخربوط ودياربكر بصورة خاصة أكد « أن الحكومة الانكليزية لاتعرف أي شيء مطلقاً عن هذا العمل (يقصد مهمة نوئيل - ك. م.) وهي لن تسمح لأي من ضباطها بالقيام بالخاصة في حالة مروره بهذه المناطق » (٩١) ! .

(٨٨) راجع مصطفى كمال (اتاتورك) ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، الص ١١٧ ، ١٣٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ وغيرها .

(٨٩) أنهى نوئيل الاكاديمية العسكرية وخدم في الدائرة السياسية الخارجية البريطانية في الهند ، ولعب دوراً مهماً في مطاردة عملاء ألمانيا في ايران خلال الحرب حتى انه القى القبض بنفسه على أشهر هؤلاء العملاء فاسموس المعروف الذي تطرقنا الى نشاطاته في الفصل الثالث .

(٩٠) راجع : C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 33.

(٩١) راجع : مصطفى كمال (اتاتورك) ، المصدر السابق ، الص ١٣٦ .

لم يقتصر النشاط الدعائي الانكليزي في كردستان يومذاك على أعمال نوئيل ومن كانوا على شاكلته . لقد اتخذ الأمر أشكالاً مختلفة على درب العمل المتشعب النشط الذي يمكن وصفه بسياسة استغلال الطرف للآخر « فراغات » الشرق الأوسط بشكل محكم وعلى ضوء التفسير الانكليزي لتناسب القوى على صعيد المنطقة بأسرها . فكان على الأكراد أن يفهموا - كما ورد نصاً في « تيگه يشتني راستي » بعد عقد « هدنة مودروس » مباشرة - أنهم ، وكذلك « العرب والأرمن » يتمكنون من « الاستفادة كثيراً من انكلترا وتحقيق رقي أوطانهم خلال فترة قصيرة » ذلك لأن « انكلترا دولة عادلة ومنصفة ، بحيث انها ترى مصلحتها في مصلحة الشعوب ، وهي ليست على شاكله الحكومات الأخرى حتى تقوم بافقار الآخرين وتجردهم من السلطة » لذا ينبغي « على جميع شعوب الشرق التمسك بانكلترا وضمن مصالحها بذلك » والا فانها لن تنال سوى الضرر « وسوف تزول من الوجود بمرور الزمن » (٩٢) .

لم يخف الانكليز اهتمامهم الكبير بالأكراد لا من حلفائهم ولا من أعدائهم السابقين . فبعلم من اللورد كيززن ، أخبر المندوب السامي البريطاني ج . دي رويك وزير الخارجية التركية رشيد باشا في ١٩ تشرين الثاني من العام ١٩١٩ بصريح العبارة أن « للقضية الكردية أهمية كبيرة بالنسبة لحكومة

(٩٢) « تيگه يشتني راستي » ، العدد ٥٦ ، ٢٥ تشرين الثاني والعدد ٦٠ ، ٢٣ كانون الأول ١٩١٨ . من الجدير بالذكر أن الجريدة أولت مواضيع انتصار الحلفاء وعقد « هدنة مودروس » واتفاقات وقف إطلاق النار مع ألمانيا والنمسا والمواضيع المماثلة اهتماماً كبيراً ، حتى انها نشرت ترجمة كردية لجميع بنود تلك الاتفاقات وأكدت في مقالات ومناسبات كثيرة ضرورة الاعتماد على الانكليز (راجع العدد ٥٣ ، ٤ تشرين الثاني والعدد ٥٤ ، ١١ تشرين الثاني ، والعدد ٥٥ ، ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨) .

صاحب الجلالة ، وهي موضوع دراسة عن كتب . اتنا مهتمون بها في الوقت الحاضر لأن الكرد يشكلون عنصراً مهماً على جانبي حدودنا العسكرية الى الشمال من بغداد ، وواحداً من أهم العناصر ، ان لم يكن أهمها قاطبة ، في ما وراء المنطقة التي تم اشغالها من قبلنا في سوريا قبل أيام قلائل مضت . وسوف يكون الأكراد موضع اهتمامنا الثابت في المستقبل كذلك» (١٣) .

وعندما عقد المسؤولون الانكليز والفرنسيون مؤتمراً خاصاً في كانون الأول من العام ١٩١٩ لدراسة الوضع في تركيا بحثوا في اجتماعه الثالث (٢٣ منه) مسألتين « كردستان والقفقاس » . وقد عارض اللورد كيرزن في رده على مذكرة خاصة حول المنطقة الكردية تقدم بها الجانب الفرنسي ، « فكرة تقسيم كردستان بين انكلترا وفرنسا » وقدم مقترحات معاكسة تبين بوضوح أبعاد السياسة البريطانية والمقدمات التي أولدت بنود « سيقر » الخاصة بالأكراد . فقد اقترح كيرزن النقاط التالية بديلاً لما ورد في المذكرة الفرنسية:

« ١- لا اتداب انكليزيا ولا انكليزيا - فرنسيا مشتركا بالنسبة لكردستان ككل فيما عدا المناطق الأكثر استقراراً في كردستان الجنوبية حيث يحتمل ذلك ؛ ٢- ترفض السيطرة التركية على كردستان حتى وان كانت اسمية ؛ ٣- لا يمكن أن تعتبر قضية كردستان منفصلة عن (مسألة - ك. م) تشكيل الدولة الأرمنية التي اتفق عليها الفرنسيون والبريطانيون ؛ ٤- لا يترك الكرد ليقروا بأنفسهم ما اذا كانوا يشكلون دولة واحدة أو يكونون عدداً من المناطق الصغيرة المتفككة ؛ ٥- يجب منح الأكراد ، ان أمكن ، الضمان ضد اعتداء الترك ؛ ٦- يعتبر الجانبان البريطاني والفرنسي

(١٣) راجع :

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. IV, P. 921.

أن من الضروري تجنب خلق مشاكل في مناطق الحدود مشابهة لما تواجه بريطانيا في الهند » . وقد أعلن رئيس الجانب الفرنسي اتفاه مع مقترحات اللورد كيرزن « بوجه عام » ، ولكنه فضل ترك مناقشة الموضوع الى فرصة أخرى (٩٤) .

والوثائق البريطانية الخاصة نفسها طافحة بالشواهد التي بإمكانها وضع النقاط على الحروف بشكل لا لبس فيه . غير أن المهم ، بالنسبة لمجال بحثنا ، أن تلك الوثائق مليئة بالأفكار المتضاربة الى حد الارتباك الواضح ، فهي تتحدث في وقت واحد عن «الحكم الذاتي» و « الاستقلال » وتشكيل « دويلات كردية » و « ضمان حدود آمنة ليسويوتاميا في الشمال » ورفض « الحماية الفرنسية أو الانكليزية وكل شكل من أشكال الاشراف الأوروبي » و « ضرورة نيل بريطانيا حق الضمان لما يقرر للاكراد في جميع الأحوال » و . . . و . . . (٩٥) .

انكست هذه الصورة بشكل آخر في الجانب المقابل . فحكومة السلطان (٩٦) ترددت بدورها بين المواقف المتباينة ازاء مستقبل الأكراد . لقد

Ibid, Vol. IV, PP. 967 — 970. (٩٤)
Ibid, Vol. IV, PP. 679, 694 — 695, 743, 813 — 814 etc.; Vol. (٩٥)
XIII, PP. 49 — 50, 66, 108 etc.

راجع كذلك :

S. S. Gavan, Kurdistan. Divided Nation of the Middle East, London, 1958, PP. 29 — 31.

(٩٦) بعد التوقيع على « هدنة مودروس » مباشرة استقالت الوزارة الاتحادية التي كان يقف على رأسها جاويد باشا ، وشكل الوزير الحميدي والسفير السابق في لندن توفيق باشا المعروف بموالاه للانكليز الوزارة الجديدة التي ظلت في دست الحكم حتى آذار من العام ١٩١٩ حيث حلت محلها وزارة أخرى برئاسة الداماد [لقب يطلق على نسيب السلطان] فريد باشا المعروف كذلك بميوله الانكليزية .

حاولت في البداية كسب ود زعمائهم والتزمت بوعود معينة حول تلبية مطالبهم^(٩٧) ، وكان ذلك يجري ضمن الخط الجديد الذي تبناه الباب العالي ازاء الشعوب المتبقية في اطار الدولة العثمانية المنهارة ، مما اقتضى اشراك عدد من العناصر غير التركية في الوزارة التي ألفها الداماد فريد باشا في آذار من العام ١٩١٩ . كما قام رئيس الوزراء الجديد بتشكيل لجنة ضمت ثلاثة من غير الأتراك (أرمنيا ويونانيا وكرديا) لدراسة مقترحات الحلفاء بشأن بنود معاهدة الصلح بين الطرفين ، وسافر بنفسه على رأس وفد مشابه الى مؤتمر الصلح بباريس^(٩٨) . لكن ذلك لم يكن يعني أن الباب العالي تخلى عن سياسته القومية التقليدية ، بل لم يكن الأمر يتعدى في أغلب الأحيان حدود مناورات سياسية أملت ظروف خاصة لم يندر تخطيطها حتى في مثل تلك الأيام الصعبة في تأريخ البلاد. وقد لعب ذلك دوره في دفع العديد من الزعماء الكرد الذين لم يستطيعوا ، بعد ، فهم الطبيعة الاستعمارية للدول الكبرى على حقيقتها ، الى التقرب أكثر فأكثر من الانكليز ووقوع بعضهم فريسة سهلة في شباك أحابيلهم^(٩٩) .

وهكذا فمن خلال الحقائق التي تطرقنا اليها ، وحقائق أخرى غيرها سنتطرق اليها ، يجب علينا النظر الى الموقع الغريب والفريد الذي خصص

(٩٧) شكل الباب العالي هيئة عليا لدراسة المسألة الكردية ، تالفت من شيخ الاسلام ووزيرى الأشغال والبحرية وعدد من الشخصيات الكردية (للتفصيل راجع : الدكتور بلهج شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٦٥ - ٦٨) .

(٩٨) راجع : ((Sévres and Lausanne)) , PP. XVII — XVIII.

(٩٩) توجد في الوثائق البريطانية التي تعود الى تلك الفترة اشارات تدل على ذلك بشكل واضح (راجع على سبيل المثال :

((Documents on British Foreign Policy)) , Vol. IV, PP. 926 — 927).

للالكراد في « معاهدة سيفر » التي تستحق وقعة خاصة لا باعتبارها خاتمة سلسلة المعاهدات التي أسفرت عن مؤتمر الصلح بباريس فحسب ، بل كذلك لما أثارت من شعور رومانيكي مبرر بين أوساط كردية مختلفة^(١٠٠) .

وقعت المعاهدة الجديدة في العاشر من آب من العام ١٩٢٠ في مدينة سيفر القريبة من باريس بين انكلترا وفرنسا وايطاليا واليابان وبلجيكا واليونان ورومانيا وهولونيا والبرتغال وچيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والحجاز وأرمينيا من جهة والأمبراطورية العثمانية^(١٠١) من جهة أخرى . تتألف معاهدة « سيفر » من ١٣ باباً و ٤٣٣ بنداً^(١٠٢) أعدتها خمس لجان خاصة تفرعت من مؤتمر

(١٠٠) قد يصعب العثور بين المتعلمين الاكراد على من لم يسمع شيئاً عن « معاهدة سيفر » التي يرون فيها ضرباً من ضروب «العدالة» النادرة التي « بصرت » مسألتهم القومية ، مما يجعلهم ، بل يجعل معظم الكتاب والساسة الاكراد ، بعيدين ، الى حد كبير ، عن فهم المحتوى الحقيقي لهذه المعاهدة ، ولاسيما بنودها المخصصة للبحث في مصير الشعب الكردي . وقد بلغ اعجاب بعض المثقفين الكرد بها حد أنهم اختاروا كلمة « سيفر » اسماً يطلقونه على اولادهم .

ربما كان الأستاذ المؤرخ محمد أمين زكي المثقف الكردي الوحيد من الجيل السابق ، الذي أدرك كنه البنود ٦٢ - ٦٤ من « معاهدة سيفر » وما ورد فيها من « شروط وتحفظات قوية وشديدة » جعلت منها « كلمات جوفاء لامعنى لها ولامدلول في عالم السياسة والواقع » و « لم توضع الا للتفريير بالأمم والشعوب ولخداع الجماعات البشرية... » . لكن ما يؤخذ عليه هو أنه لم ير الشيء نفسه بالنسبة للبنود المتعلقة بالأرمن والتي لم تكن في الواقع سوى الوجه الآخر من العملة نفسها (راجع : محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، الص ٢٨١ - ٢٨٣) .

(١٠١) الاصح حكومة استانبول . ومع أن الحجاز ويوغوسلافيا تدخلان ضمن الدول المشتركة في مفاوضات الصلح ، فإن معاهدة « سيفر » لاتحمل توقيع ممثلينها .

(١٠٢) للاطلاع على نص المعاهدة راجع :

((Sévres and Lausanne)), PP. 3 — 136.

باريس ، ولم تستهدف صياغة الشكل القانوني لانتهاء وجود الأباطورية العثمانية فحسب ، بل وتمزيق تركيا ذاتها وتحويلها الى شبه مستعمرة^(١٠٣) كذلك ، فسخرت من أجل ذلك وضمن مخطط انكليزي واضح المعالم مسائل عادلة لعدد من شعوب المنطقة ، في مقدمتها المسألتان الأرمنية والكردية . كانت بنود المعاهدة تقضي بفصل سмирنا عن تركيا وضمها الى اليونان وتنظيم اشراف دولي على البسفور والدردينيل^(١٠٤) وتعيين حدود تركيا الأوروبية وتجريدها من جميع الجزر الواقعة داخل مياهاها الاقليمية وتقليص قواتها العسكرية الى مادون الحد الأدنى^(١٠٥) وفرض اشراف مباشر على مرافق البلاد الاقتصادية وغيرها . وأقرت تركيا كل ما اتخذ من قرارات حول فرض الاتداب أو الاشراف المباشر للدول الكبرى على الممتلكات العثمانية السابقة .

« أعطى الأرمن الكثير على الورق » ، في هذه المعاهدة ، حسب التعبير الموفق لتيمبرلي^(١٠٦) . أما الكرد فقد منحوا أقل حتى من ذلك . وهو ما جاء في انسجام تام مع طبيعة المعاهدة نفسها . فقد لعب الانكليز دوراً أساسياً في صياغة بنودها المتعلقة بالمسألة الكردية^(١٠٧) بالشكل الذي يتوالم تماماً مع

(١٠٣) عندما كانت لجان المؤتمر منهمكة في اعداد مسودة معاهدة « سيفر » ، أعلن لويد جورج امام مجلس العموم أنه « لاشيء نأسف عليه لأن تركيا تختفي من المسرح » .

(١٠٤) كان من المقرر ان يكون للجنة التي تشرف على المضائق علمها الخاص مع جهاز اداري وشرطة مستقلة وميزانية خاصة (البنود ٣٧ - ٦١) .

(١٠٥) تقرر تقليص القوات التركية الى حوالي ٦٠ ألف رجل بضمنها ٧٠٠ من حرس السلطان الخاص و ٣٥ ألف من الجندرية (البنود ١٥٤ - ١٦٤) .

(١٠٦) ((A history of the Peace Conference of Paris)), Vol. VI, P. 83.

(١٠٧) خصص لها كل القسم الثالث من الباب الثالث الذي يحمل عنوان « كردستان » ويتألف من ثلاثة بنود (٦٢ - ٦٤) .

ظرتهم آتت الى ظروف المنطقة وسياستهم ازاءها . وان نظرة عميقة الى تلك البنود تجعل منها ، في الواقع ، تلك « المزهية المحطمة » التي تحدث عنها السياسي الفرنسي المعروف بوانكاريه^(١٠٨) . يقول البند ٦٢ :

« تقوم لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء معينين من قبل الحكومات البريطانية والفرنسية والاطالية مركزها استانبول ، خلال ستة أشهر ، من تأريخ تنفيذ مفعول هذه المعاهدة ، باعداد مشروع حكم ذاتي محلي للمناطق التي يشكل فيها الأكراد الأكرية والتي تقع الى الشرق من الفرات والى الجنوب من الحدود الجنوبية لأرمينيا ، كما تحدد فيما بعد^(١٠٩) ، والى الشمال من الحدود التركية مع سوريا وميسوپوتاميا بشكل متوافق مع الوصف الوارد في (3٠ ' 2٠ - II) من البند السابع والعشرين (من المعاهدة نفسها - ك.م) . وفي حالة حدوث اختلاف في الرأي حول موضوع ما ، يعرض الاختلاف من قبل أعضاء اللجنة على حكوماتهم المعنية . ويجب أن تتضمن هذه الخطة الضمانات التامة لحماية الآثوريين - الكلدان وغيرهم من الأقليات العنصرية أو الدينية الداخلة في هذه المناطق . ومن أجل هذا الغرض تقوم لجنة مؤلفة من ممثلين بريطاني وفرنسي واطالي وایراني وكردي بزيارة الأماكن لدراسة التغييرات التي يجب اجراؤها ، عند الحاجة ، في الحدود التركية حيثما تلتقي بالحدود الايرانية ، ولتقريرها ، بحكم قرارات هذه المعاهدة » .

(١٠٨) يوجد في مدينة سيفر ، حيث وقعت المعاهدة ، معمل لصنع الاواني الفخارية وقد اشتهرت المدينة بتلك الاواني . ومن هنا استعار رئيس الجمهورية السابق بوانكاريه [ظل في كرسي الرئاسة حتى كانون الثاني من العام ١٩٢٠] تشبيهه المذكور (راجع :

((Sévres and Lausanne)), P. VIII .

(١٠٩) ترك أمر تعيين حدود أرمينيا للرئيس الأمريكي ولسن ، كما نبين ذلك فيما بعد .

وينص البند ٦٣ على مايلي : « تتعهد الحكومة التركية من الآن بالاعتراف بقرارات اللجنتين المذكورتين في البند ٦٢ والقيام بتنفيذها خلال ثلاثة أشهر من تأريخ ابلاغها بها » .

ثم يأتي دور التناقض والارتباك والتخطيط في ضوء الأحداث والتوقعات ضمن البند ٦٤ الذي جاءت صياغته على الشكل التالي :

« اراجع الأكراد القاطنون في المناطق الواردة ضمن البند ٦٢ ، مجلس عصبة الأمم خلال سنة من نفاذ هذه المعاهدة ، مبينين أن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال عن تركيا ، و اذا وجد المجلس آنذاك أن هؤلاء جديرون بمثل ذلك الاستقلال ، و اذا أوصى (المجلس - ك.م.) بمنحهم اياه ، فان تركيا تتعهد من الآن أن تراعي تلك التوصية ، فتتخلى عن كل مالها من حقوق وحجج (قانونية - ك.م.) في هذه المناطق ، و تصبح تاصيل هذا التنازل موضوع اتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا . و اذا وقع مثل هذا التخلي ، وفي الوقت الذي يحدث فيه (١١٠) ، فان الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للأكراد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي مايزال حتى الآن ضمن ولاية الموصل ، الى هذه الدولة الكردية المستقلة » (١١١) .

قبل أن تقيم هذه البنود في اطار مضمونها الخاص ، وفي اطار المعاهدة العام ، من الضروري أن نشير الى أن « معاهدة سيفر » مست المسألة الكردية مرة أخرى من خلال معالجتها للمسألة الأرمنية ضمن بنودها ٨٨ - ٩٣ (١١٢)

(١١٠) هكذا ورد في النص .

(١١١) راجع نص البنود في : . PP. 24 — 25 . ((Sévres and Lausanne))

Ibid, PP. 31 — 32 .

(١١٢)

التي نصت على تشكيل «دولة أرمنية مستقلة حرة» (البند ٨٨) والتي أعطت الرئيس الأمريكي ولسن حق تعيين حدودها مع تركيا « في ولايات أروم و طرابزون و وان وبدليس » مع تحديد المناطق المتاخمة لتلك الحدود والتي ينزع منها السلاح (البند ٨٩) . وقد قام الرئيس ولسن فعلا بتعيين الحدود المذكورة في تشرين الثاني من العام ١٩٢٠ حيث بدأت من نقطة على البحر الأسود وامتدت الى أرزنجان وموش وبدليس وبحيرة وان وهي بذلك تكون مطابقة لخطوط النار بين القوات الروسية والتركية خلال سنوات الحرب (١١٣) . وكان الرئيس ولسن يميل الى قبول الاتداب على أرمنيا تؤيده في ذلك أواسط مالية أمريكية .

ليس من الصعب على المرء ادراك كنه كل الشروط الواردة في البنود المتعلقة بالمسألة الكردية وفهم الأسباب الحقيقية التي دفعت الانكليز الى غض الطرف كلياً عن مناطق كردية واسعة بحجة عدم اشتراك الدولة التي تضمها في الحرب . ان دليلاً قوياً آخر على أن الحلفاء ، وعلى رأسهم الانكليز ، لم يكونوا يفكرون حقاً في استقلال كردستان ، هو أنه في اليوم نفسه الذي تم فيه الاعلان عن التوقيع على «معاهدة سيفر» ، عقدت بريطانيا وفرنسا واطاليا اتفاقاً ثلاثياً خاصاً لتقسيم مناطق النفوذ في كردستان الشمالية فيما بينها ، مستندة في ذلك الى بنود «معاهدة سيفر» نفسها (١١٤) . والأبلغ من ذلك أن

(١١٣) راجع : مصطفى كمال (امانتورك) ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ،

الصفحة ١٣٨ . راجع كذلك : A. M. Shamsüddinov, Op. Cit., P. 228.

(راجع الهامش ١١٢ في الصفح ٧٨ من الفصل الأول) .

(١١٤) للتفصيل راجع :

J. C. Hurewitz, Op. Cit., Vol. II (1914 — 1956), Princeton, 1956, PP. 87 — 88.

من الجدير بالذكر انه تم في اليوم نفسه وفي مدينة سيفر نفسها أيضاً

الدول الكبرى ، عندما اضطرت الى التراجع أمام الحركة القومية التركية ، بدأت بالحلقة الأضنف في المعاهدة . فعندما عقد مؤتمر لندن (٢١ شباط - ١٤ آذار من العام ١٩٢١) لاعادة النظر في المعاهدة ، أسرع الحلفاء فأعلنوا « أنهم على استعداد فيما يخص كردستان » ل « يتدارسوا تعديل المعاهدة في ضوء فهم مطابق لحقائق الوضع الراهن»^(١١٥) ، وهو ما دفع المتتبع المعروف لمعاهدات الصلح تيمبرلي الى الشك ، في وقت مبكر ، بجديّة البنود المتعلقة بالأكراد في «معاهدة سيفر»^(١١٦) .

لم تكن «معاهدة سيفر» بشكل عام - على حد قول وليام ايغلتن - سوى «حروف ميتة منذ لحظة التوقيع عليها ، ذلك لأن التاريخ دون بشكل آخر من قبل مصطفى كمال»^(١١٧) . فسلطة حكومة السلطان التي وقعتها واحتفت بها في ظل أعلام الدول الحليفة وعلى وقع أنغام أناشيدها

=

التوقيع على سلسلة اخرى من الاتفاقات والمعاهدات بين الدول الكبرى حول تقسيم بقايا تركيا وتوزيع مناطق النفوذ في الأناضول والاستغلال المشترك لجميع السكك الحديدية التابعة للإمبراطورية العثمانية .
(١١٥) راجع :

((A history of the Peace Conference of Paris)) , Vol. VI, P. 91.

قام الحلفاء في مؤتمر لندن بتنازلات أخرى غير أساسية لتركيا مثل سحب القوات الأجنبية على جانبي المضائق الى مسافة ٢٥ كيلومتراً وإخلاء استانبول من قطعات الدول الحليفة وذلك « بعد التأكد من نوايا الأتراك الطيبة في تنفيذ الالتزامات المقررة » والسماح برفع القوات التركية الى ٧٥ ألف شخص بشرط أن لايزيد عدد أفراد الجيش عن ٣٠ ألف رجل وتكون البقية من الجندرية وبعض التنازلات الشكلية المشابهة الأخرى .

Ibid (١١٦) ذكر المؤلف القول نفسه في الطبعة الأولى من كتابه ، اي في العام . ١٩٢٤

W. Eagleton, Op. Cit., P. 12. (١١٧)

القومية^(١١٨) ، لم تكن لتتعدى «المناطق الواقعة على مدى الرؤية من منائر المدينة» حسب وصف م. فوت الدقيق لها^(١١٩) . لذا لم يكن عبثاً أن اتهم الداماد فريد باشا ووزارته بالخيانة الوطنية فاضطر الى تقديم استقالته ، وأن لم يجروء السلطان على المصادقة على المعاهدة التي نظمت ضدها مظاهرات واجتماعات في مختلف المناطق ، بما فيها العاصمة استانبول التي لم تلغ فيها الأحكام العرفية والرقابة العسكرية . والى جانب هذا السبب الأساسي ، لعب صراع المصالح المحتدم بين الدول الكبرى دوراً أساسياً في وأد « معاهدة سيفر » ، تلك المصالح التي أصبحت الشعوب الصغيرة في صدر قائمة ضحاياها . فسرعان ما بدأت الصحافة الفرنسية تتهجم على بنود المعاهدة ، ولم تمر سوى أشهر قلائل على التوقيع عليها حتى طالبت الحكومة الفرنسية بإعادة النظر فيها . وبالرغم من أن إيطاليا كانت الدولة الوحيدة التي صادقت على المعاهدة^(١٢٠) ، إلا أنها تنصلت منها بسرعة وأعلنت عدم استعدادها لإرسال « جندي واحد » الى المناطق العثمانية السابقة في سبيل تنفيذ بنود المعاهدة . كما قوبلت المعاهدة بفتور كبير في الأوساط السياسية الأمريكية . وفي الوقت نفسه أقلق نجاحات الحركة الكمالية ونمو علاقاتها مع السلطة السوفيتية الجديدة جميع الأطراف^(١٢١) . وهكذا اضطرت انكلترا الى

(١١٨) راجع : ((Sévres and Lausanne)) , P. XVIII.

(١١٩) M. R. Foot, British Foreign Policy Since 1898, London, P. 88.

كانت الحركة الكمالية قد تبلورت في هذه المرحلة وأخذ معظم مناطق البلاد تدين لها بالولاء .

(١٢٠) حالت ظروف تركيا والعلاقات الدولية دون قيام أي دولة ، حتى انكلترا صاحبة المعاهدة الشرعية ، بالمصادقة عليها ، أما المصادقة الإيطالية فقد جاءت كأجراء روتيني محض .

(١٢١) اعترف بذلك العديد من كبار مسؤولي الحلفاء والصحافة الغربية كذلك ، وكان أحد المواضيع الأساسية التي نوقشت في مؤتمر باريس لوزراء

التراجع . وفي مؤتمر وزراء خارجية انكلترا وفرنسا وايطاليا بباريس (كانون الثاني من العام ١٩٢١) تقرر عقد مؤتمر خاص في لندن لاعادة النظر في « معاهدة سيفر » حيث أصبحت البنود ٦٢ - ٦٤ الضحية الأولى لهذا المؤتمر ، كما ذكرنا من قبل . ومن بعده ، ومع انتهاء الحاجة الى ذكر اسم الكرد ، تم طردهم نهائيا من اللعبة بحيث لم يبق لهم حتى مجرد مكان بسيط في المئة والثلاثة والأربعين بنداً من بنود «معاهدة لوزان» (١٢٢) التي حلت في ٢٤ تموز من العام ١٩٢٣ محل «معاهدة سيفر» .

ان النظرة المجردة الى ما حدث في باريس أثناء مفاوضات الصلح وما نجم عن هذه المفاوضات من مناورات ومساومات واتفاقات ومعاهدات بين الدول الكبرى ، تجعل المتبع يتفق تماماً مع ماعلق به الدبلوماسي الأمريكي جورج كينن على معاهدات الصلح حيث قال «لقد دوت مآسي المستقبل في هذه المعاهدات بيد الشيطان» (١٢٣) ، فأقل مايمكن أن يقال عنها انها لم تستطع أن تجنب البشرية مأساة حرب عالمية ثانية .



خارجية انكلترا وفرنسا وايطاليا (كانون الثاني من العام ١٩٢١) وفي مؤتمر لندن الانف الذكر (للتفصيل راجع :

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 112 — 114; A. M. Shamsüddinov, Op. Cit., PP. 233 — 235).

((Sévres and Lausanne)), PP. 143 — 189. راجع نصها في :

G. F. Kennan, American Diplomacy 1900 — 1950, Seventh Printing, New York, 1959, P. 61. (١٢٢)

خاتمة

تسمح لنا الحقائق والمقارنات والتحليلات التي أوردناها في مقدمة هذا الكتاب وفصوله الستة ، بالوصول الى بعض الاستنتاجات فيما يتعلق بتاريخ الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى .

تشكل هذه الحرب بأحداثها والتغيرات المهمة التي أسفرت عنها ، مرحلة مهمة وبارزة في تاريخ الشعب الكردي ، شأنه في ذلك شأن معظم شعوب العالم الأخرى . مرحلة لاتضاهي بالطبع في أهميتها وبروزها تلك التي تشكلها هذه الحرب في تاريخ الشعوب الأوروبية او الشعب التركي ، ولكنها تقف في مستوى المرحلة التي تشكلها في تاريخ غالبية شعوب الشرقين الأدنى والأوسط . فما كان بوسع كردستان بموقعها الاستراتيجي وثرواتها الوفيرة أن تكون بمعزل ، بحال من الأحوال ، عن الأسباب التي أدت الى اندلاع الحرب ، وعن الحرب نفسها وعواقبها . وبوصفها جزءا من الدولة العثمانية التي باتت محط أقطار الدول الكبرى كلها ، حيث كانت هذه الدول تنتظر بلهفة ساعة توزيع أسلابها فيما بينها ، فقد كان لها موقعها بين الأسباب التي أدت الى اشتعال نيران الحرب .

كانت كردستان قد استلقت اليها أقطار معظم الدول الكبرى . فكان كل من هذه الدول تعمل من جانبها لتحصل لها على موقع أنسب بين أوساط

الشعب الكردي وعلى أرض بلاده . كانت روسيا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا تنشط لتحقيق هذه الغاية . وكان لكل منها في هذا المضمار نهجها الخاص الذي ينسجم مع ظروفها وتطلعاتها وخطتها . ومع ذلك فقد أفضى اهتمام الأولين من هذه الدول الأربع الى نتائج أكبر مما أفضى اليها اهتمام الثالثة والرابعة . وكان ذلك ينعكس في الأحداث التي وقعت قبل الحرب وخلالها في فترات متقاربة . كانت روسيا تهتم في سنوات ما قبل الحرب وفي سنوات الحرب كذلك بأرمينيا وكردستان أكثر مما كانت تهتم بالأجزاء الأخرى من الأمبراطورية العثمانية ، وبات هذا الاهتمام يحتل بعد تحرر المناطق البلقانية واحدا من أبرز المواقع في السياسة الخارجية للقيصرة الروس . ذلك لأن أرمينيا وكردستان كاتتا تقعان على حدود بلادهم الشاسعة ، وكان بكنتهما أن تؤثرا من أوجه عديدة على مناطق القفقاس . أما بريطانيا فقد كانت تولي كردستان الجنوبية مزيد اهتمامها ، وكانت تريد أن تجعل منها مع الأجزاء الأخرى من العراق قاعدة استراتيجية واقتصادية مهمة لها في الشرقين الأدنى والأوسط . ولكن ما ان اقتضت ثورة أكتوبر الاشتراكية فانفضح أمر معاهدة «سايكس بيكو» السرية وزالت المخاوف التي كانت تراود بريطانيا فيما مضى في مجاورة روسيا ، ونشأ خطر جديد^(١) ، حتى غدا الانكليز يهتمون بجميع المناطق الكردية دون استثناء ، أكثر بكثير من ذي قبل ، مما دفع العديد من المستشرقين السوفيت في العشرينات والثلاثينيات للاعتقاد بأن بريطانيا كانت تنوي اقامة ما أسوها « دولة حاجزة » في المناطق الكردية ، وذلك ضمن مخططاتها الواسعة الموجهة ضد الدولة السوفيتية الفتية آنذاك ، بقصد الحيلولة دون أن تثير تجربتها الثورية الجديدة شعوب المستعمرات

(١) المقصود من هذا الخطر هو ثورة أكتوبر الاشتراكية التي اندلعت في العام ١٩١٧ واقامة السلطة السوفيتية وانتصار النظام الاشتراكي في روسيا .

البريطانية^(٢) .

لقد زعزت أحداث الحرب والمعاهدات السرية التي عقدها الدول الكبرى فيما بينها وانكشاف زيف الوعود والمهود التي كانت قد ثرتها وبذلتها يمينا وشمالا ، ثقة شعوب الشرقين الأدنى والأوسط الى حد كبير . صحيح أن أسبابا مثل التخلف ومظالم العثمانيين التي كانت قد تجاوزت كل الحدود وغير ذلك ، حالت دون أن تظهر معالم انعدام الثقة هذا في الوسط الكردي بسرعة ، غير أن مقدماته وبواكيره قد نشأت منذ ذلك الحين ، وقد ترسخ أكثر من ذي قبل بعد انتهاء الحرب ، وعلى وجه الخصوص في كردستان الجنوبية^(٣) . ولكن الدول الكبرى ، وبالدرجة الأولى بريطانيا وروسيا ، قد استغلت رغم ذلك ظروف الحرب لتعزيز مواقعها في مختلف أجزاء كردستان وبصورة خاصة بين الرؤساء والمتنفذين الكرد ، وكان ذلك بحد ذاته أمرا مهما بالنسبة لتلك الدول ، لأن أحداث الحرب كانت تستلفت أظفارها الى أهمية كردستان أكثر فأكثر . وقبيل انتهاء الحرب وبعد انتهائها مباشرة ، أخذ عملاء الانكليز وخبرائهم يفلدون الى مختلف المناطق الكردية أفواجا ، وقد آتى ذلك ثماره سريعا بالنسبة للانكليز .

أدت النتائج التي تمخضت عنها الحرب الى إعادة تقسيم كردستان .

(٢) ذهب العديد من المستشرقين السوفيت في تلك الفترة الى ان الانكليز كانوا يخططون لاقامة سلسلة من الدول الرجعية الموالية لهم في أفغانستان وايران وكردستان وغيرها لتتحول الى حاجز يعزل السوفيت عن الشعوب الأخرى (راجع على سبيل المثال :

Kurd - Oghlu, Op. Cit., PP. 113 — 114).

(٣) انعكس ذلك في كردستان الجنوبية بسرعة ، لأنها وقعت تحت السيطرة المباشرة لاحدى تلك الدول الكبرى . ومحركات الشيخ محمود ومسايعه الكثيرة في اوائل العشرينيات للتعاون مع الكماليين الانماذج جلية لذلك .

فظل الجزء الشرقي منها داخل الاطار الايراني ، ذلك لأن ايران لم تكن قد دخلت الحرب بصورة رسمية . أما الجزء الآخر منه فقد قسم الى قسمين ، بقي القسم الشمالي منهما ضمن الدولة التركية الحديثة ، وذلك بعد أخذ ورد قليلين وبتأثير من انتصار حركة الكمالين . أما القسم الجنوبي منهما فكانت عاقبة أمره أن دخل في قبضة الانكليز . ومع ذلك فإن أحداث الحرب وعواقبها وأسبابا أخرى أدت الى أن تبرز المسألة الكردية على المسرح الدولي أكثر من أي وقت مضى حتى ذلك الحين .

أثرت إعادة تقسيم كردستان واقامة السلطات المركزية بعد الحرب بفترة وجيزة ، على أوجه عديدة من حياة الكرد الاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عن تأثيرها على حياتهم السياسية . وكان أبرز وجوه ذلك التأثير توقف عملية نشوء السوق الموحدة في كردستان . كما بات تنقل القبائل الكردية بين مشاتي كردستان ومصائفها أشد صعوبة من ذي قبل ، فأدى ذلك بدوره الى الاسراع في عملية توطين القبائل الكردية المترحلة التي كان دورها في المجتمع يسير بسرعة فائقة نحو الزوال .

وعلاوة على ذلك فإن أحداث الحرب وتوائجها باتت عقبة كأداء أمام التطور العام للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية^(٤) للكرد ، شأنهم شأن الشعوب الأخرى في المنطقة . لقد أهمل معظم الأراضي الزراعية ، ولم يكن هناك من يزرعها . وهقت المواشي والدواب بنسبة عالية ، مما بات عاملا مساعدا جديدا لمزيد من الاسراع في أمر توطين القبائل الكردية الرحل . علينا أن نلفت الأنظار كذلك الى أن هذا التدهور في الزراعة وتربية المواشي

(٤) قدر عدد المثقفين الكرد الذين لقوا حتفهم في موقعة چناقلمه وحدها بحوالي ٤٠٠ شخص بين ضابط ومجنّد .

في كردستان جاء في وقت كانت المنطقة تندمج فيه بسرعة في السوق الرأسمالية وكان رأس المال وحركة النقود يكتسبان أهمية أكثر من السابق ويلعبان دورا أكثر بروزا . لقد كان تراكم رأس المال قد بدأ . ومن هنا فان آثار أضرار الحرب كانت أكثر وأشد . ومن الجدير بالذكر أن أسبابا واضحة أدت الى أن لا يستطيع الكرد التخلص من نتائج الحرب الا بعد فترة متأخرة بالقياس الى الشعوب الأخرى .

لقد أدت المجاعات وسوء الأوضاع المعيشية والحياة الى تعزيز سلطة الاقطاعيين في كردستان ، كما أدت الى وقوع المزيد من الأراضي في أيديهم . وقد تجلت هذه العملية ، ونمى بها استيلاء الاقطاعيين على المزيد من الأراضي ، بصورة أكثر وضوحا واتساعا في المناطق التي كان يعيش فيها الأرمن . لقد استمر اشتداد النفوذ الاقطاعي في كردستان العراق في ظل الانكليز . أما في الأجزاء الأخرى منها فقد حد منه الى درجة ما في ايران ، وفي تركيا بدرجة أكبر، اثر انتقال السلطة الى البورجوازية في هذين البلدين . ومع كل ذلك ، فان نتائج الحرب العالمية الاولى ، أدت الى تسريع اندماج كردستان بالسوق الرأسمالية ، وأدى ذلك بدوره الى حدوث تغيرات جديدة في المجتمع الكردي .

تحول اندلاع الحرب العالمية الاولى الى عقبة كبيرة بوجه نمو النضال القومي التحرري للشعب الكردي وتطوره ، ذلك النضال الذي كان قد أوشك أن يدخل مرحلة جديدة في فترة ما قبل الحرب . ولكنه لم يتوقف بسبب الحرب ، وان كان قد خفت . وقد لعبت السياسة العثمانية دورا كبيرا في هذا الأمر، ذلك لأن فشل العثمانيين في كسب الشعب الكردي الى جانبهم، كان يعني بقاء القوة المحركة لهذا النضال واستمراره في الميدان . وقد حدث

سلسلة من الانتفاضات الجديدة في أصقاع كردية مختلفة ، الا أن معظمها كانت عفوية ، كما كانت جميعها تعاني من عدة نواقص تنظيمية . كانت تلك الانتفاضات متقطعة ومفككة ولم تتحد جميعا في مجرى موحد ، وكان ذلك نتيجة للتمزق القبلي وبسبب من التأثيرات المتباينة للدول المختلفة في مختلف أنحاء كردستان . لقد بذلت في بداية الحرب بعض المساعي من أجل الاتحاد، الا أنها لم تتحول الى وقائع سياسية فاعلة ولم تعد كونها مقدمات دونما نتائج .

وهكذا فان نضال الشعب الكردي في سنوات الحرب ظلت أسيرة اطار ضيق وفي مستوى متدنٍ ، ولم يستطع أن يبلغ مرتبة نضال الشعوب الأخرى في المنطقة . ورغم ذلك فان لهذا النضال أهميته التاريخية ، ذلك لأنه يعكس قبل أي شيء استياء الجماهير الشعبية في كردستان من سياسة العثمانيين المتخلفة ، التي لعبت ، دون أن تريد ذلك ، دورا ملموسا في تقريب شعوب الأمبراطورية المطلوب على أمرها من بعضها . فقد شهدت تلك المرحلة التاريخية التي تفاعلت أحداثها فيما بينها في اطار الترابط الأفقي بين تلك الأحداث ، بوادر جيدة للنضال المشترك بين الأكراد وغيرهم من شعوب المنطقة .

ظل الحكام العثمانيون ، كما كانوا في سابق عهدهم ، لا يحسبون لنضال الشعب الكردي والشعوب الأخرى في أمبراطوريتهم أي حساب ، بل لم يكونوا يميرون ظروف الحرب الدقيقة أهمية تذكر ، ولم يكونوا يفكرون قليلا أو كثيرا في ايجاد حل لمشاكل القوميات التي كانت تعيش ضمن الأمبراطورية . وفضلا عن ذلك فقد ضربوا العرب والأرمن والآشوريين والكردي في سنوات الحرب بشدة ، دون أن يساعدهم ذلك أدنى مساعدة في

الحفاظ على كيان الدولة العثمانية ، كما كانوا يتوهمون ، بل لعب على العكس دوره في خلق استياء مشروع من هذه الدولة في نفوس أبناء هذه الشعوب وفي اضياع الدولة في آخر الأمر . وقد تجلّى ذلك فور انتهاء الحرب في سلسلة من الحوادث ، نذكر منها على سبيل المثال مشكلة الموصل التي وقف فيها الكرد والآثوريون ، فضلا عن العرب ، ضد تركيا بكل صورة ، الا في بعض الحالات الاستثنائية النادرة^(٥) .

لقد عانى الشعب الكردي محنا ومصائب كثيرة من جراء الحرب العالمية الأولى ، فلم تكن هناك أسرة ليس لها ابن في مععان القتال او لم يتشرد في الجبال خشية سوقه الى سوح الوغى . لقد راح عشرات الألوف من الأكراد كبوش فداء لأحداث الحرب . كل ذلك كان يثير مشاعر الناس بالطبع ويجعلهم يشتمزون من الحرب أكثر من أي وقت مضى . وماتزال أخبار مآسي تلك السنين وقصصها في أذهان الناس وهم يتداولونها فيما بينهم ، ويبدو أن بعضا منها يبقى في المستقبل كذلك . وبالرغم من أن المستوى المتخلف الذي كان يعيش فيه الكرد آتشد لم يمكن من أن تنعكس هذه الحقيقة ، كما ينبغي ، في الفكر الكردي ، لكن الفكر تأثر مع ذلك الى حد في هذا المضمار ، وهو ما جعل شاعرا ضريرا كالملا حمدون يتحدث في احدي قصائده ، بعمق ، عن مآسي الحرب ، فيصفها بأنها « عمت الجهات الست » وأن « أكباد الناس قد تقطعت » من جرائمها ، ويتضرع الى الله ليرحم « البقية الباقية من المسلمين »^(٦) .

(٥) لمزيد من التفصيلات حول الموضوع ، راجع : الدكتور فاضل حسين ، المصدر السابق .

(٦) راجع : حمدون ، شمري يشو ، « كلاويژ » ، ژماره ٤ ، سالي ٧ ، نيسانى ١٩٤٦ ، ل ٣٥ - ٣٧ (حمدون ، الحرب الماضية ، « كلاويژ » - مجلة - ، العدد ٤ ، السنة ٧ ، نيسان ١٩٤٦ ، الص ٣٥ - ٣٧) .

لقد بلغت مذبحه الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى أعلى مستوى لها منذ أن بدأت وفق خطة مرسومة في نهاية القرن التاسع عشر ابان حكم السلطان عبدالحميد . وتشكل هذه المذبحة احدى أكبر المآسي ليس في الحرب العالمية الأولى وحدها بل وخلال التاريخ الانساني كله . لقد كان ضرب الأرمن من الشدة والقسوة بحيث أثر ، الى جانب مذابح مسيحيي الأمبراطورية العثمانية الآخرين^(٧) ، على نشاطهم في العديد من الميادين الحياتية التي كانوا يلعبون دورهم فيها . لقد بات المسيحيون ، بمن فيهم الأرمن ، ينظرون الى النظام العثماني ، بعين الكره وبمشاعر الخوف ويتلهفون الى سقوطه في أقرب فرصة .

لقد اشتركت جماعات وأوساط كردية في هذه المذابح ، ولكنها لم يكن لها يد في تنظيمها . بل ان معظم هؤلاء المشتركين انما لطخوا أيديهم بالدماء التي أريقت فيها بتحريض من الحكومة ودفع منها أو باكراهها لهم على ذلك . خنة قليلة فقط من الآغوات والاقطاعيين الكرد استفادوا من مذابح الأرمن بأن استولوا على أراضى القتلى والهاربين وساعدتهم في ذلك الحكومة بأشكال متعددة ، في حين أن كثيرين غيرهم من الآغوات والاقطاعيين الكرد كذلك وقفوا بمعزل عما جرى ، بل ان بعضاً منهم قدم مساعدات مختلفة للضحايا الأرمن . وفضلا عن المطامع الاقطاعية والتحريض الحكومي ، فان قصر النظر القومي^(٨) والتعصب الديني الأعمى لعبا كذلك دورهما في تحديد

(٧) مثل المذبحة التي اقيمت لمسيحيي دمشق في العام ١٨٦٠ والتي وقف وراءها المسؤولون واذكى نارها عملاء المستعمرين . من الجدير بالذكر ان المجاهد الامير عبدالقادر الجزائري اتقد خلال تلك المذبحة عدة آلاف من المسيحيين من الموت المحتم .

(٨) حتى ان شخصا بعيد النظر مثل عبدالرزاق بدرخان كان يعتقد ان من الممكن أن تنتهي مذابح الأرمن في صالح الكرد ، وقد بنى رايه على اساس

الطابع العام للأحداث التي وقعت في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الشعب الأرمني . ولكن مهما كان الأمر ، فإن الأكراد الذين أسهموا في المناجح لم يكونوا أكثر من آلة وقد أصاب الأخوان ويكرام كبد الحقيقة عندما وصفا هؤلاء الأكراد بـ « الأداة المسخرة البريئة التي استخدمتها (حكومة استانبول - ك.م.م) للتنفيذ »^(٩) . لم يشترك الكرد في مذابح الأرمن كسبب ، ولم يكن بوسعهم أن يشتركوا فيها كذلك ، بل انهم قدموا المساعدات الأخوية من وجوه عديدة الى الأرمن المنكوبين والمشردين ، مما أدى ، الى جانب انكشاف الوجه العدائي للعثمانيين الذين كانوا يستبدون الشعبين الكردي والأرمني ، الى تمهيد الطريق لتقاربهما وتعاونهما . وقد تحولت بدايات هذا التقارب والتعاون ، بعد الحرب مباشرة ، الى عمل سياسي ملموس^(١٠) لم يستطع حتى القوميون الداشناق أن لا يعيروهم انتباههم ، وان كان لهم في ذلك دافعهم الخفي غير المنظور ، فقد كان يحركهم في ذلك الاتجاه معاداة التريك أكثر من أي شيء آخر^(١١) .

وهكذا ، وفي ضوء الحقائق التي سجلناها في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، نقول : اذا أردنا أن نكون موضوعيين في حكمنا على دور الكرد

ان من شأن هذه المذابح أن تحرك روسيا لتوجيه ضربة الى الدولة العثمانية ، مما كان يوفر - في نظره - فرصة سياسية مناسبة للكرد .

(٩) دبليو . اي . ويكرام وادگار تي . اي . ويكرام ، مهد البشرية (الحياة في شرقي كردستان) ، ترجمة جرجيس فتح الله ، بغداد ، ١٩٧١ ، الص ٤٠ .

(١٠) يدل على هذه الحقيقة الاتفاق الذي تم التوصل اليه اثناء مؤتمر الصلح في باريس بين شريف باشا ممثل الكرد و بوغوص نوبار باشا ممثل الأرمن ، وتعاون الأرمن مع القوى الوطنية الكردية كما سبق ان ذكرنا .

(١١) بات الداشناق ينتصرون للحركة القومية الكردية ويدافعون عنها ويتحدثون عنها في مطبوعاتهم .

في مذابح الأرمن ، علينا أن نحدد العوامل التي كانت تقرب بين الكرد والأرمن والتي كانت تفرق بينهم ، وأن نحدد هذه العوامل وقوتها في اطار زمانها ومكانها ، فبذلك نفهم بسهولة كيف أن بعض تلك العوامل كانت تدفع الأكراد القيصري النظر ليتحولوا الى احدى أدوات التنفيذ في المذابح الأرمنية ، وإن بعضا آخر منها كانت تجعل الكرد البعيدي النظر يقفون الى جانب الأرمن في تلكم الأيام المظلمة ، ويقدمون لهم يد العون والاحياء . لقد أهل كثيرون من المؤرخين هذه الحقيقة المهمة في تقييماتهم ، بل ان هناك مؤلفين سردوا صورا مهمة لمساعدة الكرد للأرمن ، ومع ذلك فقد أضافوهم (أي الكرد) بشكل بعيد عن المنطق^(١٢) وبأسلوب بدأ حتى الحكام العثمانيون أنفسهم يتخلون عنه في اثر اندحارهم في الحرب ، ففي مؤتمر دولي عقد بعد الحرب مباشرة اكنفى الوفد العثماني بالقاء تبعة المذابح الأرمنية على من أسماهم « بعض العملاء من المسلمين »^(١٣) .

تؤلف مراحل مذابح الأرمن جميعها سلسلة واحدة ، وليس هناك من فارق بين الأسباب التي تسببت فيها . انما يلاحظ الفرق الوحيد في مدى سعة كل منها والنتائج التي تمخضت عنها . لقد كانت تلك المذابح كلها أكبر وأعرق من أن تكون نتيجة لـ « تخلف الكرد » و « تعصبهم الأعمى »^(١٤) ،

(١٢) من أمثال هـ . كيلنك (راجع :

E. H. Keeling, Op. Cit., PP. 228 — 229.

راجع كذلك مقدمة هذا الكتاب) .

((Sévres and Lausanne)), P. XV.

(١٣) راجع :

(١٤) في كتاب « اباداة الارمن في الامبراطورية العثمانية » عشرات الادلة والوثائق التاريخية لاثبات هذا الموضوع . كما ان العديد من الكتاب لفتوا الانظار الى ذلك وذكروا انه لو كانت القضية قضية دينية لوجب اباداة المسيحيين كالم وليس الأرمن وحدهم .

ولم تكن كذلك بوحى من الاحساس الديني . انها كانت أعمالا سياسية هادفة ومنظمة . كانت تاج نمو الشعور القومي الأرمني وتطور الحركة القومية الأرمنية ومخاوف السلطة العثمانية ازاء تلك الحركة وقصر نظر الحكام في كيفية التعامل مع المسألة الأرمنية . ان السياسة التي دفعت الحكام لينقضوا على البلغار^(١٥) والأكراد والعرب (تشريد الأكراد والمذابح السوداء التي أقامها جمال السفاح في سوريا وغير ذلك) هي نفسها التي دفعتهم لآبادة الأرمن الا أن أسبابا خاصة جعلتهم يستخدمون تجاه الأرمن درجة أشد من القسوة . ولا ريب في أنه لو كان النصر في الحرب العالمية الأولى حليف أولئك الحكام ، لعاملوا الكرد والعرب واللاز والجرس والقوميات والأقليات الأخرى في الدولة العثمانية بمثل ما عاملوا به الأرمن تماما . وليس دوننا مناسبة أن نورد هنا كلمة للورنس المعروف والخير في مثل هذه الشؤون . يقول لورنس مانصه :

« قتل الأتراك القتيان ، الأرمن ، لا لكونهم مسيحيين ، بل لأنهم كانوا أرامنة . وللأسبب نفسه زجوا العرب المسلمين والعرب المسيحيين أفراجا في السجون الى جانب بعضهم وعلقوهم جنبا الى جنب على أعواد المشاقق . لقد وحد جمال باشا كل الطبقات والمراتب والمذاهب في سوريا تحت ضغط شقاء شامل وخطر عام ، فجعل بذلك من الممكن انفجار ثورة موحدة »^(١٦) .

(١٥) مافله العثمانيون بالبلغار ، ولاسيما بعد انتفاضة نيسان من العام ١٨٧٦ كان يشبه كثيرا مافلوه بالأرمن . كان للعليتين سبب واحد ، كما كان للحكام موقف واحد في القضيتين . وبوسعنا القول ان التاريخ « أماد نفسه » الى حد كبير .

(١٦)

T. E. Lawrance, Seven Pillars of Wisdom, Vol. I, London, 1939, P. 46.

ويؤكد لورانس كذلك أن الاتحاديين كانوا ينوون أن يتبعوا ازاء العرب أيضا سياسة مشابهة لتلك التي اتبعوها ازاء الأرمن (١٧) .

من الجدير بالذكر أن المصير الذي آل اليه الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى ، أثر على مصير الشعب الكردي كذلك . فقد كان الاتحاديون يذكرون في اتخاذ الاجراء نفسه الذي اتخذوه ضد الأرمن ، ضد الشعوب الأخرى في الامبراطورية أيضا ، مدفوعين في ذلك بـ « الاتتصار » الذي أحرزوه فيما فعلوه مع الأرمن . هذا من جهة . ومن جهة أخرى كانوا مستائين لأنهم لم يستطيعوا تحشيد قطاعات أوسع من الشعب الكردي ضد الأرمن ، فكانوا يرون في ذلك نذير سوء لهم ولنظامهم وكانوا على حق في ذلك ، ولاسيما اذا علمنا أن اسهام الكرد في مذابح سنوات الحرب كانت دون اسهامهم في المذابح التي جرت في عهد السلطان عبدالحميد ، رغم أن مذابح سني الحرب كانت في حد ذاتها أوسع بكثير من مذابح أيام السلطان . أثار هذا كره الحكام للكرد أكثر ، فلم ينقض وقت طويل حتى كان انقراضهم على الكرد كذلك كما ذكرنا ذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

وهكذا جسدت أحداث الحرب العالمية الأولى ، ولاسيما دبلوماسيتها السرية ، أطماع الدول الكبرى نحو شعوب المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل ، فدفعت هذه الشعوب ، بما فيها الشعب الكردي ، ثمن ذلك غالياً . الا أن الأمر تحول من جانب آخر الى درس أول في الاحتكاك المباشر بواقع طبيعة الدول الاستعمارية والأعيىها التي لم يستطع كل أصحاب الرأي ، مع ذلك ، تقدير جميع أبعادها ، كما يجب ، مما أدى الى تعميق نتائج المأساة بشكل واضح .

ونعود لنكرر في الختام ، القول ، ان سنوات الحرب العالمية الأولى
تشكل بمآسيها ونتائجها ودروسها مرحلة مهمة في تاريخ الشعب الكردي ،
مرحلة تستحق أن تولى العناية والاهتمام .



ثبت المراجع

باللغة العربية

- لمراهيم خليل، ولاية الموصل . دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢ ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- احمد عثمان ابوبكر ، الدكتور ، اكراد الملي وابراهيم باشا ، بغداد ، ١٩٧٣ .
- استارجيان ك. ا. ، الدكتور ، تاريخ الامة الارمنية ، الموصل ، ١٩٥١ .
- استارجيان ك. ا. ، الدكتور ، تاريخ الثقافة والادب الارمني ، الموصل ، ١٩٥٤ .
- اسماعيل جول ، اليزيدية قديما وحديثا ، بيروت ١٩٣٧ .
- امين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، بلا .
- بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٥ .
- بلهج شيركوه ، الدكتور ، القضية الكردية . ماضي الكرد وحاضرهم ، القاهرة ، ١٩٣٠ .
- يرلي ، دافيد . ب. ، كردستان . المثل الكردي الاعلى وانمكساته على العلاقات الاشورية - الكردية ، نقله الى العربية عن الاصل الانكليزي ي. ناظر ، نيوجرسي ، ١٩٤٦ .
- بول اميل ، البروفيسور ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة شكري علاوي ، بيروت ، بلا .
- بيروت (جلال الطالباني) ، دفاعا عن « حاجي قادري كويي » ، « خمبات - النضال » - جريدة - ، بغداد ، ٢٦ تموز ١٩٦٠ .
- (ثورة العرب . مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها) ، بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية ، القاهرة ، ١٩١٦ .
- حسين حزني الكرستاني ، موجز تاريخ امراء سوران ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، بغداد ، (بلا) .
- حكمت سامي سليمان ، النفط في العراق ، دراسة سياسية واقتصادية ، بغداد ، ١٩٥٨ .

- زكي صالح ، الدكتور ، مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٥٢ .
- سليمان موسى ، الحركة العربية . سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة
١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٧ ،
الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٧ ؛ الطبعة الثالثة ، بغداد ، ١٩٧٤ .
- شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، الطبعة الثامنة ، بغداد ،
١٩٧٤ .
- صديق الدموجي ، امانة بهدينان الكردية او امانة العمادية ، الموصل ١٩٥٢ .
- عبدالنعم الفلامي ، نورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ - ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ -
١٩٢٠ م) ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٦٦ .
- عبدالنعم الفلامي ، الضحايا الثلاث ، الموصل ، ١٩٥٢ .
- عزالدين مصطفى رسول ، الدكتور ، حول المجمع العلمي الكردي ، «الثقافة»
- مجلة - ، بغداد ، نيسان ١٩٧٦ .
- عزالدين مصطفى رسول ، الدكتور ، الواقعية في الادب الكردي ، بيروت ، (بلا) .
- علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية او جولة في كردستان الجنوبية ،
القاهرة ، ١٩٣٩ .
- فانز الفصين ، المذابح في ارمينيا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، (بلا) .
- كمال مظهر احمد ، الدكتور ، اكتوبر والمسألة الكردية ، ترجمة محمد الملا
عبدالكريم ، - «الثقافة الجديدة» - مجلة - ، بغداد ، العدد ٢٩ ، تشرين
الأول ١٩٧١ .
- كمال مظهر احمد ، الدكتور ، اول مدرسة كردية في ايران ، «التآخي»
- جريدة - ، بغداد ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ .
- كمال مظهر احمد ، الدكتور ، حول تفضل النفوذ الامريكى في الشرق الاوسط
وبنود الرئيس ولسن ، - «آفاق عربية» - مجلة - ، بغداد ، العدد ٣ ،
تشرين الثاني ، ١٩٧٦ .
- كمال مظهر احمد ، الدكتور ، حول الشرفنامه والطبعة الكردية لهذا الاثر
التاريخي الخالد ، «التآخي» - جريدة - ، بغداد ، ٢٠ تشرين الثاني
١٩٧٣ .

١٠. (كمال مظهر احمد ، الدكتور) ، شاوهديس ومجلة «هوك» الأرمينية ،
 «التآخي» - جريدة - ، بغداد ، ٢١ كانون الثاني ١٩٧٤ .
- كمال مظهر احمد ، الدكتور ، نظرة جديدة ازاء معاهدة سيفر والمسألة الكردية،
 ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، - «الثقافة الجديدة» - مجلة - ،
 بغداد ، العدد ٥٢ ، ايلول ١٩٧٣ .
- كمال مظهر احمد ، الدكتور ، وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود،
 «التآخي» - جريدة - ، بغداد ، ٨ تشرين الأول ١٩٧٣ .
- لؤي بحري ، الدكتور ، سكة حديد بغداد ، بغداد ، ١٩٦٧ .
- لوقا زودو ، المسألة الكردية والقوميات العنصرية في العراق ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- محمد امين زكي ، تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل بندي
 الروّبياني ، بغداد ، ١٩٥١ .
- محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية
 حتى الآن ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
- محمد امين زكي ، مشاهير الكرد وكردستان في الدور الاسلامي ، نقلته الى
 العربية كريمته ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ ، الجزء الثاني ، بغداد ،
 ١٩٤٧ .
- محمد الملا عبدالكريم ، « كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الاولى »
 اسهامة قيمة في دراسة التاريخ الحديث لشعبنا الكردي ، «التآخي»
 - جريدة - ، بغداد ، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٥ .
- « مؤتمر الشهداء » ، بيروت ، (بلا) .
- وينگرام ، دبليو . اي . و ادگار ، تي . اي . ، مهد البشرية (الحياة في شرقي
 كردستان) ، ترجمة جرجيس فتح الله ، بغداد ، ١٩٧١ .
- يوسف ابراهيم يزبك ، النفط مستعبد الشعوب ، الجزء الاول ، بيروت ،
 ١٩٣٤ .

باللغة الكردية

- جمال خمزنمدار ، رابمري روژنامهگهري كوردى ، بهغدا ، ١٩٧٣ .
- جمال نهبز ، دوكتور ، كورته ميژويهكى كوردناسي له ئەملىيادا ، - «توقارى
 كورى زانيارى كورد» - ، بهغدا ، بهرگى دوهم ، بهشى بهكم ، ١٩٧٤ .

- حەمەدون ، شەری پێشو ، « گلاویژ » - گوڤار - ، بەغدا ، ژماره ٤ ، سالی ٧ ، نیسانی ١٩٤٦ .
- « خەباتی گەلی کورد له یادداشته کانی ئەحمەد تەقی دا » ، ریکخستن و ئاماده کردنی بو چاپ : جلال تەقی ، بەغدا ، ١٩٧٠ .
- رفیق حەمی ، یادداشت ، بەشی یەکم ، بەغدا ، ١٩٥٦ .
- رهیمی قازی ، دوکتور ، قازی موحەممەد ، (دەسنوس) .
- علاالدین سجادی ، شورشە کانی کورد وه کورد و کوماری عراق ، بەغدا ، ١٩٥٩ .
- (کوردستان) - یەکمەین روزنامە ی کوردی (١٨٩٨ - ١٩٠٢) ، کوکردنەوه و پێشەکی دوکتور کەمال فوناد ، بەغدا ، ١٩٧٢ .
- « کومەله شیعری حاجی قادری کوی » ، چاپ و بلاوکر : عبدالرحمن سعید ، بەغدا ، ١٩٢٥ .
- کەمال مەزھەر ئەحمەد ، کامریگه ، - « بەیان » - گوڤار - ، بەغدا ، ژماره ٢ ، ١٩٧٢ .
- محمدی مەلاکریم ، حاجی قادری کوی شاعیری فونایگی نوی به له ژباتی نەتەوه ی کورد ، بەغدا ، (٤) .
- مەلا عەلی سەنجەری ، له بیلوه نواداره کانی کورد - میرزا کوچک خان ، ژین - روزنامە - ، ژماره ٣٢ ، ٢٢ ی تەموزی ، ١٩٧١ .
- نەریمان ، کتیبخانە ی کوردی ، کەرکوک ، ١٩٦٠ .

بالغة الروسية

Аверьянов П. И., Курды в войнах России с Персией и Турцией в течение XIX столетия. Современное политическое положение турецких, персидских и русских курдов, Тифлис, 1900.

الیریانوف پ. ی. ، الکرد فی حروب روسیا مع ایران و ترکیا خلال القرن

التاسع عشر . الوضع السياسي المعاصر لتركيا وايران وروسيا ،
تفليس ، ١٩٠٠ .

Аветян А.С. , Германский империализм на Ближ-
нем Востоке, Москва, 1966,

آفتيان ا. س . ، الامبرياليزم الالمانى فى الشرق الاذنى ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Агаев С.Д. , Германский империализм в Иране,
Москва, 1969,

آگاييف. س. د . ، الدكتور ، الاستعمار الالمانى فى ايران ، موسكو ، ١٩٦٩ .

Адамов А. , Ирак Арабский. Бассорский влайет
в его прошлом и настоящем, Петербург, 1912,

اداموف ا. ، العراق العربى ، ولاية البصرة فى امسها ويومها ، بطرسبورغ ،
١٩١٢ .

Айзен Б.А. , Германия, - "Всемирная история",
т. VII, Москва, 1960,

آيزن ب. ا . ، المانيا ، - (تاريخ العالم) ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ .

Алиев Г.З. , Турция в период правления младоту-
рок, Москва, 1972,

اليف ك. ز . ، الدكتور ، تركيا فى عهد الاتراك الفتيان ، موسكو ، ١٩٧٢ .

Амбарян А.С. , Аграрные отношения в Западной
Армения (1856-1914), авт. док. дисс., Ереван,
1965.

امباريان ا. س . ، العلاقات الزراعية فى ارمينيا الغربية (١٨٥٦ - ١٩١٤) ،
يريفان ، ١٩٦٥ .

Арутюнян Г.М. , Реакционная политика английс-
кой буржуазии в армянском вопросе в середине
90-х годов XIX века, Москва, 1954,

اروتونيان ك. م . ، السياسة الرجعية للبورجوازية الانكليزية فى القضية
الارمنية فى اواسط تسعينيات القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٥٤ .

Бартолд В., История изучения Востока в Европе и России, Ленинград, 1925,

بارتولد ف. ، الاكاديمي ، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، لينينغراد ،
• ١٩٢٥

"Библиография по Курдоведению", составитель
Л.С.Мусаэлян, Москва, 1963,

« بيبليوغرافيا عن الدراسات الكردية » ، وضع ژ. س. موسيليان ، موسكو ،
• ١٩٦٣

"Большая Советская Энциклопедия", второе
издание, т.28, Москва, 1954.

«الوسوعة السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثانية، الجزء ٢٨، موسكو، ١٩٥٤ .

Верховский Д.В., Первая мировая война 1914-
1918, -"Советская Историческая Энциклопедия",
т.10, Москва, 1967,

فيرژخوفسكي د. ف. ، الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، -
«الانسكلوبيديا التاريخية السوفياتية» ، الجزء الماشر ، موسكو ،
• ١٩٦٧

"Всемирная история", т.VII, Москва, 1960.

« تاريخ العالم » ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ .

"Геноцид Армян в Османской Империи", (Сборник
документов и материалов под редакцией проф. М.
Г.Нерсисяна), Бриван, 1966,

« ابادة الارمن في الامبراطورية العثمانية . مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت
اشراف البروفيسور م. ك. نيرسيسيان » ، برينان ، ١٩٦٦ .

Глуходед В.С., Проблемы экономического развития
Ирана, Москва, 1968,

كلوخيد ف. س. ، مشاكل التطور الاقتصادي لايران ، موسكو ، ١٩٦٨ .

- Гордлевский Б.А., Избранные сочинения, т. III, (история и культура), Москва, 1962,
- تردليفسكي ف. ا. ، الاكاديمي ، مؤلفات مختارة ، الجزء الثالث (تاريخ وثقافة) ، موسكو ، ١٩٦٢ .
- Гордлевский В., У Спихандагских курдов, - "Му-сульманский Мир", Петроград, ч. I, вып. I, 1917.
- تردليفسكي ف. ا. ، الاكاديمي ، بين اكراد سبخان داغ ، - « العالم الاسلامي » - مجلة - ، بيتروجراد ، القسم الاول ، الاصدار الاول ، ١٩١٧ .
- Гофман К., Нефтяная политика и англо-саксонский империализм, Москва, 1930,
- توفمان ك. ، السياسة النفطية والاستعمار الانكلو - سكسوني ، موسكو ، ١٩٣٠ .
- Данциг Б.М., Ближний Восток в русской науке и литературе, Москва, 1978,
- دانتسيك ب. م. ، البروفيسور ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، موسكو ، ١٩٧٢ .
- Данциг Б.М., Ирак в прошлом и настоящем, Мос-ква, 1960,
- دانتسيك ب. م. ، البروفيسور ، العراق امس واليوم ، موسكو ، ١٩٦٠ .
- Данциг Б.М., Русские путешественники на Ближнем Востоке, Москва, 1965.
- دانتسيك ب. م. ، البروفيسور ، الرحالة الروس في الشرق الادنى ، موسكو ، ١٩٦٥ .
- Джалале Джалил, Восстание Курдов 1880 года, Мос-ква, 1966,
- جليلي جليل ، الدكتور ، انتفاضة الكرد في العام ١٨٨٠ ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Джалиле Джалил, Курды Османской Империи в первой половине XIX века, Москва, 1973,

جليلي جليل ، الدكتور ، اكراد الامبراطورية العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٧٣ .

А.С.Ерусалимский, Германский империализм: история и современность, Москва, 1964,

• يروسليمسكي ا. ، الاستعمار الالمني ، الماضي والحاضر ، موسكو ، ١٩٦٤ .

Иванова М.Н., Национально-освободительное движение в Иране, Москва, 1961,

• ايفانوفام. ن. ، حركة التحرر - الوطني في ايران ، موسكو ، ١٩٦١ .

Иванов М.С., Очерк истории Ирана, Москва, 1952.

• ايفانوف م. س. ، البروفيسور ، دراسة في تاريخ ايران ، موسكو ، ١٩٥٢ .

"История Дипломатии", том второй (Дипломатия в Новое Время 1872-1919гг.), Москва-Ленинград, 1945,

- (تاريخ الدبلوماسية) ، المجلد الثاني (الدبلوماسية في العصر الحديث ، ١٨٧٢ - ١٩١٩) ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٥ .

Ихсан Фуад, Творчество Хаджи Койи и его место в курдской литературе, Автореферат, Москва, 1966.

احسان فواد ، نتاج الحاج قادر الكوي ومكانته في الادب الكردي ، ملخص رسالة الدكتوراه ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Ияс А.И., Поездка по Северному Персидскому Курдистану, Петроград, 1915.

• اياس ا. ي. ، رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية ، بيتروغراد ، ١٩١٥ .

Камаль М.А., К айсорской проблеме в Ираке (1918-1933), - "Известия Академии наук Азербайджанской ССР", Баку, № 2, 1969.

كمال مظهر احمد ، حول المشكلة الاثورية في العراق (١٩١٨ - ١٩٢٢) ، مجلة اكاڤيمية علوم آذربيجان السوفيتية «الاخبار» ، باكو ، العدد ٢ ، ١٩٦٩ .

Камаль М.А., К истории издания первой курдской газеты, - "Народы Азии и Африки", Москва, № 4, 1968.

كمال مظهر احمد ، حول تاريخ اصدار اول جريدة كردية ، - «شعوب آسيا وافرئيا» - مجلة - ، موسكو ، العدد الرابع ، ١٩٦٨ .

Карцер В.А., Заметки о Курдах, Тифлис, 1896.

كارتسيث ف. ا. ، ملاحظات عن الاكراد ، تفليس ، ١٨٩٦ .

Корсун Н.Г., Арабский Восток-Ирак, Москва, 1928.

كارسون ن. ك. ، الشرق العربي - العراق ، موسكو ، ١٩٢٨ .

Корсун Н.Г., Сарыкамышская операция на Кавказском фронте мировой войны в 1914-1915, Москва, 1937,

كارسون ن. ك. ، معركة سارى قاميش في جبهة القفقاس للحرب العالمية في العامين ١٩١٤ - ١٩١٥ ، موسكو ، ١٩٣٧ .

Кузнецова Н.А., Кулагина Л.М., Из истории советского Востоковедения, Москва, 1970,

كوزنيتسوفا ن. ا. ؛ كولاغينا ل. م. ، من تاريخ الاستشراق السوفيتي ، موسكو ، ١٩٧٠ .

Курд-Оглу, Курды и империализм, - "Бюллетень прессы Среднего Востока", Ташкент, № 13-14, 1932,

كورد اوغلو ، الكرد والامبريالية ، « نشرة مطبوعات الشرق الاوسط » ،
طاشقند ، العدد ١٣ - ١٤ ، ١٩٣٢ .

Курдоев К.К. , Труды П.И.Дерх по курдоведению.
К вопросу об изучении истории курдов в Рос-
сии. - "Очерки по истории русского Востоковедения"
Москва, 1959.

كوردوييف ل.د. ، اعمال پ. ي. ليرخ في الدراسات الكردية . حول مسألة
دراسة تاريخ الكرد في روسيا ، في كتاب (دراسات في تاريخ الاستشراق
الروسي) ، موسكو ، ١٩٥٩ .

Лазарев М.С. , Крушение турецкого господства
на Арабском Востоке, Москва, 1960.

لازاريف م. س. ، الدكتور ، زوال السيادة التركية على الشرق العربي ،
موسكو ، ١٩٦٠ .

Лазарев М.С. , Курдистан и курдская проблема
(90-е годы XIX века-1917), Москва, 1964.

لازاريف م. س. ، الدكتور ، كردستان والمشكلة الكردية (من تسعينيات القرن
التاسع عشر حتى العام ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٦٤ .

Лазарев М.С. , Курдский вопрос (1891-1917), Москва,
1972.

لازاريف م. س. ، الدكتور ، القضية الكردية (١٨٩١ - ١٩١٧) ، موسكو ،
١٩٧٢ .

Лебедев Д. Багдадская железная дорога в современное
состояние её строительства, Петербург,
1908.

ليبيديف يو. ، المهندس ، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم ، بطرسبورغ ،
١٩٠٨ .

Левин И. , Ирак, Москва, 1937.

ليفين ي. ، العراق ، موسكو ، ١٩٣٧ .

Лерх П., Исследования об Курдах и их предках северных Халдях, Санктпетербург, кн. I, 1856, кн. II, 1857; кн. III, 1858.

ليرخ پ. ي. ، دراسات حول الاكراد الايرانيين واسلافهم الكلدانيين الشماليين ، بطرسبورغ ، الكتاب الاول ؛ ١٨٥٦ ؛ الكتاب الثاني ١٨٥٧ ؛ الكتاب الثالث ١٨٥٨ .

Лорей Г., Операция германо-турецких морских сил в 1914-1918 гг., Москва, 1934,

لوردي كز. ، عمليات القوات البحرية الالمانية - التركية في الاعوام ١٩١٤ - ١٩١٨ (الترجمة الروسية) ، موسكو ، ١٩٣٤ .

Матвеев (Бар-Маттай) К.П., Мар-Юханна И.И., Ассирийский вопрос во время и после первой мировой войны, Москва, 1968,

ماتفييف (بار ماتاي) ك. پ. ، مار يوحنا ا. ا. ، المسألة الآشورية خلال الحرب العالمية الأولى وبعضها ، موسكو ، ١٩٦٨ .

Миллер А.Ф., Очерки новейшей истории Турции, Москва, 1948,

ميلر ا. ف. ، البروفيسور ، دراسة تاريخ تركيا المعاصر ، موسكو ، ١٩٤٨ .

Минорский В.Ф., Курды. Заметки и впечатления, Петроград, 1915.

مينورسكي ف. ف. ، الاكراد ، ملاحظات وانطباعات ، بيتروجراد ، ١٩١٥ .

"Мировая война в цифрах", Москва-Ленинград, 1934,

« الحرب العالمية بالارقام » ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٣٤ .

Миросников Л.И., Английская экспансия в Иране (1914-1920), Москва, 1961,

ميروشنيكوف ل. ا. ، التغافل الانكليزي في ايران (١٩١٤ - ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦١ .

- Мустафа Кемаль, Путь Новой Турции, 1919-1927,
 том I, Москва, 1929, том IV, Москва, 1934.
- مصطفى كمال ، طريق تركيا الحديثة ١٩١٩ - ١٩٢٧ ، (الترجمة الروسية) ،
 الجزء الأول ، موسكو ، ١٩٢٩ ، الجزء الرابع ، موسكو ، ١٩٢٤ .
- Новичев А. Д. , Крестьянство Турции в новейшее
 время , Москва , 1959 ,
- نوفيچيف ا. د. ، فلاحو تركيا في العصر الحاضر ، موسكو ، ١٩٥٩ .
- Новичев А. Д. , Очерки экономики Турции до
 мировой войны , Москва-Ленинград , 1937 ,
- نوفيچيف ا. د. ، دراسة اقتصاد تركيا قبل الحرب العالمية ، موسكو -
 لينينград ، ١٩٣٧ .
- Новичев А. Д. , Турция. Краткая история , Москва ,
 1965 ,
- نوفيچيف ا. د. ، تركيا ، تاريخ مختصر ، موسكو ، ١٩٦٥ .
- Саркисян Е. К. , Экспансионистская политика
 Османской империи в Закавказье накануне и
 в годы первой мировой войны , Ереван , 1962 ,
- سرکيسيان ي. ک. ، السياسة التوسعية للإمبراطورية العثمانية في ماوراء
 القفقاس قبيل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، يريفان ، ١٩٦٢ .
- "Севр и Лозанна. Севрский Мирный Договор и
 Акты, подписанные в Лозане", под редакцией
 проф. Д. В. Ключникова и проф. А. В. Сабанина,
 Москва, 1927.
- « سيفر و لوزان . معاهدة صلح سيفر والاتفاقات البرمة في لوزان » ، باشراف
 البروفيسور يو. ف. كلوجنيكوف والبروفيسور ا. ف. سبانين ،
 موسكو ، ١٩٢٧ .

Тарле Е.В., Европа в эпоху империализма, 1871-1919, Москва-Ленинград, 1928,

ترلييه ي. ف. ، الاكاديمي ، اوروپا في عصر الامپرياليزم ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٢٨ .

Трухановский В.Г., Внешняя политика Англии на первом этапе общего кризиса капитализма (1918-1939 гг.), Москва, 1962,

تروخانوفسكي ف. ك. ، سياسة انكلترا الخارجية في المرحلة الاولى من الازمة العامة للرأسمالية (١٩١٨ - ١٩٣٩) ، موسكو ، ١٩٦٢ .

Фаризов И.О., Место национально-освободительного движения курдов в борьбе народов Ближнего и Среднего Востока против империализма. Канд. дисс. (реферат), Москва, 1953.

فاريزوف. اي. و. ، مكانة حركة التحرر القومي الكردية في نضال شعوب الشرقين الأدنى والوسط ضد الامبريالية ، موسكو ، ١٩٥٣ .

Халфин Н.А., Борьба за Курдистан (Курдский вопрос в международных отношениях XIX века), Москва, 1963,

خالفين ن. ا. ، الدكتور ، الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر) ، موسكو ، ١٩٦٣ .

"Хрестоматия по истории международных отношений", выпуск II, Москва, 1972,

« مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية » ، الجزء الثاني ، موسكو ، ١٩٧٢ .

Шамсутдинов А.М., Национально-освободительная борьба в Турции 1918-1932, Москва, 1966,

شمس الدينوف ا. م. ، النضال التحرري - الوطني في تركيا ١٩١٨ - ١٩٣٢ ، موسكو ، ١٩٦٦ .

**Шилькова В.И. , Империалистическая политика
США в отношении Турции (1914-1920), Москва,
1960,**

**شيلكوفاف. ي. ، السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الأمريكية في تركيا
(١٩١٤ - ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦٠ .**

**Дзбашян К.Н. , Академик Иосиф Абгарович Ор-
бели, Москва, 1964,**

يوزباشيان ك. ن. ، الاكاديمي يوسف ابكاروفيج اوريبالي ، موسكو ، ١٩٦٤ .

باللغة الانكليزية

Ahmed Emin, Turkey in the World War, New Haven, 1930.

**Armstrong H. C., Grey Wolf Mustafa Kemal. An Intimate study of a
Dictator, Third ed., London, 1932.**

Benns F. L., Europe since 1914, Fifth ed., New York, 1945.

**Black C. E. and Helmreich E. C., Twentieth Century Europe, New
York, 1950.**

Churchill W. S., The Great War, Vol. III, London, 1934.

Curzon G. N., Persia and the Persian Question, Vol. II, London, 1892.

**Dagobert von Mikusch, Mustapha Kemal between Europe and Asia,
(translated by John Linton), London, 1931.**

**David Lloyd George, The truth about Peace Treaties, Vol. I — II,
London, 1938.**

**((Documents on British Foreign Policy, 1919 — 1939)), First Series,
Vol. IV, London, 1952 ; Vol. XIII, London, 1963.**

**Eagleton W., The Kurdish Republic of 1946, Oxford University Press,
1963.**

- Edmonds C. J., Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North - Eastern Iraq, London, 1957.**
- Evans H., New Soviet Books, — ((Middle Eastern Studies)), London, Vol. 4, No. 2, January 1968.**
- Foot M. R., British Foreign Policy since 1898, London, 1956.**
- Gavan S.S., Kurdistan. Divided Nation of the Middle East, London, 1958.**
- Hamilton Ch. W., Americans and Oil in the Middle East, Houston, 1962.**
- Hay W. R., Two Years in Kurdistan. Experiences of a Political Officer (1918 — 1920), London, 1921.**
- ((A history of the Peace Conference of Paris)), Edited by H. W. Temperley, Vol. I — VI, Oxford, 1969.**
- Hurewitz J. C., Diplomacy in the Near and Middle East. A Document Record, Vol. I (1535 — 1914) ; Vol. II (1914 — 1956), Princeton, 1956.**
- Ireland P. W., Iraq. A study in political development, London, 1937.**
- Keeling E. H., Adventures in Turkey and Russia, London, 1924.**
- Kennan G. F., American Diplomacy 1900 — 1950, seventh printing, New York, 1959.**
- Kinner J. M., A Geographical Memoir of the Persian Empire, London, 1818.**
- Kinner J. M., Journey through Asia Minor, Armenia and Koordistan in the Years 1813 and 1814, London, 1818.**
- Lawrance T. E., Seven Pillars of Wisdom, Vol. I, London, 1939.**
- ((League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq)), Geneva, 1924.**
- Lenczowski G., The Middle East in World Affairs, second ed. (second printing), New York, 1957.**

- Longrigg S. H., Four Centuries of Modern Iraq, London, 1925.**
- Luke H. Ch., Mosul and its Minorities, London, 1925.**
- Main E., Iraq from Mandate to Independence, London, 1935.**
- Mason K., Major, Central Kurdistan, — ((The Geographical Journal)), Vol. LIV, No. 6, December 1919.**
- ((The massacres of Kurds in Turkey)), Cairo, 1928.**
- ((Memorandum on the Claims of the Kurd People)), Paris, 1919.**
- ((The Memories of Naim Bey. Turkish official documents relating to the deportations and massacres of Armenians)), London, 1921.**
- Millingen F., The Wild Life among the Koords, London, 1870.**
- Morier J., A Second Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople between the Years 1810 and 1816, London, 1818.**
- Morier J., Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople in the Years 1808 and 1809, London, 1812.**
- Morten N., Middle East, New York, 1943.**
- Percy Sykes, A summary of the history of the Assyrians in Iraq 1918—1933, — ((JRCAS)), Vol. XXI, April 1934.**
- Philby H. J., Arabian days, London, 1948.**
- Ramsaur E. E., The Young Turks. Prelude of the Revolution of 1908, Princeton — New Jersey, 1957.**
- Rawlinson H. C., Notes on a Journey from Tebriz through Persian Kurdistan..., — ((The Journal of the Royal Geographical Society)), London, Vol. X, 1840.**
- ((Review of the Civil Administration of Mesopotamia)), London, 1920.**
- Rich C. J., Narrative of a Residence in Kurdistan, Vol. I — II, London, 1836.**

- Robinson P. O., The First Turkish Republic. A case study in national development, Cambridge, 1963.**
- Safrastian A., Kurds and Kurdistan, London, 1948.**
- Schmidt D. A., Journey among Brave Men, Toronto, 1964.**
- Soane E. B., To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, second ed., London, 1926.**
- Sykes M., The Caliphs Last Heritage. A short history of the Turkish Empire, London, 1915.**
- Sykes M., The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, — ((The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland)) , Vol. XXXVIII, 1908.**
- ((War Memories of David Lloyd George)), Vol. I — VI, London, 1933 — 1936.**
- Wilson A. T., Loyalties Mesopotamia, 1914 — 1917. A personal and historical record, London, 1930.**
- Wilson A. T., Mesopotamia 1917 — 1920. A clash of loyalties. A personal and historical record, London, 1931.**
- Zaki Saleh, Mesopotamia. Iraq 1600 — 1914, Baghdad, 1957.**

باللغات الأخرى

- ابراهيم فخرائي ، ميرزا كوچك خان سردار جنگل ، تهران ، ١٣٤٤ شمسي
(باللغة الفارسية) .
- احمد شريفى ، عشائر شكاك وشرح زندگى آنها به رهبرى اسماعيل آغا سيمكو ،
تهران ، ١٣٤٨ (باللغة الفارسية) .
- جلال نوري ، تاريخ استقبال ، مسائل اساسية ، استانبول ١٣٢٢ (باللغة
التركية) .
- عبدالعزيز ياملكي ، كوردستان وكورد اختلاللرى ، جلد ١ ، تهران ، ١٩٤٦ (باللغة
التركية) .

((Memorandum sur la situation les Kurdes et leurs revendications)),
Paris, 1948.

((Memorandum sur les revendications du Peuple Kurde)), Paris,
1919.

Nikittine B., Les Kurdes. Etude Sociologique et historique, Paris,
1956.

Nuri Dersimi, Kürdistan Tarihinde Dersim, Halep, 1952.

Rambout L., Les Kurdes et le droit, Paris, 1947.

صحف ومجلات

- ((باتك كرد)) (نداء الكرد) ، - مجلة - ، بغداد ، العدد ٢ ، ١٣٣٢ .
- ((باتك كردستان)) (نداء كردستان) ، - جريدة - ، السليمانية ، ١٩٢٢ .
- ((يشكوتنى سليمانى)) (تقدم السليمانية) ، - جريدة - ، السليمانية ،
أكتوبر ١٩٢٠ .
- ((تيهه يشتنى راستى)) (فهم الحقيقة) ، - جريدة - ، بغداد ، ١٩١٨ -
١٩١٩ .
- ((روزى نوى)) (اليوم الجديد) - مجلة - ، السليمانية ، ١٩٦٠ - ١٩٦١ .
- ((العالم العربى)) - جريدة - ، بغداد ، تشرين الأول ١٩٢١ .
- ((كردستان)) ، - جريدة - القاهرة - جنيف - لندن - فولكستون ، ١٨٩٨ -
١٩٠٢ .

فهرست الاعلام (١)

اعلام الاشخاص

- ١ -

- آبوفيان خ . ٦٤ .
 الائتلاف والحرية (حزب) ١١٨ [م ، هـ] (الحرية والائتلاف) [١١٩ هـ] (الحرية والائتلاف) .
 الائتلايين ١١٩ هـ [٢٠١ هـ] .
 الآثوريون ، الآثوريين ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١١١ [م ، هـ] ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٦٤ ، ٢١٠ [م ، هـ] ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٦٠ [م ، هـ] ، ٢٩١ [هـ] ، ٣١٧ [هـ] ، ٣٤٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .
 آداموف ٢٧٦ .
 الأذربيجانيين ١١٩ ، ٢١٠ ، ٢٦١ [هـ] .
 آسيا (مجلة) ٧٢ .
 الآشوريين ١٥ (انظر : الآثوريون ، الآثوريين أيضا) .
 آغاممنون ٣٢٦ .
 آفتيان ، الدكتور ٢٨٦ .
- أل عثمان ٢٩ ، ١١٥ ، ١٤٦ .
 أميت ، الأدميرال ٣٢٧ [هـ] .
 إبراهيم باشا (الملك) ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٩٦ [م ، هـ] .
 إبراهيم بك ٢٦٢ .
 إبراهيم تيمو ١١٥ [هـ] ، ١١٦ [هـ] .
 ابوالقاسم لاهوتي ٢٠٨ .
 اتحاد اسلام (منظمة) ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٠٦ .
 الاتحاد العثماني (منظمة) ١١٥ - ١١٦ [هـ] .
 الاتحاد والترقي (جمعية) ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ [م ، هـ] ، ١١٧ [هـ] ، ١١٨ [هـ] ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ٢٢٤ (حزب) ، ٢٧٨ [هـ] ، ٢٨١ ، ٢٩٤ [هـ] .
 الاتحاديون ، الاتحاديين ٨ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ٩٦ [م ، هـ] ، ٩٧ ، ٩٨ [م ، هـ] ،

(١١) نحيط القارئ الكريم علما باننا دابنا في هذا الكشف العام عن الاعلام الواردة في الكتاب على تقسيمه الى قسمين قسم يشمل اعلام الاشخاص من حقيقية وحكمية مع بعض الاحداث . اما القسم الثاني فيشمل اعلام الاماكن من قرى ومدن وبلدان ومناطق وقارات وكل ما يدخل ضمن الاطار الجغرافي .

ونظرا لكثرة تكرار معظم الاعلام الرئيسة في الكتاب ، فاننا لم نحل القارئ الكريم الى مرادفاتنا او متعلقاتها - ان وجدت - الا في الاعلام القليلة الورد . كما اننا لم نشر الى كلمتي (الكرد) و (کردستان) لكونهما مادتين اساسيتين في الكتاب ولم نشر كذلك الى كلمة (الارمن) في الفصل الخامس لتكررها في كل صفحة من الفصل تقريبا .

واخيرا نذكر ان حرف « م » يرمز الى المتن كما ان حرف « هـ » يرمز الى الهامش .

٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ٩٧ [هـ] ،
 ١١١ [م] ، ١١٢ ، ١١٧ [هـ] ،
 ١٢٢ ، ١٢٣ [هـ] ، ١٢٨ [هـ] ،
 ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٩ [هـ] ،
 ٢٠٣ ، ٢١٤ [هـ] ، ٢١٥ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٠ [م] ، ٢٢١ [هـ] ، ٢٢٧ [هـ] ،
 ٢٣٣ [هـ] ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ - ٣٠٢
 (الفصل الخامس) ، ٣١٥ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٨ ، ٣٢٩ [هـ] ، ٣٣٧ [م] ، [هـ] ،
 ٣٤٠ ، ٣٤٤ [هـ] ، ٣٤٥ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٧ ، ٣٥٩ [م] ، [هـ] ، ٣٦٠ [م] ، [هـ] ،
 ٣٦١ [م] ، [هـ] ، ٣٦٢ [م] ، [هـ] ،
 . ٣٦٣

أروتونيان ، الدكتور ٢٦٤ .
 استارچيان لؤ. أ. ، الدكتور ٢٢٧

[هـ] ، ٢٧٤ .
 استخلاص كردستان (جمعية) ١٠١ ،
 . ١٩٦

اسحاق سكوتي ١١٦ [م] ، [هـ] ، ١١٧
 . [هـ]

اسكويث ١٧٥ .
 اسماعيل آغا ١٦٥ (انظر : سمو
 أيضا) .

اسماعيل ابراهيم ١١٦ [هـ] .

اسماعيل بابان زاده ١١٦ .

اسماعيل حقي ١٢٥ .

اسماعيل حقي تويال ٢٢٤ .

اسماعيل حقي شاويس ١٤ [هـ] ،

٧٧ [هـ] ، ١٠٠ [هـ] ، ١٨٢

[هـ] ، ٢٠٤ [هـ] ، ٢٧٥ [هـ] .

الأصناف (جمعية) ٢٢٤ ، ٢٨١ .

أفريسانوف پ. ي. ، الكابتن ٤٧

[م] ، [هـ] ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٤ [هـ] ،

. ٨٧

أكرم جميل باشا ١٤ [هـ] ، ٧٧ [هـ] ،

٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ [هـ] ، ١١٧ ،
 ١١٨ [م] ، [هـ] ، ١١٩ [هـ] ، ١٢١ ،
 [م] ، [هـ] ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ [م] ،
 [هـ] ، ١٣٤ ، ١٣٥ [م] ، [هـ] ، ١٣٦ ،
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 [م] ، [هـ] ، ١٥٠ ، ١٥١ [هـ] ، ١٥٦ ،
 ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
 [هـ] ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ [هـ] ،
 ١٩٣ ، ١٩٨ [م] ، [هـ] ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،
 [م] ، [هـ] ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٠ ، ٢١٤ [م] ، [هـ] ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
 ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
 ٢٣١ [هـ] ، ٢٣٢ ، ٢٥١ [م] ، [هـ] ،
 ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٠ [م] ، [هـ] ، ٢٨٤ ،
 ٢٩٠ [هـ] ، ٢٩٤ [م] ، [هـ] ، ٣١٢ ،
 ٣١٣ [هـ] ، ٣٢٩ [هـ] ، ٣٦٣ .

الأثر الك الفتيان ٩٧ ، ١١٨ [هـ] ، ٣٦٢ .

اتفاقية حسين - مكماهون ٣١٣ .
 الأحرار (حزب) ١١٨ [م] ، [هـ] .
 احسان فواد ، الدكتور ٢٦٦ [هـ] .
 احمد ، الشيخ ٢٠١ [هـ] .

احمد أمين ٢٢٤ .

احمد تقي ٣٣٧ [هـ] .

احمد رضا ٢٢٤ [م] ، [هـ] ، ٢٢٥ .

احمد شريف ٢١٢ .

احمد عثمان ابوبكر ، الدكتور ١٢٢ [هـ] .

احمد القاسمي ، الحاج ٢٠٥ .

احمدى خاني ١٠٣ [هـ] .

ادامانلي (عشيرة) ١٥١ .

ادمونيس ١٣ .

ارلوف أ. أ. ٥٦ ، ١٧٣ [هـ] .

الأرمن ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٦٣ ،
 ٦٤ [م] ، [هـ] ، ٦٦ ، ٦٧ [م] ، [هـ] ،

[هـ] ، ۲۴ ، ۲۵ ، ۲۶ ، ۲۷ ، ۲۸ ،
 ۲۹ ، ۳۰ ، ۳۱ ، ۳۲ ، ۳۳ ، ۳۴ ،
 [هـ] ، ۱۲۲ ، ۱۲۸ ، ۱۳۱ ، ۱۴۰ ،
 ۱۴۲ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۱ ، ۱۵۸ ،
 ۱۶۱ ، ۱۶۲ ، ۱۶۵ ، [هـ] ، ۱۶۶ ،
 ۱۶۷ ، ۱۶۸ ، ۱۶۹ ، [هـ] ، ۱۷۳ ،
 ۱۷۵ ، ۱۷۶ ، [م] ، [هـ] ، ۱۷۷ ، ۱۷۸ ،
 ۱۷۹ ، ۱۸۰ ، [م] ، [هـ] ، ۱۸۳ ،
 ۱۸۴ ، ۱۸۵ ، [م] ، [هـ] ، ۱۸۶ ،
 ۱۸۷ ، [م] ، [هـ] ، ۱۸۸ ، [م] ، [هـ] ،
 ۱۸۹ ، ۱۹۰ ، ۱۹۱ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ،
 ۱۹۴ ، ۱۹۵ ، ۲۰۱ ، ۲۰۳ ، ۲۰۵ ،
 ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۲۰۹ ، ۲۱۰ ، [هـ] ،
 ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، [م] ، [هـ] ، ۲۱۴ ، [م] ،
 [هـ] ، ۲۱۵ ، ۲۱۷ ، ۲۱۸ ، ۲۲۷ ،
 ۲۲۸ ، ۲۳۱ ، ۲۳۱ ، [هـ] ، ۲۳۹ ،
 ۲۱۲ ، ۲۱۴ ، ۲۱۷ ، ۲۱۷ ، ۲۲۲ ،
 ۲۲۳ ، [هـ] ، ۲۲۴ ، ۲۲۵ ، [م] ، [هـ] ،
 ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، [م] ، [هـ] ،
 ۲۳۲ ، [هـ] ، ۲۳۳ ، ۲۳۴ ، ۲۳۵ ،
 ۲۳۷ ، [م] ، [هـ] ، ۲۳۸ ، [م] ، [هـ] ،
 ۲۳۹ ، ۲۴۰ ، [م] ، [هـ] ، ۲۴۱ ، ۲۴۲ ،
 [هـ] ، ۲۴۳ ، ۲۴۵ ، ۲۴۸ ، ۲۵۳ ،
 ۲۵۴ ، [م] ، [هـ] ، ۲۵۵ ، ۲۵۶ ،
 انورباشا ۱.۹ ، ۱.۹ (انور بیگ) ،
 ۱۳۶ ، ۱۳۸ ، ۱۴۲ ، ۱۴۳ ، ۱۴۴ ،
 ۱۴۵ ، ۱۴۷ ، ۱۵۲ ، ۱۵۳ ، ۱۶۱ ،
 ۱۶۳ ، ۱۶۸ ، ۱۷۴ ، ۱۸۰ (انور) ،
 ۱۸۱ [م] ، [هـ] ، ۱۸۹ (انور) ، ۲۰۰ ،
 ۲۵۳ ، ۲۷۹ ، [هـ] ، ۲۸۰ ، ۲۸۱ ،
 ۳۱۲ ، ۳۱۳ [هـ] (انور) ،
 اوربیلی ، یوسف ابکاروفیچ ۶۴ ،
 ۱.۳ [م] ، [هـ] ، ۲۹۸ ، [هـ] ،
 اورلاندو ، فیتوریو ۱۲۷ ، ۲۲۵ [هـ] ،
 ۲۲۸ ، ۲۲۲ [هـ] ،

۱۰۰ [هـ] ، ۲۲۲ [م] ، [هـ] ، ۲۳۶ ،
 [م] ، [هـ] ، ۲۳۷ [هـ] ،
 ایسوفیچ ۱۲۶ ،
 لکان ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۴ [م] ، [هـ] ، ۲۵ ،
 ۲۶ ، ۲۷ [م] ، [هـ] ، ۲۸ ، ۲۹ [م] ،
 [هـ] ، ۳۰ ، ۳۱ ، ۳۲ ، ۳۳ ، ۳۹ ،
 ۵۱ ، ۵۷ ، ۶۵ ، ۷۵ ، ۷۷ ، ۱۲۱ ،
 ۱۳۱ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳ [هـ] ، ۱۳۸ ،
 [م] ، [هـ] ، ۱۳۹ ، ۱۴۱ ، ۱۴۲ ،
 ۱۴۳ [هـ] ، ۱۴۵ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ،
 ۱۴۹ [هـ] ، ۱۵۲ ، ۱۵۷ ، ۱۶۰ ،
 ۱۶۱ ، ۱۶۲ ، ۱۶۳ ، ۱۶۴ ، ۱۶۵ ،
 [م] ، [هـ] ، ۱۶۶ ، ۱۶۸ ، ۱۷۶ ،
 ۱۸۰ ، ۱۸۱ [م] ، [هـ] ، ۱۸۲ ،
 ۱۸۳ [هـ] ، ۱۸۶ [هـ] ، ۱۸۸ ،
 ۱۹۵ ، ۲۰۶ ، ۲۱۰ [هـ] ، ۲۱۴ ،
 [هـ] ، ۲۱۵ ، ۲۱۹ ، ۲۲۸ ، ۲۳۱ ،
 ۲۶۸ [هـ] ، ۲۸۳ ، ۲۸۴ [م] ، [هـ] ،
 ۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۸ ، ۳۱۲ [م] ، [هـ] ،
 ۳۲۵ [هـ] ،
 لیف گزه زه ، الدكتور ۹۷ ، ۹۸ ،
 [هـ] (انظر الدكتور حمید علیف
 ایضا) ،
 لامة الارمنية ۲۸۹ [هـ] ،
 لامریکان ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۶ ، ۲۸ ، ۲۹ ،
 [م] ، [هـ] ، ۷۰ ، ۷۱ ، ۷۲ ، ۷۳ ،
 ۷۴ ، ۷۵ ، ۲۳۷ [هـ] ، ۲۸۰ [هـ] ،
 ۳۲۵ ، ۳۲۳ ، ۳۳۴ ،
 لعین آغا ۹۱ ،
 لعین سعید ۳۱۷ ،
 لعین عالی بدرخان ۱۰۰ ، ۱۱۴ ،
 لعلسیس (کتاب) ۱۶ [هـ] ،
 لاقول فرانس ۲۸۸ ،
 لئیرس ۳۰ ،
 لاتکلیز ۷ ، ۱۳ ، ۲۴ ، ۲۷ ، ۳۳ [م] ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٥ [هـ] ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٧ ، ٣٣٠ [هـ] ، ٣٣١ [هـ] ،
 ٣٣٩ ، ٣٤١ .
 بسمارك ٢٩ [هـ] .
 بشاري چتو ١٢٤ [م] ، هـ [بشان] .
 البشدر (عشيرة) ٨٩ ، ١٩٢ .
 بطرس الاول ٤٤ [هـ] ، ٥٣ .
 البعثة العربية (جمية) ٧٠ [هـ] .
 البلاشفة ١٧٥ [هـ] ، ٢١٢ ، ٢١٤
 [م] ، هـ [هـ] ، ٢١٥ [هـ] ، ٢٣٨
 [هـ] .
 البلباس (عشيرة) ٢٧٣ .
 البلغار ٢٢٥ ، ٣٦٢ [م] ، هـ [هـ] .
 بلهچ شيركوه ، الدكتور ٢٢٠ [هـ] ،
 ٣٢٩ [هـ] .

بوغوص نوبار باشا ٣٠٠ ، ٣١٥ ،
 ٣٣٠ ، ٣٦٠ [هـ] .
 بولخاكوف ي. ٥٤ .
 بهاءالدين نوري ، اللواء ٣٤ [هـ] .
 بيرلي ، نافيد ٣٢٩ [هـ] .
 بيرزن ، ايليا ٥٨ ، ٥٩ .
 البيزنطيين ٢٣٦ .

- پ -

پوانكارييه ٣٤٦ [م] ، هـ [هـ] .
 پول اميل ، البروفيسور ١٥ .
 پوميانوفسكي ج. ١٤٢ .
 پیام (جريدة) ٣٣٠ .
 بيروت ٢٦٧ [هـ] ، ٢٧١ [هـ] (انظر :
 جلال الطالباني ايضا) .
 پيشكوتني سليمان (جريدة) ٣٧ [هـ] .
 پيشون ٣١٤ [هـ] .
 بيكو ، جورج ٢٠٦ [م] ، هـ [هـ] ، ٣١٠ .
 پيل . ب. ، العقيد ٣٣٩ .

الاوروبيين ٩٠ ، ٢٨٧ [هـ] .
 اوسكارمان ، البروفيسور ٢٨ .
 الاومانيتيه (جريدة) ٢٨٩ [هـ] .
 اوهانجانيان م. ٣٣٠ [م] ، هـ [هـ] .
 ايس ، الكسندر ايفانوفيتش ، العقيد
 ١٥٥ [م] ، هـ [هـ] ، ١٦٣ .
 الايرانيون ، الايرانيين ٥٤ ، ٦١ ، ٨١ ،
 ١٦١ [هـ] ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ [هـ] ، ٢٠٧ ،
 (اكراد) ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٩١ (ارمن
 و انوريون) [هـ] .
 ايقانس ، هربوت ١٧ [هـ] .
 ايفانوف م. س. ، البروفيسور ٣٣٢ .
 ايلگتن ، وليام ٦٩ [هـ] ، ٣٤٩ .
 ايوب باشا ١٥١ .

- ب -

باباخان ٢٠٧ .
 باجلان (عشيرة) ١٩٢ .
 باخمان ، ولهم ٣٠ .
 باراتوف ، الجنرال ١٦٢ ، ١٦٨ ،
 ١٧٤ ، ٢١٦ .
 بارتولد ، الاكاديمي ٥٧ .
 بانك كرد (مجلة) ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 [م] ، هـ [هـ] .
 بختياري (عشيرة) ١٨٦ [هـ] .
 بدرخان باشا ١٠٧ ، ١٢٢ (اسرة) ،
 ١٥٤ (اسرة) ، ٢٦٠ [هـ] (بدرخان) .
 البدرخانيون ، البدرخانيين ٤٨ ، ٧٧ ،
 [هـ] ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١١٧ [هـ] ،
 ٢٧٤ [هـ] .
 بروسكوريانوف س. ٤٥ [م] ، هـ [هـ] ،
 بروكلمان ، كارل ٢٨٨ [هـ] .
 البريطانيون ، البريطانيين ٤١ ، ١٧٣ ،
 ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٧ (هـ) ،

- ت -

[م ، هـ] ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ [م] ،
[هـ] ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ [م] ،
[هـ] ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ .
تيمبرلي ٢٤٥ ، ٢٤٩ .

- ث -

ثريا بدرخان ٢٠٤ .
ثورة الاتحاديين ٨٢ ، ٩٨ [هـ] ،
١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٠١ [هـ] ،
٢٥٢ ، ٢٢٩ [هـ] (انظر : ثورة
العام ١٩٠٨ ايضا) .
ثورة اكتوبر الاشتراكية ٣٢ ، ١٧١ ،
[هـ] ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ،
٢٠٧ [هـ] ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،
[هـ] ، ٢٤٤ [هـ] ، ٢٦١ [هـ] ،
٣١٢ ، ٣٥٢ [م] ، [هـ] .
الثورة البورجوازية الروسية ١٧١
[هـ] .
ثورة الدستور ٥٠ [هـ] انظر :
الثورة الدستورية ايضا) .
الثورة الدستورية ١١٩ ، ١٦١ [هـ] ،
١٧٦ [هـ] ، ٢٠٥ [هـ] (انظر :
ثورة الدستور ايضا) .
ثورة شباط ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣١٠ .
ثورة العام ١٩٠٨ ٩٣ ، ١٠٨ ، ٢٢٤
[هـ] (انظر : ثورة الاتحاديين
ايضا) .

- ج -

الجاف (عشرة) ٣٧ ، ٥٦ ، ٩٢ ،
١٢ [هـ] ، ١٩٢ ، ٢٧٣ .

التآخي (جريدة) ٣ .
تارليه ف. ، الاكاديمي ٢٥٦ .
تالريان ٢٨٠ [هـ] ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
تاهيلوف ب. ا. ، المقدم ٥٣ .
تلان (جريدة) ٣٣٠ .
التايمس البصرية (جريدة) ١٨٨ [هـ] .
التايمس البغدادية (جريدة) ١٨٨ [هـ] .
التايمس اللندنية (جريدة) ٢٧٩ [هـ] ،
٢٨٦ ، ٢٣٤ [هـ] (التايمس) .
التر ١٤٤ ، ٢٣٦ ، ٢٦٤ [هـ] ، ٢٨٥ .
الترک ٢٧ ، ٥٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ،
[هـ] ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٦ ، ١٩١ ،
[م] ، [هـ] ، ١٩٢ ، ٢١٨ ، ٢٦٠ ،
٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٤١ .
- الاتراك ٥٤ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٩٤ ،
٩٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٧ [هـ] ، ١٢٠ [م] ، [هـ] ،
١٢٦ ، ١٥٩ [هـ] ، ١٨٨ ،
١٩٠ ، ١٩١ [م] ، [هـ] ، ١٩٢ ،
٢٢٧ ، ٢٢٧ [هـ] ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ،
٢٨٥ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣٤٣ ،
٣٤٩ [هـ] .
تركيا الفتاة (جمعية) ٢٥٢ [هـ] ،
٢٧٣ .
تروشاك (جريدة) ٢٧٤ ، ٢٧٥ [هـ] .
تتين (جريدة) ٩٦ ، ١٤٥ ، ٢٢٤ .
توفيق باشا ٢٤٢ [هـ] .
توفيق فكرت ٣٢٣ [هـ] .
تولستوي پ. ا. ٥٣ .
توما بوا ، الاب ٧٨ [هـ] .
توينبي ، ارنولد ٢٨٩ .
تيگه يشتني راستي (جريدة) ٧ ، ٣٧ ،
[هـ] ، ١٨٥ ، [هـ] ، ١٨٧ ، ١٨٨

- ح -

- حاجي بكو ٢٥٧ .
- حافظباشا ٢٩ .
- حرب الأعوام ١٨٠٤ - ١٨١٣
- الايراطية - الروسية ٤٤ .
- حرب البلقان ٢٢ ، ١١٩ ، [هـ] ، ٢٢٥ .
- حرب التدخل ٢١٣ [م ، هـ] .
- الحرب التركية - الإيطالية ٢٣ .
- الحرب الروسية - اليابانية ٢٦٨ [هـ] .
- حرب طرابلس ٢٢٥ .
- الحركة الجنكلية ١٦٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ [م ، هـ] .
- الحركة الكمالية ١١٩ [هـ] ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ [م ، هـ] .
- حسين ، الملك ١٩٣ (حسين الثاني) ، ١٩٣ (السلطان حسين) ، ٢٠٨ (شريف مكة حسين) ، ٢٠٩ [م ، هـ] (شريف مكة) ، ٢٠٩ (الشريف حسين) ، ٣١٧ (الشريف حسين) ، ٣١٨ (الشريف حسين) ، ٣٢٤ [هـ] (الشريف حسين) .
- حسين الفني التبريزي ، المقدم ٢٠٦ .
- حسين بيك (ابن بدرخان باشا) ١٠٧ .
- حسين جاهد ٢٢٤ .
- حسين حزني الكراني ١٢ ، ٢٣٣ [هـ] ، ٢٩١ [هـ] .
- حسين رؤوف بيك ٢٢٦ [هـ] ، ٢٢٨ .
- حشمت الطالقاني ، الدكتور ٢٠٥ (انظر : خالو حشمت أيضا) .
- حكمت امين ١١٦ [هـ] .
- الحكومة الاتحادية ١١٣ .

- الجامعة الاسلامية (فكرة) ٣٢ ، ٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٩ .
- جان جوريس ٢٨٩ [هـ] .
- جاويد باشا ١٢١ ، ٣٤٢ [هـ] .
- جلادت بدرخان ٣٣٦ ، ٣٣٧ [هـ] .
- جلال الطالباني ٢٦٦ [هـ] ، ٢٦٧ [هـ] (انظر : بيروت أيضا) .
- الجلالي (عشيرة) ٨٩ ، ٩٠ .
- جليلي جليل ، الدكتور ١٠ [هـ] .
- جمال باشا ٩٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٠ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ [هـ] ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٨٩ ، ٣٦٢ ، ٣١١ [هـ] ، ٢٨٠ ، ٣٦٢ (جمال السفاح) .
- جمال الدين بابان ١٠٤ .
- الجمعية الالمانية - الآسيوية ٢٨٥ .
- جمهورية أرمينيا ٣٣ [م ، هـ] .
- جمهورية تيلان ٢٠٧ [هـ] .
- جمهورية مهناد ٦٩ [هـ] .
- الجنكليين ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٧ [هـ] ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ [م ، هـ] ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ [م ، هـ] ، ٣٣٩ .
- جورج ، الملك ٣٢٣ .
- جهانناني (جمعية) ١٠١ .
- الجيش الأحمر ٢٨٠ .
- جيمس برايس ، اللورد ٢٨٩ .

- ج -

- جرجل ، ونستن ، السير ٣١٤ ، ٣١٥ [هـ] .
- الجرس ٢٦٧ [هـ] ، ٣٠٠ ، ٣٦٢ .
- چيستر ، الاميرال ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ .
- چيورتوزوف ، الجنرال ١٧٠ ، ٢٩١ .

- خالو قوربان ١٦٢ ، ٢٠٧ ، [م ، هـ] .
- خليل خيالي ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .
- خليل رجب ٢٩٦ .

- د -

- الداشناق (حزب) ٢٤٧ ، ٢٦٣ ،
- ٢٦٤ [م ، هـ] ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ [هـ] ؛
- ٢٦٠ [م ، هـ] .
- الداشناقيون ، الداشناقين ١٥٧
- [هـ] ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٣٠ .
- [هـ] .
- دانتسيك ب. م. ٥٠ .
- داود خان الكلهري ١٩٣ .
- دنسترفيل ، الجنرال ٢١٢ [هـ] .
- الدولة الامريكية ٧ .
- الدولة الايرانية ٤٥ [هـ] ، ٥٥ .
- الدولة البيزنطية ٢٣٥ .
- الدولة التركية ٣٥٥ .
- الدولة الروسية ٤٢ .
- الدولة الساسانية ٢٣٥ .
- الدولة السوفيتية ٣٥٣ .
- الدولة الصفوية ٢٣٦ [م ، هـ] .
- الدولة العثمانية ١٨ ، ٢٣ ، ٢٩ ،
- ٣٢ ، ٤٤ [م ، هـ] ، ٤٥ [م ، هـ] ،
- ٥٥ ، ٦٢ [هـ] ، ٦٥ ، ٦٧ [م ، هـ] ،
- ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ [هـ] ،
- ٨٦ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ،
- ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ [هـ] ، ١٧٤ ،
- ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ،
- ٢٢١ ، ٢٣٦ [م ، هـ] ، ٢٤٤ ،
- ٢٤٥ [م ، هـ] ، ٢٤٦ [م ، هـ] ،
- ٢٤٧ ، ٢٤٨ [م ، هـ] ، ٢٤٩ ،
- ٢٦٣ ، ٢٦٩ [هـ] ، ٢٧٠ [هـ] ،
- ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ [هـ] ،

- الحكومة الافغانية ٢٨٠ [هـ] .
- الحكومة الانكليزية ٣٣٩ .
- الحكومة الايرانية ١٦٣ ، ٣٣٢ .
- الحكومة الايطالية ١٣٧ ، ٣٤٦ .
- الحكومة البريطانية ١٨٩ [هـ] ، ٣٤٦ .
- الحكومة التركية ٨٧ ، ٩٧ ، ١٢٥ ،
- ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٧٦ ، ٣٤٧ .
- الحكومة الروسية الموقته ١٧٣ .
- الحكومة الفرنسية ٣١٠ ، ٣٢٧ ،
- ٣٢٦ ، ٣٥٠ .
- الحفاء ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ،
- ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ [هـ] ،
- ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ،
- ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣١٠ ،
- ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ،
- ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ،
- ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ [هـ] ،
- ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ [م ، هـ] ،
- ٣٥٠ [هـ] .
- حمدون ، الملا ٣٥٨ .
- حمدي بك بابان ١٩٣ .
- حميد عفيف ، الدكتور ٨ [هـ] ،
- ٢١٦ (انظر : الدكتور ك. زه
- الييف ايضا) .
- حيدرآلي (عشيرة) ٩١ [م ، هـ] .
- ١٥١ [م ، هـ] .
- حيدر رجب ٢٩٦ .

- خ -

- خالديك ١٥١ ، ١٥٧ .
- خالفين ن. ا. ، الدكتور ١٠ [هـ] ،
- ١٢٢ .
- خالو حشمت ٢٠٧ (انظر : الدكتور
- حشمت الطالقاني ايضا) .

١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ [م] ،
 [هـ] ، ١٧٠ [م ، هـ] ، ١٧١ ،
 ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ [م] ،
 [هـ] ، ١٧٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ [م] ، [هـ] ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٨ ، ٢٠٩ [هـ] ، [هـ] ٢١٠ ،
 ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ،
 [م] ، [هـ] ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ [م] ، [هـ] ،
 ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ [م] ، [هـ] ،
 ٢٩٥ [هـ] ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ،
 ٣٢٥ .

— الروس البيضا ٢١٢ .

الروم ٢٢٧ .

الرومان ٢٣٥ .

ريج ، جيمس كلوديوس ٣٤ [م] ، [هـ] .

الريكانيين ١٩٨ .

— ز —

زافريق ٣١١ .

زكي باشا ، المشير ٨٦ [هـ] ، ٩٠ .

زنگنه (مشيرة) ٥٦ ، ١٢٠ [هـ] ،

١٩٢ .

زيرنوف ف. ٦٢ .

زينفون ١٦ [م] ، [هـ] .

— ژ —

ژابا ، الكسنتر ٦٣ .

ژين (مجلة) ١٠٠ .

— س —

سازانوف ٣٠٦ ، ٣١١ .

سافرستيان ، آرشاد ١١٨ ، ٣٠٠ .

٢٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ [هـ] ، ٣١١ ،

٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ،

٣٥٨ ، ٣٦٠ [هـ] ، ٣٦٢ .

دون كيشوت (دون كيشوت) ٨٨

[م] ، [هـ] .

ديتيل ، وليام فراتسوفيج ٥٨ [م] ،

[هـ] ، ٥٩ [م] ، [هـ] .

— ر —

رامزور ، ارنست ١١٦ [هـ] ، ١١٧ ،

[هـ] ، ٢٥٢ [هـ] .

راولنسن ٣٤ [م] ، [هـ] .

رسول الله (ص) ١٩٣ .

رسول بيك ١٥١ ، ١٥٧ .

رشاد حكمت بيك ٣٢٦ [هـ] .

رشيد آغا ١٧٠ .

رشيد باشا ٣٤٠ .

رفيق حلمي ١٢ ، ١٨٧ [هـ] ، ٢٣٠ ،

٣٣٧ .

روبنسن ، ريتشارد ٢٥٢ [هـ] .

روبيك ج. دي. ، السير ٣٣٠ ،

٣٤٠ .

روباخ ، باول ٢٨٤ [م] ، [هـ] ، ٢٨٥ .

روزفلت ٢٢ .

روذا كورد (مجلة) ١٠٠ .

الروس ٢٧ [م] ، [هـ] ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٣ ، ٤٤ [م] ، [هـ] ، ٤٦ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ [م] ، [هـ] ، ٥١ ، ٥٢ ،

[م] ، [هـ] ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ [م] ، [هـ] ، ٦٣ ،

٦٤ [م] ، [هـ] ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،

٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ،

١٤٧ ، ١٥١ [م] ، [هـ] ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ [هـ] ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،

[هـ] ، ٢١٢ ، [م ، هـ] ، ٢٥٩ ، [م] ،
 [هـ] (انظر اسماعيل آغا ايضا) .
 سنجاوي (عشرة) ٥٦ ، ١٦٢ ،
 . ٢٣١ ، ٢١٣ ، ١٦٦ .
 السنوسيون ١٤٣ .
 السوقيت ٨ ، ١٠ ، [هـ] ، ١١ ، ١٣ ،
 ٢٠٢ ، [هـ] ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، [هـ] .
 سون ، الميجر ٣٦ ، [م ، هـ] ، ٣٧ ،
 [م ، هـ] ، ٢٨ ، ٣٨ ، ١٥٦ ، ١٨٦ ،
 [م ، هـ] ، ١٨٧ ، [هـ] ، ١٨٨ ،
 [م ، هـ] ، ١٩٢ ، ٢١٤ .
 سرفانتس ٨٨ ، [م ، هـ] .
 سيرك پ . ٤٣٠ .
 سيسيل ، روبرت ، اللورد ٣١٤ ،
 [هـ] .
 سيفالدين خان ٢٣٣ .

- ش -

شاخوفسكي ، بوريس ، الامر ٥٦ ،
 ٦٦ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، [م ، هـ] ، ١٥٧ ،
 . ١٥٨ .
 شارموا ، فرانسوا بيرنارد ٦٣ ، [م] ،
 [هـ] .
 شاكرباشا ٨٨ ، [م ، هـ] ، ٩١ ،
 شتروب ١٣٣ ، [هـ] .
 شرفخان البليسي ٦٢ ، ٦٣ ، [هـ] .
 شرفنامه (كتاب) ٦٢ ، ٦٣ ، [هـ] .
 شركة الانماء العثمانية - الامريكية
 . ٢٣ .
 شركة دارسي البريطانية ٢٢ .
 شركة النفط الانكليزية ١٨٦ ، [هـ] .
 شركة النفط الانكليزية - الفارسية
 . ٣٧ ، [هـ] .
 شركة النفط التركية ٢٣ ، ٢٤ .

سالار الدولة ١٢٠ ، [هـ] .
 سلامون ١٧ .
 سايكس ، مارك ، السير ٣٨ ، ٢٩٦ ،
 [هـ] ، ٣٠٦ ، [م ، هـ] ، ٣٠٧ ،
 . ٣٢٦ ، ٣١ .
 ستاخيف او ٥٤ .
 سربستي (جريدة) ٢٢٠ ، [هـ] ، ٢٣٧ ،
 [هـ] .
 سعدالله بيك ٢٢٦ ، [هـ] .
 سعد زغلول ٢٢٣ ، [هـ] ، ٢٣١ ، [هـ] .
 سعيد ، الشيخ ٢٠٠ ، ٢٠١ ، [هـ] .
 سعيد احمد ، الملا ٢٥٧ .
 سعيد باشا السليماني ١١٤ .
 سعيد حليم (الصدر الاعظم) ١٣٨ ،
 ٢٨٥ (باشا) .
 سقراط ١٦ ، [هـ] .
 سكة حديد بغداد (مشروع) ٢٢ ،
 ٢٤ ، [م ، هـ] ، ٢٥ ، [هـ] ، ٢٦ ، ٢٧ ،
 [م ، هـ] ، ٥١ ، [م ، هـ] ، ٥٢ ،
 [م ، هـ] ، ٧٧ ، ١٧٢ ، ٢٨٥ .
 السلاجقة ٢٣٦ .
 السلطة السوفيتية ٢١٤ ، [هـ] ،
 ٣١٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠ ، [هـ] .
 سليم ، الملا (الملا سليم الهندى
 الخيزاني) ١١١ ، [م ، هـ] ، ١١٢ ،
 . ١٩٨ .
 سليمان (النبي) ١٧ .
 سليمان باشا الصغير ٣٣ ، [هـ] .
 سليمان باشا الكبير ٣٣ ، [هـ] .
 سليمان خان ١٩٣ .
 سليمان نظيف ١٩٨ ، [هـ] .
 سليم ياوز ، السلطان ١٤٥ .
 سدث ، السناتور ٢٣٤ ، [هـ] .
 سمكو ٥٠ ، ٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
 ٢٠٧ ، [هـ] ، ٢١٠ ، [م ، هـ] ، ٢١١ ،

- ص -

- صائب زاده سليمانيلطي محمد عارف
• (عارف صائب) ١٠٦ [هـ] .
• صباح الدين ، الأمير ١١٧ [هـ] .
• صديق العلوجي ٨٣ ، ٩٩ ، ١١٣ ،
• ١١٤ ، ١٩٨ [هـ] .
• الصريين ١٢٣ [هـ] .
• الصفوين ٢٣٩ .
• صلاح الدين (الأيوبي) ١٤٥ .

- ط -

- طالباني (عشيرة) ١٩٢ .
• طلعت باشا ١.٩ (بيك) ، ١٣٧ ،
• ١٣٨ ، ١٨٠ (طلعت) ، ١٨٩ ،
• (طلعت) ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ [م] ، [هـ] ،
• ٢٨٠ [هـ] ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
• الطليان ٢٢٥ .
• طه الشمديني ، السيد ٢١٢ .

- ع -

- العالم الاسلامي (مجلة) ١٥٤ [هـ] ،
• ١٥٩ [هـ] .
• عباس الصفوي ، الشاه ٢٣٦ ،
• ٢٣٩ .
• عبدالله جودت ١١٦ [م] ، [هـ] ، ١١٧ ،
• [هـ] .
• عبدالله الشكالي الفني ، الصوفي
• ١٩٨ [هـ] .
• عبدالحميد ، السلطان ١٥ ، ١٦ ،
• ٤٨ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ،
• ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،
• ١١٥ ، ١١٦ [هـ] ، ١١٧ [هـ] ،

- شركة الهند الشرقية ٣٣ [م] ، [هـ] .
• شريف باشا ، الجنرال ٧٨ ، ١٠٠ ،
• ١١٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ [هـ] ،
• ٣٢٩ [م] ، [هـ] ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ،
• ٣٦٠ [هـ] .
• الشعب الأرمني ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٧ ،
• ١١٥ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ٢١٨ ،
• ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ،
• ٢٥٢ ، ٢٥٦ [هـ] ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
• ٢٨٠ [هـ] ، ٢٩٠ ، ٣١٢ ، ٣٦٠ .
• الشعب الألماني ١٣٣ .
• الشعب الإيراني ٢٠٧ .
• الشعب التركي ٩٥ ، ١١٨ ، ١٤٤ ،
• ٣١٢ ، ٣٥٢ .
• الشعب الصربي ٨ ، ٣٠ ، ١٠٧ ،
• ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،
• ١٤٤ ، ٣١٢ .
• - الشعوب العربية ٩٠ ، ٩٦ .
• شكاك (عشيرة) ٦٤ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
• ٢٥٨ .
• شكري الفضلي ١٠٦ [هـ] .
• شكري محدود نديم ٨ ، ١٤ ، ١٧٠ ،
• [هـ] ، ١٧١ [هـ] ، ١٨٤ [هـ] .
• الشمزنيون (أسرة) ٨٩ .
• شوان (عشيرة) ١٩٢ .
• شولتسي ، الكابتن ١٦٦ ، ١٧٧ .
• الشيخ بابا الفوث آبادي ٢٠٣ .
• شيخ بزني (عشيرة) ١٩٢ .
• شيليندروف ، بروتزارت فون ،
• الجنرال ١٥٢ .
• شيولكوفنيكوف ب. ي. ٥٠ ، ٥٢ ،
• [هـ] .
• شيونمان ٣٢ .

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ [هـ] ،
 ١٨٥ [هـ] ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
 [هـ] ، ٢٠٠ ، ٢٠١ [م] ، [هـ] ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٠ [هـ] ، ٢١٤ [هـ] ، ٢١٧ ،
 [هـ] ، ٢١٨ [م] ، [هـ] ، ٢١٩ ،
 ٢٢٠ [هـ] ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٠ [هـ] ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨ [هـ] ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣٥٤ ،
 ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
 ٣٦٢ [هـ] .
 العجم ١٩٢ .
 العراقيون ، العراقيين ٧٧ [هـ] ،
 ١٨٨ .
 العرب ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩٥ [هـ] ،
 ٩٧ [هـ] ، ١١٧ [هـ] ، ١٢١ ،
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ١٢٦ ، ١٢٨ [هـ] ، ١٥١ ، ١٧٩ ،
 ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ [هـ] ، ٢٢٧ ،
 ٢٨٠ [هـ] ، ٢٩٠ [هـ] ، ٣١٧ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
 - عرب العراق ١٨٩ .
 العرب (جريدة) ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٣٢١ .
 عزت باشا ١٢٤ .
 عز الدين مصطفى رسول ، الدكتور
 ٢٦٦ [هـ] ، ٢٧١ [هـ] .
 عزيز بيك ٢٥٤ .
 عصبة الأمم ٢٦٠ ، ٢٤٧ .

١٢٣ [م] ، [هـ] ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٩ [م] ، [هـ] ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ .
 عبدالحميد (مواطن من وان) ٢٥٧ .
 عبدالرحمن بدرخان ١١٧ [م] ، [هـ] ،
 ٢٧٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ [م] ، [هـ] .
 عبدالرزاق بدرخان ٥٠ ، ٦٤ ،
 ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٣٥٩ [هـ] .
 عبدالرزاق الحسنى ٤ [هـ] .
 عبدالسلام ، الشيخ ١١٢ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١٦٨ [م] ، [هـ] .
 عبدالعزيز ياملكي ٢٨٢ ، ٢٩٦ .
 عبدالغفور (مواطن من وان) ٢٥٧ .
 عبدالقادر الجزائري ، الامير ٣٥٩
 [هـ] .
 عبدالقادر الشمريني ، الشيخ ١٠٠ .
 عبدالقادر النهري ، الشيخ ١١٤ ،
 ١٥١ [هـ] .
 عبدالنعم الفلامي ٣٢٢ ، ٣٣١ .
 عبيدالله النهري ، الشيخ ٤٨ ،
 ١٢٣ ، ٢٧٤ ، ٢٩٣ .
 عثمانلي (جريدة) ١١٦ [هـ] ، ١١٧ ،
 ١١٨ [هـ] .
 العثمانيون ، العثمانيين ٢٢ ، ٣٩ ،
 ٥١ [هـ] ، ٦٥ ، ٦٧ [هـ] ، ٨٥ ،
 ٩٤ ، ١١١ ، ١١٢ [م] ، [هـ] ،
 ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٤ [م] ، [هـ] ، ١٢٨ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ [هـ] ،
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٥٧ ، ١٥٩ [م] ، [هـ] ، ١٦٠ ،
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ [م] ، [هـ] ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ .

علاءالدين سجادي ٢١٢ [هـ] .
 العلم (جمعية) ٣٣١ .
 علي بيك ١٥١ ، ١٥٧ .
 علي حسين زاده ١١٦ [هـ] .
 علي السنجري ٢٠٥ [هـ] .
 علي شير ٢٠٠ [م ، هـ] .

- ف -

فاتر الفصين ٢٥٤ ، ٢٥٥ [هـ] ،
 ٢٧٨ [هـ] .
 فاتق توفيق ، المحامي (فاتق طايب)
 ٣٣٦ .
 فاتق علي ١٤٥ .
 فالكينهاين ، ايربخ فون ، الفيلدمارشال
 ١٨٢ [م ، هـ] ، ١٨٣ [هـ] .
 فتاح ، القاضي (مرزا فتاح القاضي)
 ٢٠٣ [م ، هـ] .
 الفرس ١٤٦ ، ١٨٦ [هـ] .
 الفرسان الحميدية ١٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
 ٥١ ، ٥٥ ، ٨٤ [م ، هـ] ، ٨٥ ،
 (التشكيلات الحميدية ، الفرق
 الحميدية) ، ٨٦ [هـ] ، ٨٦ ،
 (التشكيلات الحميدية ، الحميدية ،
 الفرسان الحميديين ، الفرق
 الحميدية) ، ٨٨ (الفرق الحميدية) ،
 ٨٩ (الحميدية) ، ٩٠ (الحميدية ،
 الفرق الحميدية ، التشكيلات
 الحميدية) ، ٩١ (الحميدية ،
 الفرسان) ، ٩٢ (التشكيلات
 الحميدية ، التنظيمات الحميدية ،
 الحميدية ، الفرسان ، الفرق
 الحميدية) ، ٩٣ (الحميدية ،
 الفرق الحميدية) ، ٩٤ ،
 (التشكيلات الحميدية ، الحميدية ،

- ف -

فاسموس ١٦٠ ، ١٦١ [م ، هـ] ،
 ٢٣٩ [هـ] .
 فاسيلي ٤٢ .

- ق -

قادر الكوي ، الحاج ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 [هـ] ، ٢٦٧ [هـ] ، ٢٦٨ [هـ] ،
 ٢٦٩ [هـ] ، ٢٧٠ [هـ] ، ٢٧١ ،
 [م ، هـ] ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ .
 قاضي (اسرة) ٢٠٣ .

— الكلدانيين الشماليين الإيرانيين

- ٦٢ [هـ] .
الكلهر ٣٩ ، ١٧٧ (كلهون) ، ٢٣١
• (كلهون)
كليمتسييف ي. و. ٢١٢ ، ٢١٣
• (زوجته)
كليمنصو ١٩٥ ، ٣١٤ [هـ] ، ٣٢٧
• [م ، هـ] ، ٣٢٢ [هـ] .
كمال فواد ، الدكتور ١٠٣ [هـ] .
كمال مظهر احمد ، الدكتور [هـ] ،
٩ .
الكلدانيين ٣٢٨ [هـ] ، ٣٣٩ ، ٣٥٤
• [هـ] ، ٣٥٥ .
كنك ٧٣ [هـ] .
كوران ا. ب. ١١٠ .
كورد اوغلو ١٥٤ [هـ] .
كورد تعميم معارف جمعيتي (جمعية)
١٠٢ .
كورد طلبه هيفي جمعيتي (جمعية)
١٠٠ .
كوردوييف ك. ك. ٦١ [هـ] .
كوكس ، بيرسي ، السير ٣٠٩ [هـ] ،
٣٣٥ .
كومطلي تعالي وترقي كورد (جمعية)
١٠٠ .
الكوميتترن ٢٨٠ [هـ] .
كوير حسين باشا ١٥١ [م ، هـ] .
كيرزن ، اللورد ٤٠ ، ١٩٤ ، ٣٢٥ ،
٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ،
٣٤١ ، ٣٤٢ .
كيرسانوف ١٧٣ [هـ] .
كيلتك ه. ١٦ ، ١٧ ، ٣٦١ [هـ] .
كينر ج. ٣٥ .
كينن ، جورج ٣٥١ .

- فحطان ١٩٣ .
فدري جميل باشا ٧٧ [هـ] .
قره كمال ٢٢٤ ، ٢٨١ .
قريش ١٩٣ .
القزلباش ٤٧ [هـ] ، ٤٨ [هـ] .
قنبرخان ٢٠٧ .
القوزاق ٣١٤ .

— ك —

- كارتسوف يو. س. ٤٦٠ [هـ] ، ٥٥ .
كارتسيف ف. ا. ٤٦٠ .
الكاردوخين ١٦ [هـ] .
كارلثورپ ، آرثر ، الأدميرال ٣٦
• [م ، هـ] ، ٣٢٧ [م ، هـ] .
كاليوباكين ا. م. ٤٦٠ .
كامبون ، بول ٢٠٩ .
كامبيل د. ٣٣ .
كامران بدرخان ٣٣٦ ، ٣٣٧ [هـ] .
كامل بيگ (ابن بدرخان باشا) ١٠٧ ،
١٥٤ .
كامرون ، لوفيت ٢٥ .
كرديستان (جريدة) ٤١ [هـ] ، ٩٠ ،
١١٧ [م ، هـ] ، ١٢٣ ، ١٢٨ [هـ] ،
٢٧١ ، ٢٧٤ [هـ] ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ [هـ] .
كروب ١٣١ .
كريم خان ٢٠٧ .
كربين ، چارلس ٧٢ [هـ] ، ٧٣
• [هـ] .
الكتوف الروسية (جريدة) ١٥
• [هـ] .
الكلدان ٢٩٦ [هـ] ، ٢٤٦ .
الكلدانيين ٦٢ [هـ] .

- ك -

- ليفيكيسكي ١٧٧ .
ليمان فون ساندرس ، الجنرال ١٣٥ ،
١٣٦ ، ١٣٨ ، [هـ] ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
١٨٣ . [هـ] .
ليمپوس ١٣٥ .

- م -

- الار شمعون بنيامين ٢١٠ ، ٢١١ .
[هـ] .
مار ن . ٦٣ .
مارن (موقعة) ١٣٩ [هـ] ، ١٤٠ ،
١٥٢ ، ١٨٢ [هـ] .
ماسون ك . ، اليجر ١٣ ، ٢٦٠ .
ماكاس ، هوتو ٢٨ .
ماكس ١٤٨ .
ماينزمان ، الاخوة ١٣١ .
المجدد (حزب) ١١٩ .

- مجلة المجمع العلمي الكردي ٣ ، ٤ .
المجمع العلمي الكردي ٣ ، ٤

- [م ، هـ] .
محمد (ص) ١٨٩ ، ٢٦١ (انظر :
النبي ايضا) .
محمد ، القاضي ٢٠٣ [هـ] ، ٢١٢ .
محمد آغا (عشيرة) ٢٩٩ .
محمد امين زكي ١٢ ، ٣٧ [هـ] ،
٧٧ [هـ] ، ٢٢١ [هـ] ، ٢٢٨ ،
٢٩١ [هـ] ، ٣٤٤ [هـ] .
محمد حسين خان ١٦٤ ، ٢٣٣ .
محمد الخامس ، السلطان ١١٠ .
محمد رشيد الجركسي ١١٦ [هـ] .
محمد علي جناح ٣١٧ .
محمد علي شاه ١٢٠ [هـ] .
محمد علي الكبير ٣٠ .
محمد كتمان باشا ، اللواء الركن ١٧٠ .
[هـ] .

- قراي ، ادوارد ، السير ٢٨٨ ، ٣٠٥ ،
٣٠٩ .
قردليفسكي ف . ا . ، الاكاديمي ١٣
[م ، هـ] ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٤٦ ،
١٥٤ [م ، هـ] ، ١٥٥ [هـ] ،
١٥٨ ، ١٥٩ [هـ] ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ،
٢٤٢ [م ، هـ] ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ،
٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ [هـ] .
قرينار ٤٧ [هـ] .
كلوينوف ١٢٧ .
كوردبرود ٣٠ .
كيبوس ا . ي . ٦٠ .
كيدينوف د . د . ٦٠ .

- ل -

- اللاز (قومية) ٣٦٢ .
لازاريف م . س . ، الدكتور ١٠ [هـ] ،
١٣ ، ٩٨ [م ، هـ] ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
[هـ] ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
[هـ] ، ١٦٩ [هـ] ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ،
٢٢٨ ، ٢٦٤ ، ٣١٦ .
لطني فكري ١١٩ .
لورانس ٢٨ ، ٣١٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
لوربي ك . ١٥١ .
لوقا زودو ١٥ .
لود جورج ٢٠ ، ١٣٧ ، ١٧٦ [هـ] ،
١٨٣ ، ١٩٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،
٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
[م ، هـ] ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ [هـ] ،
٣٣٣ ، ٣٤٥ [هـ] .
ليتين ٣٢ .
ليخ پ . ٦١ [م ، هـ] ، ٦٢ [هـ] ،

- محمد الملا عبد الكريم ٥ ، ٢٦٦ [هـ] ،
 ٢٦٧ [هـ] ، ٢٨٩ [هـ] .
- محمود ، الشيخ ٦٤ ، ٨٩ ، ١٠٦ ،
 [هـ] ، ١٠٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ [م، هـ] ،
 ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ [م ، هـ] ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،
 ٢٠٩ [م ، هـ] ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ [هـ] ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ [هـ] .
- محمود زاده بيت الله بيك ٢٩٧ .
- محمود شوكت باشا ١٠٩ ، ١١٩ ،
 [هـ] .
- الخبر الروسي (مجلة) ٥١ [هـ] .
- مدحت شكري باشا ١٢٨ .
- المسألة الشرقية ٤٢ ، ٣٠٤ [م ، هـ] ،
 ٣٢١ .
- مسعود محمد ٤ [هـ] ، ٢٦٦ [هـ] ،
 ٢٦٧ [هـ] .
- المستوف ١٤٦ ، ٢٢٣ .
- الشيخ ٧٠ [هـ] .
- مشاك (جريدة) ٢٢٠ [هـ] .
- المشروطية (جريدة) ٢٩٤ .
- المشروطية ٥ [هـ] (انظر ثورة
 الدستور والثورة الدستورية أيضا) .
- المشورة (جريدة) ١١٦ [هـ] .
- المصريين ١٢٣ .
- مصطفى آغا رجب ٢٩٦ .
- مصطفى باشا ياملكي ٢٧ [هـ] ، ٢٧٥ ،
 [هـ] .
- مصطفى كمال أتاتورك ١٣٤ [هـ] ،
 ١٨٢ ، ١٨٣ [هـ] ، ٣١٢ [هـ] ،
 ٣١٣ [هـ] ، ٣٣٨ [هـ] ، ٣٣٩ ،
 ٣٤٩ .
- مصطفى وفا ٢٩٧ .
- معاهدة ادرينابول ٢٤٦ .
- معاهدة برلين ٢٤٨ ، ٢٦٧ [هـ] .
- معاهدة ترمان چاي ٢٣٦ .
- معاهدة سان ستيفانو ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
 [م ، هـ] ، ٢٦٧ [هـ] .
- معاهدة سايكس - بيكو ١٦٠ ، ١٨٣ ،
 (اتفاقية ٠٠) ، ١٨٤ (اتفاقية ٠٠) ،
 ١٩٤ ، ٢٤٦ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
 [م ، هـ] (اتفاقية ٠٠) ، ٣١٠ ،
 ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣١٧ [هـ] ،
 ٣٢٦ ، ٣٥٣ .
- معاهدة سيفر ٢٦٧ [هـ] ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤١ (سيفر) ، ٣٤٤ ،
 [م ، هـ] ، ٣٤٥ [هـ] ، ٣٤٧ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ .
- معاهدة العام ١٨٣٠ ٧٤ .
- المعاهدة العثمانية - الالمانية ١٣٩
 [م ، هـ] (معاهدة التحالف
 الالمانية - العثمانية) .
- معاهدة گلستان ٤٤ .
- معاهدة لوزان ٣٥١ .
- معروف خزندار ، الدكتور ١٥٥
 [هـ] .
- معلومات عن دراسة الشرق (مجلة)
 ٥٦ ، ١٥٦ .
- المفول ٢٣٦ .
- المكتبة للمطالعة (مجلة) ٥٩ [هـ] ،
 ٦٠ [هـ] .
- اللي (عشرة) ٩٣ .
- ممدوح سليم ١٤ [هـ] ، ٧٧ [هـ] ،
 ١٠٠ .
- منكور (عشرة) ١٩٢ .
- منربك ١١٦ [هـ] .
- مؤتمر استانبول ٣٠٩ [هـ] .
- مؤتمر برلين ٢٤٨ [م ، هـ] ، ٢٦٧ ،
 [هـ] .
- مؤتمر شعوب الشرق ٢٨٠ [هـ] .

- ميلتر ، الفريد ، اللورد ٣١٤ [هـ] .
- مينورسكي ، فلاديمير ٥٥ [م ، هـ] ،
- ٦٣ ، ٦٤ [هـ] ، ١٥٥ [م ، هـ] ،
- ١٥٦ [هـ] ، ١٥٨ ، ١٦٣ [هـ] ،
- ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢١٧ .
- ميين ، ارنست ٢٨ .

- ن -

- نابليون بونابارت ٤٤ [هـ] ، ١٤٤ .
- نادولن ، رادولف ١٤٨ .
- النبي (ص) ٢٦٠ (انظر: محمد أيضا).
- النساطرة ٢٩١ .
- نشات باشا ٩٨ .
- نظام السلطنة ١٦٤ .
- نمساويين ٢١٤ [هـ] .
- نوئيل ، الكلبتن ١٦١ [هـ] ، ١٨٦ ،
- [م ، هـ] ، ١٨٧ [هـ] ، ٢٠١ ،
- ٢١٣ [هـ] ، ٢٢٦ [م ، هـ] ، ٢٢٧ ،
- [م ، هـ] ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ [م ، هـ] ،
- ٣٤٠ .
- نوري باشا ١٧٥ .
- نيرسيسيان ، البروفيسور ١٧ ،
- ٢٥٧ .
- نيقولا الاول ٣٠٤ [هـ] .
- نيكيتين ، باسيل ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٥٦ ،
- ١٦٧ [هـ] .

- و -

- وثوق الدولة ٢٠٧ ، ٢٢٢ [هـ] .
- ولسن ، ارنولد ١٣ ، ٤١ ، ١٧٩ ،
- [هـ] ، ١٨٦ [هـ] ، ٢٢٣ [هـ] .
- ولسن ، الرئيس ٣١٩ ، ٣٢١ ،
- ٣٢٢ [م ، هـ] ، ٣٢٣ [م ، هـ] ،

- مؤتمر الصلح في باريس ٢٠ [هـ] ،
- ٧٢ ، ٧٥ (مؤتمر الصلح) ، ٢٠٢ ،
- [هـ] (مؤتمر باريس) ، ٢٥٤ [هـ] ،
- ٢٩٤ [هـ] ، ٣٠٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،
- [هـ] (مؤتمر باريس) ، ٣٢٨ ،
- (مؤتمر الصلح) ، ٣٢٩ [م ، هـ] ،
- (مؤتمر باريس) ، ٣٣٠ [هـ] ،
- (مؤتمر باريس) ، ٣٣١ [م ، هـ] ،
- (مؤتمر باريس) ، ٣٣٢ (مؤتمر
- باريس) ، ٣٣٣ [هـ] (مؤتمر
- باريس) ، ٣٣٥ (مؤتمر باريس) ،
- ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ [هـ] ،
- (مؤتمر باريس) ، ٣٦٠ [هـ] .
- مؤتمر لندن ٢٤٩ [م ، هـ] .
- مؤسسة القرض العثماني ٨٢ .
- مود ، الجنرال ١٨٠ .
- مورغان ج. ٢١ .
- مورير ج. ٢٥٠ [م ، هـ] .
- موسكو فيتياين (مجلة) ٦٠ [هـ] .
- موسيليان ژ. س. ٤٦ [هـ] .
- موفسيس خوريناتسي (مايساي
- خورنيسكي) ٦٤ [هـ] .
- الوكري (عشيرة) ١٢٠ [هـ] ، ١٦٤ .
- مولان زاده رفعت ٢٨٠ ، ٣٢٧ [هـ] .
- مولنكه ، الجنرال ١٤٠ ، ١٤٧ .
- مولنكه ، هيلموت فون كارل ،
- الفيلمارشال ٢٩ [م ، هـ] ، ١٤٠ ،
- [هـ] ، ١٨٢ [هـ] .
- المهدي ٢٦٨ [هـ] .
- البيبين ٢٣٦ .
- ميرزا كوچك خان ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٠٥ ،
- [م ، هـ] ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ [م ، هـ] .
- ميلر ا. ف. ، البروفيسور ٩٥ ،
- ١٣٦ [هـ] ، ٢٢٢ [هـ] ، ٢٢٥ .
- ميليتكن ف. ، الميجر ٣٤ .

هكاري - هكاري (عشرة) ٣٩ ، ٢٤١
[هـ] .

الهلال (مطبعة) ١٢٣ .

الهوند (عشرة) ٨٩ [م ، هـ] ، ١٩٢ .

هنجالة (حزب) ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ .

هولشتين ٢٨٤ .

ههتافي كورد (مجلة) ١٠٠ .

هيفي (جمعية) ١٠٠ .

- ي -

يحيى ، الامام ١٢٦ .

يزدان شعر ٤٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

اليزهيون ٤٠ ، ٢٩٨ .

يكيزاروف س. ٠١ ، ٦٤ .

اليمايين ٩٣ ، ١٢٦ .

اليونان ١١٧ [هـ] .

اليونانيين ٩٣ .

يونس ٢٠٥ [هـ] .

٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ [م ، هـ] ،

٣٤٦ [هـ] ، ٣٤٨ .

ويگرام ، الاخوان دبليو اي و ادگار

تي . اي ٢٦٠ [م ، هـ] .

- ه -

هاربوردي ، جيمس ٣٣١ .

هارتمان ، البروفيسور ٢٨ .

هاوس ، الكولونيل ٣٣٣ .

هاول ت. ٣٣ .

هاي ، الكابتن ٢٩١ [هـ] .

هنة مودروس ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٤ .

(اتفاقية مودروس) ، ٢٩٩ ،

٣٢٤ ، ٣٢٦ [هـ] ، ٣٢٧ [م ، هـ] ،

٣٢٧ (اتفاقية مودروس) ، ٣٢٨ ،

٣٢٨ (اتفاقية مودروس) ، ٣٤٠ ،

[م ، هـ] ، ٣٤٢ [هـ] .

الهركي (عشرة) ١٧٠ .

اعلام الاماكن

الباب العالي ايضا) .

آسيا ١٢٤ .

- آسيا الصغرى ٢٧ [هـ] ، ٤٤٢ ،

٤٥ ، ٤٨ [هـ] ، ٤٩ ، ٥٨٤ ،

٦٥ ، ٩٧ ، ١٦٩ [هـ] ، ٢٧٣ ،

٢٨٤ [هـ] ، ٢٨٨ ، ٣٣١ .

- آسيا الوسطى ١٤٤ ، ٢٨٠ ،

[هـ] .

- اواسط آسيا ٢٤ [هـ] .

- جنوبي شرقي آسيا ٣٣ [هـ] .

آلتون كوبرى ١٨٥ .

- ١ -

آذربيجان ٢٧ [هـ] ، ٣١ ، ١٦٣ .

- آذربيجان الايرانية ١٤٤ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٧٠ .

- آذربيجان الجنوبية ١٦٥ .

- آذربيجان السوفيتية ٢٠٥ ،

[هـ] ، ٢٤٤ [هـ] .

- آذربيجان الشمالية ٣٣٢ [هـ] .

الاستانة ١١١ [هـ] ، ١١٢ (انظر :

— أرمينيا الغربية ٢٤١ [م ، هـ] ،
٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
٢٦٥ [هـ] ، ٢٨٤ [هـ] ، ٢٨٥ ،
٢٨٨ .

— أرمينيا الكبرى ٢٦٥ .

اسيانيا ٢٢٠ [م ، هـ] ، ٢٢١ [هـ] .
استانبول ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ [هـ] ،
٤٥ ، ٥١ [هـ] ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٢ ،
٧٣ [م ، هـ] ، ٧٧ [م ، هـ] ،
٨٧ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ،
١١٥ [هـ] ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٨١ ،
١٩٩ ، ٢٢٠ [هـ] ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
٢٤٩ [هـ] ، ٢٥٠ [م ، هـ] ،
٢٥١ ، ٢٥٧ [هـ] ، ٢٦٧ [هـ] ،
٢٧٦ [هـ] ، ٢٨١ [هـ] ، ٣٠٥ ،
٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ،
٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ [هـ] ،
٣٤٤ [هـ] ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ [هـ] ،
٣٦٠ ، ٣٥٠ .

الاسكندرونة ٦٠ .

الاسكندرية ١٤٤ .

أطنه ٢٥٢ (أنظر : أطنه أيضا) .
الفرقيا الشمالية ١١ .
افغانستان ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٦٠ ،
٣٢٥ ، ٣٥٤ [هـ] .

البايا ١٢٠ .

الأتزاس ٣١٠ .

المانيا ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ،
[هـ] ، ٣١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٥ ،
١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٧٦ ، ١٨١ [م ،

أمد ٢٠٢ .

أنقره ٢٦ .

الاتحاد السوفيتي ١٠ [هـ] ، ١٢ ،
١٣ [هـ] ، ٩٨ [هـ] ، ٢٣٦ [هـ] ،
٢٥٦ [هـ] .

أجمانزين ٢٣٠ [هـ] .

أدنة ٥٣ ، ٨٩ [هـ] (أنظر : أطنه
أيضا) .

أربيل ٦٠ ، ٢٠٣ ، ٢٢٩ .

الأرجنتين ٢٥٦ [هـ] .

الأردن ١٢٥ .

أردهان ١٥٢ .

أرزنجان ٢٦ ، ٦٠ ، ٩٧ ، ١٢٧ ،
١٥٣ ، ٢٤٨ .

أرضروم ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٧ [هـ] ،
٥٥ ، ٦٠ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ [هـ] ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ،
٣٠٦ ، ٣٤٨ .

أرمستان ٢٣٥ ، ٢٦٦ [هـ] ، ٢٦٧ ،
٢٧١ [هـ] .

أرمينيا ١٣ ، ٢٦ ، ٦٠ ، ٦٦ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
[هـ] ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ [م ، هـ] ،
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ [هـ] ،
٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ [هـ] ، ٢٧٢ ،
٢٧٣ [هـ] ، ٢٧٧ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ،
٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
٣٤٤ ، ٣٤٦ [م ، هـ] ، ٣٤٨ ،
٣٥٣ .

أرمينيا السوفياتية ٢٥٦ [هـ] .

— أرمينيا الشرقية ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،

[هـ] ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ،

[هـ] ، ٣٣٠ [هـ] .

— أرمينيا العثمانية ٣٠٨ .

- شرقى الاتاضول ٧٧ ، ٢٨٥ .
 - غربى الاتاضول ٢١٩ ، ٢٢٠ .
 . [هـ]
 انكتر ا . ٨٠ ، ١٠٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦١ [هـ] ،
 ١٩٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٨٧ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ [م] ، هـ] ، ٣٠٦ ،
 ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ [هـ] ،
 ٣٣٤ [هـ] ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٤ ، ٣٥٠ [م] ، هـ] ، ٣٥١ ،
 . [هـ] .
 اوديسا ١٣٣ [م] ، هـ] .
 اورفه ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ،
 . ٢٨٦ ، ٢٩٦ .
 اوروپا ١١ ، ٢٣ [هـ] ، ٩٦ ، ١٤٦ ،
 [هـ] ، ٢٤٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ،
 . ٣١٩ ، ٣٢٥ .
 - اوروپا الغربىة ٥٧ .
 اوكرائنا ٥٤ [هـ] ، ٣١٤ .
 ايران ١٦ [هـ] ، ٣٥ ، ٤٤ [م] ، هـ] ،
 ٤٥ [هـ] ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ،
 ٥٨ ، ٦٢ [هـ] ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
 ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ [هـ] ، ٩٢ ،
 ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١٢٨ ،
 ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦١ [م] ،
 [هـ] ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ [هـ] ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ [م] ، هـ] ،
 ١٧٠ [هـ] ، ١٧٢ ، ١٧٦ [م] ، هـ] ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٦ [هـ] ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٥ [م] ، هـ] ، ٢٠٦ [م] ، هـ] ،
 ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٦ [هـ] ، ٣٠٩ ، ٣١٥ [هـ] ،
 ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ [هـ] ،
 ٣٥٤ [هـ] ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
 - ايران الصفوىة ٢٣٦ [هـ] .

[هـ] ، ١٩٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ،
 ٢٤٨ ، ٢٨٠ [هـ] ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
 [م] ، هـ] ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٣ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩ [هـ] ،
 . ٣٥٣ ، ٣٤٠ .
 المداخ ٣٠٧ .
 الامبراطورية الالمانية ٢٨٧ .
 الامبراطورية التركىة ٤٣ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٤ [هـ] .
 الامبراطورية الروسىة ٤٤ .
 الامبراطورية العثمانىة ١٧ ، ٢٨ ،
 ٢٩ [هـ] ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
 ٤٤ [هـ] ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ،
 ٦٠ [م] ، هـ] ، ٦٨ [م] ، هـ] ، ٧٠ ،
 ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
 ٧٩ ، ٨١ [م] ، هـ] ، ٨٢ ، ٩١ ،
 ٩٥ [م] ، هـ] ، ٩٦ [م] ، هـ] ،
 ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨ [م] ،
 [هـ] ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ [م] ،
 [هـ] ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ،
 [هـ] ، ١٥٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ [هـ] ، ٢٢٥ ،
 ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٥ [هـ] ، ٢٦٨ [هـ] ، ٢٦٩ [هـ] ،
 ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ [م] ، هـ] ،
 ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣١٢ [هـ] ،
 ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٥ [هـ] ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٩ [هـ] ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ،
 . [هـ] .
 امريكا ٣٣٤ [هـ] .
 الاتاضول ٥٢ ، ٧٠ ، ٢١٩ ، ٢٩٦ ،
 ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ [هـ] .

بنليس ٢٩ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٨٩ ،
 ١١١ [م ، هـ] ، ١١٢ [م ، هـ] ،
 ١١٥ ، ١٢٤ [هـ] ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٥٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٨ [م ، هـ] ، ٢٧٦ ،
 ٣٠٦ ، ٣٠٧ [م ، هـ] ، ٣٤٨ .
البرازيل ٢٥٦ [هـ] .
البرتغال ٣٤٤
برلين ٢٥ ، ٥١ [هـ] ، ١٣٣ [م ، هـ] ،
 ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧ ،
 ٢٤٨ [م ، هـ] ، ٢٦٧ [هـ] ، ٢٨٠ ،
 [هـ] ، ٢٨٦ .
بروسيا الشرقية ١٤٠ .
بريطانيا ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٣
 [هـ] ، ٦٧ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١٦٠ ،
 ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ،
 ١٨٨ ، ١٨٩ (بريطانيا العظمى) ،
 ١٩٠ ، ١٩٠ (بريطانيا العظمى) ،
 ١٩١ (بريطانيا العظمى) ، ١٩١ ،
 ٢٤٨ ، ٢٦٧ [هـ] ، ٢٧٢ ، ٢٨٣ ،
 ٢٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،
 ٣٠٩ [م ، هـ] ، ٣٠٩ [هـ] ،
 (بريطانيا العظمى) ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧ (بريطانيا العظمى) ، ٣٣٢ ،
 [هـ] ، ٣٣٥ [هـ] ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
اليسفور ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٤٥ .
البصرة ٢٦ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ٧٠ [هـ] ،
 ١٧٨ ، ١٨٨ [م ، هـ] .
بطرسبورغ ٥٢ [هـ] ، ٥٥ ، ٥٧ ،
 ٥٨ [هـ] ، ٥٩ [هـ] ، ٦٣ [م ، هـ] ،
 ٦٦ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٢ ،
 ٢١٧ .
بفناد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ [هـ] ،
 ٣٤ [هـ] ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،

- جنوبي غربي ايران ٤١ .
 - شمالي غربي ايران ٤١ .
 - غربي ايران ٢٧ [هـ] .
ايطاليا ٥٣ ، ٨٠ ، ١١٧ [هـ] ، ١١٩ ،
 [هـ] ، ١٣٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٥ ،
 [م ، هـ] ، ٣٣٢ [هـ] ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ [م ، هـ] .

- ب -

باباقرتر ٢١ .
الباب العالي ٢٩ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٧٥ ،
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٩٨ [هـ] ، ٢٧٧ ،
 ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ [م ، هـ] .
باريس ٧٧ [هـ] ، ٧٨ ، ١١٦ [هـ] ،
 ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ،
 ٢٥١ [هـ] ، ٢٩٤ [هـ] ، ٣١١ ،
 ٣١٤ [هـ] ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣١ [هـ] ، ٣٣٣ ، ٣٥١ .
باكو ١١٦ [هـ] ، ١٧٥ [م ، هـ] ،
 ٢٨٠ [هـ] ، ٣٢٥ .
بانه ١٩٢ .
بايزيد ٢٦ ، ٩٠ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ،
 ٢٩٠ .
البحر الابيض المتوسط ٢٤ ، ٢٥ ،
 ٥٣ .
البحر الاسود ٤٣ ، ٦٨ ، ١٤٩ [م ،
 [هـ] ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٤٨ .
بحر ايجيه ١٣٥ ، ١٤٢ ، ٣٢٦ .
بحر البلطيق ٥٤ [هـ] .
بحر قزوين ١٤٤ .
البحرين ٧٠ [هـ] .
بحيرة وان ١٥٦ [هـ] ، ٢٢٠ [هـ] ،
 ٢٣٥ ، ٣٤٨ .

تبليس ٤٥ [هـ] ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٦ ،
 ١٣٣ ، ١٦٩ ، ٢٨٠ . [هـ] .
 تركيا ٨ [م] ، [هـ] ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ [هـ] ،
 ٢٥ ، ٣٠ ، [هـ] ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٥ ،
 [هـ] ٤٧ ، [م] ، [هـ] ٤٩ ، ٥٣ ،
 ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،
 ٨٠ ، ٨١ [هـ] ، ٨٤ [هـ] ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١١٩ [هـ] ،
 ١٣٦ [هـ] ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،
 ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ [هـ] ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ [هـ] ، ٣١٥ ،
 [هـ] ٣٢٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ،
 [هـ] ٣٤١ ، ٣٤٥ [م] ، [هـ] ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ [هـ] ، ٣٥٠ ،
 [هـ] ٣٥٦ ، ٣٥٨ .
 - تركيا الآسيوية ٤٦ ، ٥٣ ،
 ١٦٩ .
 - تركيا الأوروبية ٣٤٥ .
 - المناطق الشمالية الشرقية من
 تركيا ٧٢ .
 تونس ٤٢ ، ١١٦ [هـ] ، ٢٨٠ [هـ] .

- ج -

جبل الدروز ١٢٥ .
 جبل طارق ٣٢٥ .
 الجزائر ٢٨٠ [هـ] .
 الجزيرة (منطقة) ٢٦٦ [م] ، [هـ] .
 جزيرة ابن عمر ٥٥ (الجزيرة) ،
 ٣٠٧ .
 الجزيرة العربية ٧ [هـ] ،
 - أواسط جزيرة العرب ٤١ .
 - شبه الجزيرة العربية ١٢٥ ،
 ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥٦ [هـ] ،

٥١ [م] ، [هـ] ٥٦ ، ٥٩ ، ١٠٤ ،
 ١٠٥ ، ١١٤ (ولاية) ، ١٢٢ [م] ،
 [هـ] ١٦٨ ، ١٧٣ [هـ] ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ [هـ] ، ١٩١ ،
 ١٩٣ ، ٢١٣ [م] ، [هـ] ٢٢٨ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ .
 بلاد الرافدين ٣٣٤ .
 بلجيكيا ١٣٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٤ .
 بلغاريا ٢٥٦ [هـ] .
 البلقان ٤٣ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ١١٥ ،
 ١٢٠ ، ١٢٨ [م] ، [هـ] ١٤٦ ،
 [م] ، [هـ] ٢٤٨ ، [م] ، [هـ] ٢٧٧ .
 بلوجستان ١٦٠ .
 بندر بوشهر ٦٩ ، ١٦٠ (بوشهر) .
 بوتان ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٦٦ [م] ، [هـ] .
 بوسطن ٧٢ .
 بهمينان ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤ [هـ] ، ٩٩ ،
 ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
 ١٩٨ ، ٣٣١ .
 بيروت ٢٤٩ [هـ] .
 بيسارابيا ٣١٤ .

- پ -

پالو ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 بولندا ٥٣ ، ٣٢١ (بولونيا) ، ٣٤٤ ،
 (بولونيا) .
 بيتروغراد ١٥٤ [هـ] ، ١٦٩ ، ٣٠٦ ،
 ٣١١ .
 بينجونين ٨ ، ١٧١ ، ٢٠٤ .

- ت -

تبريز ٣١ ، ٤٥ ، ٦٩ [م] ، [هـ] ،
 ١٢٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٠٥ [هـ] .

خوی ۱۰۲ ، ۱۰۳ ، ۱۲۰ ، ۱۶۴ ،
۱۶۵

- د -

داغستان ۳۳۲ [هـ] .
الدائیمارک ۲۹ [هـ] .
دجلة ۱۶۹ [هـ] ، ۱۸۴ ، ۳۰۷ .
دربند ۱۷۰ .
الدرنیل ۲۲۰ ، ۳۲۱ ، ۳۴۵ .
درسیم ۳۱ ، ۸۹ ، ۹۷ ، ۱۲۷ ،
۲۰۰ ، ۲۹۷ ، ۲۹۸ .
دمشق ۴۳ ، ۱۴۵ ، ۱۵۴ ، ۳۵۹
[هـ] .

النون (نهر) ۱۳۳ .
دیاربکر ۲۶ ، ۳۹ ، ۴۲ ، ۶۰ ، ۷۴ ،
۸۹ ، ۹۹ ، ۱۰۸ ، ۱۱۶ ، ۱۲۴ ،
۱۲۶ ، ۲۰۲ [م] ، [هـ] ، ۲۰۸ ،
۲۲۱ ، ۲۴۱ [هـ] ، ۲۵۰ ، ۲۵۵ ،
[هـ] ، ۲۶۲ ، ۲۶۵ ، ۲۸۳ ،
۲۹۲ ، ۳۳۶ ، ۳۳۹ .

دیالی ۲۲۶ .
دیر الزور ۹۷ ، ۲۹۸ .

- ر -

رایات ۱۷۰ .
الرایخستاغ ۱۳۸ .
الراین (نهر) ۲۲۵ [هـ] .
رشت ۲۰۵ [هـ] .
روانوز ۸ ، ۱۴ ، ۱۱۴ ، ۱۶۸ ،
۱۷۰ [م] ، [هـ] ، ۲۰۳ ، ۲۲۷ ،
۲۳۳ [هـ] ، ۲۹۱ [م] ، [هـ] .
رودس ۱۱۶ [هـ] .
روستوف ۱۳۳ .

۲۸۰ [هـ] ، ۲۸۸ ، ۳۱۱ ،
۳۱۹ (شبه الجزيرة) .
جنیف ۱۱۶ [هـ] ، ۱۲۳ [هـ] ،
۲۶۳ ، ۲۷۴ ، ۲۹۴ [هـ] .
جورجیا ۱۶۵ ، ۳۱۴ .

- ج -

جناقلمه ۳۵۵ [هـ] .
جیکوسلوفایا ۳۴۴ .

- ح -

الحجاز ۱۲۵ ، ۱۵۶ ، ۱۹۳ ، ۳۴۴
[م] ، [هـ] .
حلب ۶ ، ۱۸۲ ، ۲۲۱ ، ۲۵۷ [هـ] ،
۲۷۸ ، ۲۷۹ [م] ، [هـ] ، ۲۸۰ ،
۲۸۶ ، ۲۹۹ ، ۳۳۸ [هـ] .
حوران ۱۲۵ .

- خ -

خاتسو ۲۹۹ .
الخالص ۲۲۶ .
خائقین ۸ ، ۱۴ ، ۲۱ ، ۳۷ [هـ] ،
۲۸ ، ۱۶۸ ، ۱۶۹ [هـ] ، ۱۷۳ ،
۲۰۴ .
خریوط ۲۶ ، ۳۱ ، ۶۰ ، ۷۴ ،
۲۰۲ ، ۲۴۱ [هـ] ، ۲۵۶ ، ۲۵۷ ،
۳۳۹ ، ۳۰۷ .
الخرطوم ۲۶۸ ، ۳۲۵ .
الخليج العربي ۲۴ [هـ] ، ۲۵ ، ۲۵ ،
۲۳ (الخليج) ، ۲۶ (الخليج) ،
[هـ] ، ۴۰ (الخليج) ، ۴۱ ، ۴۰ ،
۵۰ (الخليج) ، ۱۳۳ .
خنس ۱۲۶ .

- ز -

- الزباب الصغير ١٨٤ .
- زاخو ٢٤ .
- زيتون ٢٤٧ .

- س -

- الसार ٣١٠ ، ٣٢٥ [هـ] .
- ساري قاميش ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ، ٢٣٣ .
- ساسون ٢٥٠ .
- سالونيك ١٠٩ .
- سامراء ٢٧ .
- سان ريمو ١١٧ [هـ] ، ٣٣٥ [هـ] .
- ساوجيولاق ١٢٠ ، ١٥٥ [م] ، [هـ] ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢٠٣ [م] ، ٢١٢ [هـ] .
- سبحانداغ ١٥٤ [م] ، [هـ] ، ١٥٩ [م] ، [هـ] .
- سردشت ٣٠٧ .
- سعد ٥٥ ، ١٢٤ ، ٣٠٧ .
- سكرات ٢٦٢ .
- سلماس ١٢٠ (انظر : شلماش ايضا) .
- السليمانية ١٤ ، ٣٤ ، ٣٧ [هـ] ، ٧٤ ، ١٠٦ [هـ] ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٦ ، ٢١٤ ، ٢٠٩ ، ٢٠١ .
- ٢٧٦ [هـ] ، ٣٣٦ .
- سمرقنا ٣٤٥ .
- سنجار ٤٠ .
- سنندج ٣٤ ، ٢١٦ .
- السودان ١٤٣ ، ٢٦٨ [هـ] .
- سوريا ٢٤ [هـ] ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٠ [م] ، [هـ] ، ٨٤ [هـ] ، ١١٠ ،

- روسيا ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٤ [م] ، [هـ] ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ [هـ] ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، [هـ] ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٤ [م] ، [هـ] ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ [هـ] ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ [هـ] ، ١٦٣ [م] ، [هـ] ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، [م] ، [هـ] ، ١٧٣ [م] ، [هـ] ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ [م] ، [هـ] ، ٢٣٩ [هـ] ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ [م] ، [هـ] ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ [م] ، [هـ] ، ٢٦١ [هـ] ، ٢٦٧ [هـ] ، ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ [م] ، [هـ] ، ٢٨٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ [هـ] ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ [هـ] ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٥٣ [م] ، [هـ] ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ [هـ] .
- روسيا البيضاء ٥٤ [هـ] .
- روسيا السوفيتية ٢١٣ ، ٣١٩ .
- روسيا القيصرية ١٠ [هـ] ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٣٢ ، ١٤٦ [هـ] ، ١٥٧ ، ١٧٣ ، ١٨٤ .
- روما ١١٦ [هـ] .
- رومانيا ١٤٨ ، ١٨١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٤ .

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٨ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
 ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
 ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، [هـ] ،
 ١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ،
 ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، [م] ، [هـ] ،
 ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٨٤ ، [هـ] ،
 ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، [هـ] ، ٣٠٨ ،
 ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
 - الشرق العربي ٧٣ [هـ] ،
 - المشرق العربي ١٢٤ .
 الشعبية ١٧٨ ، ١٧٩ ، [م] ، [هـ] ،
 ٢٠١ .

شلماتش ١٦٤ (انظر : سلماتس
 أيضا) .

شنو ٣١ ، ١٦٦ .
 شيوخان ٤٠ .

- ص -

الصرب ١٣٤ [م] ، [هـ] ، ١٤٨ .
 الصين ٣٣ [هـ] .

- ط -

طالش ٢٠٦ ، ٢٠٧ [هـ] .
 طرابزون ٤٥ ، ١٥٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ،
 ٣٤٨ .
 طرابلس الشام ٨٩ [هـ] .
 طرابلس الغرب ١١٦ [هـ] ، ٢٨٠ ،
 [هـ] .

١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٩٣ ،
 ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، [هـ] ، ٢٥٤ [هـ] ،
 ٢٥٦ [هـ] ، ٢٧٩ [هـ] ، ٢٨٨ ،
 ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣٥ [هـ] ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ،
 ٣٦٢ .

سوئرا ١٤٤ ، ٢٨٠ [هـ] .
 سيبيريا ١٥٧ .

سراجيفو ١٣٣ [م] ، [هـ] ، ١٣٤ ،
 ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٤٩ [هـ] .

سيقر ٣٤٤ [هـ] ، ٣٤٦ [هـ] ، ٣٤٨ ،
 [هـ] .

السين (نهر) ١٣٩ [هـ] .

سينوب ١١٠ .

سيواس ٢٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ١٤٩ ،
 ٢٢٨ [هـ] ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ .

- ش -

شاخ كويخا ٢١ .

الشام ١٤٤ .

شبه القارة الهندية ١٤٣ .

الشرق ٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٣ [هـ] ،
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ [م] ، [هـ] ، ٦٠ ،

[هـ] ، ١٥٩ ، ١٨٩ ، ٢٥٦ [هـ] ،
 ٢٦٨ [هـ] ، ٢٨٨ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ .

- الشرق الأدنى ١١ ، ٢١ ، ٢٤ ،
 [هـ] ، ٢٣ [هـ] ، ٢٦ ، ٢٩ ،

٥٥ ، ٧١ ، ١٤٩ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢٣٤ ، ٣٠٥ ،

٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ [هـ] ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

- الشرق الأوسط ١٠ ، ١١ ،
 ١٢ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ [م] ، [هـ] ،

٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ [هـ] ، ٣٩ ، ٦٠ ،

- غ -

غاليسيا ١٤ ، ١٨١ .
غرناطة ٢٢ .

- ف -

الفاو ١٧٨ .
الفرات ١٩٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤٦ .
فرنسا ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، [هـ] ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، [هـ] ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، [م] [هـ] ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، [هـ] ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، [م] [هـ] ، ٣٣٢ ، [هـ] ٣٣٤ ، [هـ] ٣٤٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، [م] [هـ] ، ٣٥٣ .
فلسطين ٤٢ ، ٥٨ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ، [م] [هـ] ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، [هـ] .
فولكستون ١١٧ ، [هـ] ٢٩٤ .

- ف -

فيردان ١٣٩ ، ١٨٢ ، [م] [هـ] .
فيينا ١١٧ ، [هـ] .

- ق -

القارة الأوروبية ٢٩ ، [هـ] ، (انظر :
اوروپيا ايضا) .
قارص ١٥٢ ، ٢٤٦ .

طوز خورماتو ١٨٥ .

طهران ٦٩ ، ١٢٠ ، [هـ] ١٧٢ ، ٢٠٥ ، [هـ] ٢١٢ ، ٣٢٣ ، [هـ] .

- ع -

العالم الاسلامي ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٧٩ .
عدن ٣٢٤ .
العراق ٥ ، ٨ ، ٣٣ ، [هـ] ٤١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، [هـ] ١٧٠ ، ١٧١ ، [هـ] ١٧٢ ، [م] [هـ] ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، [م] [هـ] ، ١٨٤ ، [م] [هـ] ، ١٨٥ ، [هـ] ١٨٦ ، [هـ] ١٨٧ ، ١٨٩ ، [م] [هـ] ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١١ ، [هـ] ٢١٣ ، [م] [هـ] ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، [هـ] ٢٥٦ ، [هـ] ٢٧٩ ، [هـ] ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، [هـ] ٣٥٣ .
- جنوبي العراق ٣٣ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ٣١٣ .
- العراق الجنوبي ١٦٨ .
عربكج ١١٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ١٤٩ .
العزير ١٢٥ .
المسرح ١١٤ .
عقرة ٢٠٤ .
علياوه ٢٠٤ .
الممادية ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٠٠ ، ٣٠٧ .
العمارة ٧ ، [هـ] .

(کردستان ایران)، ۹۹ (کردستان
 ایران) ، ۱۰۱ (کردستان ایران)،
 ۱۰۳ (کردستان ایران) ، ۱۰۴
 (کردستان ایران) ، ۱۱۹
 (کردستان ایران) ، ۱۴۹
 [م ، هـ] ، ۱۵۵ ، ۱۶۳ ، ۱۶۷ ،
 ۱۷۰ ، ۲۰۳ ، ۲۱۶ (کردستان
 ایران) ، ۲۹۹ ، ۳۰۸ ،
 کردستان تركيا ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ ،
 ۱۰۳ ، ۱۰۴ ،
 کردستان الجنوبية ۳۴ ، ۳۷ ،
 ۳۸ ، ۵۱ ، ۵۳ ، ۷۸ [هـ] ،
 ۱۰۴ ، ۱۵۴ ، ۲۰۱ ، ۲۲۶ ،
 ۲۲۹ ، ۳۴۱ ، ۳۵۳ ، ۳۵۴
 [م ، هـ] .
 کردستان الشرقية ۳۴ ، ۳۹ ،
 کردستان الشمالية ۲۸ ، ۳۹ ،
 ۲۲۶ ، ۲۴۸ ،
 کردستان العثمانية ۳۰۴ ، ۳۰۸ ،
 کردستان العراق ۱۳ ، ۱۴ ،
 (کردستان العراقية) ، ۳۵ ،
 ۲۸ ، ۴۱ ، ۱۰۴ ، ۱۶۷ ، ۱۹۲ ،
 ۲۲۷ ، ۲۹۹ (کردستان
 العراقية) ، ۳۵۶ ،
 كركوك ۲۱ ، ۲۶ ، ۳۳ ، ۴۲ ، ۵۹ ،
 ۶۹ [هـ] ، ۱۸۵ ، ۱۸۶ ،
 كرمشاه ۲۲ ، ۳۶ ، ۱۶۲ ، ۱۶۴ ،
 ۱۶۶ ، ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۲۱۱ ،
 الكعبة ۱۹۳ ،
 كفري ۱۸۵ ، ۱۸۶ ، ۲۰۱ ،
 كندا ۲۵۶ [هـ] ،
 الكويت ۱۶۸ ، ۱۶۹ [هـ] ، ۱۷۷ ،
 الكويت ۲۶ ، ۳۲۴ ،
 كوينسجق ۲۰۳ ،
 كيلهشين ۱۵۶ [هـ] .

القاهرة ۴۲ ، ۱۲۳ ، ۱۴۸ ، ۳۱۸ ،
 قبرص ۳۰۵ [هـ] ، ۳۲۴ ،
 القرم ۳۱۴ ،
 قردباغ ۴۴ [هـ] ، ۲۷۳ [هـ] ، ۳۳۲ ،
 [هـ] .
 قره‌گیلیس ۱۵۱ ،
 قصر شیرین ۲۲ ، ۳۷ [هـ] ،
 ۱۷۷ ،
 القفقاس ۲۴ [هـ] ، ۴۱ ، ۴۳ ، ۴۴ ،
 ۴۵ [هـ] ، ۴۶ ، ۴۷ ، ۴۸ ،
 [م ، هـ] ، ۴۹ ، ۵۳ ، ۵۵ ،
 ۶۶ ، ۱۲۲ ، ۱۳۳ ، ۱۴۰ ،
 ۱۴۳ ، ۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۱۴۷ ،
 ۱۴۸ ، ۱۵۲ ، ۱۵۴ ، ۱۵۷ ،
 ۱۶۳ ، ۱۶۷ ، ۱۷۳ ، ۱۷۴ ،
 ۱۷۵ ، ۱۸۷ [هـ] ، ۲۰۲ ،
 ۲۱۲ [هـ] ، ۲۵۳ ، ۲۵۶ ، ۲۵۷ ،
 ۲۶۴ [هـ] ، ۲۸۰ ، ۳۱۴ ، ۳۲۵ ،
 ۳۳۲ ، ۳۳۴ ، ۳۴۱ ، ۳۵۳ ،
 - ماوراء القفقاس ۵۰ [هـ] ،
 ۵۶ ، ۲۸۰ [هـ] ، ۳۳۲ ،
 قناة السويس ۱۴۳ ، ۱۴۳ (القناة)،
 ۱۵۳ (القناة) .
 فوتور (مضيق) ۲۵۹ ،
 فوجانس ۳۹ ،
 فوجکیر ۲۰۰ ،
 قونیه ۱۱۶ [هـ] ،
 قيصريه ۲۶ ، ۳۰۷ .

- هـ -

کابل ۳۲۵ ،
 کربلاء ۱۵۹ ، ۱۶۷ ، ۱۹۳ ،
 کردستان الايرانية ۳۱ ، ۳۲ ، ۵۰ ،
 [هـ] (کردستان ایران) ، ۵۷

كيليكا ٣١١ .
كيف ١٣٣ .

- ك -

كيلان ٢٠٤ ، ٢٠٥ [م ، هـ] ، ٢٠٦ .
- كيلان الشمالية ١٦١ .

- ل -

مراكش ٢٨٠ [هـ] .
مرزيفون ٢٥٤ .
مرعش ٢٦ ، ٢٥٠ .
مريوان ١٦٦ .
مصر ٢٤ [هـ] ، ٥٨ ، ١٢٣ [هـ] ،
١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٨١ ، ٢٠٤ ،
٢٥٦ [م ، هـ] ، ٢٨٠ [هـ] ،
٣٠٥ [هـ] ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ،
[هـ] (انظر : وادي النيل ايضا) .

المغرب العربي ٢٢٠ [هـ] .
المقناذية ٢٢٦ .
مقنونيا ١٢٧ ، ١٨١ .
الكرمان ٢٠٣ [هـ] .
مكس ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
ملاطية ٢٦ ، ٦٠ ، ٣٣٩ .
مودروس ٣٢٦ .
موسكو ١٥٥ [هـ] ، ٢٣٣ [هـ] ،
٢٩٧ .
موش ٦٠ ، ٩١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٥٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧ ،
٣٤٨ .

الوصل ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٢ ،
٥٣ ، ٥٥ ، ٦٠ [م ، هـ] ، ٧٨ ،
١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
[م ، هـ] ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
١٩٨ [م ، هـ] ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
[هـ] ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
٢٨٤ ، ٣٠٩ [هـ] ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،
٣٢٨ ، ٣٣٢ .
- مشكلة الوصل ٢٦ ، ٣٠٩ ،
[هـ] ، ٣٥٨ .
- ولاية الوصل ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
٤١ ، ٥٥ ، ٧٨ [م ، هـ] ،

لاهيجان ١٦٤ .

لبنان ٢٥٤ [هـ] ، ٢٥٦ [هـ] .
لندن ١٦ ، ١١٧ [هـ] ، ١٤٦ ،
١٧٩ ، ١٩٥ ، ٢٦٠ ، ٢٩٤ [هـ] ،
٣٠٥ [م ، هـ] ، ٣٠٦ ، ٣١١ ،
٣١٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ [هـ] ، ٣٤٢ ،
[هـ] ، ٣٥١ [م ، هـ] .
لورستان ١٦٤ .
اللويزين ٣١٠ .
لوكسمبرغ ١٣٩ .
ليبيا ١٤٣ .
ليمتوس ٢٢٦ .
لينينغراد ١٠٣ [هـ] .

- م -

مابين النهرين ١٧ ، ٢٤ [هـ] ، ٣٥ ،
٤٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٧٥ ، ١٩٤ .
ماردين ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣٦ ، ٤٢ ، ٦٠ ،
٢٠٢ [م ، هـ] ، ٢٠٨ .
مارسيليا ٣٣٥ .
مارن (نهر) ١٣٩ [هـ] .
مازندران ٢٠٦ .
ماكو ١٢٠ ، ١٥٦ [هـ] .
المحيط الهندي ١٤٦ .

ورمي ٦٤ [هـ] ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٩١ ،
 ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٥٢ ،
 ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 . ٢٠٣ ، ٢١٢ [هـ] ، ٢٧٤ .
 الولايات المتحدة الامريكية ٢١ ، ٦٧ ،
 ٦٨ [م ، هـ] ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٥ ،
 ، ١٣٤ ، ٢٥٦ [هـ] ، ٢٨٩ ،
 ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ [هـ] ، ٣٣٤ [م] ،
 . [هـ]
 ويران شهر ٢٩٦ [هـ] .

- ه -

همدان ١٦٥ [هـ] ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
 الهند ٢٤ [هـ] ، ٣٣ [هـ] ، ١٣٣ ،
 ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
 ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ،
 ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ [هـ] ،
 ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٩ [هـ] ،
 . ٣٤٢

- ي -

اليابان ١.٤ ، ١.٥ ، ١٣٤ ، ٣٤٤ ،
 يريفان ٦٤ ، ٢٤٥ ، ٣٣٠ [هـ] ،
 اليمن ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 يوغوسلافيا ٣٤٤ [م ، هـ] .
 اليونان ١٤٢ ، ٢٥٦ [هـ] ، ٣١١ ،
 . ٣٤٥ ، ٣٤٤

، ٧٩ ، ١١٤ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ،
 ، ١٩٥ [م ، هـ] ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 . ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٤٧ .
 ممرگومر ٣.٧ .
 ميسوبوتاميا ٥٠ ، ٦٠ [هـ] ، ١٧٨ ،
 ، ٢٨٤ [هـ] ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٤٢ ،
 . ٣٤٦
 - ميسوبوتاميا الشمالية ٥١ ،
 . ٥٣

- ن -

الناصرية ١٧٨ .
 نجد ١٢٥ .
 النجف ١٩٣ .
 نصيبين ٢٦ ، ٦٠ .
 النمسا ٢٩ [هـ] ، ٥٣ ، ٧٥ ،
 ، ١٣٣ [هـ] ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ٢٢٨ ،
 . ٢٤٨ ، ٣٢٠ ، ٣٤٠ [هـ] .
 نيوجرسي ٧٠ [هـ] .

- و -

وادي النيل ١٤٣ (انظر : مصر
 . ايضا)
 وارشو ١٣٣ .
 وان ٣٠ ، ٣٩ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١٢٢ ،
 ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٩٩ ، ٢٣٨ [هـ] ،
 ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
 ، ٢٨٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ [م ، هـ] ،
 . ٣٤٨

★ ★ ★

جدول الخطأ والصواب

بالرغم من الجهود التي بذلناها ليأتي الكتاب دونما أخطاء ، ما أمكن ،
فقد حدثت بعض الأخطاء اللغوية والمطبعية نذكر فيما يلي أهمها مع تصحيحها :

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
عليه	٦	١٦	إليه
تولي آتذ أهمية بالغة لكردستان	١٠	١٧	تولي كردستان آتذ أهمية بالغة
على	١١	٢	إلى
لم يطلق	٣٣	٢٤	لم يطلق هذا الباشا
لرغباتها	٣٣	٢٥	لرغبات تلك الشركة
لاسيما	٣٤	٤	ولاسيما
1819	٣٥	١٧	1816
يو . س . كارتسيث	٤٦	١٨	يو . س . كارتسوف
ل . ي . افيريانوف	٤٧	٣	پ . ي . افيريانوف
تمخضت عنه أيضا	٥٣	١٤	تمخض أيضا عن
١٨٢١	٦١	٣	١٨٢٨
فرانسوا بيرنارد	٦٣	٤	فرانسوا بيرنارد شارموا
1932	٧٨	١٢	1923
عن	١٠٧	٩	عنها
تحقيق	١٣٠	٩	تحقيق
، و على خطته هو في جنوبي العراق	١٥٣	١٠٩	في جنوبي العراق ، وعلى خطته هو
كتبها	١٥٥	١	كتبه

الخطا	الصفحة	السطر	الصواب
١٩١٧	١٧٢	٢٢	١٩٧١
وغيرهم	٢٠٥	٦	وغيرهما
ك. ت. ماتفيف	٢١٠	٢١	ك. پ. ماتفيف
شون	٢٢٤	١	شون
عن	٢٣٩	٥	من
عن	٢٣٩	١٥	من
١٢ كانون الثاني	٢٧٥	٢١	٢١ كانون الثاني
المصدر السابق	٢٨٣	١٩	کردستان وکرد اختلالزوي، جلد ١ ، تهران ، ١٩٤٦ .
تمخضت عنه	٣٢٨	٢١	تمخض من
يتوالم	٣٤٥	١٤	يتلام

★ ★ ★

مواضيع الكتاب

الصفحة

٣	كلمة المترجم
٦	مقدمة المؤلف للطبعة العربية
١٠	المقدمة
١٩	الفصل الأول ، بداية الأطماع
٨٠	الفصل الثاني ، على أبواب الحرب
١٣٠	الفصل الثالث ، في أتون الحرب
١٩٧	الفصل الرابع ، نضال ٠٠ وضحايا
٢٣٥	الفصل الخامس ، الكرد والدم الأرمني المراق
٣٠٣	الفصل السادس ، تجسيد الأطماع
٣٥٢	خاتمة
٣٦٥	ثبت المراجع
٣٨٣	فهرست الأعلام

٩٥٦/ ٧١

ك ٨٢٨ كمال مظهر

كرديستان في سنوات الحرب العالمية الاولى/كمال مظهر

بغداد : دارالثقافة والنشر الكردية ، ٢٠١٠

٤١٦ ص، ٢٤ سم

١- كوردستان- تاريخ

١- العنوان

٥٠٤

٢٠١٠ / ٢٠٥٩

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٠٥٩ لسنة ٢٠١٠



مينة إدارة و استخبار
اصول الوقت السنوي
نظرة الوقت الحاضر



Dr. Kamal Mudher
Ahmed

Kurdistan During The First World War

Translated By
Mohammed Al-Mulla
Abdul Kareem
The supported member
of the Kurdish
Scientific Assembly

*The author has been made
revision , correction
and addition*

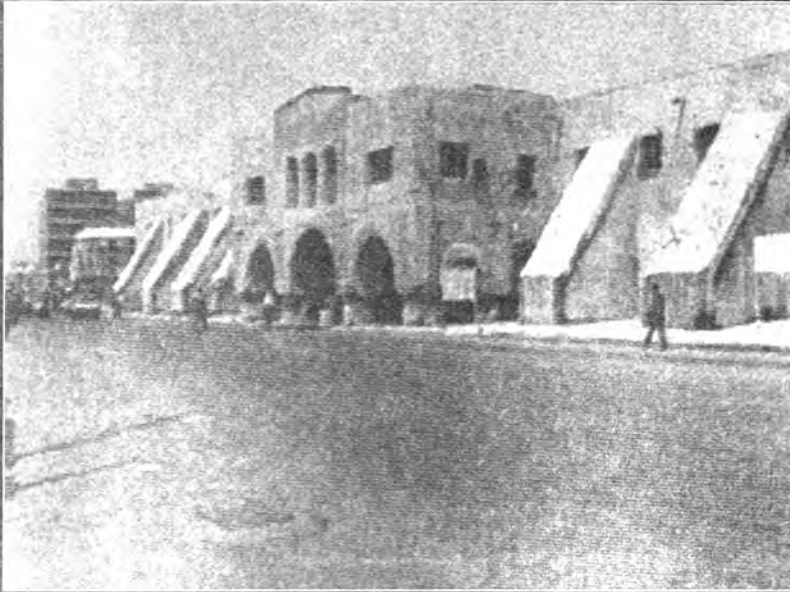
تصميم الغلاف: منى محمد غلام

عبدالله محمد الغلام

د. كمال مظهر أحمد

كركوك وتوابعها حكم التاريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق



الجزء الأول

حكم التاريخ و الضمير حكم التاريخ و الضمير حكم التاريخ

د. كمال مظهر احمد

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

- الجزء الأول -

اسم الكتاب : كركوك و توابعها - حكم التاريخ والضمير -
المؤلف : الدكتور كمال مظهر أحمد
الكومبيوتر : سناريا محمد بايز
التصميم : جمال حسين درويش
التصحيح : دانا أحمد و عباس زنگنه
المطبعة : مطبعة رينوين
المطبوع : ١٠٠٠٠ نسخة

طبع على نفقة حكومة إقليم كردستان
رقم الإيداع في وزارة الثقافة بحكومة إقليم كردستان

**كركوك و توابعا
حكم التاريخ و الضمير**

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الإهداء :

الى كل عربي يرفض أن يكون ظالماً
بقدر ما يرفض أن يكون مظلوماً

نبذة تاريخية

من الثابت تاريخيا ان مدينة كركوك تم بناؤها من قبل اللولوبيين، أو من قبل الخوريين، وهما شعبان أديا دورا اساسيا في تكون الشعب الكردي الحالي، كما انهما أقدم شعبين معروفين سكنا كردستان تربطهما صلات حضارية و لغوية قوية. ورد اسم اللولوبيين، الذين سكنوا سهلي شهرزور وزهاو مع امتداداتهما، ورد واضحا في الكتابات القديمة التي تعود الى الألف الثالث قبل الميلاد. وكما نلاحظ لاحقا ان كركوك دخلت ضمن إيالة شهرزور إداريا ردحا من الزمن، أي ضمن الوطن الاصلي للولوبيين، كما ارتبطت بها سياسيا طيلة التاريخ القديم و الوسيط و الحديث.

ومما يعزز احتمال كون اللولوبيين بناة مدينة كركوك الاولين هو ان اسمها لم يرد في الكتابات السومرية و الأكديّة ضمن أسماء المدن التي قام ملوك سومر و أكد بتشبيدها، اذ كان كل ملك من هؤلاء الملوك يسجل عادة اسم اي مدينة تؤسس في عهده، وبأمره. بل تتوفر نصوص سومرية تؤكد صراحة ان السوباريين وهم ايضا من شعوب كردستان الاصليين عاصروا اللولوبيين و ادوا دورا مشابها لدورهم في تكوين الكرد الحالي، كانوا يعيشون

حركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

خارج بلاد سومر(١). و من الضروري ان نشير هنا الى ان معظم المدن القديمة الشمالية التي تمتد الى الشرق من نهر دجلة قد تم تشييدها من قبل شعوب المنطقة الاصيلين، أي من قبل شعوب زاغروس، او من قبل الشعوب الآرية، بينما كانت الشعوب السامية تبني مدنها عادة غربي دجلة و امتداداتها، اذ أراد حكام تلك الشعوب ان يكون النهر الكبير احدى ادوات صد هجمات شعوب زاغروس والشعوب الآرية.

وردت اشارات صريحة الى مدينة كركوك الحالية في النصوص السامرية التي تعود الى العهد الأكدي، مما يفترض تأريخها ان يكون اللولوبيون هم بناء المدينة. و من الثابت تأريخها ان الخوريين هم الذين كانوا يقطنون كركوك و توابعها في الألفين الثاني و الأول قبل الميلاد، و يومذاك كانت كركوك نفسها تعرف باسمين -ارابخا و اليلاني، أي مدينة الآلهة. و الخوريون يؤلفون شعبا " انحدر منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد من الجبال الشمالية، ولعب دورا مهما في تأريخ الشرق الأدنى و سياسته و ثقافته في الألف الثاني قبل الميلاد"(٢). و مما له مغزاه بهذا الصدد ان اعمال

(١) حول ذلك ينظر: الدكتور فوزي رشيد، سكان جبال زاغروس و كردستان القدماء، في كتاب "تأريخ الكرد القديم" (تأليف مشترك مع الدكتور جمال رشيد)، من منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة صلاح الدين، ١٩٩٠، ص ٤١.

و للتفصيل عن الخوريين و السوباريين و علاقاتهما ينظر:

I.Gelb, Hurrians and Subarians, Chicago, 1944.

(٢) جان بوتيرو، بلاد الراهنين، الكتابة، العقل، الآلهة، ترجمة البر ابونا، مراجعة الدكتور وليد الجادر، بغداد، ١٩٩٠، ص ٨٩.

مركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، ولا سيما في تل شمشاره الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من هضبة دوكان، قرب مضيق دوكان تحديداً، اسفرت عن اكتشاف آثار خورية يعود زمنها الى الالف الثاني قبل الميلاد، من بينها حوض آجره من النوع المستخدم في نوزي(٣). و نوزي هو الاسم الذي أطلقه الخوريون انفسهم على مدينة كركوك(٤) ، التي اكتشفت فيها لوحات مدونة باللغة الأكديّة، تتضمن معلومات تاريخية مهمة عن الخوريين، وعن حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية(٥). وقد وجدت هذه الآثار بالتحديد في تل يورغان تبه التي تبعد عن كركوك الحالية مسافة ثلاثة عشر كيلومتراً، والذي اتخذ مقبرة فيما بعد(٦)، وتقدر بعض المصادر عدد الألواح المكتشفة هنا بأكثر من خمسة الاف(٧)، مما يؤشر عمقا حضاريا كبيرا حسب مقاييس عصره دون شك.

ومما له مغزاه ايضا ان الخوريين، الذين حكموا بلاد آشور على مدى قرن من الزمان، هم الذين شيدوا، دون ريب، عددا من توابع كركوك اهمها طوزخورماتو التي تحمل اسمهم حتى اليوم. فان اسم المدينة الأصلي هو

(٣) البروفيسور هارولد اينفلوت، بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، "سومر" (مجلة)، بغداد، الجزء الاول

والثاني، المجلد الثالث عشر، ١٩٥٧، ص ١٩٧-١٩٨.

(4) G. Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter, Darmstadt, 1982, P. 10.

(5) Seton Lloyd, Twin Rivers, Oxford, 1943, P. 46 "Sovets- kaya Istorcheskaya Encyclopedia", Vol. 7, Moscow, 1965, P. 289.

(6) "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 6, Moscow, 1965, pp. 178-179.

(٧) سيتون لويد، بلاد الرافدين، ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٠٦.

خورماتو، المشتق مبنى من كلمتي خور، أي الخوريين، وماتو التي تعني المدينة في الأكديّة، فيكون معنى الاسم مدينة الخوريين. و ظل خورماتو متداولاً في العصور الاسلاميّة(٨) ولغاية اواخر القرن التاسع عشر دون ان يفقه الناس معناه الأصلي، وقد ظنوا خطأ ان الاسم يشير الى خورما (التمر) و تو (التوت) اللذين اشتهرت منطقة طوزخورماتو بانتاجهما يومذاك، فلقد اشار الرحالة الى وجود اشجارهما هناك بكثرة(٩). و خورما و تو كلمتان متداولتان في اللغة الكردية منذ قديم الزمان. فالاول منهما من الكلمات الشائعة في اللغات الأرية القديمة، اذ وردت بصيغ متقاربة في البهولية والبازند (تفسير الافيستا) و الارمنية وغيرها(١٠). وكلمة تو بمعنى (التوت) دخلت اللغات نفسها، بما فيها الكردية، منذ أقدم الأزمنة عن طريق الآرامية و البسريانية(١١). و أخيراً أضاف أهل المدينة، عن جهل كذلك، اسم منتوج آخر اشتهرت في منطقتهم ايضاً، وهو (دوز) الذي يعني الملح في التركية، الى اسمها ليصبح دوزخورماتو الذي تحول في التداول الى طوزخورماتو.

كما أسلفنا بقي الاسم متداولاً بصيغته الاولى، أي خورماتو، حتى مطلع القرن التاسع عشر، فقد سجل الرحالة الانكليزي جيمس بكنفهام في العام

(٨) "التاريخ الغياثي"، دراسة و تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، ١٩٧٥، ص ٩٠.

(٩) C.J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan..., Vol. 1, London, 1836, PP. 26-27.

(١٠) دكتور محمد معين، برهان قاطع، جلد دوم، تهران، ١٣٣١ شمسي، ص ٧٢٨.

(١١) المصدر نفسه، الجزء الاول، طهران، ١٣٣٠، ص ٥٢٧.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

١٨١٦ الاسم هكذا(١٣)، كما ورد لدى المنشئ البغدادي في العام ١٨٢٠ بصيغة مقاربة(١٣).

و من المفيد ان نشير هنا الى ان اسماء العديد من المواقع الخورية وغيرها في كردستان لاتزال تحتفظ حتى اليوم بصياغاتها القديمة، منها، على سبيل المثال، اسم قرية شمشارة قرب دوكان التي كان يطلق عليها قديما اسم شوشرا، الموقع الذي تم اكتشاف آثار خورية كبيرة فيه قبل ان تغمره مياه السد.

و ينبغي ان نشير ايضا الى الصلة القوية بين الخوريين و الآريين الذين لاشك في ان الخوريين امتزجوا بهم، فكان الآريون يؤلفون بين الخوريين طبقة ارسقراطية فائدة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، أي في الوقت الذي امتلك فيه الخوريون "عمليا كامل شمال العراق". وعلى هذا الأساس كان يطلق على المملكة الخورية ايضا اسم "مملكة ميتاني"، و الميتانيون كنية مشتقة كانت تطلق على الآريين(١٤).

ارتبط اسم شعب زاغروسي آخر باسم كركوك. فمن الثابت من النصوص المسمارية ان الكوتيين، الذين ادوا نفس دور اللولوبيين و الخوريين و

(١٢) جمن بكنفهام، رحلتي ال العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٥٦، ١٦٨.

(١٣) "رحلة المنشئ البغدادي"، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي الحامي، بغداد، ١٩٤٨، ص ٥٤ - ٥٦.

(١٤) للتفصيل عن ذلك ينظر، جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، مراجعة الدكتور فاضل عبدالواحد علي، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣١٧-٣١٩.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

السومريين، في تكوين الشعب الكردي لاحقا، كانوا يعيشون في الألف الثالث قبل الميلاد في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهرزور^(١٥)، ووصلوا كركوك وتوابعها، بل انهم اتخذوا من كركوك مركزا لهم، وقد اصبحت المدينة تعرف يومذاك باسم جديد هو ارابخا (ARAPKHA)^(١٦)، وقد اعترف السومريون، ومن بعدهم الأكديون بمملكة الكوتيين في إطار شبه المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديبالي مع عاصمتها في ارابخا^(١٧).

يؤيد السير سدي سمث في كتابه "تاريخ آشور القديم حتى الالف الأول قبل الميلاد" الحقيقة ذاتها حين كتب ان قلب المملكة الكوتية" كان المربع الواقع بين نهري الزاب الاسفل ودجلة، وبين جبال السليمانية ونهر ديبالي، وكانت عاصمتها ارابخا تقع حيث مدينة كركوك الآن". وكما تؤكد الواح بابل كانت بلاد الكوتيين تؤلف دولة مستقرة، و ان سكانها كانوا متحدين يحكمهم ملك واحد منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد. و يبدو ان السومريين و الأكديين و الآشوريين كانوا في قتال مستمر مع الكوتيين "بوضع دفاعي اكثر منه هجومي" فمن الثابت تاريخيا ان الكوتيين كانوا يغيرون على اطراف الامبراطورية الأكديّة القوية، كما انهم حكموا منطقة

(١٥) عن علاقة الكوتيين بالکرد تنظر: "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol., 4, Moscow, 1963, PP. 913-914.

(١٦) الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٥٣.

(17) "Cambridge Ancient History", Cambridge, 1924, Vol. I, P. 423; Vol. III, P.223.

خرحوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

بابل مدة تجاوزت القرن من الزمان (اواخر الالف الثالث قبل الميلاد) ونقلوا منها، ومن مدن سومر كنوزهم الى عاصمتهم ارباخا. ويبقى اسم ارباخا متداولاً، وحرف حديثاً الى (ارافا- عرفه)، واطلق على حي العمال الجديد في منطقة شركة نفط كركوك(١٨).

غدت هذه الحقيقة التاريخية امراً مسلماً به حتى في الكتب المنهجية العربية العامة. ورد في كتاب "الجغرافية السياسية" من تأليف عدد من الاساتذة الجامعيين المصريين في العام ١٩٦١، مانصه بهذا الخصوص:
"الاکراد سلالة منحدره من أصل شمالي.. وكانت لهم دولة قديمة عاصمتها ارباخا ARAPKHA، هي كركوك الحالية"(١٩).

و من المفيد ان نشير ايضا الى ان سكان بلاد ما بين النهرين القدماء كانوا في الألف الأول قبل الميلاد يطلقون اسم الكوتيين على جميع الشعوب التي كانت تقطن الى الشمال والشرق من بابل، بما في ذلك الميديون(٢٠)الذين انتقلوا يومذاك الى تلك المنطقة ليتفاعلوا مع بقايا شعوب زاغروس، و يؤدوا الدور الأخير في بلورة الشعب الكردي.

يلخص الاستاذ الجامعي العراقي المعروف الدكتور فوزي رشيد في مبحثه المعنون "سكان جبال زاغروس وكردستان القدماء" علاقة اصول الكرد تاريخياً بكركوك على النحو الآتي:

(١٨) "سومر"، بغداد، المجلد الثامن، الجزء الأول، ١٩٥٢، ص ٣٧٥.

(١٩) الدكتور دولت احمد صادق وآخرون، الجغرافية السياسية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٥٨.
(٢٠) "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 4, P. 914.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

"وهذه الحقيقة(٢١) لاتنفي العلاقة القوية التي كانت تربط اللولوبيين بالسكان القدماء الآخرين لكردستان كالكوتيين، او الخوريين، لغويا كانت أم حضارياً و خاصة لو عرفنا بأن مركز هؤلاء كان في مناطق قريبة بعضها عن البعض الآخر، كمستوطنات نوزي الخورية، و ارابخا الكوتية، و بابيت اللولوبية، و جميعها حوالي كركوك الحالية"(٢٢).

و للتأكيد على مدى تقارب الأصول الكردية القديمة هذه فيما بينها نشير الى "ان المصادر الآشورية التي تعود الى الالفين الثاني و الأول قبل الميلاد كانت تطلق على الخوريين اسم السوباريين الذين كانوا يؤلفون في الألف الثالث قبل الميلاد شعبا قائما بذاته على الرغم من قرابتهم اللغوية والاجتماعية والحضارية مع الخوريين و اللولوبيين و غيرهم من شعوب زاغروس"(٢٣).

اختلف موقف الآشوريين من كركوك و توابعها من موقف اللولوبيين و الخوريين و الكوتيين منها، فانهم دمروا المدينة في أواسط الالف الثاني قبل الميلاد(٢٤) وذلك في خضم صراعهم مع شعوب زاغروس اولاً، ومن ثم مع الآريين، ولاسيما الميديون منهم فيما بعد. وبعد اعادة بنائها اتخذها الآشوريون في الحقبة الممتدة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد حصناً

(٢١) يقصد تحول الصيغة الأكلمية القديمة لاسم لولوبو الى لولومي في الصيغة الآشورية.

(٢٢)الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٤٩.

(23) M. Diakonov, Subaretsi, - "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 13, Moscow, 1971, P. 905, Khurriti, Vol. 15, Moscow, 1974, PP. 690-691.

(24) "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 7, Moscow, 1965, P. 289.

خرحكوك و توابعهما حكم التاربخ والضمير

لصد الميديين(٢٥)، الا ان ذلك لم يجدهم نفعاً، فقد تمكن الميديون من القضاء على الدولة الآشورية، واحتلال عاصمتها نينوى سنة ٦١٢ ق. م.(٣). و اثر ذلك دخلت كل المنطقة الممتدة الى الشرق من دجلة شمالي بغداد ضمن الدولة الميديية المترامية الاطراف، بما في ذلك كركوك و اربيل وتوابعهما. وقد غدا هذا الامر ايضا حقيقة تاريخية مسلمة تقرها المصادر والمراجع على مختلف مشاربها. ورد في مصدر عراقي رسمي معتبر(٢٧) الآتي نصه بهذا الصدد:

"الماديون هم من الشعب الأري الذي كان يسكن البلاد التي يسميها المتأخرون بلاد شيروان و اذربيجان، وقد نهض بهم الحظ ففقدوا تحالفا مع بختنصر الكلداني، فحاربوا الآشوريين من الشمال، كما ان الكلدان حاربوهم من الجنوب الى ان قوضوا تلك الدولة القوية الشكيمة، واستولوا على تركتها. وكانت النتيجة ان انفرد الكلدان بالسيادة في الجنوب و الماديون في الشمال، فاصبح في العراق شعبان يسودانه، الكلدان وهم من الشعب السامي، و الماديون وهم من الشعب الأري"(٢٨).

(25)J. H. Kramers, Kirkuk,- "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, Leyden-London, 1927, P. 1027.

(٢٦) البروفيسور فلاديمير مينورسكي، الاكراد احفاد الميديين، ترجمة و تعليق الدكتور كمال مظهر، -"مجلة المجمع العلمي الكردي"، بغداد، المجلد الاول، العدد الاول، ١٩٧٢، ص ٥٥٦-٥٥٧.

(٢٧) نقصد به "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦" وهو مصدر موسوعي ضخم صدر "تحت عناية و اشراف وزارة الداخلية" في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية، يقع في ١٢٢٠ صفحة من الحجم الكبير، اعدته مجموعة من ابرز الباحثين العراقيين المعروفين يومذاك برئاسة محمود فهمي درويش. صدر الدليل نفسه في مجلد مستقل باللغة الانكليزية في السنة ذاتها.

(٢٨) "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، بغداد، ١٩٣٦، ص ٦٤

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

بعد سقوط الدولة الميديية في العام 550-549 قبل الميلاد ظهر اقرباؤهم الفرثيون فوق المسرح السياسي للمنطقة. ففي حدود الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد حكمت اسرة سكانية اديابين (حدياب) وكانت كركوك عاصمة حكامها الذين كانوا تابعين للإمبراطورية الفرثية، و كانت اربيل تدخل بدورها ضمن مملكتهم، وتؤلف احدى قواعدهم(٢٩). ورد في مصدرين رسميين عراقيين، صدر الاول منهما في العهد الملكي، وصدر الثاني منهما في العهد الجمهوري، ورد ما مفاده:

في عهد سيطرة الدولة الفرثية (١٤١ قبل الميلاد- ٢٢٧ للميلاد) كان العراق يتكون من اربع امارات، الاولى امارة ميسان، والثانية امارة الحضر في الشمال الغربي، والثالثة امارة حدياب وقاعدتها اربيل، والرابعة امارة الحيرة العربية(٣٠).

حسب المؤرخ الأرمني المعروف موسيس (موفسيس) الخوريني Moses of Khurene الذي عاش في القرن الخامس - بداية القرن السادس، كان الساسانيون، اقرباء الميديين، يطلقون في عهده على المنطقة اسم كهمهركان (Gamarkan) على المنطقة التي تقع كركوك في قلبها، والتي تمتد حدودها في الشمال الغربي الى حد الزاب الصغير، وفي الجنوب الغربي الى جبل

(29) E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, Oxford, 1935, p.8.

(٣٠) "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ٦٨-٦٩، "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠. دائرة معارف علمية، تاريخية، جغرافية، اجتماعية، صناعية، زراعية، تجارية"، تأليف محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسه، صدر تحت اشراف وزارة الارشاد بقرار من مجلس الوزراء في ١٧ كانون الاول ١٩٦٠، بغداد، ١٩٦١، ص ١٧٨.

خرحوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

حمرين، وفي الجنوب الشرقي الى نهر ديالى، وفي الشمال الشرقي الى زاغروس(٣١). وقد خضعت المنطقة نفسها للحكم الساساني، كما ان جانبا كبيرا من آثار كركوك وتوابعا تعود الى ذلك العهد(٣٢). ومن المفيد ان نشير الى ان رشيد ياسمي، الاستاذ السابق بجامعة طهران، يعيد اصل الساسانيين الى الأكراد(٣٣).

اطلقت المصادر السريانية على كركوك وتوابعا اسم باث گهرمه (Beth Garme)، و أطلق السلوقيون على القلعة التي شيدها في كركوك لاحقا اسم سهرهگ - سهربوگ (Sarbug)(٣٤). و مما يجلب الانتباه ان في اللغة الكردية الحالية كلمات حية قريبة جدا من جميع هذه الأسماء الساسانية والسريانية والسلوقية. فان كلمة گهرمه كان قريبة من كلمة گهرميان التي يطلقها الكرد الحاليون على الأصقاع الحارة من بلادهم، بضمنها كركوك و توابعا. و لا يستبعد ان تكون سهرهگ كلمة مركبة، فان سهر هي الرأس في الكردية، و بهگ هي الكبير فيها، والاله في بعض اللغات الآرية، فيحتمل الاسم بذلك معنى الاله الرئيس.

(31) J. H. Kramers, Op. Cit., P. 1027.

(32) C.J. Rich, Op.Cit., Vol. I, PP. 10-25, 30.

(٣٣) رشيد ياسمي، كرد و بيوستگی نژادی و تاریخی او، تهران، ص ١٦٥-١٧٤، مجلة "هتاو"، اربيل، الاعداد ١٣٢-١٤٢، حزيران- تشرين الاول ١٩٥٨، سلسلة مقالات بعنوان "الساسانيون كانوا كردا لا فرسا" بقلم گيو موكراني.

(34) J. H. Kramers, Op. Cit. P. 1027.

كركوك و توابعها في ظل الاسلام والخلفاء

بعد ان فقد الكرد دولتهم، و تقلص دورهم الحضاري في ظل الدول التي توالى حكمها على كردستان اثر سقوط الميديين، كان امرا طبيعيا ان يرحبوا بالاسلام باعتبار ذلك وسيلة للانتقال الى وضع افضل مما كانوا فيه. دشن ذلك اول احتكاك مباشر، و واسع للكرد و كردستان، بما في ذلك كركوك و توابعها، بالعرب - حملة راية الدين الجديد.

لم يمس الاسلام الكيان القومي للكرد داخل وطنهم، بل انه ساعد على تعزيز ذلك الكيان بوجه الشعوب، والانظمة غير الاسلامية المتاخمة لكردستان، ولاسيما في طرفها الشمالي. يقول باحث محايد، مخلص للاسلام، ان الخلفاء لم يحاولوا "التدخل في الكيان المستقل للاغوات والبكوات الاكراد"^(٣٥) الذين يقصد بهم امراء الكرد في ذلك الحين. يكمن في هذا، دون شك، احد الاسباب الاساسية التي دفعت الكرد الى الترحيب بالدين الجديد، و الاخلاص له، و التفاني من أجله. ان احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية، و بلغتهم في ظل الاسلام و حضارته، على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما، لهو درس بليغ من التاريخ كان يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار.

(٣٥) المقدم الشيخ عبدالوحيد، الاكراد وبلادهم. تاريخ الشعب الكردي منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر،

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

و مما يضيف اهمية خاصة على هذا الامر ان ابناء الكرد رحبوا بالعربية بوصفها لغة القرآن، و اداة الروح، و التقرب من الخالق، الا ان ذلك لم يتجاوز حدود اداء الفرائض الا بالنسبة لرجال الدين، و المتخصصين الذين ظلوا، مع ذلك، متمسكين بلغتهم القومية لأنهم، و كانوا في ذلك على حق، لم يروا أي تعارض بين ايمانهم و اخلاصهم للغة قومهم، لذا لاغرو ان معظم شعراء الكرد البارزين من العصرين الوسيط و الحديث كانوا في الوقت نفسه رجال دين كبارا، و ان بعضهم تغنى بالاسلام بلغته القومية، و ان الكتاتيب و المدارس الدينية الكردية، بما فيها كتاتيب و مدارس كركوك الدينية، غالبا ماكانت تدرس تلاميذها أدب الكرد جنبا الى جنب مع علوم الدين، و أصول الفقه.

ظل الكرد يؤلفون باستمرار روح الاسلام في كركوك، فكانت مساجد المدينة و توابعها، و تكاياهما و اوقافهما و مدارسهما الدينية بيد رجال الدين الكرد اساسا. و يعتز الكرد باشرافهم على "مقام السجادة النبوية" في مدينة كركوك نفسها، الأمر الذي تولدت منه اسرة دينية كردية معروفة باسم خادم السجادة، لها مقامها الاجتماعي و السياسي، خرج من بين ظهرانيها ادباء و مفكرون قوميون، و من مثل اهل المدينة في البرلمان العراقي كما نشير الى ذلك فيما بعد.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

لم يول المسلمون الاوائل كركوك اهتماما يذكر، ولم يشر البلدانانيون العرب الى اسمها الحالي نهائيا، بل ذكروها نادرا باسم كرخيني(٣٦)، فلم "يذكر ياقوت، ولا من سبقه من جغرافيين مدينة كركوك" كما ورد نصا في مجلة "سومر" العراقية المعتبرة(٣٧). اما بالنسبة للكرخيني فان القلقشندي (توفي ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) حدد طابعها الكردي مكانا وسكانا بالاستناد الى "مسالك الابصار في ممالك الامصار" للجغرافي الدمشقي ابن فضل الله العمري (توفي ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧-١٣٤٨ م). كتب القلقشندي:

"جبال الاكراد: قال في "مسالك الابصار": والمراد بهذه الجبال، الجبال الحاجزة بين ديار العرب و ديار العجم، دون اماكن من توغل من الاكراد في بلاد العجم. قال: وابتداؤها جبال همذان وشهرزور، و انتهاؤها صياحي الكفرة من بلاد الكفور، وهي مملكة سيس و ماهو مضاف اليها بايدي بيت لاون. ثم ذكر منها عشرين مكاناً في كل مكان منها طائفة من الاكراد".

بعد ذلك يعدد القلقشندي الأماكن العشرين تلك، و تحت البند العاشر منها يقول:

"بلاد الكرخيني و دقوق الناقة - وبه طائفة منهم (من الاكراد) عدتهم تزيد على سبعمائة، ولهم أمير يخصهم"(٣٨). و يجدر بالذكر ان السبعمائة رقم معتبر من المنظور الديموغرافي بالنسبة لذلك العهد والزمان".

(٣٦) "سومر"، المجلد الثامن، الجزء الاول، ١٩٥٢، ص ٢٧٥.

(٣٧) "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٤٣.

(٣٨) القلقشندي، شهاب الدين احمد، صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص ٣٣٤-٣٣٢.

و كانت داقوق (دهوقا) اكثر شهرة من كركوك يومذاك، بل ان الأخيرة و لغاية اواخر القرن الثامن الهجري/ اواخر الرابع عشر الميلادي غالبا ما كانت تتبع داقوق اداريا واقتصاديا، كما انها كانتا، في الوقت ذاته، على اتصال باربيل و شهرزور و امتداداتهما اوثق من اتصالهما باي بقعة اخرى في المنطقة من جميع الواجه.

من هنا فان الجغرافيين المسلمين (ابن خرداذبه من القرن الرابع الهجري، و ياقوت الحموي من القرن السابع الهجري، و ابوالفدا من الربع الأخير من القرن السابع والثالث الأول من القرن الثامن الهجريين) عندما يأتون على ذكر داقوق فانهم يربطونها بأربيل و صفا(٣٩). في مطلع القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وصف العالم الجغرافي و المؤرخ حمدالله المستوفي القزويني في الصفحة ٢٤ من كتابه المعروف "نزهة القلوب" داقوق هكذا:

"داقوق من الاقليم الرابع، بلدة متوسطة، مناخها اطيبي من مناخ ايالات العراق العربي".

بالمقابل كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، فقلما استخدم الطريق البري القديم الممتد من بغداد الى كفري - داقوق -

(٣٩) "مجلة المجمع العلمي العراقي" (الهيئة الكردية)، بغداد، المجلد العاشر، ١٩٨٣، ص ٢٢٢-٢٢٣، "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٤٤.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

كركوك – اربيل للوصول الى الموصل، بل كان يجري الاتصال بين بغداد والموصل، حسب وصف الجغرافيين العرب، بمحاذاة نهر دجلة في الاغلب(٤٠). انعكس هذا الواقع بقوة على الوضع الاداري و الاقتصادي لكركوك و توابعها التي ارتبط اسمها باسم شهرزور منذ العهد الاسلامي المبكر، و قد تجاوزت حدود "بلاد شهرزور" كركوك بعيدا في العصر العباسي الأخير لتغلو اربيل قاعدة لها يومذاك. في اواسط القرن السابع للهجرة (اواسط القرن الرابع عشر للميلاد) وصف ابن خلكان شهرزور هكذا: "وهي بلدة كبيرة معدودة من أعمال اربيل"(٤١). والامر نفسه مثبت في "تقويم البلدان" لأبي الفداء، و "صبح الاعشى" للقلقشندي وغيرهما. اما ياقوت فقد قال عن "بلاد شهرزور" مانصه: "واهل هذه النواحي كلهم اكراد"(٤٢). و كان هؤلاء الاكراد يتمتعون بقدر كبير من الاستقلالية، عبر عنه ياقوت نفسه هكذا "واهلها عصاة على السلطات"(٤٣).

(40) "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, P. 1027.

(٤١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، حققه وعلق حواشيه و وضع فهارسه محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٣٣، عبدالسلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان. القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٩٣.

(٤٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بإشراف فردناند وستنفلد، المجلد الثالث، لايبزغ، ١٨٦٨، ص ٣٤٠.

(٤٣) المصدر نفسه.

خرحوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

تؤكد المصادر الاسلامية وجود مدينة قديمة باسم شهرزور كانت تقع في كورة(٤٤) شهرزور. و يحدد العديد من الباحثين، منهم المستشرق الانكليزي المتخصص في "الجغرافية التاريخية للبلدان الاسلامية" ك. سترنج (Guy Le Strange) (١٩٣٣-١٨٥٤) موقع تلك المدينة بياسين تبه القريبة من مدينة كركوك الحالية(٤٥). يلخص المستشرق نفسه الحقائق الآتية عن مدينة كركوك و كورة شهرزور بالاستناد الى ابن خرداذبه و قدامه و ابن حوقل و القزويني و المستوفي:

"و على مسيرة اربع مراحل شمال غربي الدينور مدينة شهرزور في كورة شهرزور. و قد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد) شهرزور مدينة حصينة عليها سوريسكنها الاكراد، و قد سرد اسماء قبائلهم المثبتة في تلك الارحاء. وكانت "من رعد العيش، وكثرة الرخص، وخصب الناحية، بحالة واسعة و صورة رائعة".
و وصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد)، على ما اقتبس منه ياقوت بقوله "شهرزور مدينت و قرى، فيها مدينة كبيرة، و هي قصبتها في وقتنا هذا". و كان اكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشئ ستين الف بيت. و حين كتب المستوفي في المئة الثامنة كانت شهرزور مدينة زاهرة، و اهلها اكراد"(٤٦).

(٤٤) كورة، مصطلح اداري استخدم في العهد الاسلامي، و الكورة في "مختار الصحاح" للرازي ص ٥٨٢ "المدينة والصنع، و الجمع كوز"، و في المنجد" / ص ٧٠٢ "البقعة التي تجتمع فيها المساكن و القرى".

(٤٥) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية. يتناول صفة العراق و الجزيرة و ايران و اقاليم اسيا الوسطى منذ الفتح الاسلامي حتى ايام تيمور، نقله الى العربية بشرى فرانسيس و كوركيس عواد، من مطبوعات الجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٤، ص ٢٢٥.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٥-٢٢٦.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

يبدو من هذا الكلام، و مما سبقه، و من غيرهما ايضا ان شهرزور كانت جديدة في ذلك الوقت باستيعاب اصقاع شاسعة اقتصاديا و سياسيا، فقد كانت معروفة على اوسع نطاق، عامرة بالسكان، مزدهرة.

حسب المصادر العربية الكلاسيكية قامت اماره اربيل الاتابكية "على انقاض الامارة الهذبانية والامارة القبحاقية (القبجاقية) التي كانت تجاور اربيل، و تضم قلاع شهرزور و منطقة الكرخيني/ كركوك"^(٤٧).

و قد اصبحت كركوك تتبع اربيل في عهد الاتابكة على مدى قرن و نيف (من ٥٢٢ حتى ٦٣٠ الهجرة، أي من ١١٢٨ حتى ١٢٣٣ للميلاد)، التبعية التي تعززت بصورة خاصة في عهد مظفرالدين كوكبوري الذي حكم اماره اربيل من سنة ٥٨٦ حتى سنة ٦٣٠ للهجرة (١١٩٠-١٢٣٢ للميلاد)، حتى ان كوكبوري اتخذ من دافوق قاعدة لصد التتر، ومنعهم من التغلغل في العراق^(٤٨)، بل انه اتخذ من سجن قلعة كركوك مكانا للاحتفاظ بمعارضيه رهائن طوال سنوات حكمه^(٤٩). كتب م. ستريك (M. Streck) في "دائرة المعارف الاسلامية" عن هذا الموضوع يقول:

"وقد أسس في عام ٥٦٣ هـ (١١٦٧م) زين الدين على كوچك بن بكتكين دولة اتخذ اربيل عاصمة لها. واشهر حكام هذه الدولة من الاسرة

(٤٧) عن ذلك ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي ٥٢٢-٦٣٠ هـ / ١١٢٨-١٢٣٣م، بغداد، ١٩٧٦، ص

١٧٩.

(٤٨) "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٤٨.

(٤٩) محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص ٢٠٩، ٣١٧.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

البكتينية الكردية هو مظفر الدين كوكبوري، صهر صلاح الدين. و لم تبلغ اربل اوجها طوال العصور الوسطى الا ابان حكم هذا الأمير. فقد وسع مظفرالدين الى حد كبير هذه الدويلة التي ورثها عن اخيه عام ٥٨٦ هـ (١١٩٠م)، فأخضع الامارات الصغيرة المجاورة، وضم ايضا اقليم شهرزور، بما فيه كركوك" (٥٠).

تؤكد المصادر المعنية ان سكان الامارة الاتابكية، وجيش مظفرالدين كوكبوري كانوا من الكرد قاطبة(٥١)، بل ان بعض تلك المصادر تحدد سكان كركوك وتوابعها يومذاك بابناء عشائر زهنكنه وجاف و هموند الكردية المعروفة(٥٢).

كانت حدود العراق منذ اواخر القرن الرابع حتى اواسط القرن السادس للهجرة تنتهي شمالا عند سامراء و ما والاها يومذاك(٥٣)، ولم تضم من المدن الكردية سوى خانقين و حلوان باتجاه الشمال الشرقي من بغداد. اما التوسع نحو الشمال في العصر العباسي الأخير فقد بدأ سنة ٥٥١ للهجرة (١١٥٦ للميلاد) حين جرت محاولة فاشلة للاستيلاء على قلعة تكريت التي اخذت

(٥٠) "دائرة المعارف الاسلامية" (الطبعة العربية)، المجلد الاول، العدد الاول، اكتوبر ١٩٣٣، ص ٥٧١.

(٥١) عبدالقادر احمد طليمات، مظفرالدين كوكبوري امير اربل، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٩٥-١٩٦.

(٥٢) فهمي عرب وفاضل محمد، مدينة كركوك، ترجمة ههتاو، مجلة "ههتاو"، العدد ١٢٨، ١٠ نيسان ١٩٥٨، ص ٣.

(٥٣) في العصر البويهي (٩٤٥-١٠٥٨ للميلاد) كان يحدد اقليم العراق "من الشمال خط يمر عبر الانبار على نهر الفرات الى تكريت على نهر دجلة" (ينظر: محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي. التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٥).

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

بعد ذلك التاريخ بثلاثة عقود ونيف. ثم شمل التوسع اربيل التي " اخذت عنوة بعد وفاة صاحبها كوكبوري سنة ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢م"، والأرجح ان شهرزور "الواقعة بين اربيل وهمذان قد ضمت الى العراق في نفس الفترة التي ضمت بها اربيل، و ذلك لانها كانت تابعة لمظفر الدين كوكبوري صاحب اربيل" (٥٤). وهذا يعني ان كردستان الجنوبية، بما فيها كركوك و توابعها، اصبحت تؤلف ولايتين من ولايات العراق العشر عندما اشرف العصر العباسي الأخير على نهايته، و هما ولاية اربيل و ولاية شهرزور التي ضمت الى العراق تحديدا سنة ٦٣٠ للهجرة/ ١٢٣٢ للميلاد(٥٥).

و في غضون حوالي قرن مما يعرف بعهد السيطرة المغولية في العراق لم يغير المغول من التقسيمات الادارية التي كان عليها في العصر العباسي الأخير(٥٦). و في ذلك العهد تحديدا ظهر اسم كركوك بصيغته الحالية لأول مرة، و ذلك في تاريخ تيمور من تأليف شرف الدين علي يزدي. نقرا في الكتاب المذكور ان تيمور، بعد ان احتل العراق، توجه صوب دياربكر عن طريق داهوق وكركوك والتون كوپرو (كوپرى). بعد المغول انتقل حكم كركوك و توابعها، مع كل اقليم شهرزور، الى الاق قوينلو(٥٧).

(٥٤) للتفصيل عن ذلك ينظر، الدكتور بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير (٥٢٢-٥٦٦ هـ / ١١٥٧-١٢٥٨م)، بغداد، ١٩٧٣، ص ٧٤.

(٥٥) عن ذلك، وعن التقسيم الاداري للعراق في العصر العباسي الاخير ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٨-١٤٦.

(٥٦) الدكتور محمد صالح داود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف، ١٩٧٠، ص ٢١٩.

(57)J. H.Kramers, Op. Cit., P. 1027.

في المراحل التاريخية تلك دخل اقليم شهرزور، بما فيه كركوك و توابعها، ضمن الامارات الكردية شبه المستقلة التي كانت تظهر بين الحين و الآخر، منها الامارة او الحكومة الحسنية التي تأسست في اواسط القرن الرابع للهجرة (اواسط القرن العاشر للميلاد)(٥٨) ، و منها ايضا الامارة العنازية التي تأسست في اواخر القرن نفسه(٥٩). و لكركوك و توابعها موقع متميز في وقائع تلك الامارات. فكان للعنازيين اخذ ورد كبيران مع السلاجقة الذين، كما تذكر حوادث سنة ٤٩٥ للهجرة(١١٠١-١١٠٢ للميلاد) استولوا "على جميع بلاد سرخاب من بدر الكردي الا داقوق وشهرزور" حيث نشأت امارة ضمت طوزخورماتو وغيرها، و قد "صارت حصة سرخاب بن بدر الكردي، وكان ذلك في زمن الخليفة المستظهر بالله ابو العباس احمد"(٦٠). و حسب "الكامل" لابن اثير و "شرفنامه" للبديسي و غيرهما كانت داقوق في القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية احد مراكز الامارات الثلاث المتتابعة الحسنية و العيارية (العنازية) والجاوانية(٦١).

(٥٨) علي اكبر دهخدا، لغت نامه، شماره مسلسل ١٧٦، شماره حرف شين، بخش دوم، تهران، خرداد ١٣٥٠ هـ - شمسي، محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من القدم العصور التاريخية حتى الان، نقله الى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، القاهرة، ١٩٣٩، ص ١٤٠-١٤١.

(59) "Encyclopedia Iranica", Vol, II, London, 1985, PP. 97-98;

"مجلة المجمع العلمي العراقي" الهيئة الكردية، المجلد العاشر، ١٩٨٢، ص ٢٨٦.

(٦٠) للتفصيل عن ذلك تنظر: "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني ١٩٥٦، ص ٤٦ - ٤٧.

(٦١) عن ذلك تنظر: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد العاشر، ١٩٨٢، ص ٤٢٤.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

دخلت كركوك وتوابعها، مثل اربيل، مرارا في حوزة الاردلانيين الذين برزت امارتهم في القرن الخامس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، اذ كانت حدودها تمتد احيانا الى حد الزاب الكبير، و كانت امارة قوية، منظمة، اعترف بها حتى جنگيز خان، و عجز الجلائريون الذين حكموا العراق في القرن الرابع عشر للميلاد، عن احتوائها. يعد لونغريگ اردلان افضل امارة ظهرت في المنطقة "من حيث الحضارة او الحكم الملكي" قبل الاحتلال العثماني للعراق، حتى انه يصفها بالإمبراطورية اكثر من مرة(٦٢).

كركوك و توابعها في العهد العثماني

بعد ان قضى الصفويون على الآق قوينلو، و اسسوا دولتهم في مطلع القرن السادس عشر انتقل اليهم حكم شهرزور، لكن ذلك لم يدم طويلا لان العثمانيين الذين سبقوهم في تأسيس دولة قوية مترامية الأطراف احسوا بخطرهم، فدخلوا معهم في صراع مستفحل طويل دشنته معركة جالديران المعروفة في العام ١٥١٤.

في خصم الصراع العثماني - الصفوي برز الكرد قوة فاعلة، لهم وزنهم في تقرير مصير ذلك الصراع. انتهج سلاطين آل عثمان سياسة حكيمة استهدفت كسب الكرد الى جانبهم، مستفيدين من التذمر العام الذي احدثته سياسة مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل (١٤٨٧ - ١٥٢٤) في

(62)S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, PP. 5-6.

(في الترجمة العربية لجعفر خياط، بغداد، الطبعة الخامسة، ص ١٨)

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

صفوفهم، إذ "كان يرفض كل ماهو كردي" (٦٣) بدافع مذهبي جعله يسلط عليهم القبائل التركمانية الشيعية. بدءا استغل الامراء الكرد الهزيمة النكراء التي حققتها قوات السلطان سليم بقوات الشاه اسماعيل، فاستعاد معظمهم مواقعهم التي فقدوها في ظل حكم الصفويين والاق قوينلو، منهم "سيد بك بن شاه علي امير السوران - السهران" الذي "استرد بلاد كركوك واريل" (٦٤). ورد عن ذلك في "شرفنامه" (اواخر القرن السادس عشر) الآتي نصه:

"مير سيدي بن شاه علي بك، هو الابن الصغير للشاه علي بك. وقد اشتهر بين حكام كردستان بالشجاعة والسخاء والكرم. سكن بعد وفاة والده الموضع المسماة شقباد (شقلاوه)، واقدم على محاربة پيربوداق حاكم بابان طالبا دم اخيه الامير عيسى. فبعد ان تمكن من قتل پيربوداق هذا ضم بلاد اخيه الى امارته، ثم اثنى على (الصفويين) القزلباش، و حاربهم محاربة شديدة حتى انقذ سناجق الموصل و كركوك و اربل من ايدي عمالهم، وضمها الى بلاده، فحكم ردها من الزمن بلاد سهران وملحقاتها حكما استقلاليا" (٦٥).

(٦٣) محمد امين زكي، المصدر السابق، ص ١٧٤-١٨٢، كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢٩.

(٦٤) محمد امين زكي، المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٦٥) شرف خان البديسي، شرفنامه، الجزء الاول، طبعة القاهرة، ترجمة محمد علي عوني بتكليف من وزارة التربية والتعليم، ص ٢٧١، طبعة بغداد، ترجمة ملا جميل رؤزيباني بتكليف من المجمع العلمي العراقي، الجزء الاول، ص ٢٧٧، الطبعة الروسية، ترجمة فاسيليفا، الجزء الاول، موسكو، ١٩٧٦، ص ٢٢٤.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

يقول المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي عن زعيم الامارة السورانية مير سيدي بن شاه علي بيك: " و هذا توسع حكمه الى اربل، بل زاد نطاق حكمه الى انحاء كركوك و الموصل"^(٦٦).

و قبل ان ينسحب السلطان سليم من اراضي الدولة الصفوية استعان بالشيخ حكيم الدين ادريس بن حسام الدين علي البدليسي ليتصل بأمرء الكرد من اجل كسبهم الى جانب السلطان، اذ كان يتعذر عليه الاحتفاظ بقواته في المناطق الكردية التي تم تحريرها من قبضة الصفويين، و التي لم تدخل القوات العثمانية معظمها اصلا. كان الادريسي من مشاهير الكرد و "نوابغ عصره في العلم و الادب"، تمتع بنفوذ ديني و دينوي واسع، و باسلوب دبلوماسي في التعامل جعله من اقرب المقربين للسلطان. يقول المؤرخ الانكليزي المختص بتاريخ الدولة العثمانية كريسي (E.S.Creasy) عن الشيخ البدليس انه كان "صاحب القدرة الادارية العالية في تنفيذ القرارات"^(٦٧). لذا لاغرو ان عهد السلطان سليم اليه امر تنظيم المناطق الكردية من الناحية الادارية، وارسل اليه فرامين موقعه على البياض حتى يملأها حسبما يراه.

تمكن ادريس البدليسي بدهائه من ضمان ولاء عدد كبير من الامراء الكرد و مناطق نفوذهم للسلطان العثماني، على ان يحتفظوا بقدر كبير من الاستقلالية في ادارة شؤون تلك المناطق. و باعتراف عدد كبير من المصادر

(٦٦)عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص ٤٢.

(٦٧)مقتبس في: الدكتور سيار كوكب جميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦ - ١٩١٦، الموصل، ١٩٩١، ص ٨٦.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

العثمانية و العراقية و العربية و الاجنبية و الكردية كانت كركوك وتوابعا احدى تلك المناطق التي ادخلها البديسي في حوزة العثمانيين في العقد الثاني من القرن السادس عشر، مع احتفاظ الزعماء الكرد بكامل سيطرتهم عليها(٦٨). و فيما يلي نقتبس ماورد على لسان مؤلفين اجنبيين بهذا الصدد:

يقول الشيخ وحيد الباكستاني، و هو جامعي يحمل شهادة ماجستير في الآداب و بكلوريوس في القانون، يقول: " و قد لقيت مهمة البديسي نجاحا منقطع النظير، اذ استطاع عقد معاهدات مع كل من شرف بيك البديسي.. و اسرة بدرخان العظيمة الشأن في جزيرة ابن عمر و امراء اربيل و كركوك و السليمانية و خلفاء اسرة بابان الكبيرة و البيك الكردي في ديار بكر.."(٦٩). و يضيف المؤلف نفسه الى ذلك قوله في مكان آخر من كتابه:

"كان هدف السلطان التركي من وراء هذا التحالف هو ضمان سلامة حدوده من عدوه اللدود ملك فارس. و بمرور الزمن تمكن الملا ادریس من تكوين تسع ولايات في البلاد الكردية تعرف باسم الحكومات، و كانت كل حكومة مستقلة تماما عن الحكومات الاخرى، وعن السلطان التركي، و يحكمها (اغا) زعيم اقوى القبائل المقيمة في المنطقة، و اوسعها نفوذا. و كان لكل اغا في كل حكومة جيشه الخاص، و محاكمه الخاصة، و كان بعضهم يضرب السكة باسمه، غير ان مشكلة العملة في

(٦٨) ينظر على سبيل المثال في: عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص ٢٥٢، محمد امين زكي،

خلاصة تاريخ الكرد و كردستان...، ص ١٧٦-١٧٧، المقدم الشيخ عبدالواحد، المصدر السابق، ص ١١٨-١٢٠، Safrastian, Kurds and Kurdistan, London, Harvill Press, 1948, PP. 39-40, 103.

(٦٩) المقدم الشيخ عبد الواحد، المصدر السابق، ص ١١٩.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

کردستان لم تكن مشكلة عويصة، اذ ان معظم التجارة كانت على اساس المقايضة.. و كان من بين الحكومات التي انشئت بهذه الطريقة اربيل و كركوك و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكاري و ساسون و آميدي (العمادية) و بدليس، وكانت هذه الامارات المستقلة تقام بموجب فرمان سلطاني.. (٧٠).

اما مؤلف كتاب "الکرد وکردستان" ارشاك سافرستيان فيقول بصدد الموضوع نفسه ما نصه:

"دشن النصر العثماني في چالديران (سنة ١٥١٤) بداية تاريخ العشائر الكردية الحديث. فبفضل جهود الملا ادريس، و هو من مدينة بدليس، غدا التوزيع الجغرافي للعشائر الكردية و اقسامها و اسماء مناطقها و زعمائها اكثر وضوحا. كان هذا السياسي الكردي سكرتير دولة لدى يعقوب خان، احد مدعي التاج الايراني، قدم خدمات جلى للسلطان سليم بارشاده في شؤون كردستان و ارمينيا. في العام ١٥١٥ ارسله السلطان من اماسيا الى كردستان مع رسائل ود، وهدايا لكبار زعماء الكرد في گوتيوم (٧١) و زاگروس بهدف ابعادهم عن حلفائهم الفرس، و كسبهم الى الجانب العثماني. و تلبية لدعوة السلطان اعلن تسعة من دهره بهگ (الزعماء الاقطاعيين) الكرد ولاءهم للعثمانيين. بقيت اربع عشرة عشيرة كبيرة في معاقل زاگروس و طوروس ابرم معهم الملا ادريس باسم السلطان إتفاقاً اشبه مايكون بمعاودة، و بعث السلطان لجمعهم فرامين تتضمن اعترافه بالزعماء بوصفهم "بگلبگا" في مناطق نفوذهم، و تنص على انتقال تلك الحقوق و الامتيازات الى ورثتهم كاملة دون المساس بقلاعهم و

(٧٠) المصدر نفسه، من ١٢٠.

(٧١) گوتيوم (Gutum) مصطلح تاريخي يطلق على منطقة سكنى الغوتيين التي تحددها المصادر، كما اسلفنا، بالمربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر دبال مع عاصمتها في ارباخا (كركوك). يطلق سافرستيان نفسه على گوتيوم اسم "الموطن الاصلي للعنصر الكردي" (P. 45).

حركاته و توابعها حكم التاريخ والضمير

حصونهم و اراضيهم. انهم منحوا لقب الحكومات الكردية (Kurdish Hukumates) على ان يلتزموا فقط بدفع ضريبة اسمية، مع تقديم عدد محدد من الخيالة المسلحين في حالة الحرب" (٧٢).

و في الملحق (أ) للفصل الثالث من كتابه يحدد سافرستيان اسماء الزعماء الاقطاعيين (الدمرهبهگ) التسعة الكرد الذين اعلنوا ولاءهم للسلطان، وهم كل من "شرف بيك البدليسي و ملا خليل، وورثة سعرد و حصن كيف (على دجلة) الذين ابعدوا الحاميات الفارسية من تلك القلاع، و محمود بيك من سامسون، و بدرخان الكبير حاكم جزيرة ابن عمر، و الامراء الوراثيين لاربيل وكركوك و السليمانية، المناطق التي تؤلف معا مملكة بابان، او مملكة شهرزور القديمة تقريبا.. و بيك دياربكر الكردي و جمشيد بيك المقدسي ومرتد ارمني من بالو" (٧٣).

بعد ذلك يحدد سافرستيان في الملحق (ب) للفصل الثالث اسماء "الحكومات الكردية التسع" و هي "حكومات اربيل و كركوك و السليمانية و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكارى و سامسون و العمادية و بدليس" التي سميت، كما يقول، بـ "اكراد حوكماتي" (Ekrad) (Hukmaiti) (٧٤).

يضيف سافرستيان الى ماسبق حقيقة مهمة اخرى بالنسبة لموضوعنا حين يشير الى ان "مشروع الملا ادريس استهدف اساسا حماية الحدود من

(72)A. Safrastian, Kurds and Kurdistan, PP. 39-40.

(73)Ibid, PP. 102-103.

(74)Ibid, P. 103.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

غزو تشنه بلاد فارس في المستقبل. ان الحدود بين أنهر ديالى والزابيين (وهي المنطقة التي تقع كركوك و توابعها في قلبها) (٧٥) كانت تصان من قبل الحكومات الكردية" (٧٦).

تعزز الوجود العثماني في المنطقة، و في كل العراق، بصورة فعلية في عهد السلطان سليمان القانوني الذي دخل بغداد على رأس جيشه سنة ١٥٣٤ عن طريق تبريز- السليمانية، فتعد تلك السنة بداية العهد العثماني بالنسبة للعراق ككل. وضع العثمانيون بعد ذلك نظاما اداريا جديدا للعراق، قائما على أساس نظام الايالات الذي طبقوه على بقية احزاء الامبراطورية "مراعين بعض الأسس والأوضاع السائدة، و على الأخص فيما يخص الاكرد في القسم الشمالي و الشمال الشرقي من البلاد، والعشائر العربية في الأقسام الجنوبية و الجنوبية الغربية" (٧٧).

قسم العراق حسب النظام الاداري الجديد على اربع ايالات هي بغداد و الموصل و البصرة و شهرزور. كانت "حدود ايالة شهرزور هي ايالة بغداد من الجنوب، و الموصل و حكومة عمادية من الغرب، و حكاري (هكاري) و انزليجان من الشمال، و بلاد فارس من الشرق" (٧٨)، بمعنى ان كركوك و

(٧٥) العبارة التي وضعت بين القوسين الكبيرين اضيفت من قبلنا من اجل التوضيح.

(76) A. Safrastian, Kurds and Kardistan, P. 44.

(٧٧) خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (١٠٤٨-١١٦٤ هـ / ١٦٣٨-١٧٥٠ م)،

رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٤-٤٥.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ٦٠.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

توابعها كانت تقع في قلب الايالة، و تمثل جزءا اساسيا منها. فان اوليا جليبي عندما يتحدث عن الزاب الصغير يقول انه "نهر يقع في ايالة شهرزور"، و يقع الزابان الصغير و الكبير، كما هو معروف، الى الشمال من كركوك. و لم يتغير واقع ايالة شهرزور على مدى القرون التالية الا قليلا، و كان التغيير في بعض الحالات يجري لصالحها. فان الاستاذ الجامعي المصري المتخصص في تأريخ العراق الحديث الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار يشير الى ان امارة بهدينان، مع عاصمتها العمادية، كانت تتبع احيانا كركوك التي غدت، كما نبين، مركزا لايالة شهرزور(٧٩). و حدد الممثل الروسي في لجنة تخطيط الحدود بين الدولة العثمانية و ايران في ١٨٤٩ - ١٨٥٢ جيريكوف الحدود نفسها تقريبا لايالة شهرزور في ملاحظاته التي نشرها سنة ١٨٥٧، و هي ايالتا الموصل و حكاري (هكاري) شمالا، و ايالة بغداد جنوبا، و نهر دجلة غربا، و الحدود الايرانية شرقا. و كانت الايالة تتألف، كما ورد في ملاحظاته، من سناجق كركوك و اربيل و كويسنجق و السليمانية و رواندوز و حرير، اما "مركزها فكانت مدينة كركوك"(٨٠). و بحكم واقع حجمها، و امكاناتها تحولت "ايالة شهرزور" الى "الند الاكبر لايالة بغداد" قبل ان تتعزز السلطة المركزية في العهد العثماني(٨١).

(٧٩)الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١١٨.

(80)E. I Chirikov, Putevoy Journal Russkovo Comisara- Posrednika po Turetsko- Persidskomu Razgranichenio 1849-1852 gg.,- "Zapiski Kavkzskovo Otdelenia Imperatorskovo Russkovo Geographicheskovo Obshestva", Kn., IX, Tiflis, 1857, P. 457.

(81)S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 209.

سجل اهم مصدرين عثمانيين كلاسيكيين هذه الحقائق بصورة واضحة، لا لبس فيها. المصدر الأول هو كتاب "سياحتنامه" للرحال التركي الشهير اوليا جلبي(٨٢) الذي زار المنطقة بنفسه، و درسها عن كذب في القرن السابع عشر، أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين. ورد في الصفحة ٧٤ - ٧٥ من الجزء الرابع من كتابه "سياحتنامه" ان تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان، وهي ارضروم و وان و هكاري (حكاري) و دياربكر و جزير (جزيرة ابن عمر) و العمادية و الموصل و شهرزور (وكانت كركوك تدخل ضمنها) و اردلان، و قال عنها ان "المرء يحتاج الى سبعة عشر يوما لقطعها" (٨٢). و حسبما ورد في الصفحة ١٨٨ من الجزء الأول من "سياحتنامه" فان ايالة شهرزور كانت مقسمة في القرن السادس عشر على عشرين سنجقا. و كان السنجق يقابل اللواء، او ما يعرف بالمحافظة حاليا، وكان يؤلف الوحدة الاساسية في ادارة الايالة او الولاية في العهد العثماني.

(في الترجمة العربية، ص ٢٥١).

(٨٢) هو محمد بن ظلي درويش المعروف باوليا جلبي، من مواليد اذار ١٦١١، تختلف المصادر في تحديد سنة وفاته بين ١٦٧٩ و ١٦٨٢ و ١٦٨٣. قام برحلات طويلة الى ممتلكات الدولة العثمانية وغيرها، وسجل ملاحظات دقيقة عنها نشرت في عشرة اجزاء في استانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي ١٨٩٦ و ١٩٢٨.

(٨٢) عن ذلك ينظر كذلك في الطبعة الاخيرة من "دائرة المعارف الاسلامية"،

Th. Bois, Kurds, Kurdistan, -"The Encyclopedia of Islam", Leiden, 1981, P. 439.

أكد كاتب جلبي، و هو جغرافي و بيبليوغرافي تركي معروف(٨٤)، عاصر اوليا جلبي، جانبا كبيرا من الحقائق نفسها في الصحيفة ٤٤٥ - ٤٤٨ من كتابه "جهان نما". و حسب قائمة الأخير ارتفع عدد سناجق ايالة شهرزور في منتصف القرن السابع عشر الى ٣٢ سنجقا، اهمها قاطبة كان سنجق كركوك، و هو سنجق او مقر الباشا، لذلك كان يطلق اسمه احيانا على كل ايالة شهرزور، فيسمى ايالة كركوك. و كانت السناجق الاخرى الداخلة بضمنها كردية جميعها ايضا، اهمها، فضلا عن منطقة شهرزور نفسها، اربيل و حميرن و كويسنجق و حرير و شهربازار (مركزها جوارتا) و مرگه (في قضاء پشدر) و مخمور، بل و حتى اشنو التي تدخل حاليا ضمن الاراضي الايرانية.

اقرت هذه الحقائق، الثابتة تاريخيا، المصادر الرسمية و الدراسات الجامعية العراقية مرارا(٨٥)، منها آخر مصدر موسوعي اصدرته وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٨٥ كما يقر الشيء نفسه المؤرخون المختصون العرب من غير العراقيين، منهم الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار الذي ذكر في كتابه "تاريخ العراق الحديث" ما نصه:

(٨٤) هو مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة المعروف بكاتب جلبي، ولد سنة ١٦٠٩ و توفي سنة ١٦٥٧.
(٨٥) ينظر على سبيل المثال: "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ٥٢-٥٠، خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني، ص ٦١-٦٢.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

"و عندما اكتمل الفتح العثماني للعراق اصبح يتألف من اربع ولايات، هي الموصل و شهرزور و بغداد و البصرة.. و الى الشرق من ولاية الموصل (٨٦) كانت توجد اية شهرزور (كردستان).. اما اية شهرزور (كردستان) فلم تعمر طويلا (اداريا)، ويرجع ذلك الى ان السلاطين العثمانيين اتبعوا سياسة الاعتراف بحكم العصبية المحلية. وكان كردستان مليئا بالامارات والعشائر الكردية السنية التي وقفت في وجه الغزو الفارسي، وشدت ازر العثمانيين خلال حروبهم ضد الفرس. وعلى رأس هذه الامارات الامارة السورانية و البهدينانية و البابانية، فأبقوا هؤلاء الامراء على اماراتهم، وكانت لاتزال امارات صغيرة. ولكن هذا النظام تطور الى استبداد هؤلاء بالسلطة، حتى لم يعد للولاة اية قدرة على ادارة الأمور هناك، فترك العثمانيون امر كردستان لامرائه تحت اشراف ولاية بغداد. وكانت كركوك مقر هذه الاية" (٨٧).

سجلت اهم دوائر المعارف المهمة بقضايا العالم الاسلامي الحقائق ذاتها. ففي مقالة "كركوك" في الطبعة الأولى لـ "دائرة المعارف الاسلامية" ورد ان "ولاية شهرزور ضمت ٣٢ سنجقا، كانت كركوك واحدة منها، و تحولت مدينة كركوك منذ ذلك الوقت الى المقر الرسمي لباشوات شهرزور" (٨٨).

كان ولاية شهرزور، وحاكم كركوك الأوائل من الزعماء الكرد المعروفين في زمانهم. فان اول وال لاية شهرزور في العهد العثماني كان الزعيم الاردلاني بيگه بك. كما ان اول حاكم (محافظة) عين لسنجق كركوك في عهد سليمان

(٨٦) في النص، منها.

(٨٧) الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت

باشا، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٨٧.

(88) J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

القانوني كان مأمون بيك بن بيگه بك بمرتب قدره ٣٠٠ الف اقچه سنويا كما هو مثبت في مذكرات مأمون بيك نفسه الذي كتبها في العام ١٥٧٤ باللغة التركية، وهي عبارة عن "مخطوطة نفيسة" عثر عليها في مكتبة المجمع العلمي العراقي الباحث التركي عصمت پارماقستر اوغلو، فحققتها، و نشرها في مجلة "بولتن" في العام ١٩٧٣(٨٩).

عقب وفاة بيگه بك، والد مأمون بك، في العام ١٥٥٠ منح الأخير ايالة شهرزور. كما ان محمدا، نجل مأمون بك "عمل هو ايضا فترة من الزمن" محافظا للواء (سنجق) كركوك. و يبدو واضحا من مضمون المخطوطة نفسها ان الأمراء الكرد كانوا يؤدون في ذلك العهد الدور الحاسم في تعيين ولاية كركوك و حكامها(٩٠). و هنا يجدر بنا ان نشير ايضا الى ان الصفويين حين اعادوا سيطرتهم على المنطقة في عهد الشاه طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٦) بصورة مؤقتة فانهم عهدوا حكم كركوك الى زعيم كلهري كردي(٩١).

لم يطرأ تغيير يذكر على الواقع الاداري لكركوك و توابعها ضمن ايالة شهرزور على مدى حقبة تاريخية طويلة في ظل الحكم العثماني. فبعد ان استعاد السلطان مراد الرابع العراق في العام ١٦٢٨ من الصفويين الذين كانوا قد احتلوه في عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٧ - ١٦٢٩)، لم يجر أي تغيير على

(٨٩) للتفاصيل تنظر، "مذكرات مأمون بك بن بيگه بك"، نقلها الى العربية وعلق عليها محمد جميل

الروزبباني و شكور مصطفى، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٠٧٢، ١٢، ٦٠-٦٢، ٧٤-٧٦.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٩١) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص ٢٥٢.

حركاته و توابعها حكم التاريخ والضمير

التقسيم الاداري للبلاد سوى ماجرى من دمج ايالة البصرة بايالة بغداد، فأصبح العراق يتألف من ثلاث ايالات هي بغداد و الموصل و شهرزور. ولكن في اوائل القرن الثامن عشر انفصلت ايالة الموصل عن باشا بغداد، و خضعت زمتا لايالة دياربكر، كما انفصلت من بعدها ايالة شهرزور مع مركزها كركوك(٩٢).

في تلك المرحلة كانت سلطة باشا بغداد، في كل الاحوال، سلطة اسمية بالنسبة لايالة شهرزور، الظاهرة التي لاحظها المراقبون الاجانب ايضا. ففي عهد اقوى الولاة واشهرهم في تلك الايام، ونقصد به داود باشا (١٨١٦ - ١٨٣١)، الذي قيل عنه ان العراق اصبح "في عهده، و لأول مرة بلدا موحدنا وقويا" سجل الرحالة الإنكليزي جيمس ريموند ولستيد(٩٣) الملاحظة الآتية:

"لقد اتسعت سلطة الولاية اسميا اثناء زيارتي، فراحت تمتد من البصرة جنوبا الى ماردين شمالا". ثم يضيف "غير ان الكثير من هذه الاراضي يحتله البدو الاكراد الذين كان اعترافهم بسلطان الپاشا اسميا وليس حقيقيا"(٩٤).

استوجبت التغييرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية العميقة التي شهدتها الامبراطورية العثمانية منذ العقود الاولى من القرن التاسع عشر اثر اندماجها بالأسواق الرأسمالية العالمية، اجراء اصلاحات ادارية امتدت آثارها،

(٩٢) "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ٥٠، "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠"، ص ٩٢.

(٩٣) في كتابه،

J.R.Wellsted, Travels to the City of Caliphs, London, 1840.

(٩٤) "رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا" للرحالة الإنكليزي جيمس ريموند ولستيد، ترجمة وتعليق

سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٤، ص ٦٤٧.

بطبيعة الحال، الى الايالات العراقية ايضا، لكن دون ان يترك ذلك اي اثر ملموس على الرابطة القومية و الادارية بين المناطق الكردية، بما فيها كركوك و توابعها. صدر قانون اداري جديد للايالات العثمانية في تشرين الثاني ١٨٦٤ في ضوء القانون الاداري الفرنسي، و الذي استهدف اعادة تنظيم الايالات، و تعزيز ربطها بالمركز. و في كانون الاول سنة ١٨٧٠ صدر نظام ادارة الايالات على اساس القانون الجديد. طبق مدهحت باشا الاسس الادارية الجديدة في عهد ولايته على العراق (١٨٦٩ - ١٨٧٢).

قسم مدهحت باشا العراق الى ايبالتين، هما بغداد و الموصل، فدخلت كردستان العراق برمتها، باستثناء خانقين و توابعها، ضمن ايةالة الموصل التي اصبحت تتألف من ثلاثة الوية هي الموصل و كركوك و السليمانية. و قد ضم لواء كركوك قضاء كركوك مع نواحي داقوق و التون كوبرى و كيل و ملحة و شوان، فضلا عن قضاء اربيل مع ناحيتي سلطانية و دزيبى، و قضاء رواندوز مع نواحي حرير و قوش تبه و بالهك و شيروان، و قضاء رانية مع ناحية بيتواته، و قضاء صلاحية (كفري) مع ناحية طوزخورماتو و قرمتبه، و قضاء كويسنجق مع ناحية باليسان و شقلاوة، بمعنى ان الجزء الأكبر من اقليم شهرزور التاريخي بقي مرتبطا بكركوك، بل استمرت المصادر تنعت مدينة كركوك بـ "عاصمة شهرزور"^(٩٥). و جاء في القرار الصادر في عهد

(٩٥) ينظر على سبيل المثال،

J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, P. 1028.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

مدحت باشا: "٢- كركوك، ويسمى لواء شهرزور" (٩٦). و في التاسع عشر من رجب سنة ١٢٨٩ للهجرة، الموافق للثاني والعشرين من ايلول سنة ١٨٧٢ نشرت صحيفة "زوراء" الرسمية قرارا يقضي بجعل متصرفية السليمانية قضاء، او قائممقامية ربطت بدورها بلواء شهرزور، أي كركوك (٩٧). و على الرغم من أن مفعول هذا القرار لم يدم طويلا، الا انه يعكس مدى الرابطة العضوية القوية بين كركوك و بقية المناطق الكردية في العراق، الظاهرة التي سوف نلاحظها ثانية في عهد الانتداب البريطاني على العراق بالنسبة للروابط الادارية بين كركوك و السليمانية.

و على الرغم من الاصلاحات الادارية في عهد مدحت باشا فان مصطلح "ايالة شهرزور" لم يختف من نصوص القوانين والتعليمات العثمانية اللاحقة، و بارتباط مباشر بكركوك. ففي القانون الصادر عن الباب العالي "بتأريخ ١٣٠٨ الموافق ١٨٩١ ميلادية" ظهر اسم "ايالة شهرزور"، مع تحديدها على اساس انها عبارة "عن لواء كركوك بما فيه لواء اربيل" (٩٨). ثبتت الحقيقة نفسها في الكتب المدرسية العثمانية. فقد ورد في كتاب "الجغرافية" من تأليف أحمد بك حمدي، المنشور في شعبان ١٢٨٨هـ/ تشرين

(٩٦) عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع، ص ١٦٨.

(٩٧) نشر المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي بدوره هذه المعلومة في الص ١٣ من الجزء الثامن من كتابه

المصدر "تأريخ العراق بين احتلالين".

(٩٨) مقتبس في، "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل. رفعت الهيئة المركزية لحزب الامة هذا التقرير الى لجنة الحدود التي انتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركيا"، بغداد، ١٣٤٢ هـ -

١٣٥٥ م، ص ٢٢.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

الأول ١٨٧١م، و الذي كان يدرس رسماً في المدارس التركية ان الوية العراق كانت "بغداد و الموصل و سليمانية و شهرزور، أي كركوك و في ضمنه اربيل، و ديوانية و بصرة و منتفك و كربلاء" (٩٩).

لم يتغير هذا الواقع لغاية الحرب العالمية الأولى كما هو مثبت في السالنامات العثمانية التي تعد اهم مصدر بالنسبة لمثل هذه الموضوعات. فبموجب سالنامة ١٩١١/١٣٢٩ كان سنجق كركوك يتألف من اربيل و رواندوز و كويسنجق و رانية و الصلاحية (كفري) و جميع توابع هذه البلدات(١٠٠).

ومن المهم جداً أن نشير الى أن الدولة العراقية الحديثة التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى أقرت في بداية عهدها التقسيم الإداري نفسه بالنسبة لكركوك وتوابعها، وللتوضيح ننقل أدناه من مصدر سري خاص بالحكومة العراقية "فقط" نص قرار إتخذه الحكومة المؤقتة التي تألفت برئاسة عبدالرحمن النقيب بهذا الخصوص في جلستها المنعقدة بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٢١ بحضور جعفر العسكري و ساسون حسقيل و مصطفى الألوسي و عزت باشا الكركوكلي و محمد مهدي بحر العلوم و محمد علي فاضل بوصفهم وزراء في الحكومة العراقية المؤقتة. كما حضر الإجتماع نفسه عدد من الشخصيات المعروفة من أمثال فخرالدين آل جميل و عبدالمجيد الشاوي و عبدالرحمن باشا الحيدري و عبدالغني جليبي آل كبة و داود يوسفاني و عبدالجبار خياط و عجيل

(٩٩) مقتبس في المصدر نفسه، ص ١٧.

(١٠٠) عن ذلك ينظر كتاب الامين العام السابق للمجمع العلمي العراقي الدكتور يوسف عزالدين، داود باشا

ونهاية المالك في العراق، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٧٦، ص ٧.

كركوك و توابعها حكم التأريخ والضمير

باشا السرمذ زعيم عشيرة الزبيد ، كما " حضر الجلسة ايضاً جناب السر ادكار بوتهام كارتز مستشار وزارة العدلية، و جناب المستر فيليبي مستشار وزارة الداخلية". يقول نص القرار حرفياً :

"تلي كتاب من وزارة الداخلية مرقم ٧٧١ ومؤرخ في ٢٥.٢٣ نيسان سنة ١٩٢١ متعلق بالتقسيمات الإدارية والمالية في لواء كركوك فوافق مجلس الوزراء على اقتراح وزارة الداخلية . أما التقسيمات المقترحة فهي كما يأتي:

الشعب	النواحي	الأقضية
كركوك	١- ملحة	١- كركوك
	٢- التون كوبري	
	٣- شوان	
	٤- قره حسن	
	٥- طاوق	
كفري	١- طوز خورماتو	٢- كفري
	٢- زمنگنه	
	٣- قره تبه	
اربيل	١- مخمور	٢- اربيل
	٢- قوش تبه	
	٣- گویر	
	٤- شقلّوه	
كويسنجق	١- طق طق	٤- كويسنجق

لكركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

رواندوز

١- ديرة

٥- رواندوز

٢- برادوست

٣- شروان

٤- بالك "منطقة عشائر" (١٠١)

واقرت الحكومة العراقية الأمر نفسه بعد تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق ، بما في ذلك أن تبقى أربيل إدارياً تابعة لكركوك بوصفها "شبه لواء" يديرها "نائب متصرف" مرتبط بمتصرف لواء كركوك بصورة مباشرة (١٠٢).

كما ورد في مصدرين رسميين عراقيين، الأول منهما من العهد الملكي، و الثاني من العهد الجمهوري، الآتي نصه بخصوص التقسيم الإداري السابق للمنطقة الكردية :

"قبل الحرب العظمى (القصء الحرب العالمية الأولى) كانت تقسيمات

العراق الادارية هكذا:

١-ولاية بغداد..

٢-ولاية الموصل،

أمتصرفية الموصل: مركزها الموصل، افضيتها الموصل، دهوك، زاخو،

زيبار، عقرة، سنجار.

(١٠١) "قرارات مجلس الوزراء الصادرة في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ الى ٢٧ حزيران ١٩٢١. سري خاص بالحكومة فقط" ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد، ١٩٢٠، ص ١١٣-١١٥.

(١٠٢) "قرارات مجلس الوزراء الصادرة في تموز/أب، ايلول سنة ١٩٢١. سري خاص بالحكومة العراقية فقط" ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد، ١٩٢٩، ص ٢٨، ٢٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

ب-متصرفية شهرزور؛ مركزها كركوك، اقصيتها كركوك، اربيل، رانية،
رواندوز، كويسنجق، كفري.
ج-متصرفية السليمانية؛^(١٠٣).

سجلت افضل المصادر الجغرافية العراقية في العهد الملكي هذه الحقيقة
بجذاهيرها. ورد في كتاب "مفصل جغرافية العراق" للفريق الأول طه
الهاشمي (١٨٨ - ١٩٦١) رئيس اركان الجيش العراقي و رئيس الوزراء العراقي
الأسبق، و الأخ الأصغر للزعيم السياسي العراقي القومي المعروف ياسين
الهاشمي، ان "ولاية الموصل" كانت تنقسم "قبل الحرب الكبرى" الى "ثلاث
متصرفيات، و هي:

١-متصرفية الموصل..

٢-متصرفية شهرزور؛ مركزها كركوك، و اقصيتها ست، وهي كركوك،
اربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري^(١٠٤).

اتخذت صلات كركوك و توابعها السياسية و الادارية في العهد العثماني
طابعا آخر، خاصا ارتبط بتاريخ الامارات الكردية الذي امتد حتى اواسط
القرن التاسع عشر.

(١٠٣) "الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦"، ص ٥١-٥٢، "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠"، ص ٩٤.

(١٠٤) طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٢٠، ص ٥٥٠.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

كركوك و الإمارات الكردية في العهد العثماني

لم تنقطع علاقات كركوك و توابعها بالإمارات الكردية، و التي ظهرت بوادرها في العصور الاسلامية المتأخرة كما سبق الذكر. فبالنسبة للإمارات الكردية الحديثة (اردلان، بابان، سوران) انها (كركوك و توابعها) اما كانت تتحول الى جزء منها، او الى مسرح لأهم احداثها، و وقائعها.

قبل كل شيء لاحظنا ان الاردلانيين هم الذين تولوا حكم كركوك و توابعها في عهد سليمان القانوني في النصف الأول من القرن السادس عشر. في مقالته "كركوك" في "دائرة المعارف الاسلامية" يقول كريم، و هو من كبار المستشرقين باعتراف المصادر العربية المتخصصة^(١٠٥)، عن نفوذ الاردلانيين في كركوك مانصه:

"ان السادة الحقيقيين للمنطقة (كركوك و توابعها) كانوا، على أي حال، الزعماء الكرد في مقاطعة اردلان"، و هو يستند في كلامه هذا الى الص ٤٥ من مصدر عثماني كلاسيكي اصيل هو "جهان نامه" للحاج خليفة الذي سبقت الإشارة اليه^(١٠٦).

و حسب لونجرگ، و هو من افضل من درس تاريخ العراق الحديث و المعاصر، ان "پاشا كركوك العثماني" كان يضطر احيانا الى ان ينسحب من كركوك و يترك امورها لخان احمد خان زعيم امارة اردلان (توفي سنة ١٦٣٦) الذي كان له، و لزعماء كرد آخرين، دورهم الكبير في الصراع العثماني

(١٠٥)نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف بمصر، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٦٧٠-

(106)"The Emcyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

الصفوي حول المنطقة في النصف الأول من القرن السابع عشر(١٠٧). و على الرغم من ان الاردلانيين كانوا يعلنون ولاءهم للصفويين، و للعثمانيين احيانا(١٠٨)، الا انهم كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاستقلال(١٠٩). و لابس ان نشير ايضا الى ان هناك رأيا علميا يرجح ان يكون الاردلانيون من الكاكائيين بالأصل(١١٠)، وكما لا يخفى فان الكاكائيين يؤلفون جزءا اساسيا من سكان توابع كركوك.

و حين ابعد الاردلانيون عن المنطقة في اواخر القرن السابع عشر - اوائل القرن الثامن عشر سيطر البابانيون عليها(١١١). لكن اسم البابانيين ارتبط بها قبل ذلك التاريخ بما لا يقل عن قرنين من الزمان. فقبل انتقال المنطقة الى ايدي العثمانيين بردح من الزمن انتقل حكم كركوك الى البابانيين. ومما يذكر بهذا الصدد ان "شرفنامه" حينما تأتي على ذكر "امراء بابان" يقول عن "بيربوداق بن مير ابدال" ما نصه:

".. و ارسل عدة عمال وموظفين بلقب مير سنجق من قبله الى الاطراف والجوانب، ومنحهم الطبل والعلم، فنشر بذلك الوية العدل والادارة الجازمة في تلك الارحاء.

(107) S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 45, 63-67, 98.

في الترجمة العربية ص ٦٤، ٨٥-٩٠، ١٢٥.

(108)R.N.Frye, Ardalan, "The Encyclopedia of Islam", Vol, I, Lieden- London, 1960, P. 626.

(109)"The Encyclopedia of Islam", Vol. I, Lieden- London, 1913, P. 427.

(١١٠) عن ذلك ينظر في "مجلة الجمع العلمي العراقي. الهيئة الكردية"، العدد العاشر، ١٩٨٢ ص ٤٥ (الهامش رقم ٢٢٨) و ص ٤٢٤-٤٢٥ (الهامش رقم ٣٦٢).

(111)V. Minorsky, Shehrizur, "The Encyclopedia of Islam", Vol. IV, Lieden - London, 1936, P.345.

مركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

ثم عمد الى ناحية كركوك، من اعمال بغداد، فنزعها منها، و اسند ادارتها لاحد عماله الملازمين له. و لقد ابدع في فن الحكم والادارة بعض القواعد والاصول التي لم يسبق اليها احد من حكام كردستان" (١١٣).

كما ان بعض الباحثين المعنيين حين يتحدثون عن المقاطعات الكردية التي اعلنت ولامها للعثمانيين بوساطة ادريس البدليسي في مطلع القرن السادس عشر يطلقون على شهرزور، بما فيها كركوك واربيل وتوابعها، اسم "مملكة او امارة بابان" (١١٣). ومما يجلب الانتباه ان المصادر العثمانية تشير الى وجود البابانيين حتى في ماردين والرها (١١٤).

شهدت الامارة البابانية في اواخر القرن السابع عشر و اوائل القرن الثامن عشر سلسلة تطورات مهمة بارتباط مباشر بكركوك بصورة رسمية، و ذلك بعد ان اضطر الامير الباباني سليمان بك بن مامند الى اللجوء الى العثمانيين تحت ضغط الصفويين، مع العلم انه كان الى ذلك الحين "لايعبأ بالسلطان و لا بالشاه" (١١٥). لكن مصير كركوك و توابعها ظل يتقرر، مع ذلك، بتأثير مباشر من زعماء المنطقة من الكرد. فبعد ان عجز باشا كركوك دلاور في ردع زعماء شهرزور، و دفع رأسه ثمنا، بدأت كركوك تعترف بالتبعية

(١١٣) "شرفنامه"، طبعة القاهرة من ٢٧٧، طبعة بغداد من ٢٨٩-٢٩٠، الطبعة الروسية من ٣٣٠.

(١١٣) ينظر على سبيل المثال،

Safrastian, Kurds and Kurdistan, P. 103.

(١١٤) عن ذلك ينظر: الدكتور ابراهيم الداوقني، اكراد الدولة العثمانية، ص ٣٧.

(115) S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 80-81.

في الترجمة العربية من ١٠٦-١٠٥

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

لباشوية بغداد بناء على طلب الزعماء انفسهم، فأوفد باشا بغداد الى كركوك متسلما و كانت هذه المرة الاولى التي تعترف بها كركوك او الموصل بسلطة بغداد باعتبارها اكبر من مجرد جارة متساوية"^(١١٦). لكن التبعية هذه بقيت، مع ذلك، اسمية على مدى حقبة طويلة من التاريخ. يقول لونكريك عن حوادث تلك المرحلة:

"كانت باشويتا الشمال الموصل وشهرزور (وعاصمتها كركوك) على طول هذه المدة مستقلتين عن باشا بغداد الا عندما كانت تصدر الاوامر السلطانية بالتعاون والتآزر"^(١١٧).

لم يطرأ تغيير كبير على هذا الواقع طيلة جانب كبير من القرن الثامن عشر. ففي بداية ذلك القرن كان نفوذ امارة بابان" يمتد من كركوك الى همدان"^(١١٨). وفي خصم الصراع بين الزعماء البابانيين تحولت كركوك و توابعا الى ساحة للعمليات العسكرية، والى نقطة لتجمع القوات الموجهة الى المنطقة من قبل الأطراف المختلفة، بل انها تحولت الى مقر اقامة عدد من الامراء البابانيين، منهم عبدالله باشا^(١١٩).

(116)I bid, PP. 93-94. في الترجمة العربية ص ١١٩.

(117)Ibid, P. 95. في الترجمة العربية ص ١٢١.

(118)Ibid, P. 159. في الترجمة العربية ص ١٩٣.

(119)Ibid, PP. 158 F, 178-180, 182F, 207- 209, 227, 233, 246

في الترجمة العربية ص ٢٨٢-٢٨٤، ٢٨٨، ٢٩٢-٢٩٤، ٢٩٧ وغيرها، عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص ١٦٨-١٧٠.

و في مرحلة الاصلاحات التي عاشتها الدولة العثمانية، و ما اسفر عنها من تعزيز السلطة المركزية في اواسط القرن التاسع عشر، شهدت المنطقة تقلصا واضحا لتنفيذ الامارات الكردية التي بدأت تلحق اداريا بكركوك و الموصل بصورة فعلية تبعا لازدياد نفوذ العثمانيين على حساب تلك الامارات(١٢٠).

سجل جميع الرحالة الاجانب، الذين زاروا المنطقة في اوقات مختلفة، هذه الحقائق، مع غيرها بشيء من التفصيل تأتي على جوانب قسم منها في مكان آخر من هذه الدراسة. نقتصر هنا على ذكر ثلاثة نماذج فقط، الأول منها ما أورده الرحال الانكليزي جيمس بيلى فريزر في كتابه الذي نشر بجرازين بعنوان "رحلات في كردستان و بلاد ما بين النهرين"^(١٢١) اثر سياحته فيهما سنة ١٨٣٤. و لكلام فريزر اهميته لاجرد كونه شاهد عيان، بل ايضا بوصفه "رجلا مهنته الكتابة"، سافر "من استانبول الى ايران بمهمة دبلوماسية و قطع المسافة على ظهور الخيل"، و لأنه كان يسجل في رسائل متتالية الى زوجته "بشيء غير يسير من التفصيل.. كل ما كان يرى في طريقه، او يفكر فيه" حسب وصف افضل مترجم عراقي له(١٢٢).

(120)Ibid, P. 280 . في الترجمة العربية ص ٣٣١.

(121)J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1840.

(١٢٢)المقصود جعفر خياط، من مقدمته لذلك الجزء من كتاب فريزر الذي عربيه ونشره بعنوان "رحلة

فريزر الى بغداد في ١٨٣٤"، اما عن كون "مهنة فريزر الكتابة" فقد اشار الى ذلك لونكريك. ينظر:

S.H.Longrigg, Four Centuries..., P. 337.

في رسالته الثالثة المؤرخة في السابع عشر من تشرين الأول ١٨٣٤ يقول فريزر عن محمد باشا، امير رواندوز، انه "مديده ايضا الى الغرب والشمال، و توفق في ذلك، بحيث اصبح الآن مسيطرا على قسم كبير من شمالي مابين النهرين، الى جانب الاصقاع الممتدة من اربيل الى كركوك في الجانب الشرقي من دجلة".

قبل فريزر باريح عشرة سنة استقبل محمد اغا، الذي كان يشغل منصب "ايشك اغاسي" (رئيس التشريعات) في ديوان الامير الباباني محود باشا، استقبل باسم الامير المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج في طوزخورماتو يوم التاسع والعشرين من نيسان عام ١٨٢٠ وهو في طريقه الى مقر الامير في السليمانية. يقول ريج عن محمد اغا انه "عين مهماندارا لنا، وجلب لي (الى طوزخورماتو) رسالة رقيقة جدا من محمود باشا" (١٢٣).

اما الميجر سون الذي زار المنطقة متنكرا في سنة ١٩٠٨ فقد ذكرما يأتي عن امير كردي آخر:

"وبعد سنوات قليلة امتلك محمد باشا، و هو من البابانيين ايضا، سطوة عظيمة في رواندوز، و طالب بدوره بالاستقلال القومي، و استطاع ان يمتلك بلاد مابين النهرين العليا، و اربيل و كركوك فعلا" (١٢٤)

(123)C. J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, London, 1836, P. 33.

(124)E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise with historical notices of the Kurdish Tribes and Chaldeans of Kurdistan, Second Edition, London, 1926, PP. 371-372.

في الترجمة العربية لفؤاد جميل، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٧١، ص ١٤٨.

خر كوك و توأبعما حكم التاريخ والضمير

تحتل هذه الحقائق، في الوقت نفسه، مكانة بارزة في الدراسات الأكاديمية التي كرس لتأريخ المنطقة الحديث، الأجنبية منها والعربية على حد سواء، لقد تطرق إليها البروفيسور خالفين(١٢٥)، والدكتور جليلي جليل(١٣٦) وآخرون غيرهما.

و يهمننا ان نسجل هنا بصورة خاصة ما ذكره بهذا الصدد عدد من الباحثين العرب من عراقيين و غيرهم. فحسب الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار "امتد نفوذ امارة بابان(١٣٧) الى كركوك التي كانت قاعدة ايالة شهرزور. ويرجع الغاء هذه الايالة من التقسيمات الادارية للعراق الى ان الامارة البابانية اصبحت هي القوة البارزة في تلك الجهات. نظرا لاتساع هذه الامارة خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر اصبح يطلق على الحاكم الباباني اسم باشا كردستان" (١٣٨).

يقول المؤرخ و الدبلوماسي العراقي الدكتور علاء موسى كاظم نورس "و أخذت الاسرة البابانية تتوسع على حساب الامارات المجاورة لها مثل الصورانية و البهدينانية، حتى اصبحت تسيطر على رواندوز و كفري و كوي و حرير و قزلقو و سروجك و قرمداغ و أربيل، و امتد نفوذها الى

(125) N. A. Khalfin, Borba za Kurdistan, Moscow, 1963, P. 18.

(126) J. Jalil, Kurdi Osmanskay Imperii v perrvoy polovne XIX veka, Moscow, 1973, PP. 52, 60.

(١٣٧) في النص : نفوذها.

(١٣٨) للدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث، ص ١١٢-١١٣.

كركوك. و هكذا توسعت الامارة البابانية التي اصبحت تعرف في التاريخ العثماني باسم بابان اوجا غلقي^(١٢٩). و يقول ايضا:

" و قد بلغ البابانيون ذروة مجدهم في عهد عبدالرحمن الباباني الذي تولى امارة بابان سنة ١٧٨٨ (بلغت مدة حكمه اربعا وعشرين سنة تقريبا)، فقد كانت اطماعه السياسية، و مطامحه القومية ترمي دائما الى تأسيس حكومة مستقلة في العراق، فاجتهد في سبيل ذلك كثيرا، حيث اشتبك مع قوات بغداد في عدة معارك، و كاد أن ينتصر في احدى معاركه الفاصلة على قوات بغداد في معركة جوار كفري سنة ١٨١٢ لولا ان الفشل لحق به في النهاية. و لم يكن عبدالرحمن الباباني يعمل على تحقيق هدفه بالاستقلال عن بغداد فحسب، بل كان طامعا بباشوية بغداد ايضا.. ثم انه بلغ من القوة بحيث انه هو الذي نصب الوالي الملوكي عبدالله باشا على بغداد^(١٣٠).

و يقول عن الأمير الباباني محمود الذي تولى الامارة بعد وفاة والده عبدالرحمن الباباني المذكور في سنة ١٨١٣ انه طالب الوالي داود باشا الموافقة على ضم اربيل والتون كوبري، اللتين تقعان الى الشمال و الشمال الشرقي من كركوك، الى امارته^(١٣١).

(١٢٩) علاء موسى كاظم نورس، حكم الماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣٦، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٦٤- اصل الكتاب رسالة جامعية قدمت الى كلية الاداب - جامعة بغداد في العام ١٩٧٢ لنيل شهادة الماجستير.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ١٦٦-١٦٧.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

و سجل الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف في كتابه "الموصل في العهد العثماني" الملاحظة الدقيقة التالية التي لها مغزاها العميق بالنسبة لموضوعة علاقة كركوك و توابعها بالامارات الكردية الحديثة. يقول الدكتور، و هو بدوره متخصص عراقي معروف في تأريخ العراق الحديث، و عضو سابق للمجلس الوطني، ورئيس اتحاد الكتاب سابقاً:

"وفي عام ١٨١٢م / ١٢٢٧هـ قرر والي بغداد الجديد عبدالله باشا عزل عبدالرحمن باشا الباباني عن الوية كوي و حرير، بعد ان كان قد حرمه - في العام السابق - من منصب لواء بابان نفسه. و عندما زحف والي بغداد بجيشه الى كركوك وجد بان جميع رؤساء المدينة واطرافها وعشائرها يتعاونون سرا مع عبدالرحمن باشا" (١٣٣).

اما فيصل محمد الأرحيم الذي نالت رسالته للماجستير "تطور العراق تحت حكم الاتحاديين" تقدير ممتاز من جامعة عين شمس بالقاهرة، فإنه يقول عن الموضوع نفسه:

"فقد توسعت هذه الامارة (البابانية) كثيراً، و امتد نفوذها حتى شمل كركوك، قاعدة ايالة شهرزور.. و في اوائل القرن التاسع عشر بلغت هذه الامارة اكبر اتساع لها، و اصبح الحاكم الباباني يطلق عليه باشا كردستان.." (١٣٣).

(١٣٣) عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩ هـ / ١٧٢٦-١٨٢٤ م، النجف، ١٩٧٥، ص ١٥٠.

(١٣٣) فيصل محمد الأرحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (١٩٠٨-١٩١٤)، الموصل، ١٩٧٥، ص ٨٢.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

لم تكن هذه الامور، دون ريب، مرتبطة فقط بواقع سكاني و جغرافي محدد، بل و انها نجمت، في الوقت نفسه، وفي سياق عام لخاص يتجاوز عادة حدود الزمان و المكان، عن واقع اقتصادي مرتبط بهما بصورة موضوعية.

الواقع الاقتصادي لكركوك وتوابعها

لأسباب شتى لم تؤد كركوك تأريخيا دورا اقتصاديا متميزا، و يكمن في ذلك احد الاسباب الاساسية لعدم شهرتها حتى القرن العشرين على العكس تماما من الموصل مثلا. فكما اسلفنا كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، اذ قلما استخدم يومذاك الطريق البري الممتد من بغداد الى كفري - داقوق - كركوك - اربيل للوصول الى الموصل. ولئن شجع الخراب الذي اصاب شاطئ دجلة و المناطق المحاذية له على تطوير ذلك الطريق في العهد العثماني، الا انه حتى يومذاك سلك اوليا جلي الطريق المحاذي لدجلة في سفرته من تركيا الى بغداد، و العودة منها كما هو مثبت في الصفحة السادسة من الجزء الخامس من "سياحتنامه" (١٣٤).

لكن كركوك و توابعها الفت، مع ذلك، نقطة تمويل و تلق تجاري مهما بالنسبة للمناطق الكردية منذ اقدم الازمنة في نطاق تجارتها المحدودة اصلا. جاء وصف كركوك في "دائرة المعارف البريطانية" باعتبارها "واحدة

(١٣٤) عن ذلك بنظر ايضا في،

J.H.Kramers, Kirkuk, "The Encyclopedia of Islam", Vol.II, P. 1028.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

من اهم مراكز التسويق الرئيسة في كردستان" (١٣٥). و ورد في طبعة احدث لدائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص ما نصه "تعد كركوك سوفا للمنتوج الزراعي للمنطقة.. ومركزا لتصدير الصوف والحبوب والواشي والعصص والصبغ المنتج في مرتفعات زاغروس" (١٣٦). وردت اشارات واضحة الى الحقيقة نفسها في كتب الرحلات. لاحظ الوكيل الرسمي الفرنسي ك. ا. اوليفيه (G.A.Olivier) في العام ١٧٩١ القوافل المتوجهة من المناطق الكردية الشمالية، و من الموصل الى اربيل و كركوك(١٣٧).

تطلب ذلك، فضلا عن العوامل السوقية (الستراتيجية) المعروفة، ضمان اتصال وثيق بين كركوك والمناطق الاخرى، الامر الذي تتوفر عنه دلائل واضحة من مختلف العصور. فقبل ظهور الاسلام بقرون اقتضت العلاقات بين كركوك واربيل تأسيس جسر على الزاب الصغير عند موقع التون كوبرى، او بالقرب منه، اطلق عليه السكان المحليون اسم "پردئ" الذي يعني الجسر في الكردية، ليغدو بالتدريج اسما مرادفا للمنطقة باسرها.

(135)Encyclopedia Britannica", A New Survey of Universal Knowledge, Vol. 13, Chicago- London- Toronto, 1947, P. 414.

(136)"Encyclopedia Britannica", Vol. 13, Chicago- London, 1965,P. 388.

(١٣٧) "رحلة اوليفيه الى العراق"، ترجمة الدكتور يوسف حبي، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد،

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

وكان الجسر موجودا في القرن السادس عشر عندما مر به السائح الاوروبي لئون راولف، فسجل اسم المنطقة بصيغته الكردية (پرسته - پردی) (١٣٨).

تطورت هذه الروابط لاحقا. فلم يكن مجرد صدف ان ظهر في اواخر العهد العثماني مشروع سكة حديد كان من المقرر له ان يبدأ من دياربكر و يمر بالموصل ثم كركوك و ينتهي في السليمانية. و في سنوات الانتداب حاول البريطانيون تحويل كركوك و اربيل الى قاعدة لتعزيز العلاقات الاقتصادية بغربي ايران - كردستان و ازربيجان، بهدف شل روابطهما التقليدية بمناطق القفقاس و ما وراء القفقاس الداخلة ضمن الحدود السوفيتية. ففي اواسط العقد الثالث من القرن العشرين تم ارسال قوافل تجارية خاصة من كركوك الى داخل الحدود الايرانية عن طريق اربيل - رواندوز، و من اجل انجاح التجربة ارسلت سلطات الانتداب طلبا خاصا الى لندن لصنع جسرين حديديين لنصبهما على الانهر التي تعترض الطريق المذكور (١٣٩)، وتحول هذا الأمر بالتحديد الى احد العوامل الاساسية التي دفعت البريطانيين الى بذل جهود خارقة، واموال طائلة لشق طريق مبلط بذلك الاتجاه، ينتهي عند الحدود العراقية - الايرانية (١٤٠).

(١٣٨) للتفصيل عن ذلك ينظر في: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م،

ص ٣٧٠-٣٧١.

"Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1926", London, 1927, P. 28.

(١٤٠) للتفصيل عن ذلك ينظر،

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

اعتمدت تجارة كركوك اساسا على المنتج الزراعي للريف الكردي المرتبط بها، فضلا عن المناطق الكردية الأخرى. و اذا استثنينا كبار التجار اليهود، و عددا من التجار المسيحيين فإن التجار الكرد والتركماني، و لاسيما الصغار و المتوسطين منهم، كانوا هم المسيطرين دائما على اسواق كركوك و توابعها ،و ان اللغتين الكردية والتركمانية كانتا لغة التعامل في تلك الاسواق، و كما هو معروف فان الشورجة -أكبر اسواق كركوك- هي محلة تجارية خاصة بالكرد.

لاحظ معظم الرحالة الذين زاروا كردستان الروابط الاقتصادية القوية لكركوك وتوابعها مع المناطق الكردية الأخرى. في الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٨٢٠ سجل المقيم البريطاني في بغداد كلوديويس جيمس ريج، اثناء زيارته الى كردستان، الملاحظة الآتية في يومياته عندما كان ضيفا على الامير الباباني في السليمانية:

"في الليلة الماضية كنت منهمكا جدا مع عمر أغا لمعرفة المنتوجات الطبيعية في كردستان. ان كركوك هي السوق التي ينقل اليها كل ماينتج في هذا الجزء من كردستان". و أكد ريج ايضا ان الذين يقومون بنقل تلك المنتوجات "هم مواطنو كركوك الذين يأتون الى هنا لهذا الغرض، ولعقد الصفقات مع الزراع لشراء ما ينتجونه من رز وعسل وغيرهما.." (١٤١).

A.M.Hamilton, Road through Kurdistan, London, 1937.

نشر المعامي جرجيس فتح الله الترجمة العربية للكتاب ببغداد.

(141)C.J.RICH, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, P. 141.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

و قبل ذلك تحدث ريج ايضاً عن منتج الملح في طوزخورماتو، و عن تصديره برمته الى المناطق الكردية، و قدر قيمته بعشرين الف قرش في السنة(١٤٢)، مما يعد مبلغاً له وزنه حسب القوة الشرائية السائدة في ذلك الزمن. كما يبدو من بعض ملاحظات ريج ان انواعاً من البضائع النادرة في عهده كانت تنقل من كركوك الى السليمانية(١٤٣).

ان مثل تلك الروابط الاقتصادية القوية هي التي دفعت افراد بعض اسر السليمانية التجارية المعروفة الى اختيار (كركوكي - كركوكلي) لقباً لهم(١٤٤). كما ان الواقع نفسه فرض تشابهاً كبيراً بين المؤسسات التجارية القديمة في كركوك والمدن الكردية الاخرى، الأمر الذي لاحظته Gavin Young اثناء زيارته للعراق في أواخر السبعينيات من القرن العشرين(١٤٥). يمكن ملاحظة جوانب اخرى من الموضوع نفسه من خلال مسجله الرحالة الاجانب الذين زاروا المنطقة، ممن تعد مؤلفاتهم مصادر اصيلة في ميادين التاريخ و الاجتماع و الاقتصاد و السياسة.

(142) Ibid, Vol. I, P28.

(143) Ibid, Vol. II, London, 1836, P.3.

(144) M.R.Hawar, The Leader Sheikh Mahmod and Southern State of Kurdistan, in Kurdish, London, 1990, P. 234.

(145)G. Young, Iraq: Land of Two Rivers, London, 1980 , PP. 235- 236, 243.

كركوك وتوابعها في كتب الرحالة

توجه الرحالة الاجانب الى كردستان في وقت مبكر نسبياً، و زار العديد منهم كركوك و توابعها، و سجلوا ملاحظات دقيقة عنها لها قيمتها العلمية الخاصة كونها صادرة عن شهود عيان كانوا يتمتعون بثقافة رفيعة حسب مقاييس عصرهم، و عصرنا ايضا. ان ما هو متوفر بين ايدينا من معلومات تلك الرحلات يلقي ضوءا ساطعا على العديد من جوانب الموضوعات التي نحن بصدد معالجتها في هذه الدراسة(١٤٦)، و قد سبقت الاشارة الى قسم منها. تشير المعلومات الواردة في اقدم كتب الرحلات المتوفرة بين ايدينا الى الطابع الكردي لكركوك وتوابعها بوضوح. فإن الطبيب والتاجر الالماني الدكتور ليونارد راولف الذي زار كركوك وبعض توابعها في اواخر العام ١٥٧٤، ونشرت رحلته بالانكليزية في العام ١٦٩٣(١٤٧)، قد حدد لنا في ذلك الوقت المبكر حدود المنطقة الكردية التاريخية، كما في عهده كذلك، بصورة دقيقة حين كتب يقول:

"بدأنا مسيرتنا (من بغداد) في اليوم السادس عشر من شهر كانون الأول (سنة ١٥٧٤) متجهين نحو كركوك التي تبعد مسيرة ستة أيام، و تقع في حدود ماذي

(١٤٦) لاسباب معروفة لم يتسن، للاسف، الاطلاع على جميع كتب الرحلات التي تهتم هذه الدراسة.
(147) Dr. Leonard Rauwolff, Travels, collected in "A Collection of Curious Voyages and Travels" (12 Vols.) by John Ray, London, 1693 (Quoted in: S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 33,331).

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

(ميديا)، وقد بدأنا السفر من الطرف الثاني لنهر دجلة.. وعلى مسافة قصيرة من دافوق شاهدنا قلعة محصنة فيها احدى العائلات التركية، وهذه تقع في منطقة الاكراد التي تبدأ من هنا وتسير بامتداد نهر دجلة بين ماذي (مادي - ميديا) وبين النهرين حتى تصل الى ارمينيا". ويقول عن الكرد انفسهم انهم "يتحدثون بلغة خاصة لم يكن رفاقي المسافرون معي(١٤٨) يعرفونها، كما ان الاكراد لا يستطيعون التحدث لا بالفارسية او التركية الشائعة الاستعمال ما بين بغداد وآشور، وذلك اضطررنا الى من يعرفون اللغة الكردية ان يكونوا بمثابة مترجمين لنا اثناء مرورنا ببلاد الاكراد"(١٤٩).

و حين يصل راولف الى التون كوبري في الثلاثين من كانون الاول ١٥٧٤ يطلق عليها اسم هرسته المحرفة من كلمة (هردي) الكردية التي كان الكرد، و ما يزالون يطلقونها اسما على المنطقة(١٥٠). و عندما يصل بعد ذلك الى الزاب الكبير يفعل الشيء نفسه، اذ يطلق اسم "كهلهك" الكردي على المنطقة، و هو نفس مصطلح "كهلهكى ياسين اغا" المستخدم حتى يومنا هذا. يتحدث راولف عن الطابع الكردي لهذه المنطقة على النحو الآتي:

(١٤٨) حتما ان هؤلاء المسافرين كانوا اما عربا او موظفين عثمانيين. ونشر بالمناسبة الى اننا اعتمدنا على ترجمة سليم طه التكريتي لرحلة راولف الذي ينمته المترجم بكونه طبيبا هولنديا، في حين يعده لونكريك طبيبا و تاجرا المانيا كما بينا ذلك في المتن.

(١٤٩) "رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين للرحالة الهولندي الدكتور ليونهارد راوولف"، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٩٢، ١٩٦-١٩٧.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ١٩٩، عن ذلك ينظر ايضا في "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م، ص ٣٧٠-٣٧١.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

"كان ذلك النهر يعترض طريقنا، وكان عريضا، يبلغ عرضه زهاء الميل و لم يكن من اليسير عبوره دون التعرض الى الخطر، وذلك أمر يعرفه الاكراد جيدا، في ذات الوقت الذي كنا نحن نشعر فيه بالخوف من اولئك الاكراد انفسهم، ومع ذلك فقد وجدنا بين جماعتنا من سبق لهم عبور ذلك النهر، وهكذا غامرنا في عبوره"^(١٥١).

و يبدو واضحا مما سجله الدكتور راولف ان الكرد كانوا مسيطرين حتى ضواحي مدينة الموصل نفسها - منطقة اتاوتهم، و كانوا موجودين ايضا على مسافة مسيرة طويلة باتجاه الغرب من الموصل صوب نصيبين وحلب، فانه غالبا مايورد اسم الكرد حيثما يحل في غضون المدة التي تغطي شهر كانون الأول من العام ١٥٧٤ و كانون الثاني من العام ١٥٧٥ من رحلته، و بأسلوب يجلب النظر تماما^(١٥٢).

يبدو واضحا من كتب الرحلات الاخرى ايضا ان الكرد كانوا يمتدون بعيدا الى الغرب والجنوب من مناطق تمركزهم الحالية في كركوك وتوابعا، وكانوا موجودين على الضفة الغربية (اليمنى) من نهر دجلة بأعداد تجلب النظر، ففي شباط عام ١٦٥٢ عندما توجه الرحالة الفرنسي تافرينية (Jean Baptiste Tavernier) من الموصل الى بغداد عن طريق نهر دجلة سجل الملاحظة الآتية في اليوم التاسع عشر من رحلته عندما وصل الى نقطة التقاء الزاب الصغير بنهر دجلة في ما يعرف بالفتحة الواقعة بين شرقا و شمالا و تكريت جنوبا:

(١٥١) "رحلة المشرق الى العراق..."، ص ٢٠٢.

(١٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٧ - ٢٠٩.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

"وفي ذلك اليوم لم نر غير اعراب وأكراد يسيرون بمحاذاة ضفتي النهر: الكرد في جهة ما بين النهرين، و العرب في الجهة الأشورية" (١٥٣).

و بعد مرور اكثر من مائة و خمسين عاما عندما يصل ج. س. بكينفهام الى دلي عباس يسجل الملاحظة الآتية التي وردت في الجزء الثاني من كتابه "رحلات في بلاد ما بين النهرين" (١٥٤).

"لم نر مساكن يقطنها العرب لوحدهم اثناء طريقنا منذ ان تركنا الموصل حتى الان. فالفرسان العرب الذين التقينا بهم في التون كوبري كانوا في حملة، في حين كان معظم سكنة المدينة من الاتراك والاكراد. اما هنا في قرية دلي عباس الصغيرة (بالقرب من بعقوبة) فان سحن السكان ومظاهرتهم و لغتهم وعاداتهم كلها عربية خالصة، وان البدو فيها اكثر من الفلاحين" (١٥٥).

في العام ١٨٣٤ لاحظ فريزر الحقيقة نفسها باتجاه الجنوب الغربي من كركوك (١٥٦). فبعد ان يترك كفري، و يتوجه صوب بغداد عن طريق حميرين يقول:

"لقد زدنا مضيقتنا في كفري سليم اغا بدليل الى المرحلة التالية، لكنه اوصانا بالعاج ان لا نبدأ برحلتنا قبل الصباح، و لذلك لم نتحرك قبل بزوغ الفجر. و

(١٥٣) "العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرينيه"، نقله الى العربية وعلق حواشيه

بشير فرانسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٤٤، ص ٧٣.

(154) J.S. Bakingham, Travels in Mesopotamia, Vol. II, London, 1827.

(١٥٥) في الجزء الاول من الترجمة العربية لسليم طه التكريتي الذي طبع في بغداد بمساعدة المجمع العلمي

العراقي بعنوان "رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦"، ص ١٧٥.

(١٥٦) في كتابه،

J.B. Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1890.

حركاته و توابعها حكم التاريخ والضمير

الحقيقة ان هذه المرحلة كانت مرحلة خطيرة، لأن الطريق بالنظر لوقوعه على الحدود بين الاكراد و العرب تماما كان يتعرض للسلب والنهب من الفريقين معا" (١٥٧).
و عندما يصل فريزر نهايات جبل حميرين يسجل ملاحظة مهمة اخرى، يقول نصها: "فكانت هذه تلال حميرين التي تعد فرعا من جبل حميرين الذي يمتد من كردستان"، و هنا بان له "في الافق البعيد خان دلي عباس" (١٥٨).

و قبل فريزر باربوع عشرة سنة قدم لنا ريج، اثناء رحلته من بغداد الى كردستان، معلومات مفيدة عن الموضوع نفسه. فانه لم يشر، و منذ دخوله قرمتيه في الساعة الواحدة الا عشرين دقيقة من يوم الرابع و العشرين من نيسان، و كذلك في طريقه من قرمتيه الى كفري التي دخلها في الساعة العاشرة الا عشرين دقيقة صباح يوم الخامس و العشرين من نيسان، لم يشر الى وجود عربي واحد في كل المنطقة، مع العلم ان وجود عدد من اليهود في كفري، ممن "كان لديهم معبدهم الخاص هناك"، قد جلب نظره، و اثار دهشته (١٥٩).

تكتسب المعلومات التي لاحظها الضابط البريطاني الميجر فردريك مللنجن اهمية خاصة في هذا المضمار. فقد كان مللنجن يعمل بالجيش العثماني، قام برحلة داخل كردستان في العام ١٨٦٩ فدرسها بقعة بقعة،

(١٥٧) "رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٢٤"، ص ٦٢.

(١٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.

(159) C.J.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 12-15.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

وتابع كل شيء فيها "من ارضروم حتى قوتور على الحدود الايرانية"،
ونشر رحلته بعد عام في كتاب اختار له عنوان "حياة بدائية بين
الکرد" (١٦٠).

يقول مللنجن "ان النهاية الجنوبية لكرديستان تحدد بسلسلة جبال حميرين
التي تتأخم سهول بغداد وارض دجلة المنخفضة.. هنا، كما هو الحال على ضفتي
نهر دجلة، ادى الاحتكاك المتواصل للکرد مع جيرانهم العرب الى ان يبصم الامر
على خصائصهم و اسلوب حياتهم بما يشبه النمط العربي" (١٦١). و بالنسبة
لكركوك نفسها لاحظ مللنجن خضوعها للامير الرواندوزي محمد باشا (١٦٢)،
الامر الذي اشار اليه بعده رحال انكليزي اخر هو الميجرسون كما اسلفنا.

في الفصل الرابع عشر من "رحلته المتكثرة الى بلاد ما بين النهرين و
كرديستان" و الذي يحمل عنوان "الى كركوك"، لايتحدث الميجرسون لا في
كركوك، و لا في التون كوبري، و لا في الطريق الممتد بينهما عن لقائه سنوي
بمسافر عربي واحد، في حين انه يتحدث بالكردي في كل مكان زاره،
ويلتقي الكرد و التركمان حيثما يذهب، ويصف سيطرة عشيرة الهموند
الكرديّة المعروفة، التي تعد واحدة من اهم عشائر كركوك، على المنطقة
بأسرها، ويتحدث في الفصل الذي يليه عن القرى الكرديّة بين كركوك

(160)Major Fredrick Millingen, Wild life among the Kurds, London, 1870,

CXLLL + 380 PP.

(161)Ibid, P. 151.

(162)Ibid, P. 186.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

والتون كوهري وغير ذلك من امور(١٦٣). و بعد ان يغادر التون كوهري على الكلك، متجها صوب الفتحة و بغداد، و بعد ان يقطع مسافة باتجاه الجنوب الغربي من التون كوهري يسجل لنا ملاحظة دقيقة بخصوص الواقع الأثني للمنطقة، اذ يقول مانصه:

"و قبل نحو ساعة من غروب الشمس ارسينا في قرية صغيرة كردية.. وتناولنا على شاطئ صغري غذاءنا البسيط الذي كان من الخبز و الفاكهة، و اضطررنا للنوم على الحصي حتى لاحت تباشير الصباح. ثم سافرنا قدما على مدى ثلاثة ايام بين التلال المنخفضة في الزاب الأسفل الأخاذ وهو يخترق ارضا تكاد تكون مهجورة. لقد تجلى الآن اننا، على كل حال، جعلنا الكرد والترکمان وراءنا، ذلك اننا لم نر بعد ذلك الا العرب وعدداً قليلاً جدا منهم (من الكرد والترکمان)"(١٦٤).

و من المفيد ان نشير الى ان العديد من الرحالة الاخرين لاحظوا قبل الميجرسون ان منطقة انتشار عشيرة هموند ونفوذها كانت اوسع بكثير من واقعها المعاصر. ففي اواخر القرن التاسع عشر، مثلا، تحدث قس من القوش الى العالم الاثاري البريطاني الشهير السراونسف الفرد بدج (١٨٥٧ – ١٩٣٥) عن هجوم هموند على دير الربان هرمز هناك في حدود العام ١٧٥٠(١٦٥). و

(163)E.B.Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, PP. 235-250, 355-358.

في الترجمة العربية، ص ١٠٠، ١١٠، ١١٣، ١٢٦، ١٢٩ وغيرها.

(164) Ibid, PP.355-356

في الترجمة العربية ١، ص ١٢٣-١٢٤.

(١٦٥)نشره بدج لاحقا في كتابه،

Sir Wallis Budge, By Nile and Tigris, Vol. II, London, 1920.

(وفي الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "رحلات الى العراق"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٣٧).

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

سجلت "دائرة المعارف الاسلامية"، ملحوظة مقتبسة من رحلة تعود الى
اواخر القرن التاسع عشر تقول "و اعتادت عشيرة هموند ان تهبط حتى
تبلغ ضفاف دجلة" (١٦٦). اما لونجريك فانه يقول "كان الهموند يفرون من
كركوك الى همدان" (١٦٧).

و الأهم من كل ذلك ماسجله وكيل القنصل البريطاني في الموصل بهذا
الخصوص في تقرير مسهب له يقع في خمس صفحات من الحجم الكبير، و
يحمل تاريخ ٢١ نيسان عام ١٩١٠، فقد ذكر ان مناطق سكن الهموند كانت
تمتد الى الجنوب من كركوك، و قدر عددهم يومذاك بخمسة الاف شخص،
مما يمثل ثقلا سكانيا كبيرا حسب الواقع الديموغرافي للمنطقة يومذاك (١٦٨).
يبدو واضحا ان الهموند اضطروا الى التركز في الشمال الشرقي من
كركوك، بوصفها منطقة اكثر تحصنا من جنوبي كركوك، و ذلك بعد
الضربات القوية التي وجهتها اليهم السلطات العثمانية، بلغت حد نفي

(١٦٦) "دائرة المعارف الاسلامية"، المجلد الثاني عشر، العدد الخامس، ص ١٨٤.

(167) S.H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 278.

في الترجمة العربية ص ٣٣٤.

(168) Public Record Office, F.O, 195/ 2339, X/K- 780, A.B.M. Vice- Conulite,
Mousul, April 22 st, 1910, P.1.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

اعداد كبيرة منهم الى طرابلس الغرب بهدف وضع حد لتجاوزاتهم المستمرة على القوافل التجارية المارة عبر المنطقة(١٦٩).

اورد رحال شرقي، زار المنطقة في بداية القرن التاسع عشر، آراء وملاحظات مشابهة لآراء وملاحظات الرحالة الاوروبيين عن كركوك وتابعها. فان السيد محمد بن السيد احمد الحسيني المعروف بالمنشيء البغدادي تجول سنة ١٨٢٠ "في ديار الكرد ومواطن العراق الاخرى"، وعندما وصل كركوك سجل عنها مانصه:

"من تازة خورماتو الى كركوك سبعة فراسخ. وكركوك بلدة جميلة، وان قلعتها تقع على تل، وان البلدة في اطراف القلعة وحواليها، وان اهلها اشرار، وكلهم اتراك ينكجيرية (انكشارية) واكراد اكثرهم شافعية، وبعضهم حنفية، ولها نحو مائتي قرية، وكل قراها علي الالهية"(١٧٠).

وعن طوزخورماتو، التي يذكر اسمها بصيغتها الشائعة يومذاك، أي دوزخورماتو، يقول "ولفتهم الكردية والتركية، وعقيدتهم العلي الهية، يرعون الغرباء ويبرونهم، ويحترمونهم في ضيافتهم، ونساؤهم شهيرات بالحسن والجمال، ويقرب عددهم من الف بيت"(١٧١).

(١٦٩) يبدو ذلك واضحا من كتب الرحالة المتأخرين، كما اشار اليه كل من عباس العزاوي ولونكريك والميجرسون و محمد امين زكي وغيرهم كثيرون، ووردت في تقرير وكيل القنصل البريطاني المنكور تفصيلات مهمة عنه (Ibid, PP. 1-5).

(١٧٠) "رحلة المنشيء البغدادي"، ترجمة عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٨، ص ٦٤.

(١٧١) المصدر نفسه، ص ٥٥.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

و على بعد نصف فرسخ من پردئ (التون كوبرى) يلتقي "قبيلة بربرية تبلغ نحو اربعمئة بيت ليس لها كسب سوى ضرب العود، و صغارها يرقصون، يذهبون لكل بلد و مدينة، وهؤلاء يقال لهم الكرد الجولكية"، ومن "التون كوبرى الى اربل ثمانية فراسخ، و في الطريق اكراد ديزمى، و يبلغون الف بيت" (١٧٢).

توجد آراء اخرى كثيرة للرحالة الاجانب عن كركوك و توابعها جديدة بالتسجيل نتطرق الى قسم منها في مباحث لاحقة من هذه الدراسة. يلخص لونجريك في كتابه المصدر "اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث" آراء الرحالة الذين مروا بكركوك في اوقات مختلفة قبل القرن العشرين بقول له مغزاه الكبير، هو:

"وقد اعجب الرحالون بكركوك، فوصفوها بانها مدينة جميلة رائعة، حيث كان النطق السائد التركية المفككة و الكردية الشهرزورية" (١٧٣).

و آخر مانقتبسه من كتب الرحالة هو ملاحظات معاصرة وردت في كتاب الصحفي الهولندي ماليبارد الذي زار العراق في مطلع العقد السادس من القرن العشرين، أي بعد طبع كتاب لونجريك بثلاثة عقود. فبعد ان يترك ماليبارد بغداد متوجها صوب كردستان، و يقترّب من تلول حميرين

(١٧٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(173) S.H. Longrigg, Four Centures of Modern Iraq, P. 10.

في الترجمة العربية، الطبعة الخامسة، ص ٢٢.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

يصف لنا بأسلوب رومانسي اخاذ في مبحثه المعنون "بين سهول العراق وجبال كردستان" الانتقال الى منطقة جديدة، فيقول:

"بين تلك التلول المنتشرة وبطاحها المتوية، حيث تبين ارض الاكراد، يبدو الربيع بأجمل حله، ينشر في الفضاء عبير نسماته فترى الارض مخضرة تكشف عن زينتها و مفاتنها على امتداد افاقها وابعادها، يسودها الهدوء والسكينة، فيشعر الانسان في اعماق نفسه بالراحة والهناء والأمن والسلام، ويتحسس بعظمة الله في خلقه، و يشاهد جماله في سحر الطبيعة و اغرائها" (١٧٤).

ثم يضيف مالمليبارد على ذلك قوله "ويعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب العرب والاكرد بسلام وونام متجاورين، ومثل هذا الجوار نجد في اوربا ايضا" (١٧٥).

ان مثل هذه العلاقات الطيبة بين العرب و الكرد التي اشار اليها الهولندي مالمليبارد، و مراقبون آخرون كثيرون، كانت هي التي تسود الشعبين منذ ان دخل العرب كركوك و توابعها.

(174)C.H.J.Maliepard,Wassera deram Euphrat oder Zwischen Arabern und Kurde.

في الترجمة العربية للدكتور حسين كبه، نواعير الفرات او بين العرب والاكرد، بغداد، ١٩٥٧، ص ٢٠٦.

(١٧٥)المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

العرب في كركوك و توابعها

كما اسلفنا دشن الاسلام اول احتكاك واسع للعرب بالکرد و كردستان دون ان يؤثر ذلك على واقعهما القومي الا في اطار الروح والدين. ولم يشر الرحالة الى وجود عربي متمركز في كركوك و توابعها الا في بعض مناطق الانتقال، و الحافات. حدد مارك سايكس في بحثه الرصين عن "القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية"، الذي هو حصيلة دراسة ميدانية اعتمدت على سفرة قطع فيها الباحث ٧٥٠٠ ميل داخل المنطقة نفسها قبل الحرب العالمية الاولى بمدة كما بيننا ذلك في مكان آخر من هذه الدراسة، حدد الوجود الاثني غير الكردي في القسم (أ) من مبحثه الذي يشمل المنطقة المحددة "ببحيرة وان و الهضبة الارمنية شمالا، و بنهر دجلة غربا، و بسهول العراق جنوبا" هكذا،

"ان المجموعات الاجنبية، او على الاقل غير الكردية، يمكن حصرها بالسكان العرب - الآراميين (Arabo- Aramean) في الموصل، والارمن الذين يعدون نسطوريين، و المسيحيين اليعاقبة في عين كاوه و عقره و كويسنجق، و الأتراك (الترکمان) في التون كوبرى و السهول الواقعة شرقي الموصل"، الأمر الذي جسده بوضوح في الخارطة التي الحقها بالبحث(١٣٦).

(176)Mark Sykes, The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, "The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland", Vol. XXXVIII, 1908 (July to December), PP. 451-453.

ان الوجود العربي المتمركز في كركوك و توابعها حديث تاريخيا، و هو على نمطين : الأول عشيري، و هو الاساس، و الثاني مدني وظيفي كان اساسه قطاع العمال حتى ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨. و يبدو ان عددا قليلا من كرد المنطقة قد استعربوا بصورة طبيعية بتأثير من الاسلام و ثقافته في مرحلة ما قبل تبلور العاطفة القومية. لاحظ مراقب روسي زار المنطقة في مطلع القرن العشرين ان العرب فيها "كما يبدو من شكلهم" هم "اقرب الى الكرد وساميي سوريا" ممن تبنا لغة العرب وثقافتهم(١٧٣).

ان اهم عشيرة عربية موجودة في كركوك و توابعها هي عشيرة العبيد. يرتبط وجود العبيد في جنوب غربي كركوك بتحريك عشيري كبير حدث في وسط العراق، والى الشمال من بغداد في اواخر القرن الثامن عشر - اوائل القرن التاسع عشر، نجم عن هجرة قبيلة شمر المعروفة من غرب الفرات الى شرقه بتأثير ضغط عشيرة عنزة عليها، و بتحريض من الحكومة العثمانية التي شجعت الشمر لأسباب كان احدها يكمن في رغبتها في "كسر شوكة قبيلة العبيد"(١٧٨). نتيجة لذلك عبرت عشيرة العبيد من الضفة اليسرى، الى الضفة الشرقية من دجلة، وانتقلت اقسام منها "الى الحويجة متخفية بذلك جبل حميرين" لأول مرة في تاريخها(١٧٩)، وهو، كما لا يخفى،

(177) "Zametki o politicheskom položenii v Youjnom Kurdistane Severnaya Mesopotami", "Izvestia Shtaba Kavkazskovo Voennovo Okruga", No. 1-2, 1904, P. 52.

(١٧٨) عباس العزاوي، عشائر العراق الجزء الاول، بغداد، ١٩٣٧، ص ٢٣١، ٢٣٧.

(179) S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 202.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

تاريخ حديث. صاغ لنا مؤرخ "عشائر العراق" المعروف عباس العزاوي الموضوع هكذا في اكثر من مكان من كتابه المصدر:

(١) في أواخر القرن الثامن عشر تعرض العبيد الى ضغط شمر ايضا، فقد "خضدت شوكة قبيلة العبيد نوعا، بل كادت ان تلحن" (١٨٠)، فإزاح الشمر العبيد "وغيرهم، وتمكنوا من مواطنهم" (١٨١). وقد احدث ضغط الشمر خللا كبيرا، امتد تأثيره الى الجبور، و انعكس على الواقع السكاني باتجاه الجنوب الغربي من كركوك، فيقول العزاوي عن ذلك:

"ومن ثم تواردت شمر حتى عظم امرها، واحتلت الجزيرة، فدفعت هذه القبائل الى انحاء مختلفة، فحالت قبيلة العبيد الى الحويجة، وازاحت البيات الى اماكنهم الحالية، وهكذا جرى على الجبور فتفرقوا" (١٨٢).

و من الضروري ان نشير الى ان العبيد بعد ان انتقلوا الى موطنهم الجديد فان معظمهم لم يرتبطوا بالارض، بل استمروا على حياة التنقل و البداوة مدة طويلة من الزمن. ورد في تقرير سري بريطاني وضع خصيصا عن العشائر العراقية في العام ١٩١٧ ما نصه بخصوص هذا الموضوع:

"و توطنت (عشيرة العبيد) في الضفة اليمنى (الغربية) من نهر دجلة بين الموصل وبغداد. وقد عبروا (١٨٢) نهر دجلة و استقروا في ديارهم الحالية- حويجات

في الترجمة العربية ص ٢٤٢.

(١٨٠) عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص ١٤٤.

(١٨١) المصدر نفسه، الجزء الاول، ص ١٢٦.

(١٨٢) المصدر نفسه، الجزء الاول، ص ١٤٧.

كركوك و توابعا حكم التأريخ والضمير

العبيد، و اكبر فروع عشيرة العبيد هم البوعلي، ويشتمل البعض منهم بالزراعة بالقرب من نهر دجلة، و الباقرن رعاة ابل، ويعيش افراد العشيرة في خيام" (١٨٢). و في الواقع لم يطرا تحول ما على هذا الأمر الا بعد انجاز مشروع الحويجة الاروائي في العهد الملكي.

كان الثقل السكاني للعبيد داخل المنطقة التي نحن بصدد دراستها متواضعا. قدر التقرير البريطاني نفسه عدد العبيد في الحويجة والعظيم و الدليم معا بـ "حوالي الف دار (خيمة) و ١٠٠ رأس خيل" (١٨٥). و بقيت مناطق تمركز العبيد تقع بعيدا خارج كركوك و توابعا(١٨٦). ورد في تقرير رسمي عراقي يعود الى اواسط العقد الرابع من القرن الماضي عن عشيرة العبيد مانصه:

"عبيد: تقطن على ضفة دجلة اليمنى (الفريية) بين سامراء و كركوك، و هي من زييد، ورئيسهم العاصي و مظهر بك الشاوي" (١٨٧).

تنطبق الأقوال نفسها على عشيرة الجبور التي يمتد وجودها بالنسبة للمنطقة الكردية الى بعض توابع اربيل ايضا. و باعتبار الجبور واحدة من

(١٨٣) هكذا ورد في النص.

(١٨٤) "تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة بين الاحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقتها بالادارة البريطانية"، نقله الى العربية عبدالجليل الطاهر، بغداد، ١٩٥٨، ص ١٨٨.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(١٨٦) للتفصيل عن ذلك ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٩-١٩٢، عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص ١٤٤.

١٤٦-١٤٧، ١٩٩، ٢٠٠- وغيرها، الجزء الرابع، بغداد، ١٩٥٦، ص ٣٣، ٦١، ٢٠٨، ٢١٦ و غيرها.

(١٨٧) "دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٢٥-١٩٣١ المالية"، صدر باجازة من وزارة داخلية العراق رقم ٣٤٢ تاريخ

١٩٣٤/١٠-١٣، بغداد، ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥م، ص ٦٥٨.

اهم، واوسع العشائر العراقية فان مناطق تركزها الاساسية تقع بدورها بعيدا خارج كركوك وتوابعها(١٨٨). ورد في التقرير الرسمي الآنف الذكر عن عشيرة الجبور في اواسط العقد الرابع من القرن الماضي ما نصه:

"جبور: تقطن بين سامراء والموصل، وعلى جانبي دجلة، وقسم منها تسكن الجزيرة بجوار رأس العين على جانبي الخابور، ومنها من سكن في جنوبي سامراء، و في الجربوعة، رؤساؤها الشيخ شاهر في الموصل، والشيخ مراد الخليل في الحلة"(١٨٩).

توجد عشائر عربية اخرى في الجنوب، والجنوب - الغربي من كركوك اقل شأنًا من العبيد والجبور، منها اقسام من عشيرة النعيم التي جاء وصفها على لسان ادموندس، و كان حاكما سياسيا ومفتشا اداريا بريطانيا في كركوك على مدى سنوات عدة في العقد الثالث من القرن الماضي، ومن ثم معاونًا لمستشار وزارة الداخلية العراقية طيلة عقد كامل (من ١٩٢٥ حتى ١٩٣٥)، ومستشارًا طيلة عقد آخر (من ١٩٣٥ حتى ١٩٤٥)، هكذا:

"توجد في جنوب كردستان اسر اخرى من السادة.. مثل نعيم الذين يشوبهم دم عربي، لكن نفوذهم السياسي لا يعتد به"(١٩٠).

(١٨٨) للتفصيل عن ذلك ينظر: عباس الزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص ١٩٤، ١٩٧-١٩٩، ٢٤٨، ٣٧٢، ٣٠٦ وغيرها، الجزء الرابع، ص ٨٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥-١٤٧، ٢٠٧، ٣١٥-٣١٦.

(١٨٩) "دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية"، ص ٦٥٧-٦٥٨.

(190) C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics, travel and research in North- Eastern Iraq, London, 1954, P. 79.

في الترجمة العربية لجرجيس فتح الله بعنوان "كرد وترك وعرب. سياسة ورحلات وبعوث عن الشمال - الشرقي من العراق ١٩١٩-١٩٢٥"، بغداد، ١٩٧١، ص ٧٧.

يستحق تأريخ عشيرة البيات، ووجودها في المنطقة، وهفة خاصة. تعد المصادر الرسمية العراقية البيات عربا، وهذا هو الرأي الذي يتمسك به العديد من زعمائهم و مثقفيهم المعاصرين، فيما تؤكد معظم المصادر ان موطن البيات الاصلي هو خراسان، انتقلوا منها مع السلاجقة الى العراق فاتخذوه وطناً لهم(١٩١). عندما يتحدث ادموندس عن طوزخورماتو يقول: "ان ثلاثة ارباع سكانها من الداودة و{هي من العشائر الكردية المعروفة(١٩٢)}، و ثلثا الداودة يسكنون في اسافل الجبال، والثلث الاخر يسكن السهل. والعنصر الآخر الوحيد المهم في الناحية هو البيات، القبيلة العجيبة التكوين، يقال ان نواتها جاءت بالاصل من خراسان، وقراهم التي تزيد عن العشرين، تقع في الربع الجنوبي القصي من الناحية، الى جوار جبل حميرين وناحية قره تپه، و ثاراتهم وصادقاتهم مع القبائل العربية اكثر منها مع الكردية"(١٩٣). اما مؤرخ العشائر العراقية عباس العزاوي فيقول:

"وهؤلاء (البيات) من اقدم القبائل التركمانية، و لهم كيان خاص وهم مجموعة لا يستهان بها، يقطنون لواء كركوك، وكانوا في لواء واسط والآن مال قسم كبير منهم الى المدن، وصاروا في قلة، و اختلطت بهم عشائر عربية"(١٩٤).

(١٩١) للتعصيل عن ذلك ينظر: شاکر صابر الضابط، تأريخ التركمان في العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦١، ص ٦٠-٥٦.

(١٩٢) عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الثاني، ص ٦٦، ١٦٥-١٧٠، ٢١٢.
(193) C.J.Edmondes, Kurds, Turks and Arabs, PP. 277-278.

في الترجمة العربية ص ٢٥٢.

(١٩٤) عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، بغداد، ١٨٣٩، ص ٣٨.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

لاختلف اقوال الرحالة وملاحظاتهم عن ذلك. ينقل لنا ريج معلومات مهمة عن البيات الذين التقاهم، و اجتمع في الثامن والعشرين من نيسان سنة ١٨٢٠ برئيسهم حسن بك الملقب بقره قوش الذي اكد له ان السلطان العثماني هو الذي وزع عليهم اراضيهم في منطقة طوزخورماتو. يؤكد ريج بدوره ان اصل البيات من خراسان، لكنه يضيف ان "بعض العرب Some Arabs كانوا في حماية البيات" (١٩٥).

لاشك في ان صلات البيات بالعرب، واختلاطهم بهم قد تعزز اكثر بعد زوال سلطة العثمانيين، لذا فان المصادر الحديثة، بما فيها الكتب المدرسية في العهد الملكي، في الوقت الذي تعد البيات عشيرة عربية، الا انها لاتنكر، في الوقت نفسه، بانها "تشتمل على فروع تركمانية" (١٩٦). كما ان التقرير الذي اعدته اللجنة الخاصة التي الفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل في العام ١٩٢٤ يؤكد ان "البيات مزيج من الترك و العرب" (١٩٧).

لم تكن البيات، في كل الاحوال، معزولة عن الكرد. فان بعض فروع البيات ضمت الكرد ايضا، مثل گلهوند و ينكجيه (١٩٨). كما تؤكد مصادر

(195)C.J.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 23-24.

(١٩٦) ورد ذلك في كتاب "جغرافية العراق الثانوية"، بغداد، ١٩٢٨، ص ٩٠ لطف الهاشمي، الدكتور شاکر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٩١.

(197) League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq. Report submitted to the Council of the Commission instituted by the Council resolution of September 30, 1924", 1925, PP. 38-39.

(١٩٨) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص ٣٦٨، ٣٧٠.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

مختلفة، بما في ذلك كتب الرحالة، و مصادر اكايدمية حديثة(١٩٩)، شيوع اللغات الثلاث التركمانية و العربية و الكردية بين البيات. يقول المنشئ البغدادي الذي زار المنطقة في العام ١٨٢٠:

"و في تلك الانحاء تسكن قبيلة البيات، و يقرب عدد بيوتها من الفي بيت، يتكلمون التركية و الكردية و العربية، بعضهم شيعي، و البعض الآخر سني" (٢٠٠).

ومما يذكر ان عددا من زعماء البيات وقفوا الى جانب الزعيم الكردي الشيخ محمود في نضاله ضد البريطانيين، و استقبلوه في كفري مع الرؤساء الكرد في ايلول ١٩٢٢ حين مر موكبه بها بعد ان اعاده البريطانيون من منفاه في الهند، بل انهم رافقوه الى السليمانية، حيث اعلن الشيخ بعد مدة عن تشكيله لحكومته الكردية(٢٠١).

يلاحظ التداخل نفسه الى حدما بين الكرد و الجبور، خصوصا في محافظة اربيل، و بين الكرد و العبيد في توابع كركوك. فقد ورد في القسم الخاص بالعشائر المتوطنة في قضاء الحويجة التابع لمحافظة كركوك في " دليل التعداد العام للسنة ١٩٦٥":

"٢٣- المتفرقة، منها التكارثة و الدوريون و الأكراد. مركزها الحويجة، يقيمون في ٥ قرى تقع على جانبي حفر القبل، و قسم منها في مركز الناحية،

(199)M.A.Kamal, Natsionalno - Osvboditelnoe dvijenie v Irakskom Kurdistane, Baku, 1967, P. 102.

(٢٠٠)"رحلة المنشئ البغدادي"، ص ٥٤.

(201)C.J.Edmonds, Kurds ,Turks and Arabs, P. 301

(في الترجمة العربية ص ٢٧٢) P. 126. Natsionalo... ; M.A. Kamal,

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

وتبلغ مساحتها ١٠٠ كم^٢ (٢٠٢). كما ان بعض قرى الحويجة ظلت تحمل اسماء الكرد وعشائهم مثل مدينة الكراد والداودية وكواز كرد و كاميران حتى وقت متأخر حسب المصادر الرسمية العراقية (٢٠٢).

لم يتغير الواقع العشيري في كركوك وتوابعها كثيرا في العهد الملكي. وردت في تقرير رسمي عراقي، يعود تأريخه الى اواسط العام ١٩٢٩، معلومات مهمة بهذا الصدد، يقول نصها:

"عرب كركوك: ان القسم الأعظم من عرب كركوك مكون من العشائر المتأخرة المقيمة في حاشية اللواء الجنوبية الغربية، يعني من خمسة الاف جبوري وغيرهم على الزاب الأصفر (ناحية ملحة)، وستة الاف عبيدي في جبل حميرين (ناحية الشبيجة)، ويوجد عدد من العرب المستوطنين يستحق الذكر في القسم الجنوبي الأقصى لناحية قرهتپه، وهم عبارة عن خمسة الاف من العشائر القروية (الكروية) وغيرها، وان هؤلاء العرب بعيدون بدرجة انهم لا يمكن ان يعابأ بهم من الوجة السياسية في التأثير على رأي اللواء. وفي لواء كركوك، كما في اربيل، لا يوجد عنصر راق من العرب ينتمي الى المدينة لكي يمكن الاستناد اليها في تعريب اللواء" (٢٠٤).

(٢٠٢) "الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة. مديرية الشعبة الفنية.

دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥"، بغداد، ١٩٦٥، ص ٢٨٦.

(٢٠٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤ - ١٥٨.

(٢٠٤) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية، البلاط الملكي، التسلسل العام ١٣٢- و ع، رقم الملف: د/٧، موضوع

الملف، القضايا الكردية، ص ١٥، الوثيقة رقم ١.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

وفي الواقع لم تجر محاولات لتعريب كركوك وتوابعها طوال العهد الملكي الا في حدود ضيقة لم يكن من شأنها ان تؤثر على واقعها القومي(٢٠٥)، فان مشروع الحويجة الاروائي الذي تم انجازه في العقد الخامس من القرن العشرين ساعد على توطين الجبور و العبيد و الشيشان، والآخر عنصر غير عربي انتقل من القفقاس الى المنطقة في اواسط القرن التاسع عشر على اثر ضم روسيا القيصرية لبلادهم اليها(٢٠٦)، بينما اهمل القيمون على المشروع مصالح العشائر الكردية في المنطقة، و لاسيما الداودة التي ازيجت من مواقعها تحت ضغط العبيد بعد عبورهم لجبل حمرين في اواخر القرن الثامن عشر - اوائل القرن التاسع عشر، مما ولد بعض الحزازات بين الطرفين(٢٠٧).

لم يؤثر ذلك، كما قلنا، على الواقع القومي لكركوك و توابعها. فان نتائج الاحصاء الرسمي للعام ١٩٥٧، التي نشرت تفصيلاتها "بثلاثة عشر جزءا كاملا" في العام ١٩٦٥، تؤكد صحة، ودقة جميع المعلومات التي اوردناها بخصوص الوجود العشيري العربي في توابع كركوك. فموجب ذلك الاحصاء بلغ مجموع عدد افراد العشائر العربية المتوطنة (المستقرة) في لواء

(205)M.S.Lazarev, Kurdskaia Problema, - "Natsionalnie Protesssi v Stranakh Blijnevo i Srednevo Vostoka", Moscow, 1970, P. 157.

(206) C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P. 247.

في الترجمة العربية ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢٠٧) "تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة بين الأحوال الاجتماعية والسياسية

للعشائر العراقية وعلاقتها بالادارة البريطانية"، ص ٨٩.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

(محافظة) كركوك من غير البيات و المتفرقة و المختلطة التي ضمت العرب و الكرد و التركمان معا من دون تحديد هوياتهم القومية ٢٤٨٠٩ اشخاص(٢٠٨)، و بلغ مجموع عدد افراد العشائر العربية الرحالة (المتنقلة) فيها ١٣٦٦ شخصا فقط(٢٠٩)، فيكون مجموعهم معا ٣١٧٥ شخصا. اما عدد البيات، وكان جميعهم من المستقرين، فقد بلغ ٩٤٠٢، فاذا اعتبرناهم جميعا من العرب، و في هذا قدر من الاجحاف واضح، حينئذ يرتفع مجموع عدد افراد العشائر العربية المتوطنة و الرحالة في كل لواء (محافظة) كركوك الى ٤٥٥٧٧ شخصا، يقابلهم ١٧٨٠ تركمانيا، وجميعهم ايضا من المستقرين، بضمنهم ابناء عشيرة قوشجي، و ٦٢٢٢٨ كرديا، ٥٧١٠٢ من ابناء العشائر الكردية المتوطنة في المحافظة، و ٥١٢٦ منهم من ابناء العشائر الكردية الرحالة فيها(٢١٠).

يتألف النمط الثاني، المدني من الوجود العربي في كركوك وتوابعا من الموظفين و العمال و غيرهم من الكسبة الذين جاء معظمهم الى اللواء (المحافظة) بحثا عن العمل، اذ تحولت كركوك، بسبب انتاج النفط فيها، الى نقطة جذب للباحثين عن العمل، حالها في ذلك حال العاصمة بغداد والبصرة و الموصل، المحافظات الاربع التي ادى "تركز الصناعات" فيها الى "جلب اعداد كبيرة من المهاجرين الذين جاءوا من المناطق الزراعية،

(٢٠٨) "دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥"، ص ٣٨٢-٣٩٢.

(٢٠٩) المصدر نفسه، ص ٤٩٩-٥٠٢.

(٢١٠) المصدر نفسه، ص ٣٨٢-٣٩٢، ٤٩٩-٥٠٢.

وبخاصة من محافظة العمارة، حيث الحياة المجهدة في مزارع الرز، وتسلط الاقطاع في الماضي" (٢١١). احتلت كركوك، بحكم ذلك، المرتبة الثالثة بعد بغداد و الديوانية من حيث النسبة المئوية لزيادة سكانها في الحقبة الممتدة بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٧، وذلك بسبب الهجرة المتزايدة اليها، فان النسبة المئوية لزيادة سكانها بلغت ٣٦٪، أي بمقدار مرة ونصف الى مرتين اكثر من المحافظات الاخرى(٢١٢). يعلق احد المتخصصين على ذلك بالقول:

"ان القسم الاكبر من محافظة كركوك، وخاصة الجنوب منه، شبه جاف، ولكن وجود شركة النفط العراقية وآبارها العديدة في هذه المحافظة رفعت من نسبة الكثافة السكانية فيها" (٢١٣).

يبين تحليل نتائج احصائي عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٧ ابعاد هذا الموضوع بصورة واضحة. فبموجب اول احصاء رسمي عام اجري في العراق عام ١٩٤٧ بلغ مجموع سكان مركز قضاء كركوك من العراقيين ٦٧٧٥٦ شخصا، بلغ عدد المولودين منهم في لواء كركوك نفسه ٤٩٤٤١، اما الباقون فانهم كانوا من مواليد الالوية الاخرى، و ان معظمهم ماكانوا يمتون بصلة مباشرة الى سكان المدينة الأصليين، منهم، على سبيل المثال، ٣١٢٧ من مواليد لواء بغداد، و ٣١٦٥ من مواليد لواء الموصل، و ١٦٣٩ من مواليد لواء ديالى. وكان يوجد

(٢١١)الدكتور احمد نجم الدين، احوال السكان في العراق، من منشورات معهد البحوث و الدراسات العربية،

القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٩.

(٢١٢)المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٢١٣)المصدر نفسه، ص ٦٢.

بينهم من كانوا من مواليد المناطق العربية الجنوبية و الوسطى الذين جاء معظمهم مع اسرهم الى كركوك للعمل لدى شركة النفط بصورة خاصة، منهم ١٥٩٨ من مواليد العمارة، مركز الضخ السكاني بسبب الاستغلال الاقطاعي الفظيع، و ٨٦٣ من مواليد لواء المنتفك، و ٤١٠ من مواليد لواء الحلة، و ٣٦٠ من مواليد لواء البصرة، و ٣٧١ من مواليد لواء الكوت، و ٢١٣ من مواليد لواء الديوانية، و ٢٠٥ من مواليد لواء الدليم (الانبار)، و ٩٨ من مواليد لواء كربلاء. بينما تختفي هذه الظاهرة بالنسبة لريف كركوك(٣١٤).

اما بموجب احصاء العام ١٩٥٧، وهو اول احصاء رسمي عراقي يجري على اساس قومي، فقد بلغ مجموع العرب في لواء (محافظة) كركوك ١٠٩٦٢٠ شخصا، وعدد التركمان ٨٣٣٧١ شخصا، وعدد الاكراد ١٨٧٥٩٣ شخصا(٣١٥). وبموجب الارقام التفصيلية للاحصاء نفسه فقد بلغ مجموع الذين كانوا بالاصل من مواليد الموصل وبادية الجزيرة ٥٤٩٤ شخصا، ومن مواليد لواء بغداد ٤٨٥٥، ومن مواليد ديالى ٣٧٠٨، ومن مواليد لواء العمارة ١٨٤٧، ومن مواليد لواء الناصرية ٩٩٥، ومن مواليد لواء الرمادي (الانبار) والبادية الشمالية ٨٦٤، ومن مواليد لواء البصرة ٣٥٠، ومن مواليد لواء الكوت ٣٤٣، ومن مواليد لواء الحلة ٣١٣، ومن مواليد لواء الديوانية والبادية الجنوبية

(٣١٤) "الملكة العراقية. وزارة الشؤون الاجتماعية. مديرية النفوس العامة. احصاء السكان لسنة ١٩٤٧"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٥٤، ص ١١٥.

(٣١٥) "الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية النفوس العامة. المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧. لوائي السليمانية وكركوك"، بغداد - مطبعة العاني، دون سنة الطبع، ص ٢٤٣.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

٢٢٤، ومن مواليد لواء كربلاء ٧٥، ومن مواليد الاقطار العربية اكثر من ٣٠٠، فيكون المجموع ١٩٣٦٨ (٣١٦). واذا استثنينا حالات قليلة (كربلاء والبصرة والحلة) فان ارتفاعا كبيرا يلاحظ في نسبة سكان لواء (محافظة) كركوك المولودين في المحافظات الاخرى، تصل احيانا اكثر من مرتين قياسا بما كان عليه الامر في احصاء العام ١٩٤٧. ومن الجدير بالذكر ان الاحصاء نفسه يشير الى ان ١٣٥٣ من سكان محافظة كركوك كانوا من مواليد تركيا بالأصل (٣١٧). يستحق هذا الموضوع، بدوره، وقفة خاصة.

الترکمان في كركوك و توابعها:

تطرقنا ضمن المباحث السابقة الى جوانب مختلفة من هذا الموضوع الذي يحتاج، فضلا عن ذلك، الى تحديد تاريخي مستقل، ذلك لأن التركمان يؤلفون جزءا أساسيا من كركوك وتوابعها مجتمعا وثقافة و سياسة في إطار تاريخهما الحديث والمعاصر.

حسب المؤرخ التركماني العراقي شاکر صابر الضابط، وهو يستند في معظم مايقول على مؤلفات العرب والمسلمين القدامى، يرجع تأريخ اول دخول تركماني الى العراق الى العام ٥٤ للهجرة (٦٧٤ للميلاد) حين جاءت نصره للخليفة مؤلفة من أربعة الاف مقاتل.

(٢١٦)المصدر نفسه، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢١٧)المصدر نفسه.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

دشن هذا، على ما يبدو، تدفقاً تركمانياً ذا طابع عسكري الى العراق في عهود إسلامية مختلفة. يقول ابن خردادبة في "المسالك والممالك" ان "والي خراسان عبدالله بن طاهر كان يرسل الى العراق ألفي تركي سنوياً من مختلف مدن تركستان، وذلك تنفيذاً للأوامر الصادرة اليه من الخليفة". يقول الدكتور مصطفى جواد "وكما اجتذب قواد من بني أمية الأتراك، وجندوهم، كذلك اجتذبهم بنو العباس، فقد كانت دعاياتهم بلغت بلاد الترك في تركستان وآسيا الوسطى، وثاروا على بني أمية، واستنهضوهم داعين الى عيش رفيع جديد.. فتوافدت اليهم جموع غفيرة من الأتراك من طامع في مال، وراغب في تبديل حال، ومتطوع يظن طاعة لوجه الله". ورد في "العقد الفريد" (٢٠٣/٢) لابن عبد ربه إن هارون الرشيد أدخل التركمان في جيشه وحرسه الخاص. وكان معظم حرس المأمون منهم أيضاً، كما جند المعتصم جيشاً منهم، أسكنهم في سامراء سنة ٢٢١ للهجرة (٨٣٦ للميلاد)، وفي عدد من المواقع الاستراتيجية. تعزز هذا النمط من وجود التركمان في العصر البويهي (أواسط القرن العاشر حتى أواسط القرن الحادي عشر للميلاد)، فقد كان "غالب جنود الدولة البويهية من الديلم والترك" (٢١٨).

بالاستناد الى هذه الحقائق، ومجموعة كبيرة غيرها، يستخلص الضابط إستنتاجاً يقول نصه "يظهر مما تقدم ان المواطنين الأتراك في العراق كان قد عهد اليهم واجب الدفاع عن وطنهم ضد الهجمات الخارجية، والمحافظة على الامن

(٢١٨) عن ذلك ينظر،

شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان في العراق، الجزء الاول، ص ٢٨، ٢٨-٤٠، ٤٢، ٤٥-٤٤، ٥٠-٨٧ وغيرها.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

الداخلي. ونجدهم لذلك قد أسكنوا في العصر الاموي والعباسي الأول في المدن و الثغور والمواقع العسكرية الاستراتيجية في مختلف أنحاء العراق. فقد إستوطنوا في البصرة، واسط، بغداد، سامراء، تكريت، الموصل، تلعفر، أربيل، كرخيني (كركوك)، بندنجين (مندي) ومناطق ديالى الأخرى، وشهرزور (منطقة حلبجة) وغيرها من المناطق"، وإن "الأتراك الذين نزحوا الى العراق حتى عهد الدولة البويهية كانوا قد إتخذوا أواسط العراق وجنوبه وطناً لسكناهم وإقامتهم، والمدن والمناطق الاستراتيجية في الشمال، وخاصة في سامراء والموصل وأربيل وكركوك و تكريت وغيرها"⁽²²⁰⁾.

يستحق رأي اللجنة الخاصة التي الفتها عصابة الامم للبت في مشكلة الموصل إهتماماً خاصاً في هذا المجال ذلك لان اللجنة رجعت الى عدد كبير من المصادر والمراجع، واستأنست بآراء المستشرق المعروف، أحد مؤلفي "دائرة المعارف الاسلامية" وصاحب مقالة كركوك فيها ج.هـ. كريمرز (J.H.Kramers)، ولانها (اللجنة) لم تتأثر بآراء البريطانيين والكماليين - طرفي النزاع على ولاية الموصل. أكدت اللجنة وجود جماعتين رئيسيتين من الترك في ولاية الموصل - ترك شرقيين وترك غربيين، تتكلمان لهجتين مختلفتين، وإن أفرادهما منحدرون عن جنود الخلفاء العباسيين المرتزقة، وعن جنود طغرل و حلفائه، وعن جنود الاتابكة، وعن جنود السلاطين العثمانيين وضباطهم و موظفيهم في العصور المتأخرة(٢٢٠). وأغلب الظن ان

(٢١٩)المصدر نفسه، ص٥٢،٤٧.

League of Nations.Question of the frontier between Turkey and Iraq",P.47.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

هذا الواقع هو الذي دفع أدموندس الى ان يستخدم في كتابه "كرد وترك وعرب" مصطلح التركمان للدلالة على أهل القرى، أو المدن الذين هم من سواد المجتمع فيها، ويتكلمون التركمانية عموماً، والترك للدلالة على افراد الاسر الارستقراطية من بقايا الموظفين والعسكريين العثمانيين من ترك وغيرهم ممن إستتركوا، ولاسيما في مدينة كركوك نفسها، ممن يتكلمون التركية العثمانية.

تذهب المصادر العلمية العراقية الى الرأي نفسه حول اصل التركمان، ومناطق وجودهم في العراق(٢٢١)، كما ورد في الدليل الرسمي العراقي عنهم، إنهم؛ "أنزلوا في العهد السلجوقي والعهد العثماني في مراكز على خط عسكري عند ملتقى المنطقتين العربية والكردية ثم نمت هذه المراكز فأصبحت مدناً كبيرة مثل تلعفر و الكوير ومخمور والتون كويري وداقوق و طوز خورماتو وخانقين ومندلي والبيزاني، وكانت لغتها التركمانية تمثل السلطة الحاكمة لعهد قريب"(٢٢٢).

في ظل العثمانيين تعزز وجود التركمان ونفوذهم في كركوك وتواجعا، ولاسيما بعد أن دخلتا ضمن الاملاك العثمانية دخولاً رسمياً ثابتاً وفق

من المفيد أن نشير الى ان شاكر صابر الضابط لم يعترض على هذا الرأي بل لورد مضمونه العام في الص ٣٢-٣٤ من كتابه المذكور "موجز تاريخ التركمان في العراق".

(٢٢١) ينظر على سبيل المثال في:

الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية. بغداد، ١٩٧٢، ص ٢١١-٢١٢، طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص ١٠٠-١٠٤، فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢٢٢) "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠"، ص ٤٢١.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

معاهدات الحدود الاولى بين الدولتين العثمانية و الصفوية، بدءا بمعاهدة
أماسيهه الموقعة بين الطرفين يوم التاسع والعشرين من أيار سنة ١٥٥٥(٢٣٣).
ومما له مغزاه ان إشارات صريحة وردت في الوثائق العثمانية الرسمية
بخصوص النزاع حول الحدود مع إيران، الى سناجق "شهرزور و كركوك و
رواندوز و عمادية و حكاري (هكاري) و وان و بايزيد" بوصفها مناطق
كردية حتى في وقت متأخر مثل العام ١٩٠٨(٢٢٤).

منذ وقت مبكر من إحتلالهم إحتفظ العثمانيون بحامية من الجنود
الانكشاريين في كركوك، لتستعيد بذلك الأهمية التي كانت تتمتع بها في عهد
ماقبل الاسلام، وذلك "باعتبارها حصنا بوجه عدوات من الشرق - من
إيران"(٢٢٥). وقد تعزز الوجود العسكري العثماني هذا بمرور الزمن بسبب
إزدياد الحاجة للحفاظ على الطريق التجاري الممتد من الأناضول الى العمق
العراقي، ولردع العشائر الكردية، ولاسيما الهموند التي كانت تمثل خطرا
حقيقيا في كركوك و توابعا. إحتفظت كركوك بموقعها هذا حتى أواخر
العهد العثماني حين كان الجند يخرجون منها لقمع الخارجيين على الباب

(223) J.H Kramers,Kirkuk,-" The Encyclopedia of Islam ", VOL.II, P.1028;
C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.265.

(٢٢٤) عن ذلك ينظر،

M.S.Lazarev,Kurdistan i Kurds kaya Problema (90-e godi XIX Veka.
1917g.),Moskva,1964,PP.134-135;M.S.Lazarev,Kurds kii Vopros1891-
1917,Moskva,1972,P.141.
(225)"The Encyclopedia of Islam ", Vol.II,P.1028

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

العالي في أقاصي كردستان(٢٣٦). و قبل الحرب العالمية الاولى بمدة فتح العثمانيون
رشدية عسكرية في كركوك التي تحولت قبل ذلك التاريخ الى "موطن يمد
الحكومة العثمانية بالموظفين المدنيين والجندرمة موضع الإعتماد" فظهر بين
الترکمان من تقلد "مناصب مهمة في الجيش والادارة" في ذلك العهد .وارتبط
قطاع مؤثر من التركمان بالارض والزراعة، إذ أغدق الباب العالي على
بعضهم "إقطاعيات زراعية كبيرة"(٢٣٧).

بحكم هذه العوامل، وغيرها، ظهرت أرستقراطية تركمانية خصوصا داخل
كركوك نفسها، تمتعت بنفوذ سياسي و إقتصادي و ثقافي كبير تعزز الى حد
كبير مع إنتقال السلطة الى الاتحاديين إثر ثورتهم في العام ١٩٠٨. يقول
متخصص بهذا الصدد مانصه:

"ونهج الاتحاديون السياسة العثمانية السابقة، وزادوا عليها بأذكاء الروح
القومية عند التركمان (في العراق) وفتحوا العديد من فروع جمعية الاتحاد والترقي

(٢٣٦) عن ذلك تنظر في،

"لغة العرب" (مجلة)، بغداد، الجزء العاشر من السنة الثالثة، عن جمادى الاولى ١٣٣٢/نيسان ١٩١٤، ص٥٥٧.

(٢٣٧) للتفصيل عن هذه الأمور ينظر في ،

S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq ,P.43;C.J.Edmonds, Kurds,
Turks and Arabs,pp.265-266; " Iraq.An Introduction to the Past and Present of
the Kingdom of Iraq", by a Committee of Officials,Baltimore, 1946,P.30;

فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٦-١٠٨ طه الهاشمي، مفصل جغرافية
العراق، ص١٠٠-١٠١.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

في مناطقهم، وانتسب اليها الكثير منهم، وقبلوا الطلاب التركمان في مدارس استانبول، وشجعوهم على السفر اليها.. "(٢٢٨).

تركت هذه الامور بصماتها القوية على مختلف جوانب الحياة في كركوك و توابعا في العهد العثماني، حتى ان اسرا كردية معروفة، او اجزاء منها غيرت هويتها القومية، منها الاسرة اليعقوبية (آل يعقوب زاده) المعروفة التي تنتمي الى عشيرة زمنگنه الكردية(٢٢٩)، مع العلم ان يعقوبيي اربيل حافظوا على هويتهم القومية الاصلية. وكان يعقوبيو كركوك من ملاكي المنطقة البارزين، مما منحهم نفوذا كبيرا. لم تقتصر هذه الظاهرة على كركوك، فإن الضابط البريطاني في الجيش العثماني الميجر ملنجن لاحظ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كيف ان العديد من كرد ارضروم و وان غيروا هويتهم القومية "من اجل التقرب من الدولة، ونيل الامتيازات".

تجاوزت الافرازات الثقافية التركية ذلك، فان التركية بوصفها لغة السلطة و التعليم إنتشرت على نطاق واسع في كركوك وتوابعا، خصوصا وان العثمانيين أولوا التعليم في كركوك إهتماماً أكبر مما أولوه في معظم المدن العراقية الاخرى، انهم أسسوا فيها، على سبيل المثال، مدرسة للصنائع في وقت مبكر مثل العام ١٨٧١، وهي كانت واحدة من ثلاث مثلها في كل العراق،

(٢٢٨) فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٧-١٠٨.

(229)C.J.Edmonds,Kurds, Turks and Arabs, P.266.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

كما إنهم أسسوا اول مدرسة سلطانية(٢٣٠) عراقية في كركوك عام ١٩١٠، وافتتحوا الثانية في بغداد بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات (في كانون الاول ١٩١٣)، في حين "لم تنجح مساعي والي الموصل مطلع العام ١٩١٤ في تحويل المدرسة الاعدادية هناك الى مدرسة سلطانية". وكانت التركية هي لغة التدريس في جميع المدارس وغيرها، حتى أن اللغة العربية كانت تدرس في المدارس العراقية باللغة التركية، ومن قبل معلمين أتراك، وكان مجموع الساعات الاسبوعية المخصصة للغة التركية في المدارس الرشدية والاعدادية اثنتين وعشرين ساعة، أي ضعف الساعات المخصصة للعربية بوصفها لغة الدين والقرآن (٢٣).

أدت الصحافة والمؤلفات الادبية التركية دورها الملموس في هذا الضمار. فكما هو معلوم ان العديد من الصحف العراقية كانت تصدر إما باللغة التركية، أو بالتركية والعربية، أو بالتركية والكردية معاً، كما ان صحافة إستانبول لقيت رواجاً واضحاً بين مثقفي الكرد والترکمان سواء في كركوك، أو في مدن المنطقة الاخرى. وينطبق القول نفسه على نتاجات أشهر المثقفين الترك المحدثين من أمثال نامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨) الذي تأثر به أبرز شعراء الكرد، منهم الشيخ رضا الطالباني الذي كان على إتصال شخصي

(٢٣٠) اعدادية متطورة، كانت تدرس اللغة الفرنسية بوصفها مادة إضافية.

(٢٣١) للتفصيل عن هذه الموضوعات ينظر في:

الدكتور إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢)، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٣٩، ٥٨-٦٠، الدكتور جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩-١٩١٨، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٦٠-١٦٢، ١٩٠ وغيرها.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

به، وقد أبدع هو، وغيره من أدباء الكرد المعروفين، باللغتين الكردية والتركية كما نبين ذلك بشيء من التفصيل في مبحث اخر من هذه الدراسة.

لاغرو إذن ان تحولت التركية الى لغة الثقافة والتخاطب على نطاق واسع لابين تركمان كركوك وتوابعا وحنهم، بل ايضاً بين الكرد و العرب وغيرهم هناك دون ان يؤثر ذلك على واقصهم القومي. فعسبما يؤكد كريمز ان اليهود وحنهم كانوا يتكلمون بالعربية في كركوك قبل الحرب العالمية الاولى، فيما كان مسيحيو كركوك، الذين قدر عددهم بثلاثمئة وخمسين أسرة يتكلمون "بالتركية، ويكتبون بالاحرف السريانية"^(٢٣٢).

امتدت هذه الظاهرة الى توابع كركوك ايضاً، فقد لاحظ الرحالة ان "لغة اهل دوزخورماتو هي الكردية والتركية"^(٢٣٣). سجلت مجلة علمية عراقية معاصرة الملاحظة الآتية عن عرب زين العابدين:

"مزار الامام زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي، وهو بناء ذو ثلاث قباب مشيد على تل أثري عال يقع الى الشمال الشرقي من قسبة داقوق، وعلى بعد ٧ كم، يتوسط قرية تعرف باسمه، سكانها معظمهم من العرب، ولكن اللغة السائدة بينهم هي اللغة التركية"^(٢٣٤).

تأثر التركمان بدورهم بعرب المنطقة وكردها في إطار تائر و تأثر غير قسري. نورد بهذا الخصوص ما ذكره طه الهاشمي:

(232)J.H.Kramers, Kirkuk,-"TheEncyclopediao of Islam",VOL,P.1028.

(٢٣٢) "رحلة المنشئ البغدادي"، ص٣٩.

(٢٣٤) "السومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٣٩.

كركوك و تواجعا حكم التآريخ والضمير

"ولاشك في ان هؤلاء (الترکمان) لم يحتفظوا بسجاياهم التركية الاصلية، لانهم إختلطوا بالاكرد والعرب، وامتازوا عن اترك الاناضول"^(٢٣٥). كما يقول فيصل محمد الارجيم عن لغتهم إنها "إبتعدت كثيرا عن الاصل، وتخللتها مفردات عربية وكردية"^(٢٣٦).

تختلف المصادر في تقدير عدد التركمان في العراق قبل إحصاء العام ١٩٥٧ الذي أشرنا الى تفصيلاته بالنسبة لهم في البحث السابق. فإن المثقفين التركمان كانوا يبالغون في تقديراتهم، ربما بتأثير شيوع لغتهم على نطاق واسع، فيما كان غيرهم يذكرهم أرقاما أقل من الواقع بكثير، إذ أعادوا بعد مرور عقود من الزمن نفس الرقم (٦٠ ألفاً) الذي قدمته الحكومة البريطانية سنة ١٩٣١ الى عصبة الأمم في آخر تقرير لها عن سير الادارة في العراق^(٢٣٧)، وهو الرقم الذي ذكره طه الهاشمي أيضاً في العام ١٩٣٠^(٢٣٨)، بل ان بعضهم ذكر في العام ١٩٧٥ رقماً أدنى حتى من ذلك (٢٨٨٥٢ فقط) بالاستناد الى مرجع يعود تأريخ طبعه الى العام ١٩٣٦^(٢٣٩)، الخطأ الذي وقعت فيه أيضاً

(٢٣٥) طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص ١٠٧.

(٢٣٦) فيصل محمد الارجيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٧.

(237) "Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", London, 1931, P.279.

(٢٣٨) طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص ١٠٠-١٠١. أكد المؤلف ذلك مرتين، الاولى في الص ١٠٠ والثانية في

الص ١٠١.

(٢٣٩) ينظر على سبيل المثال،

فيصل محمد الارجيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٦، ٢٨٦-٢٨٧.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

فيه أيضاً مصادر غربية، منها كتاب عن العراق وضعته لجنة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية، فقد قدر نفوس التركمان باقل من ثلاثين ألفاً(٢٤٠).

يحدد الدكتور عبدالرحمن الجليلي منطقة سكن التركمان في العراق المعاصر على النحو الآتي:

"وهناك شقة من الارض طويلة، ضيقة تسكنها الاقلية التركية في أماكن متقاربة، وإن لم تكن متلاصقة، وتمتد من غربي الموصل الى أربيل، الى كركوك جنوباً، وتستمر حتى تصل قريباً من بغداد، وهي في معظمها من مخلفات الجيوش التركية التي غزت العراق، فتركت فيه حاميات في أماكن مختلفة إختلطت بالمحيط، فأحتفظت ببعض مقوماتها، واكتسبت في نفس الوقت عادات وتقاليد البيئة (الجديدة)، كما ان في المدن الكبيرة عدداً لا يستهان به ممن يمتون بالصلة في الاصل الى الاتراك"(٢٤١).

قبل أن نختم هذا المبحث نرى من الضروري أن نشير الى أن أفضل العلاقات كانت تربط مابين الكرد والتركمان، سواء في كركوك وتوابعها، أو في المناطق الاخرى (٢٤٢)، الأمر الذي لاحظته مراقبون أجانب أشاروا إليه في مؤلفاتهم بصورة خاصة. يقول المقدم الشيخ عبدالوحيد عن ذلك:

"Iraq. An Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq"، P.30.

(٢٤١)الدكتور عبدالرحمن الجليلي، محاضرات في اقتصاديات العراق، القاهرة، ١٩٥٥، ص١٤.

(٢٤٢) يحتفظ المؤلف بصورة وثيقة مهمة محفوظة في دار الكتب والوثائق عبارة عن برقية احتجاج شديدة اللهجة رفعها المقدم (فيما بعد الفريق) عمر علي احتجاجاً على تجاوز عدد من الجنود على قرية برزانية في العام ١٩٤٧.

حركات و توابعا حكم التاريخ والضمير

" وقامت امتن العلاقات بين الشعبين الكردي والتركي بسبب كثرة الاختلاط بينهما، والسياسة العكيمة التي اتبعها السلاطين بمنعهم الولايات الكردية الحكم الذاتي التام. كان من أهم نتائج منح الاكراد الاستقلال التام داخل اطار الامبراطورية العثمانية انهم اشتركوا مشاركة فعالة مع الحكومة التركية، وتعاونوا معها تعاوناً وثيقاً.. " (٢٤٣).

لكن شرحاً ما بدأ يعترني تلك العلاقات بحكم عوامل مصطنعة يتحمل الجميع بدرجات متفاوتة وزر خلقها واثارتها بصورة، او بأخرى، يأتي البريطانيون في مقدمتهم من حيث التسلسل الزمني في سياق التاريخ المعاصر.

كركوك وتوابعا في ظل الاحتلال البريطاني

احتلت كردستان عموماً موقعا مهما في وقائع الحرب العالمية الاولى على صعيد الشرق الاوسط، وحظيت باهتمام الاطراف المتحاربة، ولا سيما بريطانيا في جبهة الحلفاء (٢٤٤). ومما يهمنا في مجال بحثنا بهذا الخصوص هو ان البريطانيين، على الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكردي المشروعة في اتفاقياتهم، ومراسلاتهم السرية في سنوات الحرب بخصوص مستقبل الاصقاع غير التركية من الامبراطورية العثمانية، الا أنهم أشاروا

(٢٤٣) للقدم الشيخ عبدالوحيد، الاكراد وبلادهم، ص ١٣٢ و١٣٣.

(٢٤٤) للتفصيل عن ذلك ينظر،

المكتور كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الثانية، ترجمة محمد الملا عبدالكريم المدرس، منشورات المجمع العلمي الكردي، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٤، ٤١٦ صفحة.

حركات و تواجعا حكم التاريخ والضمير

فيها صراحة الى مصطلح كردستان واطارها الجغرافي. ففي المذكرة المفصلة السرية التي اصدرتها وزارة الخارجية البريطانية (تقع المذكرة في ثلاث وعشرين صفحة من الحجم الكبير) بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٨ ورد نص صريح يبين أن كردستان العراق تمتد الى الشرق من نهر دجلة والى ماوراء جبل حميرين(٢٤٥).

ومن المهم أن نلاحظ أيضاً ان الشريف حسين أشار صراحة في مراسلاته السرية مع البريطانيين في سنوات الحرب العالمية الاولى الى أنه يقصد بالعراق "ولايتي بغداد والبصرة التركيتين السابقتين" (٢٤٦) (في النص الانكليزي: "the former Turkish Vilayets of Basra and Baghdad – together Iraq") كما تؤكد الوثائق نفسها أن أقصى ما كان يطمح اليه الشريف حسين بالنسبة للدولة العراقية التي تقرر أنشاؤها هناك هو أن تمتد حدودها بحيث تشمل "أثار بلاد ما بين النهرين" التي كان يقصد بها نينوى (٢٤٧).

بعد مرور يوم واحد على اعلان لندن الحرب ضد الدولة العثمانية في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩١٤ باشرت القوات البريطانية من الجنوب بإحتلال العراق. لكن تلك القوات لم تبلغ المناطق الكردية الا في السنة

(245)Public Record Office,C.O., 733/424/75981-3303,Political Intelligence Department, Foreign Office ,Special I, Memorandum about Settlemnt of Turkey and the Arabian Peninsula, Secret,PP.5,7.

(246)Ibid, P.6.

(247)Ibid,P.6.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

الاحيرة من الحرب، وقبيل ذلك فقط بدأت الاتصالات المباشرة بين البريطانيين وزعماء الكرد. فبعد احتلال بغداد في الحادي عشر من اذار ١٩١٧ اتصل البريطانيون لأول مرة بهؤلاء في كركوك والسليمانية. يقول لونجريك عن ذلك:

"لم يجز الضباط السياسيون، الذين كانوا يتقدمون الجيش البريطاني الزاحف، أي اتصال مع الاكراد قبل سقوط بغداد، ولذلك كانت العلاقات التي أقامها البريطانيون مع الاكراد بعد سقوط بغداد في شهر اذار ١٩١٧ مخيبة للأمال. ولم تعقب الرسائل التي تبودلت مع الكرد الساكنين في كركوك والسليمانية أي رسائل اخرى. وكانت خانقين هي المنطقة الكردية الوحيدة التي فتحت أبوابها أمام التطفل البريطاني.." (٢٤٨).

بعد سقوط خانقين تعززت اتصالات البريطانيين بالزعماء الكرد، فقد عين الخبير بشؤون الكرد، العليم بلفتهم الميجر سون ضابطاً سياسياً هناك اعتباراً من السادس من كانون الاول سنة ١٩١٧، وهو نفسه الذي زار المنطقة، بما فيها كركوك، متنكراً قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بسنوات. اتصل سون من خانقين بزعماء الكرد، بمن فيهم رؤساء الطالبانية. وما ان احتل البريطانيون كفري في ايار سنة ١٩١٨ حتى أقاموا صلات أوثق بعدد من الشخصيات الكردية في كركوك وتوابعا، منهم الشيخ حميد الطالباني ونجله

(248)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950.A Political, Social and Economic History, Lonoon, 1955,P.96.

في الترجمة العربية لسليم طه التكريتي بعنوان "العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠"، الجزء الاول،

بغداد، ١٩٨٨، ص ١٦٢.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

الشيخ وهاب الطالباني^(٢٤٩). وقد أخبرت السلطات البريطانية زعماء الكرد هؤلاء، وغيرهم في أكثر من مناسبة، أثناء الحرب وبعدها مباشرة، أخبرتهم "بصورة رسمية أنها لاتنوي ان تفرض عليهم إدارة غريبة على تقاليدهم، ورغباتهم"^(٢٥٠). ولم تأت مثل تلك التأكيدات اعتباطاً، فان رؤساء العشائر الكردية الذين إتصل بهم البريطانيون ، بمن فيهم رؤساء عشائر كركوك وتوابعا، أكدوا منذ البداية تمسكهم بحقوق شعبهم القومية. ورد في مذكرة بعثها الحاكم المدني من بغداد يوم السابع من كانون الاول سنة ١٩١٧ الى شخص الوزير البريطاني لشؤون الهند مايلي:

"واعتقدت العشائر الكردية بصورة عامة أن الفرصة الان اصبحت مواتية للمطالبة بحقوقها القومية، وقد تم إحياء فكرة الحكم الذاتي التي ظهرت بذورها في ظل الحكم الدستوري (التركي). ومما زاد الفكرة عمقاً الشروط المعلنة للعرب في البيان الذي اعدتم إعلانه من قبلنا يوم فتح بغداد(٢٥١)، والتي أظهرت وجهة نظر مغايرة تماماً نحو الطموحات، والامال القومية مقارنة بتلك (الشروط) التي كانت مطبقة من قبل الترك"^(٢٥٢).

(٢٤٩) دار الكتب والوثائق، الملف رقم ١٢/٨، موضوع الملف، تقارير شهرية عن خائنين، "تيگه بشتني راستي" (فهم الحقيقة)، جريدة باللغة الكردية، بغداد، ٢٦ آب ١٩١٨، C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.29 (في الترجمة العربية ص٣٢).

(250) Elie Kedouri, The Kingdom of Iraq: A Retrospect, - " The Chatam House. Version and other Middle Eastern Studies ", London 1970,P.256.

(٢٥١) يقصد البيان الذي أذاعه الجنرال مود على أهالي بغداد يوم احتلالها من قبل القوات البريطانية في الحادي عشر من اذار سنة ١٩١٧.

(252) Public Recerd Office, F.O., 371/3407,X/M 7739,B.12950, No.101150.

في خضم حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الاولى اصدر البريطانيون منذ اليوم الاول من كانون الثاني عام ١٩١٨، أي قبل احتلال كركوك بمدة، جريدة كردية في بغداد تحمل اسم "تيگميشتنى راستى" "فهم الحقيقة"، استهدفوا منها كسب الكرد الى جانبهم، وابعادهم عن العثمانيين. زينت "تيگميشتنى راستى" صدر عددها الاول بهذا الشعار "صحيفة سياسية اجتماعية تخدم اتحاد الكرد وحررتهم" الموضوعة التي تكررت مراراً في مواد أعدادها التالية، ومقالاتها الافتتاحية (٢٥٣).

وجهت "تيگميشتنى راستى" نداءاتها الى رؤساء الكرد في كركوك والسليمانية وتوابعهما اكثر من أي منطقة كردية أخرى، فقد حثت مرارا العشائر الكردية في كركوك-الطالباني والجاف والهموند و زمنگنه وشوان وشيخ بزيني وغيرها، على إثارة "حركة واسعة" من أجل انقاذ المنطقة الكردية "من براثن العثمانيين المتخلفين". وتغنت الصحيفة بين الجميع بمآثر الهموند بوصفها دليلاً على شجاعة الكرد لتحريضهم على حمل السلاح، فقالت "لاداعي لكي نبتعد كثيراً، فقبل سنوات مضت أذلت عشيرة الهموند الكردية عساكر الترك والعجم مرارا" (٢٥٤). أولت "تيگميشتنى

(٢٥٣) للتحصيل عن ذلك ينظر،

الدكتور كمال مظهر احمد، "تيگميشتنى راستى" و موقعها في الصحافة الكردية، من منشورات المجمع العلمي الكردي، بغداد، ١٩٧٨.

(٢٥٤) تنظر على سبيل المثال،

"تيگميشتنى راستى"، العددان ١٧ و ١٩، ٢٣ شباط و ٥ آذار ١٩١٨.

راستی"، في الوقت نفسه، وقائع الحرب في دوزخورماتو وكفري وداقوق و كركوك وغيرها اهتماما خاصا، ونشرت اخبارها باللغة الكردية بصورة مثيرة^(٢٥٥). وكانت أعداد الصحيفة تنقل الى كركوك وتوابعها، مثلما تنقل الى المناطق الكردية الاخرى التي كان يتزود بعضها بنسخها عن طريق كركوك تحليدا. ولايخلو مثل هذه الحقائق، بالتأكيد، من مغزى سياسي وثقافي محدد.

اتخذ البريطانيون إجراءات اخرى تجسد المغزى نفسه بوضوح أكبر. فبعد احتلالهم كفري في ايار ١٩١٨ قاموا بإحصاء تقديري لسكانها، ولسكان دوزخورماتو وقرمته اللتين كانتا تابعتين لها ادارياً يومذاك، مما يعد عملياً اول إحصاء يجري لسكان المنطقة بأسلوب حديث. حسب الاحصاء المذكور بلغ مجموع سكان المنطقة سبعين ألفاً ونيفاً، قدر المستقرون منهم بثمان وعشرين ألفاً. اما التوزيع الاثني والديني لهؤلاء فكان على النحو الآتي:

١. ٤٢٨٢ من التركمان موزعين على كفري و دوزخورماتو و قرمته.
٢. ٤٥٨ يهودياً.
٣. ٢٧٦ إيرانياً.
٤. ٣٧ عربياً موزعين على دوزخورماتو و قرمته.
٥. ١ مسيحي في كفري.
٦. أكثر من ٦٠ ألف كردي موزعين على كفري و دوزخورماتو و قرمته (٢٥٦).

(٢٥٥)تنظر على سبيل المثال،

"تنگمبشتنی راستی"، الأعداد ٢٧ و ٢٨ و ٤٠، و ١٢ ايار و ٥ آب ١٩١٨.

"Administration Report for the Gadha of Kifri since its occupation (May 1918) to December 31st 1918", in " Reports of Administration for 1918 of

وحسب تقرير البريطانيين الاداري الذي وضعوه بعد احتلال المنطقة مباشرة، كان جميل بيك بابان، ومن بعده كريم بيك الجاف أهم شخصيتين متنفذتين في كفري ودوزخورماتو وقرمته، كما حددوا فيه أسماء أهم العشائر الكردية هناك وهي الجاف والطالباني والداوده ودهلو و زفند و زهنگه و بالاني(٢٥٧). ورد في وثيقة اخرى، يعود تأريخها الى الحقبة نفسها "أن القرى العديدة في تلول قرمته كردية صرفة" (٢٥٨).

احتل البريطانيون مدينة كركوك لأول مرة يوم السابع من ايار سنة ١٩١٨. كان ذلك حدثاً مهماً بالنسبة لهم، لذا فإن وكيل الحاكم المدني المرافق للجيش البريطاني ارنولد ولسن انتقل إليها عن طريق الجو بعد احتلالها مباشرة. عن ذلك يقول ولسن نفسه مايلي:

"وبعد أيام قليلة طرت إليها (الى كركوك) للبحث في الوسائل التي نستطيع أن نعالج بها، على الوجه الافضل، كثيراً من المشكلات العاجلة الناجمة عن زحف (القوات البريطانية)، وأن نجد عطف العشائر الكردية، وحسن نيتها" (٢٥٩).

اتخذ البريطانيون، بعد احتلالهم كركوك مباشرة، سلسلة إجراءات من اجل تنظيم شؤونها الادارية، فتم تعيين النقيب بولارد حاكماً سياسياً

Division and Districts of Occupied Territories in Mesopotamia “, Vol.I,PP.414-415.

(257)Ibid,P417.

(258)Public Record Office,F.O., 371/5069-4342,P.3.

(259)A.T.Wilson, Meseptamia 1917-1920. A clash of loyalties. A personal and historical record, London, 1930,P.86.

في الترجمة العربية لؤؤاد جميل بعنوان "بلاد ما بين النهرين بين ولاءين"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٧١ص٢٨٧.

للمدينة وتوابعها. تعرف بولارد، حسبما يذكر التقرير الاداري عن كركوك، على "ابرز شيوخها ومنتفذيها من الكرد والترکمان"، وطلب منهم مساعدته في ادارة المنطقة. وكان اهم إجراء اداري إتخذه بولارد هو تأليف ماعرف بـ "محكمة السلم" على غرار المناطق المحتلة الاخرى التي تشكلت فيها محاكم بهذا الاسم من اجل "ضمان النظام والهدوء" وعين على رأسها احمد حمدي لفندي، وهو من الشخصيات الكردية المعروفة في المدينة، كان قاضياً في العهد العثماني، قدر له ان يؤدي دوراً واضحاً في ادارة كركوك وتوابعها، وفي الحياة الثقافية الكردية فيها كما نبين ذلك فيما بعد (٣٠٠).
هكذا اعاد التاريخ نفسه على ارض الواقع تماماً كما حدث عند احتلال العثمانيين لكركوك لأول مرة قبل ذلك التاريخ بحوالي اربعة قرون.

رحب الشيخ محمود، كذلك زعماء الهموند، بإبعاد العثمانيين من كركوك، وبعثوا رسائل خاصة الى ولسن بهذا الخصوص. قال الشيخ محمود في رسالته "إن أهالي كردستان قد سرهم هذا النجاح" وهم يتطلعون الى الازدهار بمساعدة البريطانيين "على ما ازدهر العراق سواء بسواء"، واختتم رسالته "راجياً ان يعطى الضمان الكافي بالألا يسمح، في أي ظرف كان، للسلطة التركية بأن تعود الى كردستان مرة اخرى" (٣١١).

(260) "Administration Report, Kirkuk District, period October 26th - December 31st", in : " Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia ", Vol I, P.430.

(261) A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920, P.86.

في الترجمة العربية، الجزء الثاني، ص ٢٨٨.

لظروف سوقية خاصة اضطر البريطانيون الى الانسحاب من كركوك يوم الرابع والعشرين من ايار ١٩١٨، فرجع اليها العثمانيون في الحال، مما ترك اثرا كبيرا على وضع البريطانيين في كل كردستان الجنوبية. يقول ولسن بهذا الصدد: لو ابقى قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال "قطعاته في دوز (طوز)، او لو لبث في كركوك، لاختلف الوضع في كردستان الجنوبية كلها خلال السنتين المقبلتين" (٢٦٢).

يتفق لونجريك مع ولسن تماما حين يذكر بصدد الموضوع نفسه: "كان تقدم القوات البريطانية باتجاه كركوك في ربيع سنة ١٩١٨ قد قوى آمال الانكليز في اجراء اتصال مع جنوبي كردستان، وقوبل وصول القوات الانكليزية الى كركوك من دون مقاومة تذكر من الاهالي، ومن عشيرة هموند (الكردية)، غير ان تخلي البريطانيين عن كركوك قد ادى الى حدوث مأس... (٢٦٣).

قبل الانسحاب من كركوك مباشرة كتب ولسن رسالة الى الشيخ محمود مبينا له الوضع، وطالبا منه ان يأخذ حكم المنطقة على عاتقه، كما اعد منشورا خاصا حول هذا الموضوع، حالت عودة العثمانيين السريع دون

(262)Ibid, P.9.

في الترجمة العربية، الجزء الثاني، ص ١٥٨.

(263)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,PP.96-97.

في الترجمة العربية، الجزء الاول، ص ١٦٣.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

نشره كما يؤكد ذلك بنفسه. وما أن اعاد هؤلاء احتلال كركوك حتى أرسلوا مفرزة الى السلیمانیة أقت القبض على الشيخ محمود (٣٤).

اعاد البريطانيون احتلال كركوك يوم السادس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩١٨، وتم هذه المرة تعيين الكابتن (فيما بعد الميجر) نوثيل (E.W.C.Noel) حاكماً سياسياً على كركوك وتوابعها، وقد باشر مهام عمله يوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩١٨. ومما له مغزاه أن نوثيل بالتحديد كان اكثر البريطانيين تحمساً للکرد، ولقضيتهم القومية، بل يكاد أن يكون "لورانس الكرد" تماماً، الامر الذي يبدو جلياً من تقاريره السرية التي كان يرفعها الى الجهات البريطانية العليا في تلك المرحلة(٣٥). يقول ولسن في تعليق له على تعيين نوثيل : "وكانت تعليماتي التي وجهتها اليه مايلي: عينت حاكماً سياسياً لمنطقة كركوك إعتباراً من أول تشرين الثاني (١٩١٨)، وهذه المنطقة تمتد من الزاب الصغير الى ديالى، وفي الشمال الشرقي الى الحدود التركية الايرانية"(٣٦)، وهذا يعني بالتحديد إعتبار كركوك والسلیمانیة وقسم كبير من اربيل وجميع توابعها وحدة ادارية واحدة، ولا نرى داعياً للتاكيد على أن البريطانيين لم يتخذوا مثل هذا القرار اعتباطاً.

(264)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.87.

في الترجمة العربية، الجزء الثاني، ص٢٨٩.

(٣٥)عن ذلك تنظر مثلاً في،

"Documents on British Foreign Policy,1919-1939",First Series,Vol.IV,London, 1952,PP.678,693,742,782.

(266)A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.128.

حول الموضوع نفسه تنظر كذلك، "العالم العربي" (جريدة) بغداد، العدد ١٢٠١،١٢،١٩٣٦.

مع إنتهاء الحرب العالمية الاولى اولت الخارجية البريطانية موضوع ادارة "كردستان الجنوبية" ومستقبلها إهتماماً مباشراً. ففي الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الخميس الموافق للسابع عشر من نيسان ١٩١٩ عقد في مقر وزارة الخارجية بلندن مؤتمر مصغر خاص برئاسة شخص وزير الخارجية اللورد كيرزن، حضره عدد من كبار المسؤولين المعنيين بقضايا الشرق الاوسط في وزارات الخارجية والحربية والمالية والهند، فضلاً عن وكيل الحاكم المدني البريطاني ارنولد ولسن. وردت في التقرير السري الذي أعدت عن أعمال المؤتمر، والذي يقع في سبع صفحات من الحجم الكبير، معلومات مهمة عن "سكان ولاية الموصل" نقل ادناه أهمها:

"ان سكان ولاية الموصل القديمة، التي لم تقترح حالياً أي اجراءات ادارية بحق من يقطنون خارجها (يقصد كرد تركيا)، يتألفون طبيعياً من ثلاثة أقسام: القسم الاول عبارة عن شق كردي نقي مواز لحدود بلاد فارس، يقدر عددهم بحوالي ١٥٠ ألف نسمة. ان كرد هذه المنطقة لا يختلفون عن كرد بلاد فارس فيما وراء الحدود. والقسم الثاني عبارة عن شق يمر عبر كفري وكركوك والتون كويري واربييل، يتراوح عددهم ما بين ٢٥٠ و ٢٠٠ ألفاً. إن معظم السكان هنا كرد مستقرون لا يشبهون جيرانهم كثيراً (في عاداتهم وتقاليدهم) سوى في لغتهم.. أما القسم الثالث فهو السكان المتبقون من ولاية الموصل الذين لايزيد عددهم عن ١٠٠ ألف نسمة، جلهم من العرب، والقسم الاكبر من هؤلاء (العرب) من المستعربين. جرى تجاهل النسبة الضئيلة من بدو العرب من وجهة نظر سياسية ان ثلثي سكان مدينة الموصل نفسها من العرب، والثلث المتبقي خليط من الكرد والمسيحيين وآخرين، ولا توجد في المدينة طبقة سائدة، فيما يوجد هناك عدد قليل من الاسر الكردية المتنفذة. كان بالامكان اقامة حكم ذاتي في

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

كردستان تكون مدينة الموصل عاصمته. ان هذا يرضي الرأي الكردي، وربما يؤدي الى تكوين دولة شبه مستقلة وقوية، يفوق الكرد على العرب فيها عدداً. لكن من جهة أخرى ان ذلك لايناسب سكان مدينة الموصل نفسها الذين كانوا يتوقعون إقامة ادارة عربية لاكرديية حين طالبوا أن تكون الموصل ولاية مستقلة" (٣٧).

في الاجتماع نفسه عرض تقرير الميجر نوثيل الذي اقترح فيه جعل السليمانية مركزا لولاية "تضم نهري ورواندوز، وربما كلا من عقرة وأربيل وكركوك وكفري و خانقين" (٣٨).

خلف الكابتن لونجريك (٣٩) نوثيل وكيلاً للحاكم السياسي في كركوك و تواجعا، فوفقت على عاتقه مهمة إقامة المؤسسات الإدارية الجديدة فيهما. فرض الواقع القومي لكركوك نفسه على كل خطوة خطاها لونجريك في الميدان الاداري في تلك المرحلة الحرجة، وكانت اولى تلك الخطوات، واهمها قاطبة تأسيسه لمجلس ادارة مهمته "مساعدة الحاكم السياسي البريطاني هناك". تألف المجلس من اثني عشر عضوا كانوا موزعين على النحو الآتي:

١. عضو مسيحي.

٢. عضو يهودي.

(267)Public Record Office, F.O., 371/4149/4325,Inter-Departmental Conference on Middle East Affairs, Minutes of a Conference held at the Foreign Office on Thursday, April 17,1919,at 4.30 P.M., Secret, P.2.

(268)Ibid,P.7.

(٣٩)S.H.Longrigg، وهو نفسه الذي الف فيما بعد مجموعة كتب قيمة عن تاريخ العراق الحديث والمعاصر، أهمها قاطبة كتابه "أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" الذي ينطوي على معلومات في غاية الأهمية بالنسبة لوضعنا، ولقد أعيد طبع ترجمته العربية حوالي عشر مرات، ليحتل بذلك المقام الاول في تاريخ المطبوعات العراقية.

كركوك و نوابهما حكم التاريخ والضمير

٣. عضو عربي.

٤. ثلاثة اعضاء يمثلون التركمان.

٥. ستة اعضاء يمثلون الكرد.

سجلت التقارير البريطانية التفصيلات المتعلقة بكل واحد من اعضاء مجلس

ادارة كركوك المذكورين، وكرست لهم وثيقة ، ندون فيما يلي ترجمتها:

العدد	الاسم	محل الإقامة	المصالح من يمثل وغير ذلك (المهنة)	الهوية الشخصية	
				الجنس	الدين
١	احمد خانقاه	كركوك وقرية علي غابر	رجل دين ومزارع كبير	كرد	سني
٢	احمد حمدي افندي	كركوك	رجل دين، موظف قاضي	كرد	سني
٣	مجيد افندي (٢٧٠)	كركوك	رئيس بلدية (في العهد العثماني) ملاك و موظف	تركمان	سني
٤	حسين بيك نفظجي	كركوك وقرية طوبزاوا	مصالح محلية (خصوصاً آبار النفط)، ملاك تاجر ومزارع يمثل المثقفين	تركمان	سني
٥	حاجي جميل بيك	كركوك	تاجر ومزارع يمثل المثقفين	تركمان	سني
٦	حسقيل افندي	كركوك	يمثل الطائفة اليهودية . تاجر	يهودي	يهودي

(٢٧٠) هو نفسه مجيد اليعقوبي، وكما اسلفنا ينتمي يعقوبو كركوك ال عشرة زمگنه الكرديه.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

٧	قسطنطين أفندي	كركوك	يمثل الطائفة المسيحية، تاجر و مزارع	كلداني	مسيحي
٨	جميل بيك بابان	كنگران قرب كفري	ارستقراطي محلي	كردي	سني
٩	عمر اغا	كفري	ملاك - مزارع	كردي	سني
١٠	الشيخ حميد الطالباني	غيل	عشيرة الطالبانية، ملاك عشائري	كردي	سني
١١	حسين العلي	الصحراء	عربي، شبه بدوي، غير مزارع	عربي	سني
١٢	رضا بيك	كلار، على نهر دبال	مزارع مستقر من الجاف	كردي	سني(٢٧١)

ومما يجدر ذكره أن حسين العلي هو من زعماء عشيرة العبيد المعروفين، وكان هو واولاده الذين خلفوه في زعامة العشيرة، على علاقات طيبة مع كرد المنطقة، ومع الزعماء الكرد، خصوصاً مع الشيخ محمود الذي كانوا على اتصال مباشر به (٢٧٢).

فضلاً عن المجلس أشغل الكرد والتركمان تقريباً جميع الوظائف الادارية في كركوك وتوابعها في مرحلة الاحتلال البريطاني، كما كان عليه الامر في العهد العثماني، وقد وردت اشارات صريحة الى ذلك في العديد من التقارير والوثائق البريطانية الخاصة التي يعود تاريخها الى تلك الحقبة. ففي دوائر

(271)Public Record Office, F.O., 371/4152-3717.

(٢٧٢) نورد حقائق محددة عن ذلك في المبحث الخاص بعلاقة حركات الشيخ محمود بكركوك وتوابعها، فضلاً عن المبحث الخاص بمشكلة الموصل.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

البلدية، مثلاً، استخدم البريطانيون العديد من موظفي العهد العثماني من كرد و تركمان، و أسسوا دوائر خاصة بالواردات في كركوك و توابعها "كان يشرف عليها الحاكم السياسي في كركوك، ومساعدته في بقية المقاطعات (٢٣)، يعاونهم عدد من الموظفين الكرد" كما ورد أيضاً في تقرير اداري بريطاني يحمل تاريخ العشرين من آب سنة ١٩١٩ (٢٤).

ويبدو واضحاً من الوثائق البريطانية الخاصة ان اقامة بعض المؤسسات الادارية في كركوك و توابعها كانت تعتمد على موقف الكرد تحديداً، فباعترافهم لم يتمكن البريطانيون في البداية من تأليف قوة خاصة للشرطة في كركوك "بسبب امتناع الاكرد عن الالتحاق بها"، مما اجبرهم على استقدام ثلاثين شرطياً من خارج كركوك(٢٥).

الى جانب احتفاله بمعظم الموظفين السابقين لم يمس لونكريك ايضاً سلطة زعماء العشائر الكردية في كركوك و توابعها. في تعليق له على ذلك يقول المتخصص في تاريخ العراق المعاصر، المستشرق ل.ن. كاتلوف مانصه:

(٢٣) في سنوات الاحتلال البريطاني كان الاقليم الذي يشرف عليه الحاكم السياسي يدعى منطقة (District)، والجزء التابع له الذي يشرف عليه معاون الحاكم السياسي يدعى مقاطعة (Division) إدارياً، وكانت المنطقة تعادل اللواء او المحافظة، والمقاطعة تعادل القضاء. عن ذلك ينظر:

C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, p.9.

(274)Public Record Office, F.O, 371/4149,H325,Administration Record during British Occupation by Political Department,India Office,20 th August,1919.

(275)"Administration Report.Kirkuk District,Period October 26 – December 31" 1918", in :“Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories,in Mesopotamia “, Vol.I, P.435.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

"وبقيت النواحي المرتبطة بمنطقة كركوك يديرها موظفوها القدامى، وزعماء القبائل من الاقطاعيين و الاغوات لان سلطات الاحتلال البريطاني لم تتبع سياسة مركزية قاسية في منطقة كردستان خوفاً من إثارة زعماء القبائل فيها الذين كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي خلال العهد العثماني" (٢٧٦).

اتخذ البريطانيون في سنوات الاحتلال سلسلة من الاجراءات الاخرى التي لها مغزاها السياسي والاداري والثقافي بالنسبة لموضوعنا، من ذلك، على سبيل المثال، أنهم أصدروا اعتباراً من يوم الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٩١٨ جريدة بأسم "النجمة" في كركوك، وردت تحت اسمها عبارة "موقعها في دائرة الحكومة- كركوك". صدرت "النجمة" في البداية بالعربية، لكنهم سرعان ماغيروا لغتها الى التركمانية - لغة الثقافة والكتابة السائدة يومذاك بين مثقفي كركوك من كرد وتركمان. ورد في التقرير البريطاني عن ادارة كركوك سنة ١٩١٨ ان تغيير لغة الجريدة جرى "بسبب الرغبة العامة" التي سادت المدينة(٢٧٧). ومن المفيد أن نشير الى أن "النجمة" وجدت طريقها الى الكرد في مدن كردستان الاخرى على نطاق واسع. ومن المفيد أن نشير أيضاً الى أن اول اتصال تلغرافي أنشأه البريطانيون بعد احتلال مدينة كركوك مباشرة كان مد خط مباشر بين كركوك و السليمانية، ومن ثم بين كركوك والمناطق الكردية الاخرى فيما بعد (٢٧٨).

(٢٧٦)ل.ن. كوتلوف، حركة التحرر الوطني في العراق قبل ثورة العشرين، ترجمة الدكتور نوري السامرائي، في

"مجلة كلية الاداب"، البصرة ، العدد السابع لسنة ١٩٦١، ص ١٥٧.

(277) "Administration Report, Kirkuk District..." , Vol.I,P.436.

(٢٧٨)عن ذلك تنظر في:

كركوك أو توابعها حكم التاريخ والضمير

بقيت كركوك تؤول مركز الادارة الرئيس لمعظم مناطق كردستان الجنوبية طوال سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٢٠)، بل لم يجز فصل كركوك عن "جنوب كردستان" في المراسلات، والوثائق البريطانية التي تعود الى تلك الحقبة. ففي حديثه عن الصعوبات التي تعترض عملياً تأليف لجنة خاصة للنظر في مستقبل العراق الاداري فصل وكيل الحاكم المدني البريطاني ارنولد ولسن مدينة الموصل وحدها عن "جنوب كردستان" ضمن ولاية الموصل، اذ يقول في تقرير له يحمل تاريخ الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٨ ما نصه:

".. الى جانب هذا فإن جميع طاقاتي، وطاقات الموظفين الرئيسيين معي ستطلبها المهمة الدقيقة الخاصة بالتعرف على اتجاه الرأي المحلي المسؤول في الموصل وجنوب كردستان وولايتي بغداد والبصرة...". (٣٧٩)

في ضوء ذلك جرى البت في موضوع ادارة العراق بعد إنتهاء الحرب. في برقيته الى وزارة الهند بتاريخ العشرين من شباط عام ١٩١٩ اقترح ولسن "أن يحكم العراق من قبل مندوب سام، يكون في امرته أربعة وكلاء يديرون المناطق الآتية: ١- البصرة، ٢- بغداد، ٣-الفرات، ٤- الموصل". ثم اضاف: ولكن اذا "منح شيء من الحكم الذاتي لكردستان" و "اذا منحت كردستان مركزاً

" النجمة " (جريدة)، كركوك، العدد الثاني، ١٦ كانون الاول ١٩١٨.

(279)Public Record Office,F.O. 371/3387/194885,from Political Officer,Baghdad,November 23,1918;Ghassan R. Atiyyah, Iraq 1908-1921.A Political Study,Beirut,1973-P.169;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢٠، ترجمة عطا عبدالوهاب، دار اللام، لندن، ١٩٨٨، ص ٢٢٥.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

قانونياً منفصلاً فسيكون هناك خمسة الولاية"^(٢٨٠)، مما يعني اضافة لواء جديد الى الولاية الاربعة الاخرى باسم كردستان، يضم جميع ولاية الموصل ماعدا مدينة الموصل نفسها، ليصبح العراق بذلك مؤلفاً من الناحية الادارية من البصرة و بغداد والفرات والموصل وكردستان.

في التاسع من ايار سنة ١٩١٩ ابلغ وزير الدولة البريطاني موافقة حكومته

الى ارنولد ولسن بالصيغة الآتية:

" نخولكم المباشرة بإنشاء خمسة الولاية في العراق بحدوده المعلومة.. كذلك انشاء لواء عربي في الموصل يعده شريط من دولة كردية ذات حكم ذاتي برئاسة شيوخ اكراد، مع مستشارين سياسيين بريطانيين"^(٢٨١).

ولئن لم تطبق هذه التوصيات بحذافيرها لاسباب نتطرق الى تفصيلات بعضها لاحقاً، الا ان شيئاً مماثلاً لها هو الذي طبق، والذي ابقى كركوك و توابعا مرتبطة، في كل الاحوال، ببقية المناطق الكردية، اذ قسم البريطانيون العراق على ست عشرة وحدة ادارية، تسمى الوحدة منها منطقة (District)، هي بغداد والبصرة و القرنة و العمارة والناصرية و الكوت و السماوة و الحلة (بضمنها كربلاء) و بعقوبة و سامراء و الديلیم و

(280)Public Record Office,F.O., 371/4184/60942, Secret,Mesopotamia: Future Constitution, Draft Reply to Seretary of States Telegram of February 14,1919;Gh.R.Atiyyah, Iraq 1908-1921,P.181;

غسان العطية، العراق . نشأة الدولة، ص ٢٣٩.

(281)Public Record Office,F.O.371/4149/72964,from Secretary of State to Civil Commissioner, Baghdad,May 19th, 1919;A.T. Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.123;Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921,PP.184-185;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص ٢٤٢.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

الشامية (بضمنها النجف) ودير الزور و الموصل و خانقين و اخيرا كركوك(٢٨٢).وهذا يعني ان جميع المناطق الكردية الممتدة الى الشرق والجنوب من خانقين ، والى الشرق من الموصل، أي أكثر من ثلاثة أخماس كردستان الجنوبية كانت ترتبط بكركوك ادارياً، بما فيها أربيل والسليمانية و كفري ورواندوز و كويسنجق والتون كوبري و داقوق ودوزخورماتو وغيرها، واختير فتاح باشا متصرفاً لهذه المنطقة المهمة، وكان يتقاضى راتباً شهرياً قدره ١٢٠ روبية، وراتبه هذا كان، مثل راتب متصرف البصرة، يفوق راتب جميع متصرفي المناطق الاخرى، بما في ذلك متصرف بغداد ناجي شوكت(٢٨٣)، مما يؤشر، دون ريب ، خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ومن المهم ان نشير الى ان فتاح باشا كان برأي البريطانيين تركمانياً (*)، وجاء اختياره من قبلهم كأول متصرف لكركوك وتوابعا على أساس كونه "يحظى باحترام الكرد" كما ورد نصاً على لسان المندوب السامي البريطاني في العراق بيرسي كوكس أثناء المداولة في المسألة الكردية امام مؤتمر القاهرة في آذار ١٩٢١، وهذا هو النص الانكليزي لكلامه:

"Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Meseopotamia ", Vol.I;S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.13

في الترجمة العربية، الجزء الاول، ص ٨٢.

(٢٨٣) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل ٥٤٢-٥٤٣، رقم الملف ١١/٢، موضوع

الملف ، ملاك وزارة الداخلية لسنة ١٩٢١، ص ٢٨-٤٠، " العراق " (جريدة)، بغداد، ٢٩ كانون الثاني ١٩٢١.

(*) مع العلم أنه كردي. ينظر، مير بصري ، اعلام الكرد ص ١٦١-١٦٢.

"Fatah Pasha, a Turk whom the Kards regarded with favour, had been appointed Mutassarif of Kirkuk" (284).

في البداية فصلت أربيل و رواندوز بومن ثم فصلت كويسنجق عن كركوك بوم تأليف شبه لواء جديد مركزه أربيل ،وبديره نائب متصرف، بقي مرتبطاً بكركوك ادارياً لغاية نيسان ١٩٢٣، فيما بقيت السليمانية وتوابعها، وبواقع مساحة ٦٥٠٠-٧٠٠٠ ميل مربع ضمن كركوك، اذ استمرت الاولى تمثل مقاطعة (Division) تتبع كركوك بوصفها منطقة (District) (٢٨٥)، وبقيت السليمانية تتبع كركوك ادارياً حتى اواسط العام ١٩٢٥ حيث تم تعيين أول متصرف عراقي لها (٢٨٦)، ولكن حتى حينذاك كانت كركوك تشمل ادارياً منطقتي بازيان و قره داغ، اللتين ضمتا الى السليمانية بتدخل من الوزير الكردي المعروف محمد امين زكي في العام ١٩٢٧ (٢٨٧).

(284) Public Record Office, F.O., 371/6343,4372, Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30, 1921, P.5.

(285) Public Record Office, 371/5069,4342, Administration Report of Sulaimanyah Division for the year 1919, P.4; " Special Report by His Majestys Government to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", PP.50,252-254; S.H. Lorigrigg, Iraq 1900 to 1950, P.131 .

في الترجمة العربية، الجزء الاول، ص ٢٢٤.

(286) C.J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, PP.413,435.

في الترجمة العربية : ص ٣٦٩، ٢٨٧.

(٢٨٧) محمد امين زكي محاسبه نيابته، بغداد، ١٩٢٨، ص ٧.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

وبعد الحرب أيضاً تم تأليف قوة خاصة بأسم "قوة كردستان الجنوبية" مقرها كركوك، وهي نفسها التي قامت بقمع إنتفاضة الشيخ محمود في حزيران سنة ١٩١٩ (٢٨٨).

تبلورت أبعاد الاجراءات الادارية هذه اكثر بعد وضع العراق تحت الانتداب البريطاني، وبتجاه يبين باستمرار روابط كركوك بكردستان على جميع الصعد.

كركوك و توابعها في بداية عهد الانتداب

في المؤتمر الذي عقده المجلس الاعلى للحلفاء (بريطانيا وفرنسا و ايطاليا واليابان و الولايات المتحدة الامريكية بصفة مراقب) في سان ريمو بايطاليا، والذي إستغرقت أعماله اسبوعاً كاملاً (من ١٩ حتى ٢٦ نيسان ١٩٢٠) تقرر منح بريطانيا الانتداب "على العراق و ولاية الموصل" (٢٨٩). وفي ضوء مواد معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا الموقع عليها في اليوم العاشر من آب من العام نفسه في سيفر قرب باريس تم وضع لائحة خاصة من قبل عصبة الامم تضمنت شروط الانتداب، والتزامات بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على العراق.

" العالم العربي " ١٧٦هـ لول ١٩٦١ (288)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.137;

"People without a Country>The Kurds and Kurdistan ", Zed Press, London, 1976,P.160.

تألفت اللائحة المودعة لدى عصبة الأمم، والموزعة نسخها بصورة رسمية على الدول الموقعة على معاهدة سيفر، بما في ذلك تركيا، من عشرين مادة، ورد في المادة الثامنة منها " .. ولا تميز فئة على أخرى في العراق بسبب جنسية أو دين أو لغة . ويشجع المنتدب التعليم بلغات العراق الوطنية". ونصت المادة السادسة عشر منها على أن:

"لأشء في هذا الانتداب يمنع المنتدب في تأسيس حكومة مستقلة إدارياً في المقاطعات الكردية كما يلوح له" (٢٩٠).

أورد العديد من الكتاب القوميين العرب نص هذا البند في مؤلفاتهم، كما فعل ذلك، مثلاً، السياسي والحامي القومي المعروف، رئيس الوزراء الأسبق عبدالرحمن البزاز في محاضراته التي ألقاها عام ١٩٥٤ على طلبة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، وكان مقرها في القاهرة يومذاك (٢٩١)، وكما فعل ذلك أيضاً غيره (٢٩٢). وحسب معلوماتنا جاءت

(٢٩٠) ينظر نص لائحة الانتداب في:

عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨، المحق رقم ٢، ص ٣٠٤-٣٠١.

(٢٩١) عبدالرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٣٠. وفي الطبعة الثالثة من الكتاب بعنوان "العراق من الاحتلال حتى الاستقلال"، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣٣٥.

(٢٩٢) ينظر على سبيل المثال،

محمود الدرة، القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق، بيروت، ١٩٦٢، ص ٧٦.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

جاءت آخر اشارة عراقية الى نص هذا البند في صحيفة "الجمهورية" في
اواسط ايلول من العام ١٩٩٢ (٢٩٣).

دشن الانتداب عهدا جديدا في العراق يعرف تاريخيا بعهد الانتداب الذي
استمر بصورة رسمية حتى اليوم الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢-تاريخ
دخول العراق في عصبة الامم.

شهدت المرحلة الاولى من عهد الانتداب تطورات في غاية الاهمية، امتدت
آثارها بقوة الى المناطق الكردية، وهي مثبتة في سلسلة من الوثائق
والتقارير الدولية، والوثائق الرسمية البريطانية والعراقية وغيرها، تبين
جميعها الطابع القومي لكركوك و تواجعا بوضوح.

في الخامس من تشرين الاول سنة ١٩٢٠ عينت لندن الدبلوماسي العليم
بشؤون الشرق الاوسط، سفيرها لدى طهران يومذاك السير بيرسي كوكس
اول مندوب سام للحكومة البريطانية في العراق. وصل كوكس بغداد بعد
سته ايام، وباشر في الحال يتخاذ سلسلة من الاجراءات الادارية لتنظيم
شؤون العراق، كان اهمها تأليف "مجلس الدولة" (Council of State)
برئاسة عبدالرحمن النقيب في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة
١٩٢٠، والذي دخل التاريخ باسم الحكومة المؤقتة. ان ما يهمننا من هذا
الموضوع هو ان الشخصية التركمانية، الجنرال في الجيش العثماني السابق،
عزت باشا الكركوكي، وهو كما يبدو من لقبه من اهالي مدينة كركوك،

(٢٩٣) "الجمهورية" (جريدة)، بغداد، العدد ٨٢٩٦، ١٩ ايلول ١٩٩٢، ص ٢.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

أختير لاشغال حقيبة وزارة المعارف والصحة في الحكومة المؤقتة، وسبق أن اختير عزت باشا نفسه ممثلاً عن الكرد في "لجنة الانتخابات العراقية" التي تم تأليفها قبل تشكيل الحكومة المؤقتة باشهر قليلة، وقد اشارت الى ذلك الوثائق البريطانية التي تخص الموضوع(٢٩٤). وكما يبدو واضحاً من رسائل المس بيل(٢٩٥) أن عزت باشا الكركوكي كان يؤدي، فعلاً، دور الوسيط بين الرؤساء الكرد والسلطة، وهذا ما جعله يتمتع بوزن كبير(٢٩٦).

وطيلة مدة وجود الحكومة المؤقتة التي استمرت حتى الثالث والعشرين من آب ١٩٢١، يوم تتويج فيصل الاول ملكاً على العراق، لم ترتبط كركوك و توابعا، حالها في ذلك حال جميع المناطق الكردية الاخرى، بالحكومة المؤقتة ادارياً، بل بقيت مرتبطة بالمندوب السامي البريطاني مباشرة، وذلك بموجب قرار ابلغ كوكس الحكومة المؤقتة به بصورة رسمية، على أن تكون ضمن المنطقة الكردية عموماً، بما فيها كردستان تركيا، تابعة لقسم الشرق المستحدث في وزارة المستعمرات. وقد جاءت صياغة الموضوع هكذا:

(٢٩٤) عن ذلك ينظر في:

محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي. دراسة تاريخية سياسية، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٧٦، ص١١٣. (٢٩٥) من المفيد ان نشير الى أن الجهات المسؤولة جمعت نسخ الترجمة العربية لرسائل المس بيل التي انجزها المترجم المعروف جعفر خياط، ونشرتها وزارة الاعلام سنة ١٩٧٧، وذلك بعد أن أحست تلك الجهات ان مضمون العديد من تلك الرسائل لا يخدم سياسة الدولة، بما في ذلك موقفها من القضية الكردية وعمليات التعريب التي كانت تنفذها في المناطق الكردية.

(٢٩٦) "العراق في رسائل المس بيل"، ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط، قدم له وزاده تعليقاً عبدالحميد العلوجي، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧، ص٣٥.

"نصت المادة الرابعة والستون من معاهدة سيفر على انه اذا طالبت غالبية اكراد المناطق الواقعة بين حدود ارمينيا وبلاد ما بين النهرين خلال سنة من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ بالاستقلال، واذا اقتنع مجلس العصبة بانهم مؤهلون لذلك، فعلى تركيا أن تتخلى عن حقوقها في تلك المناطق. في تلك الحالة لن تعارض الدول المتحالفة الرئيسة (بريطانيا العظمى، فرنسا، ايطاليا، اليابان) على الانضمام الطوعي للکرد القاطنين في المقاطعات المعروفة باسم كردستان الجنوبية، والتي ضمت الى ولاية الموصل، الى هذه الدولة المستقلة. وبانتظار حدوث هذا، فان اللجنة التي ضمت ممثلين عن اقسام وزارة المستعمرات المعنية، اوصت بان تناط مسؤولية كردستان بقسم الشرق الاوسط الجديد في وزارة المستعمرات البريطانية.. وقد ابلغ كوكس مجلس الدولة العراقي (الحكومة المؤقتة) بانه سيكون مسؤولاً عن الجزء الكردي العراقي، أي مقاطعتي كركوك والسليمانية وبعض أجزاء البلاد شمال الموصل (٢٩٧).

في النص الانكليزي:

"Cox had already informed the Iraqi Council of State that he would be responsible for the Kurdish part of Iraq, i.e. the Kirkuk and Suleimannieh divisions and some country north of Mosul.

استمر هذا الوضع الاداري لكركوك و توابعا حتى بعد تتويج فيصل رداً اخر من الزمن كما نلاحظ ذلك ضمن المباحث اللاحقة من هذه الدراسة.

ان اهم حدث سياسي تزامن مع وجود الحكومة المؤقتة العراقية كان مؤتمرا خاصا في القاهرة عالج ، ضمن قضايا اخرى، ابعاد القضية الكردية

(297)Ph.Graves, The life of Sir Percy Cox, Second Impression, London and Melbourne, P.283.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

في العراق، ومستقبل كردستان الجنوبية من مختلف جوانبهما، وعلى نطاق واسع مس كركوك وتوابعا بصورة مباشرة.

كركوك و توابعا امام مؤتمر القاهرة

توسعت شؤون المستعمرات البريطانية و تشعبت كثيرا مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، مما تطلب من لندن عناية فائقة تعتمد الدبلوماسية، والدراية. جرى ذلك التوسع بالاساس على حساب مناطق في الشرق الاوسط دخلت ادارتها لأول مرة في حوزة البريطانيين، وكان العراق يؤلف، دون ريب، أهم تلك المناطق.

كان نقل السياسي المحنك ونستن تشرشل (جرجل) من وزارتي الحربية والطيران الى وزارة المستعمرات واحدا من الاجراءات التي لجأت اليها لندن لمعالجة الموقف الجديد. أول ما فكر فيه وزير المستعمرات البريطاني الجديد، كان تأسيس قسم خاص لشؤون الشرق الاوسط، مهمته تخطيط السياسة البريطانية تجاه هذه المنطقة الحساسة. وكان تقليص نفقات الحكومة البريطانية في هذه المنطقة يمثل المهمة الاولى التي تنتظر حلاً عاجلاً نظراً لاستياء دافع الضريبة البريطاني الذي وقع على كاهله جزء كبير من مصاريف الحرب العالمية الاولى الباهظة التكاليف.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

من هذا المنطلق ارتأى جرجل عقد مؤتمر خاص، يحضره المسؤولون البريطانيون في اقطار الشرق الاوسط، بما في ذلك العراق الذي طرح موضوع مستقبل حكمه على بساط البحث أمام المؤتمر.

تألف الوفد العراقي الى المؤتمر من المندوب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس والسكرتيرة الشرقية لدار الانتداب المس بيل، ومستشاري وزارات المالية والدفاع والاشغال والمواصلات في الحكومة المؤقتة، وكان جميعهم من البريطانيين، كما ضم الوفد ايضاً وزيرين عراقيين هما وزير الدفاع جعفر العسكري، ووزير المالية ساسون حسقيل بوصفهما عضوين استشاريين. كان على المؤتمر ان يبت بالنسبة للعراق في الموضوعات الآتية:

- علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا من حيث النفقات.

- تحديد من سيتولى حكم العراق.

- تحديد نوع وشكل الجيش العراقي.

- " وضع المناطق الكردية، وعلاقتها بالعراق " (٢٩٨).

ترأس جرجل المؤتمر بنفسه، كما اشترك في اعماله، إضافة الى كبار المسؤولين البريطانيين في الشرق الاوسط، عدد من كبار مسؤولي وزارات الحربية و المالية والطيران.

(298)"The Letters of Gertrude Bell", Selected and Edited by Lady Bell,D.B.E, London,Eleventh Printing, April 1930,PP.431-432;

عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٣٦.

عقد المؤتمر، الذي دخل التاريخ باسم "مؤتمر القاهرة"، على مرحلتين؛ الأولى في القاهرة حيث افتتح يوم الثاني عشر من اذار واستمرت اعماله هناك لغاية الرابع والعشرين من اذار ١٩٢١، لتبدأ بعد ذلك مرحلته الثانية في القدس والتي استمرت لغاية الثلاثين منه، وهذا بحد ذاته يؤشر أهمية المؤتمر الذي قومه المس بيل هكذا:

"لقد كان مؤتمراً مدهشاً، أنجز فيه من الاعمال خلال أسبوعين أكثر مما كان قد أنجز من قبل خلال سنة بكاملها" (٢٩٩).

أثير موضوع القضية الكردية، ومعها كركوك، في أول اجتماع عقده المؤتمر للبت في مستقبل بلاد ما بين النهرين . فقد ورد في ذلك الاجتماع ان المصلحة تقتضي "ان تدار كردستان بصورة مباشرة من قبل مندوب السامي، وتبقى منفصلة عن العراق نفسه" الى ان يتم ظهور "رأي عام كردي معتبر يؤثر الانضمام الى العراق"، ولاحظ المجتمعون ان بذل أي محاولة لاجبار المناطق الكردية على ان "تحكم من قبل حكومة عربية سوف يؤدي الى حدوث مقاومة". وأثير بالمناسبة موضوع سحب الحماية البريطانية التي نقلت الى كركوك، والتي احت الدور الاساس في القضاء على الانتفاضة الكردية التي انفجرت بقيادة الشيخ محمود ضد البريطانيين في العام ١٩١٩(٣٠٠).

(٢٩٩) "العراق في رسائل المس بيل"، ص ٣٧٤.

(300)Public Record Office, F.O., 371/6343/9372, Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30, 1921, II, Mesopotamia, P.5.

وفي اليوم الرابع من المؤتمر، وهذا لا يخلو من مغزى، الموافق للخامس عشر من آذار ١٩٢١، كرست اللجنة السياسية، وكانت اهم لجان المؤتمر، جلستها الرابعة لمناقشة القضية الكردية بصورة مستقلة. ترأس الجلسة شخص وزير المستعمرات ونستن جرجل، أما الاعضاء المشاركون فيها فكانوا السير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق، والمس بيل، والكولونيل لورانس الذي كان يشغل يومذاك منصب مستشار وزير المستعمرات للشؤون الشرقية، والميجر يونغ الخبير بالشؤون المالية، والميجر نوئيل الخبير بالقضايا الكردية، والميجر بادكوك المشرف على تنظيم أعمال المؤتمر سكرتيرا للجلسة. خصص الملحق العاشر من التقرير الذي أعد عن أعمال المؤتمر وقراراته، لما دار في تلك الجلسة(٣٠١).

ان ما أثير في تلك الجلسة بخصوص "كردستان الجنوبية" وأحيانا "جنوب كردستان"، وفيما يخص كركوك و توابعها بالتحديد، امر ذو أهمية خاصة محليا، وكذا دوليا، ويلقي ضوءا ساطعا على العديد من الأبعاد الخفية لواقع القضية الكردية في العراق. نحاول فيما يلي أن نلخص ماجاء في مؤتمر القاهرة بخصوص القضية الكردية، مع كل ما يخص كركوك وتوابعها، في جملة نقاط أساسية، هي:

١- ان اللجنة السياسية تعاملت مع القضية الكردية "في ضوء دراسة معاهدة سيفر" التي منحت كرد الامبراطورية العثمانية في موادها ٦٢-٦٤ حق تقرير المصير.

وعلى هذا الاساس "تم الاقتراح بان لايدخل كرد الجنوب تحت سيطرة حكومة العراق"(٣٠٢).

٢- في ضوء ماتقدم اكد السير بيرسي كوكس "انه سبق له ان ابلغ مجلس الدولة (يقصد الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبدالرحمن النقيب) بأنه في غضون السنة التي تتمتع كردستان فيها بحق اختيار الاستقلال بموجب معاهدة سيثغر(٣٠٣)سيقوم شخصياً بإدارة المناطق الكردية بما في ذلك كركوك (٣٠٤). وهنا يحدد كوكس مايقصده بالمناطق الكردية التي يقول عنها إنها عبارة "عن المنطقة التي يؤلف الكرد أكثرية سكانها، وهي مقاطعتا كركوك والسليمانية، مع أصقاع معينة تمتد الى الشمال من الموصل ". بعد ذلك يذكر كوكس حقيقة جديرة بالملاحظة، مفادها "أن كركوك والموصل يداران حالياً من قبل متصرفين بإستشارة ضابطين سياسيين بريطانيين، مع ملاك من الموظفين الكرد الذين يوجد عدد كاف منهم ". ثم يقتصر كوكس حديثه على كركوك وحدها، فيقول "لقد تم تعيين فتاح باشا متصرفاً لكركوك، وهو تركماني يحظى باحترام الكرد"(٣٠٥).

(302)Ibid,P.59.

(٣٠٢)يقول نص المادة ٦٤ من معاهدة سيثغر، "إذا راجع الكرد القاطنون في المناطق الواحدة ضمن المادة ٦٢ مجلس الامم في غضون سنة من نفاذ منطوق هذه المعاهدة، ميينين أن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال، وإذا اوصى المجلس بمنحهم اياه، فإن تركيا تتعهد من الان ان تراعي تلك التوصية، فتتخلى عن كل ما لها شيء آخر من حقوق و حجج في هذه المناطق، وتصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع إتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا. وإذا وقع مثل هذا التخلي، وفي الوقت الذي يحدث فيه، فان الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للكرد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي ماهزال حتى الان ضمن ولاية الموصل، ال هذه الدولة الكردية المستقلة". تنظر،

" Sevres and Lausanne ", Moskva,1927,PP.24-25.

(304)"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem..",Appendix 10,P.59.

(305) Ibid,PP.59-60

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

٣-اثير امام المجتمعين موضوع شكل الحكم الذي كان يجب ان يتمتع به "كرد الجنوب"، فاعتقد الميجر يونگ ضرورة "اقامة دولة كردية تكون مرتبطة بالمندوب السامي بصورة مباشرة، على ان لاتكون جزءا من الحكومة العراقية، ولاتابعة لها". وحول الموضوع نفسه، وردا على سؤال وجهه اليه جرجل، قال الميجر نوئيل، بوصفه متخصصا في القضايا الكردية، ان الكرد يرون "انهم منحوا ما كانوا يأملونه بموجب معاهدة سيفر" واضاف "ان الكرد يفضلون Home Rule (٣٠٦)، ويعترضون على قبول اي مسؤولية من طرف الحكومة العراقية" (٣٠٧).

هنا توجه جرجل الى الكولونيل لورانس، بوصفه متخصصا في القضايا العربية، متحمسا لها، ولكونه اقرب البريطانيين من الامير فيصل الذي تقرر في مؤتمر القاهرة ترشيحه لعرش العراق، يستفسر عن رايه، فكان رد لورانس "ان من رايه يجب ان لا يودع الكرد تحت اشراف حكومة عربية". بل أكثر من ذلك أنه اعترض حتى على وجود متصرفيتين في المنطقة، واحدة في الموصل والاخرى في كركوك، واقترح "ان يكون هناك متصرف واحد ليس بالضرورة ان يعطى موقع أمير كردي" على غرار الامير العربي المقترح لعرش العراق (٣٠٨).

(٣٠٦) Home Rule شكل من الحكم يتجاوز الحكم الذاتي كثيرا، وهو اقرب الى الكونفيدرالية، كان

الابرننديون يتمتعون به.

"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerosalem ...", Appendix 10,P.60.

(308)Ibid,P.60.

بعد أن اعترضت المس بيل على توحيد المتصرفيتين في متصرفية واحدة عاد الميجر يونگ الى الكلام، فبين أنه يرى أن الوقت مناسب لإجراء انتخابات محلية في كردستان الجنوبية "لاختيار مجلس محلي" على غرار الحكومة المؤقتة العراقية، على أن تكون بمعزل عن الانتخابات التي تقرر إجراؤها بخصوص عرش العراق. وأضاف " أنه يعتقد بأنه ليس ضرورياً أن يرسل الى المنطقة (الكردية) ليفي عربي(٣٠٩)، او قوات بريطانية، وان بالامكان ضمان الامن عن طريق تأليف قوة كردية خاصة"(٣٠٠).

هنا تدخل جرجل وقال "أنه يميل الى الاتفاق مع هذا المقترح (مقترح الميجر يونگ)، وان بالامكان تقديم عون مالي الى رئيس كردي مع اعوانه الاكثر تأثيراً، وان يمنح (ذلك الرئيس) تسهيلات تجارية محلية في اطار اتفاق يتعهدون بموجبه منع الاتراك (الكماليين) من تنفيذ سياسة في تلك المنطقة تضر بالمصالح البريطانية في العراق" (٣١١). استرسل جرجل في تعقيبته، فأضاف:

"حتى لو رغب الكرد في الاشتراك في الانتخابات (يقصد انتخابات الامير فيصل لعرش العراق) فإنه شخصياً يعتقد ان من الصعب ضمهم الى العراق. فان شريفاً (مثل فيصل) قد يقوده نسيبه، وتاريخ اسرته الى التمسك بنظرية الحق الالهي للملك،

(٣٠٩) ليفي (Levy) اي المجندون، قوة عسكرية شكلتها السلطات البريطانية لتحل محل قواتها العاملة في العراق ، وذلك بهدف تقليص مصروفاتها العسكرية في البلاد. كان من المقرر أن يكون ضباطها من الإنكليز وجنودها من السكان المحليين.

"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem...., Appendix 10,P.60.

(311) Ibid,P.60.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

ربما في الوقت الذي يقبل ظاهرياً الاجراءات الدستورية، ويوافق على تأليف برلمان، الا انه يزدي، في الوقت نفسه، بالاساليب الديمقراطية والدستورية. واذا كان الامر هكذا فإنه يكون بوسعه، وهو يستند الى قوة جيش عربي، ان يتجاهل الشعوب الكردي(٣١٢)، وأن يضطهد الاقلية الكردية" (٣١٣).

هنا يبرز اسم كركوك مرة اخرى بالنسبة للنظام الكردي الذي كان المجتمعون يناقشونه، فقد أكد بيرسي كوكس "ان واردات مقاطعتي كركوك والسليمانية لاتكفي لتمويل ادارة تلك المناطق، مما يقتضي، حسب رأي يونك، ان تبقى المنطقة مرتبطة ببلاد ما بين النهرين اقتصادياً" (٣١٤).

٤- ورد في التقرير النص الآتي بخصوص المنطقة الكردية:

"في رده على سؤال وجهه اليه رئيس الجلسة (جرچل) قال الميجر نونيل اذا طلب منه رسم حدود بين المنطقة الكردية والعراق فانها يجب أن تمر تقريباً بمحاذاة خط التلول الممتدة من سفوح الجبال" التي كان يقصد بها جبل حميرين (٣١٥).

٥- في الختام أشار جرچل الى أن "هناك تشابهاً كبيراً بين مهمات الحاكم العام في جنوب أفريقيا بخصوص اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا والمهمات المقترحة بالنسبة للمندوب السامي فيما يخص بلاد ما بين النهرين وكردستان. وهو يشعر بان السياسة البريطانية منحت القضية العربية مساندة كبيرة للغاية، وليس بالوسع تجاهل حقوق الاقلية الكردية. واقترح تأسيس فوجين كرديين من الممكن، كما يبدو،

(٣١٢) للاسف هذا هو الذي حدث فعلاً بالنسبة للکرد في عهد الملك فيصل الأول، مع العلم ان عهده كان افضل حقبة بالنسبة للکرد في العهد الملكي .

"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem..", Appendix 10, P.60.

(314) Ibid, P.61

(315) Ibid, P.61

فطوبرفها بسهولة من آجل السبطرة على السلبمانية وكركوك. وعبف عن فقفه بانه بفأففر المنلوب السامب؁ اللف علىه أن بشفرف على شؤون البلبفن (كرءسفان والعراق) من ؤلال ففواف منفصلة؁ ومفءة بءفة؁ بكون بالإمكان فقرب كرءسفان والعراق من بعضهما؁ وربما أنهما سوف فؤلففان ءولة واحءة فف المسفبل. وعبف (آرفل) عن اعففاه بأن من الممكن أن ففوصل البلسة إلى قرار مفءء على هذا الأساس ءون العاجة إلى رفف الموضوع إلى وزارة الفأرفبفة؁ أو إلى أي ببة أفرى؁ سوى أنه من الممكن اشعار عببة الأمم بالأمرف فف البهافة".

وبالنسبة للنظام الكرءف المقفرف فان المس ببل أكءف ضرورة فصل مءبنة الموصل وءءها عن المنطفة الكرءبفة "وضمها إلى العراق ءون ربب" وءلك فف معرض رءها على سؤال وببه آرفل إليها (٣١٦).

٦- آصص الملآق العاءف عشر لموضوع "الببش واللبف العربببن"؁ وهو عبارة عن مفضر لما ءار فف البلسة الساءة المشركة للببفن السباسبفة والعسكرفة؁ الفف عقلت بوم الفاسع عشر من اءار ١٩٢١. آصصف النطفة الفالفة من المفضر لموضوع كرءسفان؁ وءء جاء فبها: "٣-كرءسفان: ان على اللبنة أن فآءذ على عائفها وضع الفرفبباف الفف فآص كرءسفان؁ والفف ببب أن فآءذ بنظر الاعفبار الآفبفة:

ان كرءسفان المنفءبفة ببب أن فءار ببصورة مبأشرة من قبل المنلوب السامب على الأرفب عن فرفق مبلس مبلف مؤلف من رؤساء كرء بءبفرون شؤونهم الفاءلبفة؁ وبفمفءون بمنآة مالبفة؁ ومساءءاف أفرى من آبل ؤمابفة ؤءوء بلاد ماببن النهربن من ءلاء بفر مرغبوب فبهم (كان بقصء بهم الكمالببن فف فركبفا)؁ على ان بفتح

مركوك و نوابهما حكم التاريخ والضمير

(هؤلاء الرؤساء) البلاد امام التجارة، ويشجعوا التجنيد من اجل أهداف الامبراطورية (البريطانية). يجب أن تؤلف قوة من الليشى الكردي باشراف الضباط البريطانيين، وضباط آخرين يرافقونهم من دون أن يتمتعوا بالسلطات. ويجب ان تكون هذه القوات مهياة لغاية الاول من تشرين الاول سنة ١٩٢١ لتحل محل الحاميات (البريطانية) الموجودة حالياً في كل من كركوك الموصل" (٣١٧).

وفي الجلسة نفسها جرى التأكيد مرة أخرى على أن "الترتيبات المتعلقة بكرديستان يجب ان تكون شبيهة بتلك التي تسود جنوب أفريقيا، حيث ان المندوب السامي مسؤول من جهة عن حكومة الاتحاد، وفي الوقت نفسه يتمتع بسلطة تنفيذية مباشرة على روديسيا ومناطق أخرى. ولاينوى مس مشاعر الكرد بوضعهم تحت (حكم) العرب سواء من حيث المبدأ، أو من حيث الموقع (أو الوضع)، ولكن من جهة أخرى (نهلف) الى ضمان قوات كردية يكون بوسعها في غضون ستة أشهر ان تخفف عنا في ادارة شؤون المنطقة" (٣١٨).

بقيت هذه الحقائق، للأسف، في الكتمان الى حد كبير، كما شوهدت جوانب منها عن جهل أو عن قصد(٣١٩). فان المؤرخ المعروف الاستاذ عبدالرزاق الحسيني، مثلاً، لم يشر سوى الى فقرة واحدة اقتبسها من احدى رسائل المس بيل، والتي عرض نصها هكذا: واما فيما يتعلق بالفقرة الرابعة (أي وضع المناطق الكردية وعلاقتها بالعراق) فقد "استمر رأي أعضاء المؤتمر على

(317)Ibid,Appendix11,P.69

(318)Ibid,P.69.

(٣١٩)ينطبق ذلك حرفياً على مانشر في العراق عن مؤتمر القاهرة في المدة الأخيرة.

القيام بمحاولة للتوثق من مدى رغبة الكرد في الاندماج في المملكة العراقية، او الانفصال عنها"^(٣٢٠).

لم ينفذ من توصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لكردستان شيء يذكر، وذلك بسبب مجموعة من العوامل، يأتي في مقدمتها موقف الحركة القومية الكردية من الوجود البريطاني في العراق، الموضوع الذي نتطرق الى اهم ابعاده بقدر من التفصيل لاحقاً. كما لم يؤد الخلاف في وجهات النظر الكردية الدور الاخير في ذلك، الموضوع الذي اشارت اليه المس بيل فيما بعد باستهزاء بليغ حين تحدثت في رسالتها المؤرخة في الثاني عشر من نيسان سنة ١٩٢٣ عن الزعماء الكرد الذين قالت عنهم "ويكره كل فرد منهم الاخر كما يكره الشيطان"، لتضع سوء الا منطقياً بعد ذلك مباشرة يقول: "هكيف سيكون بوسعنا أن ننشئ دولة كردية؟"^(٣٢١). وضمن جواب سكرتير المندوب السامي بيرسي كوكس على استفسار ورده في الثامن من تموز ١٩٢١ من الحكومة المؤقتة عن "السبب الذي أدى الى تأخير اكمال النظام المؤقت لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي" ورد النص الآتي يوضح مدى عمق الخلافات التي كانت تنخر في صفوف الحركة الكردية يومذاك:

"أجيب على كتابكم ١-٥٣٥، والمؤرخ في ٨ تموز ١٩٢١ بان فخامة المندوب السامي ياسف للتأخير الذي حصل في امر الموافقة على قانون الانتخاب، والناشئ-كما بين فخامته سابقاً- عن الاشكال العادث في ايجاد حل موافق للمصالح الكردية في

(٣٢٠) عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٥٤-٥٥.

(٣٢١) "العراق في رسائل المس بيل"، ص٤٨.

حركات و توابعها حكم التاريخ والضمير

مناطق مختلفة بحسب معاهدة سيفر. لقد زاد في الامر اشكالا تباين آراء الطوائف الكردية في موقفهم ازاء الحكومة الكردية... " (٣٣٢).

وينبغي ان نشير ايضا الى ان بيرسي كوكس نفسه لم يكن لديه موقف ودي تجاه القضية الكردية في العراق عموماً، الامر الذي اثر سلباً على تطبيق توصيات مؤتمر القاهرة بشأنها. ورد في دراسة عن مؤتمر القاهرة بهذا الخصوص ما يأتي:

"استذكر كل من يونگ و نورانس ان التساوق (أو الإتساق) في الرأي (٣٣٢) في مؤتمر القاهرة قد حذب اتباع سياسة منفصلة في كردستان، لكن طريقة كوكس، وأسلوبه جعلاً مواصلة تلك السياسة أمراً صعباً جداً. وقد اختلف چرچل مع كوكس حول هذا الامر، اذ حذب چرچل سياسة تقوم على اقامة حاجز كردي بين العرب والترك، كما تقرر ذلك أصلاً في مؤتمر القاهرة" (٣٢٤). يقر صاحب كتاب "تاريخ حياة السير بيرسي كوكس" الحقيقة ذاتها (٣٣٥).

لم يكن تأثير بعض العوامل الخارجية في فرض سياسة كوكس في نهاية المطاف قليلاً، ومن أهم تلك العوامل مخاوف البريطانيين من "الخطر البلشفي"، وانتصار الحركة الكمالية في تركيا في وقت اقامت الحركة الكردية

(٣٣٢) مقتبس في،

عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص ٥٤-٥٥.

(٣٣٣) في النص: Balance of Opinion.

(324) A.S.Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921, London, 1970, P.168.

(325) Ph.Graves, The Life of Sir Percy Cox, P.283.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

العراقية نفسها علاقات مباشرة مع الكماليين، وهي موضوعات تلقي قدرا من الضوء على بعض جوانبها لاحقاً.

رغم ذلك اتخذ البريطانيون بعض الخطوات في ضوء توصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لمستقبل كردستان الجنوبية. فبعد عودة السير بيرسي كوكس من القاهرة نشر سكرتيره بياناً بتاريخ السادس من ايار ١٩٢١ استهله بالقول " ينظر المندوب السامي نظراً فعلياً في التدابير الواجب اتخاذها بحق ادارة المناطق الكردية في العراق. وقد بلغه ان هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد، الامر الذي الجأ البعض الى المطالبة بنظام استقلالي. وبلغه في الوقت نفسه ان قادة الرأي الكردي العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق، ففي هذه الحالة يرغب فخامة المندوب ان يحصل، ان امكن، على ما يشير الى امانى الكرد الحقيقية". وقد نشر المستشارون البريطانيون نص البيان في كل من الموصل وكركوك، التي كانت اربيل مرتبطة بها، والسليمانية(٣).

على اثر ذلك تبودلت مجموعة من البرقيات الرسمية السرية، واتخذت بعض الاجراءات نشير الى مايتعلق منها بكركوك من دون تعليق. ففي برقيته المرقمة ١٠٩، و المؤرخة في الخامس والعشرين من ايار سنة ١٩٢١ استفسر وزير المستعمرات ونستن جرجل من المندوب السامي البريطاني في

"Iraq.Report on Iraq administration: October 1920-March 1922",London, Published by His Majesty's Stationery Office,1922,PP.11,126.

يمكن الرجوع حول الموضوع نفسه الى: عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٢٨٨، محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، ص١٧٧-١٨٨.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

العراق بمرسى كوكس " عن رايه فيما إذا كان يفضل ان تعامل كركوك كجزء من كردستان، او كجزء من بلاد ما بين النهرين"، فكان "من وجهة نظر" كوكس "ان المصالح الكامنة تقتضي فصل كركوك عن العراق" (٣٣٧).

وفي برفية أخرى بعثها جرحل الى كوكس في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين من بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٢١، وهي تحمل الرقم ١٩٦، ذكر جرحل ما نصه:

"انني أقترح أن تكون المنطقة غير العربية (في العراق) محددة بخط يمتد من مشوره داغ (Mushora Dagh) خلال تيغانا (Tegana) ليلتف حول الموصل، ويتبع الحدود الاثنية (لمنطقة) السكان العرب الخالص الى حد زاوية حدود بلاد فارس المجاورة لقلاي نפט (Kala Naft). يجب توزيع هذه المنطقة على ثلاث مقاطعات مستقلة، تشمل احداها المنطقة الواقعة في الشمال الغربي من الزاب الكبير، وأخرى تشمل على منطقة كركوك، والثالثة على منطقة السليمانية. وبالإمكان توسيع مقاطعة السليمانية الحالية بحيث تشمل على العناصر الكردية في ديبالي الاوسط، الى الشمال من قزلباط. اما العناصر العربية في مقاطعة كركوك الحالية فيجب أن تقسم على سامراء والموصل. وينبغي تعيين متصرف في كل من السليمانية و كركوك، على أن يعين لكل واحد منهما مستشار يكون مرتباً بك بصورة مباشرة" (٣٣٨).

(327)Public Record Office,F.O.,371/6346/2262,Paraphrase Telegram from the Secretary of State for the Colonies to the High Commissioner of Mesopotamia,No.196.

(328)Ibid.

وفي الساعة الخامسة وعشرين دقيقة من بعد ظهر اليوم نفسه، أي بعد خمس وخمسين دقيقة بالتحديد، تم إرسال الجزء الثاني من البرقية نفسها من جرجل الى كوكس، وقد ورد في هذا الجزء من البرقية:

"أنني اميل بقوة، في ضوء المعلومات المتوفرة لدي، أن أعتبر هذا حلاً صحيحاً. وفي كل الاحوال يجب ترك الحرية للمقاطعات الثلاث أن تبقى مستقلة عن بعضها البعض، أو أن تتحد في كردستان الجنوبية. وبإمكانك أن تحتفظ بمسؤول ضمن الملاك التابع لك تقع على عاتقه مهمة الاتصال بالمقاطعات غير العربية، أو اذا تحسنت المواصلات فيما بعد، أن تعتمد على مسؤول يكون مقره في كركوك، أو أي مكان آخر في المنطقة غير العربية"⁽³²⁹⁾.

في ختام برقيته الاخيرة طلب وزير المستعمرات من المندوب السامي البريطاني في العراق بيرسي كوكس ان يدرس الموضوع المطروح بامعان، وأن يتشاور بصدده "اذا ارتأى" مع الامير فيصل، الذي وصل بغداد لتوّه بوصفه مرشحاً لعرش العراق⁽³³⁰⁾.

تعامل كوكس في ضوء هذه التوجيهات مع الامير (فيما بعد الملك) فيصل، لانه رأى فيها وسيلة لضمان ظهور دولة عراقية مستقرة تضم القوميتين العربية والكردية. وللاستدلال نختار غيضاً من فيض المعلومات الوثائقية المتوفرة بهذا الخصوص. ففي الاجتماع الذي عقده كوكس مع فيصل في أواخر تشرين الاول سنة ١٩٢١ للتداول في أبعاد القضية الكردية وافرازاتها المتوقعة، وحضره كل من الميجر يونگ، أحد المشتركين في مؤتمر القاهرة،

(329) Ibid.

(330) Ibid.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

و كورونواليس مستشار وزارة الداخلية والسفير البريطاني في العراق لاحقاً، جرى تحديد لا لبس فيه لما يقصد بكردستان العراق بوصفها المنطقة التي تمتد "الى الشمال من تلول حميرين" التي "تفصل بين السكان العرب وغير العرب"، والتي "اذا استثنيت الاقلية التركمانية الصغيرة منها فهي منطقة كردية" صرقة(٣١).

وفي الاجتماع نفسه "اخر يونگ الملك فيصل صراحة بأن السياسة البريطانية تستهدف تشجيع القومية العربية لا الاستعمار العربي" وذلك في معرض مناقشتها للقضية الكردية(٣٢).

سار خلف كوكس، هنري دويس على النهج نفسه كما نبين ذلك بعد عرض بعض مما يتعلق بموقف كرد كركوك و تركمانها من ترشيح فيصل لعرش العراق، وهو الموضوع الذي يعزز بدوره المنطلقات والحقائق المطروحة حتى الان بين دفتي هذه الدراسة.

(31)Public Record Office,F.O.,371/6347/2262,Paraphrase Telegram.The High Commissioner of Iraq to the Secretary of State for the Colonies,No.616,dated 25 th October 1921.

(32)Ibid;A.S.Klieman,Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921,P.168.

موقف كركوك و توابعا من ترشيح الامير فيصل لعرش العراق مع نبذة عن موقف فيصل من القضية الكردية

تقرر في مؤتمر القاهرة اقامة نظام ملكي في العراق يعهد عرشه الى الامير فيصل بدلاً من أخيه الامير عبدالله، بعد ان فقد الاول منهما عرش سوريا. فقد رأى المؤتمرون أن "الامير فيصل هو افضل من يمكن له أن يحكم بلاد ما بين النهرين"، وبما أنه "كان واضحاً جداً ان حكومة صاحب الجلالة لا يمكن لها أن ترشح فيصل، بل يجب اختياره من قبل شعب ما بين النهرين"، لذا "تم وضع برنامج مفصل" من اجل "تأمين افضل الفرص لضمان اختيار الشعب لفيصل حاكماً له من دون تدخل فعال من جانب حكومة صاحب الجلالة لمصلحته" (٣٣).

في ضوء ذلك بذل المسؤولون البريطانيون في العراق كل ما في وسعهم من اجل حشد أكبر تأييد ممكن للامير فيصل، الا أن ذلك لم يحل دون أن يعبر أهل كركوك وتوابعا عن آرائهم بالاتجاه الذي يبين بوضوح هويتها القومية. فقبل كل شيء أن "القضية الكردية غير المحسومة" و "ضمانات المستقبل السياسي للمناطق الكردية" كانتا من المشكلات الاساسية التي اعترضت طريق تنفيذ قرار مؤتمر القاهرة بصدد اجراء استفتاء حول

"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerosalem...",P.4 and Appendix 9.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

ترشيح فيصل لعرش العراق(٣٣٤). في تعليق له على ذلك يقول مؤلف كتاب "الملك فيصل الاول والانكليز والاستقلال" بالإستناد الى الوثائق البريطانية: "لكن حملة فيصل تراخت، فلم يتبد في اعين الناس بانه مرشحهم. فكانت هناك حركة معارضة في البصرة، كما أن الاكراد قد أعربوا عن رغبتهم، من خلال استطلاع محلي للرأي، في التمتع بإدارة مستقلة"(٣٣٥).

باستثناء بعض الحالات النادرة فان ابناء جميع الطوائف والاديان والاتجاهات، ممن جرى استفتاءؤهم في الوسط والجنوب، كما في مدينة الموصل وقفوا ، في نهاية المطاف، بحماس الى جانب ترشيح فيصل لعرش العراق، فيما اختلف الوضع عن ذلك كليا في كردستان، خصوصا في كركوك والسليمانية. فان الاخيرة لم تشترك في الاستفتاء اصلا. أما كركوك فقد صوتت ضد فيصل. تصف لنا المس بيل، التي كانت متحمسة لترشيح فيصل الى أقصى حد، الموضوع هكذا:

"أن سكان منطقة السليمانية في كردستان الجنوبية قرروا، كما كان لهم الحرية في ذلك، الامتناع عن الاشتراك في أي انتخاب يجري لاختيار ملك للعراق. عدا هذا فان نتائج الانتخاب الذي جرى في بقية أجزاء البلاد اتت بـ٩٦٪ لصالح الأمير. أما الـ٤٪ المتبقية المعارضة فقد جاءت من التركمان والكرد في كركوك"(٣٣٦). ورد الكلام نفسه تقريبا في أول تقرير عن سير الادارة في العراق قدمته الحكومة

(٣٣٤)الدكتور كاظم نعمة، الملك فيصل الأول والإنكليز والإستقلال،من منشورات الدار العربية للموسوعات ،

بيروت، ١٩٨٨، ص٧٢، ٦٩.

(٣٣٥)المصدر نفسه ، ص٧٢.

"The Letters of Gertrude Bell" (336) P.432.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

البريطانية الى "عصبة الامم" في العام ١٩٢٢، وذلك بوصفها الدولة المنتدبة على العراق من قبل العصبة(٣٣٧).

في تعقيب له على موقف اهالي كركوك من ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق يقول المستشرق البرت م.مينتيا شفيلى في كتابه "العراق في سنوات الانتداب البريطاني" ان لواء كركوك اتخذ مثل ذلك الموقف على الرغم من انه "كان تحكمه الحكومة العراقية والمستشارون الانكليز الخاضعون لسلطات الانتداب في بغداد"(٣٣٨). ومن المفيد أن نشير الى أن الشاعر التركماني محمد صادق أفندي نظم قصيدة بالمناسبة يقول في مطلعها "انتخاب أيتمم سني فيصل عراقك ملكنه"، ومعناها "لا انتخبك يا فيصل ملكاً على العراق"(٣٣٩).

في تقرير للاستخبارات عن نتائج الاستفتاء وضعته وزارة المستعمرات البريطانية وردت بالنسبة لكركوك الملاحظة الآتية:

"المضابط المعارضة تعلن في الاكثر أن الاهالي ليسوا من العرب، وأنهم يفضلون الانتظار حتى يروا ماذا سيكون عليه أمر استقلال كردستان، و طالب بعضهم بامير تركي. جميع المضابط المؤيدة هي من أربيل" التي كانت تتبع كركوك ادارياً حين

"Iraq.Report on Iraq administration: October 1920-March 1922",P.15.

(338)A.M.Menteshashvili,Iraq v godi Angliskovo Mandata, Moskva,1969,P.198.

في الترجمة العربية للدكتور هاشم صالح الكردي بعنوان "العراق في سنوات الانتداب البريطاني"، بغداد، ١٩٧٨، ص٣٦.

(٣٣٩)مقتبس في،

شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان في العراق، ص١٤٥-١٤٦.

كركوك و توابعها ضم التاريخ والضمير

اجراء الاستفتاء (٣٤٠). ومن المفيد أن نشير الى ان الحسني سجل نص هذا الاعتراف الرسمي الخطير مراراً في كتابه المصدر "تاريخ الوزارات العراقية"، كان اخره في طبعته السابعة التي نشرتها "دار الشؤون الثقافية العامة" التابعة لوزارة الثقافة والاعلام في العام ١٩٨٨ (٣٤١)".

ورد في فقرة أخرى في التقرير نفسه عن كركوك: "بعد قراءة رسالة المستشار في مجلس كركوك (انظر رقم ٨، الفقرة ١٦) قرروا بالاجماع ان يصوتوا ليفصل، ويكونوا قدوة للنواحي، غير ان الاجتماعات غير الرسمية التي عقدت في منازل خاصة مختلفة عارضت هذا القرار. ففي اجتماع عقد في ٢٣ تموز في دار المفتي تقرر اصدار فتوى ضد فيصل "بوصفه ليس مسلماً صحيحاً، بل يزيدياً" وانه اذا أصبح ملكاً فسيطالبون بالاتحاد مع كردستان. وأعقب هذا في اليوم التالي الاعلان المشار اليه في التقرير رقم ٨، الفقرة ١٦ المذكور في الملحق. وقد صرح زعماء الكرد والعرب في محادثاتهم الخاصة مع المستشار انهم سيصوتون على وفق رغبة الحكومة البريطانية، لكنهم لا يريدون فيصلاً، ولا يريدون حكومة عربية. بيد أنه كان هناك ثمة عنصر معين يميل الى خلق المشاكل، ومن المحتمل ان العناصر التركمانية كانت تفضل تأييد الاتراك، بل انه حين أعيدت اوراق البيعة بعد التوقيع تبين ان محلتين في مدينة كركوك قد طلبتا حاكماً تركيا.

اما نتائج الاستفتاء في اللواء فهي كما يلي:

(340)Quoted in: Gh.R.Atiyyah, Iraq 1908-1921.A Political Study , P.329;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٣٤١)عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول ، ص ٥٩.

١. مدينة كركوك ٦٤ مع فيصل، ٢٧٨٦ ضده.
 ٢. ناحية كركوك ١٩٧ مع فيصل، ٧٢٠ ضده.
 ٣. التون كوبري لا يوجد احد مع فيصل، ١٥٠٠ ضده.
 ٤. داقوق لا يوجد احد مع فيصل، ١٠٠٠٠ ضده.
 ٥. ملحمة لا يوجد احد مع فيصل، ١٥٠٠٠ ضده.
 ٦. شوان لا يوجد احد مع فيصل، ١٣٦٣ ضده.
 ٧. يبدو ان الاعداد الواردة في ٥٤ (أي عن داقوق وملحة) قد جرى تضخيمها، ويجري التحقيق بذلك.
 ٨. ان جميع المناطق الكردية تطالب بحكومة كردية^(٣٤٢)، لكن فكرة الوحدة الكردية بعيدة عنهم ذلك لانهم ينفرون من ضمهم الى الاقليم الكردي الحالي في السليمانية^(٣٤٣). وللموقف الاخير تفسيره الذي نتطرق اليه ضمن المبحث الخاص بالشيخ محمود و كركوك. أما موقف العبيد في ملحمة فيعكس، من بين ما يعكس، مدى توافق الرأي بينهم وبين جيرانهم الكرد، وطبيعة روابطهما فيما بينهما.
- أما الكرد في اربيل، وكانوا يتبعون كركوك إدارياً كما قلنا، والموصل فقد صوتوا لصالح فيصل شرط ضمان حقوقهم القومية، بل أن قسماً منهم صوتوا له شرط استمرار الانتداب البريطاني^(٣٤٤). ورد في تقرير وزارة

(٣٤٢) ورد في الطبعة العربية من كتاب الدكتور غسان العطية بعض الاخطاء، مما إقتضى التنويه.

Quoted in: Gh.R.Atiyyah, Iraq 1920-1921. A Political Study, P.394;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص٥٤.

"Iraq. Report on Iraq administration: October 1920-March 1922", PP.14-15.

المستعمرات الانف الذكر عن نتائج الاستفتاء بالنسبة للموصل
الملاحظات الآتية:

"شددت ست مضابط منها على صيانة حقوق الكرد والاقليات الاخرى،
وشددت سبع منها على استمرار الإنتداب البريطاني بالإضافة الى حماية حقوق
الكرد، وعشر منها وضعت الشروط التالية:

١- استمرار الانتداب البريطاني، واتباع مشورة الضباط البريطانيين في
الامور المدنية والعسكرية.

٢- الاعتراف باللغة الكردية في دوائر الحكومة والمدارس الابتدائية.

٣- حماية الحقوق القانونية والمدنية والسياسية للسكان الكرد.

٤- يحتفظ كرد العراق بحق الانضمام الى كردستان تركيا، او يكون لهم
ذلك حين ينظر في مسألة منح الاستقلال لكردستان تركيا"^(٣٤٥). وكما
لا يخفى ان هذه المضابط كانت تمثل آراء كرد المناطق المرتبطة اداريا
بالموصل (دهوك و العمادية و عقرة و زاخو و غيرها) الذين ابلغت الحكومة
البريطانية عصبة الامم بموقفهم هذا، مع موقف كرد اربيل الذين كما قالت،
حين صوتوا الى جانب فيصل اعلنوا صراحة انهم يتراجعون عن قرارهم "اذا
ما ظهرت الظروف الواردة في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر"^(٣٤٦) التي منحتهم
حق الانضمام الى الدولة الكردية المقترحة كما اسلفنا.

(345)Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A Political Study,P.32;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص.٥٠٠.

(346)"Special Report..to the Council of the League of Nations on the progress of
Iraq during the period 1920-1931", P.254.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

اما بالنسبة لخانقين فقد ورد في التقرير: "وفي خانقين، حيث يوجد عدد كبير من الكرد، كان هناك ثمة توجع للانضمام الى دولة كردية، غير انهم لم يجمعوا على رأي، وبعد نقاش حامي الوطيس افلح ولي اغا من باجلان في كسب باقي اعضاء اللجنة المؤلفة من الاشراف، والتي كانت قد استدعيت الى بعقوبة، الى جانب الانضمام الى دولة عربية. عندئذ عادت اللجنة الى خانقين للحصول على توافيق الاخرين من الاشراف ورؤساء العشائر"⁽³⁴⁷⁾.

في اليوم الثالث والعشرين من آب سنة ١٩٢١ جرى في بغداد تتويج الامير فيصل ملكا على العراق، وقد حضرت الحفل المهيب الذي اقيم بهذه المناسبة في ساحة القشلة ببغداد، وفود جميع الالوية فيما عدا كركوك و السليمانية⁽³⁴⁸⁾.

عد البريطانيون موقف كركوك نذير شؤم ات من المنطقة الكردية بأسرها. تقول المس بيل في رسالة لها بتاريخ الرابع عشر من آب ١٩٢١، "و كلا الفريقين (التركمان والكرد في كركوك و توابعها) لا يريدان الحكم العربي، ولذلك طلبت محلتان بدولة كردية مستقلة تخضع لحمايتنا .. كما انهم يرفضون الارتباط باي طريقة كانت بمنطقة السليمانية، وقد سبق ان صوتت على الانفصال عن الدولة العراقية قبل مجيء فيصل. ولا اذكر اكثر

(347)Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A political Study , P.394

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص٥٠٣.

(348)"The Letters of Gertude Bell " , P.432.

من هذا عن القومية الكردية، التي يمكن أن تسمع كثيرا من الهراء عنها في الأشهر القادمة، مالم ينجح السير بيرسي في إقناع كركوك بالانصياع للعقل و المنطق"^(٣٤٩).

مهما يكن من أمر، فلا مراء في ان إختيار الامير فيصل ملكا كان يعني تحولاً ما في تاريخ العراق السياسي المعاصر، وظهور عنصر جديد مؤثر بالنسبة للقضية الكردية انعكست نتائجه على كركوك و توابعها أيضاً. وكما سبق أن ذكرنا كان البريطانيون يرغبون في أن يتبنى الملك فيصل سياسة واقعية مرنة تجاه الكرد وكردستان، الامر الذي توضحت أبعاده أكثر بعد تتويج فيصل، ونشير هنا الى بعض مظاهره التي كانت كركوك وتوابعها متمثلة فيها أكثر من معظم المناطق الكردية الاخرى.

أولى البريطانيون هذا الموضوع إهتماماً خاصاً بعد تتويج فيصل، ذلك لانهم كانوا يعرفون أن مصير ولاية الموصل الذي أثير لتوه من قبل قوة ثورية طموحة متمثلة بتركيا الكمالية، إنما يعتمد على موقف الكرد الى حد بعيد. كما أنهم، على العكس تماماً مما ذهب اليه عدد كبير من المؤلفين العراقيين على أساس تحليل مبسط، كانوا يرغبون في إيجاد عراق مستقر يهيء لهم ظروفاً أمثل لإستقلال ثرواته، ولاسيما نفضه، الأمر الذي كان يعتمد بدوره على موقف الكرد كثيراً. ومن أجل توضيح هذه النقطة المهمة، والمشوهة الى حد بعيد في تاريخ العراق المعاصر المدون في الداخل،

(٣٤٩) "العراق في رسائل المس بيل"، ص ٣٣٥.

نورد فيما يلي مقطعاً من مذكرة سرية بعثها الى الملك فيصل السير هنري دوبس المندوب السامي البريطاني الجديد الذي خلف السير بيرسي كوكس، والتي ورد فيها اسم كركوك ضمن مقترحات دوبس(٢٥٠) أكثر من مرة:

"سري/دار الاعتماد، بغداد

يا صاحب الجلالة: يظهر من التقارير الواردة حديثاً من الاقضية الكردية أن حركة الاستقلال الكردي قد عادت الى الوجود، وقد حدث في بعض الجهات في طي الغفاء تحريض ضد الحكومة العراقية على أنها حكومة عربية. ان التباين في العاطفة بين الشعبين الكردي والعربي- ذلك التباين الذي لا بد بالطبع من أن يظل موجوداً بينهما كما هي الحال بين الانكليز والاسكتلنديين لان الله خلقهما شعبين مختلفين- قد ازداد حدة، ويخشى أن يؤدي الى تنافر خطير. ان التقارير المذكورة قد اقلقنتني، وأني متأكد من ان جلالتم ستوافقني على أنه لمن المفجع للعراق أن ينصرف عن تأييده أشد عناصره حيوية. أن موقف الاكراد على الحدود لامر على جانب عظيم جداً من الاهمية للعراق، إذ أنه بولانهم الصميمي، دون غيره، يستطيع العراق حماية نفسه مما يهدده من تجاوز الاتراك ووسائلهم، ويتمكن من تأمين خطوط مواصلاته الممتدة من بغداد الى الموصل وسط كركوك وأربيل. فان العراق إذا لم يكن محتفظاً احتفاظاً متيناً بالروابي الكردية الممتدة من خانقين الى رواندوز، فإنه لن يستطيع الاحتفاظ احتفاظاً محكماً بالسهول الغنية التي في أسفل تلك الروابي، وبسكة حديد الموصل العتيذة التي ستخترق تلك السهول، ولن يقوى على حماية أعمال شركة النفط التركية المنتظر أن تعود على العراق بالكثير من الارباح. لدى التأمل في هذه الحالة طراً على خاطري انه قد يكون في استطاعة جلالتم القيام بدور نشيط للغاية في سبيل استمالة قلوب الاكراد، وإصلاح ذات البين إصلاحاً

(٢٥٠) نتطرق الى قسم من تلك المقترحات، في حدود علاقتها بصلب الموضوع، فيما بعد.

حركاته و توابعها حكم التاريخ والضمير

حقيقياً ما بين الشعبين الكبيرين اللذين يؤلفان الدولة العراقية، كما فعلت صاحبة
الجلالة الملكة فكتوريا (٢٥١) التي كانت العامل الرئيسي في توطيد دعائم الاتحاد بين
الشعبين الانكليزي والاسكتلندي اللذين بقيا عدوين عدة قرون. وقد تكون جلالتك
عالمين بالغيرة التي كانت الملكة فكتوريا تبديها في كل مناسبة نحو الشعب
الاسكتلندي، وكيف كانت تصرف قسماً عظيماً من وقتها في اسكتلندا، وكيف كان
زوجها واولادها يرتدون كثيراً الثياب الاسكتلندية. وقد حافظ أخلافها على هذه
التقاليد، وكان من نتيجة ذلك أن الاسكتلنديين الان هم تقرباً أشد أنصار العرش
البريطاني والامبراطورية البريطانية" (٢٥٢).

بعد ذلك يطرح هنري دويس على الملك فيصل جملة من المقترحات،
منها "ان تعلن جلالتك ان النجمتين اللتين في العلم العراقي، بقطع النظر
عن اصلهما التاريخي، تعتبر الان رسمياً انهما ترمزان الى اتحاد الشعبين
الشقيقين العربي والكردي" و "ان توجه جلالتك اهتماماً خاصاً الى
الضباط الاكراد الذين في خدمة الجيش العراقي.." وان "ينظر جلالتك في

(٢٥١) من أشهر ملوك بريطانيا في تاريخها الحديث، تمتعت بقوة الشخصية، شهد عهدها الذي بدأ عام ١٨٣٧ و
انتهى عام ١٩٠١ (حوالي ٦٤ عاماً)، إصلاحات سياسية و اقتصادية داخلية ازالته جزءاً من أسوأ المفاصل التي كان
المجتمع يعاني منها، الأمر الذي امتد آثاره الإيجابية الى الاسكتلنديين الذين اتحدت بلادهم مع انكلترا منذ
العام ١٧٠٧، فضمنت بذلك ولاءهم للتاج البريطاني. يعرف عهدها المديد عادة بالمعهد الفيكتوري.

(٢٥٢) دار الكتب والوثائق،

No.R.O.285,The Residency,Baghdad, to His Majesty King Faisal, October
18,1926,P.3,Secret.

دار الاعتماد، بغداد في ١٨ تشرين اول سنة ١٩٢٦، الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل العظم اهدالله ملكه،
رقم الحفظ في ملفات البلاط الملكي ١٤٢٠ بتاريخ ١٩٢٦/١١/٢٠، س/١٥، ص٣، سري.

ملاحظة، وردت نصوص هذه المذكرات باللغتين الانكليزية والعربية، لذا أترنا تسجيل أرقامها وتواريخها ،
وبقية تفصيلاتها المكتوبة كما هي، وباللغتين أيضاً.

تشكيل ثلة حرس ملكي خاص صغيرة من الاكرد ترتدي الثياب الوطنية الكردية لتتناوب الحراسة في البلاط، والاماكن الاخرى مع الحرس الخاص العربي"، وان "يتوسل جلالتم بوسيلة ما لاجل إظهار العطف نحو الشبان الاكرد الذين يداومون في دار المعلمين، أو المدرسة الثانوية ببغداد.."، وان "يتشبت جلالتم بتعليم اللغة الكردية"، وان "يقضي جلالتم عادة اشد اشهر السنة حرارة في إحدى البلدان الكردية الجبلية (ror) كشقلاوة مثلاً.."(٣٥٤).

اختتم هنري دويس مذكرته التي دونها باللغتين الانكليزية والعربية، والتي تقع في ست صفحات من الحجم الكبير، بالقول: "وإذا حولتم، ياصاحب الجلالة، أفكاركم في الجهة التي بينت، فلاشك عندي في انه تخطر لكم عدة مشاريع أخرى أفضل من الذي تجرأت على إقتراحها. ولي الثقة بأن جلالتم لانتظنون أن قيامي بكتابة ما كتبت هو في غير محله، فالذي بعثني على كتابة هذا الكتاب هو ما أشعر به من القلق الحقيقي بشأن الحالة الراهنة، ثم أمني بأن ترى جلالتم من

(٣٥٣) يمتد صاحب هذه الدراسة ان الرئيس العراقي السابق صدام حسين كان مطلعاً على محتويات هذه الوثائق المحفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد، وأخذ بها من منطلق نقض لمنطلقات الملكة فكتوريا، فارتدى فعلاً الملابس الكردية، وأعلن عن نيته في تعلم اللغة الكردية، ويقال انه إستعان برجل المخابرات الكردي هوشنگ سيد أحمد وبأستاذ جامعي كردي لهذا الغرض، وأعلن عن نيته في تحويل أربيل الى مسماه بالعاصمة الصيفية للحكومة العراقية، لكن هنطه من ذلك كله كان تخدير الجماهير الكردية، وتغطية سياسة النظام المنصرية تجاه الكرد، والتي إستهدفت وجودهم القومي على ارض الواقع، وبأسلوب لم يسبقه مثيل في التاريخ.

(٣٥٤) دار الكتب والوثائق، رسالة لندوب السامي البريطاني السير هنري دويس نفسها الموجهة الى الملك فيصل الاول بتاريخ ١٨ تشرين اول ١٩٣٦.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

المناسب استعمال تلك المآثر الملكية السامية، مآثر العطف والجدود والنجابة التي
إشتهرتهم بها في سبيل تأمين ولاء هذا الشعب، والقيام بخدمة فائقة للدولة
العراقية. صديق جلالتم المخلص. التوقيع " (٢٥٥).

في لقاء سابق له بفيصل يوم الثامن والعشرين من شباط سنة ١٩٢٣
تباحث دويس معه حول أفضل السبل التي من شأنها أن تساعد على كسب
الکرد و زعمائهم الى جانب الحكومة العراقية، فعرض عليه مقترحات اخرى
بلغت الى حد أن يطلب منه "تشجيع صاحب السمو الامير زيد (الأخ
غير الشقيق للملك فيصل) على التقرب من زعماء الاكراد الذين في لوائي
الموصل وكركوك، وان يستعمل نفوذ العائلة الملوكية في سبيل تأمين
انضمامهم الى الحكومة العراقية، وتعلقهم بها" (٣٥٦).

يبدو أن المندوب السامي إقتنع بأن الظروف بالنسبة لكركوك تحديدا لم
تنضج بعد للاقدام على مثل تلك الخطوة، لذا نراه يوجه بعد مرور أربعة
أيام فقط على لقائهما رسالة الى الملك فيصل يقول فيها:

"وإذا قر الرأي على تحيين خطة العمل هذه للامير زيد ليعمل بها، فلا بد من ان
جلالتم ستنظرون في امر وجوب قيامه في العمل بالاستشارة الى أقصى ما يمكن مع
متصرفي الموصل وأربيل، على أنه ليس من المستحب في الاونة العاضرة ان يدخل الامير
زيد في علاقات مع اكراد كركوك والسليمانية، واني أعتقد بدهاة أن جلالتم

(٢٥٥) المصدر نفسه.

(٣٥٦) دار الكتب والوثائق،

No.R.O.285,The Residency,Baghdad,4 th March,1923,To His Majesty King
Faisal.

رقم، ار.او، دار الاعتماد، بغداد في ٤ آذار ١٩٢٣، الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم.

مركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

ستبينون هذا الامر بوضوح للامير زيد في أي رسالة قد توجهونها اليه في هذا الموضوع" (٢٥٧).

انتقل الامير زيد الى الموصل، واقام إتصالاً مباشراً مع زعماء الكرد، ويبدو أنه حقق قدراً من النجاح، فلقد كان يجيد اللغة التركية، وكان على إطلاع كاف على الحياة في تركيا (٢٥٨). تقول المس بيل بهذا الخصوص في رسالتها المؤرخة في الاول من آذار سنة ١٩٢٣: "اعتقد اننا لو تركنا زيدا وحده فانه بوسعه ان يتوصل الى تسوية مشجعة مع الكرد الشماليين" (٢٥٩).

في الثامن عشر من تشرين اول سنة ١٩٢٦ إقترح المندوب السامي البريطاني على الملك فيصل تأسيس "جمعية في بغداد لتنمية الاتحاد بين الشعبين العربي والكردى" "ربما يفتح لها فرع في كركوك"، ويكون احد اهدافها "تنشيط درس اللغة الكردية، والادب الكردى من قبل العرب، وعلى الاخص الموظفين العرب" (٢٦٠).

(٢٥٧) المصدر نفسه.

(٢٥٨) اصغر أبناء الملك حسين، ولد سنة ١٩٠٠ من زوجته التركية، كان من صفوة الهاشميين، مثقفاً، لطيف المعشر، حسن التصرف، احاد التركية والانكليزية بطلاقة.

(359) E.Burgone, Gertrude Bell from Her Personal Papers, Ernest Benn Limited, London, 1961, P.310.

(٢٦٠) دار الكتب والوثائق،

No.R.O,285,The Residency,Baghdad,To His Majesty King Faisal, October 18,1926,P.3,Secret.

كانت إستجابة الملك فيصل لنصائح البريطانيين جيدة عموماً (٣١١) . وردت في التقرير الرسمي الذي بعثه السير بيرسي كوكس، المندوب السامي البريطاني في العراق، الى وزارة المستعمرات بلندن عن الوضع المالي والاداري للعراق من نيسان ١٩٢٢ حتى ٣١ آذار ١٩٢٣ الملاحظة الآتية عن "وجهة نظر الملك فيصل فيما يتعلق بالمسألة الكردية في العراق اواخر العام ١٩٢٢"، وذلك في معرض تعليقه على قبول بعض المناطق الكردية بعرضه:

"لم يبق ، لذلك، سوى إيجاد نوع من تصالح مؤقت (في النص modus vivendi وهو مصطلح يعني إتفاق، أو صلح مؤقت يعقد بين طرفين متنازعين او متناحرين) من شأنه أن يمكن عرب العراق وكرده من العيش معاً بسلام في ظل تاج موحد مع إحترام ملزم للمشاعر القومية للعنصرين. إن موقف الملك فيصل مفيد، فانه شخصياً قومي، ذو نظرة بعيدة جداً، ليس مستعداً ان يحترم إحساس الآخرين، ويعترف به حسب، بل إنه مستعد أيضاً أن يمنح المناطق الكردية داخل العراق درجة تامة من الحكم الذاتي، وعلى الكرد أنفسهم أن يقرروا بأي اسلوب يمارسونه" (٣١٢).

سجلت الحكومة البريطانية في تقريرها الرسمي الذي قدمته الى عصابة الامم عن سير الادارة في العراق في غضون المدة الممتدة بين نيسان ١٩٢٢ واذار

(٣١١) عن سياسة الملك فيصل الاول تجاه القضية الكردية في العراق عموماً يمكن الرجوع الى البحث الذي قدمه صاحب هذه الدراسة الى ندوة " بناء الدولة العربية الحديثة: تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق " التي عقدتها جامعة آل البيت في الاردن يومي ٢٥ و٢٦ نيسان سنة ١٩٩٨، كان البحث بعنوان " موقف الملك فيصل الاول من المسألة الكردية في العراق ". ينظر نص البحث في: " بناء الدولة العربية الحديثة. تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق "، منشورات جامعة آل البيت، عمان، ١٩٩٩، ص ٥٤١-٥٥٦.

(362) Colonial Office. Report by His Majesty's High Commissioner on the Finance, Administration and Condition of Iraq for the period from 1st April, 1922-31st March, 1924, Colonial 4", London , 1924, P.38.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

١٩٢٣ الملاحظة نفسها نصاً في القسم المخصص من التقرير للقضية الكردية(٣٣٣). وعلى العموم كان الملك فيصل الاول مقتنعاً تماماً بضرورة إقامة " حكومة كردية ذات حكم ذاتي داخل حدود العراق طالما ان ذلك لا يؤدي الى انفصال سياسي، او اقتصادي للمقاطعات الكردية" كما أخبر بنفسه حاكم كركوك السياسي آدموندس بذلك أثناء نقاش لهما بصدد القضية الكردية(٣٤٤).

في ضوء فتاياته اقام الملك فيصل الاول طوال سنوات حكمه الاثنتي عشرة العلاقات مع العديد من الزعماء الكرد، بمن فيهم زعماء كركوك، يلتقيهم ويتبادل معهم الرسائل(٣٦٥)، نتطرق الى نماذج منها في مبحث آخر من هذه الدراسة. كما إتخذت في عهده سلسلة من الاجراءات الدستورية والقانونية لصالح حل القضية الكردية، منها تأسيس مديرية خاصة للمعارف الكردية كان مقرها في مدينة كركوك. الا ان أجراً قرار إتخذ في عهده كان الاعتراف بحق الكرد في إقامة حكومة خاصة بهم تدخل كركوك وتوابعها ضمنها. ففي الحادي والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٢٢ أصدرت الحكومتان العراقية والبريطانية البيان الآتي:

(363) "Iraq. Report on Iraq Administration, April, 1922- March, 1923", London, 1924, p.38.

(364) Quoted in: E.Burgeyne, Gertrude Bell from Her Personal Papers,P.306.

(٣٦٥)ملفات البلاط الملكي التي تعود الى عهد الملك فيصل الاول، والمحفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد

ملينة بنماذج معبرة عن تلك الرسائل التي تتوفر نسخ منها في عدد من المكتبات الخاصة ايضاً.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

"تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية، والحكومة العراقية بحق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق في تأسيس حكومة كردية داخل هذه الحدود، وتاملان في ان تتفق مختلف العناصر الكردية بأسرع ما يمكن على الشكل الذي يودون أن تتخذه تلك الحكومة، وعلى الحدود التي يرغبون أن تمتد إليها، وان يرسلوا مندوبين مسؤولين (مفوضين) الى بغداد لبحث علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية، وحكومة العراق"^(٣٦).

أبلغت بريطانيا، بوصفها الدولة المنتدبة على العراق، عصبة الأمم بنص هذا البيان مرتين، المرة الأولى ضمن تقريرها عن سير الإدارة في العراق من نيسان ١٩٢٢ حتى آذار ١٩٢٣، والمرة الثانية ضمن تقريرها الشامل عن سير الإدارة في العراق من بداية الانتداب حتى سنته الأخيرة (١٩٢٠-١٩٣١)، والذي على أساسه قبل العراق في عصبة الأمم^(٣٧). ونشرت صحافة العراق في حينه البيان، كما نشره المؤرخ عبدالرزاق الحسيني في أشهر مؤلفاته مراراً^(٣٨).

هنا ينبغي أن نشير أيضاً الى ان تغييراً ما لم يطرأ على واقع إدارة كركوك وتوابعها بوصفهما جزءاً من المنطقة الكردية في ذلك العهد. ننقل أدناه ما ورد في اول تقرير عن سير الإدارة في العراق رفعته الحكومة

"Report on Iraq Administration, April, 1922-March, 1923", P.38; Special Report by His Majesty's Government...to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931 ", P.256.

(367)Ibid.

(٣٨)نشر عبدالرزاق الحسيني هذا النص للمرة الأخيرة ضمن الطبعة السابعة من تاريخ وزاراته الشهر الذي أصدرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٨٨، ينظر: عبدالرزاق الحسيني ، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٢٨٢.

البريطانية الى عصابة الامم بعد تتويج فيصل، والذي جاء ضمن مبحث مستقل بعنوان رئيس هو "القضية الكردية" (The Kurdish Question) وعنوان فرعي هو "الادارة المؤقتة في المناطق الكردية Provisional Administration in the Kurdish Districts"

كان لي الشرف أن أشير في آخر تقرير سنوي لي عبرت المقاطعات الكردية في الموصل وأربيل مرتين عن نيتها للانضمام الى العراق، المرة الاولى في حزيران ١٩٢١ قبل وصول الامير فيصل، ومرة أخرى في آب (١٩٢١) حين أدت يمين الولاء له ملكاً بإستثناء قضاء رواندوز، ولكن في العاليتين كانت هنالك ثمة تعفظات مؤكدة تستهدف ضمان قدر من اللامركزية توافق عليها الحكومة العراقية، على ان يكون السكان غير ملزمين بالانصياع الى قرارات سابقة من هذا القبيل إذا ما استجدت ظروف في ضوء ماورد في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر . من جهة اخرى رفض (لواء) السليمانية كلياً فكرة الانضمام للعراق في حزيران ١٩٢١، في حين طلبت أغلبية سكان (لواء) كركوك بأن يؤجل ذلك القرار (قرار الانضمام الى العراق) لمدة سنة، وفي الوقت نفسه لم يؤدوا يمين الولاء للملك. وبانتظار حل كان لواء كركوك يدار، كما كان في السابق، من قبل الحكومة العراقية ومستشارين بريطانيين^(٣٦٩). ويبدو من هذا واضحاً أن إنضمام كركوك الى العراق تأخر عن إنضمام أربيل والمقاطعات الكردية التابعة للواء الموصل اليه.

آخر إجراء مهم اتخذ في عهد الملك فيصل الاول تجاه تعزيز الوحدة الوطنية كان إعتراف الحكومة بصورة رسمية، في تموز سنة ١٩٣٠، بأن النجمتين الموجودتين داخل العلم العراقي "هما رمزان للشعبين العربي

Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year 1921-1922", London, 1923,P.32.

حركاته و تواجدهما حكم التاريخ والضمير

والكردي- الشعبين الرئيسيين في العراق"، القرار الذي عده المندوب السامي البريطاني "تطوراً عظيماً في الموقف الذي تبنته حكومة العراق حتى الآن بشأن القضية الكردية" (٣٧٠).

أشارت مصادر حكومية لاحقاً الى هذه الحقيقة التي حاول الكثيرون طمسها، أو يحاولون إنكارها وكأن في عدم وجودها مثقال ذرة من الخير للوحدة الوطنية. وردت في الدليل الرسمي للعام ١٩٣٦ الذي صدر، كما قلنا، في عهد ياسن الهاشمي، العبارة الآتية في مبحث "شعار الدولة العراقية": "تحتوي ألوان العلم العراقي رمزا الى العنصرين العربي والكردي" (٣٧١). وردت تفصيلات أدق حول الموضوع نفسه في مصدر رسمي آخر هو "دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية"، هذا نصها:

"للدولة العراقية شعار خاص صدر به قانون باسم قانون شعار الدولة العراقية رقم ٢٥ لسنة ١٩٣١، ويتألف شعار الدولة من رقعة ملونة بالوان العلم العراقي، الاحمر فوق، فالاسود، فالأبيض فالأخضر، تضمها حاشية مذهبية، وفي طرفيها العلويين ضمتان يتكون منهما زهرتان مربوط كل منهما بشريط مذهب متشابك على شكل ذوابة، ويعلو الرقعة التاج العراقي مستنداً الى كوكبين ذوي سبع شعب مزخرفة تحوي ألوان العلم العراقي رمزا الى العنصرين العربي والكردي" (٣٧٢).

(370) Public Record Office, AIR, 23/417, XM-O4583, No. 15, July 21, 1930.

(٣٧١) "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ١٢٢.

(٣٧٢) "دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية. يصدر باللغتين العربية والانكليزية... بإجازة من وزارة

داخلية العراق رقم ٢٤٢ تاريخ ١٣/١٠/١٩٣٤"، بغداد، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص ١٥٢.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

بقيت كركوك، مع ذلك كله، أقل المدن العراقية ولاء لفيصل الاول بوصفه ملكاً للعراق، الامر الذي لا يخلو من مغزى بالنسبة لموضوعنا. ورد في تقرير ضابط الاستخبارات البريطاني في كركوك عن زيارة فيصل للمدينة في كانون الاول ١٩٢٤:

"زيارة الملك فيصل الى كركوك: على الرغم من الاستقبال الحافل الذي جرى للملك فيصل لدى وصوله كركوك فان زيارته أدت الى تفجير شعور الكراهية تجاه الحكومة العراقية. ان الشنائم الموجهة للملك كانت تسمع من جميع الاطراف... أن مبعث الاساءة للملك هو منصبه لا شخصيته التي كشفت بمهارة بأنها متحسسة، ودية، وعميقة التفكير، ولدت إنطباعاً حسناً بالنسبة للأشخاص كافة الذين قابلوه" (٣٧٣).

رافق الملك فيصل في زيارته تلك، التي شملت اربيل والموصل أيضاً، الشخصية الكردية المعروفة إبراهيم الحيدري الذي كان يشغل يومذاك منصب وزير الاوقاف في وزارة ياسين الهاشمي. يتذكر شهود عيان أن الوجود العربي داخل مدينة كركوك أثناء تلك الزيارة كان يقتصر على محلة صغيرة تعرف بـ(عربل) يقطنها القصابون و اصحاب الجواميس، فضلاً عن أكواخ عدد من الحديديين على الطريق بين محطة القطار والمدينة، أمر الملك فيصل بازالتها بسبب منظرها، ونقل أصحابها الى مكان آخر(٣٧٤).

(373)Public Record Office, AIR,23/184,Part I, XM 4583,Intelligence Report No.2 for the period ending 28th December 1924.

(٣٧٤)مقابلة مع محمد جميل الروزيباني بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٩٢، مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٩٢.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

على الرغم من مواقفهم الانفة الذكر حاول البريطانيون، لاسباب تخص مصالحهم، إبعاد كركوك و توابعها عن الحركة القومية الكردية، ولا سيما عن حركات الشيخ محمود التي كانت كركوك وتوابعها تمثل دائماً احد اهم اهدافها المركزية، ومنطقة اساسية من حيث التأثير بأحداثها، والتأثير فيها.

كركوك وتوابعها وحركات الشيخ محمود

للشيخ محمود البرزنجي (٣٧٥) واسرته روابط تاريخية مع كركوك وتوابعها وعشائرها و تكايبها وحركاتها السياسية والاجتماعية على مختلف الصعد يعود تاريخها الى مرحلة سبقت قيادته للحركة القومية الكردية. فان أجداده كانوا يحظون بإحترام عميق بين أهالي كركوك وتوابعها بوصفهم رجال دين كبارا، وكانوا على إتصال وثيق بوجوه المدينة نفسها، بمن فيهم المشرفون على التكية الطالبانية، والشاعر الشهر الشيخ رضا الطالباني. وتحول مرفد كاك أحمد الشيخ الى مزار للكركوكيين، مثل غيرهم من كرد المنطقة. وحين سافر الشيخ سعيد، والد الشيخ محمود الى إستانبول تلبية لدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٣١١ للهجرة (١٨٩٣ للميلاد) استقبل في كركوك بحفاوة بالغة في طريقه الى هناك، وكان الشيخ محمود

(٣٧٥) يلقب بالحفيد أيضاً كونه حفيدا لكاك أحمد الشيخ. يذكره العديد من المؤرخين، منهم لونغريك ، بلقبه

البرزنجي.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

يرافق والده في سفرته تلك. وجدير بالذكر أن عزت كاكائي، احد مثقفي كركوك يومذاك، كان سكرتيرا شخصيا للشيخ سعيد(٣٣٦).

عندما اغتيل الشيخ سعيد في كانون الاول سنة ١٩٠٨ في الموصل، الى حيث نفاه الاتحاديون(٣٣٧)، وقف الى جانب أتباعه "عدد من افراد الجندرية الخيالة المسلحين بالبنادق، جميعهم من اهالي كركوك و السليمانية"(٣٣٨). تؤكد مختلف المصادر أن اغتيال الشيخ سعيد أثار اهالي أربيل و كركوك و السليمانية بشدة. يقول المترجم والمؤرخ جعفر الخياط في تعقيب له على ما تذكره المس بيل عن مقتل الشيخ سعيد:

"فكان للحادث دوي كبير في منطقتي كركوك و السليمانية بين السكان"(٣٣٩).

وحسبما يبدو من مذكرات سكرتير الشيخ سعيد، عزت كاكائي، أن تدخل عدد من أعوان الشيخ سعيد و أقاربه قد حال دون وقوع اعمال عنف "في كل من أربيل و كركوك" بانتظار نتائج التحقيق الذي وعد الاتحاديون إجراؤه في الحادث(٣٤٠). وفي العام ١٩١٣ طلب الشيخ محمود باسم

(٣٣٦) للتفصيل عن ذلك ينظر في:

M.R.Hawar , The Leader Shaikh Mahmood and Southern State of Kurdistan, in Kurdish,London,Jaf Press,1990,PP.136-137,147,209.

(٣٣٧) عن اغتيال الشيخ سعيد، واسبابه ونتائجه ينظر في:

Ibid,PP.143-147;عبدالمنعم الغلامي، الضحايا الثلاث، الموصل، ١٩٥٢، ص١٢-٣٦.

(٣٣٨)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق ١٣٣٧-١٣٣٨ هـ ١٩١٩-١٩٢٠م، الجزء الاول، بغداد، ١٩٦٦، ص١٣٣.

(٣٣٩) "فصول من تاريخ العراق القريب"، كتاب يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين سنتي ١٩١٤ و ١٩٢٠ كتبه بالانكليزية المس بيل، نقله الى العربية وكتب حواشيه جعفر الخياط، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٧١، ص١٣٧.

(380)M.R.Hawar,The Leader Shaikh Mahmud...,P.148.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

كرد السليمانية وكركوك واربيل وغيرها مساعدة الروس لحركته الاستقلالية^(٣٨١). وعندما ذهب الشيخ محمود على رأس حوالي ثلاثة الاف من الفرسان الكرد حسب تقدير وزارة الحرب البريطانية^(٣٨٢) لصد القوات البريطانية جنبا الى جنب أبناء العشائر العربية في وسط العراق وجنوبه، واشترك فعلا في موقعة الشعبية قرب البصرة في نيسان ١٩١٥، فان عدة مئات من متطوعي كركوك وتوابعها من الكرد اشتركوا في تلك المعركة تحت قيادته التي رافقه فيها ثلاثة من زعماء الكرد في كركوك هم كل من رفعت اسماعيل بيك داوده وابن عمه علي نامق آغا وسيد احمد خانقاه الذي مثل كركوك في البرلمان العراقي لاحقا. وكان علي نامق آغا احد شهداء الكرد في معركة الشعبية التي جلبت سمعة رفيعة للشيخ محمود بين الاوساط الشعبية العربية انعكست في اهزوجة تقول "ثلثين الجنة لهادينا وثلثها للشيخ محمود واكرده"^(٣٨٣). وكان لكرد ماوراء العمارة والكويت، خصوصا كرد بدره و امتداداتها دورهم في خطط الشعبية، فقد إتصل بهم باسم قادة المجاهدين والقيادة العثمانية الشيخ محمد رضا الشبيبي خصيصا لهذا الغرض^(٣٨٤). ورد في مصدر موثوق بهذا الخصوص مانصه:

(381)M.S.Lazarev,Kurdistan I Kurds kaya Problema,P.230.

(382)Public Record Office, War Office , 32/5806/2205,The Potential Enemies in Mesopotamia,No.162/428,Dated April 15,1920.

(٣٨٣) للتفصيل عن الموضوع ينظر في: كمال مظهر، الكرد ومعركة الشعبية، في مجلة " روشنبيري نوى " (المنصف الجديد)، بغداد، العدد ١٢٥، ١٩٩٠، ص٣٦-٤٠.

(٣٨٤)حسن الأمين، الشيخ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعر العرب، - " العربي " (مجلة)، الكويت، العدد ١٥٩، فبراير ١٩٧٢، ص٧٦-٧٧.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

"التحق الشيببي نفسه ببعثة عسكرية مرسله الى عشائر الاكراد في الجنوب الشرقي من العراق لمنع الانكليز واعدائهم من التغفل والتسلل الى تلك الجهة من منطقة البصرة (يقصد الشعبية)، او من ناحية الاهواز، وتطويق الجيش التركي المحارب في مواقع الكوت والفلاحية. وبعد أن مكث الشيخ الشيببي في تلك الجهات بعض الوقت تلقى برقية تدعوه للالتحاق بهيئة القيادة العامة للحملة العسكرية المجهزة لاسترداد البصرة"^(٢٨٥).

يجدر بالذكر ان تركمان كركوك وتوابعا كان لهم أيضاً حضورهم في معركة الشعبية، ويرد اسمهم جنباً الى جنب اسم الكرد في المصادر التي تطرقت الى هذا الموضوع. يقول العميد الركن شكري محمود بهذا الخصوص، "تحشد القسم الكبير من المجاهدين في منطقة الناصرية، فبلغ عددهم في أواخر كانون الثاني (١٩١٥) زهاء ١٢ ألف مجاهد عربي وألفي مجاهد كردي وتركماني"^(٢٨٦).

تطرقنا الى جانب من إتصالات البريطانيين بالشيخ محمود في السنة الاخيرة من سنوات الحرب العالمية الاولى عن طريق خانقين وكركوك، وتحولت الاخيرة مع إنتهاء الحرب الى مركز تلك الاتصالات، والى مكان إلتقاء ممثلي الشيخ محمود بالمسؤولين البريطانيين، ومن ثم الى تحشيد القوات البريطانية لضرب حركاته. وكما بينا أن أول حاكم سياسي عين في كركوك بعد إحتلالها للمرة الثانية كان نوثيل الذي جاء إختياره على أساس إطلاعه

(٢٨٥) عبدالرزاق الهلالي، دراسات وتراجم عراقية، بغداد-بيروت، ١٩٧٢، ص١٩.

(٢٨٦) العميد الركن شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨. دراسة علمية، الطبعة الثامنة، بغداد، ١٩٧٤،

الواسع على الشؤون الكردية، ويكون حلقة وصل مع الشيخ محمود الذي دخل الانكليز في مساومة صريحة معه بسبب النزعة الاستقلالية التي كانت تسود المنطقة، ولصعوبة الاحتفاظ بقوات كبيرة هناك، مما كان يتنافى كليا مع التوجهات السياسية التي كانت تسود بريطانيا نتيجة إستياء دافع الضريبة من التكاليف الباهظة التي كان يتطلبها وجود القوات البريطانية في الخارج. يقول الضابط السياسي الانكليزي السابق في كركوك لونجريك، " كانت مشكلة كردستان الجنوبية في تشرين الثاني عام ١٩١٨ تلخص في أن إقامة نظام أفضل من الفوضى، وأن لا تؤذي جاراتها بلاد فارس(٢٨٧) والعراق، من غير الحاجة الى إستخدام قوات لم تكن متوفرة أصلاً" (٢٨٨).

على هذا الاساس اعترف البريطانيون بالشيخ محمود حكمدارا على كردستان الجنوبية لان "الشعور القومي الكردي في ذلك الوقت كان متجسدا في شخصه" باعتراف أهم وثيقة قدمتها الحكومة البريطانية الى عصبة الامم في سنوات الإنتداب(٢٨٩).

(٢٨٧) كانت العلاقات بين لندن وطهران جيدة يومذاك، وكان البريطانيون يهتمهم إستقرار الاوضاع في ايران كثيرا بهدف تحويلها الى سد امام الخطر الجديد المتمثل بالبلاشفة الجائمين على حدودها الشمالية بصورة مباشرة، لذا فإنهم كانوا منهمكين يومذاك بالتخطيط من أجل توقيع معاهدة ثنائية معها تحقق لهم هذا الهدف السوقي المهم.

(388)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,P.103.

لم ترد ترجمة هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب بسبب حذفها من الرقيب اغلب الظن، والا فإن مترجم الكتاب نفسه المرحوم سليم طه التكريتي لم يكن يعاني من أي حساسية تجاه الكرد وفضيلتهم، بل كان معروفاً بحبه الجم لهم بحكم جنوره فكره التقدمي.

(389) " Special Report by His Majesty's Government..to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931",P.255.

تبين جميع الوثائق البريطانية المبكرة المعنية بالموضوع أنه كان من المقرر أن تدخل كركوك و توابعها ضمن "حكمدارية كردستان الجنوبية" التي غدت، مع "حكمدار كردستان الجنوبية" مصطلحاً متداولاً في الوثائق البريطانية التي تطرقت الى ما يخص الموضوع في ذلك الحين(٣٩٠). يتحدث الحاكم المدني العام في العراق وكالة أرنولد ولسن، الذي كان مسؤولاً عن تطبيق سياسة حكومته في كردستان الجنوبية في ذلك الوقت، عن زيارته للسليمانية.

يوم الأول من كانون الأول سنة ١٩١٨ أي بعد أيام من تأسيس الحكمدارية، وعن إجتماعه بالشيخ محمود وعدد من زعماء الكرد، وفي خضم حديثه سجل لنا الملاحظة الآتية:

"وقد أعطيت الشيخ محمود مقابل مضبطة الزعماء الكرد (٣٩١) مذكرة بينت فيها أن جميع العشائر الكردية القاطنة بين الزاب الكبير وديالى ، فيما عدا العشائر القاطنة داخل الحدود الإيرانية، الراغبة في قبول زعامة الشيخ محمود يسمح لها بذلك، ونحن نساعدده مساعدة أدبية غير مادية لإدارة هذه البلاد نيابة عن الحكومة البريطانية التي يتعهد الشيخ بإطاعة أوامرها"(٣٩٢).

(٣٩٠) ينظر على سبيل المثال في:

Public Record Office, F.O, 371/5069/4342.

(٣٩١) في النص ، مقابل هذه.

(392)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.129.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

ورد النص نفسه في كتاب لونجريك المذكور آنفاً(٣٩٣)، وكذلك في كتابات بيل التي تقول إن ولسن "وقع وثيقة" بهذا المضمون(٣٩٤)، كما سجلته الصحافة العراقية أيضاً(٣٩٥).

كما بينا مرارا، وبالاستناد الى مجموعة من الوثائق الرسمية، كانت كركوك وتوابعا ترغب في الانضمام الى نظام كردي، لكنها، مع ذلك، لم تكن مستعدة في أكثريتها يومذاك للإنضمام تحت حكم الشيخ محمود بالتحديد. يقول ولسن بهذا الخصوص:

"إلا أن العشائر والأهلين القاطنين في منطقتي كفري وكركوك لم يرغبوا في الانضمام تحت راية الشيخ محمود، واتفق الآخرون إلا يطلبوا إدخالهم تحت سلطته"(٣٩٦).

أما عبدالمنعم الغلامي، وهو ممن راقبوا الأحداث عن كثب، فيقدم تفصيلات أكثر من ولسن بصدد الموضوع نفسه، إذ يقول: "وقد أخذ الشيخ محمود يعمل الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى، من بينها منطقتا كفري وكركوك، إلا أن عشائر هاتين المنطقتين رفضوا الخضوع الى زعامته، مرجحين عليها البقاء تحت الحكم البريطاني المباشر عدا سادة عشيرة الجباري، وقبيلة شيخ بزيني

(393) S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,P.103.

لم ترد، للأسف، هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب للسبب نفسه الذي نوهنا اليه سابقاً.

(٣٩٤) "فصول من تاريخ العراق.. كتيبه بالانكليزية المس بيل"، ص ١٩٠-١٩١.

(٣٩٥) "العالم العربي"، العدد ٢٢٠٢، ١٢ أيلول ١٩٣٦.

(396)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.129.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

على شاطئ الزاب الصغير، وكذلك جماعة عبدالكريم بيك من رؤساء قبيلة الهموند في منطقة چمچمال" (٣٩٧).

تكن أسباب ذلك في مجموعة من العوامل. فقبل كل شيء ان عددا من العشائر الكردية المتنفذة في كركوك و توابعا لم تكن على وفاق منذ مدة مع البرزنجيين المعروفين بالشيخان-أسرة الشيخ محمود. تأتي الطالبانية على رأس تلك العشائر التي بلغت خلافاتها مع البرزنجيين منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الحد الذي وجدت لها إنعكاساً بليغاً في الادب الكردي(٣٩٨). بل ان قطاعاً من أبناء تلك العشيرة لم يتردد في الانضمام الى صفوف القوات المعادية للشيخ محمود. إستمر الخلاف البرزنجي-الطالباني ردحاً طويلاً من الزمن على الرغم من المحاولات المخلصة التي بذلت بين الحين والآخر من أجل تسويته(٣٩٩)، ويبدو أن زواج بابا علي، نجل الشيخ محمود، من سيدة طالبانية معروفة(٤٠٠) إنصب في مجرى تلك المحاولات التي أثمرت في وقت لاحق حين حل الوعي القومي الاوسع افقاً محل الوعي العشائري الاضيق افقاً. لكن موقف الطالبانيين من البرزنجيين لا ينفي قطعاً تمسك الاولين بقضية قومهم. فقد برز بينهم من دافع عن القضية الكردية في وقت

(٣٩٧)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ٩٢.

(٣٩٨)الشيخ محمد الخال، ديوان الشيخ رضا الطالباني، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي باللفة الكردية، بغداد، بلا، ص٧.

(399)M.A.Hawar,The Leader Shaikh Mahmood,PP.208-212.

(٤٠٠)هي السيدة رشادت، كريمة عميد الاسرة الطالبانية الشيخ حميد الذي مثل كركوك في المجلس التأسيسي، والبرلمان العراقي أكثر من مرة.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

مبكر، منهم الشيخ محمد علي الطالباني الذي إتصل في كانون الاول سنة ١٩١١ بقنصل روسيا العام في بغداد باسم عشائر الطالبانية والداودة والزنكنه مبدياً إستعداده للتعاون معهم ضد الاتحاديين(٤٠١). كما ان عددا من شعراء الكرد القوميين البارزين كانوا من الطالبانيين، منهم الشيخ رضا الطالباني والشيخ علي الطالباني الذي كتب قصيدة يرثي فيها الشيخ سعيد، والد الشيخ محمود بعد إغتياله في الموصل تكون نتيجة أبياته حسب الحروف الابدجية ١٣٢٦، أي سنة إغتيال الشيخ سعيد، ومنهم أيضاً الشيخ محمد الطالباني (خالص) الذي كتب قصيدة طويلة جدا للشيخ محمود تمثل قمة الادب الكلاسيكي الكردي، وعمقاً في التفكير والتقويم، تنطوي على نقد لاذع، مخلص لبعض تصرفاته، ولن حوله(٤٠٢).

إتخذ بابانيو كركوك من الشيخ محمود موقفاً مشابهاً تماماً لموقف الطالبانيين . ورد في تقرير فريد كتبه أحد أعوان الملك فيصل الاول ما نصه بهذا الخصوص:

"لما قابلت جميل بيك بابان (عميد الاسرة البابانية) في الصلاحية (كفري)، واستمزجت رأيه أجاب بان السلطة الكردية من حقوقه، وحقوق أجداده، ورغماً عن

(401) M.S.Lazarev, Kurdistan I Kurdskaia Problema, P.201; M.S.Lazarev, Kurdskaia Vopros 1891-1917. P.202.

(٤٠٢) مقابلة مع الدكتور مكرم الطالباني بتاريخ ٢٤ كانون الأول ١٩٩٤. د. مكرم تالهباني، شيخ رمزي تالهباني . زياتي بهروردهي بيروباوهري و شيعري شاراس، ههولير ٢٠٠٦، ل. ٢٠-٢٣.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

وعد الحكومة البريطانية بمنحها اياهم، قد أعطتها للشيخ محمود.. وبعد المذاكرة وافق على بذل كل جهد لمقاومة بروياغندا الشيخ محمود" (٤٠٣).

لكن بابانيي كركوك كانوا ، مع ذلك، من أشد المتحمسين لطموحات الكرد القومية. ورد في التقرير نفسه ، وعن جميل بيك بن مجيد باشا بابان نفسه أنه من "ناشري فكرة الاستقلال بين الاكراد" وله "بعض النفوذ، لكنه منحصر في عشائر كركوك و الصلاحية وبشدر" (٤٠٤).

وفي الوقت نفسه لم يكن جانب كبير من القطاع المؤثر من أهالي كركوك يميلون الى الشيخ محمود بسبب تخلف بعض أساليبه في التعامل، ونتيجة موقف التجار الذين وقفوا، مثل تجار السليمانية، ضد الشيخ خوفاً من آثار حركاته المتوقعة على روابطهم التجارية الوثيقة ببغداد. لم يختلف عن ذلك الموقف المؤثر للترکمان الذين كانوا "يرنون يومذاك الى عودة الاتراك" (٤٠٥).

ومن أجل وضع الصورة في إطارها الطبيعي نقول إن كرد أربيل وتوابعا اتخذوا ، بدورهم، موقفاً مشابهاً لموقف كرد كركوك وتوابعا من حكمادية الشيخ محمود، وذلك بغض النظر من حماسهم الكبير لتأسيس نظام كردي كما لاحظنا ذلك جلياً في اكثر من مناسبة. يلخص أحد المستشرقين الموضوع هكذا:

(٤٠٣) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف: إدارة كردستان ، الوثيقة رقم ٦، ص ١٨.

(٤٠٤) المصدر نفسه، الوثيقة رقم ٦، ص ١٥.

(405)Public Record Office, F.O., 371/12255/2542, Secret, Reference No1/407,P.6

"لقد وقف سكان كركوك وأربيل والاقضية الكردية في لواء الموصل مواقف مختلفة من مجيء الشيخ محمود الى السلطة، فالبورجوازية الكردية الفتية في أربيل وكركوك كانت تخشى من أن تتحول هاتان المدينتان بعد إنتصاره الى تابعتين للسليمانية المتاخرة. لكن السند الرئيس للشيخ محمود كان الفلاحون والرحل في لواء السليمانية، وسانده بقوة أيضاً القبائل القاطنة في منطقة كفري بلواء كركوك. وعلى العموم كانت فكرة إستقلال كردستان تلقى مساندة حارة من جانب الاغلبية الساحقة من الشعب الكردي" (٤٠٦).

مهما يكن من أمر فإن هذا الواقع قد تحول بسرعة الى أحد الاسباب الاساسية لتحريك الشيخ محمود ضد البريطانيين الذين كان الشيخ يحملهم وزر موقف كركوك واربيل وتوابعهما من حكمداريته، الاتهام الذي لم يخل من قدر كبير من الحقيقة في الواقع، الامر الذي يقره البريطانيون صراحة. ورد في "التقرير الاداري عن منطقة السليمانية للعام ١٩١٩" ما يأتي نصه بهذا الصدد:

"كان الشيخ محمود ينظر بإنزعاج الى فصل كفري وكركوك (عن حكمداريته)، وارتداد الجاف عليه، وفشله في التأثير شخصياً بقوة على كوي (كوسنجق) ورواندوز، وبدأ الان يتخذ خطوات نشطة ضد الحكومة البريطانية.. ولهذا دعا في هذا المنعطف الى جانبه شخصية سيئة السمعة من الحدود الفارسية (٤٠٧)،

(406)A.M.Menteshashvili, Iraq v godi Angliskovo Mandata,P.202.

في الترجمة العربية، ص ٣٢٢.

(٤٠٧) يقصد التقرير محمود خان دزلي، من زعماء هورامان المعروفين، وأخلص أعوان الشيخ محمود، قض بمواقفه مضاعف البريطانيين الذين لم يكفوا عن مطاردته.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

وبمساعده، ومساعدة عدد من أنصاره وأقاربه إستعوز على ما يمكن وصفه عملياً
بالسيطرة على كركوك من أجل كردستان حرة" (٤٠٨).

في النص الانكليزي:

..took possession of the practically detention of capturing
Kirkuk for a free Kurdistan.

هكذا وقع الصدام المباشر بين الشيخ محمود والبريطانيين من اجل
كركوك في سياق نضاله التحرري، فإن الشيخ إستمر " في خطته" الرامية
"الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى من بينها منطقتا كفري
وكركوك" من "دون الالتفات الى أي اعتبار آخر (مما) لم يكن مقبولاً من
نائب الحاكم الملكي العام في العراق، فقرر الحد من سلطة الشيخ محمود،
وتقليص نفوذه، وإيقافه عند حدود السياسة التي تنتهجها حكومة الاحتلال في
هذه المنطقة من العراق" (٤٠٩).

حين علمت سلطات الاحتلال بنيات الشيخ محمود وجهت قواتها صوب
السليمانية، فوقع اول صدام بين الطرفين في طاسلوجة يوم الخامس
والعشرين من ايار سنة ١٩١٩، إنتهى بإندحار البريطانيين الذين خلفوا في
ساحة المعركة أربع مدرعات و تسع عشرة شاحنة من نوع فورد، فضلاً عن
قتلاهم (٤١٠).

(408)Public Record Office,F.O.,371/5069/4342,Adniistration Report of
Sulaimaniyah Division for the year 1919,P.3.

(٤٠٩)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص٩٣.

(410)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.137.

مع تفاهم الوضع، وإقتراب الخطر من كركوك حشد البريطانيون قوات كبيرة بقيادة الجنرال فريزر. وقع الصدام الجديد في مضيق بازيان على الطريق بين كركوك و السليمانية يوم السابع عشر من حزيران ١٩١٩. في معركة غير متكافئة إنتصر البريطانيون، وجرح الشيخ محمود نفسه، فوقع في أسرهم. قدم الشيخ في بغداد الى محكمة عسكرية بريطانية أصدرت حكم الاعدام بحقه على أساس أن "موت الشيخ محمود هو اهم ضمانة للاستقرار في كردستان الجنوبية" حسب تعبير الحاكم الملكي العام وكالة في العراق ارنولد ولسن(٤١١).

غير البريطانيون حكم الاعدام الصادر بحق الشيخ محمود الى السجن المؤبد، ومن ثم نفوه الى الهند. لكن ذلك لم يجلب لهم الاستقرار المنشود، ولاسيما أن عنصرا جديدا ظهر على الساحة، تمثل في تعاون القوى الثورية الكردية مع الكماليين في تركيا، وقد تحولت كركوك تحديدا الى احد اهم مراكز التوجه الجديد الذي اطلق البريطانيون الى حد كبير. في خضم ذلك حققت القوى الكردية المعادية للوجود البريطاني نجاحا كبيرا كان احد اسبابه الجهورية يكمن في تعاون قائدها مع الكماليين. وقد ادت كركوك و توابعها دورا ملموسا في نضال الكرد في مرحلته الجديدة. ففي ايار ١٩٢٢ إنتفض أبناء عشيرة زمنگنه، كما لم يهدأ همونديون الذين إغتالوا ضابطين بريطانيين هما الكابتن ماكانت (R.K.Makant) والكابتن بوند

(411) Ibid,P.139.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

(S.S.Bond). انعكست أحداث كركوك هذه على بقية المناطق الكردية. يقول الضابط السياسي لكركوك حينئذ لونجريك إن ما حدث هناك "وطد مركز الترك في رواندوز"^(٤١٣)، ويقصد بالترك القوة العسكرية الصغيرة التي بعثها الكماليون الى رواندوز للتعاون مع الكرد ضد البريطانيين. أما في السلیمانية فان البريطانيين اضطروا الى نقل موظفيهم المدنيين والعسكريين جوا من هناك الى كركوك يوم الخامس من ايلول ١٩٢٢، ليتم بذلك انسحاب البريطانيين الى خط اربيل-كركوك-كفري بإعتراف ووثائقهم التي قدموها الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق^(٤١٣). تقول وثيقة رسمية عراقية عن تأثير الانسحاب من السلیمانية على كركوك ما نصه:
"وقد أخليت السلیمانية، إلا ان الامن في كركوك اضطرب ثانية، فحصلت ضرورة لاحتلالها ثانية"^(٤١٤).

تزامنت مع هذه الاحداث حملة عامة تطالب بعودة الشيخ محمود من منفاه في الهند، شملت معظم المناطق الكردية، بما فيها كركوك و توابعها^(٤١٥). إستجاب البريطانيون لهذه الدعوة بامل أن يتعاون معهم الشيخ لاعادة الاستقرار الى كردستان الجنوبية، ولردع الكماليين. مارس الشيخ محمود مناورة ذكية أقتنع بها البريطانيون للسماح له بالعودة، لكنه أقام سرا

(412)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,P.144.

(413)"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 " , P.35.

(٤١٤)دار الكتب والوثائق ، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل العام ١٣٢٢-وع، رقم الملف د/٧،

موضوع الملف: القضايا الكردية، ص٧، الوثيقة رقم١.

(415) M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakscom Kurdistane, P.101;C.J.Edmonds,Kurds, Turks and Arabs ,PP.122-123.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

إتصالاً مباشراً مع الكماليين قبل شهر كامل من عودته الى كردستان في الثلاثين من ايلول سنة ١٩٢٢، وذلك بإعتراف الوثائق البريطانية الخاصة (٤١٦). جدير بالذكر أن البريطانيين لم يقفوا مباشرة على إتصالات الشيخ محمود السرية بالكماليين، بل إنهم إطلعوا عليها بعد الإستيلاء على مراسلات القائد التركي أوزدمير على أثر إعادة إحتلالهم لرواندوز. وردت في المراسلات تلك معلومات مفصلة عن إتصالات الشيخ محمود بالكماليين تجاوزت الى حد كبير المعلومات الاستخبارية التي كانت متوفرة لدى البريطانيين أنفسهم، بل يذهب كورد أوغلو في مبحثه المفصل المعنون (الکرد والامبريالية) الى التأكيد على وجود إتفاق سري ثنائي وقع بين الشيخ محمود والكماليين، يورد تفصيلات عدد من بنوده ضمن بحثه (٤١٧).

مهما يكن من أمر فان علاقات الشيخ محمود السرية بالكماليين سببت، مع إجراءاته الأخرى، خيبة كبيرة للبريطانيين جاء وصفها على لسان صحيفة (تايمس) اللندنية على النحو الآتي:

"كان الخطأ الوحيد الذي ارتكبه السير بيرسي كوكس (٤١٨) على مدى مدة عمله الطويلة في الشرق الأوسط هو قراره بصدد إرجاع الشيخ محمود من الهند" (٤١٩).

(416) "Report on Iraq Administration April,1922-March,1923", P.35.

(417)Kurd Oglu,Kurdi I Imperialism, " Bulletin Srednevo Vostoka ", Moskva ,No.13-14,1932,P115.

(418)بقي السير بيرسي كوكس مندوباً سامياً بريطانياً في العراق حتى الاول من ايار ١٩٢٢، ليخلفه السير هنري

دوبس وكالة، ومن ثم اصابة منذ الخامس عشر من ايلول من العام نفسه.

(419) Quoted in: " Zaria Vostoka ",May 28,1931.

منح البريطانيون الشيخ محمود لقب حاكم كردستان في تشرين الاول سنة ١٩٢٢، إلا انه أعلن نفسه ملكا لكردستان الجنوبية في الشهر التالي. مايمنا من الموضوع هنا أنه يبدو واضحاً من المصادر المعنية التي عالجت هذا الامر ان كركوك وتوابعها كانت ضمن التنظيم الاداري الجديد الذي خطط البريطانيون لاقامته بالتعاون مع الشيخ محمود في ظل الظروف التي إستجبت مع بروز خطر الكماليين. جاء في العدد الثالث عشر من جريدة "بانگی كردستان" (نساء كردستان) الناطقة باسم حكومة الشيخ محمود ما يأتي نصاً:

"عندما يوافق جناب المندوب السامي لحكومة بريطانيا العظيمة، حسبما وعد في بغداد (٤٢٠)، على إلحاق جميع ألوية واقضية كردستان بموجب الخارطة، حينذاك تصدر إرادة حضرة الحكمدار، دامت شوكته، بدعوة الرجال المرموقين، واقامة التشكيلات الدائمة في كركوك وأربيل وزاخو وعقره وعمادية ودهوك وصلاحية (كفري) و خانقين وغيرها من بلاد كردستان" (٤٢١).

ورد في التقرير البريطاني الى عصابة الامم عن سير الادارة في العراق من نيسان ١٩٢٢ الى آذار ١٩٢٣ ما يشير الى الحقيقة نفسها دون لبس. وبغض النظر عن أسلوب التقرير فإن ما جاء فيه يبين بوضوح موقع كركوك و توابعها في الاحداث الجديدة، ولكن من وجهة نظر بريطانية تعبر عن خيبة مريرة من موقف الشيخ محمود الاخير من الكماليين، والذي راوا فيه نكوصاً صريحاً منه لتعهداته لهم حين سمحوا له بالعودة من منفاه. يقول التقرير:

(٤٢٠) التقى السير بيرسي كوكس الشيخ محمود ببغداد في طريق عودته من المنفى الى كردستان.

(٤٢١) "بانگی كردستان"، العدد الثالث عشر، ١٢ ربيع الاول ١٣٤١/٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢ ص ٢.

حركات و توابعها حكم التاريخ والضمير

"في تشرين الاول (١٩٢٢) إنتحل الشيخ محمود لقب حكامدار كردستان، وفي تشرين الثاني أعلن نفسه ملكا. ان كردستان التي ادعى السلطة عليها لم تكن اقل من جميع المناطق الكردية داخل العراق بصرف النظر عن حقيقة ان لا أربيل، ولا كركوك، ولا الاقضية الكردية في منطقة الموصل لم تعبر عن أي رغبة في حكمه". و يفسر التقرير ذلك بعدم ميل "مواطني اربيل و كركوك المثقفين و المتعلمين جيدا" الى ان يكونوا تابعين "لقرية نائية، متخلفة مثل السليمانية" (٤٢٢).

ليس هناك مجال دحض الاتهامات والادعاءات التي ينطوي عليها هذا التعليق، ولكن يكفي أن نشير الى ان الميجر نوئيل كان واقفا الى جانب الشيخ محمود ممثلاً عن المندوب السامي البريطاني حين أعلن الشيخ نفسه حكامداراً، وبقي في السليمانية مدة من الزمن زار بغداد وكركوك مرارا في اثنائها، وخلفه چاپمن في مهمته، وكان الاخير أيضا موجودا حين أعلن الشيخ نفسه ملكا على كردستان الجنوبية كما وردت تفصيلاته في مذكرات شاهد عيان(٤٢٣).

تبدو الحقائق نفسها واضحة من خلال مواد صحافة الشيخ محمود. فحين أعلن أسماء أعضاء وزارته في العدد العاشر من صحيفة (بانگی كردستان)(٤٢٤) كان نوئيل لايزال موجودا في السليمانية بوصفه ممثلاً عن

"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923", PP.36-37. (422)

(٤٢٢) رفیق حلمی، یادداشت (مذكرات)، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٥٧، ص ٩٨-١١٠، الجزء السادس، بغداد، ١٩٥٨، ص ٤٤-٤٣.

(٤٢٤) "بانگ كردستان"، العدد الحادي عشر، ٢٨ صفر ١٣٤١/٢٠ تشرين الأول ١٩٢٢، ص ٢-١.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

المندوب السامي البريطاني. كما نشرت الصحيفة نفسها في عددها التالي الخبر الآتي تحت عنوان "جناب الميجر نوئيل".
"قبل يومين سافر وكيل المندوب السامي جناب الميجر نوئيل مرة أخرى الى كركوك جواً، وقد وصل السليمانية الكابتن چايمن وكيلاً عنه" (٤٢٥).

أما أدموندس، الذي خلف لونجريك في كركوك، فيؤكد، بالاستناد الى صحافة ذلك العهد، أن الشيخ محمود كان ينظر الى الميجر نوئيل بوصفه ضابط إرتباط (Liasion Officer)، فيما أنه، كما يؤكد "لم يكن في الواقع سوى فتصل من نوع ما ليكون حلقة إتصال مع المندوب السامي" (٤٢٦). وكل ذلك يعني أن ما حدث في السليمانية تم بحضور البريطانيين، وبموافقتهم التي تراجعوا عنها بعد وقوفهم على علاقات الشيخ محمود بالكماليين في تركيا، ولعوامل أخرى نأتي على تفصيلاتها بعد قليل.

وفضلاً عن كل ما سبق نشر الى أن الحقائق الواردة في التقارير والوثائق البريطانية والعراقية الخاصة تبين أن كرد كركوك وتركمانها وقفوا هذه المرة، وبدوافع شتى، الى جانب الشيخ محمود بحماس على العكس تماماً مما ذكره التقرير البريطاني المذكور آنفاً. فقد ورد في التقرير نفسه إعراف صريح حول ذلك بالنسبة لاهالي كفري والمناطق المجاورة لها (٤٢٧). ولم يقتصر الامر على الكرد وحدهم، فان زعماء عشيرة بيات إستقبلوا الشيخ محمود في

(٤٢٥) "بانگ كردستان"، العدد الحادي عشر، ٢٨ صفر ١٣٤١/٢٠ تشرين الأول ١٩٢٢ ص ٦.

(426) C.J,Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,P.301.

في الترجمة العربية، ص ٣٧٢.

"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923,P.36." (427)

محمود في طريق عودته من الهند الى السلیمانية، بل رافقوه الى هناك(٤٢٨).
والاهم من ذلك بكثير هو ان الاجتماع المهم الذي عقده الشيخ محمود يوم
الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٢٣ مع ٤٣ رئيساً عشائرياً لوضع خطة
عمل لنظامه، كان توزيعهم الجغرافي على النحو الآتي:

١. ١٠ من رؤساء العشائر الكردية في إيران.

٢. ١٣ من رؤساء عشائر السلیمانية و حلبجة.

٣. ٤ من رؤساء عشائر اربيل و كويسنجق.

٤. ١٦ من رؤساء عشائر كركوك.

يهمنا بصورة خاصة تحليل الرقم الاخير، أي مايتعلق برؤساء عشائر
كركوك الذين كانوا يحتلون المقام الاول من حيث الكم، أما من حيث النوع
فإنهم كانوا يمثلون الجاف والهموند و زنگنه وداوده و جباري و دهلو، والاهم
من ذلك قطعاً هو أن اثنين منهم كانا من رؤساء العشائر العربية في الحويجة،
الاول رئيس فخذ البوعلي فرحان الروحان، والثاني هو سيد عبدالقادر آغا من
ملحة. وبقي أن نضيف أن قائمة أسماء هؤلاء الرؤساء وردت ضمن تقرير
سري خاص أعد للملك فيصل الاول من قبل مندوب له بعثه الى الشيخ محمود
"وصل السلیمانية في الخامس من كانون الثاني ١٩٢٣ متمثلاً لاوامر جلالته" و
قابل "الحكمدر في الثامن عشر من الشهر المذكور" والذي "بعد تسليم الكتاب

(428)M.A.Kamal,Ntsionalno-Osvobcditelone Dvijenie v Irakskom
Kurdistane,P.102;C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.272.

في الترجمة العربية : ص٢٠١.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

(له) اظهر امتنانه من صاحب الجلالة" (٤٢٩)، مما يؤشر إقراراً صريحاً بحكمدارية الشيخ محمود من قبل الملك فيصل وحكومته.

تعاون مع الشيخ في تلك المرحلة أيضاً أعرق تركمان كركوك، وأكثرهم نفوذاً، منهم ، كما يؤكد هنري فوستر مؤلف كتاب "نشأة العراق الحديث"، ناظم بيك نفطجي عميد أسرة النفطجي في المدينة(٤٢٠)، وهو شخصية سياسية و إجتماعية معروفة مثل كركوك في مجلس المبعوثان قبل الحرب العالمية الاولى، وكان على إتصال وثيق بجمعية العلم في الموصل التي عرفت بمواقفها المعادية لبريطانيا(٤٢٣). أثار موقف ناظم بيك هذا حفيظة البريطانيين، والملك فيصل الاول الذي راقبه بوساطة أعوانه عن كثب(٤٣٣). ومن المفيد أن نشير الى أن ناظم بيك نفسه اولى حركات بارزان فيما بعد إهتماماً خاصاً(٤٣٣).

اولى الشيخ محمود بدوره التركمان إهتماماً أكبر من السابق. فإن إحدى جرائده، وهي "بانگ كردستان" كانت تنشر قسماً من موادها الاساسية

(٤٢٩) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف، إدارة كردستان، الوثيقة رقم ٦، ص١٧١، الملحق، قائمة اسماء العشائر المجتمعة في السليمانية يوم ١٥ كانون الثاني ١٩٢٢.

(٤٢٠) هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق، سليم طه التكريتي، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٩، ص٢٥٥.

(٤٣٣) عبدالمنعم الفلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ٢٩-٣٠.

(٤٣٢) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف، إدارة كردستان، الوثيقة رقم ٦، ص١٨.

(433)Public Record Office, Air, 23/187,Part 17,XMO/1583,from Special Service Officer Royal Air Force Sulaimani to Air Staff Intrlligence Air Headquarters, Hinaidi, Secret.

كركوك و نوابعها حكم التاريخ والضمير

باللغة التركية بإشراف رفيق حلمي- احد أبرز أعوان الشيخ محمود، و أحد أبرز مثقفي الكرد يومذاك. في عددها الاول، مثلاً، نشرت الصحيفة ثلاثاً من موادها الرئيسية باللغة التركية. وفي حالات غير قليلة كانت "بانگ كردستان" تنشر قرارات حكومة الشيخ محمود أيضاً باللغة التركية. كما اقام الشيخ إتصلاً مباشراً مع أبرز زعماء التركمان في كركوك. يصف لنا لونجريك ذلك هكذا:

"إنه بدأ بتآمر مع الجمعية التركية النشطة التي ألفها في كركوك أسرة آل النفطجي، وعدد من أنصار تركيا العنيدين"^(٤٣٤).

لكن الذي أثار البريطانيين أكثر من أي شيء آخر، ودفعتهم الى بذل كل شيء من أجل إبعاد كركوك عن الحركة القومية الكردية، وعن الشيخ محمود بالذات، كان مطالبة الأخير بنفط كركوك، وبولاية الموصل بأسرها، فضلاً عما أقامه من إتصال مباشر بالسوفيت، وجميعها كانت من الأمور غير المسموح بها مطلقاً في نظر البريطانيين. كان الشيخ محمود يردد في محافله الخاصة باستمرار عبارة "النفط نفطي فما شأن الآخرين به"^(٤٣٥).

وقد شاع الاتجاه نفسه بين صفوف أبرز مثقفي الكرد يومذاك، منهم الشخصية الدينية السياسية والاجتماعية المرموقة، عضو المجلس التأسيسي الملا محمد الكوي المعروف، لغزارة علمه، بالملا الكبير، فلقد كتب قصيدة في عشرينيات

(434)S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.272.

في الترجمة العربية، ص ٢٠١.

(٤٣٥)هذا مارواه لي المرحومان مصطفى رسول، والد الدكتور عزالدين، و محمد جميل الروزبباني.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

القرن الماضي بعنوان "همناسه نهوتاوى" (الانفاس المنقوطة)(٤٣٦). و ينقل المهندس البريطاني هاملتن، الذي أشرف على تشييد طريق أربيل-رواندوز-رايات مذكره له بهذا الخصوص اسماعيل بيك رواندوزي الذي مثل أربيل في أول مجلس نيابي عراقي؛

"تذكر أن حقول النفط تقع في كردستان، لذا لدينا بعض الحق في أن نطالب بحقنا من الأرباح التي تجنى من وارداته. لكننا لم نجن حتى الآن من نفطنا سوى الرصاص والقنابل" (٤٣٧).

كما كتبت مجلة "زاري كرمانجي" (لسان الكرد) "تقع الثروة المعدنية كافة في الأرض الكردية، مع هذا فإن الكرد يجدون الأبواب موصدة بوجوههم" القول الذي نقله تقرير إستخباري بريطاني في الحال (٤٣٨).
لاداعي للتأكيد أن نفط كركوك كان أول، واهم ما يغري البريطانيين في كل ما إصطلحوا هم على تسميته بجنوب كردستان أحياناً، و كردستان

(٤٣٦)يقول مطلع القصيدة،

" همر نهيسه كه نينكليزو نهفرنج

باش حهريهكى زور به ميحنمت و رفنج

بهم فيكرى عهقيق و حهدس و حيسه

گهر ببنه شهريكى نفع و حيسه

نهما (خهلكى ترى) كهپو فيج

هيج حهققى نريه بهحهمقى خوا هيج "

(437)A.M.Hamilton,Road through Kurdistan,The Narrative of an Engineer in Iraq, London,1937,P.302.

(438)Public Record Office,Air,23/417,XM/04583,

" Zari Krmanji ", No.23,January 1930.

كركوك و نوابعها حكم التاريخ والضمير

الجنوبية غالباً. يبرز ذلك واضحاً في سجلات مفاوضاتهم السرية بشأن مستقبل المنطقة قبل إنهيار الامبراطورية العثمانية. فإنهم تنازلوا عن كل ولاية الموصل لفرنسا بإستثناء كركوك و امتداداتها بموجب "اتفاقية ساكس-بيكو" المعروفة، إذ إقتطعوا منطقة شهرزور التاريخية، أي كركوك الى حد السليمانية ومن ثم الحدود الايرانية، من ولاية الموصل، وجعلوها ضمن المنطقة (ب) المقررة لهم، في حين تركوا البقية الباقية من ولاية الموصل ضمن المنطقة (أ) لتصبح مع القسم الشرقي من سوريا ضمن المنطقة المخصصة لفرنسا(٤٣٩).

كان موقف الشيخ محمود من هذا الموضوع الحساس يستوجب ضربه دون رحمة من وجهة نظر بريطانية براغماتية، والبراغماتية فلسفة استعمارية، إستقلالية لا تعبر الحق أي إهتمام بنظر من يعدون أنفسهم ثوريين حقيقيين. في معرض حديثه عن كركوك والنقط ورد في تقرير إداري خاص وضعه ادموندس النص الآتي الذي له مغزاه بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدد معالجته هنا:

"من الخطر أن نقبل أي ضعف إداري في محل يكون فيه هذا المنبع المهم لثروة العراق" (٤٤٠).

(439)M.S.Lazarev, Krushenie Turetskovo Gospodstva na ArabskomVostoke, Moskva, 1960,P.130.

(٤٤٠)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي، التسلسل العام ١١٣٢-١١٣٣، رقم الملف د/٧، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص١٥، الوثيقة رقم ١.

نرى من الضروري ان نسجل هنا حقيقة مهمة اخرى بالنسبة لدراستنا هذه، وهي ان الدول الكبرى نفسها كانت تعترف في وثائقها الخاصة ان نفط كركوك يقع ضمن حدود كردستان، وأن ذلك كان يدخل ضمن اهم أسباب إهتمامها بكردستان. فحين تنازلت فرنسا عن ولاية الموصل الى بريطانيا ارات ان تضمن لها حصة في نفط العراق ككل مقابل ذلك التنازل. ففي الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩١٩ قدم رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو مذكرة رسمية سرية الى رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج حول هذا الموضوع ورد فيها مانصه:

"بما أن التنازل عن (ولاية) الموصل يخص فرنسا، فإنه يجعل من المفترض ضمان مساواة كاملة (للمصالح الفرنسية مع المصالح البريطانية) في إستغلال منابع النفط في ميسوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) وكردستان بإعتبار ذلك تعويضاً مقبولاً (عن ذلك التنازل)، وهو أمر تصر عليه الصناعة الفرنسية والبرلمان الفرنسي على حد سواء. ان لهذه المسألة أهمية كبيرة بسبب عدم وجود النفط في فرنسا، وحاجة تلك البلاد للنفط"^(٤٤١).

ومن المفيد أن نشير الى ان رئيس الوزراء الفرنسي أكد في المذكرة نفسها ضرورة استمرار فرنسا وبريطانيا في "تبادل وجهات النظر حول قضايا القفقاس وكردستان وبلاد فارس التي لن يظهر أي خلاف بصدها على ما يبدو"^(٤٤٢).

(441) David Lloyd George, The truth about Peace Treaties, Vol, London, 1938.

(442) Ibid.

لا يمكن فصل نطق كركوك عن ولاية الموصل ومشكلتها. يقول الدكتور فاضل حسين في ختام دراسته الوثائقية عن "مشكلة الموصل" التي قدمها الى جامعة إنديانا الامريكية في العام ١٩٥٢ أن النطق كان "العامل الحاسم في مشكلة الموصل"، وان "النطق في التحليل الاخير عين مواقف تركيا و بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا" إزاء تلك المشكلة(٤٤٣).

في ضوء هذا التقويم الصحيح يمكن فهم دوافع سياسة بريطانيا المتشددة للغاية بالنسبة لمخططات الشيخ محمود. ففي عز أيام نفوذه، بعد إعلان ملوكيته التي تزامنت مع تفاقم الصراع على نطق كركوك، وانفجار مشكلة الموصل، نشرت صحيفة "رؤى كوردستان" (شمس كردستان) الناطقة باسم حكومته في عددها الاول بالتحديد مقالاً إفتتاحياً جاء فيه:

"نشرت جريدة العراق البغدادية في عددها ٧٣٨ مقالاً بعنوان "منشور حزب الحر العراقي" وفي عددها ٧٤٣ مقالاً آخر بعنوان "مجلس إدارة كردستان" وردت فيهما بعض المعلومات عن مطالبة حزب الحر العراقي من حكومتهم العمل من أجل محافظة كل الحقوق والحدود الطبيعية للعراق، وأدخل (الحزب) كردستان بإسم السليمانية ضمن ذلك لان لها روابط تجارية وإقتصادية كثيرة مع بغداد، كما ذكر مجلس رؤساء (وزراء) كردستان بإسم مجلس إدارة كردستان. انه لأمر عجيب ومؤسف، إذ لا يمكن لامرئ له ضمير أن يصدق إبتعاد شخص مثقف عن الحق الى هذا الحد.. ان علوم التاريخ والجغرافيا هي شواهد عدول أن الامة الكردية كانت تعيش وحدة قائمة

(٤٤٣)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية-التركية وفي الرأي العام، الطبعة

الاولى، بغداد ١٩٥٥، ص٣٠٦.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

بذاتها.. إن نعمة الحقوق والحدود التي وزعت في عصبة الأمم بالعدل لنا فيها نصيبنا، وسوف نضحي من أجل ضمان هذا النصيب بكل موجودنا المادي والمعنوي"^(٤٤٤).

تطرفت الصحيفة نفسها الى الموضوع بوضوح أكبر في عددها السادس حين ذكرت في مقال إفتتاحي بعنوان "ولاية الموصل في لوزان":

"ولما كان جميع أهالي ولاية الموصل كرداً.. فلماذا تطالب بها أقوام أخرى.. إن الترك والعرب والآشوريين يدعمون مطالبهم بها بوجود عدد قليل من أبناء جلدتهم فيها.. إن المطلب الذي وضعناه أمام مؤتمر لوزان ليس حماية أقلية، وإنما الدفاع عن حق الحياة لشعب عظيم مستقل صاحب وطن.." ^(٤٤٥).

تبقى النقطة الثالثة الحساسة التي إستوجبت تحجيم الحركة القومية الكردية، وهي مآظهر من بوادر التقرب من السوفيت، وإستحسان الفكر البلشفي. تتوفر في الوثائق والتقارير السرية البريطانية عشرات الشواهد التي تبين بوضوح مدى القلق الذي أثاره ما عده البريطانيون إنتشاراً للفكر البلشفي بين الكرد في ذلك الوقت المبكر^(٤٤٦). أما الشيخ محمود نفسه فقد إتصل بالحكومة السوفيتية بصورة مباشرة، طالباً منها تأييد القضية الكردية، وتزويده هو بكميات كبيرة من الاسلحة، بما في ذلك الاسلحة

(٤٤٤) "رؤى كردستان"، العدد الأول، ٢٥ ربيع الاول ١٣٤١/١٣٤١ تشرين الثاني ١٩٢٢، ص١-٢.

(٤٤٥) "رؤى كردستان"، العدد السادس، ٩ جمادى الاول ١٣٤١/٢٧ كانون الأول ١٣٣٨ (١٩٢٢)، ص١-٢.

(٤٤٦) ينظر على سبيل المثال في:

"Documents on British Foreign Policy, 1914-1939", First Series, Vol. XIII
P.667; Public Record Office, F.O, 371/4342, F.O, 371/13428; A.T Wilson,
Mesopotamia 1917-1920, P.145.

محرر حوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

الثقيلة(٤٤٧). وقف البريطانيون على إتصالات الشيخ محمود هذه بصورة مباشرة، كذلك علم بها الملك فيصل في وقت مبكر. ورد في التقرير الخاص الذي اعده مندوب فيصل الى الشيخ محمود في كانون الثاني ١٩٢٣، والذي امضى عدة أيام في السليمانية، النص الآتي بهذا الصدد:

"٣- جاء الى السليمانية قبل أسبوع نصرالله ملك أفشار، وهو حمو سمكو إسماعيل خان.. وقد قابل الحكمدار، وأخذ التعليمات المقتضية واصطحب معتمدي حكمدار السليمانية مرزا عارف وقائد الاي الخيالة الرئيس الأول رشيد أفندي (جودت)، وسافروا في ٢١ منه (كانون الثاني ١٩٢٣) على طريق سقز الى جوار تبريز، وبعد تعميق البحث وجد ان التعليمات كانت الاتصال بقوى البلشفيك"(٤٤٨).

وهنا نشر الى أن "عدم إتفاق الامير فيصل مع البلشفية، وكرهه لها" كان "واحدا من الاسباب الرئيسة لاختياره ملكاً على العراق" كما ورد في تقرير سري اعدته وزارة الحربية البريطانية بتاريخ السابع عشر من شباط ١٩٢١(٤٤٩).

" Bulletin Pressi Polnomochново Predstavitelia RSFSR V Persii " (447), No.3, March 1928, Prilojenie No.12.

ينظر النص العربي للرسالة في صحيفة " خهبات- النضال " ، بغداد، تشرين الأول ١٩٦٠.

(٤٤٨) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف: ٢٥٧٤، عنوان الملف: إدارة كردستان، الوثيقة رقم ٦، ص ١١، الفقرة الثالثة.

(449)Public Record Office,F.O.,371/6349;

الدكتور فاروق صالح عمر، حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١. دراسة وثائقية، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٠٤.

.١٠٥

ظلت احتمالات التغافل البلشفي بين كرد العراق تؤلف هاجسا يقلق البريطانيين، وتؤثر في رسم سياستهم بالنسبة للقضية الكردية. وردت في ديباچه الكتاب الذي أرفقه قائد القوة الجوية البريطانية في العراق بالتقرير المطول الذي أعدته قيادة قوته خصيصاً لوزير الطيران البريطاني بعنوان "الحركة الكردية"، العبارة الآتية التي تنطوي على مغزى عميق:

"٢- يبدو واضحاً من المعلومات الواردة في هذا التقرير أن الكرد يؤلفون أداة قوية، ومهيئة لليد التي ترغب في خلق المشكلات للدولة العراقية، ولاسيما للبلاشفة حين يرون ان الوقت قد حان" (٤٥٠).

بقي "الخطر البلشفي" يمثل بعبعا يؤرق البريطانيين، وعموم الغربيين، ويستوجب في نظرهم إتخاذ كل مايلزم من أجل إبعاده عن نضط المنطقة. إزداد القلق البريطاني بهذا الخصوص أكثر بعد أن وجد الفكر البلشفي طريقه الى صفوف المثقفين الكرد بعد تحجيم حركات الشيخ محمود. كتب ادموندس في الحادي عشر من شباط سنة ١٩٢٧ عن هذا الموضوع يقول:

"أن المنفذ الواضح الثاني (٤٥١) الذي بوسع البلاشفة أن يسيئوا عن طريقه الى العراق هم الاكرد. لقد كان الروس لعدة سنوات جيران الاكرد المباشرين عن طريق مناطق القفقاس وأذربيجان الايرانية التي كانت في سنة ١٩١٤ منطقة روسية فعلاً. إن معظم المؤلفات الجغرافية والاثنوغرافية واللغوية عن الكرد كان من إنتاج يراع

(450) Public Record Office, F.O., 3371/12255/2542, Secret, Reference No.1/407, from Air Headquarters, British Forces in Iraq, Baghdad, to the Secretary, Air Ministry, Adastral House, London, W.C.2, Dated 30th March, 1927.

(٤٥١) ذكر المنفذ الاول قبل ذلك، وهو " إثارة إضطرابات العمال "

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

الروس، كما أن تدمير الكرد في تركيا وإيران قد استخدم للتوجه الى روسيا طلباً للتأييد . وقد أسس الروس في قفقاس وما وراء بحر قزوين وغيرهما من المناطق المسلمة من روسيا الاسيوية عدداً من الجمهوريات السوفيتية الصغيرة القائمة بوضعها عموماً، وإن تأليف جمهورية كردية مستقلة هو نقطة إبتدائهم الواضحة حين يكونون مستعدين للعمل من الشمال الشرقي^(٤٥٢)، من قواعدهم في أذربيجان الايرانية^(٤٥٣).

وفي الخامس عشر من شباط عام ١٩٤٠ قدم ادموندس نفسه، بوصفه مستشاراً لوزارة الداخلية العراقية، مذكرة مطولة حول الموضوع نفسه تحمل عنوان "روسيا والاكرد" كرر فيها الاحتمالات نفسها، مع إضافة معلومات جديدة استقاها من مصادر استخبارية مختلفة^(٤٥٤).

لم تكن طموحات الشيخ محمود، وإتصالاته الخارجية، بما في ذلك إتصاله بالسوفيت، خافية على البريطانيين. فإن المفتش الاداري، ومن ثم الضابط السياسي البريطاني في كركوك ادموندس، مثلاً، كان يتابع كل تحركات الشيخ محمود وإتصالاته وما تكتبه صحافته بدقة، وقد نشر مقتبسات مفصلة من الصحافة الكردية ضمن كتابه "كرد وترك عرب"، وكان هو أول مسؤول بريطاني إطلع على أعداد جريدة "بانگی حهق" (نداء الحق) التي

(٤٥٢)تحققت نبوءة ادموندس على ارض الواقع بعد زهاء عقدين من الزمن حينما اقام كرد إيران بمساعدة السوفيت ماعرف في التاريخ بجمهورية مهباد.

(453)Public Record Office,F.O., 371/24560,Russia and the Kurds.

(454) Ibid.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

أصدرها الشيخ محمود في كهف جاسنة قرب دوكان(٤٥٥) لتمثل بذلك صفحة فريدة في تاريخ الصحافة عموماً.

مارس البريطانيون من جديد ضغوطاً شديدة على الشيخ محمود ونظامه، ولاسيما بعد أن بدأ يخطط، مع ضباط كماليين وصلوا السليمانية خصيصاً، من أجل طرد البريطانيين من كركوك(٤٥٦)، وبعد أن وصلت بغداد تقارير تتوقع بأنه في حال إجراء إنتخابات، أو تصويت فإن " اغلبية سكان لواء كركوك الساحقة ستصوت للشيخ محمود"(٤٥٧).

يبدو واضحاً من جميع الوثائق السرية، والتقارير الرسمية البريطانية أن كركوك كانت تمثل السبب الاول للعمليات العسكرية الواسعة التي إتخذتها سلطات الانتداب ضد الشيخ محمود. فقد أبلغت الحكومة البريطانية عصابة الامم الموضوع هكذا:

"إن الشيخ محمود الذي نحن أعدناه (من منفاه في الهند) إثر جلائنا من السليمانية، سرعان مابدأ يتآمر مع الاتراك ضدنا بنشاط، وقد أصبح معلوماً في مطلع هذا العام (١٩٢٣) انه وضع خطة للهجوم على كركوك في شهر آذار"(٤٥٨).

وفي الترجمة العربية، من 301-302,319 PP. C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arbbs, (455)
M.A.Kamal, Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakskom Kurdistane, P.121. ٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤

(456)A.Toynbee, Survey of International Affairs,1925. The Islamic World since the Peace Settelment,London,1927,P.489.

(457)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbabs,P.304.

في الترجمة العربية: ص٢٧٥.

(458)"Report on Iraq Administration April,1922-March 1923",P.64.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

أبلغت الحكومة البريطانية عصبه الامم الراي نفسه مرة ثانية في تقرير لاحق عن سير الادارة في العراق، ورد فيه مانصه:

"أن الشيخ محمود منشغل الان بإتخاذ الاستعداد للهجوم على كركوك" (٤٥٩).

ويعترف البريطانيون في وثائقهم السرية صراحة بان خطط الشيخ محمود بالنسبة لكركوك هي التي دفعتهم الى إتخاذ إجراءات حاسمة ضده (٤٦٠). ورد في برقية مطولة بعث بها المندوب السامي البريطاني يوم الثالث من اذار ١٩٢٣ من بغداد الى وزير المستعمرات والى السفير البريطاني في طهران ما نصه:

"لقد اضطررت، بالاستشارة مع قائد الطيران، الى إعطاء الامر بقصف

السيمانية لتحيلولة دون قيام الشيخ محمود بالهجوم على كركوك وكفري" (٤٦١).

وفيما بعد كلما ورد اسم الشيخ محمود في الوثائق البريطانية الخاصة كان لابد من الرجوع الى الحقيقة نفسها، والتأكيد عليها في الغالب. ففي التقرير المهم عن "الشخصيات الرئيسية في العراق في سنة ١٩٢٥"، الذي وضعته السفارة البريطانية في بغداد خصيصاً للخارجية البريطانية بناء على طلبها، ورد عن الشيخ محمود النص الآتي:

"في سنة ١٩٢٣ كان لابد من إتخاذ إجراءات مسلحة ضده للحد من محاولاته لمد

نفوذه الى مناطق كركوك وأربيل" (٤٦٢).

(459) "Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April, 1923-December, 1924", London, 1925, P.32.

(460) Public Record Office, F.O., 371/18948, 431/431/93, No.52.

(٤٦١) دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف، إدارة كردستان

، ص ٣٩، الوثيقة رقم ١٠، برقية المعتمد السامي العدد ٤٨/و/٤٨.

وهكذا كان الامر فعلاً، ففي اواسط شباط ١٩٢٣ عقد اجتماع خاص في بغداد بحضور كبار المسؤولين البريطانيين، مثل كركوك فيه ادموندس، لمناقشة الوضع في كردستان. تقرر في الاجتماع دعوة الشيخ محمود الى بغداد لايجاد مخرج سلمي للخلافات القائمة، وإذا رفض الحضور يوجه المندوب السامي إنذارا يطلب منه ان يترك السليمانية ويأتي الى بغداد مع اعضاء حكومته في غضون خمسة أيام فقط(٤٦٣). توجه في الوقت نفسه عدد من كبار المسؤولين البريطانيين الى كركوك و أربيل وغيرهما من اجل حشد العشرات الكردية ضد الشيخ محمود(٤٦٤). وفي كركوك وتواجعا نشاط ادموندس بهذا الاتجاه بصورة خاصة، فيقول عن ذلك بنفسه:

"بذلت ما في وسعي لتقوية الروح المعنوية في المتصرف والموظفين (في كركوك) دون ما خوف، أو مصانعة، وقمت بزيارات عديدة (للشيخ) عبدالكريم في قادر كرم، ولزعماء الطالباني والجاف وغيرهم من رؤساء العشائر لتشجيعهم على مقاومة الدعاية المعادية التي تنهال عليهم.. وأنباني (الكابتن) لاين واستخباراتي الخاصة بأن إندلاع الثورة قد وقت في أوائل آذار، وإن كركوك وكويسنجق ستكونان الهدفين الاولين"(٤٦٥).

(٤٦٣)"العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦"، اختيار و ترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة، من منشورات

مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٢، ص٦٨.

(463)C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.314-315.

في الترجمة العربية، ص٢٨٢-٢٨٤.

(464)"The Near East and India "، London, April, 1923, P.368.

(465)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.314.

في الترجمة العربية، ص ٢٨٢.

رفض الشيخ محمود العرض البريطاني، وباشر بإتخاذ الاجراءات الضرورية للتوجه صوب كركوك(466). إزاء ذلك باشر البريطانيون بتنفيذ خطتهم التي إعتمدت على الطيران العسكري. سجل لنا أدموندس الذي أشرف من كركوك على تنفيذ الخطة، ملاحظات معبرة تبين مدى إستعداد البريطانيين لضرب الشيخ محمود، فإنه يسمي الطائرات العشرين، وهذا بحد ذاته رقم كبير بالنسبة لامكانات الطيران العسكري عالمياً في ذلك الوقت، يسميها "أرمادا العظيمة" التي "حامت في سماء كركوك"(467) تشبيهاً باسطول أرمادا الاسباني الشهير الذي بناه فلييب الثاني (1527-1598)، وكان يوصف عادة بالاسطول الذي لا يقهر.

ويتحدث لنا أدموندس أيضاً عن الاجراءات التي إتخذها البريطانيون لنقل الجنود الى كركوك ضمن الخطة المقررة، ويعلق على ذلك بالقول "وهذا كان عملية عسكرية جديدة في ذلك الوقت"(468). بمعنى أن واحدة من أولى عمليات النقل الجوي للمشاة في التاريخ جرت فوق أرض كردستان لقمع حركتها القومية. وفي مكان آخر من كتابه، الذي هو سجل حافل لمذكراته عن تلك السنوات، يعترف أدموندس بأن الطائرات البريطانية إستخدمت لتحقيق الهدف نفسه فتابل وزن الواحدة منها 220 رطلاً لأول

(466)M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakskom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,Moskva 1969,p.198.

(467)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.315.

في الترجمة العربية، ص284.

(468)Ibid.

كرركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

مرة في التاريخ(٤٦٩). فلا غرو، إذن، أن منح البريطانيون الشيخ محمود لقب "مدرّب القوة الجوية البريطانية"(٤٧٠). وبقي أن نقول حقاً إن "النفط مستعبد الشعوب" كما قال ذلك الكاتب العربي التقدمي يوسف إبراهيم يزبك في اواسط ثلاثينيات القرن الماضي(٤٧١).

إضطر الشيخ محمود تحت هذا الضغط الكبير الى اللجوء الى الجبال إعتباراً من اليوم الرابع من اذار سنة ١٩٢٣ ليصدر من هناك، كما سبقت الاشارة الى ذلك، صحيفة يعبر عنوانها "بانگي حهق" (نداء الحق) عن الكثير الكثير. لكن البريطانيين لم يستجيبوا لنداء الحق بسبب نفط كركوك الذي دفعهم، على العكس من ذلك، الى إتخاذ إجراءات عاجلة لعزل كركوك وتوابعها عن الحركة القومية الكردية الى أقصى حد ممكن. فقبل كل شيء فصلوا اربيل عن كركوك إدارياً كما أنبأوا عصابة الامم بذلك في تقريرهم عن سير الادارة في العراق من نيسان ١٩٢٢ حتى آذار ١٩٢٣(٤٧٢). ومنذ ذلك الحين بوشر بتعيين متصرفين "معادين للكرد" في كركوك بإعتراف الوثائق البريطانية السرية(٤٧٣)، منهم عبدالمجيد اليعقوبي كما ورد صراحة في

في الترجمة العربية، ص ٣٢ Ibid,P.350(469)

(٤٧٠)القول لجلة "The Near East and India" اللندنية. عن ذلك ينظر في "روشنبري نوى"، العدد ١٣٦، ١٩٩٥، ص١٦-١٧.

(٤٧١)يوسف إبراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت، ١٩٢٤.

(472)"Report on Iraq Administration April, 1922-March,1923", P.74.

(473) Public Record,Office, Ari, 23/417/5088, Reference :No.I/Bd/39, Secret,Special Service Officer,Baghdad,to:Air Staff Intelligence,Air Headquarters,Hinaidi,18th August 1930,P.2.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

تقرير سري لضابط الخدمة الخاصة في كركوك(٤٧٤)، فقد خلف فتاح باشا في منصبه اعتبارا من ايار ١٩٢٤.

لم يترك ذلك كله سوى اثر محدود على الواقع الاجتماعي والسياسي لكركوك، الامر الذي نتطرق الى ابعاده بقدر من التفصيل في المبحث الخاص بالافرازات السياسية الاخرى للواقع القومي لكركوك وتوابعا. كما لم تلغ الاجراءات الاخيرة الشيخ محمود الى التخلي عن كركوك، فسرعان ما عاد الى التخطيط من أجل الزحف على كركوك بالتعاون مع بعض العشائر الكردية بعد انسحابه من السليمانية، الخطة التي لم يكتب لها النجاح مرة اخرى بسبب موقف البريطانيين المتشدد(٤٧٥). ولم يكن مجرد صدفة ان رئيس الوزراء ياسين الهاشمي حين قام بزيارة خاصة الى كردستان بدأها بالسليمانية التي وصلها يوم الاول من ايار سنة ١٩٢٥، ثم توجه منها "الى كركوك، واتخذ (فيها) بعض الاجراءات للحد من نفوذ الشيخ محمود الحفيد، وتشتيت شمل اعوانه" حسب تعبير الحسني (٤٧٦).

بقيت كركوك و توابعا مرتبطة باسم الشيخ محمود بصورة، او بأخرى حتى اليوم الاخير من حياته، وقد تجسد ذلك بعد القضاء على نظامه مع تفاهم الصراع على ولاية الموصل.

(474)Ibid,23/418/5/32,Extract fromS.S.O.Kirkuk Report,No.V/175, Dated for period ending 28th April,1931,P.2.

(475) M.A.Kamal, Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakckom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,P.205.

(٤٧٦)عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، ص٢٥٢.

كركوك وتوابعها في إطار مشكلة الموصل

من المعروف أن كمالبي تركيا كانوا يطالبون بولاية الموصل على أساس أنها لم تحتل عسكرياً من قبل القوات البريطانية قبل التوقيع على هدنة مودروس بين الحلفاء والدولة العثمانية يوم الثلاثين من تشرين الأول سنة ١٩١٨. أدى ذلك الى إثارة مشكلة دولية دخل التاريخ بأسم "مشكلة الموصل" التي مست القضية الكردية من جميع الوجوه بصورة مباشرة، لان كردستان الجنوبية كانت تؤلف أصلاً الجزء الأكبر من ولاية الموصل السابقة. ذكر عضو مجلس العموم البريطاني الميجر كلاين أثناء مناقشة مشكلة الموصل داخل أروقة المجلس:

"أن الذي يقلق في كل هذه القضية لا يكمن في رسم الحدود، ولا يرتبط بمسائل الاقليات القومية، بل أنه يكمن في المشكلة الكردية الكبرى (great Kurdish Problem) والى أن تحل القضية الكردية فإن ثمة صعوبات تبقى ماثلة باستمرار"^(٤٧٧).

أكد المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي الشيء نفسه^(٤٧٨)، كما أكدته صحيفة (تايمس) اللندنية التي ذكر مراسلها في تقريره الذي بعث به اليها من إستانبول بتاريخ التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٩٢٥ ما يأتي:

(477) "The Parliamentary Debates. The House of Commons", Official Report, Fifth Series, Vol.189, 1924-1925, London, Col.2102.

(478) A.J. Toynbee, Angora and the British Empire in the East, "The Contemporary Review", London. Vol. CXXIII, June 1923, PP.686-687.

خرحوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

"كلما تعمق المرء أكثر في النقاش مع الاصدقاء الترك تاكد لديه أكثر أن المشكلة الكردية هي التي تؤلف أساس النزاع كله. إن هذا الجانب من القضية قلما يعالج في الصحافة التركية.. مع العلم أنه يؤلف في الحقيقة النقطة الجوهرية في المسألة برمتها" (٤٧٨) (في النص الانكليزي:

(This is really the crux of the whole matter).

وفعلاً أن جل ما اثير بالنسبة لمشكلة الموصل من البداية حتى النهاية، ومن جميع الاطراف المتصارعة، يظهر دون لبس الواقع الكردي والكردستاني لكرحوك وتوابعها، مع العلم ان الكرد كانوا الطرف الوحيد الذي لم يمثلهم احد في ذلك النزاع المصري، ولم يتبن أي من اطرافه قضيتهم، أو يدافع عنها.

اثير موضوع النزاع حول ولاية الموصل لأول مرة امام مؤتمر لوزان في سويسرا، الذي إفتتحت أعماله يوم العشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ بهدف عقد معاهدة صلح جديدة مع تركيا الكمالية لتحل محل معاهدة سيفر . فبعد أن فشل تبادل وجهات النظر بين اللورد كيرزن وزير الخارجية ورئيس الوفد البريطاني الى المؤتمر، وعصمت اينونو وزير الخارجية و رئيس الوفد التركي اليه، تم عرض النزاع على لجنة خاصة منبثقة من المؤتمر إعتباراً من يوم الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٢٣.

(479)"The Times " , No.44,150,December 21,1925.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

إن الحجج التي أثارها الطرفان أمام المؤتمر جاءت لصالح الواقع الكردي لولاية الموصل بإستثناء مدينة الموصل نفسها، وبعض أطراف الولاية. فمن بين الحجج التي شدد عليها عصمت اينونو بصورة خاصة ان النواب الكرد هم الذين مثلوا الولاية في المجلس الوطني الكبير الذي أسسه الكماليون على إثر إنتصار حركتهم. أما بالنسبة لكركوك و توابعا بالتحديد فقد تقدم الطرفان بقائمتين إحصائيتين تثبت كلتاها طابعهما الكردي الطاغي ، مع العلم أن قائمة عصمت اينونو تحيزت صراحة الى جانب التركمان في تقديراتها، بينما تحيزت قائمة اللورد كيرزن الى جانب العرب بالنسبة للولاية عموماً، وهي كانت غير موضوعية بالنسبة للكرد أيضاً، كما أن الحالتين تتناقضان كلياً مع الارقام البريطانية والعثمانية السابقة الى حد كبير كما يبدو ذلك جلياً في ثنايا هذه الدراسة(٤٨٠)، وفيما يأتي تفصيلات

القائمتين بالنسبة لكركوك وتوابعا:

-قائمة عصمت اينونو:

الكرد ٩٧٠٠٠

التركمان ٧٩٠٠٠

العرب ٨٠٠٠ (٤٨١)

٢- قائمة اللورد كيرزن:

الكرد ٤٥٠٠٠

(٤٨٠)نعود الى تفصيلات ذلك في مبحث "كركوك وتوابعا في الاحصاءات الرسمية و غيرها".
"British Foreign Office, Turkey No1(1923), Lausanne Conference on Near Eastern Affairs 1922-1923, Record of Proceedings and Draft Terms of Peace, Cmd . 1814 " , P.373.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

التركمان ٣٥٠٠٠

العرب ١٠٠٠٠

المسيحيون ٦٠٠

اليهود ١٤٠٠ (٤٨٢)

لكن اللورد كيرزن لم ينكر الطابع الكردي للقسم الاعظم من ولاية الموصل، إلا أنه ركز بصورة خاصة على ضرورة الولاية بالنسبة للعراق من جهتي نظر سوقية (ستراتيجية) و إقتصادية (٤٨٢). بينما إنصب إهتمام الكماليين، وقلقهم على الجانب القومي الكردي للولاية أساسا (٤٨٤)، فالتقى الطرفان عند هذه النقطة الحيوية- نقطة كردية معظم الولاية، ولكن من منطلقين متناقضين تماما، ومن أجل هدفين متباينين كليا.

إنتهى مؤتمر لوزان بتوقيع معاهدة بين الحلفاء وتركيا يوم الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٣ من دون التوصل الى حل لمشكلة الموصل. لكن الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان نصت على ان يعين خط الحدود "بترتيب ودي بين تركيا وبريطانيا العظمى خلال تسعة اشهر ، وإذا لم يتوصلا الى إتفاق بينهما خلال الأشهر التسعة فيرفع النزاع الى مجلس عصبة الأمم" (٤٨٥).

(482)Ibid,P.366.

(483)Ibid,P.359.

(484)"The Contemporary Review " ,Vol.CXXLLL,June 1928,PP.386-387.

(٤٨٥)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل ، الطبعة الاولى، ص٢٨.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير .

حاول الطرفان، بريطانيا وتركيا، إيجاد حل لنزاعهما حول ولاية الموصل في غضون الأشهر التسعة التي حددتها معاهدة لوزان، فعددتا مؤتمرا في القسطنطينية في ايار ١٩٢٤ أثار فيه الجانب التركي من جديد موضوع النواب الكرد الذين يمثلون ولاية الموصل في المجلس الوطني الكبير، بما فيها كركوك. لم يسفر مؤتمر القسطنطينية بدوره عن نتيجة، وحين إنتهت مدة التسعة اشهر المقررة يوم الخامس من حزيران ١٩٢٤ دون التوصل الى إتفاق باشر الجانب البريطاني بعرض النزاع على عصبة الأمم كما كان مقررا في لوزان. على اثر ذلك الفت العصبة لجنة خاصة لدراسة النزاع، وإعداد تقرير مفصل عنه حتى يتسنى للعصبة إتخاذ قرار محدد في ضوئه. روعي في تأليف اللجنة، التي أذيعت أسماء أعضائها يوم الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٩٢٤، التوازن من وجهة نظر دولية، وذلك بأن أختير احد أعضائها من بلجيكا حليفة بريطانيا في الحرب العالمية الاولى، والآخر من المجر حليفة تركيا فيها، والثالث من السويد المحايدة، وقد أختير الأخير رئيساً للجنة.

وصلت اللجنة الى العراق في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٢٥، وبأشرت أعمالها في ولاية الموصل اعتبارا من السابع والعشرين منه، يوم وصولها مدينة الموصل . و إنتقلت اللجنة الى أربيل و كركوك والسليمانية وبعض توابع هذه المدن، وإستمرت تحقيقاتها داخل الولاية لغاية نهاية آذار ١٩٢٥، ثم رجعت الى جنيف لإعداد تقريرها.

مركونه و توابعها حكم التاريخ والضمير

هناك مجموعة من النقاط الجوهرية بالنسبة لموضوع دراستنا ينبغي التوقف عندها بصورة خاصة. فقبل كل شيء أن الجانب البريطاني لم يعر رغبات الكرد وطموحاتهم القومية إهتماماً يذكر، فقد اخبر لجنة التحقيق مقدماً بان الاكثرية الساحقة من الكرد، بين الجميع، "ساذجة لاتستطيع التعبير عن آرائها"^(٤٨٦)، مع العلم أن أدموندس، الذي رافق اللجنة الى السليمانية، يؤكد ان أعضاءها إنذهلوا حين سمعوا اجوبة من إستجوبوا هناك على الاسئلة التي وجهت اليهم "اقتصادية كانت ام سياسية"، كما لاحظوا الشيء نفسه بالنسبة لكرد كفري^(٤٨٧).

ومن أجل توضيح الموضوع أكثر نحيل القارئ الى المحاور العميقة التي جرت بين الملا محمد الكويي (الملا الكبير) وبين أعضاء اللجنة في أربيل المنشورة في "مجلة المجمع العلمي العراقي"^(٤٨٨) والتي دفعت رئيس اللجنة الى القول "إن هذا الانسان يليق بان يكون عضواً في محكمة العدل بلاهاي وإن لم يكن حائزاً على أي شهادة رسمية جامعية".

من المنطلق نفسه بذل البريطانيون كل ما في وسعهم من أجل أن يحولوا دون إتصال أعضاء اللجنة بالممثلين الحقيقيين للكرد، وفي المقدمة منهم الشيخ محمود الذي حرر، مع ذلك، مضبطة أرسل بنسخ منها الى الموصل

(486) "League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq by the Commission instituted by the Council Resolution of September 30, 1924", Lausanne, 1925, P. 16.

(487) C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, PP. 420, 422.

في الترجمة العربية، ص ٣٧٤، ٣٧٦.

(٤٨٨) "مجلة المجمع العلمي العراقي. الهيئة الكردية"، المجلد الثاني عشر، ١٩٨٥ ص ٤٢٠-٤٢٢.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

واربيل وكركوك بأمل إيصالها الى اللجنة(٤٨٩). وحين جاء أعضاء اللجنة الى السليمانية تحت حراسة مشددة متألفة من "جنود بريطانيين و شرطة عراقية مع خمس طائرات محلقة فوقهم"(٤٩٠) حاول الشيخ عبثا إشعارها بوجوده عن طريق أشعال النيران فوق قمم جبل كؤيزه المطللة على المدينة، وبفتح النيران على ضواحي المدينة، مما عرفل وصول اللجنة اليها كما تؤكد ذلك التقارير الاستخبارية البريطانية(٤٩١).

على الرغم من ذلك ان جميع من إستجوبوا من كرد الولاية، وبضمنهم كرد كركوك وتابعها، أكدوا في ردوهم ضرورة ضمان حقوق شعبهم القومية. وبالنسبة لكركوك تحديدا توصلت اللجنة الى إستنتاجات لها مغزاها الكبير بالنسبة لما نحن بصدد معالجته هنا، فقد إقتنع عضوها البلجيكي باولس، الذي وقعت على عاتقه مهمة تقصي الحقائق في كركوك وتابعها، وأمضى فيهما أسبوعين كاملين، بانه "إذا كان الجزء السائد من سكان المدينة تركا فان الاغلبية الساحقة من سكان اللواء هم كرد"(٤٩٢). وقد أكد تقرير اللجنة، وحجج الطرفين التركي والبريطاني المقدمة لها، الحقيقة نفسها، والتي لا تختلف في الواقع عما قدمهاها في مؤتمر لوزان، وقد سبق أن أشرنا الى

(489)Public Record Office, Air,23/190,Part II,XM/4583,Summary of Intelligence Service Officer Sulaimani for the period ending 21st February 1925,Secret.

(٤٩٠)عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، س ٣٧٦،٣٧٤.

(491)Public Record Office , Air ,23/190, Part II , X/M/ 4583, to Aviation , Baghdad, 23/2, Y/3335 , Secret.

(492) C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.416.

في الترجمة العربية، ص٣٦.

تفصيلاتها المحددة في مدخل هذا البحث. لكن تقرير اللجنة اُضاف الى ذلك الحقائق الآتية التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار بصورة جدية لأنها اعتمدت في إعداد تقريرها على دراسة ميدانية دقيقة شملت السفر بالسيارة، وبالطيارة، بل وسيرا على الاقدام، وعلى خرائط العرب القديمة، والخرائط الاوروبية، وعلى مؤلفات الاقدمين، والسالنامات العثمانية، وكتب الرحالة، وكتب الجغرافيا لمدارس مصر الثانوية وغيرها(٤٩٣).

١- إن الكرد يؤلفون العنصر الغالب في جميع الاراضي المتنازع عليها، ويتركز العرب على ضفاف دجلة، وفي مدينة الموصل(٤٩٤).

٢- إن الجماعات الوحيدة المتماسكة التي تسكن مناطق واسعة من ولاية الموصل هم الكرد والعرب، والخط الذي يفصل بين الجنسين هو نهر دجلة حتى التقائه بالزاب الصغير، ثم جنوب طريق كركوك-كفري(٤٩٥).

٣- إذا عدت "الحجة العنصرية عاملاً حاسماً" لحل المشكلة حينئذ "يجب إقامة دولة كردية مستقلة"، الرأي الذي أبدت معظم المناطق الكردية تمسكها به(٤٩٦).

(493)"The Near East and India ", Vol,XXVIII,No.745,August 20,1925,PP.217-218.

(494)"League of Nations .Question of the frontier between Turkey and Iraq ..",PP.54-55.

(495)Ibid,PP.86-87.

(496)Ibid,PP.57,77,89.

من الجدير بالذكر ان الدكتور فاضل حسين ثبت معظم هذه الحقائق نصاً او مضموناً في أطروحته باللغة الانكليزية، وفي الطبعة العربية الاولى من كتابه المطبوع في بغداد في العهد الملكي، فيما حذف الرقيب مقاطع مهمة من الكتاب في طبعاته اللاحقة.

٤- بينت اللجنة ان الكرد حيثما إلتقت بهم أكدوا ضرورة ضمان حقوقهم القومية في حال ضم الولاية الى العراق، وإلا فإنهم يفضلون الإنضمام الى تركيا ، مع العلم أن اللجنة بينت ان الكرد لا يرغبون في العيش في تركيا "كما ثبت ذلك بثوراتهم". وفي ضوء المقارنة بين الحالتين أصرت اللجنة على ضرورة تقديم ضمانات كافية بخصوص حماية حقوق الكرد القومية، وتمديد مدة الانتداب البريطاني على العراق في حال ضم الولاية إليه، وبعكس ذلك إرتأت ضمها الى تركيا لانها "تتمتع بأحوال داخلية، ووضع سياسي أكثر إستقرارا من العراق بكثير" (٤٩٧).

هنالك جوانب أخرى من مشكلة الموصل، وإفرازاتها تستحق التوقف عندها في إطار علاقتها بكركوك وتواجعا. فقبل كل شيء ان المشكلة أثارت نقاشاً مطولاً داخل أروقة المجلس التأسيسي العراقي بوصفه أول سلطة تشريعية في البلاد، والذي كان ممثلو كركوك فيه من الكرد قاطبة باستثناء إسحق أفرايم الذي كان يمثل جميع يهود ولاية الموصل فيه. في الجلسة العشرين للمجلس، المنعقدة يوم الثلاثاء الموافق للثالث من حزيران عام ١٩٢٤، عبر ممثل بغداد الشيخ أحمد الدواد، الذي أبدى نشاطاً كبيراً للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل، عبر عن رغبته في:

حركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

"ان يشاركنا بقرارنا نواب اربيل وكركوك، ولا يتخلوا عنا في هذا اليوم العسير"
في "الدفاع السياسي عن الموصل" (٤٩٨).

تجاوزت مداخلات اعضاء المجلس التأسيسي هذا الاقرار الضمني من قومي عربي بكردية كركوك وتوابعها الى حد كبير، ففي الجلسة نفسها ذكر ممثل الموصل امجد العمري انه حين يتحدث عن الموصل لا يقصد بها فقط مدينة الموصل، بل أيضاً "كركوك واربيل والسليمانية وسائر الاضية الكردية" (٤٩٩). وفي الجلسة الثالثة والعشرين المنعقدة بتاريخ التاسع من حزيران ١٩٢٤ دعا وزير الداخلية، ممثل الموصل في المجلس أيضاً، علي جودت الايوبي، وهو من كبار ساسة العهد الملكي (٥٠٠)، دعا الى "تقوية المركز العراقي في مفاوضات الحدود، وإن وجود مندوبي (مدينة) الموصل وكردستان مما يتطلب تقوية ذلك المركز" (٥٠١)، وهذا يعني بوضوح أن الوزير لم يفصل سوى الموصل عن كردستان. والاهم من كل ذلك هو ان مندوبي كركوك واربيل وحدهم، من

(٤٩٨) "الحكومة العراقية . وزارة الداخلية. مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة ١٩٢٤-١٩٢٢هـ"، بغداد، بلا، ص ٣٥٢.

(٤٩٩) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤.

(٥٠٠) علي جودت الايوبي (١٩٦٩-١٩٨٦) من مواليد مدينة الموصل، خريج المدرسة (الكلية) العسكرية باستانبول سنة ١٩٠٦، عربي النزعة، شارك في الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، شارك في حكومة الملك فيصل في سوريا، مثل الموصل في البرلمان العراقي مرارا، منذ العام ١٩٢٠ شارك في تأليف عدد من اهم الوزارات، رئيس للديوان الملكي ١٩٢٣، رئيس وزراء اكثر من مرة، سفير للعراق في فرنسا و الولايات المتحدة الامريكية وغيرهما.
(٥٠١) "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي..."، ص ٣٩٢ .

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

بين جميع مندوبي المناطق الكردية، قدموا مذكرة خاصة الى المجلس اثناء مناقشته لمشكلة الموصل طالبوه فيها بضمان حقوق الكرد(٥٠٢).

واثناء البت في مشكلة الموصل اثير موضوع التعليم باللغة الكردية امام المجلس التأسيسي بروح اتسمت بقدر واضح من الديمقراطية(٥٠٢)، لم يفضل المجلس اثناءه كركوك وتوابعا عن كردستان، بل أكد حقائق مهمة تعد إقراراً تاريخياً صريحاً من لدن أول سلطة تشريعية عراقية. ففي جلسة المجلس السادسة والعشرين المنعقدة يوم الاثنين الموافق للسادس عشر من حزيران ١٩٢٤ تحدث أحد أبرز مؤسسي الدولة العراقية الحديثة، رئيس المجلس التأسيسي وممثل البصرة فيه عبدالحسن السعدون عن هذا الموضوع المهم، وقال بالحرف الواحد:

"لا يخفى على رفقائي أعضاء المجلس أن السبب الأكبر الذي أدى الى سقوط الحكومة العثمانية هو غمط منافع الامم وحقوق الطوائف التي كانت تستظل بالراية العثمانية، فنحن إذا إتبعنا الطريقة التركية التي كانت تغط حقوق الاقوام فنكون قد أخطانا كما أخطاوا، فلذا أرى من اللازم والضروري أن نكون أحراراً ونعطي الحرية الى جميع العناصر- تصفيق- ولانكون حريصين أو بغلاء في إعطاء هذا الحق الى أهله، ولا يخفى أن في العراق عنصراً عظيماً، وهو العنصر الكردي، فإذا لم نعط العنصر الكردي حقه، ونُدع مدارسَه تدرس باللغة الكردية فقد تكون النتيجة غير

(٥٠٢)المصدر نفسه، ص ٣٤٢-٣٤٤.

(٥٠٣)يستثنى من ذلك موقف عدد قليل من أعضاء المجلس من أمثال حبيب خيزران ممثل دهال، و عمر

الحاج علوان ممثل كربلاء، و داود الجليبي ممثل الموصل.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير
حسنة.. فأتمنى من المجلس أن لا يبخل في إعطاء هذا الحق حتى تكون القلوب
متحدة.. " (٥٠٤).

وفي تعقيبته على أقوال عبدالمحسن السعدون، التي استقبلت بالتصفيق
من أعضاء المجلس، أوضح نائب الموصل أمجد العمري حقائق مهمة في ضوء
تجاربه العملية، واحتكاكه المباشر بالمنطقة واهلها، إذ قال:

" إن الطوائف المختلفة، سواء كانت من العنصر الكردي او من الطوائف غير
المسلمة علينا أن نظاهرها، ونحبب العنصر العربي إليها لتكون دولة العراق مرتبطة
العناصر عن حب حميم لا كما كانت عليه الدولة التركية، وإذا أردنا أن نكسب مؤازرة
إخواننا سكنة أربيل وكركوك و السليمانية فعلينا أن نساعدهم في هذه المسألة لان
الطالب إذا أردنا أن ندرسه بلغة غير لفته الاصلية نجعله يتعب مرتين، مرة للغة
وأخرى للدرس. وحينما كنت مدرساً في زمن الحكومة التركية بدار المعلمين كنت أدرس
الحكمة الطبيعية (الفيزيك) وكنت أضطر الى أن أقرأ باللغة الكردية بوساطة طالب
أنتخبه من بين الذين يجيدون اللغتين التركية (لغة التدريس) والكردية لان العلم
الذي كنت أدرسه علم دقيق، وقد إطلعت بنتيجة تجارب عديدة بان أسهل طريقة
لتعليم المرء العلم تدريسه بلغته، فيجب أن لا نسير على منهج الحكومة العثمانية،
ويجب علينا أن نجلب قلوب الاكراد". و اضاف "كما أنني أعتقد أنهم سوف يتعلمون
اللغة العربية لانهم يحبونها، ويعرفون مزاياها، وكذلك لا يمكن أن ندرس في كركوك
الهندسة باللغة العربية لان هذه البلاد العراقية لابد لها من أن تتمسك بالحب
والالفة لا بالقوة والضغط والحجر على اللغات" (٥٠٥).

(٥٠٤) "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي .."، ص ٥١٧-٥١٨.

(٥٠٥) المصدر نفسه، ص ٥١٨-٥١٩.

أما نائب بغداد المتنور يوسف غنيمة فقد عد الاعتراف بالكردية لغة رسمية بصورة قانونية شرطاً من شروط ضمان "الحرية العامة" خصوصاً "ونحن نريد أن نؤسس حكومة ديمقراطية" (٥٠٦).

ردا على ما قيل في تلك الجلسة من جلسات المجلس التأسيسي العراقي، وتعبيراً عن مشاعر الكرد وخواطريهم، القى ممثل أربيل في المجلس الملا محمد كويي كلمة قصيرة استقبلت بتصفيق الحضور، ننقل في أدناه نصها لاهميتها:

"لقد علمنا قيمة الموصل بملحقاتها، وقد وضعت في كفة والمعاهدة (٥٠٧) في كفة أخرى، ومعلوم لديكم أن العنصر الكردي لا يعد من الاقليات، وقد شاهدتم أن الأعضاء الاكراد اشتكوا عند الرئيس، وعند حضراتكم بسبب عدم فهمهم اللغة العربية جيداً، وكثير من المطالب التي دارت في خلد الكردي بقيت غير مفهومة لأنه لم يستطع التصريح بها، فنلتمس من العرب إخواننا أن يحترمونا كما نحترمهم- تصفيق- وهذه الفكرة هي أن بقاء القومية ببقاء لسانها. يعلم الكردي أكثر من كل الشعوب بأن اللغة العربية من الاهمية بمكان، عظيم لأنها تتعلق بأساس الديانة، وهي لغة شريفة، ولا يمكن أن تعدد مزاياها، ولكن لغة الكردية قيمة أيضاً، وإنما (سبب) عدم إشتهارها هو عدم تقدم الكردي، وكما قال الحاج قادر (٥٠٨) ان البلاغة والفصاحة في الكردية تشبه ما في العربية، ولكن عدم تقدم الاكراد هو الذي جعلها

(٥٠٦) المصدر نفسه، ص ٥١٧.

(٥٠٧) يقصد أول معاهدة عقدت بين العراق وبريطانيا في العام ١٩٢٢، والتي ارتبط موضوع التصديق عليها وإبرامها بمشكلة الموصل، وبإفراقات القضية الكردية بصورة مباشرة.

(٥٠٨) من أبرز شعراء الكرد المجددين، ولد بكويسنجق وتوفي بأستانبول سنة ١٨٩٧، عرف بروحه القومية الجياشة، وبعنايته الفاتحة بلغة قومه، يشبهه الباحثون بالشاعر التركي المعروف نامق كمال.

كركوك و توابعها حكم التاريخ والضمير

الذي جعلها بغير أساس، فنرجو منكم أن تساعدونا في هذه المادة الروحية، إذ لا يمكن أن يضمحل قوم إلا بإضحلال لسانه، وإن رابطتنا القديمة ستبقى الى يوم يبعثون" (٥٠٩).

ومن المفيد ان نشير الى ان السياسي العراقي المعروف حسين جميل نقل خلاصة لما دار في الجلسة السادسة والعشرين للمجلس التأسيسي بوصفه "شهادة سياسية" عن "الحقوق القومية للاكراد وحقهم في التدريس بالكرية في مدارسهم" (٥١٠).

في السياق نفسه تبقى نقطة مهمة اخرى جديرة بالتمعن والتقويم في إطاره التاريخي الصحيح، وهي ان الكرد أدوا دورا حاسما في تقرير مصير ولاية الموصل لصالح العراق. ينطبق هذا القول على كرد كركوك و توابعها (٥١١)، الامر الذي ينطوي على مغزى عميق، خصوصا إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن أقوى مقاومة لضم الولاية الى العراق جرت في كركوك تحديدا، بل إن اللجنة نفسها فوجئت بان عددا كبيرا من عرب توابع كركوك صوتوا الى جانب الانضمام الى تركيا (٥١٢)، كما ان أسرا عربية عريقة في مدينة الموصل وقفت الى جانب تركيا صراحة في عز أيام الصراع المصري الدائر على الساحة بصدد المشكلة.

(٥٠٩) "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي .."، ص ٥١٩.

(٥١٠) حسين جميل، العراق. شهادة سياسية ١٩٠٨-١٩٣٠، دار اللام، لندن، ١٩٨٧، ص ١٤٢-١٤٣.

(٥١١) عن ذلك يروي لنا آدموندس، وهو شاهد عيان مهم، أمثلة معبرة . ينظر،

C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.282, 409,416-417,420.

(٥١٢) الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ١٣٠.

وفي سياق موقف الكرد نرى من الضروري أن نشير أيضاً إلى أن عدداً من مثقفي كردستان أسسوا "الجمعية الكردية" التي تمتعت بتأييد الأوساط المستاءة من سياسة الكماليين الشوفينية تجاه الكرد عموماً. رفع المركز العام للجمعية مذكرة مطولة بالرقم ٧١٩ وتاريخ الأول من تشرين الأول ١٩٢٤ إلى مجلس عصبة الأمم" وردت فيها معلومات تدحض إدعاءات الجانب التركي وحججه بصدد العلاقات القومية واللغوية بين الكرد والترك، الأمر الذي راهنت تركيا عليه كثيراً من أجل إقناع المحافل الدولية وعصبة الأمم للموافقة على ضم ولاية الموصل إليها، مما يبدو واضحاً في ثنايا تقرير اللجنة و وثائق العصبة ومؤتمر لوزان. ورد في المذكرة، التي أولتها الأوساط السياسية والصحافة العراقية اهتماماً كبيراً ، ما يأتي:

"في الزمن الذي يدعى مجلس عصبة الأمم إلى البت في مصير ولاية الموصل نهائياً ترى الجمعية الكردية من واجبها أن توصل لكم صوت تلك البلاد النائية، وإن كان هذا الصوت ضعيفاً لا يسمع في العالم المتمدن. إن جمعيتنا قامت في وجه الاتراك المطالبين بحاكميتهم على بلاد تحررت أخيراً من مظالمهم، ولم تزل قائمة بوجههم، فهي لكونها تأسست للدفاع عن منافع القوم الكردي تعارض شديداً مطالب حكومة أنقرة في إمتلاكها الموصل، لأن أكثرية سكان هذه الولاية أكراد.. إن أقوى مبدأ تتمسك حكومة أنقرة لتبرير مطالبتها في ولاية الموصل هو مشاركة الترك والكرد في الدين والعرث والعرق، والحقيقة أن هذه (الإدعاءات) لم تجد قبولاً، وتصديقاً لدى الكرد لأن الكرد يعلمون أنه ليس لهم من صلة بالترك من حيث المنشأ واللغة، ولأنهم مستقلون عن العرق التركي و لغته.. وإعادة الإدارة التركية على الموصل تكون جريمة مشهودة على حقوق الأمم بوجه عام، ومضرة بحقوق الأكراد بوجه خاص،

حركاته و تواجدها حكم التاريخ والضمير

أولئك الاكراد الذين لهم حق الحياة المختارة، فارجاع الموصل الى الاتراك يفضي حتماً الى إختلافات مستمرة تجعلها عرضة لاسوأ العواقب. نحن ويطيدو الامل بأن عصبة الامم المثلة بمجلسها لاتذهب مذهب الشطط، وتتباعد عن مبادئ الحق والعدل التي هي قوتها الحقيقية، بل ترفض بصورة قطعية مطالب الاتراك.. وهذا التدبير هو الذي يضع حداً نهائياً الى مطامع الاتراك، فيخلص الموصل ذات الصبغة الكردية الظاهرة من الادارة التركية المشؤومة، فالعصبة الكردية تتشرف بتقديم هذه المذكرة الى أنظار الهيئة العادلة، والقاضية بالحق بين الامم لتبين لها حالة الاكراد المحزنة، والمنبعثة عن رضوخهم الى الادارة التركية، ونأمل ان تتمكن عصبة الامم من إتخاذ التدابير الضامنة لحياة حرة، وإنكشاف سريع لقوم مظلوم كالشعب الكردي، وبهذه الصورة ربما يملأ الفراغ الذي أحدثته معاهدة لوزان عن قصد بتجاهلها المسألة الكردية. فباسم العدالة، وباسم حقوق الشعوب المقدسة، وباسم المدنية تطلب الجمعية الكردية مساعدة محكمة العدل الكبرى على تحسين حالة شعب منسي، ومهجور بحكم القوة حتى إذا إكتسب حريته تمكن من أن يكون عنصراً يخدم السلم والرقي في الشرق الأدنى..".

أحدثت هذه المذكرة صدى كبيراً في الوسط السياسي العراقي ولاسيما بين الجماعات القومية العربية التي رأت فيها دليلاً دامغاً لدحض جميع إدعاءات الجانب التركي. فقد نشرت صحيفة "الاستقلال" التي كان يديرها عبدالقفور البدري، ويرأس تحريرها قاسم العلوي، نصها في مكان بارز(٥١٣). ونشرت صحيفة "العالم العربي" الواسعة الانتشار نصها أيضاً(٥١٤)، كما إعتد الدكتور فاضل حسين في دراسته الاكاديمية عن مشكلة الموصل على المضمون العام

(٥١٣) "الاستقلال" (جريدة)، بغداد، العدد ٥٥٦، ٨ شباط ١٩٢٥.

(٥١٤) "العالم العربي"، ١٤ آذار ١٩٢٥.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

للمذكرة لتحديد موقف الكرد في العراق من الموضوع(٥١٥). أما "حزب الامة" فقد إختار المذكرة ملحقاً لتقريره "عن قضية الموصل" الذي رفعته "الهيئة المركزية للحزب الى لجنة الحدود التي إنتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركيا"، ذلك الحزب الذي أسسه عدد من القوميين العرب للدفاع عن "حق العراق في ولاية الموصل" من أمثال ناجي السويدي و المحامي محمد علي محمود و المحامي يوسف الحاج الياس وعبدالغفور البديري وقاسم العلوي والمحامي علي محمود الشيخ علي و المحامي إبراهيم ناجي و غيرهم(٥١٦). وقد أكد الحزب أهمية مذكرة "الجمعية الكردية" بصورة خاصة(٥١٧)، والتي تضمنت إحصاء عن ولاية الموصل يبين بوضوح الطابع الكردي لكركوك و توابعا، الموضوع الذي نعود الى تفصيلاته في المبحث الخاص بكركوك وتوابعا في الاحصاءات الرسمية وغيرها.

وبالمناسبة نرى من الضروري أن نشير الى أن المحامي يوسف الحاج الياس، وهو من مؤسسي "حزب الامة" كما نوهنا، والذي تحول فيما بعد الى أحد أقطاب "الحزب الوطني الديمقراطي" النشطين، يؤكد أن القوميين العرب لم يكونوا في الواقع في مستوى فهم أبعاد القضية الكردية كما ينبغي حتى في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ العراق، إذ لم يتجاوز موقفهم حدود رفع

(٥١٥)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٥١٦)"تقرير حزب الامة عن قضية الموصل"، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٥م، الملحق رقم ١، ص ٥-١.

(٥١٧)المصدر نفسه، ص ٢٢.

شعارات عاطفية مرحلية، فيما تبني العديد من مؤسسي "حزب الامة" فيما بعد مواقف شوفينية متعصبة تجاه الكرد و حقوقهم المشروعة(٥١٨).

وفي خضم الصراع على مصير ولاية الموصل إتخذ الكرد مواقف اخرى غير قليلة إنصبت كلها في صالح العراق، فان كرد كركوك والسليمانية، و "جميع العشائر الكردية القاطنة في ولاية الموصل"، و اهالي "٢٠٠ قرية في الجبال الشاهقة التابعة لرواندوز التي كانت من القديم مركزا لامارة كردية إستولى عليها الاتراك قبل سبعين سنة"، و "معشر اكراد عقرة"، و "مشايخ دهوك والعمادية"، و "علمدار زاده عبدالرحمن عن الكركوكليين"، و "فرع جمعية الدفاع في زاخو"، وفرعه الاخر في دهوك، وأعيان أربيل وغيرهم رفعوا عشرات البرقيات والمضابط الى أعضاء لجنة التحقيق، او الى عصابة الامم مباشرة يؤكدون فيها رغبتهم في أن يعيشوا ضمن العراق مادام "قانونه الاساسي يضمن حقوقهم القومية"(٥١٩). ومن الجدير بالذكر أن صحف بغداد نشرت صور بعض تلك البرقيات والمضابط أكثر من مرة من اجل جلب النظر اليها بوصفها أدلة معبرة في صالح العراق(٥٢٠).

(٥١٨) مقابلة مع المحامي يوسف الحاج الياس بتاريخ ١٥ ايار ١٩٩٥.

(٥١٩) "العالم العربي"، ٢٥ و ٢٦ تشرين الاول و ٤ تشرين الثاني ١٩٢٤ وغيرها، "الاستقلال"، ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٤ و ١٩ و ٢٧ شباط ٢ و ٩ و ٢٤ اذار ١٩٢٥ وغيرها.

(٥٢٠) تنظر على سبيل المثال البرقية المطولة من "رواندوز مركز الامارة الكردية" في العدين ٥٧٢ و ٥٨١ من جريدة "الاستقلال" لصاحبها عبدالغفور البديري، الصادرين في ٢٧ شباط و ١٩ اذار ١٩٢٥.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

وفي السياق نفسه نشر القاضي والبرلماني والثقف والوجه الاجتماعي الكردي البارز معروف جياوك، وكان من أشد المتحمسين للاسلام، وللأخوة العربية الكردية، سلسلة مقالات حول الموضوع نفسه على صفحات "المفيد" التي أصدرها ببغداد إبراهيم حلمي العمر، و "اندفعت في مسابرة الحركة الوطنية إنلقاعاً مدهشاً" (٥٢١). دحض جياوك في سلسلة مقالاته التي إختار لها عنوان "الاكرد و حدود العراق " حجج الكمالين بقوة، وجلب " انظار اعضاء لجنة التحقيق" الى قضايا إجتماعية وإقتصادية و سياسية تاريخية مهمة (٥٢٢)، مما دفع صاحب " مطبعة الاستقلال " البغدادية الى الاسراع في جمع تلك المقالات في كتاب يحمل عنوان "القضية الكردية"، ونشره على نفقة مطبعته (٥٢٣).

وجد موقف الكرد هذا صدى ملموساً له خارج العراق أيضاً، وبياتجاه من شأنه أن يساعد على إضعاف موقف تركيا، فعلى حد معلوماتنا أولته الصحافة الانكليزية، وكذا العربية غير العراقية قنرا واضحاً من الاهتمام. إن ماورد في صحيفة "المقطم" المصرية في مقالها المعنون "الاكرد والعراق" يوضح المقصود هنا، إذ قالت فيه:

"لم يقع تبدل في مسألة الموصل سوى ما وافتنا به رويتر أخيراً من أن زعماء الكرد ووجهاءهم في هذه الولاية أرسلوا الى جمعية الامم بإسم جميع العشائر الكردية

(٥٢١) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية، ص ٨٦.

(٥٢٢) جياوك الكردي، القضية الكردية، بغداد، ١٩٢٥، ص ٦٦-٦٦.

(٥٢٣) ينظر غلاف المصدر نفسه.

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

احتجاجاً شديداً على دعوى الترك قائلين إنه لاحق لهم بولاية الموصل لا من الوجهة الاقتصادية ولا من الوجهة الجنسية .. وكيفما كان الحال فان في هذا الاحتجاج المرسل من جميع القبائل الكردية ما يضعف الحجّة التركية القائلة على تمسك الكرد بالترك، ونفورهم من الحكم العراقي، ويؤثر تأثيراً كبيراً في سير هذه القضية، لان الكرد يؤلفون القسم الاكبر من سكان هذه الولاية، فهم معظم أبناء الشمال، كما أن العرب يؤلفون معظم سكان الجنوب والغرب، وما الترك إلا أقلية صغيرة ضئيلة لا يحسب حسابها، ولا يقيم لها وزن في تقرير المصير، فالأمم تحكم برأي الاكثرية لا الاقلية كما لا يخفى . وعلى كل فإننا نعد الحركة الكردية دليلاً على التفاهم والاتفاق بين عرب العراق وكرده الذين عاشوا السنين الطوال وهم على خير ما يكون من الوفاق والوئام" (٥٢٤).

اما اخطر موقف كردي ادى دورا حاسماً في تقرير مصير ولاية الموصل فيمكن في الانتفاضة الواسعة التي انفجرت في كردستان تركيا بقيادة الشيخ سعيد پيران والمثقفين البدرخانين والشمرزينيين والدكتور فؤاد في شباط ١٩٢٥ (٥٢٥)، إن هذه الانتفاضة كانت تعني، بكل بساطة، أن تركيا الكمالية مرفوضة في أعين الكرد بدوافع قومية ودينية، مما ترك تأثيراً واضحاً على الرأي العام العالمي، ولاسيما أن الصحافة الغربية اولت أسبابها و وقائعها ونتائجها إهتماماً كبيراً (٥٢٦). وكان امراً طبيعياً أن ينعكس ذلك بقوة على

(٥٢٤) مقتبس في: "العالم العربي"، العدد ١٩٤، تشرين الثاني ١٩٢٤، ص ٢.

(٥٢٥) للتفصيل عن الانتفاضة ينظر: كمال مظهر، انتفاضة عام ١٩٢٥ الكردية في تركيا. دراسة تحليلية،

الطبعة الثانية، كاوا للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١.

(٥٢٦) تنظر على سبيل المثال:

آراء لجنة التحقيق وداخل أروقة عصابة الامم، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار حقيقة أن اللجنة باشرت تواجعا باعداد تقريرها لمجلس العصابة. وللاستدلال أكثر على ما نقول نورد أقوال ليوبولد إيمري، وزير المستعمرات ومندوب بريطانيا لدى مجلس العصابة، بهذا الخصوص، فقد قال أمام المجلس، وفي ذروة النقاش الدائر حول مصير الولاية مانصه:

"أن البيان التركي أكد بصورة خاصة، من أوله الى آخره، على الفرضية القائلة انه مادام هناك عدد كبير من الاكراد في تركيا، فيجب إعتبار أكراد العراق راغبين بالعودة الى تركيا، ورجا المجلس أن يقدر ما إذا كانت الثورة الكردية في تركيا تشجع الاكراد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي، وعلى إبداء عواطفهم مع الحكومة التركية ضد شعب من جنسهم الخاص" (٥٧٧).

من هنا فإن الدكتور فاضل حسين، المتخصص الاول في تأريخ مشكلة الموصل، يبدو على حق تماماً حين يحدد تأثير الانتفاضة في كردستان تركيا على تقرير مصير ولاية الموصل هكذا:

"وقد إعتبرت (الثورة) الكردية حادثة مشؤومة لتركيا في الوقت الذي كان يقرر فيه مصير ولاية الموصل ذات الاكثريّة الكردية" (٥٢٨).

إهتمت الصحافة العراقية باحداث الانتفاضة في كردستان تركيا، فنشرت تفصيلات أخبارها أولاً بأول، وفي صدر صفحاتها الاولى، أو في اماكن بارزة من

"The Times "، February 28, March 5, April 1, 7, 9, 13, 16, 28, May 29, August 25, November 26, 1925; "Survey of International Affairs 1925", Vol. I, PP. 508-510; "The Near East and India "، August 13, 27, 1925.

(٥٢٧) مقتبس في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ١٥٥.

(٥٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٢.

حركات و توابعها حكم التاريخ والضمير

صفحاتها الاخرى(٥٢٩)، فقد إتخذتها حجة إضافية لتأكيد ضرورة إعطاء ولاية الموصل للعراق(٥٣٠). إستغلت الصحافة الغربية بدورها الانتفاضة لترويج فكرة ضم الولاية الى العراق(٥٣١).

دفع كرد تركيا ثمن موقفهم هذا غالياً، فقد عد مصطفى كمال إنتفاضة الشيخ سعيد طعنة نجلاء وجهت اليه من الخلف في واحدة من أخرج لحظات تأريخ نظامه، مما دفعه أن يصب جام غضبه عليهم بعد أن كان أول زعيم ثوري يعترف بحق الكرد في الحكم الذاتي في كانون الثاني ١٩٢٣، ورد نصه في وثيقة رسمية نشرت مجلة "نحو العام الفين" التركية صورتها في العام ١٩٨٨(٥٣٢). لكن من سخرية القدر ان تحور هذه الحقيقة الى شماتة ساذجة متداولة على الالسن يوصم بها كرد العراق اليوم من أناس يقارنون "فردوسهم" هنا بجحيم إختهم هناك مع إصرار عجيب على جهل مطبق بالتأريخ. ومن المفيد ان نشر بهذه المناسبة أيضاً الى أن مصطلح "أتراك الجبال" بدأ يظهر بين الاوساط الشوفينية التركية بعد إنتفاضة الكرد بقيادة الشيخ سعيد في العام ١٩٢٥، هذا المصطلح الغريب عن روح العصر،

(٥٢٩) اعداد "العالم العربي" و "الاستقلال" و "العراق" و "المفيد" وغيرها طائفة بالاخبار والتعليقات

والمقالات عن إنتفاضة العام ١٩٢٥ في كردستان تركيا.

(٥٣٠) ينظر على سبيل المثال في: "العراق"، ١١ آب ١٩٢٥.

(٥٣١) عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ٢٩٦.

(532) "2000 Dogru Dergisi", Sayi 46,6.XI.1988;

الدكتور إبراهيم دافوق، أكراد الدولة العثمانية، "المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية"، تونس،

العدد الخامس والسادس، فيفري ١٩٩٢، ص ١٩٤.

والذي غير العديد من المؤلفين والمثقفين العرب الكرد به مرارا وتكرارا حتى الان، ولايستبعد أن يستمروا على ذلك حتى يوم الدين.

ولابد أن نشير أيضاً، ونحن بصدد معالجة هذا الموضوع ، إن إنتفاضة الشيخ سعيد أثارت حفيظة تركمان كركوك وتوابعها بقوة بحكم أعجابهم الشديد بمصطفى كمال أتاتورك بوصفه زعيماً وطنياً، كما اثار اسلوب قمعها حفيظة كرد العراق بقوة، فتحول الامران الى أول عامل مؤثر سلباً على العلاقات الطيبة التي كانت تسود الطرفين الى ذلك الحين.

كان بوسع الشيخ محمود وأنصاره أن يثيروا في كردستان العراق إنتفاضة مشابهة لتلك التي شهدتها كردستان تركيا في أخرج أيام البت في مشكلة الموصل، إلا أن جهود الشيخ محمود إقتصرت على محاولات سلمية إستهدفت ضمان الحقوق القومية للكرد في ظل الظرف الذي إستجد نتيجة تدويل النزاع حول مصير ولاية الموصل، وقد سبق أن أشرنا الى مواقف الشيخ في هذا المضمار، ونضيف الى مذكرناه بهذا الصدد ان الشيخ قادر، أخ الشيخ محمود، وعددا من أبرز اعوان الشيخ كانوا من بين من إستجوبتهم لجنة التحقيق في السليمانية، فكانوا، حسب رواية شاهد عيان، "ممتلئين بروح النضال، فالامر بالنسبة لهم لم يكن قبولاً ذليلاً لاستجواب مفروض، ولا أجوبة سرية عن سؤال ثانوي (petite question)، بل كان الأمر أخطر من هذا، ففقدوا العزم بجهرهم بسوء الحكم العثماني ورفضهم له في جلسة عامة للجنة.. أعلنوا فيها

كركوك و تواجعا حكم التاريخ والضمير

إصرارهم الا يخضعوا ثانية الى الاسياد الذين قاسوا منهم الامرين" (٥٣٣). يقوم

ادموندس موقف الشيخ محمود من تحقيقات اللجنة هكذا:

"كان الشيخ محمود أذكي، وأبعد نظراً من أن يظهر نفسه أثناء زيارة أعضاء اللجنة، فبقى بعيداً، وقرر هؤلاء من تلقاء أنفسهم أنه ليس من حسن اللياقة إستقدام ثائر علني ليقدّم شهادة. هكذا إنتظر الشيخ حتى عادوا فواصل تكتيكة الحربي" (٥٣٤).

ومن الضروري ان نشير هنا الى أن الشيخ محمود تبني موقفه هذا في وقت أثار فيه مشكلة الموصل موضوع بنود معاهدة سيفر بالنسبة للقضية القومية الكردية. فقد أعاد مؤتمر نقابات العمال واللجنة الاستشارية في الشؤون الدولية لحزب العمال البريطاني الى الأذهان "إن بريطانيا وافقت على تأسيس دولة كردية بمعاهدة سيفر" (٥٣٥). كما ان لجنة عصبة الامم نفسها لم تستطع ان تتجاهل بنود سيفر بهذا الخصوص، مما يضفي بعدا خاصاً على موقف القوى القومية الكردية من مشكلة الموصل. أضف الى ذلك ان الدعاية التركية كانت قوية، ومؤثرة هي الاخرى منذ بداية إثارة المشكلة (٥٣٦)، لكنها عجزت، مع ذلك، في التأثير على موقف الراي العام الكردي إلا في حدود.

(533) C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs, P.413.

في الترجمة العربية، ص ٣٦٩.

(534)Ibid,P.422.

في الترجمة العربية: ص ٣٦٦.

(٥٣٥)مقتبس في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى ص ٢٤٦-٢٤٧.

"The Near East and India "، Vol.XXII,No.604, December 7,1922,P.723.(536)

هكذا ادى الكرد، بمن فيهم كرد كركوك و توابعا، دورا حاسما من جميع الواجه من أجل ضمان ضم ولاية الموصل الى العراق بدوافع مختلفة لم تكن مصلحتهم آخرها قطعا. لكن ذلك لم يقدر حق قدره. يقول ادموندس، الذي كان من اكثر الناس اطلاعا على دقائق ذلك الموقف، وأهميته في حسم الصراع من أجل الموصل:

"ان زيارة اللجنة أعطت زخماً شديداً للشعور الوطني الكردي الذي جرف في طريقه عدداً كبيراً من المستأجرين الذين كان أكثرنا تفاؤلاً يتوقع ووقوفهم الى جانب تركيا، فإذا بهذا الشعور يدفعهم الى المسكر المعادي للترك. ان الاستجابات الطويلة كادت كلها، وعلى حد سواء تكون ذات اتجاه قومي غلاب، لكنها لم تتخذ طابع الانفصال بصورة عامة.. وان كرد السليمانية وجهوا ما يمكن وصفه بالضربة القاصمة في المعركة الدائرة للمحافظة على كيان العراق، وانهم لعلى إدراك تام بما فعلوا، لكن يا ترى هل ترتفع الحكومة العراقية الى مستوى الحدث فتتبنى سياسة كريمة، بعيدة النظر إزاء الكرد؟ ان تقرير اللجنة الخاصة التي عينتها عصبة الامم جاء الان مؤيداً لاماني الكرد الذين.. أنقذوا البلاد من تجزئة فتالة بوقفهم الخالدة في السليمانية.. ان قادة الرأي العام الكردي غدوا هكذا في خيلاء جيد مع انفسهم ومع الدولة التي شعروا بانهم أثبتوا (لها) أنهم ليسوا مجرد مواطنين أذلاء" (٥٧٧).

حين نقوم موقف الكرد في الصراع التاريخي من أجل الموصل ينبغي أن نعيد الى الازهان موقف القوى القومية العربية في العراق تجاه حقوقهم المشروعة، الموقف الذي إتسم بروح شوفينية، وتجاهل مقيت حتى في ذلك

(537)C.J.Edmonds , Kurds, Turks and Arabs,P.434.

في الترجمة العربية: ص ٢٨٦.

الظرف العصيب. فان أياً من الاحزاب و الجمعيات والهيئات التي ظهرت يومذاك للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل لم تشر في برامجها، أو في صحافتها ونشاطاتها الى حقوق الكرد وقضيتهم بأي شكل كان على الرغم من إقرارها على مضمّن منها بان الكرد يؤلفون أكثرية سكان الولاية (٥٢٨). ولكن حتى بالنسبة للموضوع الاخير فان تلك الاوساط لم تتبن موقفاً موضوعياً. فعلى الرغم من الحماس الذي أبدته بالنسبة للمذكرة التي رفعتها "الجمعية الكردية" الى عصبة الامم، كما سبق أن نوهنا بذلك، إلا أنها أبليت اعتراضاً على الارقام الاحصائية التي وردت في المذكرة بالنسبة لعدد الكرد في الولاية، مع العلم أن الجمعية استقت معلوماتها من السالنامات العثمانية. كما أن الرقم الذي ذكرته بالنسبة للكرد (٤٥٠ ألف) كان أقل من الرقم الوارد في سجلات إحصاء النفوس العراقية لسنة ١٩٢٢-١٩٢٤ وهو ٤٩٤٠٠٧، فيما أن الرقم الذي ذكرته الجمعية بالنسبة للعرب (١٨٠ ألفاً) كان أكثر من الرقم الوارد بالنسبة للعرب في الإحصاء نفسه وهو (١٦٦٩٤١). ومن الضروري أن نشير بالمناسبة الى أن لجنة عصبة الامم علت الارقام الواردة في سجلات إحصاء النفوس العراقية لسنة ١٩٢٢-١٩٢٤ الادق، والافضل من بين جميع الارقام الاحصائية المقدمة لها من الاطراف المتنازعة، أو المذكورة في المصادر والمراجع المختلفة. مع ذلك فان "حزب الامة" حين نشر مذكرة

(٥٢٨) عن مناهجها ونشاطاتها بنظر في: عبدالرزاق الحسني، تأريخ الاحزاب السياسية العراقية، ص ٨٦-٧٠، الدكتور فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٣٤-١٣٥، ١٤١-١٥٥، "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل".

حركاته و توابعها حكم التاريخ والضمير

الجمعية الكردية ضمن تقريره عن قضية الموصل سجلت عبارة يقول نصها "وهذا الاحصاء لايعتد به حزب الامة" بعد المعلومات الاحصائية التي سجلتها الجمعية في مذكرتها مباشرة(٥٣٩).

حذت صحيفة "الاستقلال" حذو "حزب الامة" تماماً(٥٤٠)، بل إنها تمادت في موقفها الشوفيني بصورة من الصعب تصديقها نظرا لحراجه الموقف يومذاك، والحاجة الملحة الى جلب عواطف الكرد، وضمان تأييدهم لا إثارة حفيظتهم بصورة فظة، وبأسلوب بعيد عن أبسط قواعد الموضوعية، أو الذوق على أقل تقدير. ففي عددها المرقم ٦٠٤ كتبت تقول:

"وليس سكان كردستان أمة، بل هم مجموعة قبائل فلفتهم غير موحدة، وكل قبيلة منهم تتكلم لهجة مختلفة".

قالت "الاستقلال" ماهو امر من ذلك وأدهى، فقد تحدثت بلغة الطورانيين ومنطقهم تماماً، وفي ذلك وجه من الغرابة يعجز الباحث عن إيجاد أي تفسير منطقي له حتى فيما لو نظرنا إليه من زاوية التعالي الشوفيني الذي يسيطر على عقلية القوميين المتعصبين. تساءلت "الاستقلال" "هل في كردستان قومية كردية حقيقية؟"، واجابت : "لاستطيع أن نرد على هذا السؤال بما يقرب من الحقيقة، إذا إقتصرننا على أقوال سكان الاستانة فإن الكرد المقيمين فيها أصبحوا تركاً، ونسوا جنسيتهم الاصلية، وكذلك

(٥٣٩)"تقرير حزب الامة عن قضية الموصل"، ملحق الرقم ١، ص.ب.

(٥٤٠)"الاستقلال"، العدد ٥٥٦، شباط ١٩٢٥، ص ٣.

محركون و توابعهما حكم التاريخ والضمير

كثير من المشايخ الذين تغلبت العصبية الدينية فيهم على العصبية القومية، لا يريدون أن يعرفوا أنفسهم الا تركاً...^(٥٤١).

تبدو أبعاد هذه الصورة القاتمة بصورة اوضح إذا علمنا أن أعضاء المجلس التأسيسي لم يتحملوا المذكرة المعتدلة للغاية التي قدمها ممثلو كركوك و أربيل الى المجلس اثناء مناقشة مشكلة الموصل، والتي سبقت الاشارة اليها ايضاً، بحيث اضطر محمد شريف، وهو أحد الموقعين على المذكرة، الى تقديم توضيح هذا نصه الذي تبدو فيه صورة الموقف بشكل جلي وواضح:

"اقول بكل صراحة إننا أبناء العراق الشمالي، أعني الاكراد، لانريد الانفصال عن العراق بوجه من الوجوه لان الاكراد لا يعيشون بدون العراق قطعاً، ولكننا مع ذلك لا نتنازل عن طلب ما يضمن لنا حقوق الاقلية من الميزة الادارية وفق ما جاء في المادة الثالثة من المعاهدة العراقية-البريطانية(٥٤٢)، وهذا الموقف العرج هو الذي دعانا الى ان نرفع الى الرئيس المحترم تقريراً نذكر فيه موقفنا تجاه المعاهدة مع بيان اسبابه الموجبة، فنرجو من رفقائنا الكرام ان لا يداخلهم الريبة في وطنيتنا، وأن لا يعملوا ماتلي عليهم في التقرير على محمل ينافي حسن نيتنا مادامنا لم نخرج في هذا التقرير عن الحدود القانونية"^(٥٤٣).

على الرغم من ذلك اضطر مندوب أربيل داود الحيدري أخيراً الى سحب المذكرة باسم الموقعين عليها، مع العلم أنها كانت تدعو بالاساس الى تأجيل

(٥٤١) المصدر نفسه، جياوك الكردي، القضية الكردية، ص ٧٧-٨٢.

(٥٤٢) يقول نص المادة الثالثة من المعاهدة بهذا الخصوص، "يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً اساسياً ليعرض على المجلس التأسيسي العراقي، ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان .. يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق، ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة ...".

(٥٤٣) "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي"، ص ٣٤٢-٣٤٤.

البت في المعاهدة العراقية-البريطانية الى أن يتم تحديد مصير ولاية الموصل،
الشعار الذي رفعتة كل القوى الوطنية العراقية، إلا أنه لم يكن مقبولاً من
الکرد لانهم ربطوا معه مطلباً متواضعاً يتعلق بجزء قليل من حقوقهم
المشروعة(٥٤).

لم يمض سوى وقت قصير على ما حدث داخل المجلس التأسيسي حتى
عهد تأليف الوزارة الجديدة الى ياسين الهاشمي في الثاني من اب ١٩٢٤،
ليتزامن مع عهده الذي استمر حتى الحادي والعشرين من حزيران ١٩٢٥،
أهم وادق مراحل مشكلة الموصل، مما كان يتطلب، دون ريب، تبني سياسة
مرنة تجاه الكرد على الأقل من منظور تكتيكي صرف. وقد أعلنت الوزارة
في مناجها الذي أذاعته يوم الثامن من شهر اب سنة ١٩٢٤ أنها تتخذ بصورة
خاصة "التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية، وتخفيف
ما اصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل". نشرت جميع صحف
العاصمة نص هذا الوعد الصريح، بما في ذلك صحيفة "الاستقلال"(٥٥). هنا
ندع التعليق على ماجرى للمتخصص الاول في تأريخ حياة ياسين الهاشمي
ودوره في السياسة العراقية الدكتور سامي عبدالعافظ القيسي الذي يقول
مانصه بهذا الخصوص في "دراسة وثائقية حصل على درجة الماجستير
بتقدير ممتاز في تأريخ العراق الحديث من جامعة بغداد":

(٥٤)المصدر نفسه، ص ٣٤٢-٣٤٤، ٣٥٤، ٤٦٥، ٤٦٠، ٤٦٣-٤٦٤.

(٥٥) "الاستقلال"، العدد ٤١٧، آب ١٩٢٤.

"لما تسلم ياسين الهاشمي الحكم في ٢ آب ١٩٢٤ كان الوضع في كردستان خطيراً جداً، ولاحظ ان هناك إستياء عاماً لدى الرأي العام العربي في العراق جراء تدهور الاوضاع في شمالي العراق تناولته الصحافة من وجهات نظر متعددة، إلا انها كانت متفقة على ضرورة وضع حد له. وقد اراد ياسين الهاشمي الاستفادة من رغبة الرأي العام هذه، فبينها في مناجاه الوزاري تعزيزاً لمكانة الوزارة في الاوساط الشعبية، إذ وعد الشعب بعد ستة أيام من تبوئه كرسي الوزارة بانه سيتخذ التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية، وتخفيف ما اصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل، الا انه،

لم يكن مخلصاً في وعده حيث سار على سنة الوزارات التي سبقته باستخدام العنف والقمع في علاج هذه المشكلة، ولعله كان أشد من غيره في هذا الامر بحكم مسؤوليته كوزير للدفاع، إضافة الى رئاسة الوزارة. فقد شنت وزارته خلال الفترة الواقعة بين ٢٠ و ٢٠ آب ١٩٢٤ سلسلة متواصلة من الحملات العسكرية ضد قوات الثورة الكردية، وأعقبتها عمليات جوية مركزة قام بها سلاح الجو البريطاني خلال النصف الاول من شهر أيلول ١٩٢٤" (٥٤٦).

إن هذا التعقيب يفني عن الخوض في تفصيلات الموضوع، ولكن من المفيد ان نشير الى ان ياسين الهاشمي نفسه لم يكن من أصل عربي رغم إدعاءات أسرته (٥٤٧)،

(٥٤٦) سامي عبدالعافظ القيسي، ياسين الهاشمي و دوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦، البصرة، ص

أسرته(٥٤٧)، وان وزارته ضمت عنصرا مثقفاً، مخلصاً من الطراز الاول هو محمد رضا الشبيبي الذي عرف بميوله الديموقراطية، ومنطقه الوطني، وجراته النادرة، إلا أنه سكت، مع ذلك، سكوت من في القبور بالنسبة لما جرى للکرد فقط طوال وجوده في الوزارة الهاشمية الاولى(٥٤٨)، في حين أنه إستقال من منصبه احتجاجاً على منح الوزارة اول إمتياز للنفط في العراق للشركات الاجنبية، وهو موقف يدل، دون شك، على الاخلاص والجرأة والتضحية أيضاً لأنه كان في وضع مالي صعب عندما قدم إستقالته من الوزارة.

مست هذه المواقف عواطف الوطنيين الكرد، ومشاعرهم في الصميم، حتى ان معروف جياوك، الذي قلنا عنه قبل قليل إنه كان من أشد المتحمسين للاسلام، وللأخوة العربية-الكردية، والذي دافع عن حق العراق في ولاية الموصل بحماس منقطع النظر في سلسلة مقالات عدت صحيفة "المفيد" البغدادية ما ورد فيها أمراً "بفيد البلاد، ويوطد دعائم الألفة بين جماعاتها وطوائفها وأفرادها"، قرر "ترك السياسة والكتابة منذ مدة لاشتداد لهجة متطرفي العرب تجاه العناصر، ولاسيما العنصر الكردي"، وقد علقت "المفيد" على ذلك بالقول:

(٥٤٧)للتفصيل عن ذلك ينظر في: المصدر نفسه، ص ٣٦-٣٢، " العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦"، ص ١٧٩-١٧٨،مقابلة مع محمد جميل الروزياني بتاريخ ١٤ تموز ١٩٩٤، مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٩٤.

(٥٤٨)شرف مؤلف هذه الدراسة على رسالة ماجستير و أطروحة دكتوراه عن محمد رضا الشبيبي، أعدهما الدكتور علي عبد شناوة، وقد طبعت الاولى في لندن سنة ١٩٩٥، والثانية في بغداد سنة ٢٠٠٢.

"نحن نؤكد لجياوك (٥٤٩)، ولكل فضلاء قومه بأن الامة العربية التي رأت كيف تمزقت تركيا من جراء الضغط على عناصرها، وأجناسها لا يمكن أن تنسى هاتيك الصبر والدروس البليغة.. ونحن لانسمي الذين إشتدت لهجتهم ضد العناصر، إن صح ذلك، وهو بعيد، بالمتطرفين، بل نوصمهم بالخيانة والمروق عن الوحدة والخروج على الجامعة الوطنية، ومحال أن يكون أولئك، إن كان لهم أثر، عرباً، بل هم أعداء للعرب، يريدون أن يحفروا بدسائسهم لهذه البلاد الناشطة الى إسترداد عزاها الغابر، ومجدها الدائر، قبراً يلقونها وإستقلالها وأمانيتها فيه" (٥٥٠). ولكن للأسف الشديد قل من كان يفكر بمثل هذا المنطق السليم في صفوف القوميين العرب العراقيين يومذاك، ونذر عددهم بعد ذلك ندرة الماء في الصحراء.

إنتهت اللجنة التي ألفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل من إعداد تقريرها التاريخي في اواسط تموز سنة ١٩٢٥، فقدمته الى مجلس العصبة، كما وزعته على الصحافة العالمية. ان اللجنة بعد ان درست المشكلة من جميع أوجهها بعمق أكلت في تقريرها ان الحجج الاساسية، ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف أكثرية السكان تميل لتأكيد ضم الولاية الى العراق، ولكن بشرطين أساسيين، الاول منهما أن تبقى "هذه الاراضي" تحت الانتداب البريطاني لمدة خمس وعشرين سنة "لضمان الاستقرار فيها"، والثاني أن تؤخذ رغبات الاكراد بنظر الاعتبار(٥٥١)، الشرطان اللذان اكلهما

(٥٤٩) في النص، له.

(٥٥٠) "المفيد"، العدد ١٦٥، آب ١٩٢٥، جياوك الكردي، القضية الكردية، ص٣٠-٣٠.

"League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq" (551), PP.88-89.

مجلس العصبة عندما إتخذ قراره الذي يقضي بضم الولاية الى العراق في السادس عشر من كانون الاول من العام نفسه، ليتحول ذلك الى وثيقة دولية جديدة ملزمة بالنسبة لحقوق الكرد القومية في العراق، بما في ذلك كرد كركوك وتوابعها.

أعلنت الحكومتان البريطانية و العراقية رسمياً عن التزامهما بالشرطين المذكورين بصورة مطلقة(٥٥٢). فبالنسبة للشرط المتعلق بحقوق الكرد أعدت السلطات البريطانية في العراق بالتعاون مع السلطات المحلية مذكرة خاصة تضمنت حقائق معينة عن إدارة المناطق الكردية مع نص خطاب رئيس الوزراء أمام مجلس النواب في الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٦، الذي أكد فيه ضرورة منح الكرد حقوقهم القومية، ألحقتها بالمذكرة التي قدمتها للعصبة بخصوص تمديد المعاهدة العراقية- البريطانية(٥٥٣). في ضوء ذلك وافق مجلس العصبة يوم الحادي عشر من آذار ١٩٢٦ على مشروع قرار جديد يعلن فيه "ان قراره المؤرخ في السادس عشر من كانون الاول ١٩٢٥ أصبح نهائياً". أرسل المجلس، في الوقت نفسه، المذكرة البريطانية المتعلقة بإدارة المناطق الكردية الى لجنة الانتداب التابعة للعصبة لمراقبة تنفيذ التعهدات المتعلقة بحقوق الكرد القومية في العراق، الموضوع الذي غدا يؤولف ركناً أساسياً في التقارير اللاحقة التي كانت

(552) "Survey of International Affairs, 1925", PP. 520-521.

(553) League of Nations. Frontier between Turkey and Iraq. Treaty between Great Britain and Iraq signed at Baghdad on January 13 th 1926", Geneva, 1926.

كركوك و توابعا حكم التاريخ والضمير

الحكومة البريطانية تقدمها الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق، وبقية كركوك تحتل نفس موقعها السابق في ذلك الركن المخصص للقضية الكردية(٥٥٤).

بينما ان "عواطف اكثرية سكان" ولاية الموصل كانت تؤلف احد اهم العوامل الحاسمة في تقرير مصير الولاية لصالح العراق، وسجلنا ضمن المبحث العديد من الحقائق التي تبين ان تلك الحقيقة تنطبق بالدرجة الاولى على كرد الولاية، بضمنهم كرد كركوك و توابعا. ومن اجل ان تبدو هذه الحقيقة في إطارها الواقعي المقنع نضيف الى ما ذكرناه حتى الان من شواهد حقيقة مهمة أخرى هي ان لجنة العصبة "قد فوجئت إذ وجدت ان عدد العرب المؤيدين لتركيا (في الموصل) كبير- فمن بين ١٨٨ شاهدا ايد ٥٣ تركيا و ١٠٢ العراق.."(٥٥٥).

كان من المفروض أن يتحول هذا الموقف الى دافع قوي، وثابت لحل المشكلة الكردية في العراق على أسس ديمقراطية بإتجاه "يؤثر على بقية الكرد" و يفضي الى "ضمان تحقيق السلام في هذا الجزء من العالم" كما تمنى ذلك أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني (٥٥٦). لكن ذلك لم يحدث

(٥٥٤) ينظر على سبيل المثال موضوع الاكراد في،

"Special Report by His Majesty's Government... to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the Period 1920-1931" PP.251-266.

(٥٥٥) الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ١٢٢.

(٥٥٦) "The Parliamentary Debates. The House of Commons", Official Report, Fifth Series, Vol.189, 1924-1925, Col.2102.

محرر و توابعها حكم التاريخ والضمير

للاسف، الأمر الذي نلاحظ بعض جوانبه من خلال التطرق الى التطورات السياسية في المنطقة الكردية بعد حل مشكلة الموصل، وفي إطار علاقتها الجدلية بكرركوك وتوابعها.